عيون الأنباء
في
طبقات الأطباء

تأليف
موفق الدين أبي العباس أحمد بن
القاسم بن خليفة بن يونس السعدي
الخزرجي المعروف بـ
ابن أبي أصيبعة

شرح وتحقيق
الدكتور نزار رضا

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

عيون الأنباء
في
طبقات الأطباء

ابن أبي أصيبعة

من اطباء العرب المعروفين وادبائهم المرموقين رجل ترجم في كتاب واحد ، لم يؤلف غيره ، اطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه . انه موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعه السعدي الخزرجي .

ولد موفق الدين في مدينـــة دمشق في عام ٦٠٠ للهجرة في بيت علم وأدب ، فقد كان والده من امهر الكاحلين (اطباء العيون) في دمشق .

وبعد ان اتقن العلوم اللسانية على علماء زمانه انصرف الى تلقي علوم الطب عن والده ولكنه رأى ان ما يحسنه والده لا يشفي غليلاً فانصرف الى تلقي العلوم التي تبحث في شتى امراض العيون على كل من يحسنها . وكانت القاهرة في عهده منتهى السبل وملتقى العلماء ، والدولة الأيوبية في عز مجدها وسؤددها . فسافر الى القاهرة والتحق في المارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين في القاهرة وأخذ يعمل ليلاً نهاراً على تحصيل العلم فاشتهر بذكائه وحسن مداواته لامراض العيون واستلفت نبوغه الجالس على كرسي الملك فألحقه بخدمة الدولة .

لكن شهرته وصلت الى اسماع عز الدين وهو في صرخد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل في طلبه ، فرحل اليه واعجبه مناخ صرخد فمكث فيها حتى وافته المنية عام ٦٦٨ للهجرة .

وقد ترك ذكراً خالداً ومؤلفاً ضخماً ألفه لامين الدولة وزير الملك الصالح وهو أحسن كتاب في التراجم لا يشبهه الا كتاب اخبـــار الحكماء لكنه يمتاز عليه بانه اوسع وأوفر مادة جمعه وقاسى في جمعه الصعاب وقضى السنين الطوال محققاً ومدققاً حتى تمكن من تأليف كتابه هذا وقد اسماه عيون الانباء في طبقات الاطباء .

ابتدأ بترجمة كبار الاطبـاء زمن الاغريق والرومان والهنود ، وقسمه الى عدة اقسام وهو يحوي ما ينوف عن ٤٠٠ ترجمة .

ترجم أولاً اطبـــاء اليونان وغيرهم . وهو لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويذكرها . ولا يكتفي بذكر ما قام به المترجَم له من اعمال بل يأتي على شيء من آرائه في الطب لكنه لا يذكر سنة الولادة ولا سنة الوفاة على انه اذا تمكن من معرفة سنة الوفاة ذكرها والا تكلم عن صاحب الترجمة ذاكراً ما وصل اليه. ويذكر ايضاً ما ألفه المترجمله من كتبأو ما نقله الى اللسانالعربي من الكتب يذكرها بوضوح ويتكلم عنها بمعرفة .

ثم يتكلم عن الاطباء العرب والعجم والهنود والمغرب وأطباء مصر والشام كل قطر على حدة . ويذكر في كتابه الكثير من الشعر العربي الذي نظمه الاطبـــاء الذين ترجم لهم ، وترى بين التراجم عدداً كبيراً من المشاهير الذين لم يعرفوا بانهم اطباء ، لكنك حين تقرأ كتاب ابن ابي اصيبعة تعلم عند ذلك ان هؤلاء كانوا اطباء الى جانب كونهم ادباء أو شعراء أو من مشاهير الصوفية .

وقد استلفت هـــذا الكتاب نظر الافرنج فتتبعوه وقام المستشرق الالماني مولر بطبعه نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليها وذلك في عام ١٨٨٤ وفي عام١٢٩٩ه قامت المطابع المصرية بطبعالكتاب نقلاً عن طبعة المستشرق مولر وهي الطبعة الاولى والوحيدة من هـــذا الكتاب وقد اصبحت نادرة الوجود .

ولا شك ان العالم العربي سوف يقبل على اقتنـــاء هذا الكتاب الفريد في نوعه والذي لا تقدر المعلومات التي يحتويها بثمن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناشر الامم ومنشر الرمم ، بارىء النسم ومبرىء السقم ، ،عائد من فضله بسوابغ النعم ، الموعد من عصاه بأليم العقاب والنقم، مخرج الخلائق بلطف صنعه الى الوجود من العدم ، مقدر الادواء ومنزل الدواء بأتم الصنع وأتقن الحكم ، وأشهد ان لا إله الا الله شهادة خالصة بوفاء الذمم ، مخلصة من موبقات الخطل والندم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم ، المرسل الى كافة العرب والعجم ، الذي أنار بلألاء نور مبعثه حنادس الظلم ، وأباد بسيف معجزه من تجبر وظلم ، وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم . صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما لمعت البروق وهمعت الديم ، وعلى آله أولي الفضل والكرم ، وعلى أصحابه الذين جعلوا شريعته لهم أمم ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين المبرآت من الدنس ، وشرّف وكرم .

وبعد ، فانه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع واربح البضائع ، وقد ورد تفصيلها في الكتب الالهية والأوامر الشرعية ، حتى جعل علم الابدان قريناً لعلم الاديان .وقد قالت الحكماء : ان المطالب نوعان : خير ولذة ، وهذان الشيئان انما يتم حصولهما للانسان بوجود الصحة . لان اللذة المستفادة من هذه الدنيا ، والخير المرجو في الدار الاخرى ، لا يصل الواصل اليهما الا بدوام صحته وقوة بنيته . وذلك انما يتم بالصناعة الطبية لانها حافظة للصحة الموجودة، ورادّة للصحة المفقودة ، فوجب ، اذ كانت صناعة الطب من الشرف بهذا المكان وعموم الحاجة اليه داعية في كل وقت وزمان ، ان يكون الاعتناء بها أشد ، والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية أكد وأجد . وانه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث اصولها وتطلبها ، منذ أول ظهورها والى وقتنا هذا ، وكان فيهم جماعة من اكابر أهل هذه الصناعة ، واولي النظر فيها والبراعة ، ممن قد تواترت الاخبار بفضلهم ، ونقلت الآثار بعلو قدرهم ونبلهم ، وشهدت لهم بذلك مصنفاتهم ، ودلت عليهم مؤلفاتهم ، ولم اجد لأحد من أربابها ولا من انعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم على الولاء ، رأيت ان اذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ، ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم واوقاتهم ، وان اودعه ايضاً نبذاً من اقوالهم وحكاياتهم، ونوادرهم ومحاوراتهم، وذكر شيء من اسماء كتبهم ، ليستدل بذلك على ما خصهم

الله تعالى به من العلم ، وحباهم به من جودة القريحة والفهم ، فإن كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم ، وتفاوتت أوقاتهم ، فان لهم علينا من النعم فيما صنفوه ، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هـذه الصناعة ووضعوه ، ما هو تفضل المعلم على تلميذه والمحسن الى من أحسن اليه . وقـد أودعت هذا الكتاب أيضاً ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ، ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب ، وجملا مـن احوالهم ونوادرهم واسماء كتبهم ، وجعلت ذكر كل واحـد منهم في الموضع الأليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم .

فأما ذكر جميع الحكماء واصحاب التعاليم وغيرهم من ارباب النظر في سائر العلوم ، فاني اذكر ذلك ان شاء الله تعالى مستقصى في كتاب « معالم الامم ، واخبار ذوي الحكم » .

وأما هذا الكتاب الذي قصدت حينئذ الى تأليفه ، فاني جعلته منقسماً الى خمسة عشر باباً وسميته « كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء » وخدمت به خزانة المولى الصاحب ، الوزير العالم العادل ، الرئيس الكامل ، سيد الوزراء ، ملك الحكماء ، إمام العلماء ، شمس الشريعة، امين الدولة ، كمال الدين، شرف الملة أبي الحسن بن غزال بن ابي سعيد أدام الله سعادته ، وبلغه في الدارين ارادته .

ومن الله تعالى استمد التوفيق والمعونة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وهذا عدد الابواب :

الباب الاول : في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها .

الباب الثاني : في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صنـاعة الطب وكانوا المبتدئين بها .

الباب الثالث : فيطبقات الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس (١) .

الباب الرابع : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين اذاع أبقراط فيهم صناعة الطب .

الباب الخامس: في طبقات الاطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه .

الباب السادس: في طبقات الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في زمنهم من الاطباء النصارى وغيرهم.

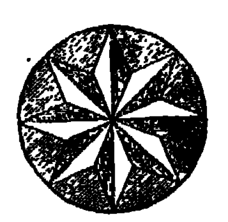
الباب السابع : في طبقات الاطباء الذين كانوا في اول ظهور الاسلام من اطباء العرب .

الباب الثامن : في طبقات الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس .

الباب التاسع : في طبقات الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى

---

(١) هو إله الطب ابن ابولون . لم يرض فقط بشفاء المرضى ، كما تقول الخرافة ، بل احيا الموتى . وقد اثار ذلك جوبيتر فدمره بناء لرجاء اخيه بلوطون إله الجحيم الذي خاف ان تصبح مملكته صحراء . (ن . ر)



الباب الأول

كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها

اقول : ان الكلام في تحقيق هذا المعنى يعسر لوجوه :

أحدها بُعد العهد به ، فان كل ما بعد عهده وخصوصاً ما كان من هذا القبيل ، فان النظر فيه عسر جداً .

الثاني : اننا لم نجد للقدماء والمتميزين وذوي [1] الآراء الصادقة قولاً واحداً سادا في هذا متفقاً عليه فنتبعه .

الثالث : ان المتكلمين في هذا لما كانوا فرقاً وكانوا كثيري الاختلاف جداً بحسب ما وقع الى كل واحد منهم ، أشكل [2] التوجيه في أي اقوالهم هو الحق .

وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب الايمان لابقراط ، ان البحث فيما بين القدماء عن اول من وجد صناعة الطب لم يكن بحثاً يسيرا . ولنبدأ اولاً باثبات ما ذكره مع ما الحقناه به في جهة الحصر لهذه الآراء المختلفة .

وذلك ان القول في وجود صناعة الطب ينقسم الى قسمين أولين : فقوم يقولون بقدمه ، وقوم يقولون بحدوثه .

فالذين يعتقدون حدوث الاجسام يقولون ان صناعة الطب مُحْدثة ، لأن الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة .

---

١ – سديداً ومصيباً – ٢ – التبس (ن . ر)

والذين يعتقدون القِدَم، يعتقدون في الطب قِدَمه . ويقولون أن صناعة الطب قديمة لم تزل مذ كانت ، كاحد الاشياء القديمة لم تزل ، مثل خلق الانسان .

واما اصحاب الحدوث فينقسم قولهم الى قسمين ، فبعضهم يقول ان الطب خُلق مع خَلق الانسان ، اذ كان من احد الاشياء التي بها صلاح الانسان . وبعضهم يقول وهم الجمهور ان الطب استخرج بعد . وهؤلاء ايضاً ينقسمون قسمين : فمنهم من يقول ان الله تعالى الهمها الناس ، واصحاب هذا الرأي على ما يقوله جالينوس وابقراط وجميع اصحاب القياس وشعراء اليونانيين .

ومنهم من يقول ان الناس استخرجوها . وهؤلاء قوم من اصحاب التجربة واصحاب الحيل وثاسلس المغالط وفيلن ، وهم ايضاً يختلفون في الوضع الذي به استخرجت وبماذا استخرجت . فبعضهم يقول ان اهل مصر استخرجوها ،ويصححون ذلك من الدواء المسمى باليونانية الأنى وهو الراسن [1] وبعضهم يقول ان هرمس [2] استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب ، وبعضهم يقول ان اهل فولوس استخرجوها من الادوية التي ألفتها القابلة لامرأة الملك فكان بها برؤها ، وبعضهم يقول ان اهل موسيا وأفروجيا استخرجوها ، وذلك ان هؤلاء اول من استخرج الزَّمر ، فكانوا يشفون بتلك الالحان والايقاعات آلام النفس ، ويشفي آلام النفس ما يشفى به البدن . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الحكماء من اهل قو ، وهي الجزيرة التي كان بها ابقراط وآباؤه ، واعني آل اسقليبيوس .

وقد ذكر كثير من القدماء ان الطب ظهر في ثلاث جزائر في وسط الاقليم الرابع احداها تسمى رودس[3] والثانية تسمى قنيدس[4] ، والثالثة تسمى قو[5] ، ومن هذه كان ابقراط .

وبعضهم يرى ان المستخرج لها الكلدانيون . وبعضهم يقول ان المستخرج لها السحرة من اهل اليمن . وبعضهم يقول بل السحرة من بابل أو السحرة من فارس . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الهند ، وبعضهم يقول ان المستخرج لها اهل أقريطش[6] ، الذين ينسب لافتيمون اليهم،وبعضهم يقول اهل طورسينا [7] .

فالذين قالوا ان الطب من الله تعالى ، قال بعضهم : هو إلهام بالرؤيا . واحتجوا بان جماعة رأوا في الاحلام أدوية استعملوها في اليقظة فشفتهم من امراض صعبة ، وشفت كل من استعملها .

---

١ – القنس . قال في الفيروزابادي وهو نبات طيب الرائحة ينفع في جميع الآلام والاوجاع الباردة والماليخوليا ووجع الظهر والمفاصل . جلاء مفرح ملين مقو للقلب والمعدة بالعسل لعرق ، جيد للسعال وعسر التنفس ، يذهب الغيظ ويبعد من الآفات . (وفارسيته الراسن)

٢ – هرمس هو الاسم اليوناني لمركيور بن جوبيتر ، رسول الآلهة . وهو ايضاً إله الفصاحة والتجارة واللصوص .

٣ – جزيرة شرقي الارخبيل اليوناني ٤ – جزيرة صغيرة في الدوديكانيز ٥ – جزيرة في بحر ايجه موطن ابقراط والرسام آبل .

٦ – او كريت جزيرة يونانية في المتوسط ٢اشتهرت بمدنيتها القديمة . ٧ – بلدة واقعة في شبه جزيرة سيناء .

وقال قوم الهمها الله تعالى بالتجربة ثم زاد الامر في ذلك وقوي ، واحتجوا ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم ، مبتلاة بالغنظ [١] والدرد ، [٢] ومع ذلك فكانت ضعيفة المعدة ، وصدرها مملوء اخلاطاً رديئة ، وكان حيضها محتبساً ، فاتفق لها ان أكلت الراسن مراراً كثيرة بشهوة منها له ، فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها ، وجميع من كان به شيء مما كان بها لما استعمله بَرَأَ بِهِ . فاستعمل الناس التجربة على سائر الاشياء .

والذين قالوا ان الله تعالى خلق صناعة الطب ، احتجوا في ذلك بانه لا يمكن في هذا العلم الجليل ان يستخرجه عقل انسان ، وهذا الرأي هو رأي جالينوس ، وهذا نص ما ذكره في تفسيره لكتاب الايمان لابقراط ، قال :

« واما نحن فالاصوب عندنا والاولى ان نقول ان الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب والهمها الناس ، وذلك انه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل ان يدركه عقل الانسان ، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذي هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه ، وذلك انا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التي يرون أن استخراجها كان من عند الله تبارك وتعالى ».

ووجدت في كتاب الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران [٣] الذي وسمه ببستان الاطباء وروضة الالباء ، كلاماً نقله عن ابي جابر المغربي وهو هذا ، قال :

« سبب وجود هذه الصناعة وحي والهام ، والدليل على ذلك ان هذه الصناعة موضوعة للعناية باشخاص الناس ، إما لان تفيدهم الصحة عند المرض ، واما لان تحفظ الصحة عليهم . وممتنع ان تعني الصناعة بالاشخاص بذاتها دون ان تكون مقرونة بعلم امر هذه الاشخاص التي خصت العناية بها . ومن البيّن ان الاشخاص ذوات مبدأ [٤] لوقوعها تحت العدد ، وكل معدود فأوله واحد تكثّر ، ولا يجوز ان تكون اشخاصُ الناس الى ما لا نهاية له لأن خروج ما لا نهاية له الى الفعل محال » قال ابن المطران: ليس كل ما لا يقدر على حصره فلا نهاية له ، بل قد تكون له نهاية يضعف عن حصرها .

قال ابوجابر: « واذا كانت الاشخاص التي لا تقوم هذه الصناعة إلا بها ذوات مبدأ ضرورةً ، فالصناعة ذات مبدأ ضرورة . ومن البين ان الشخص الذي هو اول الكثرة مفتقر اليها كافتقار سائرهم . ومن البين ايضاً انه لا يأتي من اول شخص وجد علم هذه الصناعة استنباطاً لقصر عمره وطول الصناعة ، ولا يجوز ان يجتمعوا في مبدأ الكثرة على استنباطها من اجل ان الصناعة متقنة محكمة ، وكل أمر متقن لا يستنبط بالاختلاف بل بالاتفاق . والاشخاص التي

---

١ – الكرب والهم الملازم ٢ – ذهاب الاسنان او تكسرها .
٣ – هو الحكيم الامام سيد الحكماء واوحد العلماء نشأ في دمشق وله تصانيف كثيرة
٤ – اي ذوات اصل (ن . ر)

هي أول في الكثرة لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، من أجل ان كل شخص لا يساوي كل شخص من جميع الجهات . واذا لم تتساو من جهة آرائها لم يجز ان تجتمع على امر محكم .

قال ابن المطران :«هذا يؤدي ايضاً في باقي العلوم والصناعات الى انها إلهام، لانها ذوات اتقان ايضاً» وقوله ايضاً ان الاشخاص لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، ليس بشيء [1] ، بل اجتماعها لا يكون إلا على أمر متقن . وانما الاختلاف يقع مع عدم الاتقان .

قال ابو جابر : « فقد بان ان الاشخاص في مبدأ الكثرة لا يتأتى منها استنباط هـذه الصناعة ، وكذلك عند نهاية الكثرة لتباينهم وافتراقهم ، ووقوع الخلف بينهم » .

ونقول ايضاً : يجوز ان يشك شاك فيقول: هل يتأتى عندك ان يعرف انسان من الناس او كثير منهم ،منابت الحشائش والعقاقير ، ومواضع المعادن وخواصها ، وقوى اعضاء سائر الحيوان وخواصها ومضارها ومنافعها ويعرف سائر الامراض والبلدان واختلاف امزجة أهلها مع تفريق ديارهم ؟ ويعرف القوة التي ينتجها تركيب الادوية ، وما يضاد قوة قوةٍ من قوى الادوية ، وما يلائم مزاجاً مزاجاً وما يضاده ، مع ما يتبع ذلك من سائر صناعة الطب فان سهل ذلك وهونه كذب ، وان صعب أمره في علمه من جهة المعرفة قلنا استنباطه ممتنع.واذا لم يكن للصناعة الطبية لابتدائها الا الاستنباط أو الوحي او الالهام،وكان لا سبيل الى استنباط هذه الصناعة بقي ان تكون موجودة بطريق الوحي والالهام .

قال ابن المطران : « هذا كلام مشوش كله مضطرب ، وان كان جالينوس قال في تفسير« العهد »: ان هذه الصناعة وحيية إلهامية . وقال فلاطن في كتـــاب « السياسة أن اسقليبيوس كان رجلاً مؤيداً ملهماً ».

لكن تبعيد حصول هذه الصناعة باستنباط العقول خطأ ، وتضعيف العقول التي استنبطت أجل من صناعة الطب.ولنتزل ان أول العالم كان واحداً محتاجاً الى صناعة الطب كحاجة هذا العالم الجم الغفير اليوم ، وانه ثقل عليه جسمه واحمرت عيناه واصابه علامات الامتلاء الدموي ، ولا يدري ما يفعل ، فاصابه من قوته الرعاف [2] فزال عنه ما كان يجده فعرف ذلك ، فعاوده في وقت آخر ذلك بعينه ، فبادر الى انفه فخدشه فجرى منه الدم فسكن عنه ما كان يجده ، فصار ذلك عنده محفوظاً يعلمه كل من وجده من ولده ونسله.ولطفت حواشي الصناعة حتى فتح العرق بلطافة ذهن ورقة حس .

ولو نزلنا لفتح العرق ، ان آخر ، ممن هذه صفته ، انجرح او انخدش فجرى منه الدم فكان له ما ذكرنا من النفع ، ولطفت الاذهان في استخراج [3] الفصد ، جاز فصار هذا باباً من الطب . وآخر امتلأ من الطعام امتلاء مفرطاً فأصابه من طبيعته أحد الاستفراغين، أما القيء واما الاسهال بعد غثيان [4]

---

(١) ليس بما يصح ان يعلم ويخبر عنه .
(٢) الدم يخرج من الأنف .
(٣) تفجير الدم من العرق .
(٤) جيشان النفس واندفاعها للقيء (ن. ر)

وكربٌ [1] ، وقلق وتهوع[2] ومغص وقراقر [3] وريح جوالة في البطن ، فعند ذلك الاستفراغ سكن جميع ما كان يجده . وقد كان آخر من الناس عبث ببعض اليتوعات [4] فمغصه ، فأسهله وقيأه اسهالاً وقيئاً كثيراً ، وصارت عنده معرفةان هذه الحشيشة تفعل هذا الفعل ، وان هذا الحادث مخفف لتلك الاعراض مزيل لها ، فذكره لذلك الشخص ، وحثه على استعمال القليل منه لمـّـا تموق عليه القيء والاسهال ، وصعبت عليه الاعراض فأداه الى غرضه منهما ، وخفف عنه مـــا لقي من شر تلك الاعراض . ولطفت الصناعـــة ورقت حواشيهـــا ، ونظرت في باقي الحشائش الشبيهة بتلك، ما منها يفعل ذلك ، وما منها لا يفعله ، وما منها يفعله بعنف ، وما منها يفعلهبضعف. وجاء صفاء العقول فنظر في الدواء الذي يفعل ذلك ايُّ الطعوم طعمه ، وايُّ الكيفيات يسبق الى اللسان منه ، وايها يتبعها ، فجعل ذلك سباره [5] ويستخرج منه . واعانته التجربة واخرجت مـــا وقع له من القول الى الفعل ، وكذبت ما غلط فيه ، وصححت ما حدس [6] عليه حدساً صحيحاً ، حتى اكتفى من ذلك . واذا نزلت ان مسهولاً [7] لا يعلم أي الأدوية وأي الاغذية ينفعه أو يضره ، استعمل بالاتفاق سماقاً في غذائه فانتفع به ودام عليه فأبرأه ، فأحب ان يعلم بماذا أبرأه ، فتطعمه فوجده حامضاً قابضاً، فعلم أنه لا يخلو من ان يكونحمضه نفعه او قبضه ، فذاق غيره مما فيه حموضة محضة فقط ، واستعمله في غيره ممن به مثل ما كان به ، فوجده لا يفيده مـــا أفاده هو ، فعمد الى شيء آخر طعمه قابض فقط ، فاستعمله في ذلك الشخص بعينه ، فوجد فائدته فيه أكثر من فائـــدة الحامض المطلق، فعلم ان ذلك الطعم مفيد في تلك الحالة وسماه قابضاً ، وسمى ذلك استفراغاً ، وقال أن القابض ينفع من الاستفراغ .

« ولطفت الصناعة ورقت حواشيها في ذلك ، حتى استخرجت العجائب ،واستنبطت البدائع . وأتى الثاني فوجد الاول وقد استخرج شيئاً جرّبه فوجده حقاً ، فاحتفظ به وقاس عليه ، وتمم حتى استكملت الصناعة . ولو نزلنا بجيء مخالف وجدنا كثيرين موافقين ، واذا غلط متقـــدم سدد متأخر ، واذا قصّر قديم تمّم محدث . هكذا في جميع الصناعات ، كذا الغالب على ظني .

قال :قال حبيش[8] الاعسم : ان رجلاً اشترى كبداً طرية من جزار ومضى الى بيته ،فاحتاج ان ينصرف في حاجة اخرى ، فوضع تلك الكبد التي كانت معه على اوراق نبـــات مبسوطة كانت على وجه الارض ، ثم قضى حاجتهوعاد ليأخذ الكبد فوجدها قد ذابت وسالت دماً فأخذ تلك الاوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلف حتى فطن به وأمر بقتله .

---

(١)الحزن يأخذ بالنفس (٢) التقيؤ بتكلف(٣) واحدها قرقرة وهي صوت البطن.

(٤) واحدها يتوع ويتشوع : كل نبات له لبن دار مسهل محرق مقطع وكل اليتوعات اذا استعملت على غير وجهها اهلكت.

(٥) السبار : فتيلة تجعل في الجرح (٦) توهم وظن وخمن (٧) مصاباً بالاسهال

(٨) عاش في ايام المتوكل وبعده اي في القرن التاسع . ونقل الى العربية قسم بقراط والمياه لبقراط ، وكتاب الفواكه لجالينوس ولديوسقريدس (ن ر) .

أقول : هذه الحكاية كانت في وقت جالينوس . وقال انه كان السبب في مسك ذلك الرجل وفي تودينه الى الحاكم حتى أمر بقتله .

قال جالينوس : وأمرت ايضاً في وقت مروره الى القتل ان تشد عيناه حتى لا ينظر الى ذلك النبات ، او ان يشير الى احد سواه فيتعلمه منه . ذكر ذلك في كتابه في الادوية المسهلة .

وحدثني جمال الدين النقاش السعودي ان في لحف الجبل الذي باسعرد ، على الجانب الآخر منه قريباً من الميدان ، عشباً كثيراً . وان بعض الفقراء من مشايخ اهل المدينة اتى الى ذلك الموضع ، ونام على نبات هناك ، ولم يزل نائماً الى ان عبر عليه جماعة ، فوجدوه كذلك ، وتحته دماً سائحاً من انفه ومن ناحية المخرج ، فأنبهوه وبقوا متعجبين من ذلك ، الى ان ظهر لهم انه من النبات الذي نام عليه . واخبرني انه خرج الى ذلك الموضع ورأى ذلك النبات ، وذكر من صفته انه على شكل الهندبا [١] غير انه مشرف الجوانب ، وهو مر المذاق . قال:وقد شاهدت كثيراً ممن يدنيه الى أنفه ويستنشقه مرات ، فانه يحدث له رعافاً في الوقت . هذا ما ذكره ، ولم يتحقق عندي في أمر هذا النبات ، هل هو الذي أشار اليه جالينوس أو غيره .

قال ابن المطران : فأقول حينئذ ان النفس الفاضلة المفيدة للخير ، نظرت حينئذ فعلمت . وكما ان الدواء فعل ذلك الفعل ، فلا بد وأن يكون خلق دواء آخر ينفع هذا العضو ، ويقاوم هذا الدواء ، ففتش عليه بالتجربة ، ولم يزل يطلب في كل يوم أو في كل وقت حيواناً فيعطيه الدواء الاول ثم الثاني ، فان دفع ضرره فقد حصل مراده ، وان لم ينفع فيه طلب غيره ، حتى وقع على ذلك الدواء . وفي استخراج الترياق اعظم دليل على ما قلت ، اذ لم يكن الترياق سوى حب الغار وعسل ، ثم صار الى ما صار اليه من الكثرة والنفع ، لا بوحي ولا الهام ، ولكن بقياس وصفاء عقول وفي مدد طويلة . »

فان قلت : من أين علم ان الدواء لا بد له من ضد . قلنا : انهم لما نظروا الى قاتل البيش [٢] ، وهو نبات يطلع فاذا وقع على البيش جففه وأتلفه ، علموا ان مثله في غيره فطلبوه . والعالم الفطن يقدر على علم كيفية استخراج شيء من المعلومات اذا نظر فيه ، على قياسنا الذي وضعناه له . وقد عمل جالينوس كتاباً في كيف كان استخراج جميع الصناعات ، فما زاد فيه على النحو الذي ذكرنا .

اقول : وانما نقلنا هذه الآراء التي تقدم ذكرها على اختلافها وتنوعها ، لكون مقصدنا حينئذ ان نذكر جل ما ذهب اليه كل فريق . ولما كان الخلف والتباين في هذا على ما ترى صار طلب أوله

---

(١) بقل معروف يؤكل .

(٢) نبات كالزنجبيل رطباً ويابساً وفيه سم قتال لكل حيوان وترياقه فأرة البيش وهي فأرة تتغذى به . (ن.ر)

عسراً جداً . إلا ان الانسان العاقل اذا فكر في ذلك بحسب معقوله ، فانه يجد صناعة الطب لا يبعد ان تكون أوائلها قد تحصلت من هذه الاشياء التي قد تقدمت أو من اكثرها . وذلك انا نقول ان صناعة الطب أمر ضروري للناس منوطة بهم حيث وجدوا ومتى وجدوا ، إلا انها قد تختلف عندهم بحسب المواضع وكثرة التغذي وقوة التمييز ، فتكون الحاجة اليها أمسّ عند قوم دون قوم . وذلك انه لما كانت بعض النواحي قد يعرض فيها كثيراً امراض ما لاهل تلك الناحية ، وخصوصاً كلما كانوا اكثر تنوعاً في الاغذية ، وهم ادوم اكلا للفواكه ، فان ابدانهم تبقى متهيئة للأمراض ، وربما لم يفلت منهم أحد في سائر اوقاته من مرض يعتريه ، فيكون امثال هؤلاء مضطرين الى الصناعة الطبية اكثر من غيرهم ، ممن هم في نواحي أصح هواء ، وأغذيتهم أقل تنوعاً ، وهم مع ذلك قليلو الاغتذاء بما عندهم . ثم ان الناس ايضاً لما كانوا متفاضلين في قوة التمييز النطقي ، كان اتمهم تمييزاً ، وأقوام حنكة ، وافضلهم رأياً أدرك وأحفظ لما يمر بهم من الامور التجريبية وغيرها ، لمقابلة الأمراض بما يعالجها به من الأدوية دون غيره . فاذا اتفق في بعض النواحي ان يكون أهلها تعرض لهم الامراضُ كثيراً ، وكان فيهم جماعة عدة بمثابة من أشرنا اليه اولاً فانهم يتسلطون بقوة ادراكهم وجودة قرائحهم ، وبما عندهم من الامور التجريبية وغيرها على سبيل المداواة ، فيجتمع عندهم على الطول اشياء كثيرة من صناعة الطب .

ولنذكر حينئذ اقساماً في مبدئية هذه الصناعة بقدر الممكن ، فنقول :

القسم الاول

ان احد الأقسام في ذلك انه قد يكون حصل لهم شيء منها عن الانبياء والاصفياء ، عليهم السلام ، بما خصهم الله تعالى به من التأييد الالهي .

روى ابن عباس (١) رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

كان سليمان بن داودَ عليهما السلام ، اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيسألها ما اسمك ؟ فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت .

وقال قوم من اليهود : ان الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام سفر الأشفية .

والصابئة (٢) تقول : ان الشفاء كان يؤخذ من هيا كلهم على يد كهانهم وصلحائهم ، بعض بالرؤيا

(١) ابن عم النبي . ولد قبل الهجرة . ولقب حبر الامة . وهو من رواة الحديث المشهورين . ناصر عليا ثم والى الامويين وتوفي في الكوفه سنة ٦٨٨ .

(٢) قوم يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام . وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار .

ربعض بالالهام . ومنهم من قال انه كان يوجد مكتوباً في الهيا كل لا يعلم من كتبه ، ومنهم من قال انها كانت تخرج يد بيضاء مكتوب عليها الطب ، ونقل عنهم ان شيث[1] اظهر الطب ، وانه ورثه عن آدم ، عليهما الصلاة والسلام .

فأما المجوس فانها تقول ان زرادشت[2] الذي تدعي انه نبيهم ، جاء بكتب علوم أربعة زعموا انها جلدت باثني عشر الف جلد جاموس ، الف منها طب .

وأما نبط[3] العراق والسورانيون والكلدانيون والكسدانيون وغيرهم من أصناف النبط القدم ، فيدّعى لهم انهم اكتشفوا مبادىء صناعة الطب . وان هرمس[4] الهرامسة المثلث بالحكمة كان بينهم ويعرف علومهم ، فخرج حينئذ الى مصر وبث في اهلها العلوم والصنائع ، وبنى الاهرام والبرابي[5] ثم انتقل العلم منهم الى اليونانيين .

وقال الامير أبو الوفاء المبشر بن فاتك[6] في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « ان الاسكندر[7] لما تملك مملكة دارا[8] ، واحتوى على فارس ، أحرق كتب دين المجوسية وعمد الى كتب النجوم والطب والفلسفة ، فنقلها الى اللسان اليوناني وانفذها الى بلاده ، واحرق اصولها .

وقال الشيخ ابو سليمان المنطقي[9]: قال لي ابن عدي : ان الهند لهم علوم جليلة من علوم الفلسفة ، وانه وقع اليه ان العلم من ثمّ وصل الى اليونانيين . وقال الشيخ ابو سليمان : ولستُ ادري من اين وقع له ذلك .

وقال بعض علماء الاسرائيليين انالذي استخرج صناعة الطب يوقال بن لامخ بن متوشالخ

---

(١) ثالث ابناء آدم وحواء

(٢) ولد في بلاد مادي وهو مصلح الديانة القديمة في ايران ومنشىء الماجوسية (٦٦٠ - ٥٨٣ ق م)

(٣) قوم من العرب كانوا من التجار وكان بينهم شعراء واطباء . عبدوا الاصنام ومنها اللات .

(٤) هو الاسم اليوناني للاله المصري طوت . وهو من حكماء مصر (ق . م)

(٥) ابنية عجيبة في مصر فيها تماثيل وصور .

(٦) هو الامير محمود الدولة ابو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري لازم علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكمية .

(٧) ملك مقدونيا ولد سنة ٣٥٦ ق م وتتلمذ على ارسطوطاليس ، قهر جيوش داريوس واخضع صور وصيدا ومصر فبنى الاسكندرية ثم عبر دجلة والفرات واستولى على بابل . واراد التقدم ايضاً ولكن المقدونيين رفضوا التقدم فرجع الى بابل حيث مات بالحمى وكان له من العمر ٣٣ سنة

(٨) هو دارا الثالث الذي ملك الفرس (٣٣٦ - ٣٣٠ ق م) وانتصر عليه الاسكندر في موقعة آسيا الصغرى سنة ٣٣٤ ق م . وفي معركتي ايسوس واربيل (مدينة في آشور القديمة) وباغتياله انتهت الامبراطورية الفارسية .

(٩) هو ابو سليمان السجستاني المنطقي اجتمع بيحيى بن عدي واخذ عنه وكان الى جانب تعمقه في العلوم الحكمية أديباً وشاعراً . (ن . ر).

القسم الثاني

ان يكون قد حصل لهم شيء منها بالرؤيا الصادقة، مثل ما حكى جالينوس في كتابه في الفصد، من فصده للعرق الضارب الذي أمر به . وذلك انه قال :

« اني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري الى ان انقطع من تلقاء نفسه ، لأني كذلك أمرت في منامي . فكان ما جرى أقل من رطل[1] ، فسكن عني بذلك على المكان وجع كنت أجده قديماً في الموضع الذي يتصل به الكبد بالحجاب . وكنت في وقت ما عرض لي هذا غلاماً . قال : وأعرف انساناً بمدينة فرغامس ، شفاه الله تعالى من وجع مزمن كان به في جنبه ، بفصد العرق الضارب من كفه ، والذي دعا ذلك الرجل الى ان يفعل ذلك رؤيا رآها » .

وقال في المقالة الرابعة عشرة من كتابه « في حيلة البرء » : « قد رأيت لساناً عظم وانتفخ حتى لم يسعه الفم ، وكان الذي أصابه ذلك رجلاً لم يعتد اخراج الدم قط ، وكان من ابناء ستين سنة ، وكان الوقت الذي رأيته فيه اول مرة الساعة العاشرة من النهار ، فرأيت انه ينبغي لي ان أسهله بهذا الحب الذي قد جرت العادة باستعماله، وهو الحب المتخذ بالصبر [2]والسقمونيا [3] وشحم الحنظل [4]، فسقيته الدواء نحو العشاء ، واشرت عليه ان يضع على العضو العليل بعض الاشياء التي تبرّد . وقلت له افعل هذا حتى انظر ما يحدث ، فاقدر المداواة على حسبه . ولم يساعدني على ذلك رجل حضره من الاطباء ، فبهذا السبب أخذ الرجل ذلك الحب ، وتأخر النظر في امر ما يداوي به العضو نفسه الى الغد ..وكنا نطمع جميعاً ان يكون قد تبين فيه حسن أثر الشيء الذي يداوى به ونجربه عليه . اذ كان فيه يكون البدن قد استفرغ كله ، والشيء المنصب الى العضو قد انحدر الى اسفل .

---

(١) ثقل يوزن به وهو على نوعين : الرطل الشرعي وهو ١٢٨ $\frac{١}{٧}$ الدرهم ويعادل بالغرام : ٣٠٩،٢٨١ ؛ والرطل العراقي وهو ١٣٠ درهماً ، يعادل : ٣١٢،٧١٨ غ . وهو غير الرطل الشامي المعروف والذي يزن اقتين ويعادل : ٢٥٦٥،٨٩٠غ « ن . ر »

(٢) الصبر : عصارة شجر مر . وجاء في معجم الشهابي : جنس نباتات من فصيلة الزنبقيات تنبت في البلاد الحارة ، منها انواع تزرع في الحدائق للتزيين ، واخرى كالصبر السقطري (نسبة الى جزيرة سقطرى) يستخرجون من اوراقها اللحمية عصارة راتنجية مرة تستعمل في الطب للاسهال « ن . ر » .

(٣) Convulvulus scammonia (المفردات) : نوع من النباتات العشبية والنصف خشبية معظمها معترش من فصيلة اللبلاب ، يستخرج منه صمغ راتينجي شديد الاسهال (ن.ر)

(٤) نبات معترش ثمرته بحجم البرتقالة والمختار منه اصفره ، وشحمه يسهل البلغم الغليظ المنصب في المفاصل شرباً او الفاء في الحقن . نافع للمالنخوليا والصرع والوسواس وداء الثعلب والجذام ، ومن لسع الافاعي والعقارب ، ولوجع السن تبخراً بحبة ، ولقتل البراغيث رشاً بطبخه ، وللنسا دلكاً بأخضره (ن.ر)

ففي ليلته رأى في حلمه رؤيا ظاهرة بينة ، فحمد مشورتي واتخذ مشورتي مادة في ذلـــك الدواء ، وذلك انه رأى النائم آمراً يأمره بان يمسك في فيـــه عصارة الخس ، فاستعمل هــذه العصارة كما امره وبرأ برءاً تاماً ، ولم يحتج معها الى شيء آخر يتداوى به » .

وقال في شرحه لكتاب « الايمان » لابقراط : « وعامة الناس يشهدون على ان الله تبارك وتعالى هو الملهم لهم صناعة الطب من الاحلام والرؤيا التي تنقذهم من الامراض الصعبة . من ذلك انا نجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم اتاهم الشفاء من عنـــد الله تبارك وتعالى ، بعضهم على يد سارافس [١] ، وبعضهم على يد اسقليبيوس بمدينة أفيداروس ومدينة قو ومدينة فرغامس ، وهي مدينتي .

وبالجملة فقد يوجد في جميع الهياكل التي لليونانيين وغيرهم من سائر النـــاس ، الشفاء من الامراض الصعبة التي تأتي بالاحلام وبالرؤيا .

وأريباسيوس يحكي في كناشه الكبير ان رجلاً عرض له في المثانة حجر عظيم . قال : وداويته بكل دواء مستصلح لتفتيت الحجر ، فلم ينتفع البتة وأشرف على الهلاك . فرأى في النوم كأن انساناً اقبل عليه وفي يده طائر صغير الجثة ، وقال له ان هذا الطائر اسمه صفراغون [٢] ، ويكون بمواضع السباحات والآجام ، فخذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم من هذه العلة . فلما انتبه فعل ذلك، فاخرج الحجر من مثانته متفتتاً كالرماد ، وبَرَأ برءاً تاماً .

ومما حصل ايضاً من ذلك بالرؤيا الصادقة ان بعض خلفـاء المغرب مرض مرضاً طويلا ، وتداوى بمداواة كثيرة فلم ينتفع بها ، فلما كان في بعض الليالي رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في نومــه وشكى اليه ما يجده ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ادهن بلا ، وكل لا ، تبرأ ، فلما انتبه من نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم ما معناه . فسأل المعبرين [٣] عنه ، فكل منهم عجز عن تأويله،ما خلا علي بن ابي طالب القيراوني ، فانه قال يا امير المؤمنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، امرك ان تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ . فلما سأله من اين له معرفة ذلك . قال من قول الله عز وجل : من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » . فلما استعمل ذلك صلح به وبرأ برءاً تاماً .

ونقلت من خط علي بن رضوان [٤] ، في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب ما هذا نصه :

---

(١) اله مصري من عصر بطليموس والرومان ، تولد عن اختلاط اوزيريس آبيس مع اله غريب عن مصر . واخـــيراً اصبح سارافس مشابهاً لباوطون واسقليبيوس وجوبيتر .

(٢) بالافرنجية Troglodyte وهو الوصع : طائر صغير جداً هو اصغر العصافير في العالم القديم واسمه في الشام زكزكه وسكسوكه . وقال الرازي في كتاب الواقي : انه عصفور صغير اصغر من جميع العصافير ، اكثر ما يظهر في الشتاء ، لونه بين الرماد والصفرة ، وفي جناحيه ريش ذهبي ، ومنقاره دقيق ، وفي ذنبه نقط بيض . له حركات دائمة ، وهو دائم الصفير قليل الطيران . وقال الحاوي انه يسمى بالافرنجية صفراغون . (ن.ر)

(٣) المفسرين .

(٤) علي بن رضوان المصري ولد في الجيزة سنة ١٠٦٨ وكان مبصراً.عل الطرقات ثم تعلم الطب واصبح طبيب الخليفــة الحاكم بامر الله،هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ولد في مصر بالجيزة ونشأ بمدينة مصر وكان ابوه فراناً.وأكب ـــ

قال : « وقد كان عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ، ففصدت فلم يسكن، وأعدت الفصد مراراً وهو باق على حاله ، فرأيت جالينوس في النوم ، وقد امرني ان اقرأ عليه حيلة البرء ، فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت الى آخر السابعة ، قال : نسيت ما بك من الصداع؟ وأمرني ان احجم القمَحْدُوة [1] من الرأس . ثم استيقظت فحجمتها ، فبرأت من الصداع على المكان .

وقال عبدالله بن زهر[2] في كتاب «التيسير»: «انني كنت قد اعتل بصري من قيىء بحراني[3] افرط علي ، فعرض لي انتشار في الحدقتين دفعة ، فشغل بذلك بالي ، فرأيت فيما يرى النائم من كان في حياته يعنى باعمال الطب ، فأمرني في النوم بالاكتحال بشراب الورد ، وكنت في ذلك الزمان طالباً قد حذقت ، ولم تكن لي حنكة في الصناعة ، فأخبرت ابي فنظر في الأمر ملياً ثم قال لي : استعمل ما امرت به في نومك . فانتفعت به . ثم لم ازل استعمله الى وقت وضعي هذا الكتاب في تقوية الابصار .

اقول : « ومثل هذا ايضاً كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة ، فانه قد يعرض احياناً لبعض الناس ان يروا في منامهم صفات ادوية ممن يوجدهم اياها ، فيكون بها برؤهم ، ثم تشتهر المداواة بتلك الادوية فيما بعد .

القسم الثالث

ان يكون قد حصل لهم شيءمنها ايضاً بالاتفاق والمصادفة،مثل المعرفة التي حصلت لاندروماخس الثاني في القائه لحوم الأفاعي في الترياق . والذي نشطه لذلك وأفرد ذهنه لتأليفه ، ثلاثة اسباب جرت على غير قصد ، وهذا كلامه ، قال :

« اما التجربة الاولى ، فانه كان يعمل عندي في بعض ضياعي في الموضع المعروف ببورنوس ،

على النظر والاشتغال الى ان ذاع صيته وخدم الحاكم فجعله رئيساً على سائر المتطببين. وكان يرد على معاصريه من الاطباء بسفاهة وتشنيع . وقد اصيب بعقله ، وكانت وفاته في سنة اربعمائة وثلاث وخمسين بمصر في خلافة المستنصر بالله . وله من الكتب الشيء الكثير .

(١) مؤخر القذال ـ جماع مؤخر الراس ـ من الرأس .

(٢) هو ابو مروان بن ابي العلاء ولد في اشبيلية وقد سماه الافرنج Avenzoar . له اختراعات في علم الجراحة. وله كتاب « الاقتصاد » وكتاب «التيسير» البعيد التأثير في الطب الاوروبي .

(٣) دموي خالص (ن.ر)

حراثون يحرثون الارض للزرع ، وكان بيني وبين الموضع نحو فرسخين [1] ، وكنت ابكر اليهم لأنظر ما يعملون ، وارجع اذا فرغوا . وكنت احمل لهم معي على الدابة التي تحت الغـــلام زاداً وشراباً لتطيب انفسهم ، ويتجلدوا على العمل . فما زلت كذلك الى ان حملت الغداء في بعض الايام ، وكنت قد اخرجت اليهم بستوقة [2] خضراء ، وفيها خمر ، مطينة الرأس لم تفتح ، مع زاد . فلما اكلوا الزاد قدموا البستوقة وفتحوها ، فلما ادخل احدهم يده مع كوز ليغرف منها الشراب وجد فيها أفعى قد تهرأ ، فأمسكوا عن الشراب ، وقالوا : ان ههنا في هذه القرية رجلاً مجذوماً [3] يتمنى الموت من شدة ما به ، فنسقيه من هذا الشراب ليموت ، ويكون لنا في ذلك أجر اذ نريحه من وصبه [4] . فمضوا اليه بزاد وسقوه من ذلك الشراب ، متيقنين انه لا يعيش يومه ذلك ، فلما كان قريب الليـــل انتفخ جسمه نفخاً عظيماً وبقي الى الغداة ثم سقط عنه الجلد الخارج ، وظهر الجلد الداخل الاحمر ، ولم يزل حتى صلب جلده وبرأ وعاش دهراً طويلاً من غير ان يشكو علة ، حتى مات الموت الطبيعي الذي هو فناء الحرارة الغريزية .فهذا دليل على ان لحوم الافاعي تنفع من الاوصاب الشديدة والامراض العتيقة في الابدان .

واما التجربة الثانية فان أخي ابولونيوس كان ماسحاً من قبل الملك على الضياع ، وكان كثيراً ما يخرج اليها في الاوقات الوعرة الرديئة في الصيف والشتاء ، فخرج ذات يوم الى بعض القرى على سبعة فراسخ ، فنزل يستريح عند أصل شجرة ، وكان الزمان شديد الحر ، وانه نام فاجتازته افعى فنهشته في يده ، وكان قد القى يـده على الارض من شدة تعبه ، فانتبه بفزع وعلم ان الآفة قد لحقته ، ولم يكن به على القيام طاقة ليقتل الافعى ، واخذه الكرب والغشي [5] فكتب وصية وضمنهـــا اسمه ونسبه ، وموضع منزله وصفته ، وعلق ذلك على **الشجرة** ، كي اذا مات واجتاز به انسان ، ورأى الرقعة يأخذها ويقرأها ويعلم أهله ، ثم استسلم للموت . وكان بالقرب منه ماء قد حصل منـــه فضلة يسيرة ، في جوبة [6] في أصل تلك الشجرة التي علق عليها الرقعة ، وكان قد غلبه العطش ، فشرب من ذلك الماء شرباً كثيراً . فلم يلبث الماء في جوفه حتى سكن ألمه ، وما كان يجده من ضربة الافعى، ثم برأ فبقى متعجباً ولم يعلم ما كان في المـــاء . فقطع عوداً من الشجرة وأقبل يفتش به الماء ، لانه

---

(١) الفرسخ : ثلاثة اميال ، والميل يختلف ١) باعتباره ٤٠٠٠ ذراع شرعي يساوي في القياس المتري ١٩٢٠ متراً ٢٠) باعتباره ٣٠٠٠ ذراع اي ١٦٨٠ متراً . وباعتباره ٣٠٠٠ ذراع اي ١٤٤٠ متراً . فيكون الفرسخ على ذلك ١) : ٥٧٦٠ متراً ـ ٢) : ٥٠٤٠ ـ و ٣) : ٤٣٢٠

(٢) اناء من خزف معرب بستو

(٣) مصاباً بمرض الجذام ، وهو مرض وخيم ربما انتهى الى تقطع اطراف البدن وسقوطهـــا عن تقرح ، ويفسد مزاج الاعضاء وهيئتها .

(٤) مرضه .

(٥) الاغماء

(٦) الحفرة المستديرة الواسعة .

كره ان يفتشه بيده لئلا يكون فيه ايضاً شيء يؤذيه ، فوجد فيه أفعيين قد اقتتلا ووقعا جميعاً في الماء وتهرءا ، فاقبل اخي الى منزلنا صحيحاً سالماً ايام حياته ، وترك ذلك العمل الذي كان فيه ، واقتصر بملازمتي . وكان هذا ايضاً دليلاً على ان لحوم الافاعي تنفع من نهش « الافاعي » والحيات والسباع الضارية .

وأما التجربة الثالثة فانه كان للملك بيبولوس غلام ، وكان شريراً [1] غمازاً خماناً [2] فيه كل بلاء، وكان كبيراً عند الملك يحبه لذلك ، وكان قد آذى اكثر الناس ، فاجتمع الوزراء والقواد والرؤساء على قتله ، فلم يتهيأ لهم ذلك لمكانته عند الملك . فاحتال بعضهم وقال : اذهبوا فاسحقوا وزن درهمين افيوناً [3] وأطعموه اياه في طعامه ، او اسقوه في شرابه ، فان الموت السريع يلحق الناس كثيراً ، فاذا مات حملتموه الى الملك وليس به جراحة ولا قلبه[4]. فدعوه الى بعض البساتين ، فلم يتهيأ لهم ان يفعلوا ذلك في الطعام فسقوه في الشراب ، فلم يلبث الا قليلاً ان مات ، فقالوا نتركه في بعض البيوت ونختم عليه ، ونوكل الفعلة بباب البيت ، حتى نمضي الى الملك نعلمه انه قد مات فجأة ليبعث ثقاته ينظرونه . فلما صاروا باجمعهم الى الملك نظر الفعلة الى افعى قد خرج من بين الحجر ، ودخل الى البيت الذي فيه الغلام ، فلم يتهيأ لهم ان يدخلوا خلفه ويقتلوه لان الباب كان مختوماً فلم يلبثوا إلا ساعة والغلام يصيح بهم لم قفلتم على الباب ؟ أعينوني قد لسعتني افعى ! ومد الباب من داخل وأعانه قوّام البستان من خارج فكسروه فخرج وليس به 'قلبه . وكان هذا ايضاً دليلاً على ان لحوم الافاعي تنفع من شرب الادوية القتالة المهلكة» . هذا جملة ما ذكره اندروماخس .

ومثل هذا ايضاً ، أعني ما حصل بالاتفاق والمصادفة ، انه كان بعض المرضى بالبصرة ، وكان قد استسقى [5] ويئس أهله من حياته وداووه بوصفات كثيرة من ادوية الاطباء ، فيئسوا منه وقالوا لا حيلة في برئه ، فسمع ذلك من اهله ، فقال لهم : دعوني الآن اتزود من الدنيا وآكل كل ما عن لي ولا تقتلوني بالحمية. فقالوا له : كل ما تريد ! فكان يجلس بباب الدار فمهما جاز اشترى منه وأكل. فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فاشترى منه كثيراً ، فلما اكله انسهل بطنه من الماء الاصفر في ثلاثة ايام ما كاد به ان يتلف لافراطه . ثم انه عندما انقطع القيام زال كل ما كان في جوفه من المرض ، وثابت قوته فبرأ ، وخرج يتصرف في حوائجه . فرآه بعض الاطباء فعجب من أمره ، وسأله عن الخبر فعرفه ، فقال : ان الجراد ليس من طبعه ان يفعل هذا ، فدلني على بائع الجراد فدله عليه ، فقال له من أين تصطاد هذا الجراد ؟ فخرج به الى المكان ، فوجد الجراد في ارض أكثر نباتها المازريون [6] ، وهو من دواء الاستسقاء، واذا دفع الى مريض منه وزن درهم اسهل اسهالاً

---

(١) يطعن في الناس (٢) يقول بالحدس والظن .

(٣) عصير الخشخاش وخاصة الخشخاش الابيض وله خاصة مخدرة ومنومه . (٤) الحرة فيه .

(٥) اصيب بمرض الاستسقاء وهو تجمع الماء في البطن عن مرض (٦) جنس من النباتات يستعمل للتزيين وهو بالافرنجية Daphne

ذريعاً لا يكاد ان يضبط والعلاج به خطر ، ولذلك ما تكاد تصفه الاطباء . فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ، ونضجت في جوفه ، ثم طبخ الجراد ، ضعف فعلها . وأكل الجراد فعوفي بسببها .

ومثل هذا ايضاً، أي مما حصل من طريق المصادفة والاتفاق، أنه كان بافلولن من سليلة اسقليبيوس ورم حار في ذراعه ، مؤلم ألماً شديداً ، فلما اشفى منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطىء نهر كان عليه النبات المسمي حي العالم ، [1] وانه وضعها عليه تبرداً به فخفف بذلك ألمه ، فاستطال وضع يده عليه ،واصبح من غد فعمل مثل ذلك فبرأ برءاً تاماً. فلما رأى الناس سرعة برئه علموا انه انما كان بهذا الدواء وهو على ما قيل اول ما عرف من الأدوية .

وأشباه هذه الأمثلة التي قد ذكرنا كثيرة .

القسم الرابع

ان يكون قد حصل شيء منها ايضاً بما شاهده الناس من الحيوانات ، واقتدى بأفعالها وتشبه بها وذلك مثل ما ذكره الرازي [2] في كتاب (الخواص) ان الخطاف [3] اذا وقع بفراخه اليرقان [4] ، مضى فجاء بحجر اليرقان ، وهو حجر أبيض صغير يعرفه ، فجعله في عشه فيبرأوا. وان الانسان اذا اراد ذلك الحجر طلى فراخه بالزعفران ، فيظن انه قد اصابهم اليرقان ، فيمضي فيجيء به فيؤخذ ذلك الحجر ويعلق على من به اليرقان ، فينتفع به .

وكذلك ايضاً شأن العقاب الانثى ، انه اذا تعسر عليها بيضها وخروجه ، وصعب حتى تبلغ الموت ، ورأى ذكرها ذلك طار واحضر حجراً يعرف بالقلقل ، لانه اذا حرك تقلقل في داخله ، فاذا كسر لم يوجد فيه شيء ، وكل قطعه منه اذا حركت تقلقلت مثل صحيحه ، واكثر الناس تعرفه بحجر العقاب ، ويضعه فيسهل على الانثى بيضها . والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب .

ومثل ذلك ايضاً ان الحيات اذا اظلمت اعينهن لكونهن في الشتاء في ظلمة بطن الارض ، وخرجن من مكامنهن في وقت ما يدفأ الوقت طلبن نبات الرازيانج [5] ، وامررن عيونهن عليه فيصلح ما بها .

---

(١) قال الشهابي في معجمه عن كتاب المفردات : كان القدمـــاء يطلقون لفظ حي العـــالم على انواع من جنس Orpin وانواع من جنس Sempervirum وهو ما سميته الخلدة وهو بالفرنسية Joubarbe . وهو جنس نباتات معمرة للتزيين .

(٢) هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي جالينوس العرب وسيأتي الكلام عنه . (٣) طائر يشبه السنونو طويل الجناحين قصير الرجلين (٤) مرض يصيب الزرع والانسان يتغير منه لون البدن فاحشاً الى صفرة او سواد بجريان الخلط الاصفر والاسود الى الجلد وما يليه بلا عفونة ،

(٥) من الفارسية وهي الشمار جنس بقول من فصيلة الخيميات جذورها مسهلة . (ن ر)

فلما رأي الناس ذلك وجربوه وجدوا من خاصيته اذهاب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه .

وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن ارودوطس ، ان طائراً يدعي أيبس [1] هو الذي دل على علم الحقن ، وزعم ان هــذا الطير كثير الاغتذاء لا يترك شيئاً من اللحوم الا اكله ، فيحتبس بطنه لاجتماع الاخلاط الرديئة وكثرتها فيه ، فاذا اشتد ذلك عليه توجه الى البحر ، فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم ادخله في دبره ، فيخرج بذلك الماء الاخلاط المحتقنة في بطنه ، ثم يعود الى طعامه الذي عادته الاغتذاء به .

القسم الخامس

ان يكون حصل شيء منها ايضاً بطريق الالهام كما هو لكثير من الحيوانات . فانه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون ذريفوس ، فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال .

وكما تشاهد عليه ايضاً السنانير [2] ، فانها في اوقات الربيــع تأكل الحشيش ، فان عدمت الحشيش عدلت الى خوص [3] المكانس فتأكله ، ومعلوم ان ذلك ليس مما كانت تغتذي به اولا ، وانما دعاهــا الى ذلك الالهام لفعل ما جعله الله تعالى سبباً لصحة ابدانها ، ولا تزال كذلك الى ان تحس بالصحة المأنوس اليهــا بالطبع ، فتكف عن اكله . وكذلك ايضاً متى نالها اذى من بعض الحيوانات المؤذية ذات السموم ، واكلت شيئاً منها فانها تقصد الى السيرج [4] والى مواضع الزيت فتنال منه ، ذلك يسكن عنها سورة [5] ما تجده .

ويحكى ان الدواب اذا اكلت الدفلى [6] في ربيعها اضر ذلك بها ، فتسارع الى حشيشة هي بادزهر [7] للدفلى فترتعيها ، ويكون بها برؤها . ومما يحقق ذلك حالة جرت من قريب ، وهي ان بهاء الدين بن

---

(١) Ibis طائر مائي طويل الرجلين والعنق ، له منقار طويل . وهو من طيور البلاد المعتدلة ابيض اللون جسداً اسوده رأساً وعنقاً ومنقاراً ويعرف بالعربية بابي منجل . وعبده المصريون لانه يهلك الحيات التي تغزو ضفاف النيل . وموطنه مصر والشام والعراق واسمه في العراق على ما روى جيزمان سلندو،وحسب رواية الكرملي: عنز. وعند عامة المصريين القلق الاسود

(٢) جمع سنور وهو الهر . (٣) ورق النخل .

(٤) دهن السمسم.

(٥) حدة .

(٦) نبت مر لا يأكله شيء ، زهره كالورد ومنه ابيض ، ينبت في شواطيء الانهار وفي الخرابات . وقال ابن الاعرابي: من الشجر الدفلى وهو الآء والألاء والحبن ، وكله الدفلى .

(٧) هو في الاساس تجمدات مرضية كروية او بيضية تتكون في الحيوانات قالوا انها مضادة للسم .

نفادة الكاتب حكى انه لما كان متوجهاً الى الكرك [١] كان في طريقه بالطليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى ، فنزل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هـــذا النبات ، فربط الغلمان دوابهم هنالك ، وجعلت الدواب ترعى ما يقرب منها واكلت من الدفلى ، فأمّا دوابّه فان غلمانه غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، واما دواب الآخر فأنها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقل منه ، ولما اصبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الآخرين قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع .

وحكى ديسقوريدس [٢] في كتابه ان المعزى البرية باقريطش اذا رميت بالنبل وبقيت في ابدانها فانها ترعى النبات الذي يقال له المشكطرامشير ، وهو نوع من الفوتنج [٣] فيتساقط عنها ما رميت به ، ولم يضرها شيء منه .

وحدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي ، ان اللقلق يعشش في اعلى القباب والمواضع المرتفعة ، وان له عدواً من الطيور يتقصده ابداً ، ويأتي الى عشه ويكسر البيض الذي فيـــه . قال : وان ثم حشيشة من خاصيتها ان عدو اللقلق اذا شم رائحتها يغمى ، فيأتي بها اللقلق الى عشه ويجعلها تحت بيضه ، فلا يقدر العدو عليها .

وذكر أوحد الزمان [٤] في المعتبر ان القنفذ لبيته ابواب يسدها ويفتحهـا عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه . وحكى ان انساناً رأى الحباري [٥] تقاتل الافعى ، وتنهزم عنها الى بقلة تتنـــاول منها ، ثم تعود لقتالها . وان هذا الانسان عاينها فنهض الى البقـــلة فقطعها عند اشتغال الحباري بالقتال ، فعادت الحباري الى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها فخرت ميتة . فقد كانت تتعالج بها . قال : وابن عرس يستظهر في قتال الحية باكل السّذاب [٦] . والكلاب اذا دودت بطونها اكلت السنبل وتقيأت واستطلقت [٧] ، واذا جرح اللقلق داوى جراحـــه بالصعتر الجبلي [٨] . والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ، ويعرف ما يوافقه منها فيرعاه ، وما لا يوافقه فيتركه ، مع نهمه وكثرة اكله وبلادة ذهنه . ومثل هذا كثير .

---

(١) مدينة اردنية كانت قاعدة لدولة المماليك، حصنها يشرف على طريق التجارة والحج،

(٢) طبيب يوناني في القرن الاول من تاريخنا اشهر مؤلفاته في علم النبات .

(٣) وورد في القاموس الفوذنج وهو ينبت حول المناقع ونسميه ايضاً نعنع الماء وورد اسمه في معجم الشهابي الفوتنج كما هو هذا

(٤) ابو البركات هبة الله بن علي ملكا البلدي ولد ببلد ثم اقام ببغداد وكان يهودياً فاسلم . اخذ صناعة الطب عن ابي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين وكان شديد الذكاء .

(٥) طائر من طيور البر بعظم الدجاجة طويلة العنق والذنب معتدلة الرجلين ومن اسمائها دجاجة البر (والحباري في الالفاظ الفارسية المعربة تعريب أبره ،ويقال لها بالفارسية جزر) « عن عجائب المخلوقات » .

(٦) بقل يسمى الفيجن له خواص تستعمل في الطب .

(٧) اسهلت . (٨) نبات عطر طبي من الفصيلة النعنعية من الشفويات . (ن . ر)

فاذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها الهمت مصالحها ومنافعها، كان الانسان العاقل المميز المكلف، الذي هو افضل الحيوان ، أولى بذلك . وهذا اكبر حجة لمن يعتقد ان الطب انما هو الهام وهداية من الله سبحانه لخلقه .

وبالجملة فانه قد يكون من هذا ومما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة اكثر ما حصلوه من هذه الصناعة . ثم تكاثر ذلك بينهم وعضده القياس بحسب ما شاهدوه ، وادتهم اليه فطرتهم، فاجتمع لهم من جميع تلك الاجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتفننة المختلفة اشياء كثيرة . ثم انهم تأملوا تلك الاشياء واستخرجوا عللها والمناسبات التي بينها ، فتحصّل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادىء منها يبتدأ بالتعلم والتعليم ، والى ما ادركوه منها اولاً ينتهي . فعند الكمال يتدرج في التعليم من الكليات الى الجزئيات ، وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات الى الكليات ، واقول ايضاً وقد اشرنا الى ذلك من قبل ، انه ليس يلزم ان يكون اول هذا مختصاً بموضع دون موضع ، ولا يفرد به قوم دون آخرين الا بحسب الاكثر والاقل ، وبحسب تنوع المداواة . ولهذا فان كل قوم هم مصطلحون على ادوية يألفونها ويتداوون بها ، وارى انهم انما اختلفوا في نسبة صناعة الطب الى قوم بحسب ما قد كان يتجدد عند قوم فينسب اليهم ، فانه قد يمكن ان تكون صناعة الطب في امة او في بقعة من الارض ، فتدثر وتبيد باسباب سماوية او ارضية ، كالطواعين المفنية والقحوط المجلية ، والحروب المبيدة ، والملوك المتغلبة ، والسير المخالفة . فاذا انقرضت في امة ونشأت في امة اخرى ، وتطاول الزمان عليها نسي ما تقدم ، وصارت الصناعة تنسب الى الامة الثانية دون الاولى ، ويعتبر اولها بالقياس اليهم فقط ، فيقال لها مذ ظهرت كذا وكذا وانما يعنى في الحقيقة مذ ظهرت في هذه الامة خاصة ، وهذا مما لا يبعد . فانه على ما تواترت به الآثار ، وخصوصاً ما حكاه جالينوس وغيره ، ان ابقراط لما رأى صناعة الطب قد كادت ان تبيد ، وانه قد درست معالمها عن آل اسقليبيوس ، الذين ابقراط منهم ، تداركها بأن أظهرها وبثها في الغرباء ، وقواها ونشرها وشهرها بان اثبتها بالكتب . فلهذا يقال ايضاً على ما ذهب اليه كثير من الناس ، ان ابقراط اول من وضع صناعة الطب واول من دونها وليس الحق ، على ما تواترت به الآثار ، إلا انه اول من دونها من آل اسقليبيوس لتعليم كل من يصلح لتعلمها من الناس كافة ، ومثله سلك الاطباء من بعده واستمر الى الآن . واسقليبيوس الأول هو أول من تكلم في شيء من الطب على ما سيأتي ذكره .

الباب الثاني

طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها

اسقليبيوس

قد اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين على ان اسقليبيوس ، كما اشرنا اليه اولاً ، هو اول من ذكر من الاطباء واول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة . وكان يونانياً ، واليونان منسوبون الى يونان ، وهي جزيرة كانت الحكماء من الروم ينزلونها . وقـال ابو معشر [1] في المقالة الثانية من كتاب (الالوف) ان بلدة من المغرب كانت تسمى في قديم الدهر ارغس [2] ، وكان اهلها يسمون ارغيوا ، وسميت المدينة بعد ذلك ايونيا ، وسموا اهلها يونانيين باسم بلدهم ، وكان ملكها احد ملوك الطوائف . ويقـال ان اول من اجتمع له ملك مدينة ايونيا من ملوك اليونانيين كان اسمه ايوليوس [3] ، وكان لقبه دقطاطر ، ملكهم ثمـاني عشرة سنة ، ووضع اليونانيين سنناً كثيرة مستعملة عندهم .

وقال الشيخ الجليل ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني [4] المنطقي في «تعاليقه» : ان

(١) ويدعوه الافرنج Albumasar . ولد في بلخ (خراسان) . وهو منجم انصرف الى علم الحديث والى رصد النجوم ومنها يهتدى الى الكشف عن الخبايا . ولد في سنة ٨٨٥

(٢) مدينة من مملكة اليونان الحالية وتدعى اليوم بلانيتزا . وكانت عاصمة ارغوليد القديمة خضعت فيما بعد لاسبارطة . وقد لعبت ارغس دوراً هاماً في قصص الاساطير . وقد قتل بيروس اثناء حصارها (٢٧٢ ق م) .

(٣) هو ما يرى فيه اليونانيون الجد الخرافي للايوليين الذين طردهم دوريان من بلوبونيز واستوطنوا آسيا الصغرى

(٤) هو احد الاطباء الذين ظهروا في بلاد العجم . وكان فاضلا اديباً الى جانب تعمقه في العلوم الحكمية واطلاعه الواسع على دقائقها . اخذ عن يحيى بن عدي وله عدة كتب في شتى الفنون اهمها تعاليق حكمية .

اسقليبيوس بن زيوس ، قالوا مولده روحاني ، وهو امام الطب ، وابو اكثر الفلاسفة ؛ قال: واقليدس ينسب اليه ، وافلاطون وارسطوطاليس وبقراط واكثر اليونانية ؛ قال : وبقراط كان السادس عشر من اولاده ، يعني البطن السادس عشر من اولاده ؛ وقال : سولون [١] اخو اسقليبيوس ، وهو ابو واضع النواميس .

اقول : وترجمة اسقليبيوس بالعربي منع اليبس ، وقيل ان اصل هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور. وكان اسقليبيوس ، على ما وجد في اخبار الجبابرة بالسريانية ، ذكي الطبع، قوي الفهم ، حريصاً مجتهداً في علم صناعة الطب . واتفقت له اتفاقات حميدة معينة على التمهر في هذه الصناعة ، وانكشفت له أمور عجيبة من احوال العلاج بإلهام من الله عز وجل .

وحكي انه وجد علم الطب في هيكل كان لهم برومية ، يعرف بهيكل ابلن [٢] وهو للشمس ، ويقال ان اسقليبيوس هو الذي أوضع هذا الهيكل ويعرف بهيكل اسقليبيوس . ومما يحقق ذلك ان جالينوس قال في كتابه في فينكس : ان الله عز اسمه لما خلصني من دبيلة [٣] قتالة كانت عرضت لي ، حججت الى بيته المسمى بهيكل اسقليبيوس . وقال جالينوس في كتابه « حيلة البرء » في صدر الكتاب : « مما يجب ان يحقق الطب عند العامة ما يرونه من الطب الالهي في هيكل اسقليبيوس ، على ما حكاه هروسيس صاحب القصص ، بيت كان بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلمهم عندما يسألونها ، وكان المستنبط لها في القديم اسقليبيوس . » وزعم مجوس روميه ان تلك الصورة كانت منصوبة على حركات نجومية ، وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة . وكان دين النصرانية في رومية قبل عبادة النجوم ، كذا حكى هروسيس .

وذكر جالينوس ايضاً في مواضع كثيرة ، ان طب اسقليبيوس كان طباً الهياً . وقال : « ان قياس الطب الالهي الى طبنا قياس طبنا الى طب الطرقات » . وذكر ايضاً في حق اسقليبيوس في كتابه الذي ألفه في الحث على تعلم صناعة الطب : « ان الله تعالى اوحى الى اسقليبيوس اني الى ان اسميك ملكاً اقرب منك الى ان اسميك انساناً » . وقال أبقراط: « ان الله تعالى رفعه اليه في الهواء في عمود من نور » . وقال غيره : ان اسقليبيوس كان معظما عند اليونانيين، وكانوا يستشفون بقبره ». ويقال انه كان يسرج [٤] على قبره كل ليلة الف قنديل . وكان الملوك من نسله تدّعي له النبوة .

---

(١) هو مشترع اثينا واحد حكماء اليونان السبعة (٦٤٠ — ٥٥٨ ق م) تعالى بالفكر الوطني عند الاثينيين ، وخفف اثقال المواطنين الفقراء وهكذا جدد الالفة في المدينة التي اعطاها دستوراً اكثر ديموقراطية . وذهب اسمه على الالسن كحكيم ومشترع .

(٢) وكان في مدينة ابيدور احدى مدن اركوليد القديمة (اليونان) على شاطىء بحر إيجه . وكان يقصده جميع المرضى من جميع انحاء اليونان .

(٣) داء يجتمع في الجوف او خراج دمل كبير فيه ، وربما قتل صاحبه . (ن . ر) .

(٤) يوقد .

وذكر افلاطون في كتابه المعروف « بالنواميس » عن اسقليبيوس اشياء عــدة من اخباره بمغيبات ، وحكايات عجيبة ظهرت عنه بتأييد إلهي ، وشاهدها الناس كما قاله واخبر به . وقال في المقالة الثالثة من كتاب « السياسة » : إن اسقليبيوس كان هو واولاده عالمين بالسياسة . وكان اولاده جنداً فرهة وكانوا عالمين بالطب » . وقال : ان اسقليبيوس كان يرى ان من كان به مرض يبرأ منه عالجه ، ومن كان مرضه قاتلاً لم يطل حياته التي لا تنفعه ولا تنفع غيره ، اي يترك علاجه له .

وقال الامير ابو الوفاء المبشر بن فــاتك [1] في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « ان اسقليبيوس هذا كان تلميذ هرمس ، وكان يسافر معه . فلما خرجا من بلاد الهند وجاءا الى فارس ، خلفه ببابل ليضبط الشرع فيهم . قال : واما هرمس هذا فهو هرمس الاول ، ولفظه أرمس ، وهو اسم عطارد . ويسمى عند اليونانيين أطرسمين ، وعند العرب ادريس ، وعنـــد العبرانيين اخنوخ ، وهو ابن يارد بن مهلائيــل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام . ومولده بمصر في مدينة منف منها. قال: وكانت مدته على الارض اثنتين وثمانين سنة، وقال غيره ثلاثمائة وخمساً وستين سنة . قال المبشر ابن فاتك : وكان عليه السلام رجلاً آدم [2] اللون ، تام القامة ، اجلح ، حسن الوجه ، كث اللحية ، مليح التخاطيط ، تام الباع [3] ، عريض المنكبين ، ضخم العظام ، قليل اللحم ، براق العين اكحل ، متأنياً في كلامه ، كثير الصمت ، ساكن الاعضاء ، اذا مشى اكثر نظره الى الارض ، كثير الفكرة ، به حدة وعبسة ، يحرك اذا تكلم سبابته .

وقال غيره : ان اسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير ، وهو تلميذ اغاثوذيمون المصري ، وكان اغاثوذيمون احد انبياء اليونانيين والمصريين ، وتفسير اغاثوذيمون السعيد الجد . وكان اسقليبيوس هذا هو البادىء بصناعة الطب في اليونانيين ، علمها بنيه وحذر عليهم ان يعلموها الغرباء .

واما ابو معشر البلخي المنجم فانه ذكر في « كتاب الالوف » : « ان اسقليبيوس هــذا لم يكن بالمتأله [4] الاول في صناعة الطب ولا بالمبتدىء بها ، بل انه عن غيره اخذ ، وعلى نهج من سبقه سلك .» وذكر انه كان تلميذ هرمس المصري . وقال ان الهرامسة كانوا ثلاثة .

اما – (هرمس الاول) وهو المثلث بالنعم فإنه كان قبل الطوفان ، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى . وتسميه الفرس في سيرها اللهجد ، وتفسيره ذو عدل . وهو الذي تذكر الحرّانية

---

(١) هو الامير محمود الدولة ابو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري . لازم اكبر علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكمية . وكان محباً للعلم وله خزائن كتب لا يفارقها فقد كان لا دأب له إلا المطالعة . وكان من تلاميذه ابو الخير سلامة ابن مبارك بن رحمون . وله كتب كثيرة منها: كتاب في الطب ، وكتاب الوصايا والامثال، والموجز من محكم الاقوال ، وكتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم.

(٢) اسمر .

(٣) قدر مد اليدين ويراد بتام الباع هنا القوة وكمال الخلق .

(٤) المتكلف الالوهية .

نبوته ؛ وتذكر الفرس ان جده كيومرث وهو آدم . ويذكر العبرانيون انه اخنوخ وهـــو بالعربية ادريس

قال ابو معشر « هو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية ، وان جده كيومرث وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار ، وهو اول من بنى الهياكل ومجد الله فيها ؛ واول من نظر في الطب وتكلم فيه . وانه ألف لأهل زمانه كتباً كثيرة باشعار موزونة وقواف معلومة بلغة اهـــل زمانه في معرفة الاشياء الارضية والعلوية . وهو اول من انذر بالطوفان ، ورأى ان آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار ، وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلـــك فبنى هناك الاهرام ومدائن التراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي [1] وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخميم [2] وصور فيها جميع الصناعات وصنّاعها نقشاً وصور جميع آلات الصنّاع ، واشار الى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة ان يذهب رسم ذلك من العالم .

وثبت في الاثر المروي عن السلف:« ان ادريس اول من درس الكتب ، ونظر في العلوم ، وانزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو اول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكاناً علياً » .

واما (هرمس الثاني) فانه من اهل بابل ، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل ، وكان بعد الطوفان في زمن نزيربال الذي هو اول من بنى مدينة بابـــل بعد نمرود [3] بن كوش . وكان بارعـــاً في علم الطب والفلسفة ، وعارفـــاً بطبائع الاعداد ، وكان تلميذه فيثاغورس الارتماطيقي [4] . وهرمس هذا جـــدد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد دُرس [5] بالطوفان ببابل ، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من اهل المشرق ، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود،ورتب القوانين .

واما(هرمس الثالث)فانه سكن مدينـــة مصر وكان بعد الطوفان ، وهو صاحب كتاب(الحيوانات ذوات السموم) وكان طبيباً فيلسوفاً وعالماً بطبائع الادوية القتالة والحيوانات المؤذية ، وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها ، عالماً بنُصبة المدائن وطبائعها وطبائع اهلها . وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس يتعلق [6] منه الى صناعات كثيرة ، كالزجاج والخرز والغضار [7] وما اشبه ذلك . وكان له

---

(١) ابنية عجيبة فيها تماثيل وصور .

(٢) بلد في صعيد مصر على النيل .

(٣) هو نمرود بن كوش بن حام ورد ذكره في كتب العرب وقالوا انه كان خصماً لابراهـــيم واشتهر بولوعه في الصيد هو ملك كلدة حسب ما ورد في الاساطير التي تسميه الصياد القادر امام الخالد .

(٤) فيلسوف ورياضي يوناني في القرن السادس قبل المسيح . وهو مؤسس المذهب الفيثاغوري ، ولا يعرف شيء عـــن اكتشافاته الرياضية والهندسية والفلكية ولكن يعزى اليه جدول الضرب في علم الحساب .

(٥) عفي وامحى .

(٦) في الاصل يتعلق ولا معنى لها والارجح انها ينطلق كما ارى .

(٧) الطين اللازب الاخضر او الطين الحر يتخذ منه الخزف . (ن.ر)

تلميذ يعرف باسقليبيوس ، وكان مسكنه بارض الشام .

رجع الكلام الى ذكر اسقليبيوس

وبلغ من أمر اسقليبيوس ان ابرأ المرضى الذين يئس الناس من برئهم . ولما شاهده الناس من افعاله ظن العامة انه يحيي الموتى . وأنشد فيه شعراء اليونانيين الاشعار العجيبة ، وضمنوها انه يحيي الموتى، ويرد كل من مات الى الدنيا [1] . وزعموا ان الله تعالى رفعه اليه تكرمة له واجلالا ، وصيره في عديد الملائكة ، ويقال انه ادريس عليه السلام .

وقال يحيى النحوي : « ان اسقليبيوس عاش تسعين سنة، منها صبي وقبل ان تفتتح له القوة الالهية خمسين سنة ، وعالم معلم اربعين سنة ، وخلف ابنين ماهرين في صناعة الطب ، وعهد اليهما ان لا يعلما الطب إلا لاولادهما وأهل بيته ، وان لا يدخلا في صناعة الطب غريباً ، وعهد الى من يأتي بعده كذلك وأمرهم بأمرين : احدهما ان يسكنوا وسط المعمور من ارض اليونانيين ، وذلك في ثلاث جزائر : منها قو جزيرة ابقراط . والثاني ان لا تخرج صناعة الطب الى الغرباء ، بل يعلمها الآباء الابناء . وكان ابنا اسقليبيوس مع اغاممنون [2] لما سار لفتح طرياس [3] ، وكان يكرمهما غاية الكرامة ، ويشرفهما لعلو محلهما في العلم . »

ومن خط ثابت بن قرة الحراني [4] لما ذكر البقارطة [5] قال : ويقال انه كان في جميع اقاليم الارض لاسقليبيوس اثنا عشر الف تلميذ ، وانه كان يعلّم الطب مشافهة . وكان آل اسقليبيوس يتوارثون صناعة الطب ، الى ان تضعضع الأمر في صناعة الطب على زمن بقراط ، ورأى ان اهل بيته وشيعته قد قلوا ، ولم يأمن ان تنقرض الصناعة ، فابتدأ في تأليف الكتب على جهة الايجاز . وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب ايمان ابقراط وعهده من أمر اسقليبيوس ما هذا نصه . قال : الذي تناهى الينا من قصة اسقليبيوس قولان احدهما لغز والآخر طبيعي .

اما اللغز فيذهب فيه الى انه قوة من قوى الله تبارك وتعالى واشتق لها هذا الاسم من فعلها وهو

---

(١) الى الحياة الدنيا .

(٢) ابن آتري وشقيق مينيلاوس ، وهو ملك اسطوري لمكينا (ميسين قديماً) وارغوس ، ورئيس ابطال اليونان الذين حاصروا طروادة . ولم يتأخر عن التضحية بابنته افيجني ليخفف غضب ديانا الشديد وتمنع الرياح المضادة التي تبقي اسطوله في المياه اليونانية . ولقد اغتالته امرأته بعد رجوعه من طروادة بالاتفاق مع عشيقها .

(٣) طروادة .

(٤) كان صيرفياً بحران من الصابئة . قرأ على محمد بن موسى . ولم يكن في زمنه من يماثله في صناعة الطب .

(٥) تلاميذ واصحاب بقراط . (ن.ر)

منع اليبس . قال حنين [1] : « لما كان الموت انما يعرض عند غلبة اليبس والبرد ، وكان هذان جميعاً يجففان البدن الميت ، سميت بهذا السبب المهنة التي تحفظ على الابدان القائمة حرارتها ورطوبتها ، كيما تلبث على الحياة باسم يدل على عدمان اليبس » .

وقال جالينوس : « فيقولون انه ابن افوللن [2] وابن فلاغواس وقورونس مهديته ، وانه مركب من مائت وغير قابل للموت . فيدلون بهذا القول على ان عنايته بالناس لأنهم من جنسه وان له طبيعة لا تموت افضل من طبيعة الانسان . وانما اشتق له الشاعر هذا الاسم اعني اسقليبيوس من اعمـال الطب ؛ واما قولهم انه ابن فلاغواس ، فلأن هذا الاسم مشتق من اسم اللهيب اعني ابن القوة الملهبة الحيوانية . » قال حنين : « انمـا سمي بهذا الاسم لان الحياة تكون بحفظ الحرارة الغريزية التي في القلب والكبد ؛ اشتق لها اسم من اللهيب لانها من جنس النار . »

قال جالينوس : « وأما قولهم انه ابن قورونس ؛ فلأن هـذا الاسم مشتق من الشبع واستفادة الصحة . » قال حنين : «انما سمي بهذا الاسم ليدل على ان الشبع من الطعام والشراب انما يتم للانسان بصناعة الطب اذا انهضم طعـامه ؛ لان حفظ الصحة انما يكون بهذه المهنة ، وكذلك ايضاً ردها اذا زالت . » قال جالينوس : وأما قولهم انه ابن افوللن فلأن الطبيب يحتاج ان يكون معه شيء من التكهن،لانه ليس من الواجب ان يخلو الطبيب الفاضل من معرفة الاشياء الحادثة فيما بعد . قال حنين: يعني تقدمة المعرفة الطبية . قال جالينوس : وقد آن لنا ايضاً ان نتكلم في صورة اسقليبيوس وثيابه وتمكنه . وذلك ان الاقاويل التي نجدها مكتوبة في تألهه انما تليق بالخرافات لا بالحق . ومن المشهور من امره انه رفع الى الملائكة في عمود من نار كما يقال في ديونوسس [3] وايرقليس [4] وسائر من اشبههما ممن عني بنفع الناس واجتهد في ذلك . وبالجملة يقال ان الله تبارك وتعالى فعل باسقليبيوس وسائر من اشبهه هذا الفعل كيما يفنى الجزء الميت الارضي منه بالنار ، ثم يجتذب بعد ذلك جزءه الذي لا يقبل الموت ، ويرفع نفسه الى السماء . » قال حنين : « جالينوس في هذا الموضع يبين كيف يكون تشبّه الانسان بالله تبارك وتعالى . وذلك انه يقول : « ان الانسان اذا أباد شهواتـه الجسمانية بنار الصبر والامساك عنها ، وهي التي يريد بها جزءه الميت الارضي ، وزين نفسه الناطقة بعد النفي من هـذه الشهوات بالفضائل ، وهي التي يريد بها الارتفاع الى السماء ، كان شبيهاً بالله تبارك وتعالى . »

قال جالينوس : وأما صورته فصورة رجل ملتح متزين بجمة [5] ذات ذوائب . وممـا يبحث من

---

(١) هو حنين بن اسحاق العبادي من الاطباء السريانيين زمن الدول العباسية .

(٢) افولون إله الشمس والنور والفنون والطب والتكهن عند الاغريق .

(٣) هو باخوص عند الرومان

(٤) اكبر الابطال الاسطوريين اليونان ابن جوبيتر وآلومين

(٥) مجتمع شعر للرأس

امر السبب في تصويره ملتحياً وتصوير ابيه أمرد ، فبعض الناس يقول انه صور وصيغ بهذه الحال ، لانه في وقت ما اصعده الله اليه كان كذلك . والبعض قال : ان السبب في ذلك ان صناعته تحتاج الى العفة والشيخوخة . وبعض الناس قـال : ان السبب في تجاوزه ، في الحذق بصناعة الطب ، اباه . واذا تأملته وجدته قائماً متشمراً بجموع الثياب ، فيدل بهذا الشكل على انه ينبغي للاطباء ان يتفلسفوا في جميع الاوقات . وترى الاعضاء منه التي يُستحى من تكشفهـا مستورة ، والاعضاء التي يحتاج الى استعمال الصناعة بها معراة مكشوفة . ويصور آخذاً بيده عصاً ، معوجـة ذات شعب ، من شجرة الخطمي فيدل بذلك على انه يمكن في صناعة الطب ان يبلغ بمن استعملها من السن ان يحتاج الى عصا يتكىء عليها ؛ او لأن من اعطاه الله تبارك وتعالى بعض العطايا يؤهل لاعطاء عصا ، بمنزلة ما وهب لايفاسطس وزوس وهرمس ، وبهذه العصا نجد زوس يقر أعين من يحب من الناس ، فينبه بهـا أيضاً النيام . واما تصويرهم تلك العصا من شجر الخطمي ، فلانه يطرد وينفي كل مرض . »

قال حنين : « نبات الخطمي لما كان دواء يُسخن اسخاناً معتدلاً ، تهيـأ فيه ان يكون علاجاً كثير المنافع اذا استعمل مفرداً وحده واذا خلط بمواد أخر ، ما أسخن منه وما أبرد ، كما بين ذلك ديسقوريدس وسائر من تكلم فيه . ولهذا السبب نجد اسمه في اللسان اليوناني مشتقاً من اسم العلاجات. وذلك انهم يدلون بهذا الاسم على ان الخطمي فيه منافع كثيرة . »

وقال جالينوس : واما اعوجاجها وكثرة شعبهـا فتدل على كثرة الاصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب . ولن نجدهم ايضاً تركوا تلك العصا بغير زينة ولا تهيئة ، لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل العمر ، ملتف عليها وهو التنين . ويقرب هذا الحيوان من اسقليبيوس لاسباب كثيرة ، أحدها انه حيوان حاد النظر ، كثير السهر ، لا ينام في وقت من الاوقات . وقـد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب ان لا يتشاغل عنها بالنوم ، ويكون في غاية الذكاء ليمكنه ان يتقدم فينذر بما هو حاضر ، وبما من شأنه ان يحدث . وذلك انك تجد ابقراط يشير بهذا الفعل في قوله : اني ارى انـه من افضل الامور ان يستعمل الطبيب سابق النظر ، وذلك انه اذا سبق فعلم وتقدم ، فانذر المرضى بالشيء الحاضر مما بهم ، وما مضى وما يستأنف . »

وقد يقال ايضاً في تصوير التنين على العصا ، الماسك لها اسقليبيوس ، قول آخر وهو هذا : قالوا هذا الحيوان ، اعني التنين ، طويل العمر جداً ، حتى ان حياته يقال انها الدهر كله ؛ وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب ان تطول اعمارهم . من ذلك أنا نجد ديموقريطس [١] وايرودوطس [٢] عندما استعملوا الوصايا التي تأمر بها صناعة الطب طالت حياتهم جداً . فكما ان هذا الحيوان ، اعني التنين ،

---

(١) فيلسوف يوناني من القرن الخامس قبل المسيح . وكان يضحك دائماً من الجنون البشري فهو في تضاد مع هيراكليت الذي كان يبكي للسبب نفسه .

(٢) مؤرخ يوناني هو ابو التاريخ (من ٤٨٤ — الى ٤٢٥) .

يسلخ عنه لباسه الذي يسميه اليونانيون الشيخوخة ، كذلك ايضاً قد يمكن الناس ، باستعمال صناعة الطب اذا سلخوا عنهم الشيخوخة التي تفيدهم اياها الامراض ، ان يستفيدوا الصحة . واذا صوروا اسقليبيوس جُعل على رأسه اكليل متخذ من شجر الغار [1] ، لان هذه الشجرة تذهب بالحزن ، ولهذا نجد هرمس اذ سمي المهيب كلل بمثل هذا الاكليل، فان الاطباء ينبغي لهم ان يصرفوا عنهم الاحزان. كذلك كلل اسقليبيوس باكليل يذهب بالحزن ، او لان الاكليل كان يعم صناعة الطب والكهانة، رأوا انه ينبغي ان يكون الاكليل الذي يتكلل به الاطباء والمتكهنون اكليلاً واحداً بعينه ؛ او لان هذه الشجرة ايضاً فيها قوة تشفي الامراض . من ذلك انك تجدها اذا القيت في بعض المواضع هربت من ذلك الموضع الهوام ذوات السموم وكذلك ايضاً النبت المسمى قونورا ، وثمرة هذه الشجرة ايضاً وهي التي تسمى حب الغار ، اذا مرخ [2] بها البدن فعلت فيه شبيهاً بفعل الجند بيدستر [3]. واذا صوروا ذلك التنين جعلوا بيده بيضه، يومون بذلك الى ان هذا العالم كله يحتاج الى الطب، ومثال الكل مثال البيضة.

وقد ينبغي لنا ان نتكلم ايضاً في الذبائح التي تذبح باسم اسقليبيوس تقرباً الى الله تبارك وتعالى ، فنقول انه لم يوجد احد قرب لله قرباناً باسم اسقليبيوس ، في وقت من الاوقات، شيئاً من الماعز ،وذلك لأن شعر هذا الحيوان لا يسهل غزله بمنزلة الصوف.ومن اكثر من لحمه سهل وقوعه في امراض الصرع [4] لان الغذاء المتولد عنه رديء الكيموس [5] ، مجفف غليظ حريف [6] ، يميل الى الدم السوداوي .

قال جالينوس : بل انما نجد الناس يقربون الى الله تبارك وتعالى باسم اسقليبيوس ديكة ، ويروون ايضاً ان سقراط قرب له هذه الذبيحة فبهذه الحال علم هذا الرجل الالهي الناس صناعة الطب ، قنية [7] ثابتة افضل كثيراً من الاشياء التي استخرجها ديونوسس وديميطر . » قال حنين : يعني باستخراج ديونوسس الخمر ، وذلك ان اليونانيين يرون ان اول من استخرج الخمر ديونوسس ويومي الشعراء بهذا الاسم الى القوة ، التي اذا غيرت الماء في الكرمة اعدته ليكون الخمرة والسرور المتولد عنها في شرابها ، واما استخراج ديميطر فالخبز وسائر الحبوب التي يتخذ منها ، ولهذا نجدهم يسمون هذه الحبوب بهذا الاسم . وقد تسمي الشعراء بهذا الاسم ايضاً الارض المخرجة للحبوب . واما استخراج اسقليبيوس فيعنى به الصحة ، وهي التي لا يمكن دونها ان يقتنى شيء من الاشياء التي ينتفع بها او يلتذ . »

قال جالينوس: وذلك ان ما استخرجه هذان لا ينتفع به ما لم يكن استخراج اسقليبيوس موجوداً.

واما صورة الكرسي الذي يقعد عليه اسقليبيوس فصورة القوة التي تستفاد بها الصحة ، وهي اشرف

(١) ضرب من الشجر او شجر عظام له اوراق طوال وحمل اصغر من البندق اسود يستخرج منه الزيت ، وورقه طيب الريح . ومنه نوع في جبل عامل يعرف بالغوردل . (ن.ر)

(٢) دهن (٣) او الجند بادستر « كلمة دخيلة » ، مثانة حيوان بري بحري يكون في الانهار يسمى القندر

(٤) علة تمنع الاعضاء النفسانية عن افعالها منعاً غير تام بسبب سدة في بعض بطون الدماغ وفي مجاري الاعصاب المحركة من خلط غليظ او لزج كثير فتمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكاً طبيعياً فتتشنج الاعضاء .

(٥) كلمة سريانية معناها الخلط اما هنا فهي الطعام الذي انهضم في المعدة بواسطة الخائر والعصارات قبل ان يدفع الى المفج.

(٦) يلذع اللسان بحرارته . (٧) ما اكتسب .

القوى كما قال بعض الشعراء وذلك انا نجد الشعراء باجمعهم يمدحون هذه القوة ويمجدونها ، اما احدهم ففي قوله انها المقدمة في الشرف على جميع الابرار « في خيرك اكون باقي حياتي » . واما شاعر آخر فقال انها المتقدمة في الشرف على جميع الابرار «اياك اسأل ان اؤهل قبل جميع الخيرات». وبالجملة فقول القائل، اي الخيرات من اليسار او الابناء او الملك يتساوى في القوة عند سائر الناس ؟ أليس كله شيئاً انما يكون ناصراً ملتذاً للخيرات بسبب الصحة ، انها البرة [1] المؤهلة لهذا الاسم . وانما ذلك لأن الصحة خير في غاية التام ، لا متوسط فيها بين الخير والشر . ولا في الدرجة الثانية من الخير ، كما ظن قوم من الفلاسفة، وهم المعروفون بالمشائين[2]، وباصحاب المظلة. [3] وذلك ان شرف سائر الفضائل التي يعنى بها الناس عناية بالغة في جميع ايام حياتهم، انما هي بسبب الصحة . من ذلك انا نجد من رام ان يبين شجاعة وشدة ومحاربة للأعداء ، ودفعهم عن الاولياء ، جهاداً دونهم ، انما يفعل ذلك باستعماله قوة البدن . واستعمال الانسان العدل بأن يعطي كل ذي حق حقه ، ويفعل كل ما يجب أن يفعل ، ويحفظ النواميس ، ويصحح في كل ما يراه ويفعله ، لا يمكن ان يتم خلوا من الصحة . وسبب الخلاص ايضاً انما يرى ان تمامه انما يكون بالصحة ، وذلك انه بمنزلة المولود عنها . وبالجملة فأي الناس رام ان يقول بسبب اعتقاد رأي من الآراء واقناع باطل مموه ، ان قصده ليس هو اقتناء الصحة ، فانما ذلك القول منه بلسانه فقط ؛ فاذا اقر بالحق قال ان الصحة بالحقيقة هي الخير الذي في غاية التام . فهذه القوة أولها الناس ان تكون كرسيا للانسان المدبر لصناعة الطب ، واسم هذه القوة ايضاً مشتق على الحقيقة ، وذلك ان اسمها في اللسان اليوناني مشتق من اسم الرطوبة، لان الصحة انما تتم لنا بالرطوبة، كما دل على ذلك في بعض المواضع احد الشعراء في قوله : « الانسان الرطب » .

واذا تأملت صورة اسقليبيوس وجدته قاعداً متكئاً على رجال مصورين حوله ، وذلك واجب لانه ينبغي ان يكون ثابتاً لا يزول من بين الناس ، ويصور عليه تنين ملتف حوله وقد خبرت سبب ذلك فيما تقدم .

« ومن الآداب والحكم » التي لاسقليبيوس

مما ذكره الامير ابو الوفاء المبشر بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » قال اسقليبيوس :

من عرف الايام لم يغفل الاستعداد . وقال :

(١) البرة : كل حلقة من سوار تجعل في لحم انف البعير وهي الخزامة .
(٢) المشاء مبالغة من المشي ويطلق هذا الاسم على الفلاسفة الذين يقولون بفلسفة اريسطو لانه كان يعلم وهو يمشي .
(٣) وسموا باصحاب المظلة لانهم كانوا يجلسون تحت الشجرة .

ان احدكم بين نعمة من بارئه وبين ذنب عمله ، وما يصلح هاتين الحالتين الا الحمد للمنعم والاستغفار من الذنب . وقال : كم من دهر ذممتموه فلما صرتم الى غـــيره حمدتموه ؛ وكم من أمر أبغضت أوائلهُ وُبكي عند أواخره عليه .

وقال : المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح ، ولا يدري ما هو فاعل .

وقال : فوت [1] الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها .

وقال : اعطاء الفاجر تقوية له على فجوره ؛ والصنيعة عند الكفور [2] اضاعة للنعمة ؛ وتعليم الجاهل ازدياد في الجهل ؛ ومسألة اللئيم اهانة للعرض .

وقال : اني لأعجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة .

وقال : اكثروا من الصمت فانه سلامة من المقت [3] ، واستعملوا الصدق فانه زين النطق .

وقيل له صف لنا الدنيا فقال : امس اجل ، واليوم عمل ، وغداً امل .

وقال : المشفق عليكم يسيء الظن بـــكم ، والزاري عليكم كثير العتب لكم ، وذو البغضاء لكم قليل النصيحة لكم .

وقال : سبيل من له دين ومروءة ان يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمن يعرفه طلاقة وجهه وحسن محضره ، ولعدوه العدل ، وان يتصاون [4] عن كل حال يعيب .

أيلق

ويقال له أيلة . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل [5] : « ان هذا اول حكيم تكلم في الطب ببلد الروم والفرس ، وهو اول من استنبط كتاب الاغريقي لهيامس الملك ، وتكلم في الطب ، وقاسه وعمل به . وكان بعد موسى ، عليه الصلاة والسلام ، في زمان بذاق الحاكم ، وله اثار عظيمة واخبار شنيعة وهو يعد في كثرة العجائب كاسقليبيوس . »

---

(١) امتناع .
(٢) مبالغة كافر وهو الجاحد للنعمة .
(٣) البغض الشديد .
(٤) تصاون عن العيب : حفظ نفسه منه .
(٥) ابو داود سليمان بن حسان وكان طبيباً فاضلا متعمقاً في صناعة الطب وخبيراً بفن المعالجات .

الباب الثالث

طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس

وذلك ان اسقليبيوس كما ذكرنا اولا لما حصلت له معرفة صناعة الطب بالتجربة وبقيت عنده امور منها ، وشرع في تعليمها لأولاده وأقاربه ، عهد اليهم ألا يعلموا هذه الصناعة لأحد إلا لاولادهم، ولمن هو من نسل اسقليبيوس لا غير ، وكان الذي خلفه اسقليبيوس من التلاميذ من ولد وقرابة ستة وهم : ماغينس ، وسقراطون ، وخروسيس الطبيب ، ومهراريس المكذوب عليه المزور نسبه في الكتب الاولى ، وانه لحق سليمان بن داود وهذا حديث خرافة لان بينهما الوف من السنين ، وموريدس ، وميساوس .

وكان كل واحد من هؤلاء ينتحل رأي أستاذه اسقليبيوس وهو رأي التجربة . اذا كان الطب انما خرج له بالتجربة ، ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ الى من علموه من الاهل ، الى ان ظهر :

غورس

غورس هو الثاني من الاطباء الحذاق المشهورين الذين اسقليبيوس اولهم ، على ما ذكره يحيى النحوي وذلك انه قال :

الاطباء المشهورون الذين كان يقتدى بهم في صناعة الطب من اليونانيين على ما تناهى الينا ثمانية

وهم : اسقليبيوس الاول ، وغورس ، وميتس ، وبرمانيدس ، وافلاطن الطبيب واسقليبيوس الثاني ، وأبقراط ، وجالينوس » .

وكانت مدة حياة غورس سبعاً واربعين سنة منهـــا صبي ومتعلم سبـع عشرة سنة ؛ وعالم معلّم ثلاثين سنة . وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الاول ، الى وقت ظهور غورس ثمانمائة وخمسين سنة .

وكان في هذه الفترة بين اسقليبيوس وبين غورس من الاطباء المذكورين : سورندوس ، ومانيوس ، وساوثاوس ، ومسيساندس ، وسقوريدس الاول ، وسيقلوس ، وسمرياس ، وانطياخس ، وقلغيموس ، واغانيس ، وايرقلس ، واسطورس الطبيب .

ولما ظهر غورس نظر في رأي التجربة وقواه وخلف من التلاميذ من بين ولد وقريب سبعة وهم : مرقس ، وجورجيس ، ومالسطس ، وفولس ، وماهالس ، وأراسطواطس الاول ، وسقيروس . وكان كل واحد من هؤلاء ينتحل رأي استاذه وهو رأي التجربة . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء الى من علموه من ولد وقريب الى ان ظهر

مينس

ومينس هو الثالث من الاطباء المشهورين الثمانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياتـــه اربعاً وثمانين سنة منها : صبي ومتعلم أربعاً وستين سنة ، وعالم معلّم عشرين سنة . وكان منـــذ وقت وفاة غورس الى ظهور مينس خمسمائة وستين سنة .

وكان في هذه الفترة التي بين غورس ومينس مـــن الاطباء المذكورين : أبيقورس ، وسقوريدوس الثاني ، وأخطيفون ، وأسقوريس ، ورراوس ، واسفقلس ، وموطيمس ، وافـــلاطن الاول الطبيب وابقراط الاول ابن غنوسيديقوس .

ولما ظهر مينس نظر في مقالات من تقدم ، فاذا التجربة خطأ عنده ، فضم اليها القياس ، وقال: « لا يجب ان تكون تجربة بلا قياس لانها تكون خطراً ؛ ولما توفي خلف من التلاميذ اربعة وهم : قطرطس ، وامينس ، وسورانس ، ومثيناوس القديم . ورأي هؤلاء القياس والتجربـــة . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ الى من علموه وخلفوه ، الى ان ظهر .

برمانيدس

وبرمانيدس هو الرابع من الاطباء المشهورين الثمانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مـــدة حياته

أربعين سنة ، منها : صبي ومتعلم خمساً وعشرين سنة ، وكامل معلّم خمس عشرة سنة . وكان منذ وقت وفاة مينس ، الى ظهور برمانيدس سبعمائة وخمس عشرة سنة . وكان في هذه الفترة التي بين مينس وبرمانيدس من الاطباء المذكورين : سمانس ، وغوانس ، وأبيقورس ، واسطفانس،وأنيقولس وساوارس ، وحوراطيمس ، وفولوس ، وسوانيديقوس ، وساموس ، ومثينانوس الثاني،وأفيطافلون، وسوناخس ، وسويازيوس ، ومامالس .

ولما ظهر برمانيدس قال : « ان التجربة وحدها كانت او مع القياس خطر . » فأسقطها وأنتحل القياس وحده .

ولما توفي خلف من التلاميذ ثلاثة نفر وهم : ثاسلس ، وأفرن ، وديوفيلس ، فوقع بينهم المنازعات والخلف وانفصلوا ثلاث فرق ، فأدّعى أفرن التجربة وحدها ، وادّعى ديوفيلس القياس وحده . وادعى ثاسلس الحيل ، وذكر ان الطب انما هو حيلة . ولم تزل هذه الحال بينهم الى ان ظهر

افلاطن الطبيب

وأفلاطن الطبيب هو الخامس من الاطباء المشهورين الثمانية الذين تقدم ذكرهم وكانت مدة حياته ستين سنة ، منها : صبي ومتعلم أربعين سنة ، وعالم معلم عشرين سنة . وكان منذ وقت وفاة برمانيدس الى ظهور افلاطن سبعمائة وخمس وثلاثون سنة . وكان الاطباء المذكورون في هذه الفترة التي بين برمانيدس وافلاطن الطبيب قد تقسموا ثلاثة أقسام :

أصحاب التجربة وهم : أفرن الاقراغنطي ، وبنتخلس ، وأنقلس ، وفيلنبس ، وغافرطيمس ، والحسدروس ، وملسيس .

واصحاب الحيل وهم : ماناخس ، وماساوس ، وغوريانس ، وغرغوريس ، وقونيس .

واصحاب القياس وهم : انكساغورس ، وفولوطيمس ، وماخاخس ، وسقولوس ، وسوفورس.

ولما ظهر افلاطن نظر في هذه المقالات وعلم ان التجربة وحدها رديئة وخطرة ، والقياس وحده لا يصح ، فانتحل الرأيين جميعاً . قال يحيي النحوي : « وان افلاطون أحرق الكتب التي ألفها ثاسلس واصحابه [1] ومن انتحل رأياً واحداً من التجربة والقياس ، وترك الكتب القديمة ، التي فيها الرأيان جميعاً . »

وأقول : ان يحيي النحوي فيما ذكره من هذه الكتب ، وانها قد الفت ، فان كان لها حقيقة

---

(١) وهم الذين قالوا بالحيل وإنما الطب حيلة .

فذلك ينافي قول من يرى ان صناعة الطب اول من دونها وأثبتها في الكتب ابقراط ، اذ كان هؤلاء الذين قد ألفوا هذه الكتب من قبل أبقراط بمدة طويلة .

ولما توفي أفلاطن خلف من تلاميذه من اولاده وأقربائه ستة وهم : ميرونس وأفرده بالحكم على الامراض ؛ وفورونوس وأفرده بالتدبير للابدان ، وفوراس وأفرده بالفصد والكي؛ وثافرورس وأفرده بعلاج الجراحات ؛ وسرجس وأفرده بعلاج العين ، وفانيس وأفرده بجبر العظام المكسورة واصلاح المخلوعة . ولم يزل الطب يجري أمره على سداد بين هؤلاء التلاميذ وبين من خلفوه الى ان ظهر :

أسقليبيوس الثاني

واسقليبيوس الثاني هو السادس من الاطباء المشهورين الثمانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته مائة وعشر سنين منها صبي ومتعلم خمس عشرة سنة ، وعالم ومعلم خمساً وتسعين سنة ، منها عطل خمس سنين . وكان منذ وقت وفاة أفلاطن والى ظهور اسقليبيوس الثاني ألف واربعمائة وعشرون سنة. وكان في هذه الفترة التي بين أفلاطن واسقليبيوس الثاني من الاطباء المذكورين :ميلن الاقراغنطي، وثامسيطوس الطبيب، واقذتينوس ، وفرديقلوس ، واندروماخس القديم وهو اول من صنع الترياق وعاش اربعين سنة ، وايراقليدس الاول وعاش ستين سنة ، وفلاغورس وعاش خمساً وثلاثين سنة ، وماخميس ، ونسطس ، وسيقورس ، وغالوس ، وما باطياس ، وايرقلس الطبيب وعاش مائة سنة ، ومانا طيس ، وفيثاغورس الطبيب وعاش سبعين سنة ، ومارينوس وعاش مائة سنة .

ولما ظهر اسقليبيوس الثاني نظر في الآراء القديمة فوجد ان الذي يجب ان يعتقد هو رأي افلاطن فانتحله . ثم توفي وخلف ثلاثة تلاميذ من أهل بيته ، لا غريب فيهم ولا طبيب سواهم، وهم: ابقراط ابن ايراقليدس ، وماغارينس ،وأرخس .

ولم تمض عدة اشهر حتى توفي ماغارينس ولحقه أرخس ، وبقي ابقراط وحيد دهره طبيباً كامل الفضائل تضرب به الامثال ،الطبيب الفيلسوف، الى ان بلغ به الامر الى ان عبد وهو الذي قوى صناعة القياس والتجربة تقوية عظيمة عجيبة لا يتهيأ لطاعن ان يخلها ولا يهتكها ، وعلم الغرباء الطب وجعلهم شبيهاً بأولاده لما خاف على الطب ان يفنى ويبيد من العالم . كما يتبين امره في هذا الباب الذي يأتي .

الباب الرابع

طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب

ابقراط

ولنبتدىء اولا بذكر شيء من اخبار أبقراط على حيالها وما كان عليه من التأييد الالهي، ونذكر بعد ذلك جملا من أمر الاطباء اليونانيين الذين اذاع ابقراط فيهم هذه الصناعة ، وان لم يكونوا من نسل اسقليبيوس فنقول :

ان أبقراط ، على ما تقدم ذكره ، وهو السابع من الاطباء الكبار المذكورين الذين اسقليبيوس اولهم . وابقراط هو من اشرف اهل بيته واعلاهم نسباً، وذلك على ما وجدته في بعض المواضع المنقولة من اليوناني ، انه أبقراط بن ايرا قليدس بن أبقراط بن غنوسيديقوس بن نبروس بن سوسطراطس بن ثاوذروس بن قلاوموطاداس بن قريساميس الملك ، فهو بالطبع الشريف الفاضل نسباً لأنه التاسع من قريساميس الملك والثامن عشر من اسقليبيوس والعشرون من زاوس . وامه فركسيثا بنت فيناريطي من بيت أيراقليس . فهو من جنسين فاضلين لان أباه من آل اسقليبيوس وامه من آل أيراقليس . وتعلم صناعة الطب من ابيه ايراقليدس ومن جده أبقراط ، وهما اسرا اليه اصول صناعة الطب .

وكانت مدة حياة أبقراط خمساً وتسعين سنة منها صبي ومتعلم ست عشرة سنة ، وعالم معلم تسعاً وسبعين سنة . وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الثاني والى ظهور أبقراط سنتين .

ولما نظر أبقراط في صناعة الطب وخاف عليها ان تنقرض عندما رأى انهـا قد بادت من اكثر المواضع التي كان اسقليبيوس الاول أسس فيها التعليم . وذلك ان المواضع التي يتعلم فيها صناعة الطب

كانت على ما ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب « الايمان » لأبقراط ثلاثة : احدها بمدينة رودس ، والثاني بمدينة قنيدس ،والثالث بمدينة قو [١].

فأما التعليم الذي كان بمدينة رودس فانه باد بسرعة لانه لم يكن لاربابه وارث .

واما الذي كان منه بمدينة قنيدس فطُفيء لان الوارثين له كانوا نفراً يسيراً .

واما الذي كان منه بمدينة قو ، وهي التي كان يسكنها أبقراط ، فثبت وبقي منه بقايا يسيرة لقلة الوارثين له .

فلما نظر أبقراط في صناعة الطب ووجدها قد كادت ان تبيد لقلة الابناء المتوارثين لهـا من آل اسقليبيوس ، رأى ان يذيعها في جميع الارض ، وينقلها الى سائر الناس ، ويعلمها المستحقين لها حتى لا تبيد . وقال : « ان الجود بالخير يجب ان يكون على كل أحد يستحقه قريبـاً كان او بعيداً . » واتخذ الغرباء وعلمهم هذه الصناعة الجليلة ، وعهد اليهم العهد الذي كتبه ، وأحلفهم بالايمان المذكورة فيه ان لا يخالفوا ما شرطه عليهم ، وان لا يعلموا هذا العلم احداً الا بعد اخذ هذا العهد عليه .

وقال ابو الحسن علي [٢] بن رضوان : « كانت صناعة الطب قبل ابقراط كنزاً وذخيرة يكنزهـا الآباء ويدّخرونها للابناء ، وكانت في أهل بيت واحد منسوب الى اسقليبيوس .

« وهذا الاسم ، أعني اسقليبيوس ، اما ان يكون اسماً لمَـلَك بعثه الله فعلّم الناس الطب ، واما ان يكون قوة لله عز وجل علمت الناس الطب . وكيف صرفت الحال فهو اول من علم صناعة الطب. ونسب المتعلم الاول اليه على عادة القدماء في تسمية المعلم أباً للمتعلم . وتناسل من المتعلم الاول اهـل هذا البيت المنسوبون الى اسقليبيوس . وكان ملوك اليونانيين والعظماء منهم ، ولم يكونوا يمكنوا غيرهم من تعليم صناعة الطب ، بـل كانت الصناعة فيهم خاصة يعلم الرجـل منهم ولده أو ولد ولده فقط . وكان تعليمهم بالمخاطبة ، ولم يكونوا يدونونها في الكتب . وما احتاجوا الى تدوينه في الكتب دونوه بلغز حتى لا يفهمه أحد سواهم ، فيفسر ذلك اللغز الابُ للابن . وكان الطب في الملوك والزهاد فقط يقصدون به الاحسان الى الناس من غير اجرة ولا شرط .

ولم يزل كذلك الى ان نشأ ابقراط من اهل قو ، ودمقراط من أهـل أبديرا ، وكانا متعاصرين ، فأما دمقراط فازهد وترك تدبير مدينته ، وأما ابقراط فرأى اهل بيته قد اختلفوا في صناعة الطب، وتخوف ان يكون ذلك سبباً لفساد الطب ، فعمد على ان دونه باغماض في الكتب . وكان له ولدان فاضلان وهما ثاسلس وذراقن وتلميذ فاضل وهو فولوبس ، فعلمهم هذه الصناعة وشعر أنهـا قد تخرج عن أهل اسقليبيوس الى غيرهم ، فوضع عهداً استحلف فيه المتعلم لها على ان يكون لازمـاً للطهارة

(١) جزيرة في بحر ايجه هي موطن ابقراط .

(٢) هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر . ولد ونشأ في مصر ، وبها تعلم الطب .

والفضيلة . ثم وضع ناموساً عرّف فيه من الذي ينبغي له ان يتعلم صناعة الطب. ثم وضع وصية عرّف فيها جميع ما يحتاج اليه الطبيب في نفسه . »

أقول وهذه نسخة العهد الذي وضعه أبقراط [١] .

قسم ابقراط

قال أبقراط : « اني اقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة ، وخالق الشفاء وكل علاج .

وأقسم باسقليبيوس . وأقسم باولياء الله من الرجال والنساء جميعاً . وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط . وأرى ان المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي ، وأواسيه في معاشي ، واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي .

« وأما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لاخوتي، واعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير اجرة ولا شرط . وأشرك اولادي واولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط او حلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة . واما غير هؤلاء فلا افعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدابير ، بقدر طاقتي ، منفعة المرضى .

« واما الاشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فامنع منها بحسب رأيي . ولا اعطي اذا طلب مني دواء قتالا ، ولا اشير ايضاً بمثل هذه المشورة . وكذلك ايضاً لا أرى ان أدني من النسوة فرزجة [٢] تسقط الجنين . وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة ، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة ، ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل . وكل المنازل التي أدخلها انما ادخل اليها لمنفعة المرضى ، وانا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إراديّ مقصود اليه في سائر الاشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال، الاحرار منهم والعبيد . واما الاشياء التي اعاينها في اوقات علاج المرضى أو أسمعها ، في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الاشياء التي لا يُنطق بها خارجاً فامسك عنها ، وأرى ان أمثالها لا ينطق به .

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئاً كان له ان يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الاحوال واجلها ، وان يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ، ومن تجاوز ذلك كان بضده » .

---

(١) ويدعى قسم ابقراط .

(٢) شيء يتداوى به النساء .

ناموس الطب لابقراط

وهذه نسخة ناموس الطب لابقراط . قال ابقراط :

« ان الطب اشرف الصنائع كلها إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس اياها ، لانه لم يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها بمن ليس باهل للتسمي بها اذ كانوا يُشبهون الاشباح التي يحضرها اصحاب الحكاية ليلهوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الاطباء ، بالاسم كثير ، وبالفعل قليل جداً .

« وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية ، وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لانها اذا كانت مؤاتية فينبغي ان يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسنة ، مثل ما يرى في نبات الارض . اما الطبيعة فمثل التربة ، واما منفعة التعليم فمثل الزرع ، واما تربية التعليم فمثل وقوع البزر في الارض الجيدة . فمتى قدمت العنايـــة في صناعة الطب بما ذكرنا ، ثم صاروا الى المدن لم يكونوا اطباء بالاسم بـل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه ، مملوء سروراً، سراً وجهراً ، والجهل بــه لمن انتحله صناعة سوء ، وذخيرة ردية ، عديم السرور ، دائم الجزع والتهور . والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبر بالصناعة .

وصية ابقراط

وهذه نسخة وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطب . قال أبقراط :

« ينبغي ان يكون المتعلم للطب ، في جنسه حراً ، وفي طبعه جيـــداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الاعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عنـــد المشورة ، عفيفاً شجاعاً ، غير محب للفضة، مالكاً لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركاً له في الغاية، ولا يكون بليداً.

وينبغي ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً للاسرار ، لان كثيراً من المرضى يوقفونا على امراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم .

وينبغي ان يكون محتملاً للشتيمة ، لان قوماً من المبرسمين (١) واصحاب الوسواس (٢) السوداوي

(١) المصابون بالبرسام وهي علة يهذى فيها .

(٢) حديث النفس والشيطان بما لا نفع ولا خير .

يقابلونا بذلك ، وينبغي لنا ان نحتملهم عليه ، ونعلم انه ليس منهم ، وان السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة .

وينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلاً مستويا ، لا يحلقه ولا يدعه كالجمة ، ولا يستقصي [1] قصّ أظافير يديه ، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه .

وينبغي ان تكون ثيابه بيضاء نقية لينة ، ولا يكون في مشيه مستعجلا ، لان ذلك دليل على الطيش ، ولا متباطئاً لانه يدل على فتور النفس . واذا دعي الى المريض فليقعد متربعاً ويختبر منه حاله بسكون وتأن ، لا بقلق واضطراب، فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره»

قال جالينوس ، في المقالة الثالثة من كتابه في اخلاق النفس :

« ان ابقراط كان يعلم مع ما كان يعلم من الطب من أمر النجوم ما لم يكن يدانيه فيه احد من اهل زمانه . وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان ، وكون جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد، وفسادها . وهو أول من برهن ببراهين حقيقة هذه الإشياء التي ذكرنا . وبرهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان وفي النبات . وهو الذي استنبط اجناس الامراض وجهات مداواتها .

اقول : « فأما معالجة أبقراط ومداواته للامراض فانه أبداً كانت له العناية البالغة في نفع المرضى وفي مداواتهم . ويقال انه اول من جدّد البيمارستان [2] واخترعه وأوجده . وذلك انه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له ، موضعاً مفرداً للمرضى ، وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم، وسماه أخسندوكين أي مجمع المرضى – وكذلك أيضاً معنى لفظة البيمارستان،وهو فارسي ، وذلك ان البيمار بالفارسي هو المرضى ، وستان هو الموضع ، أي موضع المرضى .

ولم يكن لأبقراط دأب على هذه الوتيرة ، في مدة حياته وطول بقائه ، إلا النظر في صناعة الطب وايجاد قوانينها ومداواة المرضى ، وايصال الراحة اليهم وانقاذهم من عللهم وامراضهم . وقد ذكر كثيراً من قصص مرضى عالجهم في كتابه المعروف بأبيديميا وتفسير ابيديميا الامراض الواقدة .

« ولم يكن لأبقراط رغبة في خدمة احد من الملوك لِطَلَب الغِنى ، ولا في زيادة مال يُفضل عن احتياجه الضروري . وفي ذلك قال جالينوس : « ان ابقراط لم يجب احد ملوك الفرس العظيم الشأن المعروف عند اليونانيين بأرطخششت [3] ، – وهو أزدشير الفارسي جد دارا بن دارا – فانه عرض في ايام هذا الملك للفرس وباء ، فوجه الى عامله بمدينةفاوان ان يحمل الى ابقراط مائة قنطار ذهباً ويحمله بكرامة عظيمة واجلال ،وان يكون هذا المال تقدمة له ، ويضمن له اقطاعاً بمثلها .

(١) يبلغ الغاية في .
(٢) المكان المعد لمداواة المرضى .
(٣) ملك الفرس حكم من سنة ٤٦٥ الى ٤٢٥ قبل المسيح .

وكتب الى ملك اليونانيين يستعين بـــه على اخراجه اليه ، وضمن له مهادنة سبع سنين متى اخرج ابقراط اليه . فلم يجب ابقراط الى الخروج عن بلده الى الفرس . فلمـــا ألح عليه ملك اليونانيين في الخروج قال له ابقراط : « لست ابدل الفضيلة بالمال » . ولما عالج بردقس [١] الملك من امراض مرضها لم يقم عنده دهره كله . وانصرف الى علاج المساكين والفقراء الذين كانوا في بلدته ، وفي مدن أخرى وان صغرت . ودار هو بنفسه جميع مدن اليونانيين ، حتى وضع لهم كتابـــاً في الأهوية والبلدان . قال جالينوس : ومن هذه حاله ليس انمـــا يستخف بالغنى فقط ، بل بالخفض [٢] والدعة [٣] ، ويؤثر التعب والنصب [٤] عليها في جنب الفضيلة .

ومن بعض التواريخ القديمة ان ابقراط كان في زمن بهمن بن أزدشير وكان بهمن قد اعتل ، فأنفذ الى أهل بلد ابقراط يستدعيه فامتنعوا من ذلك ، وقالوا ان اخرج ابقراط من مدينتنا ، خرجنـــا جميعاً وقتلنا دونه ، فرق لهم بهمن واقره عندهم . وظهر ابقراط سنة ست وتسعين لبختنصر [٥] وهي سنة أربع عشرة للملك بهمن .

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ورأيت حكاية طريفة لأبقراط استحلينا ذكرها لندل بها على فضله ، وذلك ان أفليمون صاحب الفراسة [٦] كان يزعـــم في فراسته انه يستدل بتركيب الانسان على اخلاق نفسه ، فاجتمع تلاميذ ابقراط وقال بعضهم لبعض : هل تعلمون في دهرنا افضل من هذا المرء الفاضل ؟ فقالوا:ما نعلم . فقال بعضهم : تعالوا نمتحن به افليمون فيما يدعيه من الفراسة فصوروا صورة ابقراط ، ثم نهضوا بها الى افليمون . فقالوا له : ايها الفاضل ، انظر هذا الشخص واحكم على اخلاق نفسه من تركيبه . فنظر اليه ، وقرن أعضاءه بعضها ببعض ، ثم حكم ، فقال : رجل يحب الزنا . فقالوا له: كذبت، هذه صورة ابقراط الحكيم . فقال لهم: لابد لعلمي ان يصدق، فاسألوه فان المرء لا يرضى بالكذب . فرجعوا الى ابقراط واخبروه بالخبر وما صنعوا ومـــا قال لهم أفليمون ، فقال ابقراط : صدق أفليمون ! أحب الزنا ، ولكني أملك نفسي .

فهذا يدل على فضل ابقراط وملكه لنفسه ، ورياضته لها بالفضيلة . أقول : وقد تنسب هـــذه الحكاية الى سقراط الفيلسوف وتلامذته .

فأما تفسير اسم ابقراط فان معناه ضابط الخيل ، وقيـــل معناه ماسك الصحة ، وقيل ماسك

---

(١) ملك مقدونيـــا .

(٢) لين العيش وسعته .

(٣) الترفه .

(٤) البلاء والشر .

(٥) ملك الكلدانيين (٦٠٤ – ٥٦١)

(٦) علم ادراك الباطن من نظر الظاهر .

الارواح . واصل اسمه باليونانية ايفوقراطيس ، ويقال هو بقراطيس ، وانما العرب عادتهـــا تخفيف الاسماء واختصار المعاني ، فخففت هذا الاسم فقالوا ابقراط وبقراط أيضاً . وقد جرى ذلك كثيراً في الشعر ويقال ايضاً بالتاء أبقرات وبقرات .

وقال المبشر بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » .

ان ابقراط كان ربعـــة ، ابيض ، حسن الصورة ، أشهل العينين ، غليظ العظام ، ذا عصب ، معتدل اللحية أبيضهـــا ، منحني الظهر ، عظيم الهامة ، بطيء الحركة . اذا التفت التفت بكليته ، كثير الأطراق ، مصيب القول ، متأنياً في كلامه ، يكرر على السامع منه . ونعلاه ابداً بين يديه اذا جلس ؛ وان كُلّم اجاب وان سكت عنه سأل ؛ وان جلس كان نظره الى الارض ، معه مداعبة ، كثير الصوم ، قليل الا كل ، بيده أبداً إما مبضع [1] وإما مرود » [2] .

وقال حنين بن اسحاق ، في كتاب نوادر الفلاسفة والحكمـــاء : انه كان منقوشاً على فص خاتم أبقراط : « المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي شيئاً » .

ويقال ان ابقراط مات بالفالج وأوصى ان يدفن معه درج [3] من عاج لا يعلم ما فيه ، فلما اجتاز قيصر الملك بقبره رآه قبراً ذليلاً ، فأمر بتجديده لانه كان من عادة الملوك ان يفتقدوا احوال الحكماء في حياتهم وبعد وفاتهم ، لانهم كانوا عندهم أجل النـــاس وأقربهم اليهم . فأمر قيصر الملك بحفره ، فلما حفره لينظر اليـــه استخرج الدرج ، فوجد فيه الخمس والعشرين قضية في الموت التي لا يعلم العلة فيها لانه حكم فيها بالموت الى اوقات معينة وأيام معلومة . وهي موجودة بالعربي .

ويقال ان جالينوس فسرها ، وهذا مما استبعده . وإلا فلو كان ذلك حقاً ووجد تفسير جالينوس لنقل الى العربي كما قد فعل ذلك بغيره من كتب ابقراط التي فسرها جالينوس ، فانها نقلت باسرهـــا الى العربي .

ومن ألفاظ أبقراط الحكيمة ونوادره المفردة في الطب ، قال ابقراط : الطب قياس وتجربة .

وقال : لو خلق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض احد لانه لم يكن هنـــاك شيء يضادها فيمرض .

وقال : العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية . والزجر والفأل حس نفساني .

وقال : احذق الناس باحكام النجوم أعرفهم بطبائعها وآخذهم بالتشبيه .

وقال : الانسان ما دام في عالم الحس فلا بد من ان يأخذ من الحس بنصيب قل أو كثر .

---

(١) آلة البضع وهي سكين الجراح

(٢) الميل يكتحل به .

(٣) الدرج : سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وادواتها وعم به مجمع مصر كل وعاء غير منقول لكتب او غيرها وترجم به Tiroir وتطلق عليه العامة الجارور .

وقال : كل مرض معروف السبب موجود الشفاء .

وقال : ان الناس اغتذوا في حال الصحة باغذية السباع فأمرضتهم، فغذوناهم باغذية الطير فصحوا.

وقال : انما نأكل لنعيش ، ولا نعيش لنأكل .

وقال : لا تأكل حتى تأكل .

وقال : يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه ، فان الطبيعة تفزع الى عادتها .

وقال : الخمرة صديقة الجسم ، والتفاحة صديقة النفس .

وقيل له : لِمَ أثورُ ما يكون البدن اذا شرب الانسان الدواء ؟ قال : لأن أشد ما يكون البيت غباراً اذا كنس ،

وقال : لا تشرب الدواء الا وأنت محتاج اليه ، فان شربته من غير حاجة ولم يجد داء يعمل فيه وجد صحة يعمل فيها فيحدث مرضاً .

وقال : مَثَلُ المني في الظهر كمَثَل الماء في البئر ، إن نزفته فار وإن تركته غار .

وقال : ان الجامع يقتدح من ماء الحياة . وسئل في كم ينبغي للانسان ان يجامع ؟ قال : في كل سنة مرة ا قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : في كل شهر مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : في كل اسبوع مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : هي روحه اي وقت شاء يخرجها .

وقال : امهات لذات الدنيا أربع : لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة الجماع ، ولذة السماع ؛ فاللذات الثلاث لا يتوصل اليها ولا الى شيء منها إلا بتعب ومشقة ولها مضار اذا استكثر منها ، ولذة السماع قلّت او كثرت صافية من التعب ، خالصة من النصب .

ومن كلامه قال : اذا كان الغدر بالناس طباعاً ، كانت الثقة بكل احد عجزاً ؛ واذا كان الرزق مقسوماً ، كان الحرص باطلاً .

وقال : قلة العيال احد اليسارين .

وقال : العافية ملك خفي لا يعرف قدرها إلا من عدمها .

وقيل له اي العيش خير ؟ فقال : الأمن مع الفقر ، خير من الغنى مع الخوف .

ورأى قوماً يدفنون امرأة فقال : نعم الصهر صاهرك .

وحكي عنه انه أقبل [١] بالتعليم على حدث من تلامذته ، فعاتبه الشيوخ على تقديمه اياه عليهم ، فقال لهم : الا تعلموا ما السبب في تقديمه عليكم ؟ قالوا : لا . فقال لهم : ما اعجب ما في الدنيا ؟ فقال احدهم : السماء والافلاك والكواكب. وقال آخر : الارض وما فيها من الحيوانات والنبات . وقال آخر : الانسان وتركيبه . ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول لا . فقال للصبي :

(١) أقبل عليه أي ولاه قبل وجهه ، وكفله.

ما اعجب ما في الدنيـــا ؟ فقال : أيها الحكيم ، اذا كان كل ما في الدنيا عجباً فلا عجب . فقال الحكيم : لاجل هذا قدمته ، لفطنته .

ومن كلامه قال : محاربة الشهوة أيسر[1] من معالجة العلة . وقال : التخلص من الامراض الصعبة صناعة كبيرة .

ودخل على عليل فقـــال : أنا والعلة وأنت ثلاثة : فان أعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين ، وانفردت العلة فقوينا عليها ؛ والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه .

ولما حضرته الوفاة قال : خذوا جامع العلم مني : من كثر نومه ولانت طبيعته ، ونديت جلدته طال عمره .

ومن كلامه ، مما ذكره حنين بن اسحق في كتاب نوادر الفلاسفة ، انه قال : منزلة لطافة القلب في الابدان ، كمنزلة النواظر في الاجفان .

وقال : للقلب آفتان وهما الغم والهم ، فالغم يعرض منه النوم ، والهم يعرض منه السهر . وذلك بان الهم فيه فكر في الخوف بما سيكون ، فمنه يكون السهر . والغم لا فكر فيه ، لانه انما يكون بما قد مضى وانقضى .وقال : القلب من دم جامد ، والغم يهيج الحرارةالغريزية ،فتلك الحرارة تذيب جامد الدم ، ولذلك كره الغم خوف العوارض المكروهة التي تهيج الحرارة ، وتحمي المزاج ، فيحل جامد الدم ، فينتقض التركيب .

وقال : من صحب السلطان فلا يجزع من قوته ، كما لا يجزع الغواص من ملوحة البحر .

وقال : من احب لنفسه الحياة أماتها .

وقال : العلم كثير والعمر قصير ، فخذ من العلم ما يبلغك قليله الى كثيره .

وقال : ان المحبة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلهما [2] في العقل ، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشاكلهما في الحمق . لان العقل يجري على ترتيب فيجوز ان يتفق فيه اثنان على طريق واحد ؛ والحمق لا يجري على ترتيب فلا يجوز ان يقع به اتفاق بين اثنين .

ومن كلامه في العشق قال : « العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص . فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر ، وعند ذلك يكون احتراق الدم ، واستحالته الى السوداء [3] ، والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ؛ ومن طغيان السوداء فساد الفكر ؛ومع فساديكون الفدامة [4] ونقصان العقل،ورجاء ما لم يكن،وتمني ما لم يتم حتى يؤدي ذلك الى

---

(١) أهون .

(٢) التباسهما .

(٣) من اخلاط البدن الاربعة منشؤها من الطحال .

(٤) العي عن الحجة مع قلة فهم .

الجنون . فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه ، وربما مات غماً . وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحاً او اسفاً . وربما شهق شهقة فتختفي منها روحه اربعاً وعشرين ساعة، فيظن انه قد مات فيقبر وهو حي. وربما تنفس الصعداء [1] فتختنق نفسه في تامور [2] قلبه ، ويضم عليها القلب فلا تنفرج حتى يموت . وربما ارتاح وتشوق للنظر ، ورأى من يحب فجأة فتخرج نفسه فجأة دفعة واحدة .

وانت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه ، وزوال ذلك عمن هذه حاله بلطف من رب العالمين ، لا بتدبير من الآدميين . وذلك ان المكروه العارض من سبب قائم منفرد بنفسه يتهيأ التلطف بازالته بازالة سببه . فاذا وقع السببان وكل واحد منهما علة لصاحبه ، لم يكن الى زوال واحد منهما سبيل . واذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر، وكان اتصال الفكر سبباً لاحتراق الدم والصفراء وميلهما الى السوداء . والسوداء كلما قويت قوت الفكر ، والفكر كلما قوي قوى السوداء . فهذا الداء العياء الذي يعجز عن معالجته الأطباء . »

ومن كلامه قال : الجسد يعالج جملة من خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ؛ وما في المعدة بالقيء؛ وما في البدن باسهال البطن؛ وما بين الجلدين بالعرق؛وما في العمق وداخل العروق بارسال الدم.

وقال : الصفراء [3] بيتها المرارة [4] وسلطانها [5] في الكبد والبلغم [6] بيته المعدة وسلطانه في الصدر ، والسوداء بيتها الطحال [7] وسلطانها في القلب . والدم بيته القلب وسلطانه في الرأس .

وقال لتلميذ له : ليكن افضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم ، والتفقد لأمورهم ، ومعرفة حالهم، واصطناع المعروف اليهم .

ومن كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، للمبشربن فاتك من كلام أبقراط ايضاً وآدابه قال : استدامة الصحة تكون بترك التكاسل عن التعب ، وبترك الامتلاء عن الطعام والشراب .

وقال : ان انت فعلت ما ينبغي على ما ينبغي ان يُفعل فلم يكن ما ينبغي، فلا تنتقل عما انت عليه ما دام ما رأيته اول الأمر ثابتاً .

وقال : الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع .

وقال : اما العقلاء فيجب ان يسقوا الخمر ، واما الحمقى فيجب ان يسقوا الخربق [8] .

وقال : ليس معي من فضيلة العلم الا علمي باني لست بعالم .

---

(١) التنفس الطويل من هم او تعب . او هو تنفس محدود . (٢) غلاف القلب .

(٣) المرة وهي من اخلاط البدن الاربعة (٤) هنة –شبه كيس- لاصقة بالكبد فيها ماء اخضر مر . (٥) هنابمعنى مقرها ومكان تكونها (٦) من اخلاط البدن (٧) من الاحشاء كائن في الجهة اليسرى بين المعدة والاضلاع الكاذبة .

(٨) وهو بالفرنسية Hellebore نبات ورقه كلسان الحمل ، ابيض واسود ينفع في الصرع والجنون والمفاصل والبهق والفالج .. ويسهل الفضول اللزجة . وربما اورث تشنجاً وافراطه مهلك . وهو سم للكلاب والخنازير ، وان نبت بجنب كرمة اسهلت خمرة عنبها « ن – ر » .

وقال : اقنعوا بالقوت ، والغوا عنكم اللجاجة ، لتكون لكم قربى الى الله عز وجل . لان الله سبحانه وتعالى غير محتاج الى شيء ، فكلما احتجتم اكثر كنتم منه أبعد . واهربوا من الشرور ، ذروا [1] المآثم ، واطلبوا من الخيرات الغايات.

وقال: المالك للشيء هو المسلَّط عليه . فمن أحب ان يكون حراً فلا يهو ما ليس له ، وليهرب منه والا صار له عبداً .

وقال : ينبغي للمرء ان يكون في دنياه كالمدعو في الوليمة . اذا أتته الكأس تناولها ، وان جازته [2] لم يرصدها [3] ولم يقصد لطلبها . وكذلك يفعل في الاهل والمال والولد .

وقال لتلميذ له : ان أحببت ان لا تفوتك شهوتك فاشته ما يمكنك .
وسئل عن اشياء قبيحة فسكت عنها ، فقيل له : لم لا تجيب عنها ؟ فقال : جوابها السكوت عنها.

وقال : الدنيا غير باقية ، فاذا امكن الخير فاصطنعوه ، واذا عدمتم ذلك فتحمدوا ، واتخذو من الذكر أحسنه .

وقال : لولا العمل لم يطلب العلم ؛ ولولا العلم لم يطلب العمل . ولأن ادع الحق جهلا به احبّ اليّ من ان ادعه زهداً فيه .

وقال : لا ينبغي ان تكون علة صديقك وان طالت آلم به من تعاهدك له .

وكان يقول العلم روح والعمل بدن ؛ والعلم أصل والعمل فرع ؛ والعلم والد والعمل مولود ؛ وكان العمل لمكان العلم ، ولم يكن العلم لمكان العمل . وكان يقول : العمل خادم العلم والعلم غاية ، والعلم رائد والعمل مرسل .

وقال : اعطاء المريض بعض ما يشتهيه أنفع من أخذه بكل ما لا يشتهيه . »

اقول : وابقراط هو اول من دون صناعة الطب ، وشهرها واظهرها كما قلنا قبل . وجعل اسلوبه في تأليف كتبه على ثلاث طرائق من طرق التعليم : أحداها على سبيل اللغز ؛ والثانية على غاية الايجاز والاختصار ؛ والثالثة على طريق التساهل والتبيين .

والذي انتهى الينا ذكره ووجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتاباً. والذي يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب ، اذا كان درسه على اصل صحيح وترتيب جيد، اثنا عشر كتاباً وهي المشهورة من سائر كتبه .

---

(١) دعوا واتركوا .
(٢) تعدته .
(٣) يرقبها .

الاول — كتاب الاجنة [1] وهو ثلاث مقالات : المقالة الاولى تتضمن القول في كون المني [2] والمقالة الثانية تتضمن القول في تكون الجنين . والمقالة الثالثة تتضمن القول في تكون الاعضاء .

الثاني — كتاب طبيعة الانسان ، مقالتان . وهو يتضمن القول في طبائع الابدان وبماذا تركبت .

الثالث — كتاب الأهوية والمياه والبلدان ، وهو ثلاث مقالات ،المقالة الاولى يعرّف فيها كيف نتعرف أمزجة البلدان وما تتولد من الامراض البلدية ، والمقالة الثانية يعرّف فيها كيف نتعرف أمزجة المياه المشروبة وفصول السنة ، وما تتولد من الامراض البلدية . والمقالة الثالثة يعرف فيها كيفية ما يبقى من الاشياء التي تولد الامراض البلدية كائنة ما كانت .

الرابع — كتاب الفصول ، سبع مقالات ، وضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانين في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من اعمال الطب . وهو يحتوي على بجمل ما أودعه في سائر كتبه .

وهذا ظاهر لمن تأمل فصوله فانها تنتظم جملاً وجوامع من كتابه « تقدمة المعرفة » ، وكتاب « الاهوية والبلدان » ، وكتاب « الامراض الحادة » ، ونكتاً وعيوناً من كتابه المعنون « بابيديما » وتفسيره الامراض الوافدة . وفصولا من كتابه في « اوجاع النساء»وغير ذلك من سائر كتبه الأخر.

الخامس — كتاب تقدمة المعرفة ، ثلاث مقالات ، وضمنه تعريف العلامات التي يقف بها الطبيب على احوال مرض في الازمان الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل . وعرّف انه اذا أخبر بالماضي وثق به المريض فاستسلم له فتمكن بذلك من علاجه على ما توجبه الصناعة . واذا عرف الحاضر قابله بما ينبغي من الادوية وغيرها . واذا عرف المستقبل استعد له بجميع ما يقابله به قبل ان يهجم عليه بما لا يمهله في ان يتلقاه بما ينبغي .

السادس — كتاب الامراض الحادة ، وهو ثلاث مقالات . المقالة الاولى ، تتضمن القول في تدبير الغذاء . والاستفراغ في الامراض الحادة . والمقالة الثانية ، تتضمن المداواة بالتكميد والفصد وتركيب الادوية المسهلة ونحو ذلك.والمقالة الثالثة تتضمن القـول في التدبير بالخمر وماء العسل والسكنجبين [3] والماء البارد والاستحمام .

السابع—كتاب اوجاع النساء مقالتان ضمنه اولا تعريف ما يعرض للمرأة من العلل بسبب احتباس الطمث [4] ونزيفه ؛ ثم ذكر ما يعرض في وقت الحمل وبعده من الاسقام التي تعرض كثيراً .

الثامن — كتاب الامراض الوافدة ويسمى إبيديميا ، وهو سبع مقالات . ضمنه تعريف الامراض

---

(١) واحدها جنين وهو الولد ما دام في بطن امه .

(٢) ماء الرجل وهو مادة لزجة تتكون في الجهاز التناسلي عند الذكر . وتسبح فيه الحييوينات المنوية وهي تلقح البيضة عند المرأة فيتكون من ذلك الجنين (ن.ر)

(٣) معرب سركنكبين وهو شراب يتخذ من خل وعسل (ن.ر) .

(٤) الحيض وهو العادة الشهرية للمرأة .

الوافدة وتدبيرها وعلاجها ، وذكر انها صنفان : احدهما مرض واحـــد فقط ، والآخر مرض قتال يسمى الموتان [1] . ليتلقى الطبيب كل واحد منها بما ينبغي . وذكر في هذا الكتاب تذاكير .

وجالينوس يقول : اني وغيري من المفسرين نعلم ان المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هـــذا الكتاب مدلسة[2] ، ليست من كلام ابقراط . وبيّن ان المقالة الاولى والثالثة فيها القول في الامراض الوافدة ؛ وان المقالة الثانية والسادسة تذاكير ابقراط ، اما ان يكون ابقراط وضعها ، واما ان يكون ولده اثبت لنفسه ما سمعه من ابيه على سبيل التذاكير ، ومن أَجلّ ما بينه . وقال جالينوس: اطّرح [3] الناس النظر في المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب فاندرست .

التاسع – كتاب الاخلاط . وهو ثلاث مقالات . ويتعرف من هذا الكتاب حال الاخلاط، اعني كميتها وكيفيتها ، وتقدمة المعرفة بالاعراض اللاحقة بها ، والحيلة ، والتأني في علاج كل واحد منها .

العاشر – كتاب الغذاء وهو اربع مقالات . ويستفاد من هذا الكتاب علل واسباب مـــواد الاخلاط . أعني علل الاغذية واسبابها التي بها تزيد في البدن وتنميه، وتخلف عليه بدل ما انحل منه.

الحادي عشر – كتاب « قاطيطريون » اي حانوت الطبيب ، وهو ثلاث مقالات . ويستفاد من هذا الكتاب ما يحتاج اليه من اعمال الطب التي تختص بعمل اليدين دون غيرهما من الربط ، والشد ، والجبر ، والخياطة ، ورد الخلع ، والتنطيل ، والتكميد ، وجميع ما يحتاج اليه .

وقال جالينوس : ان ابقراطبنى امره على ان هذا الكتاباول كتاب يقرأ من كتبه،وكذلك ظن به جميع المفسرين ، وانا واحد منهم . وسماه الحانوت الذي يجلس فيه الطبيبلعلاج المرضى.والاجود أن تجعل ترجمته كتاب الاشياء التي تعمل في حانوت الطبيب .

الثاني عشر – كتاب الكسر والجبر ، وهو ثلاث مقالات . تتضمن كل ما يحتاج اليه الطبيب من هذا الفن .

ولأبقراط ايضاً من الكتب وبعضها منحول اليه : كتاب اوجاع العذارى ؛ كتاب في مواضع الجسد ، كتاب في القلب ؛ كتاب في نبات الاسنان ؛ كتاب في العين ؛ كتاب الى بسلوس ؛ كتاب في سيلان الدم ؛ كتاب في النفخ ؛ كتاب في الحمى المحرقة ، كتاب في الغدد ؛ رسالة الى ديمطريوس الملك ويعرف كتابه هذا بالمقال الشافي ؛ كتاب منافع الرطوبات ؛ كتاب الوصايا ؛ كتاب العهـــد ويعرف ايضاً بكتاب الايمان وضعه ابقراط للمتعلمين ، ولمن يعلمونه ايضاً ليقتدوا به ، وان لا يخالفوا ما شرطه عليهم فيه ، وان ينفي بما ذكره الشنعة عليه في نقله هذه الصناعة من الوراثة الى الاذاعة ؛ كتاب ناموس الطب ؛ كتاب الوصية المعروفة بترتيب الطب ، ذكر فيها ما يجب ان يكون الطبيب عليه من الشكل والزي والترتيب ، وغير ذلك ؛ كتاب الخلع ؛ كتاب جراحات الرأس ؛ كتاب

«١» الفناء يصيب الناس والحيوان .

«٢» الاصل في الدلس اختلاط الظلام وهنا يقصد بمدلسة انها منسوبة غير صحيحة .

«٣» ترك – ن . ر –

اللحوم ؛ كتاب في تقدمة معرفة الامراض الكائنة من تغير الهواء ؛ كتاب طبائع الحيوان ؛ كتاب علامات القضايا ، وهو الخمس والعشرون قضية الدالة على الموت ؛ كتاب علامات البُحران [١]؛ كتاب في تَحبّل على حبل ؛ كتاب في المدخل الى الطب ؛ كتاب في المولودين لسبعة اشهر؛ كتاب في الجراح؛ كتاب في الاسابيع ؛ كتاب في الجنون ؛ كتاب في البثور [٢] ؛ كتاب المولودين لثمانية اشهر ؛ كتاب في الفصد [٣] والحجامة [٤] ؛ كتاب في الابطى ؛ رسالة في مسنونات أفلاطن على أرس ؛ كتاب في البول ؛ كتاب في الالوان ؛ كتاب الى أنطيقن الملك في حفظ الصحة ؛ كتاب في الامراض ؛ كتاب في الاحداث ؛ كتاب في المرض الاهلي — وذكر جالينوس في المقالة الاولى من شرح تقدمة المعرفة عن هـذا الكتاب ، ان أبقراط يردّ فيه على من ظن ان الله تبارك وتعالى يكون سبب مرض من الامراض .

كتاب الى اقطيغيوذس قيصر ملك الروم في قسمة الانسان على مزاج السنة ؛ كتاب طب الوحي وهذا الكتاب ذكروا انه يتضمن كل ما كان يقع في قلبه فيستعمله ، فيكون كما وقع له ؛ رسالة الى أرطحششت الكبير ملك فارس لما عرض في ايامه للفرس الموتان؛ رسالة الى جماعة من اهل ابديرا[٥]، مدينة ديمقراطيس الحكيم ، جواباً عن رسالتهم اليه لاستدعائه وحضوره لعلاج ديمقراطيس ؛ كتاب اختلاف الازمنة واصلاح الاغذية ؛ كتاب تركيب الانسان ؛ كتاب في استخراج النصول ؛ كتاب تقدمة القول الاول ؛ كتاب تقدمة القول الثاني .

ولما توفي أبقراط خلف من الاولاد والتلاميذ من آل اسقليبيوس وغيرهم اربعة عشر .

اما اولاده فهم أربعة : ثاسلوس ، ودراقن ، وابناهما : أبقراط بن ثاسلوس ، بن ابقراط ؛ وأبقراط بن دراقن بن ابقراط . فكل واحد من ولديه كان له ولد سماه أبقراط باسم جده .

واما تلامذته من اهل بيته وغيرهم فهم عشرة : لاون ، وماسرجس، وميغانوس ، وقولويس وهو أجلّ تلاميذه وخليفته من اهل بيته ، واملانيسون ، واسطاث ، وساوري ، وغورس ، وسنبلقيوس ، وثاثالس . هذا قول يحيى النحوي . وقال غيره ان ابقراط كان له اثنا عشر تلميذاً لا يزيد عليهم الا بعد الموت ، ولا يُنقص منهم . وبقوا على تلك السنة حيناً في بلاد الروم في الرواق الذي كان يدرّس فيه .

ووجدتُ ببعض المواضيع ان ابقراط كانت له ابنة تسمى مالانا أرسا ، وكان لها براعة في صناعة

«١» التغير الذي يحدث دفعة في الامراض الحادة .

«٢» واحدها بثر وهي خراجات صغيرة وتسميها العامة الحبوب.

«٣» شق العرق .

«٤» المداواة والمعالجة بالمحجم وهو كالكأس يوضع على الجلد فيحدث فيه تهيجاً ويجذب الدم او المادة بقوة « ن.ر » .

«٥» مدينة قديمة على بحر ايجه اشتهر اهلها بحماقاتهم «ن.ر».

الطب ويقال انها كانت ابرع من اخويها .

والاطباء المذكورون في الفترة التي بين أبقراط وجالينوس، خلا تلاميذ أبقراط في نفسه واولاده، فهم سنبلقيوس المفسر لكتب ابقراط ، وانقيلاوس الاول الطبيب ، وارسيسطراطس الثاني القياسي ، ولوقس ، وميلن الثاني ، وغالوس ، وميرتديطوس صاحب العقاقير ، وسقالس المفسر لكتب ابقراط، ومانطلياس المفسر ايضـاً لكتاب ابقراط ، وغولس الطارنطائي ، ومغنس الحمصي صاحب كتاب البول وعاش تسعين سنة ، واندروماخس القريب العهد وعاش تسعين سنة ؛ وأبراس الملقب بالبعيد ، وسوناخس الاثيني صاحب الادوية والصيدلة ، وروفس الكبير وكان من مدينة افسس ، ولم يكن في زمانه احد مثله في صناعة الطب وقد ذكره جالينوس في بعض كتبه وفضله ونقل عنه .

ولروفس من الكتب : كتاب الماليخوليا مقالتان ، وهو من اجل كتبه ؛ وكتاب الاربعين مقالة ؛ كتاب تسمية اعضاء الانسان؛ مقالة في العلة التي يعرض معها الفزع من الماء ؛ مقالة في اليرقان والمرار؛ مقالة في الامراض التي تعرض في المفاصل ؛ مقالة في تنقيص اللحم؛ كتاب تدبير من لا يحضره طبيب، مقالتان ؛ مقالة في الذبحة ؛ كتاب طب ابقراط ؛ مقالة في استعمال الشراب ؛ مقالة في علاج اللواتي لا يحبلن ؛ مقالة في قضايا حفظ الصحة ؛ مقالة في الصرع ؛ مقالة في الحمى الربع [1] ؛ مقالة في ذات الجنب وذات الرئة ؛ كتاب التدبير مقالتان ؛ كتاب الباه[2] مقالة ؛ كتاب الطب ؛ مقالة في الاعمال التي تعمل في البيمارستانات ؛ مقالة في اللبن ؛ مقالة في الفواق [3] ، مقالة في الابكار ؛ مقالة في التين ؛ مقالة في تدبير المسافر ؛ مقالة في البخر [4] ؛ مقالة في القيء ؛ مقالة في الادوية القاتلة ؛ مقالة في ادوية علل الكلى والمثانة [5] ؛ مقالة في هـــل كثرة شرب الماء في الولائم نافع ؛ مقالة في الاورام الصلبة ؛ مقالة في الحفظ ؛ مقالة في علة ديونوسوس وهو القيح ؛ مقالة في الجراحات ؛ مقالة في تدبير الشيخوخة ؛ مقالة في وصايا الاطبـاء ؛ مقالة في الحقن ؛ مقالة في الولادة ؛ مقالة في الخلع ؛ مقالة في علاج احتباس الطمث ؛ مقالة في الامراض المزمنة على رأي ابقراط ؛ مقالة في مراتب الادوية ؛ مقالة فيما ينبغي للطبيب ان يسأل عنه العليل ؛ مقالة في تربية الاطفال ؛ مقالة في دوران الرأس ؛ مقالة في البول ؛ مقالة في العقار الذي يدعى سوساً ؛ مقالة في النزلة الى الرئة ؛ مقالة في علل الكبد المزمنة ؛ مقالة في ان يعرض للرجال انقطاع التنفس ؛ مقالة في شرى المماليك ؛ مقالة في علاج صبي يصرع ؛ مقالة في تدبير الحبالى ؛ مقالة في التخمة؛ مقالة في السذاب[6] ؛ مقالة في العَرَق ؛ مقالة في ايلاوس ؛ مقالة في ابلمسيا .

«١» التي تأتي يوماً وتترك يومين وتعود في الرابع .

«٢» النكاح .

«٣» ما يأخذ المحتضر عند النزع .

«٤» رائحة الفم الكريهة .

«٥» حوصلة هي مستقر البول في الانسان والحيوان .

«٦» نبت ورقه كالصعتر كريه الرائحة وهو الفيجن «ن.ر» .

وكان من الاطباء المذكورين ايضاً في الفترة التي بين ابقراط وجالينوس: ابولونيوس ، وارشيجانس وله ايضاً كتب عدة في صناعة الطب . ووجدت له من ذلك مما نقل الى العربي: كتاب اسقام الارحام وعلاجها ؛ كتاب طبيعة الانسان ؛ كتاب في النقرس [1] .

ومن اولئك الاطباء ايضاً دياسقوريدس الاول المفسر لكتب ابقراط ، وطياوس الفلسطيني المفسر لكتب ابقراط ايضـــاً ؛ ونباديطوس الملقب بموهبة الله في المعجونات ؛ وميسياوس المعروف بالمقسم للطب ؛ ومارس الحيلي الملقب بثاسلس باسم ذلك الذي ذكرناه في اصحاب الحيل - وذلك لانه وقع اليه كتاب بعد احراق كتب ثاسلس الاول من كتب الحيليين فانتحله وقال لا صناعة غـــير صناعة الحيل وهي صناعة الطب الصحيحة ، وأراد ان يفسد الناس ويخرجهم عن اعتقادهم للقياس والتجربة ، ووضع في الحيل من ذلك الكتاب كتباً كثيرة ، فلم تزل مع الاطباء فبعض يقبلها وبعض لا ، حتى ظهر جالينوس فناقضه عليها وأفسدها ، وأحرق ما وجد منهـــا ، وأبطل هذه الصناعة الحيلية — واقريطن الملقب بالمزين وهو صاحب كتاب الزينة - وقد نقل جالينوس عنه اشيـــاء من كتابه في كتاب الميامر — واقاقيوس ، وجارمكسانس ، وأرثياثيوس ، وماريطوس ؛ وقاقولونس ؛ ومرقس ؛ وبرغالس ؛ وهرمس الطبيب ، وبولاس ، وحاحونا ، وحلمانس (هؤلاء الاثنا عشر من الاطباء الذين اولهم اقريطن يعرفون بمعاضدة بعضهم لبعض ، وباتصال بعضهم ببعض في تأليف الادوية لمنفعة الناس بالبروج الاثني عشر لانها متصلة بعضها ببعض) وفيلس الخلقدوني الملقب بالقادر — من قبل انه كان يتجرأ على العلاجات الصعبة ويشفيها ، ويعلو عليها ويقتدر ولا يخطىء له علاج — وديمقراطيس الثاني ؛ وافروسيس ؛ وأكسانقراطس ، وافروديس ؛ وبطلميوس الطبيب ؛ وسقراطس الطبيب ؛ ومارقس الملقب بعاشق العلوم ؛ وسوروس ؛ وفوريس قادح العيون ؛ ونيادريطوس الملقب بالساهر ؛ وفرفوريوس التأليفي صاحب الكتب الكثيرة لانه كان مع فلسفته مبرزاً في الطب بارعاً فيه قويـــاً ، فمن قِبَل ذلك يسميه بعض الناس الفيلسوف وبعضهم الطبيب ؛ ودياسقوريدس [2] العين زربي [3] صاحب النفس الزكية النافع للناس المنفعة الجليلة ، المتعرب المنصور السائح في البلاد ، المقتبس لعلوم الادوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، المصور لها المجرب المعدد لمنافعها قبل المسألة من افاعيلها ، حتى اذا صحت عنده بالتجربة فوجدهـــا قد خرجت بالمسألة غير مختلفة عن التجربة اثبت ذلك وصوره من مثله ، وهو رأس كل دواء مفرد ، وعنه اخذ جميع من جاء بعده ، ومنه ثقفوا على سائر ما يحتاجون اليه من الادوية المفردة ، وطوبى لتلك النفس الطيبة التي شقيت بالتعب من محبتها لايصال الخيرات الى الناس كلهم .

وقال حنين بن اسحق : « ان دياسقوريدس كان اسمه عند قومه أزدش نياديش ومعنـــاه بلغتهم

«١» وجع او ورم في مفاصل القدم وابهامها .

«٢» ويدعى ديوسقوريدس بيزانيوس من القرن الاول ولد في عين زربي .

«٣» او عين زربه ثغر قرب المصيصه — بلد في الشام او ثغر من ثغور الروم .

الخارج عنا » . قال حنين : « وذلك انه كان معتزلاً عن قومه متعلقاً بالجبال ومواضع النبات ، مقيماً بها في كل الازمنة ، لا يدخل الى قومه في طاعة ولا مشورة ولا حكم . فلما كان ذلك سماه قومه بهذا الاسم . ومعنى ديسقوري باليونانية اشجار ، ودوس باليونانية : الله ، ومعناه اي ملهمه الله للشجر والحشائش .

اقول : ومما يؤيد ان دياسقوريدس كان متنقلا في البلدان لمعرفة الحشائش والنظر اليها وفي منابتها قوله في صدر كتابه يخاطب الذي ألف الكتاب له : « واما نحن فانه كانت لنا ، كما علمت، في الصغر شهوة لا تقدر في معرفة هيولى العلاج وتجولنا في ذلك بلداناً كثيرة ؛ وكان دهرنا كما قد علمت ، دهر من ليس له مقام في موضع واحد » .

وكتاب دياسقوريدس هذا خمس مقالات ويوجد متصلاً به ايضاً مقالتان في سموم الحيوان تنسب اليه وانها سادسة وسابعة .

وهذا ذكر اغراض مقالات كتاب دياسقوريدس :

المقالة الاولى تشتمل على ذكر ادوية عطرة الرائحة وافاويه وادهان وصموغ واشجار كبار .

والمقالة الثانية تشتمل على ذكر الحيوانات ورطوبات الحيوان والحبوب والقطاني والبقول المأكولة والبقول الحريفة وادوية حريفة .

والمقالة الثالثة تشتمل على ذكر اصول النبات وعلى نبات شوكي وعلى بزور وصموغ وعلى حشائش بازهرية .

المقالة الرابعة تشتمل على ذكر ادوية اكثرها حشائش باردة ، وعلى حشائش حارة مسهلة ومقيئة ، وعلى حشائش نافعة من السموم وهو ختام المقالة .

المقالة الخامسة تشتمل على ذكر الكرم وعلى انواع الاشربة وعلى الأدوية المعدنية .

وجالينوس يقول عن هذا الكتاب : « اني تصفحت اربعة عشر مصحفاً في الادوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس الذي من أهل عين زربة . » .

وكان من الاطباء المذكورين ايضاً في الفترة التي بين ابقراط وجالينوس : بلاديوس المفسر لكتب ابقراط ؛ وكلاوبطرة امرأة طبيبة فارهة اخذ عنها جالينوس أدوية كثيرة وعلاجات شتى ، وخاصة ما كان من ذلك من أمور النساء ؛ واسقليبادس [1] ؛ وسورانوس الملقب بالذهبي ؛ وايراقليس الطارنطي ؛ واديمس الكحال الملقب بالملك ؛ ونساروس الفلسطيني ، وغالس الحمصي ، وكسانوقراطس ، وقوطانس وديوجانس الطبيب الملقب بالفراني ، واسقليبيادس الثاني ، وبقراطيس الجوارشني ، ولاون الطرسوسي ،

---

(١) من مشاهير الاطباء اليونان اسس في روما مدرسة قاوم فيها تعاليم ابقراط (٢١٤ – ٩٦ ق م) .

واريوس الطرسوسي ، وقيمن الحراني ؛ وموسقوس الاثيني ؛ واقليدس المعروف بالمهـــدي للضالين ؛ وايراقليس المعروف بالهادي ، وبطروس ، وفروادس ؛ ومانطلياس الفاسد ؛ وثافراطس العين زربي ، وانطيباطوس المصيصي ، وخروسبس المعروف بالفتي ، واريوس المعروف بالمضاد ، وفيلون الطرسوسي ، وفاسيوس المصري ، ، وطولس الاسكندراني ، واوليس ، وسقورس الملقب بالمطاع وانمـــا لقب بذلك لان الادوية كانت تطاوعه فيما يستعملها ؛ وتامور الحراني .

وجميع هؤلاء الاطباء اصحـــاب ادوية مركبة اخذ جالينوس عنهم كتبه في الادوية المركبة ، وعن الذين من قبلهم ممن سميناه اولا مثل ابولس وارشيجانس وغيرهما .

وكان قبل جالينوس ايضاً طرالينوس وهو الاسكندروس الطبيب ، وله من الكتب : كتـــاب علل العين وعلاجهـــا ثلاث مقالات ، كتاب البرسام ؛ كتاب الضبان والحيات التي تتولد في البطن والديدان .

وكان في ذلك الزمان ايضاًوما قبله جماعة من عظماء الفلاسفة وأكابرهم على ما ذكره اسحق بن حنين مثل : فوثاغرس ، وديوفيلس ، وثاون ، وانبادقلس ، واقليدس [1] ، وساورى ، وطيماثاوس [2] وانكسيمانس [3] ، وديمقراطيس [4] ، وثاليس [5] ، . قال : وكان الشعراء ايضاً في ذلك الوقت اوميرس [6] وقاقلس ومارقس ، وتلاهم ايضاً من الفلاسفـــة زينون الكبير وزينون الصغير [7] ، واقراطوس الملقب بالموسيقي ، ورامون المنطقي ، واغلوقن البنضيني ، وسقراط ، وافـــلاطن ، وديمقراط ، وارسطوطالس ، وثاوفرطس ابن اخته ، واذيمس ، وأفانس ، وخروسبس ، وديوجانس [8] وقيلاطس ، وفيماطوس ، وسنبلقيوس ، وارمينس معلم جالينوس ، وغلوقـن ، والاسكندر الملك ، والاسكندر الافروديسي [9] وفرفـوريوس الصوري [10] ، وايراقليدس الافـــلاطوني ، وطاليوس

«١» واضع مبادىء علم الهندسة السطحية وعلم في مدرسة الاسكندرية على عهد بطليموس « ٣٠٦ - ٢٨٣ » .

«٢» كان ابوه وثنياً وامه يهودية .

«٣» فيلسوف يوناني « ٥٨٥ - ٥٢٨ » قال ان الهواء هو اصل الاشياء كلها ، وانه مادة غير متناهية ، وانـه من جنس النفس البشرية . اما السبب في تكوين العالم فهو تخلخل الهواء وتكاثفه .

«٤» فيلسوف يوناني في القرن الخامس كانت تعاليمه الادبية عالية نبيلة منها ان السعادة بضبط اهواء النفس .

«٥» فيلسوف وعـــالم بالحساب من المدرسة الايونيـه اشتهر بالنظريـــة الهندسية المعروفة باسمـــه « Thalès » « ٦٤٠ - ٥٤٨ ق م » .

«٦» لعله يقصد هوميروس اشهر شعراء اليونان الاقدمين من القرن التاسع قبل المسيح .

«٧» ربما هو زينون الايلياني « ولد بين ٤٩٠ - ٤٨٥ ق م » فيلسوف تعلم على برمنيدس . او انه زينون سبسيوم الذي ولد في قبرص في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وهو مؤسس المذهب الرواقي . وربما كان زينون الصغير هو زينون الصيداوي الفيلسوف زعيم المذهب الابيكوري ومعلم شيشرون .

«٨» هو ديوجين الكلبي الفيلسوف اليوناني .

«٩» من فلاسفة القرن الثاني وهو من اهم شراح ارسطوطاليس نعته ابن سينا بافضل المتأخرين واعتد بآرائه . وقـــد خالفه ابن رشـــد .

«١٠» ولد في صور . فيلسوف من اتباع الافلاطونية الجديدة وتلميذ افلوطين . وعلم في روما « ٢٣٣ - ٣٠٤ » .

الاسكندراني ، وموسى الاسكندراني ، ورودس الافلاطوني ، واسطفانس المصري ، وسنجس ، ورامن . ويتلو هؤلاء ايضاً من الفلاسفة : ثامسطيوس ، وفرفوديس المصري ، ويحيى النحوي [١] الاسكندراني ، وداريوس ، وانقيلاوس المختصر لكتب ارسطوطاليس ، وامونيوس ، وفولوس ، وافروطوخس ، واوديمس الاسكندراني ، وباغاث العين زربي ، وثياذوس الاثيني ، وادى الطرسوسي.

وقال القاضي ابو القاسم صاعد [٢] بن احمد بن صاعد في كتاب طبقات الامم : ان الفلاسفة اليونانيين من ارفع الناس طبقة واجل اهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية ، والمعارف الطبيعية والالهية ،والسياسات المنزلية والمدنية. قال : واعظم هؤلاء الفلاسفة قدراً عند اليونانيين خمسة ، فأولهم زماناً : بندقليس ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطون ثم ارسطوطاليس ابن نيقوماخس .

اقول وسنذكر جملا من احوال هؤلاء الخمسة وغيرهم ان شاء الله تعالى .

بندقليس

قال القاضي صاعد : ان بندقليس كان في زمن داود النبي عليه السلام على ما ذكره العلماء بتواريخ الامم ، وكان أخذ الحكمة عن لقمان الحكيم بالشام ، ثم انصرف الى بلاد اليونانيين فتكلم في خلق العالم باشياء يقدح ظاهرها في امر المعاد ، فهجره لذلك بعضهم ، وطائفة من الباطنية تنتمي الى حكمته ، وتزعم ان له رموزاً قلما يوقف عليها . قال : وكان محمد بن عبد الله بن مرة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفاً بفلسفته دؤوباً على دراستها .

قال : وبندقليس اول من ذهب الى الجمع بين معاني صفات الله تعالى ، وانها كلها تؤدي الى شيء واحد ، وانه وان وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الاسماء المختلفة ، بل الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه ما اصلا ، بخلاف سائر الموجودات فان الوحدانيات العالمية معرضة للتكثير اما باجزائها واما بمعانيها واما بنظائرها ، وذات الباري متعالية عن هذا كله . قال: والى هذا المذهب في الصفات ذهب ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري .

ولبندقليس من الكتب : كتاب فيما بعد الطبيعة ، كتاب الميامر .

فيثاغورس

ويقال فوثاغوراس وفوثاغوريا ، وقال القاضي صاعد في كتاب طبقات الامم: ان فيثاغورس كان

«١» كان اسقفاً في اول امره في مصر يعقوبي المذهب . وكان طبيباً ماهراً . ولحق الاسلام .

«٢» هو صاعد الاندلسي ولد في المرية ودرس في قرطبة وتولى القضاء في طليطلة . اشتهر بالفقه والتاريخ والحساب والهيئة .

بعد بندقليس بزمان ، واخذ الحكمة عن اصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام ، وكان قد اخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ، ثم رجع الى بلاد اليونان وادخل عندهم علم الهندسة وعلم الطبيعة وعلم الدين ، واستخرج بذكائه علم الألحان وتأليف النغم وأوقعها تحت النسب العددية ، وادعى انه استفاد ذلك من مشكاة النبوة .

وله في نضد العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه ، رموز عجيبة ، واغراض بعيدة . وله في شأن المعاد مذاهب قارب فيها بندقليس من أن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً لا يدرك العقل حسنه وبهاءه ، وان الانفس الزكية تشتاق اليه ؛ وان كل انسان أحسن تقويم نفسه بالتبري من العجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية ، فقد صار أهلاً ان يلحق بالعالم الروحاني ، ويطلع على ما يشاء من جواهره من الحكمة الالهيـــة . وان الاشياء الملذذة للنفس تأتيه حينئذ ارسالاً كالالحان الموسيقية الآتية الى حاسة السمع ، فلا يحتاج ان يتكلف لهـــا طلباً . ولفيثاغورس تآليف شريعة الارثماطيقي والموسيقي وغير ذلك ، هذا آخر قوله .

وذكر غيره عن الحكيم فيثاغورس انه كان يرى السياحة ، واجتناب مماسة القاتل والمقتول .وأنه أمر بتقديس الحواس ، وتعلّم العمل بالعدل وجميع الفضائل ، والكف عن الخطايا ، والبحث عن العطية الانسية ليعرف طبيعة كل شيء وأمر بالتحابب والتأدب بشرح العلوم العلوية ، ومجاهدة المعاصي وعصمة النفوس ، وتعلم الجهاد ، واكثار الصيام ، والقعود على الكراسي ، والمواظبة على قراءة الكتب ، وان يعلم الرجال الرجال وتعلم النساء والنساء ، وامر بجودة المنطق ومواعظ الملوك ، وكان يقول ببقاء النفس وكونها فيما بعد في ثواب او عقاب على رأي الحكماء الالهيين ، ولما رأس الحكيم فيثاغورس على الهياكل وصار رئيس الكهنة ، جعل يغتذي بالاغذية غير المجوعة وغير المعطشة .

اما الغذاء غير المجوع فكان يهيئه من بزر ميقونيون وسمسم ، وقشر اسقال مغسول غسلاً مستقصى حتى ينبأ [١] قلبه [٢] ، والنتاريقون ، واسفودالن ، والفيطون ، وحمص ، وشعير ، من كل واحـد جزء بالتحرير كان يسحقها ويعجنها بجنس من العسل يسمى اميطيو .

واما غير المعطش فكان يهيئه من بزر القثاء ، وزبيب سمين منزوع العجم [٣] ، وزهر قوريون ، وبزر ملوخيا وبزر اسوفا ، وأندراخين ، ونوع من الخبز يدعى فيلطاموس ، ودقيق أواليس ، وكان يعجنها بعسل حابوق .

وذكر الحكيم ان هرقلس تعلم هاتين الصفتين من ديميطر ، وكان فيثاغورس قد الزم نفسه عـــادة موزونة فلم يكن مرة صحيحاً ومرة سقيماً ، ولا كان مرة يسمن ومرة يهزل . وكانت نفسه لطيفة جداً ، ولم يكن يفرح بافراط ولا يحزن بافراط ولا رآه احـد قط ضاحكاً ولا باكياً ، وكان يقدم اخوانه على نفسه .

«١» يرتفع «٢» القلب من الشجر : مارخص من اجوافها «٣» كل ما كان في جوف مأكول اي بزره .

ويحكى انه اول من قال أن اموال الاخلاء مشاعة غير مقسومة وكان يحافظ على صحة الاصحاء ويبرىء المسقومي الابدان ، وكان يبرىء النفوس الآلمة ، منهـا بالتكهن ، ومنها بالالحان الآلهية التي كان يحيي بها آلام البدن . وكان يأمر باداء الامانة في الوديعة لا المال فقط ، والكلمة المستودعة المحققة وصدق الوعد .

وذكر فرفوريوس في المقالة الاولى من كتابه في اخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم حكايات عجيبة، ظهرت عن فيثاغورس مما تكهن به ومن اخباره بمغيبات سمعت منه وشوهدت ، كما قاله .

كلمات حكمية

وكان يرمز حكمته ويسترها، فمن الغازه انه كان يقول : لا تعتد في الميزان ، اي اجتنب الافراط. ولا تحرك النار بالسكين لانها قد حميت فيها مرة ، اي اجتنب الكلام المحرض عند الغضوب المغتاظ . ولا تجلس على قفيز ، اي لا تعش في البطالة . ولا تمر بغياض الليوث ، اي لا تقتد برأي المردة . ولا تعمر الخطاطيف البيوت ، اي لا تقتـــد باصحاب الطرمذه [١] والبقبقة [٢] من الناس غير المالكين لألسنتهم . وان لا يلقى الحمل عن حامله لكن يعان على حمله ، اي لا يغفـــل احد اعمال نفسه في الفضائل في الطاعات . وان لا تلبس تماثيل الملائكة على فصوص الخواتيم ، اي لا تجهر بديانتك وتدع اسرار العلوم الالهية عند الجهال .

قال الامير المبشر بن فاتك : كان لفيثاغورس أب اسمه منيسارخوس من اهل صور ، وكان له أخوان اسم الاكبر منهما أونوسطوس ، والآخر طورينوس ، وكان اسم أمـه بوثايس بنت رجل اسمه اجقايوس من سكان ساموس [٣] ولما غلب على صور ثلاث قبائل ليمنون [٤] ويقرون وسقرون ، واستوطنوها وجلا أهلها منها ، جلا والد فيثاغورس فيمن جلا وسكن البحيرة ، وسافر منهـــا الى ساموس ملتمساً كسباً ، واقام بها وصار فيها مكرماً ولما سافر منها الى انطاكيا أخذ فيثاغورس معه ليتفرج عليها لأنها كانت نزهة جداً كثيرة الخصب . وذكروا ان فيثاغورس انما عاد اليها فسكنها ، لما رأى من طيبها اول مرة . ولما جلا منيسارخوس عن صور سكن ساموس ومعه اولاده اونوسطوس وطورينوس وفيثاغورس . فتبنى أندروقلوس رئيس ساموس فيثاغورس وكفله ، لانه كان اخذ الاخوة واسلمه من صغره في تعليم الآداب واللغة والموسيقى ، فلما التحى وجه به الى مدينة ميليطون

---

(١) المفاخرون المباهون بما ليس عندهم
(٢) الكثيرو الكلام
(٣) جزيرة يونانية من جزر الارخبيل موطن فيثاغورس .
(٤) سكان جزيرة ليمنوس قديماً - اليوم يسمونه Lemmo - .

واسلمه الى أناكسيماندروس الحكيم ليعلمه الهندسة والمساحة والنجوم ، فلما أحـــكم فيثاغورس هاتين الصناعتين اشتد حبه للعلوم والحكمة فسافر الى بلدان شتى طالبـــاً لذلك ، فورد على الكلدانيين والمصريين وغيرهم ، ورابط الكهنة وتعلم منهم الحكمة وحذق لغة المصريين بثلاثة أصناف من الخط : خط العامة ، وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر ، وخط الملوك . وعندما كان في أراقليا [١] كان مرابطاً لملكها ، ولما صار الى بابل رابط رؤساء خلذايون ودرس على زارباطا فبصره بما يجب على الصديقين ، واسمعه سماع الكيان وعلمه أوائل الكل ايا هي . فمن ذلك فضلت حكمـــة فيثاغورس وبه وُجد السبيل الى هداية الامم وردهم عن الخطايا ، لكثرة ما اقتنى من العلوم من كل امة ومكان .

وورد على قاراقوديس الحكيم السرياني في بدايـة امره في مدينة اسمها ديلون من سورية ، وخرج عنها قاراقوديس فسكن ساموس ، وكان قد عرض له مرض شديد حتى ان القمل كان ينتعش في جسمه ، فلما عظم به وساء مثواه حمله تلاميذه الى افسس [٢] ، ولما تزايد ذلك عليه رغب الى اهـل افسس وأقسم عليهم ان يحولوه عن مدينتهم ، فأخرجوه الى ماغانسيا . وعنى تلاميذه بخدمته حتى مات ، فدفنوه وكتبوا قصته على قبره .

ورجع فيثاغورس الى مدينة ساموس ودرس بعده على ارمودامانيطس الحكيم البهي المتأله المكنى بقراوفوليو بمدينة ساموس . ولقي ايضاً بها ارمودامانيس الحكيم المكنى افروقوليم فرابطه زماناً وكانت طرانة ساموس قد صارت لفولوقراطيس الاطرون ، واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين بمصر ، فابتهل الى فولوقراطيس ان يكون له على ذلك معيناً ، فكتب له الى أماسيس [٣] ملك مصر كتاباً يخبره بما تاق اليه فيثاغورس ويعلمه أنه صديق لأصدقائه ، ويسأله ان يجود عليه بالذي طلب وان يتحنن عليه ، فأحسن أماسيس قبوله ، وكتب له الى رؤساء الكهنة بما اراد ، فورد على اهل مدينة الشمس وهي المعروفة بزماننا بعين شمس [٤] بكتب ملكهم ، فقبلوه قبولاً كريهاً واخذوا في امتحانه زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا تقصيراً ، فوجهوا به الى كهنـــة منف [٥] كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه قبولاً على كراهية واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيباً ولا أصابوا له عثرة ، فبعثوا به الى اهل دبوسبولس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقاً ولا الى ادحاضه سبيلاً لعنـــاية ملكهم به ، فعرضوا عليه فرائض صعبة مخالفة لفرائض اليونانيين كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبه ، فقبل ذلك وقام به ، فاشتد اعجابهم منه ، وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى أماسيس ، فأعطاه سلطاناً على الضحايا للرب تعالى وعلى سائر قرابينهم ، ولم يعط ذلك لغريب قط .

---

(١) مدينة قديمة في آسيا الصغرى - بيزنطيا - وهي اليوم ايركلي (ن . ر) .
(٢) مدينة قديمة على شاطىء بحر ايجه كان بها هيكل لديانا وهي اليوم ركام من الخراب .
(٣) ملك مصر من السلالة الثامنة عشرة.
(٤) موضع بمصر بالمطرية .
(٥) او منفيس : عاصمة مصر قديماً بالقرب من القاهرة . ولا يوجد فيها اليوم إلا الاثر في موضع يدعى عين شمس انقاض كنائس قديمة . (ن . ر) .

ثم مضى فيثاغورس من مصر راجعاً الى بلاده ، وبنى له بمدينة ايونية منزلاً للتعليم ، فكان اهل ساموس يأتون اليه ويأخذون من حكمته ، واعدّ له خارجاً من تلك المدينة ، انطروناً جعله مجمعاً خاصاً لحكمته ، فكان يرابط فيه مع قليل من اصحابه اكثر اوقاته . ولما اتت عليه اربعون سنة وتمادت طرانة فولوقراطيس ، وكان قد استخلفه عليهم حيناً طويلاً واستكفاه ففكر ورأى انه لا يحسن بالمرء الحكيم المكث على لزوم الطرانة والسلطان،فرحل الى ايطاليا وسار منها الى قروطونيا [١] ودخلها ، فرأى اهلها حسن منظره ومنطقه ونبله ، وسعة علمه ، وصحة سيرته ، مع كثرة يساره وتكامله في جميع خصاله ، واجتماع الفضائل كلها فيه ، فانقاد له اهل قروطونيا انقياد الطاعة العلمية، فألزمهم عصمة القدماء ، وهدى نفوسهم ، ووعظهم بالصالحات ، وأمر الاراكنة [٢] ان يضعوا للأحداث كتب الآداب الحكمية وتعليمهم اياها . فكان الرجال والنساء يجتمعون اليه ليسمعوا مواعظه وينتفعوا بحكمته . فعظم مجده وكبر شأنه ، وصير كثيراً من اهل تلك المدينة مهرة بالعلوم ، وانتشر الخبر حتى ان عامة ملوك البربر وردوا عليه ليسمعوا حكمته ويستوعبوا من علمه .

ثم ان فيثاغورس جال في مدن ايطاليا وسيقليا [٣] ، وكان الجور والتمرد قد غلب عليهم فصاروا سمّاعيه وصدّيقيه من اهل طاورومانيون وغير ذلك . فاستأصل الفتنة منهم ومن نسلهم الى احقاب كثيرة . وكان منطقه طارداً لكل منكر ، ولما سمع حكمته ومواعظه سماخس اطرون قانطوربيا خرج من ملكه وخلف امواله بعضها لاخيه وبعضها لاهل مدينته .

وذكر ان باندس الذي كان جنسه من فرمس وكان ملك فوثو وكان من ولد فيثاغورس ، وكان لفيثاغورس ، وهو باقروطونيا ، بنت بتول كانت تعلم عذارى المدينة شرائع الدين وفرائضه وسننه من حلاله وحرامه . وكانت ايضاً زوجته تعلم سائر النساء . ولما توفي فيثاغورس عمد ديميطوديوس المؤمن الى منزل الحكيم فجعله هيكلاً لأهل قروطونيا .

وذكروا ان فيثاغورس كان على عهد كورس حدثاً وكان ملكه ثلاثين سنة ، وملك بعده ابنه قامبوسيس وفيثاغورس في الحياة . وان فيثاغورش لبث بساموس ستين سنة ثم سافر الى ايطاليا ، ثم توجه منها الى ماطاپونطيون ، فمكث بها خمس سنين وتوفي .

وكان غذاؤه عسلاً وسمناً ، وعشاؤه خبز قاخجرون وبقول نيئة ومطبوخة ، ولم يكن يأكل من اللحم إلا ما كان من أضحية [٤] كهونته مما كان يقرب لله تعالى .

---

(١) مدينة قديمة في ايطاليا (اليونان الكبرى) موطن فيثاغورس .
(٢) واحدها الاركون وهو الرئيس المقدم والدهقان المعظم .
(٣) جزيرة كبيرة في البحر المتوسط تبلغ مساحتها ٢٥٧٤٠ ميلا مربعاً وهي قسم من الجمهورية الايطالية اليوم .
(٤) جمع ضحية وهي ما يقدم تقرباً من المعبود .

فلما ان رأس على الهياكل وصار رئيس الكهنة جعل يغتذي بالأغذية غير المجوعة وغير المعطشة . وكان اذا ورد عليه وارد ليسمع كلامه يكلمه على احد وجهين : إما بالاحتجاج والدراس ؛ وإما بالموعظة والمشورة ، فكان لتعليمه شكل ذو فنين .

وحضره سفر الى بعض الاماكن ، فأراد ان يؤنس اصحابه بنفسه قبل فراقهم ، فاجتمعوا في بيت رجل يقال له ميلن ، فبينما هم في البيت مجتمعون اذ هجم عليهم رجل من اهل قروطونيا اسمه قولون ، وكان له شرف وحسب ومال عظيم . وكان يستطيل بذلك على الناس ويتمرد عليهم ويغتر بالجور . وكان قد دخل على فيثاغورس وجعل يمدح نفسه فزجره بين يدي جلسائه ، وأشار اليه باكتساب خلاص نفسه ، فاشتد غيظ قولون عليه فجمع اخلاءه وقذف فيثاغورس عندهم ونسبه الى الكفر ، ووافقهم على قتله واصحابه ، ولما هجم عليه قتل منهم اربعين انساناً وهرب باقيهم ، فمنهم من ادرك وقتل ، ومنهم من افلت واختفى . ودامت السعاية بهم والطلب لهم،وخافوا على فيثاغورس القتل ، فأفردوا له قوماً منهم واحتالوا له حتى اخرجوه من تلك المدينة بالليل ، ووجهوا معه بعضهم حتى أوصلوه الى قاولونيا ، ومن هناك الى لوقروس ، فانتهت الشناعة فيه الى اهل هذه المدينة ، فوجهوا اليه مشايخ منهم فقالوا له : « اما انت يا فيثاغورس فحكيم فيما نرى ، واما الشناعة عنك فسمجة جداً . لكنا لا نجد في نواميسنا ما يلزمك القتل ونحن متمسكون بشرائعنا ، فخذ منا ضيافتك ونفقة لطريقك وارحل عن بلدنا تسلم » . فرحل عنها الى طارنطا [1] ، ففاجأه هناك قوم من اهل قروطونيا فكادوا ان يخنقوه وأصحابه ، فرحل الى ميطابونطيون . وتكاثرت الهيوج في البلاد بسببه حتى صار يذكر ذلك اهل تلك البلاد سنيناً كثيرة.ثم انحاز الى هيكل الاسنان المسمى هيكل الموسن فتحصن فيه وأصحابه ، ولبث فيه اربعين يوماً لم يغتذ ، فضربوا الهيكل الذي كان فيه بالنار . فلما احس اصحابه بذلك عمدوا اليه فجعلوه في وسطهم واحدقوا به ليوقوه النار بأجسامهم ؛ فعندما امتدت النار في الهيكل واشتد لهبها ، غشي على الحكيم من ألم حرارتها ومن الخواء فسقط ميتاً . ثم ان تلك الآفة عمتهم أجمعين فاحترقوا كلهم ، وكان ذلك سبب موته .

وذكروا أنه صنف مائتين وثمانين كتاباً، وخلف من التلاميذ خلقاً كثيراً ، وكان نقش خاتمه « شر لا يدوم خير من خير لا يدوم » ، أي شر ينتظر زواله ألذ من خير ينتظر زواله . وعلى منطقته : « الصمت سلامة من الندامة » .

من آداب فيثاغوروس ومواعظه ، نقلت ذلك من كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، للامير محمود الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك . قال فيثاغورس :

كما ان بدء وجودنا وخلقنا من الله سبحانه ، هكذا ينبغي ان تكون نفوسنا منصرفة الى الله تعالى

وقال : الفكرة لله خاصة فمحبتها متصلة بمحبة الله تعالى ، ومن أحب الله سبحانه عمل بمحابه ،

---

(١) مدينة في جنوب ايطاليا على الخليج المسمى باسمها .

ومن عمل بمحابه قرب منه ، ومن قرب منه نجا وفاز .

وقال : ليس الضحايا والقرابين كرامات الله تعالى ذكره ، لكن الاعتقاد الذي يليق به هو الذي يكتفي به في تكرمته .

وقال : الاقوال الكثيرة في الله سبحانه علامة تقصير الانسان عن معرفته .

وقال : ما انفع للانسان ان يتكلم بالاشياء الجليلة النفيسة ، فان لم يمكنه فليسمع قائلها .

وقال : احذر ان تركب قبيحاً من الامر لا في خلوة ولا مع غيرك ، وليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد .

وقال : ليكن قصدك بالمال في اكتسابه من حلال وانفاقه في مثله .

وقال : اذا سمعت كذباً فهون على نفسك الصبر عليه .

وقال : لا ينبغي لك أن تهمل امر صحة بدنك لكن ينبغي القصد في الطعام والشراب والنكاح والرياضة .

وقال : لا تكن متلافاً بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده ، ولا تكن شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل الافضل في الأمور كلها هو القصد فيها .

وقال : كن متيقظاً في آرائك ايام حياتك ، فان سبات الرأي مشارك للموت في الجنس .

وقال : ما لا ينبغي ان تفعله احذر ان تخطره ببالك .

وقال : لا تدنس لسانك بالقذف ، ولا تصغ بأذنيك الى مثل ذلك .

وقال : عسر على الانسان ان يكون حراً ، وهو ينصاع للأفعال القبيحة الجارية مجرى العادة .

وقال : ليس ينبغي للانسان ان يلتمس القنية [1] العالية ، والابنية المشيدة ، لأنها من بعد موته تنتقي على حدود طباعها ، ويتصرف غيره فيها ، لكن يطلب من القنية ما ينفعه بعد المفارقة والتصرف فيها .

وقال : الاشكال المزخرفة ، والامور المموهة [2] ، في اقصر الزمان تتبهرج [3] . وقال : اعتقد ان أس مخافة الله سبحانه الرحمة .

وقال : متى التمست فعلاً من الأفعال فابدأ الى ربك بالابتهال في النجح فيه .

وقال : الانسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح ان يكون صديقاً وخلاً ، احذر من ان تجعله لك عدواً .

وقال : ما احسن بالانسان ان لا يخطىء ، وان اخطأ فما اكثر انتفاعه بأن يكون عالماً بأنه اخطأ ، ويحرص في ان لا يعاود .

---

(١) ما اكتسب (٢) المطلية . (٣) تتزيف .

وقال : الاخلق بالانسان ان يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي .

وقال : ينبغي ان يعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام ، والوقت الذي يحسن فيه السكوت .

وقال : الحر هو الذي لا يضيع حرفاً من حروف النفس لشهوة من شهوات الطبيعة .

وقال : بقدر ما تطلب تعلم ، وبقدر ما تعلم تطلب .

وقال : ليس من شرائط الحكيم ان لا يضجر ، ولكن يضجر بوزن .

وقال : ليس الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فصبر واحتمل ، ولكن الحكيم من حمل عليه اكثر مما تحتمل الطبيعة فصبر .

وقال : الدنيا دول ، مرة لك واخرى عليك ، فان توليت فأحسن وان تولوك فلِن .

وكان يقول : ان اكثر الآفات انما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام ، وتعرض للانسان من قبل الكلام .

وكان يقول : من استطاع ان يمنع نفسه من اربعة اشياء فهو خليق ان لا ينزل به المكروه كما ينزل بغيره :العجلة واللجاجة والعجب والتواني ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرة اللجاجة الحيرة ، وثمرة العجب البغضاء ، وثمرة التواني الذلة .

ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فيلحن في كلامه فقال له : اما ان تتكلم بكلام يشبه لباسك او تلبس لباساً يشبه كلامك .

وقال لتلاميذه : لا تطلبوا من الاشياء ما يكون بحسب محبتكم ، ولكن أحبوا من الاشياء ما هي محبوبة في انفسها .

وقال : اصبر على النوائب اذا أتتك من غير ان تتذمر ، بل اطلب مداواتها بقدر ما تطيق .

وقال : استعملوا الفكر قبل العمل .

وقال : كثرة العدو تقلل الهدوء .

وكان فيثاغورس اذا جلس على كرسيه أوصى بهذه السبع الوصايا : « قوّموا موازينكم واعترفوا اوزانها ؛ عدلوا الخط تصحبكم السلامة ؛ لا تشعلوا النار حيث ترون السكين تقطع ؛ عدلوا شهواتكم تديموا الصحة ؛ استعملوا العدل تحط بكم المحبة ؛ عاملوا الزمان كالولاة الذين يُستعملون عليكم ويُعزلون عنكم ؛ لا تترفوا [١] ابدانكم وانفسكم فتفقدوها في اوقات الشدائد اذ اوردت عليكم . »

---

(١) لا تبطروا او تفسدوا .

وُذكر المال عنده ومدح فقال : « وما حاجتي الى ما يعطيه الحظ ، ويحفظه اللؤم ، ويهلكه السخاء .

وقال : وقد نظر الى شيخ يحب النظر في العلم ويستحي ان يُرى متعلماً : يا هذا ! اتستحي ان تكون في آخر عمرك افضل منك في أوله ؟ وقال: انكى شيء لعدوك ان لا تريه انك تتخذه عدواً .

وحضر امرأته الوفاة في أرض غربة ، فجعل اصحابه يتحزنون على موتها في ارض غربة فقال : يا معشر الاخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق ، وذلك ان الطريق الى الآخرة واحد من جميع النواحي .

وقيل له : ما احلى الاشياء ؟ فقال : الذي يشتهي الانسان .

وقال : الرجل المحبوب عند الله تعالى الذي لا يذعن لافكاره القبيحة .

ونقلت من كتاب فرفوريوس في اخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم قال : « واما كتب فيثاغورس الحكيم ، التي انفرد بجمعها ارخوطس [1] الفيلسوف الطارنطيني فتكون ثمانين كتاباً . فأما التي اجتهد بكلية جهده في التقاطها وتأليفها وجمعها من جميع الكهول الذين كانوا من جنس فيثاغورس الفيلسوف وحزبه وورثة علومه رجل فرجل ، فتكون مئتي كتاب عدداً فمن انفرد بصفوة عقله وعزل منها الكتب الكذبية المقولة على لسان الحكيم واسمه التي اختلقها أناس فجرة، وهي : كتاب المناجاة ، وكتاب وصف المهن السيئة،وكتاب علم المخاريق [2] وكتاب احكام تصوير مجالس الخمور ، وكتاب تهيئة الطبول والصنوج [3] والمعازف [4] ، وكتاب الميامر [5] الكهنوتية ، وكتاب بذر الزروع ، وكتاب الآلات ، وكتاب القصائد ؛ وكتاب تكوين العالم ، وكتاب الايادي ، وكتاب المروءة ، وكتب اخرى كثيرة تشاكل هذه الكتب مما اختلق حديثاً ؛ فيسعد سعادة الابد .

وقال :وأما الرجال الائمة الذين اختلقوا هذه الكتب الكاذبة التي ذكرناها فانهم على ما ادت الينا الروايات : ارسطيبوس الحدث ، ونقوس الذي كان يكنى عين الناقص ، ورجل من اهل اقريطية [6] يقال له قونيوس ، وماغيالوس ، وفوخجواقا مع آخرين اطغى منهم . وكان الذي دعاهم الى اختلاق هذه الكتب الكاذبة على لسان فيثاغورس الفيلسوف واسمه ، كي يقبلوا عند الاحداث بسببه فيكرموا او يؤثروا ويواسوا .

---

(١) هو ارخيتاس Archytas ولد في طارنطا (ايطاليا سنة ٤٣٠ ق م) وهو فيلسوف على المذهب الفيثاغوري ينسب اليه اختراع البرغي وبكرة الدلو وعالم بالحساب ميز بين المتواليتين الحسابية والهندسية .

(٢) جمع مخراق وهو المتصرف بالامور او الذى لا يقع في أمر الا عرف كيف يخرج منه .

(٣) واحدها صنج وهي صفيحة مدورة من نحاس اصفر تضرب على اخرى للطرب .

(٤) آلات الطرب كالطنبور والعود والقيثارة

(٥) التراتيل الكنسية واحدها ميمر (سريانية) .

(٦) جزيرة كريت (ن د) .

فأما كتب الحكيم التي لا ريب فيها فهي مائتان وثمانون كتاباً ، وقد كانت منسية ، حتى جاء للكيان بقوم حكماء ذوي نية وورع فحصلوها وجمعوها وألفوها . ولم تكن قبل ذلك مشهورة ببلدة لكنها كانت مخزونة في ايطاليا .

وقال فلوطرخس ان فيثاغورس اول من سمى الفلسفة بهذا الاسم. ومما يوجد لفيثاغورس من الكتب : كتاب الارثماطيقي ؛ كتاب الالواح ، كتاب في النوم واليقظة ؛ كتاب في كيفية النفس والجسد ، رسالة الى متمرد صقلية ، الرسالة الذهبية وسميت بهذا الاسم لان جالينوس كان يكتبها بالذهب اعظاماً لها واجلالا وكان يواظب على دراستها وقراءتها في كل يوم ؛ رسالة الى سقايس في استخراج المعاني ، رسالة في السياسة العقلية وقد تماب هذه الرسالة بتفسير امليخس ؛ رسالة الى فيمدوسيوس .

سقراط

قال القاضي صاعد في طبقات الامم :

ان سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس . اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية ، واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها ، واعلن بخالفة اليونانيين في عبادتهم الاصنام ، وقابل رؤساءهم بالحجاج والأدلة الألهية فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى قتله ، فاودعه الملك الحبس تحمداً اليهم، ثم سقاه السم تفادياً من شرهم . ومن آثاره مناظرات جرت له مع الملك محفوظة ، وله وصايا شريفة ، وآداب فاضلة ، وحكم مشهورة ، ومذاهب في الصفات قريبة من مذاهب فيثاغورس وبندقليس ، الا ان له في شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحققة . »

وقال الامير المبشر بن فاتك في كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم » : معنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل ، وهو ابن سفرونسقس [1] ، ومولده ومنشأه ومنبته بأثينية . وخلف من الولد ثلاثة ذكور ، ولما الزم التزويج على عاداتهم الجارية في الزام الافاضل بالتزويج ليبقى نسله بينهم ، طلب تزويجه المرأة السفيهة التي لم يكن في بلده أسلط منها ، ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها ، ليقدر ان يحتمل جهل العامة والخاصة .

وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغاً اضر بمن بعده من محبي الحكمة ، لانه كان من رأيه ان لا تستودع الحكمة الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلك . ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة ، غير فاسدة ولا دنسة ، فلا ينبغي لنا ان نستودعها الا الانفس الحية ، وننزهها عن الجلود الميتة ، ونصونها عن القلوب

---

(١) وكان نحاتاً .

المتمردة . ولم يصنف كتاباً ولا املى على احد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس ؛ وانما كان يلقنهم علمه تلقيناً لا غير . وتعلم ذلك من استاذه طيماثاوس فإنه قال له في صباه . «هلا تدعني أدوّن ما اسمع منك من الحكمة ؟ » فقال له : « ما أوثقك بجلود البهائم الميتة ، وأزهدك في الخواطر الحية ! هب ان انساناً لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم ، هل كان يحسن ان تحيله على الرجوع الى منزلك ، والنظر في كتبك ؟ فان كان لا يَحْسُن فالزم الحفظ . » فلزمها سقراط .

وكان سقراط زاهداً في الدنيا قليل المبالاة بها ، وكان من رسوم ملوك اليونانيين اذا حاربوا أخرجوا حكماءهم معهم في اسفارهم . فاخرج الملك سقراط معه في سفرة خرج فيها لبعض مهماته ، فكان سقراط يأوي في عسكر ذلك الملك الى زير [1] مكسور يسكن فيه من البرد ، واذا طلعت الشمس خرج منه فجلس عليه يستدفيء بالشمس . ولاجل ذلك سمي سقراط الحب .

فمر به الملك يوماً وهو على ذلك الزير فوقف عليه ، وقال : ما لنا لا نراك يا سقراط ، وما يمنعك من المسير الينا ؟ فقال : « الشغل أيها الملك » فقال : بماذا ؟ قال : بما يقيم الحياة ، قال : فصِر الينا فان هذا لك عندنا معد ابداً . قال : لو علمت ايها الملك أني اجد ذلك عندك لم أدَعه . قال : بلغني انك تقول ان عبادة الاصنام ضارة . قال : لم اقل هكذا ! قال : فكيف قلت ؟ قال : انما قلت ان عبادة الاصنام نافعة للملك ضارة لسقراط ، لأن الملك يصلح بها رعيته ويستخرج بها خراجه ، وسقراط يعلم انها لا تضره ولا تنفعه ؛ اذ كان مقراً بأن له خالقاً يرزقه ويجزيه بما قدم من سيء أو حسن . قال: فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم . تصرف عنان دابتك عني فقد سترتني جيوشك من ضوء الشمس .

فدعا الملك بكسوة [2] فاخرة من ديباج [3] وغيره ، وبجوهر ودنانير كثيرة ليجيزه بذلك . فقال له سقراط : ايها الملك وعدت بما يقيم الحياة ، وبذلت ما يقيم الموت ، ليس لسقراط حاجة الى حجارة الارض ، وهشيم النبت ولعاب الدود . والذي يحتاج اليه سقراط هو معه حيث توجه .

وكان سقراط يرمز في كلامه مثل ما كان بفعل فيثاغورس . فمن كلامه المرموز قوله :

«عندما فتشت عن علة الحياة ألفيت [4] الموت ؛ وعندما وجدت الموت عرفت حينئذ كيف ينبغي لي ان أعيش . أي ان الذي يريد ان يحيا حياة الهية ، ينبغي ان يميت جسمه من جميع الافعال الحسيّة على قدر القوّة التي منحها ، فإنه حينئذ يتهيأ له بان يعيش حياة الحق ».

وقال : تكلم بالليل حيث لا يكون أعشاش الخفافيش . أي ينبغي ان يكون كلامك عند خلوتك

---

(١) الدن وهو الراقود العظيم كالحب اي الجرة العظيمة .

(٢) اللباس . (٣) ثوب لحمته وسداه حرير .

(٤) وجدت .

لنفسك ، وان تجمع فكرك ؛ وامنع نفسك ان تتطلع في شيء من امور الهيولانيات [1] .

وقال : أسدد الخمس الكوى ليضيء مسكن العلة ، اي اغمض حواسك الخمس عن الجولان فيما لا يجدي لتضيء نفسك .

وقال : املأ الوعاء طيباً . أي أوع عقلك بياناً وفهما وحكمة .

وقال : افرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة . اي اقص عن قلبك جميع الآلام العارضة ، في الثلاثة الاجناس من قوى النفس ، التي هي أصل جميع الشر .

وقال : لا تأكل الأسود الذنب . اي احذر الخطيئة .

وقال : لا تتجاوز الميزان ، أي لا تتجاوز الحق .

وقال : عند الممات لا تكن نملة ، أي في وقت اماتتك لنفسك لا تقن ذخائر الحس .

وقال : ينبغي ان تعلم انه ليس زمان من الأزمنة يفقد فيه زمان الربيع . اي لا مانع لك في كل زمان من اكتساب الفضائل .

وقال : افحص عن ثلاثة سبل فاذا لم تجدها فارض ان تنام لها نومة المستغرق . أي ، افحص عن علم الاجسام ، وعلم ما لا جسم له ، وعلم الذي وان كان لا جسم له فهو موجود مع الاجسام ، وما اعتاص [2] منها عليك فارض بالامساك عنه .

وقال : ليست التسعة بأكمل من واحد .اي العشرة هي عقد من العدد وهي اكثر من تسعة، وانما تكمل التسعة لتكون عشرة بالواحد ، وكذلك الفضائل التسع تتم وتكمل بخوف الله عز وجل ومحبته ومراقبته

وقال اقتن بالاثني عشر إثني عشر. يعني بالاثني عشر عضواً التي بها يكتسب البر والاثم اكتسب الفضائل وهي : العينان ، والاذنان ، والمنخران ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والفرج ؛ وايضاً بالاثني عشر شهراً اكتسب انواع الاشياء المحمودة المكملة للانسان في تدبيره ومعرفته في هذا العالم .

وقال:ازرع بالاسود واحصد بالابيض . أي ازرع بالبكاء واحصد بالسرور .

وقال لا تشيلن الاكليل وتهتكه ؛ أي للسنن الجميلة لا ترفضها لانها تحوط جميع الامم كحياطة الاكليل للرأس .

وكان أهل دهره لما سألوه عن عبادة الاصنام صدهم عنها وأبطلها ونهى الناس عن عبادتها. وأمرهم بعبادة الاله الواحد الصمد البارىء الخالق للعالم بمـــا فيه الحكيم القدير ، لا الحجر المنحوت الذي لا

---

(١) الاصل والمادة

(٢) عصاك .

ينطق ولا يسمع ولا يحس بشيء من الآلات . وحض الناس على البر وفعل الخيرات. وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن الفواحش والمنكرات ، في ثقته من أهل زمانــه ، ولم يقصد استكمال صواب التدابير لعلمه بانهم لا يقبلون ذلك منة . فلما علم الرؤساء في وقته من الكهنة والاراكنة [٢] ما رامه من دعوته،وأن رأيه نفي الاصنام ورد الناس عن عبادتها ، شهدوا عليه بوجوب القتل . وكان الموجبون عليه القتل قضاة اثينس [٣] الاحد عشر . وسقي السم الذي يقال له قونيون ، لان الملك، لما اوجب القضاة عليه القتل ، ساءه ذلك ولم يمكنه مخالفتهم ، فقال له : اختر أي قتلة شئت ؟ فقال له : بالسم ، فاجابه الى ذلك .

والذي أخر قتل سقراط شهوراً بعدما أوجبوه عليه منه ، ان المركب الذي كان يبعث به في كل سنة الى هيكل افولون ، ويحمل اليه ما يحمل ،عرض له حبس شديد لتعذر الرياح ، فأبطأ شهوراً . وكان من عادتهم ان لا يراق دم ولا غيره حتى يرجع المركب من الهيكل الى اثينس .

وكان اصحابه يختلفون اليه في الحبس طول تلك المدة ، فدخلوا اليه يوماً فقال له أقريطون منهم: « ان المركب داخل غداً او بعد غد ، وقد اجتهدنا في ان ندفع عنك مالاً الى هؤلاء القوم وتخرج سراً فتصير الى رومية فتقيم بها حيث لا سبيل لهم عليك » فقال له : « قد تعلم انه لا يبلغ ملــكي أربعمائة درهم » .

فقال له أقريطون : « لم أقل لك هذا القول على انك تغرم شيئاً لانا نعلم انه ليس في وسعك ما سأل القوم ، ولكن في أموالنا سعة لذلك وأضعافــه ، وانفسنا طيبة بأدائه لنجاتك ، وان لا نفجع بك .

قال له سقراط : « يا أقريطون هذا البلد الذي فعل بي ما فعل هو بلدي وبلد جنسي ، وقد نالني فيه من حبسي ما رأيت ، وأوجب علي فيه القتل . ولم يوجب ذلك علي لامر استحققته ، بل لمخالفتي الجور ، وطعني على الافعال الجائرة وأهلها ؛ من كفرهم بالباري سبحانه ، وعبادتهم الاوثان من دونه. والحال التي أوجب علي بها عندهم القتل هي معي حيث توجهت . واني لا أدع نصرة الحق ، والطعن على الباطل والمبطلين حيث كنت. وأهل رومية أبعد مني رحماً من اهــل مدينتي . فهذا الأمر اذا كان باعثه علي الحق ونصرة الحق حيث توجهت ، فغير مأمون علي هناك مثـــل الذي انا فيه . قال له أقريطون : « فتذكر ولدك وعيالك وما تخلف عليهم من الضيعة » .

فقال له : « الذي يلحقهم برومية مثل ذلك ، الا انكم ههنا ، فهم احرى ان لا يضيعوا معكم .

ولما كان اليوم الثالث بكر تلاميذه اليه على العادة ، وجاء قيم السجن ففتح الباب ، وجاء القضاة الأحد عشر فدخلوا اليه ، وأقاموا ملياً . ثم خرجوا من عنده وقد أزالوا الحديد عن رجليه. وخرج

---

(٢) واحدها أركون وهو دهقان القرية العظيم

(٣) اي أثينا .

السجان الى تلاميذه ، فأدخل بهم اليه فسلموا عليه وجلسوا عنده . فنزل سقراط عن السرير وقعد على الارض ثم كشف عن ساقيه فمسحها وحكهما ، وقال : « ما اعجب فعل السياسة الالهية حيث قرنت الاضداد بعضها ببعض ، فانه لا يكاد ان تكون لذة إلا يتبعها ألم ، ولا ألم إلا يتبعه لذة .

وصار هذا القول سبباً لدوران الكلام بينهم ، فسأله سيمياس وفيدون عن شيء من الافعال النفسية . وكثرت المذاكرة بينهم حتى استوعب الكلام في النفس بالقول المتقن المستقصى . وهو على ما كان يعهد عليه في حال سروره وبهجته ومرحه في بعض المواضع . والجماعة يتعجبون من صرامته وشدة استهانته بالموت . ولم ينكل عن تقصي الحق في موضعه ، ولم يترك شيئاً من اخلاقه واحوال نفسه التي كان عليها في زمان امنه من الموت . وهم من الكمد والحزن لفراقه على حال عظيمة . فقال له سيمياس :

« ان في التقصي في السؤال عليك مع هذه الحال لثقلاً علينا شديداً ، وقبحاً في العشرة ، وان الامساك عن التقصي في البحث لحسرة غداً عظيمة ، مع ما نعدم في الارض من وجود الفاتح لما نريد.

قال له سقراط : « يا سيمياس ، لا تدعن التقصي لشيء اردته ، فان تقصيك لذلك هو الذي أسر به ، وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال الاخرى فرق في الحرص على تقصي الحق ، فإنا وإن كنا نعدم اصحاباً ورفقاء اشرافاً محمودين فاضلين ، فإنا ايضاً إذ كنا معتقدين ومتيقنين للأقاويل التي لم تزل تسمع منا ، فانا ايضاً نصير الى اخوان اخر فاضلين اشراف محمودين،منهم اسلاوس وأيارس وارقيلس ، وجميع من سلف من ذوي الفضائل النفسانية .

ولما تصرم القول في النفس وبلغوا فيها الغرض الذي اراد ، وسألوه عن هيئة العالم وحركات الافلاك وتركيب الاسطقسات[1] ، فأجابهم عن جميعه . ثم قص عليهم قصصاً كثيرة من العلوم الالهية والاسرار الربانية . ولما فرغ من ذلك قال :

« اما الآن فأظنه قد حضر الوقت الذي ينبغي لنا ان نستحم فيه ونصلي ما امكننا ولا نكلف احداً احمام الموتى ، فان الارماماني قد دعانا ونحن ماضون الى زواس ، وأما أنتم فتنصرفون الى اهاليكم » .

ثم نهض ودخل بيتاً واستحم فيه ، وصلى وأطال اللبث[2] ، والقوم يتذاكرون عظيم المصيبة بما نزل به وبهم من فقده ، وانهم يفقدون فيه حكيماً عظيماً وأباً شفيقاً ، ويبقون بعده كاليتامى . ثم خرج فدعا بولده ونسائه ، وكان له ابن كبير وابنان صغيران ، فودعهم ووصاهم وصرفهم . فقال له اقريطون :

« فما الذي تأمرنا ان نفعله في اهلك وولدك وغير ذلك من امرك » ؟

---

(١) واحدها اسطقس دخيلة يونانية ومعناها الاصل .

(٢) المكوث .

قال : « لست آمركم بشيء جديد ، بل هو الذي لم ازل آمركم به قديماً من الاجتهاد في اصلاح انفسكم ، فانكم اذا فعلتم ذلك فقد سررتموني وسررتم كل من هو مني بسبيل » .

ثم سكت ملياً وسكتت الجماعة .

واقبل خادم الاحد عشر قاضياً فقال له : يا سقراط ! انك جريء مع ما اراه منك ، وانك لتعلم اني لست علة موتك ، وان علة موتك القضاة الاحد عشر ، وأنا مأمور بذلك مضطر اليه، وانك افضل من جميع من صار الى هذا الموضع فاشرب الدواء بطيبة نفس ، واصبر على الاضطرار اللازم ». ثم ذرفت عيناه وانصرف . فقال سقراط : « نفعل وليس انت بملوم » . ثم سكت هنيهة والتفت الى اقريطون فقال : « مر الرجل ان يأتيني بشربة موتي » . فقال للغلام : « ادع الرجل » فدعاه ، فدخل ومعه الشربة منه فشربها . فلما رأوه قد شربها غلبهم من البكاء والاسف ما لم يملكوا معه انفسهم ، فعلت اصواتهم بالبكاء فأقبل عليهم سقراط يلومهم ويعظهم . وقال :

« انما صرفنا النساء لئلا يكون منهن مثل هذا » . فأمسكوا استحياء منه ، وقصداً للطاعة له ، على مضض شديد منهم في فقد مثله . وأخذ سقراط في المشي والتردد هنيهة ، ثم قال للخادم : قد ثقلت رجلاي علي . فقال له : استلق . فاستلقى: وجعل الغلام يجس قدميه ويغمزهما ويقول له : هل تحس غمزي لهما ؟ قال : لا . ثم غمز غمزاً شديداً ، فقال له : هل تحس ؟ فقال : لا . ثم غمز ساقيه وجعل يسأله ساعة بعد ساعة ، وهو يقول لا ، وأخذ يجمد اولاً فأولاً ويشتد برده ، حتى انتهى ذلك الى حقويه فقال الخادم لنا اذا انتهى البرد الى قلبه مضى . فقال له اقريطون : يا امام الحكمة ، ما أرى عقولنا لا تبعد عن عقلك فاعهد لنا . فقال : عليكم بما أمرتكم به اولاً ! ثم مد يده الى يد اقريطون فوضعها على خده فقال له : مرني بما تحب . فلم يجبه بشيء ، ثم شخص ببصره وقال : اسلمت نفسي الى قابض انفس الحكماء . ومات . فأطبق اقريطون عينيه وشد لحييه ، ولم يكن افلاطون حاضراً معهم لأنه كان مريضاً . وذكر ان سقراط هلك عن اثني عشر الف تلميذ وتلميذ تلميذ .

قال المبشر بن فاتك : « وكان سقراط رجلاً ابيض اشقر ازرق ، جيد العظام ، قبيح الوجه ، ضيق ما بين المنكبين ، بطيء الحركة ، سريع الجواب ، شعث [1] اللحية ، غير طويل ، اذا سئل اطرق [2] حيناً ثم يجيب بالفاظ مقنعة . كثير التوحد ، قليل الأكل والشرب . شديد التعبد يكثر ذكر الموت ، قليل الاسفار مجداً لرياضة بدنه ، خسيس الملبس ، مهيباً ، حسن المنطق ، لا يوجد فيه خلل . مات بالسم وله مائة سنة وبضع سنين »

---

(١) متلبدة مغبرة غير منتظمة .

(٢) سكت ولم يتكلم .

أقول : ووجدت في كتاب افلاطن المسمى احتجاج سقراط على اهل أثينية ، وهو يحكي قول سقراط بهذا اللفظ قال : « ما تمنيت مجلس الحكم قط قبل هذه المرة ، على اني قد بلغت من السن سبعين سنة » وهذا الاحتجاج الذي كان بينه وبين اهل أثينية انما كان قبل موته بمدة يسيرة .

ومن خط اسحق [١] بن حنين : « عاش سقراط قريباً مما عاش افلاطن . ومن خط اسحق : « عاش افلاطون ثمانين سنة » . وقال حنين [٢] بن اسحق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكمة » ، انه كان منقوشاً على فص خاتم سقراط « من غاب عقله هواه افتضح » .

ومن آداب سقراط

مما ذكره الامير المبشر بن فاتك في كتابه ، قال سقراط : عجباً لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء

وقال : النفوس اشكال ، فما تشاكل منها اتفق وما تضاد منها اختلف .

وقال : اتفاق النفوس باتفاق همها ، واختلافها باختلاف مرادها .

وقال : النفس جامعة لكل شيء ، فمن عرف نفسه عرف كل شيء ، ومن جهل نفسه جهل كل شيء .

وقال : من بخل على نفسه فهو على غيره ابخل ؛ ومن جاد على نفسه فذلك المرجو جوده .

وقال : ما ضاع من عرف نفسه ، وما اضيع من جهل نفسه .

وقال : النفس الخيرة مجتزئة [٣] بالقليل من الادب ، والنفس الشريرة لا ينجع [٤] فيها كثير من الادب لسوء مغرسها .

وقال : لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف .

وقال : ستة لا تفارقهم الكآبة : الحقود ، والحسود،وحديث عهد بغنى ، وغني يخاف الفقر ، وطالب رتبة يقصر قدره عنها ، وجليس اهل الادب وليس منهم .

وقال : من ملك سره خفي على الناس امره .

وقال : خير من الخير من عمل به ، وشر من الشر من عمل به .

وقال : العقول مواهب ، والعلوم مكاسب . وقال : لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، فكيف

---

(١) هو احد الاطباء السريان في الدولة العباسية . وكان يتقن اللغات .

(٢) اشتغل بصناعة الطب وكان الى جانب ذلك فصيحاً بارعاً في الشعر وقد تتلمذ على الخليل بن احمد .

(٣) مكتفية .

(٤) يفيد . (ن . ر) .

بك اذا كنت لا يأمنك صديقك . وقال : اتقوا من تبغضه قلوبكم ، وقال : الدنيا سجن لمن زهد فيها وجنة لمن احبها . وقال : لكل شيء ثمرة ، وثمرة قلة القنية [1] تعجيل الراحة ، وطيب النفس الزكية .

وقال : الدنيا كنار مضرمة على محجة [2] ، فمن اقتبس منها ما يستضيء به في طريقه سلم من شرها ، ومن جلس ليحتكر منهـــا احرقته بحرها . وقال : من اهتم بالدنيا ضيع نفسه ، ومن اهتم بنفسه زهد في الدنيا. وقال : طالب الدنيا ان نال ما امل تركه لغيره ، وان لم ينل ما امله مات بغصته .

وقال : لا تردّن على ذي خطأ خطأه فانه يستفيد منك علماً ويتخذك عدواً .

وقيل لسقراط : ما رأيناك قط مغموماً ! فقـــال : لانه ليس لي شيء متى ضاع مني وعدمته اغتممت عليه. وقال : من احب ان لا تفوته شهرته فليشته ما يمكنه .

وقال : أثن على ذي المودة خيراً عند من لقيت ، فأن رأس المودة حسن الثناء ، كما ان رأس العداوة سوء الثناء. وقال : اذا وليت امراً فأبعد عنك الاشرار ، فان جميع عيوبهم منسوبة اليك . وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق : اما تأنف يا سقراط من خساسة جنسك ؟ فأجابه : جنسك عندك انتهى ، وجنسي مني .

وقال : خير الامور اوسطها . وقال : انما اهل الدنيا كصور في صحيفة ، كلما نشر بعضها طوي بعضها . وقال : الصبر يعين على كل عمل . وقال : من اسرع يوشك ان يكثر عثاره . وقال : اذا لم يكن عقل الرجل اغلب الاشياء عليه كان هلاكه في اغلب الاشياء عليه . وقال : لا يكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم . وقال: كن مع والديك كما تحب ان يكون بنوك معك . وقال : ينبغي للعاقل ان يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض . وقـــال: طالب الدنيا قصير العمر كثير الفكر . وكان يقول : القنية مخدومة ومن خدم غير ذاته فليس بحر .

وقيل له: ما اقرب شيء ؟ فقال : الأجل . وما ابعد شيء ؟ فقال : الامل . وما آنس شيء ؟ فقال : الصاحب المؤاتي . وما اوحش شيء ؟ قال : الموت .

وقال من كان شريراً فالموت سبب راحة العالم من شره .

وقال : انما جعل للانسان لسان واحد واذنان ، ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به .

وقال : الملك الاعظم هو الغالب لشهواته . وقيل له أي الأشياء الذ ؟ فقال : استفادة الادب ، واستماع اخبار لم تكن سمعت .

وقال : انفس ما لزمه الاحداث الادب ، واول نفعه لهم انه يقطعهم عن الافعال الرديئة .

---

(١) ما تقتنيه.

(٢) المكان الغائر .

وقال : انفع ما اقتناه الانسان الصديق المخلص . وقـــال : الصامت ينسب الى العي ويسلم ، والمتكلم ينسب الى الفضول ويندم . وقال:استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه . وقيل : له مـــا القنية المحمودة ؟ فقال : ما ينمو على الاتفاق.

وقال : المشكور من كتم سراً لمن يتكتمه ، واما من استكتم سراً فذلك واجب عليه .

وقال : اكتم سر غيرك كما تحب ان يكتم غيرك سرك . واذا ضـاق صدرك بسرك فصدر غيرك بـــه اضيق .

وقيل له : لم صار العاقل يستشير ؟ فقال:العلة في ذلك تجريد الرأي عن الهوى ، وانمـــا استشار تخوفاً من شوائب [١] الهوى . وقال . من حسن خلقه طابت عيشته ، ودامت سلامته ، وتأكدت في النفوس محبته ؛ ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ، ودامت بغضته ، ونفرت النفوس منـــه . وقال : حسن الخلق يغطي غيره من القبائح ، وسوء الخلق يقبح غيره من المحاسن . وقال : رأس الحكمة حسن الخلق . وقال : النوم موتة خفيفة ، والموت نوم طويل .

وقال لتلميذ له : لا تركنن [٢] الى الزمان فانه سريع الخيانة لمن ركن اليه . وقال : من سره الزمان في حال ساءه في اخرى .

وقال : من الهم نفسه حب الدنيا امتلأ قلبه من ثلاث خلال : فقر لا يدرك غناه ، وامل لا يبلغ منتهاه ، وشغل لا يدرك فناه . وقال : من احتجت ان تستكتمه سرك فلا تسره اليه .

وسئل سقراط : لم صار ماء البحر مالحاً ؟ فقال للذي سأله : ان اعلمتني المنفعة التي تنالك من علم ذلك اعلمتك السبب فيه .

وقال : لا ضر [٣] أضر من الجهل ، ولا شر أشر من النساء .

ونظر الى صبية تتعلم الكتابة فقال : لا تزيدوا الشر شراً ، وقال : من اراد النجاة من مكائـد الشيطان فلا يطيعن امرأة، فإن النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة إلا بالصعود عليه .وقال لتلميذه: يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لهن كأكل الميتة ، لا تأكل منها إلا عند الضرورة ، فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق [٤] ، فإن اخذ آخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته . وقيل له : ما تقول في النساء ؟فقال : هن كشجر الدفلى له رونق وبهاء ، فاذا أكله الغر قتله . وقيل له : كيف يجوز لك ان تذم النساء ولولاهن لم تكن انت ولا امثالك من الحكماء ؟ فقال : انما المرأة مثل النخلة ذات السلاع [٥] ، ان دخل في بدن انسان عقره ، وحملها الرطب الجني .

---

(١) العيوب والادناس .

(٢) مال اليه ووثق به . (٣) ضد النفع : الضيق وسوء الحال .

(٤) بقية الروح .

(٥) السلاع : جمع سلعة واصلها الشجه في الرأس كائنة ما كانت وشبه بها عقد جذع النخلة .

وقال له أرشيجانس : ان الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل ! فقال : ليس يكربني [١] ان يكون لا يقبل ، وأنما يكربني ان لا يكون صواباً . وقال : من لا يستحي فلا تخطره ببالك . وقال : لا يصدنك عن الاحسان جحود جاحد للنعمة . وقال : الجاهل من عثر بحجر مرتين . وقال: كفى بالتجارب تأديباً ، وبتقلب الايام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة . وقال : اعلم انك في أثر من مضى سائر ، وفي محل من فات مقيم ، والى العنصر الذي بدأت منه تعود .

وقال : لأهل الاعتبار في صروف الدهر كفاية ، وكل يوم يأتي عليه منه علم جديد . وقال : بعوارض الآفات تكدر النعم على المتنمين ، وقال : من قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه وصفا ذهنه . وقال: من لم يشكر على ما انعم به عليه ، اوشك ان لا تزيد نعمته . وقال : رب متحرز [٢] من الشيء تكون منه آفته .

وقال : داووا الغضب بالصمت . وقال : الذكر الصالح خير من المال ، فان المال ينفذ والذكر يبقى ؛ والحكمة غنى لا يعدم ولا يضمحل ، وقال : استحب الفقر مع الحلال عن الغنى مع الحرام . وقال: افضل السيرة طيب المكسب وتقدير الانفاق.وقال:من يجرب يزدد علماً، ومن يؤمن يزدد يقيناً، ومن يستيقن يعمل جاهداً ، ومن يحرص على العمل يزدد قوة ، ومن يكسل يزدد فترة ، ومن يتردد يزدد شكاً .

وان لسقراط بيتاً وزن بالعربية :

انما الدنيا وإن ومقت [٣] خطرة [٤] من لحظ [٥] ملتفت

وقال : ما كان في نفسك فلا تبده لكل احد ، فما أقبح ان تخفي الناس أمتعتهم في البيوت ويظهرون ما في قلوبهم .

قال : لولا ان في قولي انني لا أعلم إخباراً اني أعلم لقلت اني لا اعلم . وقال : القنية ينبوع الاحزان ، فلا تقتنوا الأحزان . وكان يقول قللوا القنية تقل مصائبكم .

وينسب الى سقراط من الكتب رسالة الى اخوانه في المقايسة بين السنة والفلسفة ؛ كتاب معاتبة النفس ؛ مقالة في السياسة . وقيل ان رسالته في السيرة الجميلة هي صحيح له .

أفلاطون

يقال فلاطن وافلاطن وأفلاطون . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل في كتابه :

---

(١) يشق علي ، ويغمني .
(٢) المتوقي .
(٣) أحببت . (٤) لمحة خاطفة . (٥) عين .

« افلاطن الحكيم من اهل مدينة أثينيا ، رومي فيلسوف يوناني طبي ؛ عالم بالهندسة وطبائع الأعداد ، وله في الطب كتاب بعثه الى طياوس تلميذه ؛ وله في الفلسفة كتب واشعار ، وله في التأليف كلام لم يسبقه احد اليه ، استنبط به صنعة الديباج ، وهو الكلام المنسوب الى الخمس النسب التأليفية التي لا سبيل الى وجود غيرها في جميع الموجودات المؤتلفات . فلما أحاط علماً بطبائع الأعداد ومعرفة الخمس النسب التأليفية استشرف الى علم العالم كله ، وعرف موانع الاجزاء المؤتلفات المتزجات باختلاف الوانها واصباغها ، وائتلافها على قدر النسبة ، فوصل بذلك الى علم التصوير ، فوضع اول حركة جامعة لجميع الحركات ثم صنفها بالنسبة العددية ، ووضع الاجزاء المؤتلفة على ذلك فصار الى علم تصوير التصويرات . فقامت له صناعة الديباج وصناعة كل مؤتلف بـه . » وألف في ذلك كتاباً .

« وله في الفلسفة كلام عجيب ، وهو ممن وضع لاهل زمانه سنناً وحدوداً . وله كتاب السياسة في ذلك ، وكتاب النواميس . وكان في دولة دارابطو [1] ، وهو والد دارا الذي قتله الاسكندر ، فكان بعد ابقراط في دولة والد الاسكندر،فيليبس[2]. وكانت الفرس يومئذ تملك الروم واليونانيين.»

وقال المبشر بن فاتك ، في « كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « معنى أفلاطون وتفسيره في لغتهم : العميم الواسع . وكان اسم أبيه ارسطن، وكان ابواه من اشراف اليونانيين من ولد اسقليبيوس جميعاً ، وكانت امه خاصة من نسل سولون [3] صاحب الشرائع .

«وكان قد اخذ في اول امره في تعلم علم الشعر واللغة، فبلغ في ذلك مبلغاً عظيما الى ان حضر يوماً سقراطيس وهو يثلب [4] صناعة الشعر ، فاعجبه ما سمع منه ، وزهد فيما كان عنده منه ، ولزم سقراط وسمع منه خمس سنين . ثم مات سقراط ، فبلغه ان بمصر قوماً من أصحاب فيثاغورس ، فسار اليهم حتى اخذ عنهم، وكان يميل في الحكمة، قبل ان يصحب سقراط، الى رأي ايرقليطس[5] ، ولما صحب سقراط زهد في مذهب ايرقليطس وكان يتبعه في الاشياء المحسوسة ، وكان يتبع فيثاغورس في الاشياء المعقولة ، وكان يتبع سقراطيس في امور التدبير . ثم رجع افلاطن من مصر الى اثينية ، ونصب فيها بيتي حكمة ، وعلم الناس فيها . ثم سار الى سيقليا فجرت له قصة مع ديونوسيوس [6] المتغلب الذي كان بها ، وبلي منه باشياء صعبة ، ثم تخلص منه وعاد الى اثينية ، فسار فيهم احسن سيرة ، وارضى الجميع ، وأعان الضعفاء . وراموه ان يتولى تدبير امورهم فامتنع لانـه

---

(١) هو داريوس الثاني ملك الفرس (٤٢٤ - ٤٠٦) وقد ساعد اسبارطه ضد اليونان .

(٢) هو ملك مقدونيا ووالد الاسكندر الكبير ولد سنة ٣٨٢ .

(٣) احد حكماء اثينية السبعة وهو مشترع عظيم (٦٤٠ – ٥٥٨ ق م)

(٤) يعيب ويلوم ويثلم .

(٥) فيلسوف يوناني (٥٧٦ – ٤٨٠ ق م) وكانت النار عنده العنصر الاولى للمادة الخاضعة لتحول دائم .

(٦) طاغية سيرقوزه (سقليا) ، (٤٠٥ – ٣٦٧ ق م) وكان لا ينام ليلة في سرير واحد تحرزاً من اعدائه .

وجدهم على تدبير غير التدبير الذي يراه صوابا ، وقد اعتادوه وتمكن من نفوسهم ، فعلم انه لا يمكنه نقلهم عنه ، وانه لو رام نقلهم عما هم عليه لكان يهلك كما هلك استاذه سقراط . على ان سقراط لم يكن قد رام استكمال صواب التدبير .

وبلغ افلاطون من العمر احدى وثمانين سنة ، وكان حسن الاخلاق ، كريم الافعال ، كثير الاحسان الى كل ذي قرابة منه والى الغرباء ، متئداً (١) حليما صبوراً . وكان له تلاميذ كثيرة ، وتولى التدريس بعده رجلان احدهما بأثينية في الموضع المعروف بأقاديميا (٢) وهو كسانو قراطيس ؛ والاخر بلوقين من عمل اثينية ايضاً وهو ارسطوطاليس .

وكان يرمز حكمته ويسترها ويتكلم بها ملغوزة ، حتى لا يظهر مقصده لذوي الحكمة . وكان درسه وتعلمه على طيماوس وسقراطيس وعنهما اخذ اكثر آرائه .

وصنف كتباً كثيرة ، منها ما بلغنا اسمه ستة وخمسون كتاباً ، وفيها كتب كبار يكون فيها عدة مقالات . وكتبه يتصل بعضها ببعض اربعة اربعة يجمعها غرض واحد ، ويخص كل واحد منها غرض خاص يشتمل عليه ذلك الغرض العام ، ويسمى كل واحد منها رابوعاً ، وكل رابوع منها يتصل بالرابوع الذي قبله .

وكان رجلاً اسمر اللون ، معتدل القامة ، حسن الصورة ، تام التخاطيط ، حسن اللحية ، قليل شعر العارضين ، ساكتاً خافضاً ، اشهل العينين براق بياضهما ، في ذقنه الاسفل خال أسود ؛ تام الباع ، لطيف الكلمة ، محباً للفلوات والصحارى والوحدة . وكان يستدل في الحال الاكثر على موضعه بصوت بكائه ، ويسمع منه على نحو ميلين في الفيافي والصحارى .

ومن خط اسحق بن حنين : عاش افلاطون ثمانين سنة . وقال حنين بن اسحق في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء : كان منقوشاً على فص خاتم افلاطون : « تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك »

مواعظ افلاطون

ومن آداب افلاطون ومواعظه ، مما ذكره المبشر بن فاتك رحمه الله في كتابه ، قال افلاطون : « العادة على كل شيء سلطان ، وقال : اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه ، واذا طلبهم فاهرب منه . وقال : من لا يواس الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته .

وقيل له : لم لا تجتمع الحكمة والمال ؟ فقال : لعز الكمال . وسئل : من احق الناس ان يؤتمن على تدبير المدينة ؟ فقال : من كان في تدبير نفسه حسن المذهب .

---

(١) المتأني المتزن

(٢) حدائق كان يجتمع بها الفلاسفة .

وقيل له : من يسلم من سائر العيوب وقبيح الافعال ؟ فقـــال : من جعل عقله امينه ، وحذره وزيره ، والمواعظ زمامه والصبر قائده ، والاعتصام بالتوقي ظهيره [١] ، وخوف الله جليسه ، وذكر الموت انيسه .

وقال : المَلِكُ هو كالنهر الاعظم تستمد منه الانهار الصغار ، فان كان عذباً عذبت ، وان كان مالحاً ملحت .

وقال : اذا اردت ان تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ ابداً ، بل دع فيه فضله [٢] ، تدوم لك اللذة .

وقال : اياك في وقت الحرب ان تستعمل النجدة وتدع العقل ،فان للعقل مواقف قد تتم بلا حاجة الى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل . وقال : غاية الادب ان يستحي المرء من نفسه .وقال: ما ألمت نفسي الا من ثلاث : من غني افتقر ، وعزيز ذل ، وحكيم تلاعبت به الجهال .

وقال : لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم . وقـــال : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجريده ، فان الناس لا يسألون في كم فرغ من هذا العمل : وانما يسألون عن جودة صنعه .

وقال : احسانك الى الحر يحركه على المكافأة ، واحسانك الى الخسيس يحركه علىمعاودة المسألة. وقال:الاشرار يتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم ،كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه . وقال : لا تستصغر عدوك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديرك فيه . وقال:ليس تكمل خيرّية الرجل حتى يكون صديقاً للمتعادين .

وقال:اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرآسة على الناس ، لانهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة تفضلك بما تملك .

وقال : من جمع الى شرف اصله شرف نفسه فقد قضى الحق عليه . واستدعى التفضيل بالحجة ؛ ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم [٣] واستحق ان لا يقدّم بهم على غيره .

وقال : لا تبتاعن مملوكاً قوي الشهوة فان له مولى غيرك ، ولا غضوباً [٤] فانه يقلق في ملكك ، ولا قوي الرأي فيستعمل الحيلة عليك .

وقال : استعمل مع فرط النصيحة ما تستعمله الخونة من حسن المداراة ، ولا تدخل عليـــك العجب [٥] لفضلك على اكفائك فيفسد عليك ثمرة ما فضلت به .

---

(١) المعين .
(٢) ما فضل من الشيء .
(٣) شق طاعتهم وعصاهم .
(٤) السريع الهياج .
(٥) الزهو والتكبر .

وقال : لا تنظر الى احد بالموضع الذي رتّبه فيه زمانه، وانظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي .

وقال : اذا خبث الزمان كسدت [1] الفضائل وضرت ، ونفقت الرذائل ونفعت ، وكان خوف الموسر [2] اشد من خوف المُعسر [3]

وقال لا يزال الجائر ممهلا حتى يتخطى الى اركان العمارة ومباني الشريعة ،واذا اقصد [4] لها تحرك عليه قيّم العالم فأباده . وقال : اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع ، وان خالفها لم يحسن موقعه ممن اريد به . وقال : افضل الملوك من بقي بالعدل ذكره واستملى من اتى بعده بفضائله .

وقال رجل جاهل لأفلاطون : كيف قدرت على كثرة ما تعلمت ؟ فقال : لاني افنيت من الزيت بمقدار ما افنيته انت من الشراب . وقال : عين المحب عمياء عن عيوب المحبوب .

وقال : اذا خاطبت من هو اعلم منك فجرد له المعاني ، ولا تكلف [5] باطالة اللفظ ولا تحسينه ؛ واذا خاطبت من هو دونك في المعرفة فأبسط[6] كلامك ليلحق في اواخره ما اعجزه في أوائله.وقال: الحلم لا ينسب الا الى من قدر على السطوة ، والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعد القدرة .

وقال : العزيز النفس هو الذي يذل للفاقة. وقال: الحسن الخلق من صبر على السيىء الخلق.وقال: اشرف الناس من شرفته الفضائل ، لا من تشرف بالفضائل ، وذلك انمن كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه .

وقال : الحياء اذا توسط اوقف الانسان عما عابه ، واذا افرط اوقفه عما يحتاج اليه ، واذا قصر خلع عنه ثوب التجمل في كثير من احواله .

وقال : اذا حصل عدوك في قدرتك خرج من جملة اعدائك ، ودخل في عدة حشمك .

وقال:ينبغي للمرء ان ينظر وجهه في المرآة ، فان كان حسناً استقبح ان يضيف اليه فعلاً قبيحاً، وان كان قبيحاً استقبح ان يجمع بين قبحين .

وقال:لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شراً وانت لا تدري .

وقال : اذا قامت حجتك في المناظرة على كريم أكرمك ووقرك ، واذا قامت على خسيس عاداك واصطنعها [7] عليك .

---

(١) لم تنفق ،واصل المعنى الفساد .
(٢) الغني
(٣) من قلت ذات يده .
(٤) اي استمر على عملها .
(٥) تولـع .
(٦) جعله بسيطاً سهلا .
(٧) هكذا في الاصل واظنها اضطغنها اي طواها على حقد . (ن . ر)

وقال : من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

وقال انما صار التقليد واجباً في العالم لان الضعف فيه قائم في الناس .

وقال : من تعلم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده ، ومن تعلمه لجدواه [1] انصرف بانصراف الحظ عن اهله الى ما يكسبه .

وقال : ليكن خوفك من تدبيرك على عدوك اكثر من خوفك من تدبير عدوك عليك .

وقال :رب مغبوط بنعمة هي بلاؤه ، ورب محسود على حال هي داؤه .

وقال : شهوات الناس تتحرك بحسب شهوات الملك وارادته .

وقال : ما معي من فضيلة العلم الا علمي باني لست بعالم . وقال : الامل خداع الناس . وقال : احفظ الناموس يحفظك . وقال : اذا صادقت رجلا وجب ان تكون صديق صديقه ، وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه .

وقال : المشورة تريك طبع المستشار . وقال : ينبغي للعاقل ان لا يتكسب الا بأزيد ما فيه ، ولا يخدم الا المقارب له في خلقه .

وقال : اكثر الفضائل مرّةُ المبادي حلوةُ العواقب ، واكثر الرذائل حلوة المبادي مرة العواقب .

وقال : لا تستكثرن من عشرة حملة عيوب الناس ، فانهم يتسقطون [2] ما غفلت عنه وينقلونه الى غيرك كما ينقلون عنه اليك .

وقال:الظفر شافع المذنبين الى الكرماء .

وقال:ينبغي للحازم ان يعد للامر الذي يلتمسه كل ما اوجبه الرأي في طلبه ، ولا يتكل فيه على الأسباب الخارجة عن سعية مما يدعو اليه الأمل وما جرت به العادة ، فانها ليست له وانما هي للاتفاق الذي لا تثق به الحزمة .

وقيل لافلاطون : لم صار الرجل يقتني مالاً وهو شيخ ؟ فقال : لأن يموت الانسان فيخلف مالاً لاعدائه ، خير له من ان يحتاج في حياته الى اصدقائه .

ورأى طبيباً جاهلاً فقال : هذا محب مزعج للموت .

وقال : الافراط في النصيحة يهجم بصاحبها على كثير من الظنة [3] . وقال :ليس ينبغي للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ، ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه .

---

(١) لنفعه وعطائه .

(٢) تسقط الخبر : اخذه شيئاً بعد شيء .

(٣) التهمة . (ن.ر)

وسأله ارسطوطاليس : بماذا يعرف الحكيم انه قد صار حكيما ؟ فقال : اذا لم يكن بما يصيب من الرأي معجباً ، ولا لما يأتي من الأمر متكلفاً ، ولم يستفزه عند الذم الغضب ، ولا يدخله عند المرح النخوة . وسئل : مم ينبغي ان يحترس [1] ؟ فقال : من العدو القادر ، والصديق المكدر ، والمسلط الغاضب . وسئل : اي شيء أنفع للانسان ؟ فقال: ان يعنى بتقويم نفسه اكثر من عنايته بتقويم غيره.

وقال : الشرير العالم يسره الطعن على من تقدمه من العلماء ، ويسوؤه بقاء من في عصره منهم ، لانه يحب ان لا يعرف بالعلم غيره ؛ لان الاغلب عليه شهوة الرئاسة؛ والخيّر العالم يسوؤه فقد احد من طبقته في المعرفة ، لان رغبته في الازدياد واحياء علمه بالذاكرة اكثر من رغبته في الرئاسة والغلبة .

وقال : تبكيت [2] الرجل بالذنب بعد العفو عنه ازراء [3] بالصنيعة ، وانما يكون قبل هبة الجرم له .

وقال : اطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح ، فان الخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة بما تملك ، والجميع بما تعمل .

وسئل افلاطون عند موته عن الدنيا فقال : خرجت اليها مضطراً ، وعشت فيها متحيراً ، وها انا اخرج منها كارهاً ؛ ولم اعلم فيها الا أنني لم اعلم .

كتب افلاطون

ولفلاطن من الكتب : كتاب احتجاج سقراط على أهل اثينية ؛ كتاب فأذن في النفس ؛ كتاب السياسة المدنية ؛ كتاب طيماوس الروحاني في ترتيب العوالم الثلاثة العقلية ، التي هي عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس ؛ كتاب طيماوس الطبيعي ؛ أربع مقالات في تركيب عالم الطبيعة . — كتب بهذين الكتابين الى تلميذ له يسمى طيماوس ، وغرض فلاطن في كتابه هذا ان يصف جميع العلم الطبيعي .

اقول وذكر جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه «من آراء أبقراط وفلاطن» ان كتاب طيماوس قد شرحه كثير من المفسرين وأطنبوا في ذلك ، حتى جاوزوا المقدار الذي ينبغي ما خلا الأقاويل الطبية التي فيه ، فانه قل من رام شرحها ، ومن رام شرحها أيضاً لم يحسن فيما كتب فيها . ولجالينوس كتاب ينقسم الى أربع مقالات فسر فيه ما في كتاب طيماوس من علم الطب .

كتاب الاقوال الافلاطونية ؛ كتاب اونفرن ؛ كتاب اقريطن ؛ كتاب قراطلس ؛ كتاب ثاطيطس؛ كتاب سوفسطس ؛ كتاب فوليطيقوس ؛ كتاب برمينيدس ؛ كتاب فلبس ؛ كتاب سمبوسين ، كتاب

---

(١) يتوقى .
(٢) تعنيف .
(٣) تحقير . (ن.د)

القيبيادس الاول ؛ كتاب القيبيادس الثاني ؛ كتاب أبرخس ؛ كتـــاب ارسطا في الفلسفة ؛ كتاب ثاجيس في الفلسفة ؛ كتاب اوثوديموس ؛ كتاب لاخس في الشجاعة ؛ كتـــاب لوسيس ؛ كتاب افروطاغورس ؛ كتاب غورجياس ؛ كتاب مانون ؛ كتـــابان مسميان أبيا ؛ كتاب أين ؛ كتاب منكسانس ، كتاب فليطفون،كتاب الفلسفي ؛ كتاب أقريطياس ؛ كتاب مينس ؛كتاب أفينومس ؛ كتاب النواميس ؛ إثنا عشر كتاباً في الفلسفة ؛ كتاب فيما ينبغي ؛ كتاب في الاشياء العالية ؛ كتاب خرميدس في العفة ؛ كتاب فدروس ؛ كتاب المناسبات ؛ كتاب التوحيد ؛ كتاب في النفس والعقل والجوهر والغرض ؛ كتاب الحس واللذة ، مقالة ؛ كتاب تأديب الاحداث ووصاياهم ؛ كتـــاب معاتبة النفس ؛ كتاب اصول الهندسة .

ارسطوطاليس [1]

هو ارسطوطاليس بن نيقوماخس الجراسني الفيثاغوري وتفسير نيقوماخس : قاهر الخصم، وتفسير أرسطوطاليس : تام الفضيلة ، حكي ذلك أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي [2] .

كان نيقوماخس فيثاغوري المذهب ، وله تأليف مشهور في الارثماطيقي .

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل في كتابه عن ارسطوطاليس : انه كان فيلسوف الروم وعالمها وجهبذها ونحريرها وخطيبها وطبيبها . قال : وكان أوحد في الطب، وغلب عليه علم الفلسفة .

وقال بطليموس [3] في كتابه الى غلس ، في سيرة ارسطوطاليس وخبره ووصيته وفهرست كتبه المشهورة : إنه كان أصل ارسطوطاليس من المدينة التي تسمى اسطاغيرا [4] ، وهي من البلاد التي يقال لها خلقيديق [5] مما يلي بلاد تراقية [6] بالقرب من اولنثوماثوني ، وكان اسم امه افسطيا . قال:وكان نيقوماخس ابو أرسطوطاليس طبيب امنطس أبي فيلبس ، وفيلبس هـــذا هو أبو الاسكندر الملك ، وكان نيقوماخس يرجع في نسبه الى اسقليبيوس ، وكان اسقليبيوس هذا أبا ماخاون ، وماخاون ابو اسقليبيوس ، وكان اصل امه أفسطيا يرجع في النسبة ايضاً الى أسقليبيوس .

---

(١) فيلسوف يوناني ولد في استاغير Stagire في مقدونيا . وكان مؤدب وصديق الاسكندر الكبير . وهو مؤسس المدرسة المشائية Peripatéticienne (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م).

(٢) مؤرخ وجغرافي عربي نشأ في بغداد .

(٣) فلكي يوناني ولد في مصر في القرن الثاني بعد المسيح وقد سادت نظرياته في الرياضيات والهندسة في العصور الوسطى وهو الذي حد مكان الارض في مركز نصف الكون وقال بأنها ثابتة ولكن نظريته هذه قلبت رأساً على عقب من قبل كوبرنايك .

(٤) مدينة في مقدونيا هي موطن ارسطو .

(٥) خلقيديق : شبه جزيرة في شبه جزيرة البلقان بين خليج البوسفور واورفانو .

(٦) قديماً البلاد الاوربية شمالي اليونان . (ن . ر)

ويقال انه لما توفي نيقوماخس ابوه اسلمه برقسانس ، وكيل ابيه ، وهو حدث لافلاطن .

وقال بعض الناس ان اسلام ارسطوطاليس الى افلاطن انما كان بوحي من الله تعالى في هيكل بوثيون (*) .

وقال بعضهم بل انما كان ذلك لصداقة كانت بين برقسانس وبين فلاطن . ويقال انه لبث في التعليم عن افلاطن عشرين سنة وانه لما عاد افلاطن الى سقلية في المرة الثانية كان ارسطوطاليس خليفته على دار التعليم المسماة أقاديميا ، وانه لما قدم افلاطن من سقلية انتقل ارسطوطاليس الى لوقيون واتخذ هناك دار التعليم المنسوبة الى الفلاسفة المشائين . ثم لما توفي فلاطن سار الى ارمياس الخادم الوالي على أترنوس ، ثم لما مات هذا الخادم رجع الى اثينس وهي التي تعرف بمدينة الحكماء ، فأرسل اليه فيلبس فسار الى مقدونيا فلبث بها يعلم الى ان تجاوز الاسكندر بلاد آسيا ، ثم استخلف في مقدونيا قلسثانس ، ورجع الى اثينا واقام في لوقيون عشر سنين .

ثم ان رجلاً من الكهنة الذين يسمون الكمريين يقال له اوروماذن اراد السعاية بارسطوطاليس ونسبه الى الكفر، وانه لا يعظم الاصنام التي كانت تعبد في ذلك الوقت ،بسبب ضغن (١) كان في نفسه عليه- وقد قص ارسطوطاليس هذه القصة في كتابه الى أنطيطوس — فلما احس ارسطوطاليس بذلك شخص عن اثينا الى بلاده وهي خلقيديق ، لانه كره ان يبتلى اهل أثنية من امره بمثل الذي ابتلوا في أمر سقراطيس معلم افلاطن حتى قتلوه. وكان شخوصه من غير ان يكون احداً اجترأ به ، الى أي شخص على قبول كتاب الكمري وقرفه او ان يناله بمكروه. وليس ما يحكى عن ارسطوطاليس من الاعتذار من قرف الكمري اياه بحق،ولكنه شيء موضوع على لسانه ولما صار ارسطوطاليس الى بلاده اقام بها بقية عمره ، الى ان توفي وهو ابن ثمان وستين سنة .

قال : وقد يستدل بما ذكرنا من حالاته على بطلان قول من يزعم انه انما نظر في الفلسفة بعد ان أتت عليه ثلاثون سنة ، وانه انما كان الى هذا الوقت يلي سياسة المدن لعنايته التي كانت باصلاح امر المدن » .

ويقال ان اهل اسطاغيرا نقلوا بدنه من الموضع الذي توفي فيه (٢) اليهم ، وصيروه في الموضع المسمى الارسطوطاليسي ، وصيروا مجتمعهم للمشاورة في جلائل الامور وما يحزنهم في ذلك الموضع .

وكان ارسطوطاليس هو الذي وضع سنن اسطاغيرا لأهلها ، وكان جليل القدر في الناس . ودلائل ذلك بينة من كرامات الملوك الذين كانوا في عصره له. فأما ما كان عليه من الرغبة في اصطناع المعروف والعناية بالأحسان الى الناس فذلك بين من رسائله وكتبه ، وما يقف عليه الناظر فيها من كثرة توسطه

---

* هكذا في الاصل واظن انه معبد بارثينون وهو هيكل مينرفا في اثينا .

(١) الحقد (٢) انه يدعى قالقيس وهو في جزيرة من جزر الأرخبيل تدعى اليوم نكريبون Negrepont وقديماً أوبي وهاليكارن ، واوريب .

للأمور فيما بين ملوك دهره وبين العوام فيما يصلح به امورهم ويجتلب به المنافع اليهم .

ولكثرة ما عقد من المنن والاحسان ، في هذا الباب ، صار اهل أثينية الى ان اجتمعوا وتعاقدوا على ان كتبوا كتاباً نقشوه في عمود من الحجارة ، وصيروه على البرج العالي الذي في المدينة . وذكروا فيما كتبوا على ذلك العمود ان أرسطوطاليس بن نيقوخامس الذي من أهل أسطاغيرا قد استحق بما كان عليه من اصطناع المعروف وكثرة الايادي والمنن ، وما يخص به أهل اثينية من ذلك ، ومن قيامه عند فيليبس [1] الملك بما اصلح شأنهم وبلغ به الأحسان اليهم، ان يتبين صناعة أهل أثينية عليه بجميل ما أتى من ذلك ، ويقروا له بالفضل والرئاسة ، ويوجبوا له الحفظ والحياطة . وأهل الرئاسات فيهم هو نفسه وعقبه من بعده ، والقيام لهم بكل ما التمسوه من حوائجهم وامورهم .

وقد كان رجل من اهل اثينية يقال له ايماراوس بعد اجتماع اهل اثينية على ما اجتمعوا عليه من هذا الكتاب شذ عن جماعتهم ، وقال بخلاف قولهم في امر ارسطوطاليس ، ووثب على العمود الذي كان قد اجتمع اهل اثينية على ان كتبوا فيه ما كتبوا من الثناء ونصبوه في الموضع الذي يسمى اعلى المدينة ، فرمى به عن موضعه ، فظفر به ، بعد ان صنع ما صنع ، أنطينوس فقتله .

ثم ان رجلاً من اهل اثينية يسمي اصطفانوس وجماعة معه عمدوا الى عمود حجارة فكتبوا فيه من الثناء على ارسطوطاليس شبيهاً بما كان على العمود الاول ، وأثبتوا مع ذلك ذكر ايماراوس الذي رمى بالعمود وفعله ما فعل ، واوجبوا لعنه والبراءة منه .

ولما ان مات فيلبس وملك الاسكندر بعده وشخص عن بلاده لمحاربة الامم ، وحاز بلاد آسيا ، صار ارسطوطاليس الى التبتل [2] والتخلي عما كان فيه من الاتصال بأمور الملوك والملابسة لهم ؛ وصار الى اثينية فهيأ موضع التعليم ، الذي ذكرناه فيما تقدم ، وهو المنسوب الى الفلاسفة المشائين . واقبل على العناية بمصالح الناس ورفد [3] الضعفاء واهل الفاقة، وتزويج الايامى ، وعول [4] اليتامى والعناية بتربيتهم ، ورفد الملتمسين للتعلم والتأدب من كانوا وأي نوع من العلم والادب طلبوا ، ومعونتهم على ذلك وانهاضهم ؛ والصدقات على الفقراء ، واقامة المصالح في المدن . وجدد بناء مدينته وهي مدينة اسطاغيرا، ولم يزل في الغاية من لين الجانب والتواضع وحسن اللقاء للصغير والكبير والقوي والضعيف.

واما قيامه بأمور اصدقائه فلا يوصف ، ويدل على ذلك ما كتبه اصحاب السير واتفاقهم جميعاً على ما كتبوه من خبر ارسطوطاليس وسيرته. وقال الامير المبشر بن فاتك في كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم»: ان ارسطوطاليس لما بلغ ثماني سنين حمله ابوه الى بلاد أثينية، وهي المعروفة ببلاد الحكماء، واقام في لوقين منها فضمه ابوه الى الشعراء والبلغاء والنحويين . فأقام متعلماً منهم تسع سنين ، وكان اسم

---

(١) هو والد الاسكندر الكبير وملك مقدونيا .

(٢) الانقطاع الى الله تعالى . (٣) اعانة واعطاء . (٤) كفالة معاشهم .

هذا العلم عندهم المحيط ، أعني علم اللسان لحاجة جميع الناس اليه ، لأنه الاداة والمراقي الى كل حكمة وفضيلة ، والبيان الذي يتحصل به كل علم . وأن قوماً من الحكماء ازروا بعلم البلغاء واللغويين والنحويين وعنفوا المتشاغلين به ، منهم أبيقورس وفيثاغورس ، وزعموا انه لا يحتاج الى علمهم في شيء من الحكمة لان النحويين معلمو الصبيان ، والشعراء اصحاب اباطيل وكذب ، والبلغاء اصحاب تمحل (١) ومحاباة ومراء .

فلما بلغ ارسطوطاليس ذلك ادركته الحفيظة (٢) لهم ، فناضل عن النحويين والبلغاء والشعراء واحتج منهم ، وقال انه لا غنى للحكمة عن علمهم لان المنطق اداة لعلمهم وقال : « ان فضل الانسان على البهائم بالمنطق . فأحقهم بالانسية ابلغهم في منطقه وأوصلهم الى عبارة ذات نفسه ، وأوضعهم لمنطقه في موضعه ، واحسنهم اختياراً لاوجزه واعذبه . ولأن الحكمة اشرف الاشياء فينبغي ان تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأفصح اللهجة ، واوجز اللفظ الأبعد عن الدَّخَل (٣) والزلل (٤) وسماجة المنطق وقبح اللكنة والعي ، فان ذلك يذهب بنور الحكمة ، ويقطع عن الاداء ، ويقصر عن الحاجة ، ويلبِس (٥) على المستمع ، ويفسد المعاني ، ويورث الشبهة » .

فلما استكمل علم الشعراء والنحويين والبلغاء واستوعبه قصد الى العلوم الاخلاقية والسياسية والطبيعية والتعليمية والالهية ، وانقطع الى افلاطن وصار تلميذاً له ومتعلماً منه ، وله يومئذ سبع عشرة سنة .

قال المبشر بن فاتك : « وكان افلاطن يجلس فيستدعى منه الكلام فيقول : حتى يحضر الناس . فاذا جاء ارسطوطاليس قال تكلموا فقد حضر الناس . وربما قال حتى يحضر العقل ، فاذا حضر ارسطوطاليس قال تكلموا .فقد حضر العقل » . قال : « ولما توفي ارسطوطاليس نقل اهل اسطاغيرا رِمَّته (٦) بعدما بليت ، وجمعوا عظامه وصيروها في اناء من نحاس ودفنوها في الموضع المعروف بالأرسطوطاليسي ، وصيروه مجمعاً لهم يجتمعون فيه للمشاورة في جلائل الامور وما يحزنهم ،ويستريحون الى قبره ويسكنون الى عظامه ، فاذا صعب عليهم شيء من فنون العلم والحكمة آبوا (٧) بذلك الموضع وجلسوا اليه ، ثم تناظروا فيما بينهم حتى يستنبطوا ما اشكل عليهم ، ويصح لهم ما شجر (٨) بينهم . وكانوا يرون ان مجيئهم الى ذلك الموضع الذي فيه عظام ارسطوطاليس يذكي عقولهم ، ويصحح فكرهم

---

(١) الخديعة والكيد .
(٢) الحمية لحرمة تهتك .
(٣) العيب .
(٤) الخطأ .
(٥) يختلط ويخفى .
(٦) العظام البالية .
(٧) قصدوا .
(٨) شجر بينهم الامر : تنازعوا .

ويلطف اذهانهم . وأيضاً تعظيماً له بعد موته ، وأسفاً على فراقه ، وحزناً لاجل الفجيعة به وما فقدوه من ينابيع الحكمة » .

وقال المسعودي [1] في كتاب «المسالك والممالك»: ان المدينة الكبرى التي تسمى بالرم [2] من جزيرة صقلية فيها مسجد الجامع الاكبر ، وكان بيعة للروم ، فيه هيكل عظيم . قال : « وسمعت بعض المنطقيين يقول ان حكيم يونان يعني ارسطوطاليس في خشبة معلق في هذا الهيكل الذي قد اتخذه المسلمون مسجداً ، وان النصارى كانت تعظم قدره وتستشفي به لما شاهدت اليونانية عليه من اكباره واعظامه ، وان السبب في تعليقه بين السماء والارض ما كان الناس يلاقونه عند الاستشفاء والاستسقاء والامور المهمة التي توجب الفزع الى الله تعالى والتقرب اليه في حين الشدة والهلكة وعند وطء بعضهم لبعض » . قال المسعودي : « وقد رأيت هناك خشبة عظيمة يوشك ان يكون القبر فيها » .

وقال المبشر بن فاتك : وكان ارسطوطاليس كثير التلاميذ من الملوك وابناء الملوك وغيرهم ، منهم ثاوفرسطس ، واذيموس ، والاسكندروس الملك ، وارمينوس ، واسخولوس ، وغيرهم من الافاضل المشهورين بالعلم، المبرزين في الحكمة ، المعروفين بشرف النسب . وقام من بعده ليعلم حكمته التي صنفها وجلس على كرسيه وورث مرتبته ابن خالته ثاوفرسطس ، ومعه رجلان يعينانه على ذلك ويؤازرانه ، يسمى احدهما ارمينوس والآخر اسخولوس ، وصنفوا كتباً كثيرة في المنطق والحكمة . وخلف من الولد ابناً صغيراً يقال له نيقوماخس وابنة صغيرة ايضاً ، وخلف مالاً كثيراً وعبيداً واماء كثيرة وغير ذلك » .

قال : « وكان ارسطوطاليس ابيض اجلح قليلاً ، حسن القامة ، عظيم العظام ، صغير العينين ، كث اللحية ، اشهل [3] العينين اقنى [4] الانف صغير الفم ، عريض الصدر ، يسرع في مشيته اذا خلا ويبطىء اذا كان مع اصحابه ، ناظراً في الكتب دائماً لا يهذي ، ويقف عند كل كلمة ، ويطيل الاطراق عند السؤال ، قليل الجواب يتنقل في اوقات النهار في الفيافي ونحو الانهار ؛ محباً لاستماع الالحان والاجتماع باهل الرياضات واصحاب الجدل ، منصفاً من نفسه اذا خصم ، معترفاً بموضع الاصابة والخطأ ، معتدلا في الملابس والمآكل والمشارب والمناكح والحركات ، بيده آلة النجوم والساعات . »

وقال حنين بن اسحق في كتاب «نوادر الفلاسفة والحكماء»: كان منقوشاً على فص خاتم ارسطوطاليس: « المُنْكِرُ لما يَعْلَم أعْلَم من المقرّ بما يعلم » .

(١) مؤرخ وجغرافي نشأ في بغداد وطاف معظم آسيا وافريقيا وتوفي سنة ٩٠٦ .
(٢) عاصمة صقلية فيها آثار يونانية وعربية .
(٣) سواد يشوب زرقة العينين .
(٤) الانف الاقنى ؛ المرتفع وسط القصبة الضيق المنخرين .

وقال الشيخ ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي في تعاليقه : ان ثيوفرسطس كان وصي ارسطوطاليس ، وان ارسطوطاليس عمر احدى وستين سنة.قال : « واما افلاطن فانه عمر كثيراً» .

وقال ابن النديم [1] البغدادي الكاتب في«كتاب الفهرست»: « ان ارسطوطاليس توفي وله ست وستون سنة » .

ومن خط اسحق ولفظه : « عاش ارسطوطاليس سبعاً وستين سنة . »

وقال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب « التعريف بطبقات الامم » : « ان ارسطوطاليس انتهت اليه فلسفة اليونانيين ، وهو خاتم حكمائهم وسيد علمائهم ، وهو اول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالاشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب المنطق . وله في جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة كلية وجزئية. فالجزئية رسائله التي يتعلم منها معنى واحد فقط ، والكلية بعضها تذاكير يتذكر بقراءتها ما قد علم من علمه ، وهي السبعون كتاباً التي وضعها لاوفارس،وبعضها تعاليم يتعلم منها ثلاثة اشياء، احدها علوم الفلسفة ،والثاني اعمال الفلسفة ، والثالث الآلة المستعملة في علم الفلسفة وغيره من العلوم .

فالكتب التي في علوم الفلسفة بعضها في العلوم التعليمية ، وبعضها في العلوم الطبيعية وبعضها في العلوم الآلهية .

فاما الكتب التي في العلوم التعليمية ، فكتابه في المناظر ، وكتابه في الخطوط، وكتابه في الحيل.

واما الكتب التي في العلوم الطبيعية فمنها ما يتعلم منه الامور التي تعم جميع الطبائع ، ومنها ما يتعلم منه الامور التي تخص كل واحد من الطبائع .

فالتي يتعلم منها الامور التي تعم جميع الطبائع هي كتابه المسمى بسمع الكيان ، فهذا الكتاب يعرّف بعدد المبادىء لجميع الاشياء الطبيعية،وبالاشياءالتي هي كالمبادىء ، وبالاشياء التوالي للمبادىء، وبالاشياء المشاكلة للتوالي . اما المبادىء ، فالعنصر والصورة ، واما التي كالمبادىء فليست مبادىء بالحقيقة بل بالتقريب كالعدم ، واما التوالي فالزمان والمكان . واما المشاكلة للتوالي فالخلاء ،الملاء وما لا نهاية له .

واما التي يعلم منها الامور الخاصية لكل واحد من الطبائع فبعضها في الاشياء التي لا كون لها ، وبعضها في الاشياء المكونة .

اما التي في الاشياء التي لا كون لها فالاشياء التي تتعلم من المقالتين الاوليتين من كتاب السماء والعالم.

واما التي في الاشياء المكونة فبعض علمها عامي ، وبعضها خاصي .

---

(١) ولد في بغداد وعاش فيها . وكان من المعتزلة تعاطى مهنة الكتبي او الوراق فلقب بالوراق ، له « الفهرست » وهو يحوي فهرس العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلغة العرب .

والعامي بعضه في الاستحالات ، وبعضه في الحركات .

اما الاستحالات ففي كتاب الكون والفساد ، واما الحركات ففـــي المقالتين الآخرتين من كتاب السماء والعالم .

واما الخاصي فبعضه في البسائط ، وبعضه في المركبات . اما الذي في البسائط ففي كتاب الآثار العلوية ، واما الذي في المركبات فبعضه في وصف كليات الاشياء المركبة ، وبعضه في وصف أجزاء الاشياء المركبة .

أما الذي في وصف كليات المركبات ففي كتاب الحيوان ، وفي كتاب النبات .

واما الذي في وصف اجزاء المركبات ففـــي كتاب النفس ، وفي كتاب الحس والمحسوس ، وفي كتاب الصحة والسقم ، وفي كتاب الشباب والهرم .

واما الكتب التي في العلوم الالهية فمقالاته الثلاث عشرة التي في كتاب ما بعد الطبيعة .

واما الكتب التي في اعمال الفلسفة فبعضها في اصلاح اخلاق النفس ، وبعضها في السياسة .

فاما التي في اصلاح اخلاق النفس فكتابه الكبير الذي كتب به الى ابنه ، وكتابه الصغير الذي كتب به الى ابنه ايضاً ، وكتابه المسمى اوديميا .

واما التي في السياسة فبعضها في سياسة المدن ، وبعضها في سياسة المنزل .

واما الكتب التي في الآلة المستعملة في علوم الفلسفة فهي كتبه الثمانية المنطقية التي لم يسبقه احدممن علمناه الى تأليفها ، ولا تقدمه الى جمعها . وقد ذكر ذلك ارسطوطاليس في آخر الكتاب السادس منها ، وهو كتاب سوفسطيقا . فقال :

« واما صناعة المنطق وبناء السلوجسموس فلم نجد لها فيما خلا اصلاً متقدماً نبني عليه، لكنا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والنصب الطويل. وهذه الصناعة وان كنا نحن ابتدعناها [1] واخترعناها فقد حصنا جهتها ورممنا [2] اصولها ، ولم نفقد شيئاً مما ينبغي ان يكون موجوداً فيها كما فقدت أوائل الصناعات ، ولكنها كاملة مستحكمة مثبتة اسسها مرموقة قواعدها ، وثيق بنيانها ، معروفة غاياتها واضحة اعلامها ، قد قدمت امامها اركاناً ممهدة ودعائم موطدة . فمن عسى ان ترد عليه هـــذه الصناعة بعدنا فليغتفر خللا ان وجده فيها ، وليعتد [3] بما بلغته الكلفة منا اعتداده بالمنة العظيمة واليد الجليلة ، ومن بلغ جهده بلغ عذره » .

وقال ابو نصر الفارابي : ان ارسطوطاليس جعل اجزاء المنطق ثمانية كل جزء منها في كتاب :

الاول : في قوانين المفردات من المعقولات والالفاظ الدالة عليهـــا ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالمقولات وباليونانية القاطاغورياس.

---

(١) انشأ وخلق (٢) اصلح (٣) اصل اعتد : تهيأ وهنا بمعنى الالتفات والاعجاب والتباهي .

والثاني : في قوانين الالفاظ المركبة التي هي المعقولات المركبة من معقولين مفردين ، والألفاظ الدالة عليها المركبة من لفظين ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالعبارة وباليونانية باريمينياس .

والثالث : في الاقاويل التي تميز بها القياسات المشتركة للصنائع الخمس ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالقياس وباليونانية انالوطيقيا الاولى .

والرابع : في القوانين التي تمتحن بها الأقاويل البرهانية ، وقوانين الامور التي تلتئم بها الفلسفة ، وكل ما يصير بها افعالها أتم وافضل واكمل ، وهو بالعربية كتاب البرهان وباليونانية انالوطيقيا الثانية.

والخامس : في القوانين التي تمتحن بها الاقاويل، وكيفية السؤال الجدلي والجواب الجدلي ، وبالجملة، قوانين الامور التي تلتئم بها صناعة الجدل؛ وتصير بها أفعالها أكمل وأفضل وانفذ وهو بالعربية كتاب المواضيع الجدلية وباليونانية طوبيقا .

والسادس : في قوانين الاشياء التي شأنها ان تغلط عن الحق وتحيد . وأحصى جميع الامور التي يستعملها مَن قصده التمويه [1] والمخرقة [2] في العلوم والأقاويل ، ثم من بعدها أحصى ما ينبغي ان تتلقى به الاقاويل المغلطة التي يستعملها المستمع والموه ، وكيف يفتتح وبأي الاشياء يوقع ، وكيف يتحرز الانسان ومن أين يغلط في مطلوباته ، وهـــذا الكتاب يسمى باليونانية سوفسطيقا ومعناه الحكمة المموهة .

والسابع :في القوانين التي يمتحن بها الاقاويل الخطبية ، وأصناف الخطب واقاويل البلغاء والخطباء، هل هي على مذهب الخطابة ام لا ؟ ويحصي فيها جميع الامور التي بها تلتئم صناعة الخطابة ، ويعرف كيف صنعة الأقاويل الخطبية والخطب في فـن من الأمور ، وباي الاشياء تصير أجود وأكمل وتكون افعالها أنفع وابلغ . وهذا الكتاب يسمى باليونانية الريطورية وهي الخطابة .

والثامن : في القوانين التي يشير بها الاشعار وأصناف الأقاويل الشعرية المعمولة والتي تعمل من فن فنٍ من الأمور ، ويحصي ايضاً جميع الأمور التي بها تلتئم صناعة الشعر ، وكم اصنافها ؟ وكم أصناف الاشعار والاقاويل الشعرية ؟ وكيف صنعة كل صنف منها ، ومن اي الأشياء تلتئم وتصير أجود وأفهم ، وابهى آلة؟ وبأي الاحوال ينبغي ان تكون حتى تصير أبلغ وابعد ؟. وهذا الكتاب يسمى باليونانية فويطيقا ، وهو كتاب الشعر .

فهذه جملة اجزاء المنطق وجملة ما يشتمل عليه كل جزء منها ، والجزء الرابع هو اشدها تقدماً للشرف والرآسة . والمنطق انما التمس به على القصد الأول الجزء الرابع ، وباقي اجزائها انمـــا تحمل لأجل الرابع . فأن الثلاثة التي تتقدمه في ترتيب التعليل هي توطئات ومداخل وطرق اليه ،والأربعة الباقية التي تتلوه فلشيئين : احدهما ان في كل واحد منها ارفاداً ما ومعونة على الجزء الرابع ومعونة بعضها اكثر وبعضها أقل .

---

(١) التدليس وهو الاتيان بغير الراهن من الحديث او العمل . (٢) الكذب والاختلاق .

والثاني على جهة التحديد ، وذلك انها لو لم تتميز هذه الصنائع بعضها من بعض بالفعـــل ، حتى تعرف قوانين كل واحد منها على انفرادها متميزة عن قوانين الاخرى لم يأمن الانسان، عند التماس الحق واليقين ، ان يستعمل الاشياء الجدلية من حيث لا يشعر انها جدلية فيعدل من اليقين الى الظنون القوية ، ويكون قد استعمل من حيث لا يشعر اموراً خطبية ، فيعدل به الى الاقناع ، او يكون قد استعمل المغالطات من حيث لا يشعر . واما ان توهمه فيها ليس بحق انه حق فيعتقده ، واما ان يكون قد استعمل الاشياء الشعرية من حيث لا يشعر أنها شعرية ، فيكون قد عمل في اعتقاداته على التخيلات ، وعند نفسه انه سلك في كل هذه الاقوال الطريق الى الحق وصادف متلمسه ، فلا يكون صادقه على الحقيقة .كما ان الذي لا يعرف الأزمنة والأدوية ولا تتميز له السموم عن هذه بالفعل،حتى يتقن معرفتها بعلاماتها ، لم يأمن ان يتناولها على انها داء او دواء ، من حيث لا يشعر ، فيتلف .

وأما على القصد الثاني فانه يكون قد اعطى كل صناعة من الصنائع الاربع جميع ما تلتئم به تلك الصناعة ، حتى يدري الانسان اذا اراد ان يصير جدلياً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي شيء يمتحن ، على نفسه او على غيره ، اقاويله . وليعلم هل سلك فيها طريق الجدل . ويدري اذا اراد ان يصير خطيباً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي الاشياء يمتحن ، على نفسه او على غيره، أقاويله ، ويعلم هل سلك في ذلك طريق الخطابة او اي طريق غيرها . وكذلك يدري اذا اراد ان يصير شاعراً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي الاشياء يمتحن ، على نفسه او على غيره ، من الشعر ، ويدري هل سلك في اقاويله طريق الشعراء او عدل عنه وخلط به طريقاً غيره.وكذلك يدري اذا اراد ان تكون له القدرة على ان يغالط غيره ولا يغالطه احد ، كم شيء يحتاج الى ان يعلمه فيدري بأي الاشياء يمكن ان يمتحن كل قول ، وكل رأي ، فيعلم هل غالط فيه او غولط ، ومن اي جهة كان ذلك .

وصية ارسطوطاليس

قال بطليموس في كتابه الى غلس في سيرة ارسطوطاليس : ولـمـــا حضرت ارسطوطاليس الوفاة اوصى بهذه الوصية التي نحن ذاكروها قال :

« اني جعلت وصيي ابداً في جميع ما خلفت انطيبطرس ، والى ان يُقَدم نيقانر ، فليكن ارسطومانس وطيمارخس وابرخس وديوطالس معتنين بتفقد ما يحتاج الى تفقده والعناية بما ينبغي ان يعنى به من امر أهلي واربليس جاريتي وسائر جواري وعبيدي وما خلفت ، وان سَهُل على ثاورسطس وامكنه القيام معهم في ذلك كان معهم ، ومتى ادركت ابنتي تولى امرها نيقانر ، وان حدث بها حدث الموت قبل انتتزوج او بعد ذلك من غير ان يكون لها ولد فالامر مردود الى نيقانر

في امرها وفي امر ابني نيقوماخس .

«وتوصيتي اياه في ذلك ان يجري التدبير فيما يعمل به في ذلك على ما يشتهي وما يليق به لو كان ابا او اخاً لها ، وان حدث بنيقاتر حدث الموت قبـــل ان تتزوج ابنتي او بعد تزويجها من غير ان يكون لها ولد فأوصى نيقاتر فيما خلفت بوصية فهي جائزة نافذة . وان مات نيقاتر عن غير وصية وسَهُل على ثاوفرسطس وأحبّ ان يقوم في الامر مقامه ، فذلك له في جميع ما كان يقوم به نيقاتر من امر ولدي وغير ذلك مما خلفت ، وان لم يحب ثاوفرسطس القيام بذلك فليرجع الاوصياء الذين سميت الى انطيبطرس ، فيشاوروه فيما يعملون به فيما خلفت ، ويمضوا الامر على ما يتفقون عليه . وليحفظني الاوصياء ونيقاتر في أربليس فانها تستحق مني ذلك،لما رأيت من عنايتها بخدمتي واجتهادها فيما وافقني ويهيئوا لها جميع ما تحتاج اليه وان هي احبت التزويج فلا توضع إلا عنـد رجل فاضل . وليدفع اليها من الفضة ، سوى ما هو لها ، طالنطن واحد وهو مائة وخمس وعشرون رطلاً ، ومن الاماء ثلاث ممن تختار مع جاريتها التي لها وغلامها ، وان هي أحبت المقام بخلقيس فلها السكنى في داري دار الضيافة التي الى جانب البستان ، وان اختارت السكنى في المدينة باسطاغيرا فلتسكن في منازل آبائي ، واي المنازل اختارته فليتخذ الاوصياء لها فيه ما تذكر انها تحتاج اليه مما يرون ان لها فيه مصلحة وبها اليه حاجة .

«اما اهلي وولدي فلا حاجة بي الى ان اوصيهم بأمرهم. وليعن نيقاتر برمقس الغلام حتى يرده الى بلده ، ومعه جميع ما له على الحالة التي يشتهيها . ولتعتق جاريتي امبراقيس ، وان هي بعد العتق اقامت على خدمة ابنتي الى ان تتزوج فليدفع اليهـــا خمسمائة درخمى وجاريتها . ويدفع الى ثاليس الصبية التي ملكناها قريباً غلام من مماليكنا والف درخمى ، ويدفع الى سيمنس ثمن غلام يبتاعه لنفسه غير الغلام الذي كان دفع اليه بثمنه ، ويوهب له سوى ذلك شيء على ما يرى الاوصياء » .

«ومتى تزوجت ابنتي فليعتق غلماني ثاخن وفيلن واولمبوس ، ولا يباع ابن اولمبوس ولا احد ممن خدمني من غلماني ولكن يقرون مماليك في الخدمة الى ان يدركوا مدرك الرجال ، فاذا بلغوا ذلك فليعتقوا ويفعل بهم فيما يوهب لهم حسب استحقاقهم » .

قال حنين بن اسحق في كتاب «نوادر الفلاسفة» : « اصل اجتماعات الفلاسفة انه كانت الملوك من اليونانية وغيرها تعلم اولادها الحكمة والفلسفة ، وتؤدبهم بأصناف الآداب وتتخذ لهم بيوت الذهب المصورة بأصناف الصور . وانما جعلت الصور لارتياح القلوب اليها واشتياق النظر الى رؤيتها . فكان الصبيان يلازمون بيوت الصور للتأديب بسبب الصور التي فيهـــا ، وكذلك نقشت اليهود هياكلها وصورت النصارى كنائسها وبيعها [1] وزوق المسلمون مساجدهم . كل ذلك لترتاح النفوس اليهـــا وتشتغل القلوب بها . فاذا حفظ المتعلم من اولاد الملوك علماً او حكمة او ادباً صعد على درج الى مجلس

(١) المعبد للنصارى واليهود .

معمول من الرخام المصور المنقوش ، في يوم العيد الذي يجتمع فيه اهل المملكة الى ذلك البيت بعد انقضاء الصلاة والتبرك فيتكلم بالحكمة التي حفظها وينطق بالأدب الذي وعاه على رؤوس الاشهاد في وسطهم ، وعليه التاج وحلل الجواهر . ويحيي المعلم ويكرم ويبر ، ويشرف الغلام .ويعد حكيماً على قدر ذكائه وفهمه . وتعظم الهياكل وتستر ويشعل فيهـــا النيران والشمع ، وتبخر بالدخن الطيبة ، ويتزين الناس بانواع الزينة . وبقي ذلك الى اليوم للصابئة والمجوس واليهود والنصارى اثباتات في الهياكل ، وللمسلمين منابر في المساجد » .

قال حنين بن اسحق : « وكان افلاطون المعلم الحكيم في زمن روفسطانيس الملك ، وكان اسم ابنه نطافورس . وكان ارسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سمت به همته الى خدمة افلاطون الحكيم ، فاتخـــذ روفسطانس الملك بيتاً للحكمة ، وفرشه لابنه نطافورس ، وأمر افلاطون بملازمته وتعليمه . وكان نطافورس غلاماً متخلفـــاً قليل الفهم بطيء الحفظ . وكان ارسطوطاليس غلاماً ذكياً فهماً جاداً معبراً ، وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والاداب ، فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان ارسطوطاليس يتلقف ما يلقى الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سراً عن افلاطون ويحفظه . وافلاطون لا يعلم بذلك من سر ارسطوطاليس وضميره ، حتى اذا كان يوم العيـــد زين بيت الذهب وألبس نطافورس الحلى والحلل ، وحضر الملك روفسطانس واهل المملكة ، وافلاطون وتلاميذه ، وانقضت الصـــلاة وصعد افلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم ، على الاشهاد والملوك ، فلم يؤد الغلام نطافورس شيئـاً من الحكـــة ولا نطق بحرف من الاداب ، فأسقط في يد افلاطون واعتذر الى النـــاس بأنه لم يمتحن علمه ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واثقاً بحكمته وفطنته . ثم قال : « يا معشر التلامذة ! من فيكم يضطلع بحفظ شيء من الحكمة وينوب عن نطافورس ؟ » فبدر ارسطوطاليس فقال : انا ايها الحكيم ! فازدراه ولم يأذن له في الكلام . ثم اعاد القول على تلامذته ، فبدرهم ارسطوطاليس فقال : انا يا معلم الحكمة اضطلع بما ألقيت من الحكمة الى نطافورس . فقال له ارق ! فرقي ارسطوطاليس الدرج بغير زينة ولا استعداد في اثوابه الدنيئة المبتذلة ، فهدر كما يهدر الطير ، وأتى بانواع الحكمة والادب الذي القاه افلاطون الى نطافورس ولم يترك منها حرفاً واحداً . فقال افلاطون : « ايها الملك هذه الحكمة التي لقنتهـــا نطافورس قد وعاها ارسطوطاليس سرقة وحفظها سراً ،ما غادر منهـــا حرفاً ، فما حيلتي في الرزق والحرمـــان » . وكان الملك في مثل ذلك اليوم يرشح ابنه للملك ويشرفه ويعلي مرتبته ، فأمر الملك باصطناع ارسطوطاليس ولم يرشح ابنه للملك . وانصرف الجميع في ذلك اليوم على استحسان ما اتى به ارسطوطاليس ، والتعجب من الرزق والحرمان » .

مقالة ارسطوطاليس

قال حنين بن اسحق : هذا بعض ما وجدت من حكمة ارسطوطاليس في ذلك اليوم :

« لبارئنا التقديس والاعظام والاجلال والاكرام . ايها الاشهاد ، العلم موهبة الباري ، والحكمة عطية من يعطي ويمنع ويحط ويرفع . والتفاضل في الدنيا والتفاخر في الحكمة التي هي روح الحيـــاة وعمادة العقل الرباني العلوي .

« انا ارسطوطاليس بن فيلوبيس اليتيم خادم نطافـــورس ابن الملك العظيم ، حفظت ووعيت ، والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الاسباب ايها الاشهاد ، بالعقول تتفاضل الناس لا بالاصول :

وعيت عن افلاطون الحكيم : « الحكمة رأس العلوم » والاداب تلقيح الافهام ونتائج الاذهان . وبالفكر الثاقب يدرك الرأي العـــازب [1] ، وبالتالي تسهل المطالب ، وبلين الكلم تدوم المودة في الصدور . وبخفض الجناح تـــتم الأمور ، وبسعة الاخلاق يطيب العيش ويكمل السرور . وبحسن الصمت جلالة الهيبة ، وباصابة المنطق يعظم القـــدر ويرتقي الشرف ، وبالانصاف يجب التواصل ، وبالتواضع تكثر المحبة ، وبالعفاف تزكو الاعمال ، وبالافضال يكون السؤدد ، وبالعدل يقهر العدو ، وبالحكم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايثار [2] يستوجب اسم الجود ، وبالانعام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل وبحسن الاعتبار تضرب الامثال ، والايام تفيد الحكم : يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيـــا ، ومن الساعات تتولد الآفات ، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب ، وبحلول المكاره يتنغص العيش وتتكدر النِّعم ، وبالمن [3] يكفر بالاحسان ، وبالجحد [4] للانعام يجب الحرمان .

« صديق الملول زائل عنه ، السيء الخلق مخاطر صاحبه ، الضيق الباع حسير [5] النظر ، البخيل ذليل وان كان غنياً ، والجواد عزيز وان كان مقلاً . الطمع هو الفقر الحاضر ، اليأس الغنى الظاهر . لا أدري نصف العلم . السرعة في الجواب توجب العثار ، التروي في الامور يبعـــث على البصائر ، الرياضة تشحذ القريحة ، الادب يغني عن الحسب . التقوى شعار العـــالم ، والرياء لبوس الجاهل . مقاساة الاحمق عذاب الروح . الاستهتار بالنساء فعل الفوكي [6] . الاشتغال بالفائت تضييع الاوقات . المتعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التمني سبب الحسرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتمحيق المحنة . صديق الجاهل مغرور ، المخاطر خائب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس . من زاد علمه على عقله كان علمه وبالا عليه . المجرب احكم من الطبيب . اذا فاتك الادب فالزم الصمت .

« من لم ينفعه العلم يأمن ضرر الجهل . من تأنى لم يندم ، من افتخر ارتطم ، من عجل تورط ،

---

(١) البعيد والخفي .
(٢) التفضيل والاختيار .
(٣) ذكر النعمة بما يقطع شكرها .
(٤) الكفر بالنعمة
(٥) ضعيف .
(٦) واحدها الافوك وهو الاحمق

من تفكر سلم ومن روى غنم ، من سأل علم ، من حمل ما لا يطيق ارتبك . التجارب ليس لها غاية، والعاقل منها في زيادة ، للعادة على كل احد سلطان . وكل شيء يستطاع نقله الا الطباع ، وكل شيء يتهيأ فيه حيلة الا القضاء . من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من حظ البـــلاغة بالايجاز . لا يؤتى [1] الناطق الا من سوء فهم السامع . ومن وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال ، ومن عدم دَرْك ذلك كان مغموراً بالجهل ، ومفتوناً بعجب الرأي ، ومعدولا بالهوى عن باب التثبت ، ومصروفاً بسوء العادة عن تفصيل التعليم . الجزع [2] عند مصائب الاخوان احمد من الصبر ، وصبر المرء على مصيبته أحمد من جزعه . ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الاقـــامة على الظلم . من طلب خدمة السلطان بغير ادب ، خرج من السلامة الى العطب [3] . الارتقاء الى السؤدد صعب ، والانحطاط الى الدناءة سهل . »

قال حنين بن اسحق : « وهـــذا الصنف من الآداب اول ما يعلمه الحكيم للتلميذ في أول سنة مع الخط اليوناني ، ثم يرفعه من ذلك الى الشعـــر والنحو ، ثم الى الحساب ، ثم الى الهندسة ، ثم الى النجوم ، ثم الى الطب ، ثم الى الموسيقى ، ثم بعد ذلك يرتقي الى المنطق ، ثم الفلسفة ، وهي علوم الآثار العلوية ، فهذه عشرة علوم يتعلمها المتعلم في عشر سنين .

فلما رأى افلاطون الحكيم حفظ ارسطوطاليس لما كان يلقى الى نطافورس وتأديبه اياه كما القـــاه سرّه حفظه وطبعه ، ورأى الملك قد امر باصطناعه فاصطنعه هو واقبل عليه ، وعلمه علماً علماً ، حتى وعى العلوم العشرة ، وصار فيلسوفاً حكيماً جامعاً لما تقدم ذكره . »

أقول : « ومن كلام أرسطوطاليس وهو اصل يعتمد عليه في الصحة : « عجبت لمن يشرب ماء الكرم ، ويأكل الخبز واللحم ، ويقتصد في حركته وسكونه ونومه ويقظته ، وأحسن السياسة في جماعة وتعديل مزاجه كيف يمرض ؟».

آداب ارسطو طاليس

ومن آداب ارسطوطاليس وكلماته الحكيمة مما ذكره الامير المبشر بن فاتك قال أرسطو طاليس :

اعلم انه ليس شيء أصلح من أولي الأمر اذا صلحوا ، ولا أفسد لهم ولأنفسهم منهم اذا فسدوا . فالوالي من الرعية بمنزلة الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا بها .

وقال : احذر الحرص ، فأما ماهو مصلحك ومصلح على يديك فالزهد ، واعلم ان الزهد باليقين ،

(١) أتي : هي وتغير عليه حسه فتوهم غير الصحيح صحيحاً .
(٢) ضد الصبر ، وهو الضعف عما نزل بك
(٣) الهلاك

واليقين بالصبر ، والصبر بالفكر ؛ فاذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن تكرمها بهوان الآخرة ، لان الدنيا دار بلاء ومنزل بلغة [1] .

وقال: « اذا اردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فانه من لم تكن له القناعة فليس المال مغنيه وان كثر.

وقال : « اعلم ان من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح منها جانب الا بفساد جانب آخر ، ولا سبيل لصاحبها الى عز الا باذلال ، ولا استغناء الا بافتقار . واعلم انها ربما اصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين ، فان أصبت حاجتك منها وانت مخطىء ، أو أدبرت عنك وانت مصيب ، فلا يستخفنك [2] ذلك الى معاودة الخطأ ومجانبة [3] الصواب .

وقال : « لا تبطل عمراً في غير نفع ، ولا تضع لك مالاً في غير حق ، ولا تصرف لـك قوة في غير عناء ، ولا تعدل لك رأياً في غير رشد [4]؛ فعليك بالحفظ لما أتيت من ذلك والجد فيه ،وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواه ؛ وان كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء ودرس كتب الحكمة .

وقال : « اعلم انه ليس من احد يخلو من عيب ولا من حسنة ، فلا يمنعك عيب رجل من الاستعانة به فيما لا نقص به . ولا يحملنك ما في رجل من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه . واعلم ان كثرة اعوان السوء أضر عليك من فقد اعوان الصدق .

وقال : « العدل ميزان الله عز وجل في أرضه ، وبه يؤخذ للضعيف من القوي ، وللمحق من المبطل . فمن ازال ميزان الله عما وضعه بين عباده فقد جهـــل اعظم الجهالة ، واعتز بالله سبحانه اشد اعتزازاً .

وقال : « العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً .

وقال : « ليس طلبي للعلم طمعاً في بلوغ قاصيته ، ولا الاستيلاء على غايته ، ولكن التماساً لمـا لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه .

وقال : « اطلب الغنى الذي لا يفنى [5] ، والحياة التي لا تتغير ، والملك الذي لا يزول ، والبقاء الذي لا يضمحل [6] .

وقال : « أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك .

وقال : « كن رؤوفاً رحيماً، ولا تكن رأفتك ورحمتك فساداً لمن يستحق العقوبة ويصلحه الادب.

وقال : « خذ نفسك باثبات السنة فان فيها اكمال التقى ، وقال : « افترص [7] من عدوك الفرصة

---

(١) الكفاية (٢) استفز (٣) التباعد عن الشيء .
(٤) الاستقامة على طريق الحق مع صلابة فيه .
(٥) لا يهلك (٦) لا يتلاشى (٧) انتهز .

واعمل على ان الدهر دول [1] . وقال : « لا تصادم من كان على الحق ، ولا تحارب من كان متمسكاً بالدين .

وقال : « صير الدين موضع ملكك، فمن خالفه فهو عدو الملك، ومن تمسك بالسنة فحرام عليك ذمه وادخال المذلة عليه ، واعتبر بمن مضى ولا تكن عبرة لمن بعدك .

وقال : « لا فخر فيما يزول ، ولا غنى فيما لا يثبت . وقال : « عامل الضعيف من اعدائك على انه اقوى منك ، وتفقد جندك تفقد من قد نزلت به الآفة واضطرته الى مدافعتهم [2] .

وقال : « دار الرعية مداراة من قد انهتكت عليه مملكته وكثرت عليه اعداؤه . وقال : قدم اهل الدين والصلاح والامانة على انك تنال بذلك في العاقبة الفوز وتتزين به في الدنيا . وقال : « اقمع اهل الفجور على انك تصلح دينك ورعيتك بذلك .

وقال : « لا تغفل فان الغفلة تورث الندامة ، وقال . « لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس من جورك ؛ ولا تعاقب غيرك على امر ترخص فيه لنفسك واعتبر بمن تقدم واحفظ ما مضى ، والزم الصحة يلزمك النصر .

وقال : الصدق قوام امر الخلائق ، والكذب داء لا ينجو من نزل به . ومن جعل الاجل امامه اصلح نفسه ، ومن وسخ نفسه ابغضته خاصته .

وقال : « لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من اخوانه من تجبر على الناس ذلته . من أفرط في اللوم كره الناس حياته . من مات محموداً كان احسن حالاً ممن عاش مذموماً . من نازع السلطان مات قبل يومه . أي مَلِك نازع السوقة [3] هُتِك شرفه . أي ملك تطنف [4] الى المحقرات فالموت اكرم له .

وقال : « من اسرف في حب الدنيا مات فقيراً ، ومن قنع مات غنيـــاً . من اسرف في الشراب فهو من السفل . من مات قل حساده .

وقال : « الحكمة شرف من لا قديم له . الطمع يورث الذلة التي لا تستقال [5] . اللؤم يهـــدم الشرف ويعرض النفس للتلف . سوء الادب يهدم ما بناه الاسلاف . الجهل سر الاصحـــاب . بذل الوجه الى الناس هو الموت الاصغر . ينبغي للمدبر ان لا يتخـــذ الرعية مالاً وقنية ، ولكن يتخذهم اهلاً واخواناً ، ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير . »

---

(١) اي لاثبات فيه ولا قرار.
(٢) مقاومتهم ودفاعهم .
(٣) الرعية من الناس .
(٤) هفا .
(٥) لا يمكن النهوض والخلاص منها .

وكتب الى الاسكندر في وصاياه له : « ان الارذياء ينقادون بالخوف ، والاخيار ينقادون بالحياء ، فميز بين الطبقتين ، واستعمل في اولئك الغلظة والبطش ، وفي هؤلاء الافضال والاحسان » .

وقال ايضاً : « ليكن غضبك امراً بين المنزلتين ، لا شديداً قاسياً ولا فاتراً ضعيفاً ، فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان .

وكتب اليه ايضاً : « ان الامور التي يشرف بها الملوك ثلاثة : سن السنن الجميلة ، وفتح الفتوح المذكورة ، وعمارة البلدان المعطلة » .

وقال : « اختصار الكلام طي المعاني . رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس ، وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة . النميمة تهدي الى القلوب البغضاء . من واجهك فقد شتمك ، ومن نقل اليك نقل عنك . الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره . السعيد من اتعظ بغيره » .

وقال لاصحابه : « لتكن عنايتكم في رياضة انفسكم ، فأما الابدان فاعتنوا بها لما يدعو اليه الاضطرار ، واهربوا من اللذات فانها تسترقّ النفوس الضعيفة ، ولا قوة بها على القوية » .

وقال : « انا لنحب الحق ونحب افلاطون فاذا افترقا فالحق أولى بالمحبة . الوفاء نتيجة الكرم لسان الجاهل مفتاح حتفه . الحاجة تفتح باب الحيلة . الصمت خير من عجز المنطق . بالأفضال تعظم الاقدار . بالتواضع تتم النعمة . باحتمال المؤن يجب السؤدد . بالسيرة العادلة تقل المساوىء . بترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل . بالسعايات تنشأ المكاره » .

ونظر الى حَدَث يتهاون بالعلم فقال له: «انك إن لم تصبر على تعب العلم صبرت على شقاء الجهل».

وسعى اليه تلميذ له بآخر فقال له : «أتحب ان نقبل قولك فيه ، على انا نقبل قوله فيك ؟ قال : لا . قال : فكف عن الشر يكف عنك » .

ورأى انساناً ناقهاً [1] يكثر من الاكل وهو يرى إنه تقوية ، فقال لهّ : « يا هذا ليس زيادة القوة بكثرة ما يرد البدن من الغذاء ، ولكن بكثرة ما يقبل منه » .

وقال : « كفى بالتجارب تأدباً وبتقلب الايام عظة » .

وقيل لارسطوطاليس : ما الشيء الذي لا ينبغي ان يقال وان كان حقاً ؟ فقال : مدح الانسان نفسه » .

وقيل له : لم حفِظَت الحكماءُ المالَ ؟ فقال : «لئلا يقيموا انفسهم بحيث لا يستحقونه من المقام».

وقال : « امتحن المرء في وقت غضبه لا في وقت رضاه ، وفي حين قدرته لا في حين ذلته».

وقال : « رضى الناس غاية لا تدرك ، فلا تكره سخط من رضاه الجور » .

---

(١) اي شاف من مرض وبه ضعف .

وقال : « شَرُف الانسان على جميع الحيوان بالنطق والذهن، فان سكت ولم يفهم عاد بهيمياً ».

وقال : « لا تكثروا من الشراب فيغير عقولكم ويفسد افهامكم » .

وأعاد على تلميـــذ له مسئلة فقال له : أفهمت ؟ قال التلميذ : نعم . قال : لا ارى آثار الفهم عليك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لا اراك مسروراً ، والدليل على الفهم السرور » .

وقال : « خير الاشياء اجدُّها [٢] إلا المودات فان خيرها اقدمها » .

وقال : « لكل شيء خاصة ، وخاصة العقل حسن الاختيار » .

وقال : « لا يلام الانسان في ترك الجواب اذا سئل حتى يتبين ان السائل قـد احسن السؤال ؛ لان حسن السؤال سبيل وعلة الى حسن الجواب .

وقال : « كلام العجلة موكل به الزلل » .

وقال : « انما يحمل المرء على ترك ابتغاء ما لم يعلم قلة انتفاعه بما قد علم » .

وقال : « من ذاق حلاوة عمل صبر على مرارة طرقه ؛ ومن وجد منفعة علم عنى بالتزيد فيه » .

وقال : « دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة » .

وقال : « ليكن ما تكتب من خير ما يقرأ وما تحفظ من خير ما يكتب » .

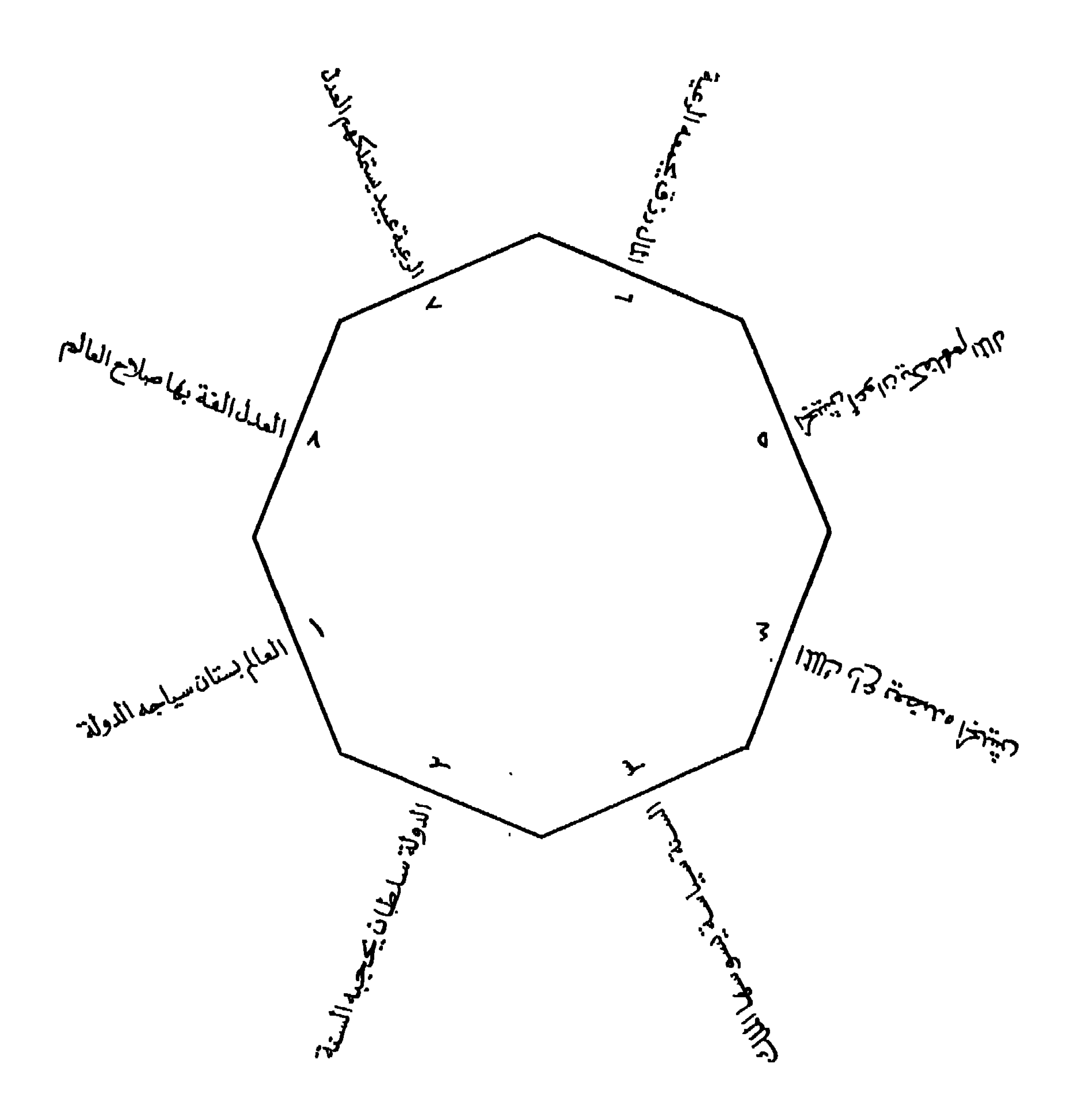
وكتب الى الاسكندر : « اذا أعطاك الله ما تحب من الظفر فافعل ما أحب من العفو .

وقال : لا يوجد الفخور محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول دائم الاخاء ، ولا مفتتح يعجل الاخاء ثم يندم .

وقال : انما غلبت الشهوة على الرأي في اكثر الناس ؛ لان الشهوة معهم من لدن الصبا ، والرأي انما يأتي عند تكاملهم ، فإنهم بالشهوة لقدم الصحبة اكثر من أنسهم بالرأي ، لانه فيهم كالرجل الغريب .

ولما فرغ من تعليم الاسكندر دعابه فسأله عن مسائل في سياسة العامة والخاصة ، فاحسن الجواب عنها فناله بغاية ماكره من الضرب والأذى . فسئل عن هذا الفعل فقال : هذا غلام يرشح للملك ، فأردت ان أذيقه طعم الظلم ليكون رادعاً له عن ظلم الناس .

وامر أرسطوطاليس عند موته ان يدفن ويبنى عليه بيت مثمن يكتب في جملة جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الامور التي بها مصلحة الناس ، وتلك الكلم الثمان هي هذه على هذا المثال :



كتب ارسطوطاليس

ولارسطوطاليس من الكتب المشهورة مما ذكره بطليموس .

كتاب يحض فيه على الفلسفة ، ثلاث مقالات . كتاب سوفسطس ، مقالة ؛ كتاب في صناعة الريطوري ، ثلاث مقالات . كتاب في العدل ، اربع مقالات ، كتاب في الرياضة والادب المصلحين

لحالات الانسان في نفسه ، أربع مقالات . كتاب في شرف الجنس ، خمس مقـــالات ، كتاب في الشعراء ، ثلاث مقالات . كتاب في الملل ، ست مقالات . كتاب في الخير ، خمس مقالات . كتاب ارخوطس ، ثلاث مقالات . كتاب في الخطوط هل هي منقسمة ام لا ، ثلاث مقالات . كتاب في صفة العدل ، أربع مقالات . كتاب في التباين والاختلاف ، أربع مقالات . كتـــاب في العشق ، ثلاث مقالات . كتاب في الصور هل لها وجود ام لا ، ثلاث مقالات . كتاب في اختصار قول فلاطن ، مقالتان . كتاب في اختصار اقاويل فلاطن في تدبير المدن ، خمس مقالات . كتـــاب في اختصار قول فلاطن في اللذة في كتابه في السياسة ، مقالتان . كتاب في اللذة ، مقالتان . كتاب في الحركات ، ثمان مقالات · كتاب في المسائل الحيلية ، مقالتان . كتاب في صناعة الشعر على مذهب فيثاغورس ، مقالتان . كتاب في الروح ، ثلاث مقالات . كتاب في المسائل ، ثلاث مقالات . كتاب في نيل مصر ، ثلاث مقالات . كتاب في اتخاذ الحيوان المواضع ليأوي فيها ويكمن ، مقالة . كتاب في جوامع الصناعات ، مقالة . كتاب في المحبة ، ثلاث مقالات . كتاب قاطيغورياس ، مقالة كتاب ارمينياس ، مقالة . كتاب طوبيقا ، ثمان مقالات . كتاب أنولوطيقا وهو القياس ، مقالتان . كتاب أفودقطيقا وهو البرهان ، مقالتان . كتاب في السوفسطائية ، مقالة . كتاب في المقالات الكبار في الاخلاق ، مقالتان . كتاب في المقالات الصغار في الاخلاق الى أوذيمس ، ثمان مقالات . كتاب في تدبير المدن ، ثمان مقالات كتاب في صناعة الشعر . كتاب في سمع الكيان ، ثمان مقالات . كتاب في السماء والتالم ، اربع مقالات . كتاب في الكون والفساد ، مقالتان . كتاب في الآثار العلوية ، اربع مقالات . كتاب في النفس ، ثلاث مقالات . كتاب في الحس والمحسوس، مقالة. كتاب في الذكر والنوم ، مقالة . كتاب في حركة الحيوانات وتشريحها ، سبع مقالات . كتاب في طبائع الحيوان ، عشر مقالات . كتاب في الاعضاء التي بها الحياة ، اربع مقالات . كتاب في كون الحيوان ، خمس مقالات . كتاب في حركات الحيوانات الكائنة على الارض ، مقالة . كتاب في طول العمر وقصره ، مقالة . كتاب في الحياة والموت ، مقالة . كتاب في النبات ، مقالتان . كتاب فيما بعد الطبيعة ، ثلاث عشرة مقالة . كتاب في مسائل هيولانية ، مقالة . كتاب في مسائل طبيعية ، اربع مقالات . كتاب في القسم ، ست وعشرون مقالة ، ويذكر في هذا الكتاب اقسام الزمان واقسام النفس والشهوة وأمر الفاعل والمنفعل والفعل والمحبة ، وانواع الحيوان ، وأمر الخير والشر والحركات وانواع الموجودات .

كتاب في قسم فلاطن ، ست مقالات . كتاب في قسمة الشروط التي تشترط في القول وتوضع ، ثلاث مقالات . كتاب في مناقضة من يزعم بأن تؤخذ مقدمات النقيض من نفس القول ، تسع وثلاثون مقالة . كتاب في النفي يسمى ايسطاسس ، ثلاث عشرة مقالة كتاب في الموضوعات ، اربع وثلاثون مقالة كتاب في موضوعات عشقية ، مقالة. كتاب في الحـــدود ست عشرة مقالة ، كتاب في الأشياء التحديدية ، اربع مقالات . كتاب في تحديد طوبيقا ، مقالة. كتاب في تقويم حدود طوبيقا ، ثلاث مقالات ، كتاب في موضوعات تقوم بها الحدود ، مقالتان . كتاب في مناقضة الحدود ، مقالتان ،

كتاب في صناعة التحديد التي استعملها ثاوفرسطس لانالوطيقا الاولى، مقالة . كتاب في تقويم التحديد، مقالتان ، كتاب في مسائل ، ثمان وستون مقالة . كتاب في مقدمات المسائل ، ثلاث مقالات ، كتاب في المسائل الدورية التي يستعملها المتعلمون ، اربع مقالات ، كتاب في الوصايا اربع مقالات ، كتاب في التذكرات مقالتان . كتاب في الطب ، خمس مقالات ، كتاب في تدبير الغذاء ، مقالة ، كتاب في الفلاحة، عشر مقالات . كتاب في الرطوبات ، مقالة ، كتاب في النبض ، مقالة ، كتاب في الأعراض العامية ، ثلاث مقالات ، كتاب في الآثار العلوية مقالتان . كتاب في تناسل الحيوان ، مقالتان ، كتاب آخر في تناسل الحيوانات ، مقالتان . كتاب في المقدمات ثلاث وعشرون مقالة كتاب آخر في مقدمات أخر ، سبع مقالات . كتاب في سياسة المدن وعدد الأمم ، ذكر فيه مائة واحدى وسبعين مدينة كبيرة . كتاب في تذكرات عدة ، ست عشرة مقالة ، كتاب آخر في مثل ذلك ، مقالة . كتاب في المناقضات ، كتاب في المضاف ، مقالة ، كتاب في الزمان ، مقالة . كتبه التي وجدت في خزانة ابليقون ، عدة مقالات . كتابه في تذكرات أخر ، كتاب كبير مجموع فيه عدة رسائل ، ثمانية اجزاء . كتاب في سير المدن ، مقالتان ، رسائل وجدها أندرونيقوس في عشرين جزء كتب فيها عدة تذكرات ، عددها وأسماؤها في كتاب اندرونيقوس في فهرست كتب ارسطو . كتاب في مسائل من عويص شعر أوميرس في عشرة اجزاء . كتاب في مغاني مليحة من الطب .

قال بطليموس : فهذه جملة ما شاهدت له من الكتب . وقد شاهد غيري كتباً أخر عدة .

أقول: ولأرسطوطاليس ايضاً من الكتب مما وجدت كثيراً منها غير الكتب التي شاهدها بطليموس كتاب الفراسة ، كتاب السياسة المدنية . كتاب السياسة العملية . مسائل في الشراب ، شراب الخمر والسكر ، وهي اثنتان وعشرون مسألة . كتاب في التوحيد على مذهب سقراط . كتاب الشباب والهرم ، كتاب الصحة والسقم . كتاب في الأعداء . كتاب في الباه، رسائله الى ابنه ، وصيته الى نيقانر كتاب الحركة، كتاب فضل النفس، كتاب في العظم الذي لا يتجزأ ، كتاب التنقل ، رسالته الذهبية، رسالة الى الاسكندر في تدبير الملك ، كتاب الكنايات والطبيعيات . كتاب في علل النجوم . كتاب الانواء . رسالة في اليقظة . كتاب نعت الاحجار ومنافعها والسبب في خلق الاجرام السماوية . كتاب الى الاسكندر في الروحانيات واعمالها في الاقاليم ، كتاب الاسماطاليس الى الاسكندر . رسالة في طبائع العالم الى الاسكندر . كتاب الاصطماخيس ، وضعه حين اراد الخروج الى بلد الروم ، كتاب الحيل ، كتاب المرآة ، كتاب القول على الربوبية . كتاب المسائل الطبيعية ويعرف ايضاً بكتاب ما بال سبع عشرة مقالة ، كتاب ماطافوسيقا ، وهو كتاب ما بعد الطبيعة ، اثنتا عشرة مقالة ، كتاب الحيوان ، تسع عشرة مقالة ، كتاب نعت الحيوانات الغير ناطقة وما فيها من المنافع والمضار وغير ذلك . كتاب ايضاح الخير المحض ، كتاب الملاطيس ، كتاب في نفث الدم . كتاب المعادن كتاب اليتيم وهو كتاب الغالب والمغلوب والطالب والمطلوب ألفه للاسكندر الملك ، كتاب اسرار النجوم .

ثاوفرسطس

احد تلاميذ أرسطوطاليس وابن خالته ؛ واحد الاوصياء الذين وصى اليهم ارسطوطاليس وخلفه على دار التعليم بعد وفاته .

ولثاوفرسطس من الكتب :

كتاب النفس ، مقالة . كتاب الآثار العلوية ، مقالة . كتاب الأدلة ، مقالة . كتـــاب الحس او المحسوس ، اربع مقالات . كتاب ما بعد الطبيعة ، مقالة . كتاب اسباب النبات تفسير كتاب قاطيغورياس ، وقيل انه متحول اليه . كتاب الى دمقراط في التوحيد . كتاب في المسائل الطبيعية .

الاسكندر الافروديسي الدمشقي

كان في ايام ملوك الطوائف بعد الاسكندر الملك ، ورأى جالينوس واجتمع معه . وكان يلقب جالينوس رأس البغل ، وبينهما مشاغبات ومخاصمات .

وكان فيلسوفاً متقناً للعلوم الحكمية بارعاً في العلم الطبيعي ، وله مجلس عام يدرس فيه الحكمة وقد فسر اكثر كتب ارسطوطاليس . وتفاسيره مرغوب فيها مفيدة للاشتغال بها .

قال ابو زكريا يحيى بن عدي : « ان شرح الاسكندر للسماع كله ولكتاب البرهـــان ، رأيته في تركة ابراهيم بن عبدالله الناقل النصراني ، وان الشرحين عرضاه علي بمائة دينار وعشرين دينـــاراً ، فمضيت لاحتال في الدنانير ، ثم عدت فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب الى رجـــل خراساني بثلاثة آلاف دينار . » وقيل ان هذه الكتب كانت تحمل في الكم . وقال ابو زكريا انـــه التمس من ابراهيم بن عبدالله نص سوفسطيقا ، ونص الخطابة ، ونص الشعر ، بنقل اسحق بخمسين ديناراً فلم يبعه ، واحرقها وقت وفاته .

وللاسكندر الافروديسي من الكتب : تفسير كتاب قاطيغورياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب ارمينياس لأرسطوطاليس . تفسير كتاب انالوطيقا الثانية لأرسطوطاليس . تفسير كتـــاب طوبيقا لأرسطوطاليس والذي وجد من تفسيره لهذا الكتاب تفسير بعض المقالة الاولى، وتفسير المقالة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . تفسير كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس . تفسير بعض المقالة الاولى من كتاب السماء والعالم لأرسطوطاليس . تفسير كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس . تفسير كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس . كتـــاب النفس ، مقالة في عكس المقدمات . مقالة في العناية . مقالة في الفرق بين الهيولي والجنس . مقـــالة في الرد على من قال انه لا يكون شيء إلا من شيء . مقالة في

ان الابصار لا يكون بشعاعات تنبث [1] من العين ، والرد على من قال بانبثاث الشعـــاع مقالة في اللون وأي شيء هو على رأي الفيلسوف . مقـالة في الفصل خاصة ما هو على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الماليخوليا . مقالة في الاجناس والانواع . مقالة في الرد على جالينوس في المقـالة الثامنة من كتابه في البرهان . مقالة في الرد على جالينوس فيما طعن على قول ارسطوطاليس ان كل مـــا يتحرك فانما يتحرك عن محرك . مقالة في الرد على جالينوس في مادة الممكن . مقالة في الفصول التي تقسم بها الاجسام . مقالة في العقل على رأي ارسطوطاليس . رسالة في العالم وأي اجزائه تحتاج في ثباتهـــا ودوامها الى تدبير اجزاء اخرى . كتاب في التوحيد . مقالة في القول في مبادىء الكل على رأي ارسطوطاليس . كتاب آراء الفلاسفة في التوحيد . مقالة في حدوث الصور لا من شيء . مقـــالة في قوام الامور العامية . مقالة في تفسير ما قاله ارسطوطاليس في طريق القسمة على رأي افلاطون . مقالة في ان الكيفيات ليست اجساماً . مقالة في الاستطاعة . مقالة في الاضداد وانها اوائل الاشيـاء على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الزمان . مقالة في الهيولى وانها معلولة مفعولة . مقالة في ان القوة الواحدة تقبل الاضداد جميعاً على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الفرق بين المادة والجنس . مقالة في المادة والعدم والكون ، وحل مسألة الناس من القدماء ابطلوا بها الكون من كتاب ارسطوطاليس في سمع الكيان . مقالة في الامور العامية والكلية وانها ليست اعياناً قائمة . مقالة في الرد على من زعم ان الاجناس مركبة من الصور اذ كانت الصور تنفصل منهـــا . مقالة في ان الفصول التي بها ينقسم جنس من الاجناس ليس واجب ضرورة ان تكون انما توجد في ذلك الجنس وحده الذي اياه تقسم ، بل قد يمكن ان يقسم بها اجناساً اكثر من واحد ليس بعضها مرتباً تحت بعض . مقالة فيما استخرجه من كتاب ارسطوطاليس الذي يدعى بالرومية ثولوجيا ، ومعناه الكلام في توحيد الله تعالى . رسالة في ان كل علة مباينة فهي في جميع الاشياء وليست في شيء من الاشيـــاء . مقالة في اثبات الصور الروحانية التي لا هيولى لهـــا . مقالة في العلل التي تحدث في فم المعدة . مقالة في الجنس . مقالة تتضمن فصلا من المقـــالة الثانية من كتـــاب ارسطوطاليس في النفس . رسالة في القوة الآتية من حركة الجرم الشريف الى الاجرام الواقعة تحت الكون والفساد .

(١) تنتشر وتتفرق .

الباب الخامس

طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه

جالينوس

ولنضع اولا كلاماً كلياً في اخبار جالينوس وما كان عليه ، ثم نلحق بعد ذلك معه جملاً من ذكر الاطباء الذين كانوا منذ زمانه وقريباً من وقته فنقول :

« ان الذي قد عُلم من حال جالينوس واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الامم انه كان خاتم الاطباء الكبار المعلمين وهو الثامن منهم ، وانه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن ان يساويه . وذلك لانه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها اقوال الاطباء السوفسطائيين وانمحت محاسنها . فانتدب لذلك ، وابطل آراء اولئك ، وايــد وشيد كلام أبقراط وآراءه وآراء التابعين له ونصر ذلك بحسب امكانه ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، » وافصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها . ولم يجيء بعده من الاطباء الا من هو دون منزلته ومتعلم منه .

« وكانت مدة حياة جالينوس سبعا وثمانين سنة منهــا صبي ومتعلم سبع عشرة سنة ، وعالم معلم سبعين سنة .

وهذا على ما ذكره يحيى النحوي .

وكذلك تقسيم عمر كل واحد ممن تقدم ذكره من سائر الاطباء الكبار المعلمين الى وقتي تعلمه وتعليمه

فإنه من قول يحيى النحوي . وقوله هذا يجب ان ينظر فيه وذلك انه لا يمكن ان تنحصر معرفته كما ذكر ، فإن القياس يوجب ان البعض من ذلك غير ممكن واحده ما ذكره ههنا عن جالينوس انه كان صبياً ومتعلماً سبع عشرة سنة ، وعالماً معلماً سبعين سنة . ولو لم يكن التتبع على قوله هذا الا بما قد ذكره جالينوس نفسه . واتباع قول مثل جالينوس عن نفسه اولى من اتباع قول غيره عنه. وهذا نص ما ذكره جالينوس في كتابه مراتب قراءة كتبه قال :

« ان ابي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الاحداث حتى انتهيت من السن الى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصد بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها فرأى رؤيا دعته الى تعليمي الطب فأسلمني في تعليم الطب وقد أتت علي من السنين سبع عشرة سنة . »

واذا كان هذا ، فقد تبين من قول جالينوس خلاف ما ذكر عنه . ولا يبعد ان يكون الكلام في الذين ذكرهم من قبل جالينوس ايضاً مثل هذا .

وكانت منذ وقت وفاة ابقراط والى ظهور جالينوس ستمائة سنة وخمس وستون سنة . ويكون من وقت مولد اسقليبيوس الاول ، على ما ذكره يحيى النحوي ، الى وقت وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وسنتان .

وذكر اسحق بن حنين ان من وقت وفاة جالينوس الى سنة الهجرة خمسمائة سنة وخمسة وعشرين سنة .

اقول : « وكان مولد جالينوس بعد زمان المسيح بتسع وخمسين سنة على ما أرخه اسحق . فأما قول من زعم انه كان معاصره وانه توجه اليه ليراه ويؤمن به فغير صحيح . وقد اورد جالينوس في مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى والمسيح ، وتبين من قوله انه كان من بعد المسيح بهذه المدة التي تقدم ذكرها .

ومن جملة من ذكر ان جالينوس كان معاصراً للمسيح البيهقي [1] وذلك انه قال في كتاب مسارب التجارب وغوارب الغرائب » . « انه لو لم يكن في الحواريين إلا بولص [2] بن اخت جولينوس لكان كافياً . وانما بعثه الى عيسى جالينوس واظهر عجزه عن الهجرة اليه لضعفه وكبر سنه ، وآمن بعيسى وأمر ابن اخته بولص بمبايعة عيسى » .

قال جالينوس في المقالة الاولى من كتابه في الاخلاق ، وذكر الوفاء واستحسنه واتى فيه بذكر القوم الذين نكبوا بأخذ صاحبهم وابتلوا بالمكاره. « يلتمس منهم ان يبوحوا بمساوىء اصحابهم وذكر معايبهم ، فامتنعوا من ذلك وصبروا على غليظ المكاره . وان ذلك كان في سنة أربع عشرة وخمسمائة

---

(١) هو محمد البيهقي مؤرخ فارس له تاريخ سلاطين غزنة والمعروف بتاريخ البيهقي (٩٩٦ - ١٠٧٧)

(٢) واسمه شاول وسماه المسيح بولص بعد ان دعاه الى الايمان به بطريقة عجائبية ويعد بمصاف الرسل . وهو رسول الامم.

للاسكندر » . وهذا اصح ما ذكره من امر جالينوس ووقته وموضعه من الزمان .

وقال ابو الحسين علي بن الحسين المسعودي : كان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة ، وبعد ابقراط بنحو ستمائة سنة ، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائه سنة ونيف .

اقول : ووجدت عبيد الله [1] بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع قد استقصى النظر في هذا المعنى ، وذلك انه كان قد سئل عن زمان جالينوس وهل كان معاصراً المسيح او كان قبله او بعده ، فأجاب عن ذلك بما هذا نصه . قال :

« ان اصحاب التواريخ اختلفوا اختلافاً بيناً فيما وضعوه ، وكل منهم اثبت جملاً اذا فصلت خرج منها زيادات ونقصان » . ومن هذا يتبين لك متى تصفحت كتب التواريخ ، لا سيما متى وقفت على كتاب الازمنة الذي عمله مار اليا مطران نصيبين ، فانه قد كشف الخلف الذي بين التواريخ العتيقة والحديثة وأوضح وكشف وأبان ذلك احسن بيان ، بجمعه لجملها في صدر كتابه وايراد تفاصيلها ، وتنبيهه على مواضع الخلاف فيها والزيادات والنقصانات وذكر اسبابها وعللها :

ووجدت تاريخاً مختصراً لهارون بن عزور الراهب،ذكر فيه انه اعتبر التواريخ وعول على صحتها، ورأيته قد كشف بعض اختلافها وعلل ذلك بعلل مقنعة ، وأورد شواهد من صحتها .

وذكر هذا الراهب في تاريخه : « ان جميع السنين من آدم الى ملك دارا بن سام ، وهو أول ظهور الاسكندر ذي القرنين ، خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وعشرة اشهر على موجب التاريخ الذي عند اليونانيين،وهو تاريخ التوراة المنقولة الى اليونانيين قبل ظهور المسيح بمائتي سنة وثمان وسبعين سنة ، وذلك في زمان فيلدلفوس الملك ، لانه كان حمل الى اليهود هدايا حسنة لما سمع ان عندهم كتباً منزلة من عند الله تعالى على ألسنة الانبياء . وكان من جملة ما حمل مائدتان من ذهب مرصعتان بالجواهر لم ير احسن منها . وسألهم عن الكتب التي في ايديهم وأعلمهم انه يختار ان يكون عنده نسختها . فكتبوا جميع الكتب التي كانت عندهم لليهود من التوراة والانبياء وما جرى مجراها ، في اوراق من فضة بأحرف من ذهب على ما نسبه الراهب الى اوسابيس القيسراني . فلما وصلت اليه استحسنها ولم يفهم ما فيها ، فأنفذ اليهم يقول : « أي فائدة من كنز مستور لا يظهر ما فيه ، وعين مسدودة لا ينضح ماؤها ؟ » فانفذوا اليه اثنين وسبعين رجلا من جميع الاسباط من كل سبط ستة رجال. فلما وصلوا عمل لهم الملك فيلدلفوس مراكب ونزل كل رجلين منهم في مركب ، ووكل بهم حفظة حتى نقلوها . وقابل النسخ فلما وجدها صحيحة غير مختلفة خلع عليهم واحسن اليهم وردهم الى مواطنهم .

وذكر اوسابيوس القيسراني الذي كان اسقف قيسارية ان هذا الملك كان قد نقل الكتب قبل

---

(١) احد الاطباء السريان الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس وهو طبيب مشهور ، اقام بميافارقين وتوفي تقريباً سنة ٤٥٠ هـ . وله كتب جليلة .

مجيء اليهود (استدعاء اليهود) وحضوره عنده ونقلهم اياها،وانما شك فيا نقله منها فأحب تصحيحه .

قال عبيد الله بن جبرائيل : « وهذا مما يشهد فيه العقل لان فيلدلفوس الملك لو لم يشك في نقله لما احتاط هذا الاحتياط المذكور وحرص هذا الحرص على حفظ هذا النقل ، ولولا اتهامه لنقله لما كان هنا ما يوجب هذا الاحتياط ، لان من قلدهم في الاول كان احرى ان يقلدهم في الثاني ، ولما احب ان يتحن ما فسره فعل ما فعل وقابل عليه وصححه . ومن ههنا وجب ان تاريخ اليونانيين أصح التواريخ أعني تاريخ التوراة والانبياء التي عندهم . وكانت مدة هذا الملك فيلدلفوس في المملكة ثماني وثلاثين سنة، وهو الملك الثالث من الاسكندر . على ان تاريخ الاسكندر منذ قتله دارا ، وهو ان مدة ملكه تكون ست سنين ، ومنه يؤخذ تواريخ اليونانيين ، فتكون مدة ملك اليونانيين من الاسكندر والى اول ملك الروم الذين لقبهم قيصر مائتين واثنتين وسبعين سنة . وأول ملوك الروم الذين لقبهم قيصر يوليوس [١] جايوس قيصر ، وكانت مدتـــه في المملكة اربع سنين وشهرين . وملك بعده اغوسطوس [٢] قيصر وكانت مدته ست وخمسين سنة وستة اشهر . وفي سنة ثلاث واربعين من ملكه ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم[٣]. فجميع سني العالم من آدم والى مولد المسيح خمسة آلاف وخمسمائة وأربع سنين.وملك بعده طيباريوس قيصر [٤] ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي سنة خمس عشرة من ملكه [٥] اعتمد المسيح في في الاردن بيد يوحنا المعمدان [٦] . وفي سنة تسع عشرة صلب (رفع) وذلك في يوم الجمعة الرابع والعشرين من آذار ، وانبعث حياً يوم الاحد السادس والعشرين من آذار ، وبعد اربعين يوماً صعد الى السماء بمشهد من الحواريين .

ثم ملك بعده يوليوس [٧] جايوس الآخر اربع سنين وقتل في بلاطه ، وملك بعده قلوديوس [٨] جرمانيقوس قيصر اربع عشرة سنة. ثم ملك بعده نارون [٩] بن قلوذيوس قيصر ثلاث عشرة سنة ، ثم أندرونيقوس اربع عشرة سنة ، وهو الذي قتل بطرس وبولس في السجن ، لانه ارتد الى عبادة الاصنام وكفر بعد الايمان وقتل وهو مريض .

---

(١) من كبار قواد روما « ١٠١ — ٤٤ ب‌م » ولما انتصر وفتح غوليا وهزم بومبيوس ارسل الى روما بشرى انتصاره بهذه الكلمات ؛ « جئت رأيت انتصرت » .

(٢) اول امبراطور روماني في ايامه ولد السيد المسيح « ٦٣ قم - ١٤ م » .

(٣) بلدة في فلسطين جنوبي القدس ، ولد فيها داود النبي والمسيح .

(٤) هو الامبراطور الروماني الثاني خلف اوغسطس . ولد في روما (٤٢ ق.م)

(٥) اجريت له المعمودية وهي غسل الصبي وغيره بالماء باسم الآب والابن وروح القدس .

(٦) ابن زكريا واليصابات . من انسباء يسوع المسيح . ظهر على شاطىء الاردن يعمد بالماء للتوبة داعياً للرجوع عن الخطيئة قطع رأسه هيرودس الملك على طلب سالومه .

(٧) وهو كاليكيلا ولد في انطيوم سنة ١٢ م وملك من سنة ٣٧ الى ٤٤ وهو ابن جرمانيقوس واغريبين . اغتال شرياس في بلاطه .

(٨) وهو قلوديوس الاول امبراطور روما وزوج غربين التي اغتالته فيا بعد ولد سنة ١٠ق.م وحكم من سنة ٤١ م الى ٥٤.

(٩) هونيرون (٤ — ٦٨) امبراطور روماني من (٥٤ - ٦٨) انتصح بنصائح معلمه الفيلسوف سينيكا ثم طغى فقتل امه وزوجته واحرق روما.

وذكر أندرونيقوس في تاريخه انه ملك بعد نارون، جالباس [1] سبعة اشهر، ووطليوس [2] ثمانية واثون [3] ثلاثة اشهر » . ثم ملك بعده اسفاسيانوس [4] قيصر عشر سنين ، وفي آخر ملكه غزا بيت المقدس وخربه ، ونقل جميع آلة البيت الى القسطنطينية وانقطع عنهم ، يعني اليهود ، الملك والنبوة . وهو الذي وعد الله تعالى به بمجيء المسيح (ولا رجعة لهم بعده) وهذه المملكة الاخيرة من الممالك التي وعدهم الله بها . ثم ملك بعده طيطوس ابنه [5] سنتين .

ووجدت في تاريخ مختصر (قديم) رومي : « انه ملك بعده طيطوس طميديوس ؛ وفي زمانه كان بليناس الحكيم صاحب الطلسمات ، ثم ملك بعده دوميطانوس [6] أخو طيطوس ، وان اسفاسيانوس ملك خمس عشرة سنة ، وفي زمانه ظهر ماني ، وفي ايامه (زمانه) نهبت مدينة رأس العين . »

وفي تاريخ اندرونيقوس انه ملك ست عشرة سنة . ثم ملك بعده فرواس قيصر سنة واحدة .

ثم ملك البيوس طرينوس [7] قيصر تسع عشرةسنة وهو الذي ارتجع انطاكيه من الفرس . وكتب اليه خليفته على فلسطين يقول له انني كلما قتلت النصارى ازدادوا رغبة في دينهم ، فامره برفع السيف عنهم وفي السنة العاشرة من ملكه ولد جالينوس ، على ما سنبين فيما بعد .

ثم ملك بعده أبليوس أدريانوس [8] قيصر احدى وعشرين سنة وبنى مدينته . ثم ملك بعده أنطونينوس قيصر اثنتين وعشرين سنة وبنى مدينة ايليوبليس وهي مدينة بعلبك . وفي ايام هـــذا الملك ظهر جالينوس وهو الملك الذي استخدمه . وبيان ذلك قول جالينوس في صدر مقالته الاولى من « كتاب علم التشريح » وهذا قوله بعينه ، قال جالينوس :

« قد كنت وضعت فيما تقدم في علاج التشريح كتاباً في مَقْدمي الاول الى مدينة رومية ، وذلك في اول ملك انطونينوس الملك في وقتنا هذا .

ومما يؤيد هذا ، قول جالينوس في الكتاب الذي وضعه في تقييد اسماء كتبه ويعرف بينكس جالينوس . قال : « لما رجعت من مدينة رومية وعزمت على المقام بمدينتي ، واللزوم لما كانت جرت فيه عادتي ، واذا كُتُب قد وردت من مدينة أقوليا من الملكين يأمران إشخاصي لانهما كانا قد عزما على ان يشتيا باقوليا ثم يغزوا أهل جرمانيا ، فاضطررت الى الشخوص اليها وانا على رجاء ان أعفى

(١ ٢ ٣) من الاباطرة الرومان

(٤) امبراطور روماني (٦٩ – ٧٩) ولد في ربات . وغزا بيت المقدس ومات وهو مريض ،

«٥» وهو ابن فسبسيانس وفاتح اورشليم سنة ٧٠ واشتهر بحكمه واحسانه .

«٦» « ٥١ – ٩٦ » امبراطور روماني كان آخر القياصرة . استبد بحكمه .

«٧» وهو تراجانوس « ٥٢ – ١١٧ » امبراطور روماني ولد في اسبانيا . اضطهد المسيحيين .

«٨» امبراطور روماني « ١١٧ – ١٣٨ » ابن ترجانوس بالتبني وخلفه بالملك . ارخ باسمه الكثير من الآثار الرومانية في الشرق الادنى . وشجع الصناعة والآداب والفنون .

اذا استعفيت ، لانه كان قد بلغني عن احدهما وهو اشبههما بحسن الخلق ولين الجانب ، وهو الذي كان اسمه بيرس . فلما ملك انطونينوس من بعد ادريانوس وصيّر بيرس ولي عهده أشرك في ملكه رجلاً يقال له لوقيس . وسماه بيرس ، وسمى هذا الذي كان اسمه بيرس انطونينوس . فلما صرت الى بلاد اقوليا عرض فيها من الوباء ما لم يعرض قط ، فهرب الملكان الى مدينة رومية مع عدة من اصحابهما وبقي عامة العسكر بأقوليا . فهلك البعض وسلم البعض ، ونالوا جهداً شديداً ليس من اجـــل الوباء فقط ، ولكن من جهة ان الامر فاجأهم في وسط الشتاء . ومات لوقيوس في الطريق ، فحمـــل انطونينوس بدنه الى رومية فدفنه هناك . وهَمَّ بغزو اهل جرمانيا ، وحرص الحرص كله ان اصحبه ، فقلت : « ان الله تعالى لما خلصني من دبيلة قتالة كانت عرضت لي امرني بالحج الى بيته المسمى هيكل اسقليبيوس وسألته الاذن في ذلك فشفعني وأمرني بان أحج .

« ثم انتظرت الى وقت انصرافه الى رومية ، فانه قـــد كان يرجو ان ينقضي حربه سريعاً . وخرج وخلف ابنه قومودس صبياً صغيراً وامر المتوالين لخدمته وتربيته ان يجتهدوا في حفظ صحته فان مَرِض دعوني لعلاجه أتولاه .

ففي هذا الزمان جمعت كل ما جمعته من المعلمين وما كنت استنبطته ، وفحصت عن اشياء كثيرة ، ووضعت كتباً كثيرة لأروض بها نفسي في معان كثيرة من الطب والفلسفة ، احترق أكثرها في هيكل أريني ومعنى أريني السلامة ، ولأن انطونيوس أيضاً في سفره أبطأ خلاف ما كان يقدر فـكان ذلك الزمان مهلة في رياضة نفسي . »

فهذه الأقاويل وغيرها مما لم نورده لطلبة الاختصار ، فقد بان أن جالينوس كان في أيام هذا الملك ، وكان عمره في الوقت الذي قدم فيه رومية القدُوم الاول ثلاثين سنة ، وذلك بدليل قوله في هـــذا الكتاب المقدم ذكره عند وصفه ما وضعه من الكتب في التشريح قال جالينوس .

ووضعت أربع مقالات في الصوت كتبتها الى رجل من الوزراء اسمـه بويثس يتعاطى من الفلسفة مذهب فرقة ارسطوطاليس ، والى هذا الرجل كتبت ايضاً خمس مقالات وضعتها في التشريح على رأي ابقراط وثلاث مقالات وضعتها بعدها في التشريح على رأي اراسطراطس نحوت فيها نحو من يحب الغلبة والظهور على مخاليفه ، بسبب رجل يقال له مرطياليس وضع مقالتين في التشريح هما الى هذه الغاية موجودتان في ايدي الناس ، وقد كان الناس بهما في وقت ما وضعت هـــذا الكتاب معجبين . وكان هذا الرجل حسوداً شديد البغي والمراء [1] على كبر سنه ، فانه قد كان من ابناء سبعين سنة وأكثر ، فلما بلغه اني سئلت في مجلس عام عن مسألة في التشريح فاعجب بما أجبت به فيها ، واستحسنه جميع من سمعه ، وكثر مدح الناس لي عليه سأل عني بعض أصدقائنا بقول من أقول من اهـــل فرق الطب كلها . قال له : « اني أسمى من ليست نفسه الى فرقـــه من الفرق ، وقال : « انه من اصحاب

(١) الجدل .

أبقراط ومن أصحاب بركساغورس وغيرهم ، واني اختار من مقالة كل قوم أحسن ما فيها .

واتفق يوماً اني حضرت مجلساً عاماً ليمتحن حذقي بكتب القدماء ، فأخرج كتاب أرسطراطس في نفث الدم والقى فيه نامر على العادة الجارية ، فوقع على الموضع الذي ينهي فيه أرسطراطس عن فصد العرق ، فزدت في المعاندة لاراسطراطس، لِغَمّ مرطياليس لانه ادعى أنه من أصحابه ، فأعجب ذلك القول من سمعه . وسألني رجل من اوليائي وأعداء مرطياليس ان املي الكلام الذي قلته في ذلك المجلس على كاتب له بعث به الي ماهر بالكتاب الذي يكتب بالعلامات سريعاً فيه ليقوله لمرطياليس اذا صادفه عند المرضى ، فلما اشخصني الملك الى مدينة رومية في المرة الثانية وكان الرجل الذي أخذ مني تلك المقالة قد مات ولا ادري كيف وقعت نسختها الى كثير من الناس ، فلم يسرني ذلك لأنه كلام جرى على محبة الغلبة في ذلك الوقت أن لا أخطب في المجالس العامية ولا اباري ، لاني رزقت من السعادة والنجاح في علاج المرضى اكثر مما كنت اتمنى . وذلك اني لما رأيت غير أهل المهنة اذا مدح احد الاطباء بحسن العبارة سموه طبيب الكلام ، احببت ان اقطع ألسنتهم عني فامسكت عن الكلام، سوى ما لا بد منه عند المرضى ، وعما كنت أفعله من التعليم في المحافل ومن الخطب في المجالس العامية واقتصرت على اظهار مبلغ علمي في الطب على ما كنت أفعله في علاج المرضى . واقمت برومية ثلاث سنين اخر فلما ابتدأ فيها الوباء خرجت منها مبادراً الى بلادي ، وكان رجوعي الى رومية وقد أتى علي من السنين سبع وثلاثون سنة .

قال عبيد الله بن جبرائيل : فمن وقت هذا يكون مولد جالينوس في السنة العاشرة من ملك طرينوس الملك ، لانه زعم انه وضعه لكتاب علاج التشريح كان في مقدمه الاول الى رومية وذلك في ملك انطونينوس ، كما ذكرنا ، وانه كان له من عمره على ما ذكرنا ثلاثون سنة مضى منها من مدة ملك ادريانوس احدى وعشرون سنة ، وكان مدة الملك طرينوس قيصر تسع عشرة سنة . واذا كان هذا هكذا اصبح ان مولد جالينوس كان في السنة العاشرة من ملك طرينوس ، فتكون المدة التي من صعود المسيح الى السماء ، وهي من سنة تسع عشرة من ملك طيباريوس قيصر ، الى السنة العاشرة من ملك طرينوس التي ولد فيها جالينوس على موجب التاريخ المذكور ، ثلاثاً وسبعين سنة .

وعاش جالينوس ، على ما ذكره اسحق بن حنين في تاريخه ونسبه الى يحيى النحوي ، سبعاً وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة ، وعالم معلم سبعين سنة .

قال اسحق : « بين وفاة جالينوس الى سنة تسعين ومائتين للهجرة ، وهي السنة التي عمل فيها التاريخ ثمانمائة وخمس عشرة سنة .

وقال عبدالله بن جبرائيل : « وينضاف الى ذلك مما بين هذه السنة التي عملنا فيها هذا الكتاب ، وهي سنة اثنتين وعشرين واربعمائة للهجرة الواقعة في سنة الف وثلاثمائة واثنتين واربعين للاسكندر ، وبين سنة تسعين ومائتين ، وهو مائة واثنتان وثلاثون سنة فيكون من وفاة جالينوس الى سنتنا هذه

وهي سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ، تسعمائة وسبع واربعون سنة . واذا اضيف الى هـذه الجملة عمر جالينوس وما بين مولده الى صعود المسيـــح الى السماء وهو مئة وستون سنة يصبح الجميع ، اعني من صعود المسيح الى سنتنا هذه ، الف ومائة وسبع سنين ، الجملة غلط وهي تنتقص بالتفصيل . ومن مثل هذا التاريخ يضلّ الناس لانهم يقلدون اصحاب التواريخ فيضلون .

ووجه الغلط في هذه الجملة يتبين من جهتين : احداهمـــا من تاريخ المسيح والاخرى من تاريخ جالينوس . وقد ذكرناهما ، فيما تقدم ، ذكراً شافياً فمن احب امتحان ذلك فليرجع اليه فانه يتبين له من التفصيل المذكور . فان للمسيح منذ ولد الف سنة وثماني عشرة سنة ، وجالينوس تسعمائة وثلاث عشرة سنة ، وهذا خلف عظيم وغلط بيّن .

قال وانا استطرف كيف مر مثل هذا مع بيان المواضع التي استدللنا بها من كلام جالينوس ،ومن اوضاع اصحاب التواريخ الصحيحة. واستطرف ايضاً كيف لم يتنبه الى فصل ورد في كتاب الاخلاق تبين فيه غلط تاريخ هذه المدة فصارت المائة سنة ». وقد يكون سبب هذا الغلط من النساخ ويستمر حتى تحصل حجة يضل بها من لم يفحص عن حقائق الامور .

وهذه نسخة الفصل من كتاب الاخلاق بعينه قال جالينوس :

« وقد رأينا نحن في هذا الزمان عبيداً فعلوا هذا الفعل دون الاحرار لانهـــم كانوا في طبعائعهم اخياراً . وذلك ، انه لما مات فرونيموس ، وكان موته في السنة التاسعة من ملك قومودس وفي سنة خمسمائة وست عشرة من ملك الاسكندر ، وكان الوزيران في ذلك الوقت ماطروس وايروس تتبع قوم كثير عددهم ، وعدت عبيدهم ليفشوا على مواليهم ما فعلوا .

وهذا خلف عظيم لا سيما لما ذكره اسحق ، لانه يحصل بينه اختلاف عظيم الى وفـــاة جالينوس يقتضي بان تكون على ما ذكره اسحق من ان عمره كان سبعاً وثمانين سنةفي هذه السنة المذكورةوهي سنة خمسمائة وست عشرة للاسكندر . ويقتضي ان يكون هذا الكتاب آخر مـــا عمله اعني كتاب الاخلاق لانه وقت وفاته يجب ان يكون الوقت الذي ذكر فيه امر العبيد والتاريخ . وقد رأيناه ذكره في كتاب آخر يدل على انه قد عمل بعده ، وانـــه عاش بعد هذا الوقت زمان ما يجوز السنة المذكورة عدته ، فقد بان تناقض تاريخه وفساد جملته .

ولو فرضنا الامر على ما ذكره لم يجب له ان يغفل مثل هذا التاريخ البين الجلي ، ويثبت جملة ما تحصل ولا يصح . وما يشهد بان المسيح كان قبل جالينوس بمدة من الزمان ، ما ذكره جالينوس بمدة من الزمان ، ما ذكره جالينوس في تفسير كتاب افلاطون في « السياسة المدنية » وهذا نص قوله ٠

قال جالينوس : « من ذلك قد نرى القوم الذين يدعون نصارى انما اخذوا ايمانهم عـــن الرموز

والمعجزة ، وقد تظهر منهم افعال المتفلسفين ايضاً . وذلك ان عدم جزعهم من الموت وما يلقونبعده أمر قد نراه كل يوم . وكذلك عفافهم عن الجماع وان منهم قوماً لا رجال فقط لكن نساء ايضاً قد اقاموا ايام حياتهم ممتنعين عن الجماع . ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير في المطعم والمشرب ، وشدة حرصهم على العدل ان صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة » .

قال عبدالله بن جبرائيل : فبهذا القول قد علم ان النصارى لم يكونوا ظاهرين في زمن المسيح بهذه الصورة ، أعني الرهبنة التي نعتها جالينوس ، وايثار الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى . ولكن بعد المسيح بمائة سنة انتشروا هذا الانتشار حتى زادوا على الفلاسفة في فعل الخير وآثروا العدل والتفضل والعفاف ، وفازوا بتصديق المعجز ، وحصل لهم الحالان ، وورثوا المنزلتين ، واغتبطوا بالسعادتين اعني السعادة الشرعية والسعادة العقلية . فمن هذا وشبهه يتبين تاريخ جالينوس .

وهذا آخر ما ذكره عبدالله بن جبرائيل من امر جالينوس .

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران قال :

المواضع الذي ذكر جالينوس فيها موسى والمسيح ، قد ذكر موسى في المقالة الرابعة من كتابه في التشريح على رأي أبقراط اذ يقول : « هكذا يشبهون من تدين من المتطبين لموسى الذي سن سنناً لشعب اليهود لان من شأنه أن يكتب كتبه من غير برهان اذ يقول الله امر والله قال » .

ويذكر موسى في كتاب منافع الاعضاء . ويذكر موسى والمسيح في كتاب النبض الكبير اذ يقول : « لا الخشبة المتفتلة تستوي ولا الشجرة العتيقة اذا حولت تعلق فيسهل ان يعلم الانسان أهل موسى والمسيح من ان يعلم الاطباء والفلاسفة المتارين بالاحزاب .

ويذكر موسى والمسيح في مقالته في المحرك الاول ويقول : لو كنت رأيت قوماً يعلمون تلاميذهم كما كان يعلمون اهل موسى والمسيح اذ كانوا يأمرونهم ان يقبلوا كل شيء بالاماتة، لم اكن اريكم احداً .

وفي مواضع أخرقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل: « وكان جالينوس من الحكماءاليونانيين الذين كانوا في الدولة القيصرية بعد بنيان روميه ومولده ومنشؤه بفرغامس وهي مدينة صغيرة من جملة مدائن آسيا شرقي قسطنطينية ، وهي جزيرة في بحر قسطنطينية ، وهم روم إغريقيون يونانيون . ومن تلك الناحية اندفع الجيش المعروف بالقوط من الروم الذين غنموا الاندلس واستوطنوها . وذكر لشيذر الاشبيلي الحراني ان مدينة فرغامس كانت موضع سجن الملوك ، وهنالك كانوا يحبسون من غضبوا عليه » .

مسكن جالينوس

وقال يوسف بن الداية في تعريف موضع جالينوس ومسكنه ما هذه حكايته :

قال : سأل ابو اسحق ابراهيم [1] بن المهدي جبرائيل [2] بن بختيشوع عن مسكن جالينوس اين كان من أرض الروم ، فذكر ان مسكنه في دهره كان متوسطاً لارض الروم ، وانه في هذا الوقت في طرف من اطرافها . وذكر ان حد ارض الروم كان في ايام جالينوس من ناحية الشرق ممـــا يلي الفرات القرية المعروفة ببنغيا من طوج الانبار [3] ، وكانت المسلحة التي يجتمع فيها جند فارس والروم ونواطيرهما فيها . وكان الحد من ناحية دجلة دارا ، الا في بعض الاوقات ، فان ملوك فارس كانت تغلبهم على ما بين دارا ورأس العين[4] ، فكان الحد فيما بين فارس والرومِ من ناحية الشمال ارمينية[5] ، ومن ناحية المغرب مصر [6] إلا ان الروم كانت تغلب في بعض الاوقات على مصر وعلى أرمينية .

فلما ذكر جبرائيل غلبة الروم على ارمينية في بعض الاوقات تلقيت قوله بالانكار ، وجحدت ان تكون الروم غلبت على ارمينية الا الموضع الذي يسمى بلسان الروم ارمنيانس ، فان الروم يسمون اهل هذا البلد الى هذه الغاية الارمن فشهد له علي ابو اسحق بالصدق ، وأتى بدليل على ذلك لم اصل الى دفعه ، وهو نمط [7] ارمني كأحسن ما رأيت من الارمن صنعة فيه صور جوار يلعبن في بستان بأصناف الملاهي الرومية ، وهو مطرز بالرومية مسمى باسم ملك الروم فسلمت لجبرائيل.

(ورجع الحديث الى القول في جالينوس (قال : واسم البلد الذي ولد فيه وكان مسكنه سمرنا ، وكان منزله بالقرب من قرية بينه وبينها فرسخان .

قال جبرائيل: « فلما نزل الرشيد على قرة ، رايته طيب النفس ، فقلت له يا سيدي يا امير المؤمنين ، منزل استاذي الاكبر مني على فرسخين ، فإن رأى أمير المؤمنين ان يطلق لي الذهاب اليه حتى اطعم فيه وأشرب ، فأصول بذلك على متطببي اهل دهري ، وأقول أني أكلت وشربت في منزل استاذي ، فليفعل »؟.

فاستضحك من قولي ثم قال لي : « ويحك يا جبرائيل أتخوف ان يخرج جيش الروم او منسر [8] فيختطفك » .

فقلت له : « من المحال ان يقدم الروم على القرب من معسكرك هذا القرب كله » ، فأمر باحضار

---

(١) هو ابراهيم بن المهدي العباسي عم المأمون تعاطى الغناء والطرب والملاهي وحتى المنادمة (٧٧٩ - ٨٣٨) .

(٢) من كبار اسرة طبية من سوريا مات سنه «٨٣٠» وله كتب نافعة في الطب والمنطق ونقل الى اللغة العربية كثيراً من كتب الطب اليونانية .

(٣) مدينة قديمة في العراق على الفرات (ن. ر) .

«٤» مدينة في سوريا على الخابور « الحسجة » «٥» هي النجاد وجبال في آسيا الصغرى جنوب القفقاز بين ايران شرقاً والأناضول غرباً ، وبين بحر قزوين ومسيل الفرات الأعلى .

«٦» بلاد في شمال افريقية تمتد بين البحر المتوسط وبلاد النوب وهي جمهورية مصر العربية اليوم .

«٧» النمط : ضرب من البسط . وهنا يرجع الضمير الى جبرائيل .

«٨» قطعة جيش تمر قدام الجيش (ن.ر) .

ابراهيم بن عثمان بن نهيك وامره ان يضم الي خمسمائة رجل حتى اوافي الناحية . فقلت : « يا امير المؤمنين في خمسين كفاية » .

فاستضحك ثم قال : ضم اليه الف فارس ، فأنه انما كره ان يطعمهم ويسقيهم .

قال : « فقلت ما لي الى النظر الى جالينوس حاجة » ، فازداد ضحكاً ثم قال :

« وحق المهدي لتنفذن ومعك الالف فارس » .

قال جبرائيل : فخرجت وانا من اشد الناس غماً واكسفهم بالاً ، قد اعددت لنفسي ما لا يكفي عشرة أنفس مين الطعام والشراب .

قال : فما استقر بي الموضع حتى وافاني الخبز والمساليخ والملح فعم من معي وفضل كثير . فأقمت في ذلك الموضع فطعمت فيه ، ومضى فتيان الجند واغاروا على مواضع خمور الروم ولحومهم ، فأكلوا اللحم كباباً بالخبز ، وشربوا عليه الخمر ، وانصرفت في آخر النهار .

فسأله ابو اسحق : « هل تبين في رسم منزل جالينوس ما يدل على انه كان له شرف ؟» فقال له: « اما الرسم فكثير . ورأيت له ابياتاً شرقية وابياتاً غربية وأبياتاً قبلية ولم ار لــه بيتاً فراتياً . وكذلك كانت فلاسفة الروم تجعل بيوتها ، وكذلك كانت ترى عظماء فارس ، وكذلك أرى انا اذا أصدقت نفسي وعملت بما يجب ، لان كل بيت لا تدخله الشمس يكون وبيئاً . وانما كان جالينوس على حكمتــه خادماً لملوك الروم ، وملوك الروم اهل قصد في جميع امورهم، فاذا قست منزل جالينوس الى منازل الروم رأيت من كبر خطته وكثرة بيوته ، وان كنت لم ارها إلا خراباً على اني وجدت فيها ابياتاً مسقفة استدللت على انه كان ذا مروءة . » فسكت عنه ابو اسحق ، فقلت « يا ابا عيسى ان ملوك الروم على مـــا وصفت في القصد وليس قصدهم في هباتهم وعطاياهم الا قصدهم في مروءات انفسهم ، فالنقص يدخل المخدوم والخادم ، فاذا نظرت الى موضع قصرملك الروم وموضع جالينوس ثم نظرت الى قصر امير المؤمنين ومنزلك ، يكون نسبة منزل جالينوس الى منزل ملك الروم مثل نسبة منزلك الى منزل امير المؤمنين .

وكان جبرائيل احياناً يعجب مني لكثرة الاستقصاء في السؤال، ويمدحني عند ابي اسحق،واحياناً يغضب منه حتى يكاد ان يطير غيظاً . فقال لي :«وما معنى ذكرك النسبة ؟ » فقلت له : « اردت بذكر النسبة انها لفظة يتكلم بها حكماء الروم ، وانت رئيس تلامذة أولئك الحكماء ، فاردت التقرب اليك بمخاطبتك بألفاظ استاذيك . »

وانما معنى قولي نسبة دار جالينوس الى دار ملك الروم مثل نسبة دارك الى دار امير المؤمنين : انه إن كانت دار جالينوس مثل نصف او ثلث او ربـــع او خمس او قدر من الاقدار من دار ملك الروم ، هل يكون قدرها من ملك الروم مثل قدر دارك من دار امير المؤمنين او اقل ؟ فان دار امير

المؤمنين ان كانت فرسخاً [١] في فرسخ وقدر دارك عشر فرسخ في عشر فرسخ ، ودار ملك الروم‌ان كانت عشر فراسخ في عشر فراسخ ، ودار جالينوس عشر عشر فرسخ في عشر عشر فرسخ ، كان قدر دار جالينوس من دار ملك الروم مثل مقدار دارك من دار أمير المؤمنين سواء .

فقال : « لم تكن دار جالينوس كذا، وهي أقل مقداراً من داري عند دار امير المؤمنين بكثير كثير » فقلت له . « تخبرني عما أسأل ؟» قال : « لست آبي عليك » . فقلت له : « انك قد اخبرت عن صاحبك انه كان أنقص مروءة منك » . فغضب وقال : « انت نوماجذ . » وكنت احسب هذه اللفظة فرية [٢] فغضبت ، فلما رأى غضبي قال : « اني لم أقذفك بشيء عليك فيه ضرر . وودت اني كنت نوماجذ » . هذا اسم ركب من حرفين فارسيين وهما الحدة والاتيان . فانما نوماجذ : نوه ، آمد ، اي جاء حدته ، فيقال هذا للحدث ؛ ووددت انا كنا احداثاً مثلك . وانما أنهاك ان تتقفز تقفز الديوك المحتلمة ، فانها ربما نازعتها نفسها الى منافرة الديوك الهرمة ، فينقر الديك الهرم الديك المحتلم النقرة ، فيظهر دماغه فلا تكون للمحتلم بعد ذلك حياة . وانت تعارضني كثيراً المجالس ثم تحكم وتظلم في الحكم».

« وان عيش جبرائيل وبختيشوع أبيه وجورجس جده لم يكن من الخلفاء وعمومتهم وقراباتهم ووجوه مواليهم وقوادهم ، وكل هؤلاء ففي اتساع من النعمة باتساع قلوب الخلفاء . وجميع اصحاب ملك الروم ففي ضنك من العيش وقلة ذات يد فكيف يمكن ان اكون مثل جالينوس ، ولم يكن له متقدم نعمة ، لان أباه كان زراعاً وصاحب جنات وكروم ؟ . فكيف يمكن من كان معاشه من أهل هذا المقدار ان يكون مثلي ولي ابوان قد خدما الخلفاء وأفضلوا عليهما ، وغيرهم ممن هو دونهم . وقد افضل الخلفاء علي ورفعوني من حد الطب الى المعاشرة والمسامرة . فلو قلت انه ليس لامير المؤمنين أخ ولا قرابة ولا قائد ولا عامل الا وهو يداريني ، ان لم يكن مائلا بمحبته الي وان كان مائلا او شاكراً لي على علاج عالجته ، او محضر جميل حضرته، او وصف حسن وصفته به عند الخلفاء فنفعه ، فكل واحد من هؤلاء يفضل علي ويحسن الي . واذا كان قدر داري من دار امير المؤمنين على جزء من عشرة اجزاء ؛ وكان قدر دار جالينوس من دار ملك الروم على قدر جزء من مائة جزء فهو اعظم مني مروءة . فقال له ابو اسحق : « ارى حدتك على يوسف انما كانت لانه قدمك في المروءة على جالينوس ؟ » فقال : « اجل والله ، لعن الله من لا يشكر النعم ، ولا يكافىء عليها بكل ما امكنه . اني والله اغضب ان اسوى بجالينوس في حال من الحالات ، واشكر في تقديمه على نفسي في كل الاحوال » .

فاستحسن ذلك منه ابو اسحق واظهر استصواباً له وقال : « هذا لعمري الذي يحسن بالاحرار

---

(١) ثلاثة اميال بالهاشمي وهو في قياس المتر ، خمسة آلاف واربعون متراً امتدادية عل اشهر الاقوال .
(٢) قذفاً ، «ن.ر»

والادباء » . فانكب على قدم ابي اسحق ليقبلها فمنعه من ذلك وضمه اليه .

وقال سليمان بن حسان : « وكان جالينوس في دولة نيرون قيصر وهو السادس من القياصرة الذين ملكوا رومية » وطاف جالينوس البلاد وجالها ودخل الى مدينة رومية مرتين فسكنها . وغزا مع ملكها لتدابير الجرحى . وكانت له بمدينة رومية مجالس عامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبان علمه .

وذكر جالينوس في كتابه محنة الطبيب الفاضل ما هـذا حكايته قال : « اني منذ صباي تعلمت طريق البرهان . ثم اني لما ابتدأت بعلم الطب رفضت اللذات ، واستخففت بما فيه من عرض الدنيـا ورفضته ، حتى وضعت عن نفسي مؤونة البكور الى ابواب الناس للركوب معهم من منـــازلهم ، وانتظارهم على ابواب الملوك للانصراف معهم الى منازلهم وملازمتهم . ولم أفن دهري واشق نفسي في هذا التطواف على الناس الذي يسمونه تسليما . لكن اشغلت نفسي دهري كله بأعمال الطب والروية والفكر فيه . وسهرت عامة ليلي في تقليب الكنوز التي خلفها القدماء لنا . فمن قدر ان يقول انـه فعل مثل هذا الفعل الذي فعلت ، ثم كانت معه طبيعة ذكاء ، وفهم سريع ، يمكن معها قبول هذا العلم العظيم ؛ فواجب ان يوثق به قبل ان يجرب قضاياه وفعله في المرضى . ويقضي عليه بأنه أفضل ممن ليس معه ما وصفنا ولا فعل ما عددناه .

« وبهذا الطريق سار رجل من رؤساء الكريين عند رجوعي الى مدينة من البلدان التي كنت نزعت اليها ، على انه لم يكن تم لي ثلاثون سنة ، الى ان ولاني علاج جميع المجروحين من المبارزين في الحرب . وقد كان يولي امرهم قبل ذلك رجلان او ثلاثة من المشايخ . فلما ان سئل ذلك الرجل عن طريق المحنة التي امتحنني بها حتى وثق بي فولاني أمرهم ، قال : « – اني رأيت الايام التي افناهـــا هذا الرجل في التعليم اكثر من الايام التي افناها غيره من مشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم . وذلك اني رأيت اولئك يفنون أعمارهم فيما لا ينتفع به ، ولم أر هذا الرجل يفني يوماً واحداً ولا ليلة من عمره في الباطل . ولا يخلو في يوم من الايام ولا في وقت من الارتياض فيما ينتفع به . وقـد رأيناه ايضاً فعل افعالا قريباً هي اصح في الدلالة على حذقه بهذه الصناعة من سنى هؤلاء المشايخ » . –

« وقد كنت حضرت مجلساً عاماً من المجالس التي تجتمع فيها الناس لاختبار علم الاطباء ، فأريت من حضر اشياء كثيرة من امر التشريح . واخذت حيواناً فشققت بطنه حتى اخرجت امعـــاءه ، ودعوت من حضر من الاطباء الى ردها ، وخياطة البطن على ما ينبغي ، فلم يقدم احـــد منهم على ذلك . وعالجناه نحن فظهر منا فيه حذق ودربة وسرعة كف . وفجرنا ايضاً عروقاً كباراً بالتعمد ليجري منها الدم ، ودعونا مشايخ من الاطباء الى علاجها ، فلم يوجد عندهم شيء . وعالجتها انا فتبين لمن كان له عقل ممن حضر ان الذي ينبغي ان يتولى امر المجروحين من كان معه من الحذق ما معي . فلما ولاني ذلك الرجل امرهم وهو اول من ولاني هذا الامر اغتبط بذلك . وذلك انـــه لم يمت من

جميع من ولاني امره الا رجلان فقط . وقد كان مات ممن تولى علاجه طبيب كان قبلي ستة عشر نفساً . » ثم ولاني بعده امرهم رجل آخر من رؤساء الكريين فكان بتوليته اياي أسعد . وذلك انه لم يمت احد ممن ولانيه ، على انه قد كانت بهم جراحات كثيرة جداً عظيمة .

« وانما قلت هذا لأدل كيف يقدر الممتحن ان يمتحن ويميز بين الطبيب الماهر وبين غيره قبل ان يجرب قوله وعلمه في المرضى ، ولا يكون امتحانه له كما يمتحن الناس اليوم الاطباء ، ويقدمون منهم من ركب معهم واشتغل بخدمتهم الشغل الذي لا يمكن معه الفراغ لاعمال الطب . بل يكون تقديمه واختياره لمن كان على خلاف ذلك ، وكان شغله في دهره كله في اعمال الطب لاغيرها .

قال : « واني لأعرف رجلاً من اهل العقل والفهم قدمني من فعل واحد رآني فعلته ، وهو تشريح حيوان بينت به بأي الآلات يكون الصوت وبأي الحركة منها . وكان عرض لذلك الرجل قبل ذلك الوقت بشهرين ان سقط من موضع عال فتكسرت من بدنه اعضاء كثيرة ؛ وبطل عامة صوته، حتى صار كلامه بمنزلة السرار [1] . وعولجت اعضاؤه فصلحت وبرأت بعد ايام كثيرة ، وبقي صوته لا يرجع . فلما ان رأى مني ذلك الرجل ما رأى وثق بي وقلدني أمر نفسه فابرأته في ايام قلائل ، لاني عرفت الموضع الذي كانت الآفة فيه ، فقصدت له . »

وقال : « واني لاعرف رجلاً آخر سقط من دابته فتهشم ثم عولج فبرأ من جميع ما كان ناله خلا ان اصبعين من اصابع كفه وهما الخنصر والبنصر بقيتا خدرتين زماناً طويلاً . وكان لا يحس بهما كثير حس ، ولا يملك حركتها على ما ينبغي . وكان من ذلك ايضاً شيء في الوسطى . فجعل الاطباء يضعون على تلك الاصابع ادوية مختلفة وكلها لم تنجح . وكلما وضعوا دواء انتقلوا منه الى غيره . فلما أتاني سألته عن الموضع الذي قرع الارض من بدنه ، فلما قال لي ان الموضع الذي قرع منه هو ما بين كتفيه ، وكنت قد علمت من التشريح ان مخرج العصبة التي تأتي هاتين الاصبعين اول خرزة فيما بين الكتفين ، علمت ان اصل البلية هو الموضع الذي تنبت فيه تلك العصبة من النخاع . فوضعت على ذلك الموضع الذي تنبت منه تلك العصبة بعض الادوية التي كانت توضع على الاصابع ، بعد ان أمرت فقلعت عن الاصابع تلك الادوية التي توضع عليها باطلاً ، فلم يلبث الا يسيراً ، حتى برىء ، وبقي كل من رأى ذلك يتعجب من ان ما بين الكتفين يعالج فتبرأ الاصابع .

قال : « وأتاني رجل آخر اصابته آفة في صوته وشهوته للطعام معاً ، فابرأته بادوية وضعتها على رقبته ، وكان العارض لذلك الرجل ما اصف لك : « كان به خنازير عظيمة في رقبته في كلا الجانبين، فعالجه بعض المعالجين فقطع تلك الخنازير ، واورثه بسوء احتياطته برداً في العصبتين المجاورتين للعرقين النابضين الشاخصين في الرقبة . وهاتان العصبتان تنبتان في اعضاء كثيرة ، وتأتي منها شعبة عظيمة

«١» السرار : هنا يقصد بها المسارة .

الى فم المعدة ، ومن تلك الشعبة تنال المعدة كلها الحس ، الا ان اكثر ما في المعدة حساً منها لكثرة ما ينبت من تلك العصبة التي فيها . وشعبة يسيرة من كل واحدة من هاتين العصبتين تحرك واحدة من آلات الصوت ، ولذلك ذهب صوت ذلك الرجل وشهوته ، فلما علمت ذلك وضعت على رقبته دواء مسخناً فبرأ في ثلاثة ايام ، وما احد رأى هذا الفعل مني ، ثم صبر لان يسمع مني الرأي الذي اداني الى علاجه الاعجب ، إلا وعلم ان بالاطباء الى التشريح اعظم الحاجة . »

وقال جالينوس في كتابه « في الامراض العسرة البرء»: انه كان ماراً بمدينة رومية اذ هو برجل خلق حوله جماعة من السفهاء ، وهو يقول : انا رجل من اهل حلب لقيت جالينوس ، وعلمني علومه اجمع ، وهذا دواء ينفع من الدود في الاضراس » ، وكان الخبيث قد اعد بندقاً من قار [1] وقطران [2]، وكان يضعها على الجمر ويبخر بها صاحب الاضراس المدودة بزعمه ، فلا يجد بداً من غلق عينيه ، فاذا اغلقها دس في فمه دودا قد اعدها في حق [3] ، ثم يخرجها من فم صاحب الضرس . فلما فعل ذلك القى اليه السفهاء بما معهم ، ثم تجاوز ذلك حتى قطع العروق على غير مفاصل .

قال : « فلما رأيت ذلك ابرزت وجهي للناس وقلت انا جالينوس ! وهذا سفيه . ثم حذرت منه ، واستعديت عليه السلطان فلطمه »

ولذلك ألف كتاباً في اصحاب الحيل .

وقال جالينوس في « كتاب قاطاجانس » : انه دبر [4] في الهيكل بمدينة رومية في نوبة الشيخ المقدم الذي كان في الهيكل الذي كان يداوي الجرحى ، وذلك الهيكل هو البيمارستان — فبرأ كل من دَبرَه من الجرحى قبل غيرهم .

وبان بذلك فضله وظهر علمه ، وكان لا يقنع من علم الاشياء بالتقليد دون المباشرة .

قال المبشر بن فاتك : « وسافر جالينوس الى اثينية ورومية والاسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العلم ، وتعلم من ارمنيس الطب » وتعلم اولاً من ابيه ومن جماعة مهندسين ونحاة : الهندسة واللغة والنحو وغير ذلك . ودرس الطب ايضاً على امرأة اسمها قلاوبطر ، واخذ عنهـــا ادوية كثيرة ، ولا سيما ما تعلق بعلاجات النساء . وشخص الى قبرس ليرى القلقطار في معدنه . وكذلك شخص الى جزيرة لمنوس ليرى عمل الطين المختوم ، فباشر كل ذلك بنفسه وصححه برؤيته . وسافر ايضاً الى مصر واقام بها مدة فنظر عقاقيرها ولا سيما الافيون ، في بلد اسيوط [5] من اعمال صعيدها . ثم خرج متوجهاً منها نحو بلاد الشام راجعاً الى بلده ، فمرض في طريقه ومات بالفرما ، وهي مدينة على البحر

«١» مادة سوداء تطلى بها السفن وهو الزفت .
«٢» عصارة شجرة تطلى بها الابل تحصل من تقطير الخشب او الفحم الحجري .
«٣» وعاء .
«٤» اصل معناها تتبعه من وراءه وهنا تتبع معالجته . (ن . ر) .
(٥) مدينة في صعيد مصر مسقط رأس افلاطين الفيلسوف والعلامة جلال الدين السيوطي .

الاخضر في آخر اعمال مصر .

وقال المسعودي في كتاب « المسالك والممالك » ان الفرما [١] على شط بحيرة تنيس ، وهي مدينة حصينة وبها قبر جالينوس اليوناني. وقال غيره انه لما كانت ديانة النصرانية قد ظهرت في ايام جالينوس قيل له ان رجلاً ظهر في آخر دولة قيصر اكتفيان ببيت المقدس يبرىء الاكمه [٢] والابرص ويحيي الموتى فقال : « يوشك ان تكون عنده قوة إلهية يفعل بها ذلك » ، فسأل ان كان هناك بقية ممن صحبه فقيل له نعم ! فخرج من رومية يريد بيت المقدس؛فجاز الى صقلية وهي يومئذ تسمى سلطانية. فمات هنالك وقبره بصقلية . ويقال ان العلة التي مات بها الذرب [٣] .

وحكي عنه انه لما طالت به العلة عالجها بكل شيء فلم ينجع ، فقالت تلاميذه ان الحكيم ليس يعرف علاج علته ، وقصروا في خدمته ، فاحس بذلك منهم وكان زماناً صائفاً ، فأحضر جرة فيها ماء وأخرج شيئاً فطرحه فيها وتركها ساعة وكسرها ، واذا بها قد جمدت ، فأخذ من ذلك الدواء فشربه واحتقن به فلم ينفع . فقال لتلاميذه هل تعلمون لم فعلت هذا ؟ قالوا لا ! قال لئلا تظنوا اني قد عجزت عن علاج نفسي فهذه علة تسمى داء مدد يعني الداء الذي لا دواء له وهو الموت . وهذه الحكاية احسبها مفتعلة عن جالينوس » .

صفة تجميد الماء

وذكر ابن بختويه [٤] في كتاب « المقدمات » صفة لتجميد الماء في غير وقته ، زعم انه اذا اخذ من الشب اليماني الجيد رطل ، ويسحق جيداً ويجعل في قدر فخار جديدة ؛ ويلقى عليه ستة ارطال ماء صاف ، ويجعل في تنور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص ، فانه يشتد . ثم يرفع في قنينة ويسد رأسها جيداً . فاذا اردت العمل به اخذت ثلجية جديدة وفيها ماء صاف ، واجعل في الماء عشرة مثاقيل [٥] من الماء المعمول بالشب ، ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلجاً . وكذلك ايضاً زعم بعض المغاربة في صفة تجميد الماء في الصيف قال : اعمد الى بزر الكتان فانقعه في خل خمر جيد ثقيف ، فاذا جمد فيه فالقه في جرة او حب مليء ماء . قال : فانه يجمد ما كان فيه من الماء ولو انه في حزيران او تموز » .

---

(١) مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً .

(٢) الممسوح العين والمساوب العقل .

(٣) هنا يختلف المعنى باختلاف الحركات المبنية فان كانت الذرب فهو داء في الكبد وان كان الذوب فهو داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام فيفسد ولا تمسكه . (ن . ر) .

(٤) ابو الحسين عبد الله بن عيسى وكان طبيباً وخطيباً من اهل واسط . وله كتاب المقدمات ويعرف بكنز الاطباء .

(٥) ما وازنه في الوزن درهم وثلاثة اسباع الدرهم ويعدل بوزن هذا العصر ٣٠٤٣٦ غ هـذا الشرعي و ٤٠٨٠٠ غ للصيرفي الشامي (ن . ر) .

قال ابو الوفاء المبشر بن فاتك : « وكان جالينوس يعتني به ابوه العنايـــة البالغة ، وينفق عليه النفقة الواسعة ، ويجري على المعلمين الجراية الكثيرة ويحملهم اليه من المدن البعيدة . وكان جالينوس من صغره مشتهياً للعلم البرهاني ، طالباً له ، شديد الحرص والاجتهاد والقبول للعلم . وكان لحرصه على العلم يدرس ما علـّمه المعلم في طريقه اذا انصرف من عنده حتى يبلغ الى منزله . وكان الفتيان الذين كانوا معه في موضع التعليم يلومونه ويقولون له : « يا هذا ، ينبغي ان تجعل لنفسك وقتاً من الزمان تضحك معنا فيه وتلعب » فربما لم يجبهم لشغله بما يتعلمه ، وربما قال لهم ما الداعي لكم الى الضحك واللعب فيقولون : « شهوتنا الى ذلك » فيقول : « والسبب الداعي لي الى ترك ذلك وايثاري العلم بغضي لما انتم عليه ، ومحبتي لما انا فيه » فكان الناس يتعجبون منه ويقولون : « لقد رزق ابوك مع كثرة ماله وسعة جاهه ابنه حريصاً على العلم » . وكان ابوه من اهل الهندسة ، وكان مع ذلك يعاني صناعة الفلاحة ، وكان جده رئيس النجارين ، وكان جد ابيه ماسحاً .

وقـال جالينوس في كتابه في « الكيموس » الجيد والرديء « ان اباه مات وجالينوس من العمر عشرون سنة . وهذا ما ذكره في ذلك الموضع من حاله قال : « انك ان اردت تصديقي ايها الحبيب فصدقني ، فانه ليس لي علة ولا واحدة تضطرني الى الكذب ، فاني ربما غضبت اذا رأيت ناسا كثيرين من أهل الأئمة في الحكمة وفي الكرامة قد كذبوا كثيراً في كتبهم التي وصفوا بها علم الاشياء . فاما انا فأني اقول ولا اكذب الا ما قد عاينت بنفسي ، وجربت وحدي في طول الزمان . والله يشهد لي اني لست اكذب فيما اقص عليكم : انه قد كان لي اب حكيم فاضل ، قد بلغ من علم الامور بلوغاً ليست من ورائه غاية . اقول : من علم المساحة والهندسة والمنطق والحساب والنجوم الذي يسمى اسطرونميا وكان اهل زمانه يعرفونه بالصدق والوفاء والصلاح والعفاف . وبلغ من هذه الفضائل التي ذكرت ما لم يبلغها احد من حكماء اهل زمانه وعلمائهم . وكان القيم علي وعلى سياستي وانا حدث صغير ، فحفظني الله على يديه بغير وجع ولا سقم واني لما راهقت [(١)] او زدت توجه ابي الى ضيعة له وخلفني ، وكان محباً لعلم الاكرة [(٢)] فكنت في تعليمي وادبي افوق اصحابي المتعلمين عامـــة ، واتقدّمهم في العلم واتركهم خلفي ، واجتهد ليلا ونهاراً على التعليم . فتناولت يوماً مع اصحابي فاكهة وتملأت بها . فلما كان اول دخول فصل الخريف مرضت مرضاً حاداً فاحتجت الى فصد العرق ، وقدم والدي علي في تلك الايام ، ودخل المدينة ، وجاء الي فانتهرني وذكرني بالتذكير والسياسة والغذاء الذي كان يغذوني به وانا صبي . ثم امرني وتقدم الي فقال : « اتق من الآن وتحفظ وتباعدمن شهوات اصحابك الشباب وكثرتها والحاحهم واقتحامهم . » فلما كان الحول المقبل حرص ابي بحفظ غذائي والزمنيه ، ودبرني ايضاً وساسني سياسة موافقة . فلم أتناول من الفاكهة الا اليسير منها وانا يومئذ ابن تسع عشرة سنة . فخرجت سنتي تلك بلا مرض ولا اذى . ثم انه نزل بأبي بعد تلك السنة الموت . فجلست ايضاً مع اصحابي واخواني من اولئك الشباب فأكلت الفاكهـــة واكثرت ، وتملأت ايضاً فمرضت مرضاً شبيها

---

(١) قارب الحلم اي بلغ حد الرجال .

(٢) علم الحراثة (ن.ر)

بمرضي الاول فاحتجت ايضاً الى فصد العرق . ثم لزمتني الامراض بعد تلك السنة سنينا متتابعة ، وربما كان ذلك غبًّا سنة بعد سنة ، الى ان بلغت ثمانيا وعشرين سنة . ثم اني اشتكيت شكاية شديدة ، ظهرت بي دبيلة في الموضع الذي يجتمع فيه الكبد مع ذيافرغما – وهو الحجاب الحاجز ما بين الاعضاء المتنفسة والاعضاء الفعالة للغذاء – فعزمت حينئذ على نفسي ان لا اقرب بعد ذلك شيئاً من الفاكهة الرطبة ، الا ما كان من التين والعنب ، وهذان اذا كانا نضيجين . وتركت الاكثار منهما ايضاً فوق القدر والطاقة . وكنت اتناول منها قدراً ولا اجاوزه . وقد كان لي ايضاً صاحب أمَسّ مني فوافقني وواساني في العزم الذي عزمت عليه من ترك الفاكهة والتباعد ، فالزمنا انفسنا الضمور وتوقي التخم والشبع من الاغذية ، فبقينا جميعا معا بغير وجع ولا سقم الى يومنا هذا سنينا كثيرة . ثم لما رأيت ذلك عمدت الى اخلائي واخداني ومحبي من اخواني فألزمتهم الضمور والغذاء بقدر واعتدال فصحوا ولم يعرض لهم شيء مما اكره الى يومي هذا فمنهم من لزمته الصحة الى يومنا هذا خمسا وعشرين سنة ، ومنهم من لزمته الصحة خمس عشر ومنهم من لزمته السلامة اقل من ذلك واكثر، من اطاعني ولزم الغذاء على قدر ما قدّرت له من ذلك وتباعد من الفاكهة الرطبه وغيرها من الاغذية الرديئة الكيموسات .

وقال في كتابه « في علاج التشريح » بأنه دخل رومية في المرة الاولى في ابتداء ملك انطونينوس الذي ملك بعد ادريانوس ، وصنف كتابا في التشريح لبواثيوس المظفر الذي كان واليا على الروم عندما اراد ان يخرج من مدينة رومية الى مدينته التي يقال لها بطولومايس ، وسأله أن يزوده كتابا في التشريح . وصنف ايضاً في التشريح مقالات وهو مقيم بمدينة سمرنا عند باليس معلمه الثاني بعد ساطورس تلميذ قوينطوس . ومضى الى قورنثوس بسبب انسان آخر مذكور كان تلميذاً لقونطس يقال له افقيانوس . وسار الى الاسكندرية لما سمع ان هناك جماعة مذكورين من تلامذة قونطوس ومن تلامذة نوميسيانوس . ثم رجع الى موطنه فرغامس من بلاد آسيا ، ثم سار الى زومية ، وشرّح برومية قدام بواثيوس وكان يحضره دائماً اوذيموس الفيلسوف من فرقة المشائين وقد كان يحضرهم الذي يتولى في مدينة رومية وهو سرجيوس بولوس ، فانه في امور الحكمة كلها كان اولى بالقول والفعل جميعاً .

وقال جالينوس في بعض كتبه : انه دخل الاسكندرية في اول دفعة ، ورجع عنها الى فرغامس موطنه وموطن آبائه وعمره ثمان وعشرون سنة . وقال في كتابه « في فينكس كتبه » : انه كان رجوعه من رومية الى بلاده وقد مضى من عمره سبع وثلاثون سنة . وقال في كتابه « في نفي الغم » انه احترق له في الخزائن العظمى التي كانت للملك بمدينة رومية كتب كثيرة واثاث له قدر بمبلغ عظيم . وكان بعض النسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس، وبعضها بخط انكساغورس واندروماخس، وصحح قراءتها على معلميه الثقات ، وعلى من رواها عن أفلاطون . وسافر الى مدن بعيدة حتى صحح اكثرها .

وذكر ان من جملة ما ذهب له في هذا الحريق ايضاً اشياء كثيرة قد ذكرها في كتابه يطول حصرها.

وقال المبشر بن فاتك : « ان من جملة ما احترق لجالينوس في هذا الحريق كتاب « روفس » في الترياقات والسموم ، وعلاج المسمومين وتركيب الأدوية بحسب العلة والزمان ، وان من عزته عنده ، كتبه في ديباج أبيض بقز أسود وأنفق عليه جملة كثيرة » . اقــول : وبالجملة فان لجالينوس اخباراً كثيرة جداً ، وحكايات مفيدة لمن يتأملها ، ونبذاً ونوادر متفرقة في خلال كتبه وفي اثناء الاحاديث المنقولة عنه ، وقصصاً كثيرة مما جرى له فيمداواة المرضى مما يدل على قوته وبراعته فيصناعةالطب .

لم يتهيأ لي حينئذ ان اذكر جميع ذلك في هذا الموضع . وفي عزمي ان أجعل لذلك كتاباً مفرداً ينتظم كل ما اجده مذكوراً من هذه الأشياء في سائر كتبه وغيرها ان شاء الله تعالى .

وقد ذكرجالينوس في فينكس كتبه انه صنف مقالتين ، وصف فيهما سيرته .

فاما العلاجات البديعة التي حصلت لجالينوس ونوادره في تقدمة المعرفة التي تفرد بها ، عندما تقدم فأنذر بحدوثها فكانت على ما وصفه . فانا وجدناه قد ذكر من ذلك جمــلا في كتاب مفرد كتبه الى أفيجانس ، ووسمه بكتاب « نوادر تقدمة المعرفة » ، وهو يقول في كتابه هذا : « ان الناس كانوا يسمُّوني اولا » ، لجودة ما يسمعونه مني في صناعــة الطب ، المتكلم بالعجائب : فلمــا ظهرت لهم المعجزات التي كانوا يجدونها في معالجتي سموني الفاعل للعجائب .

وقال في كتابه : «في محنة الطبيب الفاضل » ما هذه حكايته : قال : ولم اعلم أحداً ممن بالحضرةالا وقد علم كيف داوينا الرجل الذي كان يضره كل شياف يكتحل به حتى برأ . وكانت في عينه قرحة عظيمة مؤلمة ، وكان مع ذلك ، الغشاء العنبي قد نتأ فتأنيت لذلك حتى سكن،والقرحة حتىاندملت من غير ان استعمل فيها شيئاً من الشيافات . فاقتصرت على اني كنت اهيىء له في كل يوم ثلاثه مياه ، احدها ماء قد طبخت فيه حلبة ، والآخر ماء قد طبخت فيه ورداً ، والآخر ماء قــد طبخت فيه زعفراناً غير مطحون . وقد رأى جميع الاطباء الذين بالحضرة وأنا استعمل هذه المياه، فلم يقدرأحد منهم ان يتمثل استعمالي اياها ، وذلك لانهم لا يعرفون الطريق ، ولا المقدار الذي يحتاج ان يقدر في كل يوم من كل واحد من هذه المياه ، على حسب ما تحتاج اليه العلة . وذلك ان تقدير ما كان لتلكالمياه عند شدة الوجع وغلبته بنوع ، وعند تفور النتوء بنوع ، وعند كثرة الوسخ في القرحة او الزيادة في عفنها بنوع . ولم استعمل شيئاً سوى هذه المياه ، وبلغت الى ما اردت من سكون نتوء الغشاء العنبي الذي كان نتأ ؛ وتسكين الوجع وتنقية القرحة في وقت مــا كان الوسخ كثيراً فيها ؛ وانبات اللحم فيها في وقت ما كانت عميقة ؛ واندمالها في وقت ما امتلأت . ولست اخلو في يوم من الايام من ان ابين من مبلغ الحذق بهذه الصناعة ما هذا مقداره في العظم او شبيه به. واكثر من يرىهذا منالاطباء لا يعلم اين هو مكتوب فضلا عما سوى ذلك . وبغضهم اذ رأى ذلك لقبني البديع الفعل ، وبعضهم البديع القول . مثل قوم من كبار اطباء رومية حضرتهم في اول دخلة دخلتهــا عند فتى محموم ، وهم يتناظرون في فصده ، ويختصمون في ذلك . فلما ان طال كلامهم قلت لهم : ان خصومتكم فضل ، والطبيعة عن قريب ستفجر عرقاً ويستفرغ من المنخرين الدم الفاضل في بدن هذا الفتى، فلم يلبثوا ان

رأوا ذلك عياناً ، فبهتوا في ذلك الوقت ولزموا الصمت ، واكسبني ذلك من قلوبهم البغضة ،ولقبوني البديع القول .

حضرت مرة اخرى مريضاً وقد ظهرت فيه علامات بينة جداً تدل على الرعاف ، فلم اكتف بأن انذرت بالرعاف حتى قلت انه يكون من الجانب الايمن . فلامني من حضر ذلك من الاطباء ، وقالوا « حسبنا ليس بنا حاجة الى ان تبين لنا » . فقلت لهم : « واراكم مع ذلك انكم عن قريب سيكثر اضطرابكم ويشتد وجلكم من الرعاف الحادث ، لانه سيعسر احتباسه ، وذلك اني لست ارى طبيعته تقوى على ضبط المقدار الذي يحتاج اليه من الاستفراغ والوقوف عنده » فكان الامر على ما وصفته ولم يقدر اولئك الاطباء على حبس الدم ، لانهم لم يعلموا من اين ابتدأ حين ابتدأت حركته ،وقطعته انا بأهون السعي ، فسماني اولئك الاطباء البديع الفعل .

وحكى ايضاً من هذا الجنس مما يدل على براعته وقوته في صناعة الطب في كتابه هذا ما هـــذه حكايته ، قال : « وقد حضرت مرة مع قوم من الاطباء مريضاً قـــد اجتمعت عليه نزلة مع ضيق نفس ، فتركت اولئك الاطباء اولاً يسقونه الادوية التي ظنوا انه ينتفع بها ، فسقوه اولاً بعض الادوية التي تنفع من السعال والنزلة ، وهذه الادوية تشرب عند طلب المريض النوم ، وذلك انها تجلب طرفاً من السبات حتى انها تنفع من به ارق وسهر . فنام ليلته تلك باسرها نوماً ثقيلاً ، وسكن عنه السعال وانقطعت عنه النزلة ، إلا انه جعل يشكو ثقلاً يجده في آلة النفس ، واصابه ضيق شديد في صدره ونفسه ، فرأى الاطباء عند ذلك انه لا بد من ان يسقوه شيئاً مما يعين على نفث ما في رئته ، فلمـــا تناول ذلك قذف رطوبات كثيرة لزجة . ثمُ ان السعال عاوده في الليلة القابلة ، وسهر وجعل يحس بشيء رقيق ينحدر من رأسه الى حلقه وقصبة رئته ، فاضطروا في الليلة القابلة ان يسقوه ذلك الدواء المنوم ، فسكن عنه عند ذلك النزلة والسعال والسهرة ، الا ان نفسه ازداد ضيقاً ، وساءت حاله في الليلة القابلة سوءا ، فلم تجد الاطباء معه بداً من ان يسقوه بعض الادوية الملطفة المقطعة لما في الرئة . فلما ان شرب ذلك نقيت رئته ، إلا انه عرض له من السعال ومن كثرة الربو ومن الارق بسببهما ما لم يقو على احتماله . فلما علمت ان الاطباء قد تحيروا ولم يبق عندهم حيلة ، سقيته بالعشي دواء لم يهج به سعالا ولا نزلة ، وجلب له نوماً صالحاً وسهل عليه قذف ما في رئتيه. وسلكت بذلك المريض هذه الطريق فأبرأته من العلتين جميعاً في ايام يسيرة ، على انهما علتان متضادتان فيما يظهر . ويتبين من هذا لمن يريده ان من قال من الاطباء انه لا يمكن ان يبرأ بدواء مرضان متضادان لم يصب ، وانا اول من استخرج استعمال هذه الادوية ، واستعمال الادوية التي تعالج بها القرحة العارضة في الرئة من قبل نزلة تنحدر اليها من الرأس . وغير ذلك من ادوية كثيرة سأبين طريق استعمالها في كتاب « تركيب الادوية » .

وقال جالينوس في كتابه ؛ في ان الاخيار من الناس قد ينتفعون باعدائهم من شرح حاله ما هـــذا نصه : « قال فاني لم أطلب من احد من تلاميذي أجرة ، ولا من مريض من المرضى الذين أعالجهم .

واني اعطي المرضى كل ما يحتاجون اليه لا من الادوية فقط أو من الاشربة أو من الادهان أو غير ذلك مما أشبهه ، لكنني أقيم عليهم من يخدمهم ايضاً اذا لم يكن لهم خـــدم ؛ واهيىء لهم مع ذلك ايضاً ما يغتذون به » . قال : « واني وصلت كثيراً من الاطباء باصدقاء كانوا لي توجهوا في عساكر، واطباء أخر ايضاً كثير عددهم ضمنتهم الى قوم من اهل القدر لم آخذ من احد منهم على ذلك رشوة او هدية ، بل كنت اهب لقوم منهم بعض الآلات والادوية التي يحتاجون اليهـــا . وبعض لم اكن اقتصر به على ذلك فقط ، لكنني كنت أزوده ما يحتاج اليه من النفقة في طريقه .

صفة جالينوس واخلاقه

وقال المبشر بن فاتك : « ان جالينوس كان اسمر اللون ، حسن التخاطيط ، عريض الاكتاف ، واسع الراحتين ، طويل الاصابع ، حسن الشعر ، محباً للاغاني والالحان وقراءة الكتب ، معتدل المشية ، ضاحك السن ، كثير الهذر ، قليل الصمت ، كثير الوقوع في اصحـــابه ، كثير الاسفار ، طيب الرائحة ، نقي الثياب . وكان يحب الركوب والتنزه . مداخلاً للملوك والرؤساء من غير ان يتقيد في خدمة احد من الملوك ، بل انهم كانوا يكرمونه . واذا احتاجوا اليه في مداواة شيء من الامراض الصعبة دفعوا له العطايا الكثيرة من الذهب وغيره في برئهـــا . » وذكر ذلك في كثير من كتبه » . وانه كان اذا تطلّبه احد من الملوك ان يستمر في خدمته سافر من تلك المدينة الى غيرهـــا لئلا يشتغل بخدمة الملك عما هو بسبيله .

وذكروا ان الاصل كان في اسم جالينوس غالينوس ، ومعناه الساكن او الهادي . وقيل ان ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل .

وقال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي [1] في كتاب « الحاوي » انه ينطلق في اللغة اليونانية ان ينطق بالجيم غيناً وكافاً ، فيقال مثلاً جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز . وقد تجعل الالف واللام لاماً مشددة فيكون ذلك أصح في اليونانية » .

اقول : وهذه فائدة تتعلق بهذا المعنى وهي : حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : حدثني ابناغاثون المطران بشوبك وكان اعلم اهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية، ان في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة من اسماء الناس وغيرهم،فآخرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطوطاليس وديوجانيس واريباسيوس ، وغير ذلك ، وكذلك مثل قولهم قاطيغورياس وباريمينياس ، ومثل اسطوخودس ، واناغالس ، فان السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة ، مثل قولك زيدٌ وعمروٌ وخالدٌ وبكرٌ وكتابٌ وشجرٌ . فتكون النون التي تتبين في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك .

---

(١) ولد في الري (٨٦٤ – ٩٣٢) ولقب بجالينوس العرب أو طبيب المسلمين واشهر كتبه كتاب « الحاوي » (ن.ر)

اقول : « ويقع لي ان من الالفاظ التي في لغة اليونانيين ، وهي قلائل ؛ ما لا يكون في آخره سين مثل سقراط وافلاطن واغاثاذيمون واغلوقن وتامور وباغات . وكذلك من غير اسماء الناس مثل: اثالوطيقيا ونيقوماخيا والريطورية ، ومثل : جند بيدستر وترياق ، فان هذه الاسماء تكون في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم تنوينها فتكون بلا سين . وذلك مثل ما عندنا في لغة العرب ان من الاسماء ما لا ينون ، وهي الاسماء التي لاتنصرف مثل اسماعيل وابراهيم واحمد ومساجد ودنانير ، فتكون هذه كتلك . والله اعلم .

وقد مدح ابو العلاء بن سليمان المعري [١] في كتاب « الاستغفار » كتب جالينوس ومدوني الطب فقال :

سقيا ورعيا [٢] لجالينوس من رجل	ورهط بقراط غاضوا بعد او زادوا
فكل ما أصّلوه غير منتقض	به استغاث أولو سقم وعُوّاد
كُتُب لطاف عليهم خفّ محملها	لكنها في شفاء الداء أطواد [٣]

ومن ألفاظ جالينوس وآدابه ونوادره الحكمية ، مما ذكره حنين ابن اسحق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء » ، قال جالينوس :

« الهم فناء القلب والغم مرض القلب » . ثم بين ذلك فقال : « الغم بما كان والهم بما يكون » . وفي موضع آخر : « الغم بما فات والهم بما هو آت ، فإياك والغم فان الغم ذهاب الحياة . الا ترى ان الحي اذا غُمّ وجبة تلاشى من الغم » .

قال في صورة القلب : « ان في القلب تجويفين أيمن وأيسر . وفي التجويف الايمن من الدم اكثر من الايسر . وفيهما عرقان يأخذان الى الدماغ ، فاذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه انقبض ، فانقبض لانقباضه العرقان ، فتشنج لذلك الوجه وألِمَ له الجسد . واذا عرض له ما يوافق مزاجه انبسط ، وانبسط العرقان لانبساطه » . قال : « وفي القلب عُرَيق صغير كالانبوبة مطل على شغاف القلب وسويدائه [٤] ، فاذا عرض للقلب غم انقبض ذلك العُريق فقطر منه دم على سويداء القلب وشغافه ، فيعصر عند ذلك من العرقين دم يتغشاه ، فيكون ذلك عصراً على القلب ، حتى يحس ذلك في القلب والروح والنفس والجسم ، كما يتغشى بخار الشراب الدماغ فيكون منه السكر » .

وقيل : ان جالينوس اراد امتحان ذلك ، فأخذ حيواناً ذا حس فغمه اياماً ، ولما ذبحه وجد قلبه

---

(١) ولد في معرة النعمان (٩٧٩-١٠٥٨) شاعر ومفكر . فقد بصره وهو في الرابعة من عمره سمى نفسه رهين المحبسين العمى والبيت لانه اعتزل بعدما سافر الى بغداد وعاد منها الى بلده . وكان لاذع النقد متشائماً .

(٢) دعاء بالسقيا والرعاية .

(٣) جمع طود وهو الجبل العظيم أي شفاءها للداء عظيم .

(٤) شغاف القلب وسويداؤه : غلافه وحبته .

ذابلاً نحيفاً قد تلاشى أكثره . فاستدل بذلك على ان القلب اذا توالت عليه الغموم ، وضاقت به الهموم ، ذبل ونحل . فحذر حينئذ من عواقب الغم والهم .

وقال لتلاميذه : « من نصح الخدمة نصحت له المجازاة » . وقال لهم : « لا ينفع علمٌ مَن لا يعقله ، ولا عقلٌ مَن لا يستعمله » .

وقال في كتاب اخلاق النفس : « كما انه يعرض للبدن المرض والقبح ، فالمرض مثل الصرع والشوصة [١] ، والقبح مثل الحدب وتسقط الرأس وقرعه ، كذلك يعرض للنفس مرض وقبح ، فمرضها كالغضب ، وقبحها كالجهل» .

وقال : « العلل تجيء على الانسان من اربعة اشياء : من علة العلل ، ومن سوء السياسة في الغذاء ، ومن الخطايا ، ومن العدو ابليس » وقال : « الموت من اربعة اشياء : موت طبيعي ، وهو موت الهرم ؛ وموت مرض وشهوة ، مثل من يقتل نفسه او يقاد [٢] منه ؛ وموت الفجأة ، وهو بغتة » . وقال : وقد ذكر عنده القلم : «القلم طبيب المنطق » .

ومن كلامه في العشق ، قال : « العشق استحسان ينضاف اليه طمع » . وقال : « العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد . وفي الدماغ ثلاث قوى : التخيل ، وهو في مقدم الرأس ؛ والفكر ، وهو في وسطه ؛ والذكر ، وهو في مؤخره . وليس يكمل احد اسم عاشق حتى يكون اذا فارق من يعشقه لم يخل من تخيله وفكره وذكره ، وقلبه وكبده . فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد ، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخييل ، والذكر له والفكر فيه ، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به . فمتى لم تشتغل به وقت الفراق لم يكن عاشقاً . فاذا لقيه خلت هذه المساكن .

قال حنين بن اسحق : « وكان منقوشاً على فص خاتم جالينوس « **من كتم داءه أعياه شفاؤه** » .

ومن كلام جالينوس ، مما ذكره أبو الوفاء المبشر بن فاتك ، في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » قال جالينوس :

« لِنْ تنل ، واحلم تنبل ، ولا تكن معجباً فتُمتهن» .

وقال : « العليل الذي يشتهي ، أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي » .

وقال : « لا يمنعك من فعل الخير ميل النفس الى الشر » .

وقال « رأيت كثيراً من الملوك يزيدون في ثمن الغلام المتأدب بالعلوم والصناعات ، وفي ثمن الدواب الفاضلة في اجناسها ، ويُغفلون امر انفسهم في التأدب ، حتى لو عُرض على احدهم غلام مثله ما اشتراه ولا قبله . فكان من أقبح الاشياء عندي ان يكون المملوك يساوي الجملة من المال ، والمالك لا يجد من يقبله مجاناً .

---

(١) ريح في البطن تجول يسبب آلاماً . (ن.ر)

(٢) ان يقتل قوداً ؛ والقود : قتل القاتل بدل القتيل . (ن . ر) .

وقال : « كان الاطباء يقيمون انفسهم مقام الامراء . والمرضى مقام المأمورين الذين لا يتعدون ما حُدّ لهم ، فكان الطب في ايامهم أنجع ، فلما حال الامر في زماننا فصار العليل بمنزلة الامير،والطبيب بمنزلة المأمور ، وخدم الاطباء رضا الاعلاء ، وتركوا خدمة ابدانهم ، فقل الانتفاع بهم » .

وقال ايضاً : « كان الناس قديماً يجتمعون على الشراب والغناء ، فيتفاضلون في ذكر مـــا تعمله الاشربة في الامزجة ، والالحان في قوة الغضب ، وما يرد كل واحد منها من أنواعه ؛ وهم اليوم اذا اجتمعوا فانما يتفاضلون بعظم الاقداح التي يشربونها » .

وقال : « من عود من صباه القصد في التدبير كانت حركات شهواته معتدلة ؛ فاما من اعتاد ان لا يمنع شهواته منذ صباه ولا يمنع نفسه شيئاً مما تدعوه اليه ، فذلك يبقى شرها . وذلك ان كل شيء يكثر الرياضة في الاعمال التي تخصه يقوى ؛ وكل شيء يستعمل السكون يضعف » .

وقال :«من كان من الصبيان شرهاً شديد القحة ، فلا ينبغي ان يطمع في صلاحه البتّة ؛ ومن كان منهم شرها ولم يكن وقحاً فلا ينبغي ان يؤيس من صلاحه ، ويقـّدر انه إن تأدب يكون انساناً عفيفاً » .

وقال : « الحياء خوف المستحي من نقص يقع به عند من هو افضل منه » .

وقال : « يتهيأ للانسان ان يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه ، فان معرفة الانسان نفسه هي الحكمـــة العظمى ، وذلك ان الانسان لافراط محبته لنفسه ، بالطبع ، يظن بهـا من الجميل ما ليست عليه . حتى ان قوماً يظنون بأنفسهم انهم شجعاء وكرماء وليسوا كذلك . فاما العقـل فيكاد ان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه ، واقرب النـــاس الى ان يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلا » .

وقال : « العادل من قدر على أن يجور فلم يفعل ، والعاقل من عرف كل واحد من الاشياء التي في طبيعة الانسان معرفتها على الحقيقة » .

وقال : العجب ظن الانسان بنفسه انـه على الحال التي تحب نفسه ان يكون عليها من غير ان يكون عليها » .

وقال : « كما أن من ساءت حال بدنه من مرض به وهو ابن خمسين سنة ليس يستسلم ويترك بدنه حتى يفسد ضياعاً ، بل يلتمس ان يصح بدنه ، وان لم يفده صحة تامة ؛ كذلك ينبغي لنا ان لا نمتنع من ان نزيد أنفسنا صحة على صحتها ، وفضيلة على فضيلتها ، وان كنا لا نقدر ان نلحقها بفضيلة نفس الحكيم » .

وقال : « يتهيأ للانسان ان يسلم من ان يظن بنفسه انه اعقل الناس ، اذا قلد غيره ، امتحان كل ما يفعله في كل يوم ، وتعريفه صواب فعله من خطئه ، ليستعمل الجميل ويطرح القبيح .

ورأى رجلا تعظمه الملوك لشدة جسمه ، فسأل عن اعظم ما فعله ، فقالوا : « انه حمـــل ثوراً

مذبوحاً من وسط الهيكل حتى اخرجه الى خارج . » فقال لهم : « فقد كانت نفس الثور تحمله ولم تكن لها في حمله فضيلة . »

ونقلت من كلام جالينوس ايضاً من مواضع أخر ، قال جالينوس :

« ان العليل يتروح بنسيم أرضه ، كما تتروح الارض الجدبة ببل القطر [١] » .

وسئل عن الشهوة فقال : « بلية تعبر لا بقاء لها » .

وقيل له : « لِمَ تحضرُ مجالس الطرب والملاهي؟» قال : « لأعرف القوى والطبائع في كل حال من منظر ومسمع » .

وقيل له : متى ينبغي للانسان ان يموت ؟ قال : « اذا جهل ما يضره مما ينفعه » .

ومن كلامه انه سئل عن الاخلاط فقيل له : «ما قولك في الدم ؟» قال: « عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه » قيل له : « فما قولك في الصفراء ؟» فقال : « كلب عقور [٢] في حديقة » . قيل له : فما قولك في البلغم ؟ قال : « ذلك الملك الرئيس ، كلما اغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا » .

قيل له : فما قولك في السوداء ؟ قال : « هيهات ، تلك الارض اذا تحركت تحرك ما عليها » .

ومن ذلك ايضاً قال : « أنا ممثل لك مثالا في الاخلاط الاربعة فأقول ؛ ان مثل الصفراء ، وهي المرّة[٣] الحمراء ، كمثل امرأة سليطة [٤] صالحة تقية . فهي تؤذي بطول لسانها وسرعة غضبها ، إلا انها ترجع سريعاً بلا غائلة [٥] . ومَثَلُ الدم كمثل الكلب الكلب [٦] فاذا دخل دارك فعاجله اما باخراجه أو قتله . ومَثَل البلغم اذا تحرك في البدن ، مثل مَلك دخل بيتك وانت تخاف ظلمه وجوره ، وليس يمكن ان تخرق [٧] به وتؤذيه بل يجب ان ترْفق به وتخرجه . ومثل السوداء في الجسد ، مثل الانسان الحقود الذي لا يُتوهم فيه بما في نفسه ، ثم يثب وثبة فلا يبقى مكروهاً الا ويفعله ، ولا يرجع الا بعد الجهد الصعب . »

ومن تمثيلاته الطريفة ايضاً قال :

« الطبيعة كالمُدّعي ، والعلة كالخصم ، والعلامات كالشهود ، والقارورة والنبض كالبيّنة ، ويوم البُحران كيوم القضاء والفصل ؛ والمريض كالمتوكّل ، والطبيب كالقاضي » .

وقال في تفسيره لكتاب ايمان أبقراط وعهده : « كما انه لا يصلح اتخاذ التمثال من كل حجر ،

---

(١) المطر .

(٢) كلب عقور : كلب جارح .

(٣) خلط من اخلاط البدن (٤) بذيئة اللسان .

(٥) الغائلة : المهلكة والشر . (٦) المصاب بالكلب وهو داء شبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس فيكلبوا هم ايضاً اذا لم يتناولوا دواء .

(٧) تدهشه .

ولا ينتفع بكل باب في محاربة السباع ، كذلك ، ايضاً ، لا نجد كل انسان يصلح لقبول صناعة الطب . لكنه ينبغي ان يكون البدن والنفس منه ملائمين لقبولها » .

مصنفات جالينوس

ولجالينوس من المصنفات كتب كثيرة جداً ، وهذا ذكر ما وجدته منها منتشراً في أيدي الناس مما قد نقله حنين بن اسحق العبادي وغيره الى العربي ، واغراض جالينوس في كل كتاب ، منها :

كتاب بينكس وهو الفهرست ، وغرضه في هذا الكتاب : ان يصف الكتب التي وضعها ، وما غرضه في كل واحد منها وما دعاه الى وضعه ، ولمن وضعه ، وفي اي حد من سنه . وهو مقالتان : المقالة الاولى ذكر فيها كتبه في الطب ، وفي المقالة الثانية كتبه في المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو .

كتاب في مراتب قراءة كتبه ، مقالة واحدة ، وغرضه فيها : ان يخبر كيف ينبغي ان ترتب كتبه في قراءتها ، كتاباً بعد كتاب ، من اولها الى آخرها .

كتاب الفرق ، مقالة واحدة . وقال جالينوس : « انه اول كتاب يقرأه من اراد تعلم صناعة الطب » . وغرضه فيه : ان يصف ما يقوله كل واحد من فرقة اصحاب التجربة ، واصحاب القياس ، واصحاب الحيل ، في تثبيت ما يدعي ، والاحتجاج له ، والرد على من خالفه ؛ وكيف الوجه في الحكم على الحق والباطل منها . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة وهو شاب من ابناء ثلاثين سنة او اكثر قليلاً ، عند دخوله رومية اول دخلة .

كتاب الصناعة الصغيرة ، مقالة واحدة . وقد قال جالينوس في اوله : « انه اثبت فيه جمل ما قد بينه على الشرح والتلخيص في غيره من الكتب . وان ما فيه بمنزلة النتائج لما فيها .

كتاب النبض الصغير ، وهو ايضاً مقالة واحدة ، عنونها جالينوس الى طوثرس وسائر المتعلمين . وغرضه فيها : ان يصف ما يحتاج المتعلمون الى علمه من امر النبض، ويعدد فيه اولا أصناف النبض، وليس يذكر فيه جميعها ، لكن ما يقوى المتعلمون على فهمه منها . ثم يصف بعد ، الاسباب التي تغير النبض ، ما كان منها طبيعياً ، وما كان منها ليس بطبيعي ، وما كان خارجاً من الطبيعية . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة في الوقت الذي وضع فيه كتابه في الفرق .

كتاب الى اغلوقن في التأتي لشفاء الامراض ومعنى اغلوقن باليونانية الازرق وكان فيلسوفاً وعندما رأى من آثار جالينوس في الطب ما اعجبه سأله ان يكتب له ذلك الكتاب. ولما كان لا يصل المداوي الى مداواة الأمراض دون تعرفها ، قدم قبل مداواتها دلائلها التي تعرف بها ، ووصف في المقالة الاولى دلائل الحميات ومداواتها . ولم يذكرها كلها ، لكنه اقتصر منها على ذكر ما يعرض كثيراً . وهذه المقالة تنقسم قسمين : ويصف في القسم الاول من هذه المقالة الحميات التي تخلو من الاعراض الغريبة ؛

ويصف في القسم الثاني الحميات التي معها اعراض غريبة. ويصف في المقالة الثانية دلائل الاورام ومداواتها . وكان وضع جالينوس لهذا الكتاب في الوقت الذي وضع فيه كتاب الفرق . كتاب في العظام ، هذا الكتاب مقالة واحدة ، وعنونه جالينوس في العظام للمتعلمين وذلك انه يريد ان يقدم المتعلم للطب تعلم علم التشريح على جميع فنون الطب ، لانه لا يمكن عنده دون معرفة التشريح ان يتعلم شيئاً من الطب القياسي ، وغرض جالينوس في هذا الكتاب : ان يصف حال كل واحد من العظام في نفسه ، وكيف الحال في اتصاله بغيره . وكان وضع جالينوس له في وقت ما وضع سائر الكتب الى المتعلمين .

كتاب في العضل ، هذا الكتاب مقالة واحدة ، ولم يعنونه جالينوس الى المتعلمين ، لكن اهل الاسكندرية ادخلوه في عداد كتبه الى المتعلمين ، وذلك انهم جمعوا مع هاتين المقالتين ثلاث مقالات أخر كتبها جالينوس الى المتعلمين ، واحدة في تشريح العصب ، وواحدة في تشريح العروق غير الضوارب . وواحدة في تشريح العروق الضوارب . وجعلوه كأنما دون كتاباً واحداً ذا خمس مقالات وعنونه « في التشريح الى المتعلمين » وغرض جالينوس في كتابه هذا اعني كتابه في العضل ، ان يصف امر جميع العضل الذي في كل واحد من الأعضاء كم هي واي العضل هي ، ومن اين تبتدىء كل واحدة منها ، وما فعلها بغاية الاستقصاء .

كتاب في العصب ، هذا الكتاب ايضاً مقالة كتبها الى المتعلمين وغرضه فيها : ان يصف كم زوجاً من العصب تنبث من الدماغ والنخاع ، واي الاعصاب هي ، وكيف واين تنقسم كل واحدة منها ، وما فعلها ؟ كتاب في العروق ، هذا الكتاب عند جالينوس مقالة واحدة ، يصف فيها امر العروق التي تنبض والتي لا تنبض ، كتبه للمتعلمين ، وعنونه الى انطستانس . فأما اهل الاسكندرية فقسموه الى مقالتين : مقالة في العروق غير الضوارب ، ومقالة في العروق الضوارب . وغرضه فيه : ان يصف كم عرقاً تنبت من الكبد ! واي العروق هي ؟ وكيف هي ؟ واين ينقسم كل واحد منها ؟ وكم شرياناً تنبت من القلب ؟ واي الشريانات هي ؟ وكيف هي ؟ واين تنقسم ؟

كتاب الاسطقسات : على رأي ابقراط ، مقالة واحدة ، وغرضه فيه : ان يبين ان جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وهي ابدان الحيوان والنبات والاجسام التي تتولد في بطن الارض انما تركيبها من الاركان الاربعة التي هي : النار والهواء والماء والارض، وان هذه هي الاركان الاول البعيدة لبدن الانسان ؛ واما الاركان الثواني القريبة التي بها قوام بدن الانسان ، وسائر ما له دم من الحيوان فهي الاخلاط الاربعة اعني الدم والبلغم والمرتين [1].

كتاب المزاج : ثلاث مقالات ، وصف في المقالتين الاوليين منه اصناف مزاج ابدان الحيوان. فبين كم هي ، واي الاصناف هي ؟ ووصف الدلائل التي تدل على كل واحدة منها . وذكر في المقالة الثالثة

(١) الصفراء والسوداء .

منه اصناف مزاج الادوية وبين كيف تختبر وكيف يمكن تعرفها .

كتاب القوى الطبيعية : ثلاث مقالات ، وغرضه فيه : ان يبين ان تدبير البدن يكون بثلاث قوى طبيعية ، وهي القوة الجابلة ، والقوة الجابلة المنمية ، والقوة الغاذية . وان القوة الجابلة مركبة من قوتين أحداهما تغير المني وتحيله حتى تجعل منه الاعضاء المتشابهة الاجزاء ؛ والاخرى تركب الاعضاء المتشابهة الاجزاء بالهيئة والوضع والمقدار ، او العدد الذي يحتاج اليه في كل واحد من الاعضاء المركبة ، وانه يخدم القوة العادية اربع قوى : وهي القوة الجاذبة ، والقوة الممسكة ، والقوة المغيرة ، والقوة الدافعة .

كتاب العلل والاعراض : ست مقالات ، وهذا الكتاب ايضاً الف جالينوس مقالاته متفرقة ، وانما الاسكندريون جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . وعنون جالينوس المقالة الاولى من هذه الست المقالات في اصناف الامراض ، ووصف في تلك المقالة كم اجناس الامراض ، وقسم كل واحد من تلك الاجناس الى انواعه ، حتى انتهى في القسمة الى اقصى انواعها . وعنون المقالة الثانية منها في اسباب الامراض ، وغرضه فيها موافق لعنوانها ، وذلك انه يصف فيها كم اسباب كل واحد من الامراض ، واي الاسباب هي . واما المقالة الثالثة من هذه الست فعنونها في اصناف الاعراض ، ووصف فيها كم اجناس الاعراض وانواعها ، واي الاعراض هي . واما الثلاث المقالات الباقية فعنونها في اسباب الاعراض ، ووصف فيها كم الاسباب الفاعلة لكل واحد من الاعراض ، وأي الاسباب هي .

كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة : ويعرف ايضاً بالمواضع الآلمة ، ست مقالات . وغرضه فيه : ان يصف دلائل يُستدل بها على احوال الاعضاء الباطنة اذا حدثت بها الامراض ؛ وعلى تلك الامراض التي تحدث فيها واى الامراض هي ، ووصف في المقالة الاولى وبعض الثانية منه ، السبل العامية التي تتعرف بها الأمراض مواضعها . وكشف في المقالة الثانية خطأ ارخيجانس في الطرق التي سلكها في طلب هذا الغرض . ثم اخذ باقي المقالة الثانية ، وفي المقالات الاربع التالية لها ، في ذكر الاعضاء الباطنة وامراضها عضواً عضواً . وابتدأ من الدماغ ، وهلم جراً على الولاء يصف الدلائل التي يُستدل بها على واحد واحد منها ، اذا اعتلّ ، كيف تتعرف علته الى ان انتهى الى اقصاها .

كتاب النبض الكبير : هذا الكتاب جعله جالينوس في ست عشرة مقالة وقسمها بأربعة أجزاء ، في كل واحد من الاجزاء أربع مقالات .

وعنون الجزء الاول منها في اصناف النبض . وغرضه فيه : ان يبين كم اجناس النبض الاول ؟ وأي الاجناس هي ،وكيف ينقسم كل واحد منها الى انواعه ؟الى ان ينتهي الى اقصاها.وعمد في المقالة الاولى من هذا الجزء الى جملة ما يحتاج اليه من صفة اجناس النبض وانواعها ، فجمعه فيها عن آخره. وأفرد الثلاث المقالات الباقية من ذلك الجزء للحِجَاج ، والبحث عن اجناس النبض وانواعه ، وعن حده .

وعنون الجزء الثاني في تعرف النبض ، وغرضه فيه : ان يصف كيف يتعرف كل واحد من اصناف النبض بجسّة العرق .

وعنون الجزء الثالث في اسباب النبض، وغرضه فيه : ان يصف من أي الاسباب يكون كل واحد من اصناف النبض .

وعنون الجزء الرابع في تقدمة المعرفة من النبض ، وغرضه فيه : ان يصف كيف يستخرج سابق العلم من كل واحد من اصناف النبض .

كتاب اصناف الحميات : مقالتان . وغرضه فيه : ان يصف اجناس الحميات وانواعها ودلائلها ، وصف في المقالة الاولى منه جنسين من اجناسها ، احدهما يكون في الروح ، والآخر في الاعضاء الاصلية . ووصف في المقالة الثانية الجنس الثالث منها الذي يكون في الاخلاط اذا عفنت .

كتاب البُحران ، ثلاث مقالات . وغرضه فيه : ان يصف كيف يصل الانسان الى ان يتقدم ، فيعلم هل يكون البحران ام لا ؟ وان كان يحدث ، فمتى يحدث ؟ وبماذا ؟ والى أي شيء يؤول امره ؟ **كتاب ايام البحران** ، ثلاث مقالات ، وغرضه في المقالتين الأولين منه : ان يصف اختلاف الحال من الايام في القوة . وايها يكون فيه البحران ؟ وايها لا يكاد يكون فيه ؛ وأي تلك التي يكون فيها البحران ، يكون البحران الحادث فيها محموداً ؟ وأيها يكون البحران الحادث فيها مذموماً ؟ وما يتصل بذلك . ويصف في المقالة الثالثة الأسباب التي من اجلها اختلفت الايام في قواها هذا الاختلاف .

كتاب حيلة البرء ، اربع عشرة مقالة . وغرضه فيه : ان يصف كيف يداوي كل واحد من الامراض بطريق القياس . ويقتصر فيه على الاعراض العامية التي ينبغي ان يقصد قصدها في ذلك ، ويستخرج منها ما ينبغي ان يداوي به كل مرض من الامراض ، ويضرب لذلك مثالات يسيرة من اشياء جزئية .

وكان وضع ست مقالات منه لرجل يقال له أيارن ، بيَّن في المقالة الاولى والثانية منها الاصول الصحيحة التي عليها يكون مبنى الامر في هذا العلم ، وفسخ الاصول الخطأ التي اصّلها ارسطراطس واصحابه . ثم وصف في المقالات الاربع الباقية مداواة تفرق الاتصال من كل واحد من الاعضاء . ثم ان أيارن توفي فقطع جالينوس استتمام الكتاب الى ان سأله اوجانيوس ان يتممه . ، فوضع له الثماني المقالات الباقية . فوصف في الست الاولى منها مداواة امراض الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، وفي المقالتين الباقيتين مداواة امراض الاعضاء المركبة . ووصف في المقالة الاولى من الست الاول مداواة اصناف سوء المزاج كلها اذا كانت في عضو واحد ؛ وأجرى امرها على طريق التمثيل بما يحدث في المعدة . ثم وصف في المقالة التي بعدها ، وهي الثامنة من جملة الكتاب ، مداواة اصناف الحمّى التي تكون في الروح ، وهي حمى يوم . ثم وصف في المقالة التي تتلوها ، وهي التاسعة ،

مداواة الحمى المطبقة [١] . ثم في العاشرة مداواة الحمى التي تكون في الاعضاء الاصلية ، وهي الدق [٢] ، ووصف فيها جميع ما يحتاج الى عمله من امر استعمال الحمام . ثم وصف في الحادية عشرة والثانية عشرة مداواة الحميات التي تكون من عفونة الاخلاط . اما في الحادية عشرة فما كان منها خلواً من اعراض غريبة . واما في الثانية عشرة فما كان منها مع اعراض غريبة .

كتاب علاج التشريح – وهو الذي يعرف بالتشريح الكبير – كتبه في خمس عشرة مقالة، وذكر انه قد جمع فيه كل ما يحتاج اليه من امر التشريح .. ووصف في المقالة الاولى منه العضل والرباطات في اليدين . وفي الثانية العضل والرباطات في الرجلين . وفي الثالثة العصب والعروق التي في اليدين والرجلين . وفي الرابعة العضل الذي يحرك الخدين والشفتين ، والعضل الذي يحرك اللحى الاسفل [٣] الى ناحية الرأس والى ناحية الرقبة والكتفين . وفي الخامسة عضل الصدر [٤] ومراق البطن والمتنين[٥] والصلب [٦] . ووصف في السادسة آلات الغذاء وهي المعدة ، والامعاء ، والكبد ، والكليتين ، والمثانة [٧] ، وسائر ما اشبه ذلك . وفي السابعة والثامنة وصف تشريح آلات التنفس . اما في السابعة فوصف ما يظهر في التشريح في القلب والرئة والعروق الضوارب [٨] بعد موت الحيوان ، وما دام حياً . وأما في الثامنة فوصف ما يظهر في التشريح في جميع الصدر . وأفرد المقالة التاسعة بأمرها بصفة تشريح الدماغ والنخاع . ووصف في العاشرة في تشريح العينين واللسان والمريء [٩] وما يتصل بهذه من الاعضاء . ووصف في الحادية عشرة الحنجرة والعظم الذي يشبه اللام في حروف اليونانيين ، وما يتصل بذلك من العصب الذي يأتي هذه المواضع . ووصف في الثانية عشرة تشريح أعضاء التوليد [١٠] .وفي الثالثة عشرة تشريح الضوارب وغير الضوارب .وفي الرابعة عشرة تشريح العصب الذي ينبت من النخاع . قال جالينوس : وهذا الكتاب المضطر اليه من علم التشريح . وقد وضعت كتباً أخر لست بمضطر اليها ، لكنها نافعة في علم التشريح .

اختصار كتاب مارينس في التشريح – وكان مارينس ألف كتابه هذا في عشرين مقالة . وانما جالينوس اختصره في اربع مقالات .

اختصار كتاب لوقس في التشريح – وهذا الكتاب ايضاً ألفه صاحبه في سبع عشرة مقالة .

---

(١) التي تدوم ليلاً ونهاراً .
(٢) الحمى التي تعرفها العامة بالسخونة الرفيعة .
(٣) الفك الاسفل .
(٤) مارق من اسفل البطن ولان . (٥) ما يكتنف الصلب من لحم وعصب عن يمين وشمال .
(٦) عظم الظهر ذو الفقار يمتد من الكاحل حتى عجب الذنب .
(٧) مستقر البول وموضعه من الانسان والحيوان .
(٨) الاعصاب المحركة (ن.ر)
(٩) مجرى الطعام من الحلقوم الى المعدة .
(١٠) الجهاز التناسلي (ن.ر)

وقد ذكر جالينوس انه اختصره في مقالتين .

كتاب فيما وقع من الاختلاف بين القدماء في التشريح – مقالتان ، وغرضه فيه ان يبين امر الاختلاف الذي وقع في كتب التشريح فيما بين من كان قبله من اصحاب التشريح ، أي شيء منه انما هو في الكلام فقط ، وأي شيء منه وقع في المعنى وما سبب ذلك .

كتاب تشريح الاموات – مقالة واحدة ، يصف فيها الاشياء التي تعرف من تشريح الحيوان الميت ، أي الاشياء هي ؟

كتاب تشريح الاحياء – مقالتان . وغرضه فيه : ان يبين الاشياء التي تعرف من تشريح الحيوان الحي ، أي الاشياء هي .

كتاب في علم ابقراط بالتشريح – هذا الكتاب جعله جالينوس في خمس مقالات وكتبه لبويثوس في حداثة سنه ، وغرضه فيه : ان يبين ان ابقراط كان صادقاً بعلم التشريح ، وأتى على ذلك بشواهد من جميع كتبه .

كتاب في آراء أراسسطراطس بالتشريح – هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات ، وكتبه ايضاً لبويثوس في حداثة من سنه . وغرضه فيه : ان يشرح ما قاله ارسسطراطس في التشريح في جميع كتبه . ثم بين له صوابه فيما أصاب ، وخطأه فيما أخطأ فيه .

كتاب فيما يعلمه لوقس من امر التشريح ، اربع مقالات. **كتاب فيما خالف فيه لوقس في التشريح**، مقالتان . **كتاب في تشريح الرحم** ، هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة ، كتبه لامرأة قابلة [1] في حداثة سنه ، فيه جميع ما يحتاج اليه من تشريح الرحم [2] ، وما يتولد فيها في الوقت الذي للحمل .

كتاب في مفصل الفقرة من فقار الرقبة، مقالة واحدة . **كتاب في اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء** مقالة واحدة ، **كتاب في تشريح آلات الصوت**، مقالة واحدة . وقال حنين : ان هذا الكتاب مفتعل على لسان جالينوس ، وليس هو لجالينوس ولا غيره من القدماء ، ولكنه لبعض الحدث جمعه من كتب جالينوس ، وكان الجامع له مع هذا ايضاً ضعيفاً . **كتاب في تشريح العين** ، هذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة . وقال حنين : ان عنوانه ايضاً باطل . لانه ينسب الى جالينوس ، وليس هو لجالينوس . وخليق ان يكون لروفس او لمن دونه .

كتاب في حركة الصدر والرئة : هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات ، وكان وضعه في حداثة من سنه بعد عودته الاولى من رومية . وكان حينئذ مقيماً بمدينة سمرنا عند فالقس ، وانما كان سأله اياه بعض من كان يتعلم معه. وصف في المقالتين الاوليين منه وفي اول الثالثة ما اخذه عن فالقس، معلمه، في ذلك الفن . ثم وصف في باقي المقالة الثالثة ما كان هو المستخرج له . **كتاب في علل النفس** ، هذا

(١) التي تتلقى الولد عند ولادته .

(٢) وعاء الولد في بطن امه ما دام جنيناً .

الكتاب جعله في مقالتين في رحلته الأولى الى رومية لبوثيوس ، وغرضه فيها : ان يبين من اي الآلات يكون التنفس عفواً ومن ايها يكون باستكراه .

كتاب في الصوت : هذا الكتاب جعله في أربع مقالات بعد الكتاب الذي ذكرته قبله ، غرضه فيه : ان يبين كيف يكون الصوت ؟ واي شيء هو ؟ ومـــا مادته ؟ وباي الآلات يحدث ؟ وأي الاعضاء تعين على حدوثه ؟ وكيف تختلف الاصوات ؟

كتاب في حركة العضل ، مقالتان وغرضه فيه : ان يبين ما حركة العضل ؟ وكيف هي ! وكيف تكون هذه الحركات المختلفة من العضل ؟ وانما حركته حركة واحدة . ويبحث ايضاً فيه عن النفس هل هو من الحركات الارادية [1] ام من الحركات الطبيعية ؟ ويفحص فيه عن اشياء كثيرة لطيفة من هذا الفن .

مقالة في مناقضة الخطأ الذي اعتقد في تمييز البول من الدم ، مقالة في الحاجة الى النبض .

مقالة في الحاجة الى التنفس .

مقالة في العروق الضوارب هل يجري فيها الدم بالطبـع ام لا ؟

كتاب في قوى الادوية المسهلة ، مقالة واحدة . يبين فيها ان اسهال الادوية وما يسهل ليس هـو بأن كل واحد من الادوية يحيل ما يصادفه في البدن الى طبيعته ، ثم يندفع ذلك فيخرج ، لكن كل واحد منها يجتذب خلطاً موافقاً مشاكلاً له .

كتاب في العادات : مقالة واحدة . وغرضه فيه ان يبين : ان العادة احد الأعراض التي ينبغي ان ينظر فيها ، ويوجد متصلاً بهذا الكتاب ومتحداً معه تفسير ما اتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول فلاطن بشرح ايروقليس له ، وتفسير ما أتى به من قول ابقراط بشرح جالينوس له .

كتاب في آراء ابقراط وفلاطن : عشر مقالات . وغرضه فيه : ان يبـين ان افلاطن في اكثر اقاويله . موافق لبقراط من قبل انه عنه اخذها . وان ارسطوطاليس فيما خالفهما فيه قـد اخطأ . ويبين فيه جميع ما يحتاج اليه من امر قوة النفس المدبرة التي بها تكون الفكرة والتوهم والذكر ، ومن امر الاصول الثلاثة التي منها تنبعث القوى التي بها يكون تدبير البدن . وغير ذلك من فنون شتى .

كتاب في الحركة المعتاصة : مقالة واحدة . وغرضه فيها : ان يبين امر حركات كان قـد جهلها هو ومن كان قبله ثم علمها بعد .

كتاب في آلة الشم : مقالة واحدة ؟

كتاب منافع الاعضاء : سبع عشرة مقالة بين في المقالة الاولى والثانية منه حكمة الباري ، تبارك وتعالى ، في اتقان خلقة اليد ، وبين في القول الثالث حكمته في اتقان الرجل . وفي الرابع والخامس

(١) اي التي تخضع لفعل الدماغ (ن.ر)

حكمته في آلات الغذاء ، وفي السادس والسابع امر آلات التنفس ، وفي الثامن والتاسع امر ما في الرأس ، وفي العاشر امر العينين . وفي الحادي عشر سائر ما في الوجه ، وفي الثاني عشر الاعضاء التي هي مشاركة للرأس والعنق وفي الثالث عشر نواحي الصلب والكتفين . ثم وصف في المقالتين اللتين بعد تلك الحكمة في اعضاء التوليد . ثم في السادس عشر من أمر الآلات المشتركة للبدن كله وهي العروق الضوارب وغير الضوارب والاعصاب . ثم وصف في المقالة السابعة عشرة حال جميع الاعضاء ومقاديرها ، وبين منافع ذلك الكتاب كله .

مقالة في افضل هيئات البدن ، وهذه المقالة تتلو المقالتين الاولبين من « كتاب المزاج » . وغرضه فيها بيّن من عنوانها .

مقالة في خصب البدن : وهي مقالة صغيرة . وعرضه فيها بين من عنوانها .

مقالة في سوء المزاج المختلف ، وغرضه فيها يتبين من عنوانها ، يذكر فيه أي اصناف سوء المزاج هو مستوفي البدن كله ؟ وكيف يكون الحال فيه ؟ وأي أصناف سوء المزاج هو مختلف في اعضاء البدن ؟

كتاب الادوية المفردة ، هذا الكتاب جعله في احدى عشرة مقالة . كشف في المقالتين الاولتين خطأ من اخطأ في الطرق الرديئة التي سلكت في الحكم على قوى الادوية ، ثم أصّل في المقالة الثالثة أصلاً صحيحاً لجميع العلم بالحكم على القوى الاولى من الادوية . ثم بين في المقالة الرابعة امر القوى الثواني ، وهي الطعوم والروائح ، واخبر بما يستدل عليها منها على القوى الاولى من الادوية . ووصف في المقالة الخامسة القوى الثوالب من الادوية ، وهي أفاعيلها في البدن من الاسخان والتبريد والتجفيف والترطيب . ثم وصف في المقالات الثلاث التي تتلو تلك قوة دواء دواء من الادوية التي هي اجزاء من النبات . ثم في المقالة التاسعة قوى الادوية التي هي اجزاء من الارض ، أعني أصناف التراب والطين والحجارة والمعادن . وفي العاشرة قوى الادوية التي هي مما يتولد في ابدان الحيوان . ثم وصف في الحادية عشرة قوى الادوية التي هي مما يتولد في البحر والماء المالح .

مقالة في دلائل علل العين ، كتبها في حداثته لغلام كحّال [1] . وقد لخص فيها العلل التي تكون في كل واحدة من طبقات العين ووصف دلائلها .

مقالة في اوقات الامراض ، وصف فيها امر اوقات المرض الاربعة ، أعني الابتداء والتزيد والانتهاء والانحطاط .

كتاب الامتلاء ، — ويعرف أيضاً بكتاب الكثرة — وهو مقالة واحدة يصف فيها امر كثرة الاخلاط ، ويصفها ويصف دلائل كل واحد من اصنافها .

---

(١) طبيب عيون (ن.ر)

مقالة في الاورام ، ووسمها جالينوس أصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة . ووصف في هذه المقالة جميع اصناف الاورام ودلائلها .

مقالة في الاسباب البادية — وهي الاورام التي تحدث من خارج البدن — يبين في هذه المقالة ان للاسباب البادية عملاً في البدن ونقص قول من دفع عملها .

مقالة في الاسباب المتصلة بالأمراض ، ذكر فيها الاسباب المتصلة بالمرض الفاعلة له .

مقالة في الرعشة[١] والنافض[٢] والاختلاج[٣] والتشنج[٤] .

مقالة في اجزاء الطب ، يقسم فيها الطب على طرق شتى من القسم والتقسيم .

كتاب المني ، مقالتان . وغرضه فيه : ان يبين ان الشيء الذي يتولد منه جميع اعضاء البدن ليس هو الدم ، كما ظن ارسطوطاليس ، لكن تولـّد جميع الاعضاء الاصلية انما هو من المني ، وهي الاعضاء البيض . وان الذي يتولد من دم الطمث انما هو اللحم الاحمر وحده .

مقالة في تولد الجنين المولود لسبعة اشهر .

مقالة في المرة السوداء ، يصف فيها اصناف السوداء ودلائلها .

كتاب ادوار الحميات وتراكيبها .

مقالة واحدة يناقض فيها قوماً ادعوا الباطل من امر ادوار الحميات وتراكيبها ، وعنوان هذا الكتاب عند جالينوس : « مناقضة من تكلم في الرسوم » .

قال حنين : وقد توجد مقالة اخرى نسبت الى جالينوس في هذا الباب وليست له :

اختصار كتابه المعروف بالنبض الكبير ، مقالة واحدة ذكر جالينوس انه كمل فيها النبض .

قال حنين : « وأما أنا فقد رأيت باليونانية مقالة ينحى بها هذا النحو،ولست اصدق ان جالينوس الواضع لتلك المقالة ، لانهـــا لا تحيط بكل ما يحتاج اليه من امر النبض ، وليست بحسنة التأليف ايضاً . وقد يجوز ان يكون جالينوس قد وعد ان يضع تلك المقالة فلم يتهيأ له وضعها . فلما وجده بعض الكذابين قد وعد ولم يف ، تحرص وضع المقالة ، واثبت ذكرها في الفهرست كيما يصدق فيها . ويجوز ان يكون جالينوس ايضاً قد وضع مقالة في ذلك غير تلك ، وقد درست كما درس كثير من كتبه ، وافتعلت هذه المقالة عوضها ومكانها .

كتاب في النبض : يناقض فيه ارخيجانس قال جالينوس : انه جعله في ثمان مقالات .

كتاب في رداءة التنفس ، هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات ، وغرضه فيه : ان يصف اصناف النفس الرديء واسبابه ، وما يدل عليه ، وهو يذكر في المقالة الاولى منه اصناف التنفس واسبابه .

---

(١) الرعشة : الرعدة وهي النافض من الحمى والخوف ، (٢) النافض : الحمى ذات الرعدة . (٣) الاختلاج : الاضطراب والتحرك . (٤) التشنج : التقبض والتقلص (ن.ر)

وفي الثانية اصناف سوء التنفس وما يدل عليه كل صنف منها ، وفي المقالة الثالثة يأتي بشواهد من كلام ابقراط على صحة قوله .

كتاب نوادر تقدمة المعرفة : مقالة واحدة . يحث فيها على تقدمة المعرفة ويعلم حيلاً لطيفة تؤدي الى ذلك ، ويصف اشياء بديعة تقدم فعلها من امر المرضى وخبر بها فعجب منه .

اختصار كتابه في حيلة البرء مقالتـان . **كتاب الفصد** ، ثلاث مقالات قصد في المقالة الاولى منها المناقضة لاراسسطراطس لانه كان يمنع من الفصد ، وناقض في الثانية اصحاب اراسسطراطس الذين برومية في هذا المعنى بعينه ، ووصف في الثالثة ما يراه هو من العلاج بالفصد . **كتاب الذبول** ، مقالة واحدة . وغرضه فيه ان يبين طبيعة هذا المرض واصنافه ، والتدبير الموفق لمن اشرف عليه .

مقالة في صفات لصبي يصرع .

كتاب قوى الأغذية : ثلاث مقالات . عدد فيه ما يتغذى به من الاطعمة والاشربة ، ووصف ما في كل واحد منها من القوى .

كتاب التدبير الملطف : مقالة واحدة . وغرضه موافق لعنوانه .

اختصار هذا الكتاب الذي في التدبير الملطف ، مقالة واحدة ، **كتاب الكيموس الجيد والرديء . مقالة واحدة يصف فيها الاغذية ويذكر ايها تولد كيموساً محموداً وأيها تولد كيموساً رديئاً .**

كتاب في افكار اراسسطراطس في مداواة الأمراض ، ثمان مقالات . اختبر فيه السبيل التي سلكها اراسسطراطس في المداواة ، ويبين صوابها من خطئها .

كتاب تدبير الامراض الحادة على رأي ابقراط ، مقالة واحدة .

كتاب تركيب الأدوية ، جعله في سبع عشرة مقلة اجمل في سبع منها اجناس الأدوية المركبة ، فعدد جنساً جنساً منها وجعل مثل جنس الادوية التي تبني اللحم في القروح على حدة ، وجنس الادوية التي تحلل على حدة ، وجنس الادوية التي تدمل وسائر اجناس الادوية على هذا القياس ، وانما غرضه فيه ان يصف طريق تركيب الادوية على الجمـــل . ولذلك جعل عنوان هذه السبع المقالات في تركيب الادوية على الجمل والاجناس ، واما العشر المقالات الباقية فجعل عنوانها في تركيب الادوية بحسب المواضع ، واراد بذلك ان وصفه لتركيب الادوية في تلك المقالات العشر ليس يقصد بها الى ان يخبر ان صنفاً صنفاً منها يفعل فعل ما في مرض من الامراض مطلقاً ، لكن بحسب المواضع اعني العضو الذي فيه ذلك المرض ، وابتدأ فيه من الرأس ، ثم هلم جراً ، على جميـع الاعضاء الى ان انتهى الى اقصاها .

أقول : « وجملة هذا الكتاب الذي رسمه جالينوس في تركيب الادوية لا يوجد في هذا الوقت إلا وهو منقسم الى كتابين . وكل واحد منها على حدته . ولا يبعد ان الاسكندرانيين [١] لتبصرهم في

(١) هم اركان الطب في مدرسة الاسكندرية وهم الذين عنوا بتفسير كتب جالينوس . وكانوا على مذهب المسيح .

كتب جالينوس صنعوا هذا ، او غيرهم . فالأول يعرف **بكتاب قاطاجانس** ، ويتضمن السبع المقالات الاولى التي تقدم ذكرها . والآخر يعرف **بكتاب الميامر** . ويحتوي على العشر المقالات الباقية والميامر جمع ميمر ، وهو الطريق ويشبه ان يكون سمي هذا الكتاب بذلك اذ هو الطريق الى استعمال الادوية المركبة على جهة الصواب .

كتاب الادوية التي يسهل وجودها : وهي التي تسمى الموجودة في كل مكان ، مقالتان .

وقال حنين انه قد اضيف اليه مقالة اخرى في هذا الفن ونسبت الى جالينوس، وما هي لجالينوس لكنها لفلغريوس . وقال حنين ايضاً انه قد ألحق في هذا الكتاب هذياناً كثيراً ، وصفات بديعة عجيبة ، وادوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها قط .

كتاب الادوية المقابلة للادواء : جعله في مقالتين ووصف في المقالة الاولى منه أمر الترياق [١] . وفي المقالة الثانية منه امر سائر المعجونات .

كتاب الترياق الى مفيليانوس ، مقالة واحدة صغيرة .

كتاب الترياق الى قيصر ، وهذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة .

كتاب الحيلة لحفظ الصحة : ست مقالات . وغرضه فيه : ان يعلم كيف حفظ الاصحاء على صحتهم ، من كان منهم على غاية كمال الصحة ، ومن كانت صحته تقصر عن غاية الكمال ، ومن كان منهم يسير بسيرة الاحرار ؛ ومن كان منهم يسير بسيرة العبيد .

كتاب الى اسبولوس ، مقالة واحدة ، وغرضه فيه : أن يفحص هل حفظ الاصحاء على صحتهم من صناعة الطب ام هو من صناعة اصحاب الرياضة ؟ وهي المقالة التي اشار اليها في ابتداء كتاب تدبير الاصحاء ، حين قال : « ان الصناعة التي تتلو القيام على الابدان واحدة كما بينت في غير هذا الكتاب؟

كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة ، هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة ، يحمد فيها الرياضة بالكرة الصغيرة واللعب بالصولجان ، ويقدمه على جميع أصناف الرياضة .

تفسير كتاب عهد ابقراط ، مقالة واحدة .

تفسير كتاب الفصول لابقراط ، جعله في سبع مقالات .

تفسير كتاب الكسر لابقراط ، جعله في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب رد الخلع لابقراط ، جعله في اربع مقالات .

تفسير كتاب تقدمة المعرفة لابقراط ، جعله في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب تدبير الامراض الحادة لابقراط ، والذي نجده من تفسيره لهذا الكتاب هو ثلاث مقالات .

---

(١) دواء للسموم « فارسي معرب » واصله الدرياق .

وقال جالينوس في فينكس كتبه : « انه فسره في خمس مقالات ، وان هذه الثلاث مقـــالات الأولى هي تفسير الجزء الصحيح من هذا الكتاب ، والمقالتان الباقيتان فيهما تفسير المشكوك فيه » .

تفسير كتاب القروح لابقراط ، جعله في مقالة واحدة .

تفسير كتاب جراحات الرأس لابقراط ، مقالة واحدة .

تفسير كتاب ابيديميا لابقراط ، فسر المقالة الأولى منه في ثلاث مقالات ، والثانيـــة في ست مقالات ، والثالثة في ثلاث مقالات ، والسادسة في ثمان مقالات ، هذه التي فسرهـــا ، واما الثلاث الباقية وهي الرابعة والخامسة والسابعة فلم يفسرها ، لانه ذكر انها مفتعلة على لسان ابقراط .

تفسير كتاب الاخلاط لابقراط ، جعله في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب تقدمة الانذار لابقراط ، وهذا الكتاب لم اجد له نسخة الى هذه الغاية .

تفسير كتاب قاطيطريون لابقراط ، جعله في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب الهواء والماء والمساكن لابقراط ، جعله ايضاً في ثلاث مقالات ، وقد وجدنا بعض النسخ من هذا التفسير ايضاً في اربع مقالات ، الا ان الاول هو المعتمد عليه .

تفسير كتاب الغذاء لابقراط ، جعله في اربع مقالات .

تفسير كتاب طبيعة الجنين لابقراط ، قال حنين : هـــذا الكتاب لم نجد له تفسيراً من قول جالينوس ، ولا نجد جالينوس ذكر في فهرست كتبه انـــه عمل له تفسيراً . الا انا وجدناه قد قسم هذا الكتاب بثلاثة اجزاء في كتابه الذي عمله في علم ابقراط في التشريح . وذكر ان الجزء الاول والثالث من هذا الكتاب منحول ليس هو لابقراط . وانما الصحيح منه الجزء الثاني . وقد فسر هذا الجزء جاسيوس [1] الاسكندراني ، وقد وجدنا لجميع الثلاثة الاجزاء تفسيرين احدهما سرياني موسوم بأنه لجالينوس ، قد كان ترجمه سرجس [2] ، فلما فحصنا عنه علمنا انه لبالبس . والآخر يوناني ، فلما فحصنا عنه وجدناه لسورانوس الذي من شيعة المتوذيقون وترجم حنين نص هذا الكتاب الا قليلاً منه الى العربية في خلافة المعتز بالله .

تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط ، جعله في مقالتين .

كتاب في ان رأي ابقراط في كتاب طبيعة الانسان وفي سائر كتبه واحد ، جعلـــه في ثلاث مقالات . وقال جالينوس انه ألفه بعد تفسيره لكتاب طبيعة الانسان ، وذلك عندما بلغه ان قوماً يعيبون ذلك الكتاب ويدعون فيه انه ليس لابقراط .

«١» احد الاطباء الاسكندرانيين واشهر من شرح كتب جالينوس وأظهر فيها عن فضل ودراية .

«٢» وهو سرجس الفيلسوف واصله من رأس معين — الجزيرة — وكان من اشهر من نقل الكتب اليونانية الى السريانية .

كتاب في ان الطبيب الفاضل يجب ان يكون فيلسوفاً ، مقالة واحدة .

كتاب في كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة ، مقالة واحدة .

كتاب في البحث عن صواب ما ثلب بـه قوينطس اصحاب ابقراط الذين قالوا بالكيفيات الاربع ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان هذا الكتاب لا اعلم بالحقيقة انـه لجالينوس ام لا ، ولا أحسبه ترجم .

كتاب في السبات على رأي ابقراط ، وقال حنين ايضاً : ان القصة في هذا مثل القصة في الكتاب الذي ذكر قبله .

كتاب في الفاظ أبقراط ، قال حنين : هذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة ، وغرضه فيه ان يفسر غريب الفاظ ابقراط في جميع كتبه ، وهو نافع لمن يقرأ باليونانية ، فأما من يقرأ بغير اليونانية فليس يحتاج اليه . ولا يمكن أيضاً ان يترجم أصلاً .

كتاب في جوهر النفس ، ما هي على رأي أسقليبيادس مقالة واحدة .

كتاب في تجربة الطبيعة ، مقالة واحدة يقتص فيها حجج اصحاب التجربة ، وأصحاب القياس بعضهم على بعض .

كتاب في الحث على تعميم الطب ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان كتاب جالينوس هذا نسخ فيه كتاب مينودوطس ، وهو كتاب حسن نافع ظريف .

كتاب في حيل التجربة : مقالة واحدة .

كتاب في محنة افضل الاطباء : مقالة واحدة .

كتاب فيما يعتقده رأياً : مقالة واحدة يصف فيها ما علم وما لم يعلم .

كتاب في الاسماء الطبية : وغرضه فيه : ان يبين امر الاسماء التي استعملها الاطباء على اي المعاني استعملوها ، وجعله خمس مقالات . والذي وجدناه قد نقل الى اللغة العربية انما هي المقالة الاولى التي ترجمها حبيش الاعسم [1].

كتاب البرهان : هذا الكتاب جعله في خمس عشرة مقالة ، وغرضه فيه : ان يبين كيف الطريق في تبيين ضرورة ، وذلك كان غرض ارسطوطاليس في كتابه الرابع من المنطق ، قـال حنين : ولم يقع الى هذه الغاية الى احد من اهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية . على ان جبرائيل قد كان عني بطلبه عناية شديدة ، وطلبته انا ايضاً بغاية الطلب ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة ، والشام كلها ، وفلسطين ، ومصر الى ان بلغت الى الاسكندرية ، فلم اجد منه شيئاً الا بدمشق نحواً من نصفه ، إلا انها غير متوالية ولا تامة . وقد كان جبرائيل ايضاً وجد منه مقالات ليست كلها المقالات الـتي

(١) احد الاطباء النقلة الذين نقلوا الكتب اليونانية الى اللغة العربية .

وجدت بأعيانها . وترجم له ايوب ما [1] وجـد منها ، وأما أنا فـلم تطب نفسي بترجمة شيء منهـا الا باستكمال قراءتها لما هي عليه من النقصان والاختلال ، وللطمع وتشوق النفس الى وجدان تمام الكتاب . ثم اني ترجمت ما وجدت منه الى السريانية ، وهو جزء يسير من المقالة الثانية ، واكثر المقالة الثالثة ونحواً من نصف المقالة الرابعة من ارلها فانه سقط ، واما سائر المقالات الاخر فوجدت الى آخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة ، فان في آخرها نقصاناً ، وترجم عيسى [2] بن يحيى ما وجد من المقالة الثامنة الى المقالة الحادية عشرة ، وترجم اسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة الى المقالة الخامسة عشرة الى العربية .

كتاب في القياسات الوضعية ، مقالة واحدة . **كتاب في قوام الصناعات** ، قال حنين : انه لم يجد من هذا الكتاب باليونانية الا نتفاً منه .

كتاب في تعرف الانسان عيوب نفسه : مقالتان . وقال حنين : انه لم يجد منه باليونانية الا مقالة واحدة ناقصة .

كتاب الاخلاق : اربع مقالات . وغرضه فيه : ان يصف أصناف الاخلاق وأسبابها ودلائلها ومداواتها . **مقالة في صرف الاغتمام** . كتبها لرجل سأله ما باله لم يره اغتم قط عندما ذهب جميع ما قد كان تركه في الخزائن العظمى لمـــا احترقت برومية ، فوصف له السبب في ذلك وبين بماذا يجب الاغتمام وبماذا لا يجب .

مقالة في ان اخيار الناس : قـد ينتفعون باعدائهم . **كتاب فيما ذكره افلاطون في كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب** . اربع مقالات .

كتاب في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن، مقالة واحدة . وغرضه فيه بين من عنوانه .

كتاب جوامع كتب افلاطون ، قال حنين : ووجدت ، من هذا الفن من الكتب ،كتاباً آخر فيه اربـع مقالات من ثمان مقالات لجالينوس فيها جوامع كتب افلاطن ، وهي : كتاب اقراطليس في الاسماء ، وكتاب سوفسطيس في القسمة ، وكتاب بوليطيقوس في المدبر ، وكتاب برمينندس في الصور وكتاب أوثيذيمس . وفي المقالة الثالثة جوامع الست المقالات الباقية من كتاب السياسة وجوامـع الكتاب المعروف بطيماوس في العلم الطبيعي . وفي المقالة الرابعة جمل معاني الاثنتي عشرة مقالة التي في السير لافلاطن .

كتاب في ان المتحرك الاول لا يتحرك ، مقالة واحدة .

كتاب المدخل الى المنطق : مقالة واحدة ، يبين فيها الاشياء التي يحتاج اليها المتعلمون ، وينتفعون بها في علم البرهان .

---

(١) وهو المعروف بالابرش وكان له نظر في صناعة الطب ونقل كثيراً من الكتب الى السريانة والعربية .

(٢) احد النقلة المعروفين وهو من تلاميذ حنين بن اسحاق .

مقالة في عدد المقاييس .

تفسير الكتاب الثاني من كتب ارسطوطاليس : وهو الذي يسمى باريمينياس ، ثلاث مقالات وقال حنين انه وجد له نسخة ناقصة .

كتاب فيما يلزم الذي يلحن في كلامه ، سبع مقالات. وقال حنين: ان الذي وجده من هذا الكتاب مقالة واحدة ولم يترجمها .

قال حنين بن اسحق : وقد وجدنا أيضاً كتباً أخرى قد وسمت باسم جالينوس وليست له، لكن بعضها نتف اخترعها قوم آخرون من كلامه فألفوا منها كتباً ؛ وبعضها قد كان وضعها من كان قبل جالينوس فوسمت بآخره باسم جالينوس ، إما من قبل أن الفاعل لذلك أحب ان يكثر بكثرة ما عنده من كتب جالينوس مما لا يوجد عند غيره ، وإما من قبل قلة تميز لا تزال تعرض لقوم من الاغنياء حتى اذا وجدوا في الكتاب الواحد عدة مقالات ، ووجدوا على اول المقالة الاولى فيه اسم رجل من الناس ظنوا ان سائر تلك المقالات لذلك الرجل . وبهذا السبب نجد كثيراً من مقالات روفس في كتب كثيرة موسومة باسم جالينوس ، مثل مقالة في اليرقان . »

قال حنين : « والمقالات التي وجدناها موسومة باسم جالينوس ، من غير ان تكون فصاحة كلامها شبيهة بمذهب جالينوس في الفصاحة ، ولا قوة معانيها شبيهة بقوة معانيه ، هي هذه :

مقالة في أئمة الفرق . مقالة في الرسوم التي رسمها بقراط . مقالة موسومة الطبيب لجالينوس ، وهذه المقالة قد ذكرها جالينوس نفسه في اول الفهرست ، واخبر أنها منحولة لا صحيحة له . مقالة في الصناعة ولست أعني تلك المقالة الموسومة بهذا الرسم المشهور بالصحة ، لكن مقالة منحولة اليه كلام واضعها كلام ضعيف مقصر . مقالة في العظام ، وليس اعني تلك المقالة الصحيحة في هذا العرض، بل مقالة أخرى قوة واضعها أضعف كثيراً من هذه الطبقة. مقالة في الحدود . مقالة على طريق المسألة والجواب . مقالة في التنفس صغيرة شبيهة بالنتف . مقالة في الكلام الطبيعي . كتاب في الطب على رأي اوميرس ، مقالتان ، ونص كلام هاتين المقالتين شبيه جداً بكلام جالينوس ، إلا ان الغرض المقصود اليه فيها ضعيف ؛ وفي آخر المقالة الثانية منها رأي ايضاً بعيد لا يشبه مذهب جالينوس . مقالة في ان الكيفيات ليست اجساماً . مقالة في الاخلاط على رأي بقراط . مقالة يبحث فيها هل اعضاء الجنين المتولد في الرحم تتخلق كلها معاً ام لا . مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان ام لا . مقالة في ان النفس لا تموت . مقالة في اللبن . مقالة في تجفيف اللحم . مقالة في الرسوم ، غير تلك المقالة الصحيحة ودونها في القوة . مقالة في البول . مقالة في الرد على اصحاب الفرقة الثالثة في الموضع الذي يذكر فيه اسباب الامراض عند تركيبها . مقالة في ان ابقراط سبق الناس جميعاً في معرفة الاوقات . مقالة في أسباب العلل . مقالة في اليرقان .

قال حنين : « ما وجد ان جالينوس قد ذكره في كتبه مما لم يثبته في الفهرست ولا وقعت الينا نسخته : مقالة في الاخلاط على رأي بركساغورس . مقالة فيمن يحتاج في الربيع الى الفصد .

اقول وهذا جملة ما تهيأ ذكره من كتب جالينوس الصحيحة والمنحولة اليه ، على مـا اثبته حنين ابن اسحق في كتابه مما قد وجده ، وانه قد نقل الى اللغة العربية . وكان ذكره لذلك وقد أتى عليه من السنين ثمان وأربعون سنة ، وكانت مدة حياته سبعين سنة ، فبالضرورة انه قـد وجد أشياء كثيرة ايضاً من كتب جالينوس ونقلت الى العربية . كما قد وجدنا كثيراً من كتب جالينوس .

ومما هو منسوب اليه بنقل حنين بن اسحق وغيره ، وليس لها ذكر أصلاً في كتاب حنين المتقدم ذكره . ومن ذلك : تفسير كتاب اوجاع النساء لابقراط ، مقالة واحدة . تفسير كتاب الاسابيع لابقراط ، مقالة واحدة . تفسير كتاب تدابير الاصحاء لابقراط ، مقالة واحدة . كتاب مداواة الاسقام ، ويعرف ايضاً بطب المساكين ، مقالتان . كتاب في الجـبر ، ثلاث مقالات . كتاب في الموت السريع، مقالة واحدة . مقالة في الحقن والقولنج . مقالة في النوم واليقظة والضمور . مقالة في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة. مقالة في عناية الخالق عز وجل بالأنسان ، رسالة الى فيلافوس الملكة في اسرار النساء . رسالة الى قسطانس القهرمان في اسرار الرجال . كتاب في الادوية المكتومة الـتي كنى عنها في كتبه ورمزها ، مقالة واحدة ؛ وقال حنين ابن اسحق : « غرض جالينوس في هذا الكتاب ان يصف ما جمعه طول عمره من الادوية الخفيفة الخواص ، وجربها مراراً كثيرة فصحت ، فكتمها عن اكثر الناس ضناً بها عنهم ، ولم يطلع عليها الا الخواص من ذوي الالباب وصحة التمييز من اهل الصناعة . وقد كان غيري فسر هذا الكتاب فصحف وزاد فيه ما ليس منه ، ونقّص منه ما لم يفهم تفسيره . فساعدت نفسي فيه بحسب الامكان والطاقة ، وقابلت به على التجارب التي اجتمعت عندي ، وفسرت ذلك الى العربي لابي جعفر محمد بن موسى . مقالة في استخراج ميـاه الحشائش . مقالة في ابدال الادوية . كتاب فيما جمع من الاقاويل التي ذكر فيها فعل الشمس والقمر والكواكب . مقالة في الالوان . جوامع كتابه في البرهان . كتاب الرد على الذين كتبوا في المماثلات . كتاب طبيعة الجنين . كتاب الرد على ارثيجانس في النبض ، كتاب في السبات . اختصار لكتابه في قوى الاغذية . كتـاب في الافكار المسفية لاراسطراطس . كتاب منافع الترياق . مقـالة في الكيموسات . كلام في الطعوم . رسالة في عضة الكـلْب الكـلِب . كتاب في الاسباب الماسكة . تفسير كتاب فولوبس في تدبير الاصحاء . تفسير ما في كتاب فلاطن المسمى طيماوس من علم الطب . كتاب في الادوية المنقية . كتاب في الامعاء . كتاب في تحسين الاصوات ونفي الآفات عنها .

اقول : « وبالجملة فان لجالينوس ايضاً كتباً أخر كثيرة مما لم يجده الناقلون ، منها ، ومما قـد اندرس على طول الزمان ، وخصوصاً ما في المقالة الثانية مما قد ذكره جالينوس في فهرست كتبه المسمى فينكس . فمن كانت له رغبة في النظر الى اسمائها ، وفي اغراضه في كل واحد منهـا فعليه بالنظر في ذلك الكتاب .

الاطباء المشهورون بعد وفاة جالينوس

فأما الاطباء المشهورون من بعد وفاة جالينوس وقريبـــاً منه فمنهم : اصطفن الاسكندراني ؛ وانقيلاوس الاسكندراني ؛ وجاسيوس الاسكندراني ؛ ومارينوس الاسكندراني – وهؤلاء الاربعـة هم من فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها واوجز القول فيها – وطيلوس الطرسوسي ، وسيمري الملقب بالهلال ، لانه كان كثير الملازمة لمنزله منغمساً في العلوم والتآليفات ، فكان لا يراه الناس الا كل مدة ، فلقب بالهلال من الاستتار ؛ ومغنس الاسكندراني ؛ واريباسيوس صاحب الكنانيش طبيب يليان الملك ، ولاريباسيوس من الكتب : كتاب الى ابنه أسطاث تسع مقالات ، كتاب مزج الاحشاء مقالة ، كتاب الادوية المستعملة ، كتاب السبعين مقـــالة ، كناشه ؛ وفولس الاجانيطي ، وله من الكتب كناش الثريا ، مقالة في تدبير الصبي وعلاجه ؛ واصطفن الحراني ؛ واريبـــاسيوس القوابلي . ولقب بذلك لانه كان ماهراً بمعرفة احوال النساء ؛ ودياسقوريدس الكحال ، ويقال انه أول من انفرد واشتهر بصناعة الكحل ؛ وففالس الاثيني ، وافرونيطس الاسكندراني ، ونيطس الملقب بالمخبر من الحذاقة ؛ ونارسيوس الرومي الذي قدم من الاسكندرية فصار واحداً منهم ؛ واهرون ؛ وزرياييل .

وممن كان قريباً من ذلك الوقت ايضاً : فيلغريوس ، وله من الكتب : كتاب من لا يحضره طبيب وهو مقالة ، كتاب علامات الاسقام خمس مقالات ، ومقالة في وجع النقرس [1] ، مقالة في الحصاة ، مقالة في الماء الاصفر ، مقالة في وجع الكبد ، مقالة في القولنج [2] ، مقالة في اليرقان ، مقالة في خلق الرحم ، مقالة في عرق النساء ، مقـــالة في السرطان ، مقالة في صنعة ترياق الملح ، مقالة في عضة الكلب الكلِب ، مقالة في القوباء [3] ، مقالة فيما يعرض للثة والاسنان .

---

(١) داء معروف وهو ورم ووجع يأخذ في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين . وهو في مفاصل القدم وابهامها اكثر .

(٢) مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) داء يتقشر منه الجلد ويتسع التقشر وهو المعروف بالحزاز .

الباب السادس

طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم

قال المختار [1] بن حسن بن بطلان : « ان الأسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة وهم : إصطفن وجاسيوس وثاودوسيوس وأكيلاوس وانقيلاوس وفلاذيوس ويحيى النحوي ؛ وكانوا على مذهب المسيح ، »

وقيل ان انقيلاوس الاسكندراني هو كان المقدم على سائر الاسكندرانيين ، وانه هو الذي رتب الكتب الستة عشر لجالينوس .

وقال : « وكان هؤلاء الاسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس في موضع تعليم الطب بالاسكندرية . وكانوا يقرأونها على الترتيب ، ويجتمعون في كل يوم على قراءة شيء منها وتفهمه . ثم صرفوها الى الجمل والجوامع ليسهل حفظهم لها ومعرفتهم اياها . ثم انفرد كل واحد منهم بتفسير الستة عشر . وأجود ما وجدت من ذلك تفسير جاسيوس للستة عشر ، فإنه أبان فيها عن فضل ودراية .

وعمر من هؤلاء الاسكندرانيين : يحيى النحوي الاسكندراني الاسكلاني حتى لحق أوائل الاسلام. قال محمد بن اسحق النديم البغدادي [2] في «كتاب الفهرست» [3] : ان يحيى النحوي كان تلميذ ساواري . قال : « وكان يحيى النحوي في أول أمره أسقفا في بعض الكنائس بمصر، ويعتقد

---

(١) هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن بطلان من اهل بغداد . وكان نصرانيا وتتلمذ على ابن زهرون الحراني الطبيب . وله عدة كتب وله ايضاً اشعار ونوادر طريفة .

(٢) هو ابن النديم الوراق (٩٣٦ - ٩٩٥) ولد في بغداد وله كتاب الفهرست .

(٣) كتاب الفهرست يحوي فهرس العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلغة العرب .

مذهب النصارى اليعقوبية [1] . ثم رجع عما يعتقده النصارى من التثليث، واجتمعت الاساقفة وناظرته فغلبهم ، واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك اظهاره . فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه [2] . ولما فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه دخل اليه وأكرمه ورأى له موضعاً .

ونقلت من تعاليق الشيخ أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني قال : « كان يحيى النحوي في ايام عمرو بن العاص [3] ودخل اليه » ، وقال : « ان يحيى النحوي كان نصرانياً بالاسكندرية وانه قرأ على أميونيس ، وقرأ أميونيس على برقلس .قال :«ويحيى النحوي يقول انه أدرك برقلس وكان شيخاً كبيراً لا ينتفع به من الكبر» .

وقال عبيد الله بن جبرائيل في كتاب «مناقب الاطباء » بأن يحيى النحوي كانقوياً في علم النحو والمنطق والفلسفة وقد فسر كتباً كثيرة من الطبيات . ولقوته في الفلسفة ألحق بالفلسفة ، لانه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته . قال : وسبب قوته في الفلسفة انه كان في أول أمره ملاحاً يعبر الناس في سفينته ، وكان يحب العلم كثيراً . فاذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرّس الذي كان يدرس العلم بجزيرة الاسكندرية يتحاورون ما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه ، ويسمعه ، فتنهش نفسه للعلم

فلما قويت رويته في العلم فكر في أمره ، وقال : « قد بلغت نيفاً وأربعين سنة من العمر وما ارتضيت بشيء ، وما عرفت غير صناعة الملاحة ، فكيف يمكنني ان أتعرض الى شيء من العلوم ؟ » فبينا هو مفكر اذ رأى نملة قد حملت نواة تمرة ، وهي تريد ان تصعد بها الى علو ، وكلما صعدت بها سقطت ، فلم تزل تجاهد نفسها في طلوعها وهي في كل مرة يزيد ارتفاعها عن الأولى ، فلم تزل نهارها وهو ينظر اليها ، الى ان بلغت غرضها واطلعتها الى غايتها . فلما رآها يحيى النحوي قال لنفسه ،اذا كان هذا الحيوان الضعيف قد يلغ غرضه بالمجاهدة فانا أولى ان أبلغ غرضي بالمجاهدة . فخرج من وقته وباع سفينته ، ولازم دار العلم وبدأ بعلم النحو واللغة والمنطق ، فبرع في هذه الامور وبرز ولانه أول ما ابتدأ بالنحو فنسب اليه واشتهر به ووضع كتباً كثيرة منها تفاسير وغيرها . ووجدت في بعض تواريخ النصارى أن يحيى النحوي كان فيالمجمع الرابع [4] الذي اجتمع في مدينة يقال لها خلكدونية [5] ، وكان في هذا المجمع ستمائة وثلاثون أسقفاً على أوتوشيوس – وهو يحيى النحوي

(١) طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الوحدة .

(٢) اي حرموه وهو منعه من شركة المؤمنين .

(٣) قرشي اسلم (٦٢٩) كان من اجناد اليرموك فتح مصر واسس الفسطاط . ناصر معاوية على علي في صفين . وهو صاحب الحيلة التي ادت الى التحكيم وفوز معاوية .

(٤) هو المجمع الذي انعقد للحكم على المونوفيسية .

(٥) هي خلقيدونية وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على البوسفور وعقد فيها عدة مجامع كنسية خاصة سنة ٤٥١ للحكم على المونوفيسية

وأصحابه — وأوتوشيوس تفسيره بالعربي أبو سعيد .

وهذا أوتوشيوس كان طبيباً حكيماً ، وانهم لما أحرموه لم ينفوه كما نفوا المحرومين . وكان ذلك لحاجتهم إلى طبه . وتُرك في مدينة القسطنطينية ولم يزل مقيماً بها حتى مات مرقيان الملك .

وليحيى النحوي هذا لقب آخر بالرومي يقال له فيلوبينوس أي المجتهد . وهو من جملة السبعة الحكماء المصنفين للجوامع الستة عشر وغيرها في مدينة الاسكندرية . وله مصنفات كثيرة في الطب وغيره وترك في مدينة القسطنطينية لعلمه وفضله وطبه .

« وقام بعد مرقيان الملك ، اسطيريوس الملك ، فاعتل هذا الملك علة شديدة صعبة ، وذلك من بعد سنتين من حرم أوتوشيوس المذكور . فدخل على الملك وعالجه وبرأ من علته ، فقال له الملك : « سلني كل حاجة لك ؟ فقال له أوتوشيوس: حاجتي اليك يا سيدي ان أسقف ذورلية وقع بيني وبينه شر شديد ، وبغى علي ، وقوى عزم أفلابيانوس بطريرك القسطنطينية ، وحمله على أن جمع لي سوندس ، أي بجمع ، وحرمني ظلماً وعدواناً . فحاجتي اليك يا سيدي أن تجمع لي جمعاً ينظرون في امري ، فقال له الملك : « انا افعل لك هذا ان شاء الله تعالى . » فارسل الملك الى ديسقوروس صاحب الاسكندرية ، ويوانيس بطرك انطاكية ، فأمرهم ان يحضروا عنده فحضر ديسقوروس ومعه ثلاثة عشر أسقفاً وابطأ صاحب انطاكية ولم يحضر . وأمر الملك لديسقوروس أن ينظر في أمر أوتوشيوس ، وأن يحله من حرمه على أي الجهات كان . وقال له متوعداً : « انك ان حللته من حرمه بررتك بكل بر ، واحسنت اليك غاية الأحسان ، وان لم تفعل ذلك قتلتك قتلاً رديئاً . » فاختار لنفسه البر على القتل . فعمل له مجلساً هو وهؤلاء الثلاثة عشر أسقفاً ومن حضر معه أيضاً ، فحسنوا قصته وحلوه من حرمه . وخرج أسقف ذورالية وأصحابه وانصرفوا من القسطنطينية وقد خالفوا رأي الكنيسة . وبهذا السبب كان تعصب ديسقوروس لأوتوشيوس المذكور ، المعروف بيحيى النحوي ، ومات مخالفاً لمذهب الروم المعروفين بالملكية . ومات وهو يعقوبي مخالف للروم المذكورين.

كتب يحيى النحوي

وليحيى النحوي من الكتب :

تفسير) كتاب قاطيغورياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب أنالوطيقا الاولى لارسطوطاليس.، فسر منها الى الاشكال الحلية . **تفسير كتاب أنالوطقيا الثانية** لارسطوطاليس . **تفسير كتاب طوبيقا** لارسطوطاليس . **تفسير كتاب السماع الطبيعي** لارسطوطاليس . **تفسير كتاب الكون والفساد** لارسطوطاليس . **تفسير كتاب مايال** لارسطوطاليس . **تفسير كتاب الفرق** لجالينوس . **تفسير كتاب الصناعة الصغير** لجالينوس . **تفسير كتاب النبض الصغير** لجالينوس . **تفسير كتاب اغلوقن** لجالينوس . **تفسير كتاب الاسطقسات** لجالينوس . **تفسير كتاب المزاج** لجالينوس . **تفسير كتاب**

القوى الطبيعية لجالينوس .تفسير كتاب التشريح الصغير لجالينوس.تفسير كتاب العلل والاعراض لجالينوس . تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة لجالينوس . تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس . تفسير كتاب الحميات لجالينوس .تفسير كتاب البُحران لجالينوس.تفسير أيام البحران لجالينوس . تفسير كتاب حيلة البرء لجالينوس . تفسير كتاب تدبير الاصحاء لجالينوس.تفسير كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . جوامع كتاب الترياق لجالينوس . جوامع كتاب الفصد لجـــالينوس . كتاب الرد على برقلس ، ثمان عشرة مقالة .كتاب في ان كل جسم متناه فقوته متناهية.كتاب الرد على ارسطوطاليس ست مقالات . مقالة يرد فيها على نسطورس . كتاب يرد فيه على قوم لا يعرفون مقالتان . مقالة أخرى يرد فيها على قوم آخر . مقالة في النبض . نقضه للثمان عشرة مسألة لديد وخس برقلس الافلاطوني ، شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس .

قال ابو الحسن علي بن رضوان في « كتاب المنافع » في كيفية تعلم صناعة الطب : « وانما اقتصر الاسكندرانيون على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس في التعلـيم ، ليكون المشتغل بهـا ان كانت له قريحة جيدة ، وهمة حسنة ، وحرص على التعليم ، فانه اذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب ، الى ان ينظر في باقي ما يجد من كتبه . وكان ترتيبهم لهذه الكتب في سبع مراتب :

– أما المرتبة الأولى (فإنهم جعلوها بمنزلة المدخل الى صناعة الطب ، فإن من تحصل له هذه المرتبة يمكنه ان يتعاطى اعمال الطب الجزئية ، فان كان ممن له فراغ ودواع تدعوه الى التعليم والازدياد تعلم ما بعدها ، وان لم يكن له ذلك لم يكد يخفى عليه منافعه في علاج للامراض . وجميع ما في هــذه المرتبة أربعة كتب :

أولها : كتاب الفرق وهو مقالة واحدة ، يستفاد منه قوانين العلاج على رأي اصحاب التجربة ، وقوانينه ايضاً على رأي اصحاب القياس ، اذ كان بالتجربة والقياس يستخرج الناس جميع ما في الصنائع وما اتفقا عليه فهو الحق ، وما اختلفا فيه نُظر ، فان كان طريقه القياس عمل على قوانين القياس فيه ، وان كان طريقه التجربة عمل على قوانين التجربة فيه .

والثاني : كتاب الصناعة الصغيرة ، مقالة واحدة ، يستفاد منها جمل صناعة الطب كلهــا النظري منها ، والعملي .

والثالث : كتاب النبض الصغير ، وهو ايضاً مقالة واحدة ، يستفاد منه جميع ما يحتاج اليـــه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الامراض .

والرابع الكتاب المسمى باغلوقن وهو مقالتان ، ويستفاد منه كيفية التأني في شفاء الأمراض .

ولأن من يتعاطى الاعمال الجزئية من الطب يضطر الى معرفة قوى مــا يحتاج اليه من الأغذية والادوية ، والى ان يباشر بنفسه اعمال اليد من صناعة الطب ، لزمه ان ينظر فيما تدعوه اليه الحاجة

من الكتب التي سماها جالينوس « في آخر الصناعة الصغيرة » ، أو يتعلم ما يحتاج اليه من ذلك تلقيناً ومشاهدة. فصارت هذه الاربعة كتب التي في المرتبة الأولى مقنعة للمتعلم في تعلم صناعة الطب . فأما الكامل فانه يتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة .

— فأما المرتبة الثانية فأنها ايضاً أربعة كتب :

الاول منها : كتاب الاسطقسات ، وهو مقالة واحدة . يستفاد منه أن بدن الانسان وجميع ما يحتاج اليه سريع التغير قابل للاستحالة، فمن ذلك اسطقسات البدن القريبة منه وهي الأعضاءالمتشابهة الاجزاء — أعني العظام والاعصاب والشرايين والعروق والأغشية واللحم والشحم وغير ذلك ؛ واسطقسات هذه الأعضاء الاخلاط — أعني الدم والصفراء والسوداء والبلغم؛ واستقسات هذه الاخلاط النار والهواء والماء والأرض ، فإن مبدأ التكون من هذه الأربعة ، وأخذ الانحلال اليها . وان هذه الاسطقسات قابلة للتغيير والاستحالة . وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح ان يبدأ بـه من أراد استكمال تعليم صناعة الطب .

والثاني كتاب المزاج وهو ثلاث مقالات ، يستفاد منه معرفة أصناف المزاج ، وبما يتقوم كل واحد منها ؛ وبماذا يستدل عليه اذا حدث ؟

والثالث : كتاب القوى الطبيعية ، وهو ايضاً ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة القوى التي تدبر بها طبيعة البدن وأسبابها ، والعلامات التي يستدل بها عليها .

والرابع : كتاب التشريح الصغير ، وهو خمس مقالات وضعها جالينوس مُتفرقة ، وانما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . يستفاد منه معرفة أعضاء البدن المتشابهة وعددها . وجميع ما يحتاج اليه فيها .

وهذه الكتب التي في هذه المرتبة الثانية يستفاد من جميعها الأمور الطبيعية للبدن ، أعني التي قوامه بها . واذا نظر فيها محب التعليم اشتاق ايضاً الى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن ، اما كتاب المزاج فيشوق الى مقالته في خصب البدن ، ومقالته في الهيئة الفاضلة ، ومقالته في سوء المزاج المختلف وكتابه في الأدوية المفردة ونحو هذا. وأما كتاب القوى الطبيعية فيشوق الى كتابه في المنى ،وكتابه في منافع الاعضاء وسائر ما وضعه جالينوس في القوى والارواح والافعال . واما كتاب التشريح الصغير فيشوق الى كتابه في عمل التشريح ونحوه .

— وأما المرتبة الثالثة : فكتاب واحد فقط فيه ست مقالات ، وهو كتاب « العلل والاعراض» وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة ، وانما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها في كتاب واحد . يستفاد منه معرفة الامراض وأسبابها والاعراض الحادثة عن الامراض .

وهذا باب عظيم الغناء في صناعة الطب ، على رأي اصحاب القياس . وهو أصل عظيم ، اذا وقف الانسان على ما في هذا الكتاب وفهمه لم يخف عليه شيء من صناعة الطب .

وأما المرتبة الرابعة فكتابان أحدهما :

كتاب « تعرف علل الاعضاء الباطنة » ست مقالات ، يستفاد منه تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الاعضاء الباطنة ، فان هذه الاعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لانها خفية عن الحس. فيحتاج الى أن يستدل عليها بعلامات تقوّم كل واحدة منها، فاذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن العضو الفلاني علة كذا .

مثاله : ذات الجنب : ورم حار يحدث في الغشاء المستبطن للاضلاع . والعلامة التي تقومه ضيق النفس ، والوجع الناخس والحمى والسعال . فان هذه اذا اجتمعت عُلم ان في الغشاء المستبطن للاضلاع ورماً حاراً .

ولم يضع جالينوس كتاباً في تعرّف علل الاعضاء الظاهرة اذا كانت هذه العلل تقع تحت العيان فيكتفي في تعرفها نظرها بين يدي المعلمين عياناً فقط .

والثاني « كتاب النبض الكبير » وهو ينقسم الى أربعة أجزاء ، كل جزء منه أربع مقالات . يستفاد من الجزء الاول منه : معرفة أصناف النبض ، وجزئيات كل صنف منها . ومن الثاني : تعريف ادراك كل واحد من أصناف النبض . ومن الثالث : تعريف أسباب النبض . ومن الرابع : تعريف منافع اصناف النبض . وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الامراض ومعرفة قواها ونسبتها الى قوة البدن .

— وأما المرتبة الخامسة فثلاثة كتب :

الاول منها : « كتاب الحميات » مقالتان. يستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحميات ، وما يستدل به على كل صنف منها .

والثاني : « كتاب البحران » ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة أوقات المرض ليعطى في كل وقت منها ما يوافق فيه ؛ ومعرفة ما يؤول اليه الحال في كل واحد من الامراض . هل يؤول أمره الى السلامة أم لا ؟ وكيف يكون ؟ وبماذا يكون ؟

والثالث : « كتاب ايام البحران » وهو أيضاً ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة أوقات البحران؛ ومعرفة الايام التي يكون فيها ، وأسباب ذلك وعلاماته .

— وأما المرتبة السادسة فكتاب واحد . وهو « كتاب حيلة البرء » اربع عشرة مقالة . يستفاد منه قوانين العلاج على رأي اصحاب القياس في كل واحد من الامراض . وهذا الكتاب اذا نظر فيه الانسان اضطره الى ان ينظر في كتاب الأدوية المفردة ، وفي كتب جالينوس في الادوية المركبة — اعني قاطاجانس ، والميامر ، وكتاب المعجونات ، ونحو هذه الكتب .

— واما المرتبة السابعة فكتاب واحد . وهو « كتاب تدبير الاصحاء » ست مقالات . يستفاد

منه حفظ صحة كل واحد من الأبدان وهذا الكتاب اذا نظر فيـــه الانسان اضطره الى ان ينظر في كتاب الاغذية ، وفي كتابه في جودة الكيموس ورداءته ، وفي كتابه في التدبير الملطف، وفي شرائط الرياضة . مثال ذلك : ما في كتاب جالينوس في الرياضة بالكرة الصغيرة ونحو هذا .

فالكتب الستة عشر التي اقتصر الاسكندرانيون على تعليمها تدعو الناظر فيها الى النظر في جميع كتب جالينوس التي استكمل بها صناعة الطب . مثال ذلك : ان النظر في كتاب « آلة الشم » يتعلق بما في المرتبة الثانية . والنظر في كتابه « في علل التنفس » يتعلق ايضاً بهذه المرتبة . والنظر في كتابه « في سوء التنفس » وفي كتابه « في منفعة التنفس » ، وكتابه «في منفعة النبض» وكتابه « في حركة الصدر والرئة » ، وكتابه « في الصوت » ، وكتابه « في الحركات المعتاصة » ، وكتابـه « في ادوار الحميات » ، وكتابه « في اوقات الامراض » ، وغير ذلك من كتبه ومقالاته ورسائله . كل واحـــد منها له تعلق بواحدة من المراتب السبع . او باكثر من مرتبة واحدة تدعو الضرورة الى النظر فيــه . فاذا ما فعله الاسكندرانيون في ذلك حيلة حسنة في حث المشتغل بها على التبحر في صناعـة الطب ، وان تؤديه العناية والاجتهاد الى النظر في سائر كتب جالينوس .

قال أبو الفرج ابن هندو[1] في كتاب «مفتاح الطب»: «ان هذه الكتب التي اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس «وعملوا لها جوامع ، وزعموا انها تغني عن متون كتب جالينوس، وتكفي كلفة ما فيها من التوابع والفصول » . قال ابو الخير بن الخمار [1] ، وهو استاذ ابي الفرج بن هندو ، « انا اظن انهم قد قصروا فيما جمعوه من ذلك ، لانهم يعوزهم الكلام في الاغذية والأهوية والادوية » . قـــال : والترتيب ايضاً قصروا فيه ، لان جالينوس بدأ من التشريح ثم صار الى القوى والافعـــال ثم الى الاسطقسات » .

قال ابو الفرج : « وانا ارى ان الاسكندرانيين انمـا اقتصروا على الكتب الستة عشر ، لا من حيث هي كافية في الطب وحاوية للغرض ، بل من حيث افتقرت الى المعلم واحتاجت الى المفسر . ولم يمكن ان يقف المتعلم على اسرارها والمعاني الغامضة فيها من غير مذاكرة ومطارحة ، ومن دون مراجعة ومفاوضة .

فاما الكتب التي ذكرها الاستاذ ابو الخير بن الخمار فالطبيب مضطر الى معرفتها واضافتهـــا الى الكتب التي عددناها . غير انه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها ، واستنباط الاغراض منها بالقوة المستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها ، والمراقي الى ما عداها . فان قلت : فما حجـة الاسكندرانيين في ترتيبهم لهذه الكتب ؟ قلنا : انهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه ، بمنزلة

---

(١) هو علي بن الحسين بن هندو من اكبر المتميزين في العلوم الحكمية والطبية والفنون الادبيـــة وهو من طبقة الاطباء الذين ظهروا في بلاد العجم .

(١) وهو الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار وكان نصرانياً عالماً باصول الطب وفروعه وله مصنفات جليلة . وقد نقـــل كتباً كثيرة من السرياني الى العربي . ولد سنة ٣٣١ هـ .

كتاب الفرق ، فانه وجب تقديمه لتتنقى به نفس المتعلم من شكوك اصحاب التجربـــة والمحتـالين ومغالطاتهم ، ويتحقق رأي اصحاب القياس فيقتدي بهم . وبمنزلة الصناعة الصغيرة ، فانها لما كانت فيها شرارة من صناعة الطب ، كان الاولى ان يتبع بها كتاب الفرق ويجعل مدخلاً الى الطب .ورتبوا بعضها بحسب ما توجبه اضافته الى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض ، فانه جُعل تابعاً للصناعة الصغيرة ، لان جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب . ووجب ايضاً تقديمه على كتاب جالينوس الى أغلوقن ، لانه تكلم في هذا الكتاب في الحميات والنبض وهو اول شيء يعـــرف منه أمر الحميات .

على ان الترتيب الذي ذكره الاستاذ أبو الخير أن جالينوس اشار اليـــه ، هو لعمري الترتيب الصناعي ، وذلك انه يجب على كل ذي صناعة ان يتدرج في تعليمهـــا من الاظهر الى الاخفى ؛ ومن الاخير الى المبدأ ؛ والتشريح هو علم البدن واعضائه ، وهذه هي أول ما يظهر لنا من الانسان ، وان آخر ما تفعله الطبيعة . فان الطبيعة تأخذ أولا الاسطقسات ، ثم تمزجها فيحصل منها الاخلاط ؛ ثم تفعل القوى والاعضاء . فيجب ان يكون طريقنا في التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين . ولكنا ندع هذا الاضطرار ، ونرضى ترتيب الاسكندرانيين ، لان العلم حاصل على كل حال وخرق اجماع الحكماء معدود من الخرق [1] .

أقول : « وللاسكندرانيين ايضاً جوامـع كثيرة في العلوم الحكمية والطب ولا سـيما لكتب جالينوس ، وشروحاتها لكتب أبقراط» .

فأما الاطباء المذكورون من النصارى وغيرهم ممن كان معاصراً هؤلاء الأطباء الاسكندرانيين ، وقريباً من أزمنتهم فمنهم :

شمعون الراهب ، المعروف بطيبويه .

وأهرن القس صاحب الكناش ، وألف كناشه بالسريانية ، ونقله ما سرجيس الى العربي ، وهو ثلاثون مقالة . وزاد ماسرجيس مقالتين .

ويوحنا بن سرابيون ، وجميع ما ألف سرياني . وكان والده سرابيون طبيباً من أهل باجرمي . وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما : يوحنا وداوود ، وليوحنا بن سرابيون من الكتب : كناشه الكبير ، اثنتا عشرة مقالة . كناشه الصغير ، وهو المشهور ، ؟ سبع مقـــالات . ونقله الحديثي الكاتب لابي الحسن بن نفيس المتطبب في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وهو احسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الاواني الطبرهاني ونقله ايضاً أبو البشر متّى .

---

(١) ضعف الرأي وسوء التصرف .

ومنهم : انطيلس وبرطلاوس ؛ وسندهشار ؛ والقهلمان ؛ وابو جريج الراهب ؛ وأوراس ؛ وبوينوس البيروتي ؛ وسيورخنا ؛ وفلاغوسوس ؛ وعيسى بن قسطنطين ويكنى أبا موسى ، وكان من جملة أفاضل الاطباء ، وله من الكتب : كتاب الادويـة المفردة ، كتاب في البواسير وعللهـا وعلاجها ؛ وأرس ؛ وسرجس الرأس عيني ، وهو اول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل الى لغة السريانيين ، وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة ؛ واطنوس الآمدي صاحب الكناش المعروف ببقوقونا ، وغريغوريوس صاحب الكناش .

واكثر كتب هؤلاء موجودة وقـد نقل الرازي [٢] كثيراً من كلامهم في كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي .

---

(١) ابو بكر محمد بن زكريا الرازي من مواليد سنة ٨٦٤ م ولد في الري . ويكنى بجالينوس العرب ودبر البيمارستان في الري وبغداد وله علاوة على الحاوي كتاب « برء الساعة » .

(٢) هو كتاب الرازي في العلوم الطبية وهو كناشه الكبير الجامع .

الباب السابع

طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الإسلام من أطباء العرب وغيرهم

الحرث بن كلدة الثقفي كان من الطائف، وسافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وتمرن هناك، وعرف الداء والدواء . وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك أيضاً بفارس واليمن . وبقي أيام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهم . وقال له معاوية : « ما الطب يا حارث ؟ » فقال : « الأزم » يعني الجوع . ذكر ذلك ابن جلجل . وقال : الجوهري [١] في « كتاب الصحاح » الأزم المسك ؛ يقال ؛ ازم الرجل عن الشيء : أمسك عنه. وقال أبو زيد [٢] الازم الذي ضم شفتيه . وفي الحديث ان عمر ، رضي الله عنه ، سأل الحرث بن كلدة [٣] ما الدواء ؟ فقال : الازم . يعني الحمية . قال : وكان طبيب العرب .

ويروى عن سعد بن ابي وقاص [٤] رضي الله عنه، انه مرض بمكة مرضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعوا له الحرث بن كلدة فانه رجل يتطبب . فلما عاده الحرث نظر اليه، وقال: « ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة بشيء من تمر عجوة [٥] وحلبة [٦] يطبخان » فتحساها فبرىء .

---

(١) هو ابو نصر اسماعيل الجوهري ولد في فاراب (تركيا) وتوفي في نيسابور وهو اشهر مؤلفي المعاجم ويدعى معجمه الصحاح ألفه بعد ان عاش زمناً بين قبائل البدو . وكان خطاطاً ماهراً . اصيب في اواخر ايامه بالسوداء فرمى نفسه عن سطح بيته

(٢) ابو زيد الانصاري من علماء اللغة تتلمذ للمفضل الضبي . وهو اعلم من الاصمعي وابي عبيدة بالنحو . كان يرى رأي القدر . وكان ثقة من اهل البصرة .

(٣) هو الحارث بن كلدة الثقفي طبيب اسلم وصحب ابا بكر . واكل من طعام مسموم فعمي وتوفي في خلافة عمر .

(٤) صحابي من فرسان الاسلام قاد الجيش في معركة القادسية وتوفي سنة ٦٧٦ م.

(٥) التمر المحشي في وعائه .

(٦) نبت معروف حبه اصفر ويدعى ايضاً الحندقوق .

وكانت للحرث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة . وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره .

كلام الحارث مع كسرى

من ذلك ، انه لما وفد على كسرى أنو شروان [1] أذن له بالدخول عليه . فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحرث بن كلدة الثقفي .

قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب . قال : أعربيّ أنت ؟ قال : نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء اغذيتها ؟ قال : أيها الملك ، اذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج الى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل [2] أمشاجها . [3] فان العاقل يعرف ذلك من نفسه . ويميز موضع دائه ، ويحترز [4] عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه . قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب الى الجهل قال : الطفل يناغي فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى . ثم قال : أيها الملك ، العقل من قِسَم الله تعالى قسَمه بين عباده ، كقِسمة الرزق فيهم . فكلٌ من قسمته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم .

فأعجب كسرى من كلامه ، ثم قال : « فما الذي تحمد من أخلاقها ؟ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحرث : أيها الملك ، لها أنفس سخية ، وقلوب جرُية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة، وانساب صحيحة ، واحساب شريفة ، يمرق من افواههم الكلام مروق السهم من نبعة [5] الرام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين [6] مطعمو الطعام في الجدب ، وضاربو الهام في الحرب . لا يرام عزهم ، ولا يُضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقرون بفضل للأنام ، الا للملك الهمام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة [7] ولا ملك .

فاستوى كسرى جالساً ، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه ، لما سمع من محكم كلامه . وقال لجلسائه اني وجدته راجحاً ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً . وكذا

---

(١) اعظم ملوك الساسانيين. حارب البيزنطيين وناصر العلم وبامره نقلت مؤلفات اليونان والسريان الى الفارسية .
(٢) يعدل اي يجعله مستقيماً .
(٣) جمع مشج وهو ما كان مختلطاً وهنا ما يتركب منه مزاج البدن .
(٤) يتوقى .
(٥) قوس
(٦) الماء الجاري ،
(٧) الرعية من الناس .

العاقل من أحكمته التجارب . ثم امره بالجلوس ، فجلس ، فقـــال : كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناهيك [1] قال : فما أصل الطب ؟ قال : الأزم . قال : فما الأزم ؟ قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال : أصبت ، وقال : فما الداء الدوي ؟ قال : ادخال الطعام على الطعام ، هو الذي يفني البرية ، ويهلك السباع في جوف البرّيّة . قال : أصبت ، وقـــال : فما الجمرة التي تصطلم [2] منها الادواء ؟ قال : هي التخمة ، ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت أسقمت . قال : صدقت . وقال : فما تقول في الحجامة ؟ قال : في نقصان الهـــلال في يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة والعروق ساكنة ، لسرور يفاجئك ، وهم يباعدك . قال : فما تقول في دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شبعاناً ؛ ولا تغش [3] أهلك سكراناً ؛ ولا تقم بالليل عرياناً ؛ ولا تقعد على الطعام غضباناً ؛ وارفق بنفسك ، يكن أرخى لبالك ؛ وقلل من طعامك ، يكن أهنأ لنومك . قال : فما تقول في الدواء ؟ قال : ما لزمتك الصحة فاجتنبه ، فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه ، فإن البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت ، وان تركتها خربت . قال : فما تقول في الشراب ؟ قال: أطيبه أهنأه ، وأرقه [4] امرأه [5] ، وأعذبه اشهاده . لا تشربه صرفاً [6] فيورثك صداعاً ، وتثير عليك من الأدواء انواعاً . »

قال : فأي اللحمان أفضل ؟ قال الضأن الفتي . [7] والقديد [8] المالح مهلك للآكل . واجتنب لحم الجزور والبقر . قال : فما تقول في الفواكه ؟ قال : كلها في إقبالها وحين أوانها ، واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها . وأفضل الفواكه : الرمان والأترج [9] ؛ وأفضل الرياحين : الورد والبنفسج ؛ وأفضل البقول : الهندباء والخس . قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر . أفضله أمرأه ، وارقه اصفاه . ومن عظام انهار البارد الزلال يختلط بماء الآجام [10] والآكام [11] ينزل من صرادح [12] المسطان ، ويتسلل عن الرضراض وعظام الحصى في الايفاع [13] . قال : فما طعمه ؟ قال : لا يوهم له طعم الا انه مشتق من الحياة .

(١) اي غاية فيما تطلبه « في مقام المدح » .
(٢) تستأصل .
(٣) دخل على أهله اي جامع امرأته .
(٤) اصلحه واحسنه .
(٥) اسيغه .
(٦) العرق من الشراب : الخالص الغير ممزوج .
(٧) اسم جلس من الغنم .
(٨) اللحم المقدد أي المجفف بالشمس .
(٩) ثمر من جلس الليمون تسميه العامة الكباد .
(١٠) جمع اجمة وهي الغابة .
(١١) جمع أكمة وهي الرابية .
(١٢) المكان المستوي او الواسع الأملس.
(١٣) ما دق من الحصى .

قال : فما لونه ؟ قال: اشتبه[1] على الابصار لونه لأنه يحكي لون كل شيء يكون فيه . قال : اخبرني عن اصل الانسان ما هو ؟ قال : أصله من حيث شرب الماء ، يعني رأسه .

قال : فما هذا النور في العينين ؟ مركب من ثلاثة اشياء : فالبياض شحم ، والسواد ماء ،والناظر ريح . قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال-: على اربع طبائع : المرة السوداء ، وهي باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهي حارة يابسة ، والدم ، وهو حار رطب ؛ والبلغم ، وهو بارد رطب . قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك . قال : فمن طبيعتين ، لوكان اقتصر عليها ؟ قال : لم يجز ، لانها ضدان يقتتلان . قال :فمن ثلاث ؟ قال لم يصلح ، موافقان ومخالف . فالأربع هو الاعتدال والقيام . قال : فأجمل لي الحار والبارد في احرف جامعة ؟ قال : كل حلو حار ، وكل حامض بارد ، وكل حريف حار ، وكل مر معتدل ، وفي المر حار وبارد .

قال : فاضل ما عولج به المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد لين ؛ قال : فالمرة السوداء ؟ قال لين ؛ قال : والبلغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال : والدم ؟ قال : اخراجه اذا زاد ، وتطفئته اذا سخن بالاشياء الباردة اليابسة ؟ قال : فالرياح ؟ قال : بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة . قال : افتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ، قرأت في بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقي الجوف ، وتكسح الادواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم او يعدم الولد . وان الجهل كل الجهل من اكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على راحة بدنه . قال فما الحمية ؟ قال الاقتصاد في كل شيء ، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها [2] .

قال : فما تقول في النساء واتيانهن [3] ؟ قال كثرة غشيانهن رديء ، واياك واتيان المرأة المسنة فانها كالشن [4] البالي ، تجذب قوتك ، وتسقم بدنك ، ماؤها سم قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك الكل ، ولا تعطيك البعض . والشابة ماؤها عذب زلال ، وعناقها غنج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، ريحها طيب ، وهنها ضيق [5] . تزيدك قوة الى قوتك ، ونشاطاً الى نشاطك. قال : فأين القلب اليها اميل ، والعين برؤيتها اسر ؟ قال : اذا اصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة ؛ واسعة الجبين ، اقناة العرنين [6] ؛ كحلاء ، لعساء [7] ؛ صافية الخد عريضة الصدر ، مليحة النحر. في خدها رقة ، وفي شفتيها لعس . مقرونة الحاجبين ، ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ،بيضاء

(١) خفي.
(٢) ثقبها ومنافذها .
(٣) مخالطتهن او مجامعتهن .
(٤) القربة البالية .
(٥) الفرج .
(٦) الانف كله او ما صلب منه .
(٧) سوداء الشفة .

فرغاء (١) جعدة ، غضة بضة . تخالها في الظلمـــة بدراً زاهراً تبسم عن اقحوان (٢) ؛ وعن مبسم كالارجوان ، كأنها بيضة مكنونه ، الين من الزبد واحلى من الشهد ، وانزه من الفردوس والخلد ، وازكى ريحاً من الياسمين والورد ، تفرح بقربها وتسرك الخلوة معها . قال ، فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه ، وقال : ففي اي الاوقات اتيانهن افضل ؟ قال : عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى ، والنفس اهدى والقلب اشهى والرحم ادفى . فان اردت الاستمتاع بها نهاراً تسرح عينُك في جمال وجهها ، ويجتني فوك من ثمرات حسنها ، ويعي سمعُك من حلاوة لفظها ، وتسكن الجوارح كلها اليها . قال كسرى : لله درك من إعرابي . لقد اعطيت علماً ، وخصصت فطنة وفهماً .

واحسن صلته وامر بتدوين ما نطق به .

وقال الواثق (٣) بالله في كتابه المسمى « بالبستان » : ان الحرث بن كلدة مر بقوم وهم في الشمس فقال : عليكم بالظل فان الشمس تنهج(٤) الثوب ، وتنقل الريح ، وتشحب اللون ، وتهيج الداء الدفين.

ومن كلام الحرث : البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد . — وقيل هو من كلام عبد الملك بن ابجر . وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوله « المعدة بيت الداء » وهو ابلغ من لفظ البطنة — .

وروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، انه قال: « من اراد البقاء ولا بقاء، فليجود الغذاء ، وليأكل على نقاء ، وليشرب على ظمأ ، وليقل من شرب المـاء ؛ ويتمدد بعد الغذاء ويتمشى بعد العشاء . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء. ودخول الحمام على البطنة من شر الداء، ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء . واكل القديد اليابس في الليـل معين على الفناء . ومجامعة العجوز تهدم اعمار الاحياء » .

وروي بعض هذه الكلمات عن الحرث بن كلدة وفيها : من سره النساء ولا نساء ، فليكر العشاء، وليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . — ومعنى فليكر يؤخر ؛ والمراد بالرداء الدين ، وسمي الدين رداء لقولهم « هو في عنقي وفي ذمتي » فلما كانت العنق موضع الرداء سمي الدين رداء . وقد روي من طريق آخر وفيـــه . « وتعجيل العشاء » وهو أصح . وروى ابو عوانة عن عبد الملك بن عمير قال ؛ قال الحرث بن كلدة : « من سره البقاء ولا بقاء ، فليباكر الغداء وليعجل العشاء ، وليخفف الرداء وليقل الجماع . »

(وروى) حرب بن محمد قال : حدثنا ابي ، قال :قال الحرث بن كلدة :اربعة اشياء تهدم البدن : الغشيان على البـطنة(٥) ، ودخول الحمام على الامتلاء ، واكل القديد ، ومجامعة العجوز .

---

(١) كثيرة الشعر .

(٢) نبات له زهر ابيض واوراق زهر مفلجة صغيرة .

(٣) تاسع الخلفاء العباسيين (٨٤٢ـ٨٤٦)تسلط على ايامه القواد الاتراك على جيوش الخلافة وغزا العرب صقلية .

(٤) تبليه .

(٥) الجامعة مع امتلاء البطن بالطعام .

(وروى) داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كلدة اجتمع اليه الناس فقالوا : « مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك . فقال : لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في اوان نضجها ، ولا يتعالجن احد منكم ما احتمَل بدنُه الداء . وعليكم بالنورة [١] في كل شهر ، فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم . واذا تغدى أحدكم فلينم على إثر غدائه ، واذا تعشى فليخط أربعين خطوة .

ومن كلام الحرث أيضاً قال : دافع بالدواء ما وجدت مدفعاً ، ولا تشربه الا من ضرورة فانه لا يصلح شيئاً الا افسد مثله .

(وقال) سليمان بن جلجل : أخبرنا الحسن بن الحسين قال : اخبرنا سعيد بن الاموي قال ، أخبرنا عمي محمد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير قال : كان أخوان من ثقيف [٢] من بني كنه يتحابان ، لم ير قطّ احسن ألفة منهما . فخرج الاكبر الى سفر فأوصى الاصغر بامرأته ؛ فوقعت عينه عليها يوماً غير معتمد لذلك ، فهويها وضني . وقدم أخوه فجاءه بالاطباء ، فلم يعرفوا ما به ، الى ان جاءه بالحرث بن كلدة فقال : أرى عينين محتجبتين وما أدري ما هذا الوجع وسأجرب ، فاسقوه نبيذاً . فلما عمل النبيذ فيه قال :

ألا رفقا ألا رفقا ... قليلا ما أكوننه
ألِمّا [٣] بي الى الابيا ... ت بالخيف أزرهنه
غزالا ما رأيت اليو ... م في دور بني كنه
أسيل الخد مربوب ... وفي منطقه غنه [٤]

(الهزج)

فقالوا له : انت اطب العرب . ثم قال رددوا النبيذ عليه . فلما عمل فيه قال :

أيها الجيرة اسلموا ... وقفوا كي تكلموا
وتقضوا لبانة ... وتحبوا وتنعموا
خرجت مزنة من ... البحر ريا تحمحم [٥]
هي ما كنّتي [٦] وتز ... عم أني لها حم [٧]

---

(١) حجر الكلس ثم غلب على اخلاط من زرنيخ وكلس وغيره يزال به الشعر في الحمام طلاء .
(٢) قبيلة عربية سكنت في الطائف قبيل الهجرة واشتركت في الفتوحات الاسلامية
(٣) ألم : اتى .
(٤) الصوت الرخيم .
(٥) تردد الصوت
(٦) امرأة الابن وتقال لامرأة الاخ وابن الاخ .
(٧) ابو زوج المرأة وابو امرأة الرجل .(ن.ر)

قال : فطلقها اخوه ، ثم قال : تزوج بها يا اخي . فقال : والله لا تزوجتها . فمات وما تزوجها .
وللحرث بن كلدة الثقفي من الكتب : كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى انو شروان .

النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي

هو ابن خالة النبي ﷺ ، وكان النضر قد سافر البلاد أيضاً كأبيه . واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الاحبار والكهنة . واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه ، ايضاً ، ما كان يعلمه من الطب وغيره .

وكان النضر يؤاتي أبا سفيان [1] في عداوة النبي ، ﷺ ، لكونه كان ثقفياً ، كما قال رسول الله ﷺ : **« قريش والانصار حليفان ، وبنو امية وثقيف حليفان »** .

وكان النضر كثير الاذى والحسد للنبي ، ﷺ ، ويتكلم فيه باشياء كثيرة ، كيما يحط من قدره عند اهل مكة ، ويبطل ما أتى به بزعمه . ولم يعلم ، بشقاوته ، ان النبوة أعظم ؛ والسعادة اقدر ؛ والعناية الالهية أجل ؛ والأمور المقدرة اثبت . وانما النضر اعتقد ان بمعلوماته وفضائله وحكمته يقاوم النبوة ، وابن الثرى من الثريا ، والحضيض من الاوج ، والشقي من السعيد . وما أحسن ما وجدت حكاية ذكرها افلاطون في كتاب النواميس في ان النبي وما يأتي به لا يصل اليه الحكيم بحكمته ،ولا العالم بعلمه . قال افلاطون : وقد كان « مارينون » ، ملك اليونانيين الذي يذكره اوميرس الشاعر باسمه وجبروته ، وما تهيأ لليونانيين في سلطانه ، رمي بشدائد في زمانه ، وخوارج في سلطانه ، ففزع الى فلاسفة عصره . فتأملوا مصادر أموره ومواردها ، وقالوا له : قد تأملنا أمرك ، فلم نجد فيه من جهتك شيئاً يدعو الى ما لحقك ، وانما يعلم الفيلسوف الافراطات وسوء النظام الواقعين في الجزء . فاما ما خرج عنه فليس تبحث عنه الفلسفة ، وانما يوقف عليه من جهة النبوة . واشاروا عليه ان يطلب نبي عصره ليجتمع له مع علمهم ما ينبىء به ، وقالوا : « انه لا يسكن في البلدان العامرة ، وانما يكون بين أقاصي المقفرة بين فقراء ذلك العصر » فسألهم ما يجب ان يكون عليه رسله اليه ، وما يكون دليلا لهم عليه فقالوا : « اجعل رسلك اليه من لانت سجيته ، وظهرت قناعته ، وصدقت لهجته ، وكان رجوعه الى الحق احب من ظفره به ، فان بين من استولى عليه هذا الوصف وبينه وصلة تدلهم عليه . وتقدم اليهم في المسألة عنه ، عند مسقط رأسه ومنشئه ، وسيرته في هذه المواضع ، فانك تجده زاهداً في النعيم ، راغباً في الصدق ، مؤثراً للخلوة ، بعيداً من الحيلة ، غير حظي من الملوك . ينسبونه الى تجاوز حده والخروج عما جرى عليه اهل طبقته . تتأمل فيه الخوف ، وتخال فيه الغفلة . اذا تكلم في الامر توهمت انه عالم بأصوله وليس يعرف ما يترقى اليه به.

---

(١) تاجر عادى النبي وحاربه في مواقع بدر وأحد . وقاد قسماً من جيش المشركين الذي حاصر المدينة ٦٢٧ م وصالح النبي في معاهدة الحديبة ودخل مع النبي مكة.توفي نحو ٦٥٢ م .

واذا سئل عما يصدر عنه ذكر انه ، يلقى على لسانه وفي خاطره ، في اليقظة وبين النوم واليقظة ، ما لم ير فيه . واذا سئل عن شيء ، رأيته كأنه يقتضي الجواب من غيره ، ولا يفكر فيه تفكير القادر عليه ، والمستنبط له . واذا وجدوه ، فسيجمع لهم الى ما تقرر من وصفه اعاجيب تظهر على لسانه ويده » .

فجمع سبعة نفر واضاف اليهم أمثل من وجد من الفلاسفة ، فخرجوا يلتمسونه . فوجدوه على مسافة خمسة ايام من مستقر مارينوس في قرية قد خرج اكثر اهلها عنها ، وسكنوا قريباً من مدينة مارينوس لما آثروه من لين جواره وكثرة الانتفاع به . ولم يبق فيها الا نفر من الزهاد قد قعدوا عن الاكتساب ، ومشايخ وزمنى [1] خلفهم الجهد . وهو بينهم في منزل شعث [2] ، وحول المنزل جماعة من هؤلاء القوم ، قد شغفهم جواره ، والهاهم عن الحظوظ التي وصل اليها غيرهم . فتلقاهم اهل القرية بالترحيب . وسألوهم عن سبب دخولهم قريتهم الشعثة التي ليس فيها ما يحبس امثالهم عليه ، فقالوا : رغبنا في لقاء هذا الرجل ومشاركتكم في فوائده . وسألوهم عن وقت خلوته [3] ، فقالوا : ما له شيء يشغله عنكم .

فدخلوا اليه فوجدوه مختبياً [4] بين جماعة قد غضوا ابصارهم من هيبته . فلما رآه السبعة نفر سبقتهم العبرة ؛ وغمرتهم الهيبة ، ومعهم الفيلسوف ممسك لنفسه ، ومتّهم لحسه ، يريد ان يستبرىء امره . فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام رداً ضعيفاً وهو كالناعس المتحير . ثم زاد نعاسه حتى كادت حبوته [5] ان تنحل فلما تبين من حوله ما تغشاه غضوا ابصارهم ووقفوا وقوف المصلي ، فقال : يا رسل الخاطىء الذي ملك جزءاً من عالمي ، فنظر الى صلاحه في سوق الخيرات الجسدية اليه ، فأفسده بما غمره منها . وكان سبيله سبيل من وكل بجزء من بستان كثير الزهر والثمار ، فصرف اليه اكثر من حصته من ماء ذلك البستان ، وظن انه اصلح له فكان ما زاده منه على حصته ، ناقصاً من طعوم ثماره ، وروائح ازهاره ؛ وسبباً لجفاف اشجار جزء جزءٍ منه وتصويح [6] نبته .

فلما سمع السبعة نفر هذا لم يملكوا انفسهم حتى قاموا مع اولئك فوقفوا وقوف المصلين . قال الفيلسوف : فبقيت جالساً خارجاً عن جملتهم لاستبرىء امره ، واتقصى عجائبه ، فصاح بي : « ايها الحسن الظن بنفسه ، الذي كان اقصى ما لحقه ان سلك بفكره بين المحسوسات الجزئية والمعقولات الكلية ، واستخلص منها علماً وقف به على طبائع المحسوسات وما قرب منها ؛ فظن انه

---

(١) ذو العاهة .
(٢) مشوش غير منظم .
(٣) زمن فراغه .
(٤) معتماً .
(٥) العمامة او كل ثوب يشتمل به ،
(٦) اليبس والجفاف .

يبلغ به كل علة ومعلول . انك لا تصل الي بهذه الطريق ، لكن بمن جعلته بيني وبين خلقي ، ونصبته للدلالة على ارادتي . فاصرف اكثر عنايتك الى الاستدلال عليه . فاذا اصبته فاردد اليه ما فضل عن معرفتك ، فقد حملته من جودي ما فرقت به بينه وبين غيره ، وجعلته سمة له يستعرضها افهام المخلصين للحق . » ثم تماسك وقوي طرفه ، فرجع من حوله الى ما كانوا عليه ، وخرجت من عنده .

فلما كان العشية عدت اليه فسمعته يخاطب اصحابه والسبعة نفر بشيء من كلام الزهاد ، ينهاهم فيه عن طاعة الجسد . فلما انقضى كلامه قلت له : « قد سمعت ما سلف لك في صدر هذا اليوم وأنا أسألك زيادتي منه » . فقال : « كلما سمعته فانما هو شيء صور في نفسي وأنطق به لساني ، وليس لي فيه الا التبليغ . وإن كان منه شيء ستقف عليه » . فأقمت عنده ثلاثة ايام ، أدبّر السبعة نفر على الرجوع الى اوطانهم فيأبون ذلك علي ، فلما كان اليوم الرابع دخلت عليه ، فما تمكنت من مجلسه حتى تغشاه ما كان غشيه في اليوم الذي دخلنا عليه. ثم قال : « يارسول الخاطىء المستبطىء نفسه في الرجوع له . ارجع الى بلدك فانك لا تلحق صاحبك ، واني انسخه بمن يعدّل ميل الجزء الذي في يده ، فخرجت من عنده فلحقت بلدي وقد قضى نحبه . وتولى الامر كهل من أهل بيت مارينوس ، فرد المظالم وخلص الأرواح مما غشيها من لبوسات الترفه [1] والبطالة .

أقول ولما كان يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركو قريش ، كان المقدم على المشركين أبو سفيان ، وعدتهم ما بين التسعمائة والالف ، والمسلمون يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر . وأيد الله الاسلام ونصر نبيه ﷺ ، ووقعت الكسرة على المشركين . وقتلت في جملتهم صناديد [2] قريش ، وأسر جماعة من المشركين . فبعضهم استفكوا انفسهم ، وبعضهم أمر النبي ﷺ ، بقتلهم . وكان من جملة المأسورين عقبة [3] بن أبي معيط ، والنضر بن الحرث بن كلدة ، فقتلهما عليه السلام بعد منصرفه من بدر .

حدثني شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكريم قال : حدثنا أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن الميمون ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محمويه الشافعي اليزدي عن أبي سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي ، عن أبي غالب محمد بن أحمد ابن سهل بن بشران النحوي الواسطي ، عن ابي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، عن أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب الاصبهاني ، قال : حدثنا محمد بن جرير الطبري ، قال : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا مسلمة عن محمد بن اسحق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان : ان رسول الله ﷺ قتل يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبراً ، أما عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الانصاري فضرب عنقه . ثم أقبل من بدر حتى اذا كنا بالصفراء قتل النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي أحد بني عبد الدار ، فقد أمر علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، أن يضرب عنقه .

فقالت قتيلة بنت الحرث ترثيه :

---

(١) ليونة العيش .

(٢) جمع صنديد وهو السيد الشجاع .

(٣) احد الاشخاص الجاهليين الذين آذوا النبي

يا راكباً ان الأثيل[1] مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
بلغ بـــه ميتـا فـــان تحية ... ما ان تزال بهـا الركائب تخنق
مني اليه وعـــبرة مسفوحـــة ... جادت بدرتهـــا وأخرى يخنق
فليسمعن النضر أن ناديتـــه ... ان كان يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه[2] ... لله ارحـــام هنـــاك تمـــزق
صبراً يقـــاد الى المنية متعبـــاً ... رسف المقيـد وهو عان موثق
أمحمـــدٌ ولأنت نسل نجيبـــة ... في قومها ، والفحل فحل معرق[3]
ما كان ضرك لو مننت وربمـــا ... مَنَّ الفتى وهـــو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أخذت بزلة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق
لو كنت قابـــل فدية لفديتـــه ... بأعز مـــا يفدي بـــه من ينفق

(الكامل)

قال أبو الفرج الاصبهاني[4] : فبلغنا ان النبي ﷺ قال : لو سمعت هذا قبل ان أقتله ما قتلته . فيقال ان شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه وأكفه وأحلمه .

أقول : كانه عليه السلام انما أخر قتل النضر بن الحرث الى ان وصل الصفراء ليتروى فيه . ثم انه رأى الصواب قتله فأمر بقتله . ويروى أيضاً في قولها « والنضر أقرب من قتلت قرابـة » تشير الى انه قرابة النبي عليه السلام . وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة . وبدر موضع وهـــو اسم ماء

قال الشعبي[5]: بدر بئر كانت لرجل يدعى بدرا ومنه يوم بدر. والصفراء من بدر على سبعة عشر ميلاً ، ومن المدينة على ثلاث ليال قواصد .

ابن ابي رمثة التميمي

كان طبيباً على عهد رسول الله ﷺ ، مزاولا لأعمال اليد وصناعة الجراح .
وروى نعيم عن ابن أبي عيينة عن ابن أبجر ، عن زياد عن لقيط عن ابن أبي رمثة قـال : اتيت

---

(١) موضع قرب المدينة المنورة .
(٢) تتناوله .
(٣) كريم الأصل .
(٤) علي بن الحسين (٨٩٧ – ٩٦٦) ولد في اصبهان ونشأ في بغداد وكان من مقربي سيف الدولة الحمداني له كتـــاب الاغاني المشهور .
(٥) هو ابو عامر بن شراحيل تابعي وعلامة الكوفة ومحدث روى عن علي وابي هريرة وعائشة (٦٤٢ – ٧٢٣) .

رسول الله ﷺ ، فرأيت بين كتفيه الخاتم ، فقلت : اني طبيب فدعني أعالجه ، فقال : انت رفيق، والطبيب الله . قال سليمان بن حسان : علم رسول الله انه رفيق اليد ولم يكن فائقاً في العلم ، فبان ذلك من قوله والطبيب الله .

عبد الملك بن أبجر الكناني

كان طبيباً عالماً ماهراً . وكان في أول أمره مقيما في الاسكندرية لانه كان المتولي في التدريس بها من بعد الاسكندرانيين الذين تقدم ذكرهم . وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثم ان المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية ، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز [1] ، وكان حينئذ أميراً قبل ان تصل اليه الخلافة ، وصحبه . فلما أفضت الخلافة الى عمر ، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس الى انطاكية وحران [2] وتفرق في البلاد . وكان عمر بن عبدالعزيز يستطب ابن ابجر ، ويعتمد عليه في صناعة الطب .

روى الاعمش [3] عن ابن أبجر انه قال : دع الدواء ما احتمل بدنك الداء . وهذا من قول النبي ﷺ : **« سر بدائك ما حملك »** .

وروى سفيان [4] عن ابن أبجر أنه قال : المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه ، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة ، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم .

ابن أثال

كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق ، نصراني المذهب . ولما ملك معاوية [5] بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن اليه ، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه ، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً . وكان ابن أثال خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وقواها ، وما منها سموم قواتل ، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً .

ومات في ايام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والامراء من المسلمين بالسم . ومن ذلك حدثنا

---

(١) من الخلفاء الامويين اشتهر بتقواه وتمسكه بالسنة مع اهل الذمة . ابطل لعن علي الذي سنه معاوية .(٦٨٢ - ٧٢٠).

(٢) بلد بالشام .

(٣) هو لقب سليمان بن مهران الكوفي المشهور .

(٤) اظن انه سفيان الثوري احد علماء الكلام الصوفيين ولم يكن اعلم منه في الحلال والحرام .

(٥) هو مؤسس الدولة الاموية وعاصمتها دمشق . وكان من قبل والياً عليها من قبل الخلفاء واصبح خليفة بعد مقتل علي ابن ابي طالب (ن. ر) .

ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكريم ، قال : حدثنا ابو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محمويه الشافعي اليزدي ، عن أبي سعد احمد بن عبد الجبار بن احمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي ، عن ابي غالب محمد بن احمد بن سهل بن بشران النحوي الواسطي ، عن ابي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، عن ابي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني الكاتب قال في كتابه المعروف « بالاغاني » الكبير : اخبرني عمي، قال : حدثنا احمد بن الحرث الخزاز ، قال : حدثنا المدائني ، عن شيخ من اهل الحجاز ، عن زيدبن رافع مولى المهاجربن خالد بن الوليد ، عن ابي ذئب ، عن ابي سهيل : ان معاوية لما اراد ان يظهر العقد ليزيد قال لاهل الشام : « ان أمير المؤمنين قد كبرت سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه، واقترب اجله ، يريد ان يستخلف عليكم فمن ترون » ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت واضمرها . ودس ابن اثال النصراني الطبيب اليه ، فسقاه سماً ، فمات. وبلغ ابن اخيه خالد بن المهاجر ابن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة وكان اسوأ الناس رأياً في عمه لان اباه المهاجر ، كان مع علي رضي الله عنه ، بصفين ، وكان عبد الرحمن بن خالد مع معاوية . وكان خالد بن المهاجر على رأي ابيه ، هاشمي المذهب . فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به عروة بن الزبير ، فقال له يا خالد ! اتدع لابن اثال نقى [1] اوصال عمك بالشام ، وانت بمكة مسبل ازارك تجره وتخطر فيه متخائلاً ؟ فحمي خالد ودعى مولى له يقال له نافع فاعلمه الخبر وقال له : « لا بد من قتل ابن اثال » . وكان نافع جلداً شهماً ، فخرجا حتى قدما دمشق ، وكان ابن إثال يتمسى عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق الى اسطوانة ، وجلس غلامه الى اخرى حتى خرج . فقال خالد لنافع : اياك ان تعرض له انت ، فاني اضربه . ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي . فان رأيت شيئاً يريدني من ورائي فشأنك » . فلما حاذاه وثب اليه فقتله . وثار اليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا. ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه ، فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا ، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا الناس . وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر ، انظروا الزقاق الذي دخل فيه » . ففتش عليه واتي به فقال له : لا جزاك الله من زائر خيراً : قتلت طبيبي ؟ « فقال : قتلت المأمور وبقي الآمر » .

فقال له : « عليك لعنة الله ، اما والله لو كان تشهّد مرة واحدة لقتلتك به . امعك نافع ؟ قال لا ! قال : بلى والله ، وما اجترأت إلا به » . ثم امر بطلبه فوجد ، فأتي به فضرب مائة سوط ولم ينح خالداً بشيء اكثر من ان حبسه ، والزم بني مخزوم دية ابن اثال اثني عشر الف درهم ؛ ادخل بيت المال منها ستة آلاف واخذ ستة آلاف ، فلم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه ، واثبت الذي يدخل بيت المال .

قال : لما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في السجن :

---

(١) مخ العظام وشحمها .

إما خطـــاي تقـــاربت مشي المقيـــد في الحصار
فيما أمشي في الأ باطـــح يقتفي اثري إزاري .
دع ذا ولكن هـــل ترى ناراً تشب بـــذي مرار
مـــا أن تشب لقِرة[1] بالمصطلين[2] ولا قتار[3]
ما بال ليلـــك ليس يَنـ قص طولهـــا طولُ النهار
أتقاصر الأزمان أم غرض الاسير من الاسار[4]

(الكامل)

قال فبلغت ابياته معاوية فأطلقه ، فرجع الى مكة . فلما قدمها لقي عروة بن الزبير ، فقال له : اما ابن اثال فقد قتلته . وهذاك ابن جرموز نقى اوصال الزبير بالبصرة فاقتله ان كنت ثائراً .فشكاه عروة الى ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فأقسم عليه ان يمسك عنه ، ففعل .

اقول : كان الزبير بن العوام[5] مع عائشة يوم الجمـــل[6] ، فقتله ابن جرموز ، ولذلك قال خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لابيه يعيره بذلك . ومما يحقق هذا ، أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل زوجة الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتله ابن جرموز :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة[7] يوم اللقاء وكان غـير معرد[8]
يا عمرو لو نبهته لوجدتـــه لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
الله ربك ، ان قتلت لمسلماً وجبت عليـك عقوبـــة المتعمد
إن الزبير ، لذو بلاء صادق ، سمـــح سجيته ، كريم المشهد
كم غمرة قـــد خاضها ، لم يثنه عنها طرادك ، يا ابن فقع القردد[9]
فاذهب فما ظفرت يداك بمثـــله فيما مضى ممـــا يروح ويغتدي

(الكامل)

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي[10] في « كتاب الأمثال » : إن معاوية ابن ابي سفيان

---

(١) البرد
(٢) المستدفئين .
(٣) الدخان .
(٤) ما يشد به من قد او قيد .
(٥) هو الزبير بن العوام صحابي امه صفيه بنت عبد المطلب واحد اصحاب الشورى الستة وقتل يوم الجمل .
(٦) اسم الموقعة التي دارت فيها الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب وبين اصحاب عائشة التي غرر بها طلحة والزبير بعد ما نقضا بيعتهم لعلي .
(٧) الشجاع الذي يستبهم مأتاه على اقرانه .
(٨) غير محجم ولا نا كل .
(٩) الفقع : اردأ الكمأة ، والقردد : القفر أو الارض المستوية وكنى به عنها عن الذليل.
(١٠) ولد في هراة من ام رومية وهو لغوي وفقيه .

كان خاف ان يميل الناس الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فاشتكى عبد الرحمان فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأحرقته. فعند ذلك قال معاوية لا جد الا ما اقعص [1]عنك من تكره . قال : وقالمعاوية ايضاحين بلغه ان الاشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات : « ان لله جنوداً منها العسل».

ونقلت من تاريخ ابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي [2] قال : لما كان في سنة ثمان وثلاثين بعث علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الاشتر واليا على مصر ، بعد قتل محمد بن ابي بكر ، وبلغ معاوية مسيره فدس الى [3] دهقان بالعريش [4] ، فقال ان قتلت الاشتر فلك خراجك عشرين سنة » ، فلطف له الدهقان فسأل اي الشراب احب اليه ؟ فقيل العسل . فقال عندي عسل من عسل برقة ، فسمه واتاه به فشربه فمات .

وفي تاريخ الطبري ان الحسن بن علي رضي الله عنهما مات مسموماً في ايام معاوية وكان عند معاوية كما قيل دهاء ؛ فدس الى جعدة بنت الاشعث بن قيس، وكانت زوجة الحسن ، رضي الله عنه ، شربة وقال لها : ان قتلت الحسن زوجتك بيزيد . فلما توفي الحسن بعثت الى معاوية تطلب قوله ، فقال لها في الجواب : انا اضن بيزيد . وقال كثير [5] يرثي الحسن رضي الله عنه :

يا جعد ابكيه ولا تسأمي   بكاء حق ليس بالباطل
ان تستري الميت على مثله   في الناس من حاف ومن ناعل

(السريع)

وقال عوانة بن الحكم : لما كان قبل موت الحسن بن علي عليهما السلام ، كتب معاوية الى مروان ابن الحكم عامله على المدينة ان اقبل المطي فيما بيني وبينك بخبر الحسن بن علي . قال : فلم يلبث الا يسيراً حتى كتب مروان بموته . وكان ابن عباس اذا دخل على معاوية اجلسه معه على سريره فأذن معاوية للناس فأخذوا مجالسهم ، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية ان يسلم حتى قال : يا ابن عباس ! هل أتاك موت الحسن بن علي ؟ قال : لا ! قال معاوية : فانه قد أتانا موته . فاسترجع ابن عباس وقال : ان موته يا معاوية لا يزيد في عمرك ولا يدخل عمله معك في قبرك . وقد بلينا بأعظم ، فقدنا منه جده محمد صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصابنا ولم يهلكنا بعده » . فقال له معاوية : اقعد يا ابن عباس ، فقال : ما هذا بيوم قعود . وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن رضي الله عنه فقال قثم ابن عباس في ذلك :

---

(١) اقعصه : رماه او ضربه فمات مكانه .

(٢) ولد في المدينه (٧٤٧ — ٨٢٢) كان قاضياً في الرصافة ودليل الحج لهارون الرشيد ووزيره يحيى ومن مؤلفاته « المغازي » و « فتوح الشام » و « فتوح مصر » .

(٣) رئيس الاقليم .

(٤) بلدة على المتوسط بين مصر وفلسطين فيها وقع الفرنسيون معاهدة اجلائهم عن مصر سنة ١٨٠٠ .

(٥) شاعر اشتهر باسم كثير عزة اقام في المدينة . وغالى في تشيعه وقال بالرجعة والتناسخ توفي سنة ٧٢٣ .

أصبح اليوم ابن هند شامتاً	ظاهر النخوة أن مات حسن
رحمـة الله عليه انـه	طال ما أشجى ابن هند وأذن
ولقد كان عليه عمره	عدل رضوى وثبير وحضن [1]
واذا اقبل حيـاً رافعـاً	صوته والصدر يغلي بالإحن [2]
فارتع اليوم ابن هند آمناً	انمـا يغمص [3] بالعير السمن
واتق الله وأحـدث توبة	ان ما كان كشيء لم يكن

(الرمل)

أبو الحكم

كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والادوية ، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة . وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات ادوية لأغراض قصدها منه .

وعمر ابو الحكم هذا عمراً طويلاً حتى تجاوز المائة سنة .

حدث أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم ، قال : حدثني أبي قـال : حدثني عيسى بن حكم الدمشقي المتطبب قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : ولي الموسم في أيام معاوية [4] بن ابي سفيان ، يزيد بن [5] معاوية . فوجهني ابوه معه متطبباً له . وخرجت مـع عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى مكة متطبباً له . وقعدد [6] عبد الصمد مثل قعدد يزيـد . وبين وفاتها مائة ونيف وعشرون سنة .

قال يوسف بن ابراهيم: حدثني عيسى بن حكم عن ابيه ، ان جده أعلمه انه كان حمّى عبدالملك[7] ابن مروان من شرب الماء في علته التي توفي فيها . واعلمه انه متى شرب المـاء قبل نضج علته توفي . قال : فاحتمى عن الماء يومين وبعض الثالث . قال : فاني عنده لجالس وعنده بناته ، اذ دخل عليـه

---

(١) رضوى وثبير وحضن : اسماء جبال . رضوى بالمدينة ؛ وثبير بظاهر مكة ؛ وحضن من جبال سلمى بنجد .

(٢) الحقد .

(٣) ويحتقر ويكره . (ن.ر) .

(٤) صحابي تولى الحكم في سوريا ٢٠ عاماً نزع للمطالبة بدم عثمان حباً بالوصول الى الحكم . وهو مؤسس الدولة الامويـة وعاصمتها دمشق توفي سنة ٦٨٠

(٥) ثاني الخلفاء الامويين وانتقلت اليه بالارث فكان اول ملك في العرب وكان خليعاً ماجناً فثار عليهالحسين بن علي فكانت موقعة كربلاء حيث قتل الحسين .

(٦) القريب الاباء من الجد الاعلى ؛ او البعيد « ضد » .

(٧) الخليفة الاموي الذي يعد كمؤسس ثان للدولة الاموية . ارسل جيوشه الى آسيا الصغرى وافريقيا . وصك النقود الذهبية ونظم البريد وبنى الصخرة في المسجد الاقصى .

الوليد[1] ابنه فسأله عن حاله وهو يتبين في وجه الوليد السرور بموته فأجابه بأن قال :

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والدموع سواجم

(الطويل)

وكان استفتاحه النصف الاول وهو مواجه للوليد ، ثم واجه البنات عند قوله النصف الثاني ، ثم دعا بالماء فشربه فقضى من ساعته .

حكم الدمشقي

كان يلحق بابيه في معرفته بالمداواة والاعمال الطبيــة والصفات البديعة . وكان مقيماً بدمشق . وعمر أيضاً عمراً طويلاً .

قال ابو يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن حــكم ان والده توفي ، وكان عبد الله بن طاهر[2] بدمشق في سنة عشر ومائتين ؛ وان عبد الله سأله عن مبلغ عمر أبيه فأعلمه انه عمره مائــة وخمس سنين ، لم يتغير عقله ، ولم ينقص علمه . فقال عبد الله : عاش حكم نصف التاريخ .

قال يوسف وحدثني عيسى انه ركب مع أبيه حكم بمدينة دمشق ، اذ اجتازوا بحانوت حجام قد وقف عليه بشر كثير ، فلما بصر بنا بعض الوقوف قال : أفرجوا هــذا حكم المتطبب وعيسى ابنه . فأفرج القوم ، فاذا رجل قد فصده الحجام في العرق الباسليق ، وقد فصده فصداً واسعاً ، وكان الباسليق على الشريان ، فلم يحسن الحجام تعليق العرق فأصاب الشريان . ولم يكن عند الحجام حيلة في قطع الدم . واستعملنا الحيلة في قطعه بالرفائد[3] ونسج العنكبوت والوبر ، فلم ينقطع بذلك . فسألني والدي عن حيلة ، فاعلمته انه لا حيلة عندي . فدعا بفستقة[4] فشقها وطرح ما فيها ، وأخــذ أحد نصفي القشر فجعله على موضع الفصد ، ثم اخذ حاشية من ثوب كتان غليظ فلف بها موضع الفصد على قشر الفستقة لفاً شديداً ، حتى كان يستغيث المفتصد من شدته ، ثم شد ذلك بعد اللف شداً شديداً ، وأمر بحمل الرجل الى نهر بردى ، وأدخل يده في الماء ووطئاً[5] له على شاطىء النهر ونومه عليه ، وأمر فحسى محات[6] بيض نيمرشت[7] ، ووكل به تلميذاً من تلامذته ، وأمره بمنعه من اخراج يده

---

(١) الخليفة الاموي السادس (٧٠٥ - ٧١٥) بلغت في ايامه الامبراطورية العربية اوجها وبلغت فتوحاته القفقاس والمغرب وصقليا واسبانيا وبخاري وسمرقند وفرغانة وتشكنت وبلغ حدود الصين .

(٢) ولد سنة ٧٩٨ وهو قائد وسياسي وشاعر . حكم البلاد بين مصر والرقة ثم استقل بحكم خراسان توفي سنة ٨٤٤ .

(٣) واحدها رفادة وهي الخرقة توضع على الجرح .

(٤) حبة الفستق وهو شجر معروف .

(٥) مهد وسهل ودمث .

(٦) واحدها محة وهي بياض البيض .

(٧) المسلوقة قليلاً .

من موضع الفصد من الماء الا عند وقت الصلاة او يتخوف عليه الموت من شدة البرد. فان تخوف ذلك أذن له في اخراج يده هنيهة ثم امره بردها ، ففعل ذلك الى الليل . ثم امر بحمله الى منزله ونهاه عن تغطية موضع الفصد ، وعن حل الشد قبل استتمام خمسة ايام ، ففعل ذلك . إلا انه صار اليه في اليوم الثالث وقد ورم عضده وذراعه ورماً شديداً ، فنفس من الشد شيئاً يسيراً ، وقال للرجل : « الورم اسهل من الموت » . فلما كان في اليوم الخامس حل الشداد فوجدنا قشر الفستقة ملتصقاً بلحم الرجل. فقال والدي للرجل : « بهذا القشر نجوت من الموت ، فان خلعت هـذا القشر قبل انخلاعه وسقوطه من غير فعل منك تلفت نفسك » .

قال عيسى : فسقط القشر في اليوم السابع وبقي في مكانه دم يابس في خلقة الفستقة.فنهاه والدي عن العبث به ، او حك ما حوله ، او فت شيء من ذلك الدم . فـلم يزل الدم يتحات [١] حتى انكشف موضع الفصد في اكثر من اربعين ليلة وبرأ الرجل .

عيسى بن حكم الدمشقي

وهو المشهور بمسيح ، صاحب الكناش الكبير الذي يعرف به وينسب اليه .

قال يوسف بن ابراهيم: حدثني عيسى بن الحكم انه عرض لغضيض ام ولد الرشيد قولنج فاحضرته واحضرت الابح والطبري الحاسبين ، وسألت عيسى عما يرى معالجتها به . قال عيسى: فاعلمتها ان القولنج قد استحكم بها استحكاماً ان لم تبادره بالحقنة لم يؤمن عليها التلف .

فقالت ؛ للأبح والطبري : « اختارا لي وقتاً اتعالج فيه » . فقال لها الابح علتك هذه ليست من العلل التي يمكن ان يؤخر لها العلاج الى وقت يحمده المنجمون ، وانا ارى ان تبادري بالعلاج قبل ان تعملي عملاً ؛ وكذلك يرى عيسى بن حكم . فسألتني ، فاعلمتها ان الابح قد صدقها . فسألت الطبري عن رأيه فقال : ان القمر اليوم مع زحل ، وهو في غد مع المشتري ، وانا ارى لك ان تؤخري العلاج الى مقارنة القمر المشتري . فقال الابح : انا اخاف ان يصير القمر مع المشتري وقد عمل القولنج عملاً لا يحتاج معه الى علاج . فتطيرت من ذلك غضيض ولبنتها ام محمـد وامرتا باخراجه من الدار وقبلت قول الطبري . فماتت غضيض قبل موافاة القمر المشتري . فلما وافى القمر المشتري قال الابح لام محمد : هذا وقت اختيار الطبري للعلاج فأين العليل حتى نعالجه ؟ فزادتها رسالته غيظاً عليه . ولم تزل سيئة الرأي فيه حتى توفيت .

---

(١) يتناثر ويتساقط .

قال يوسف : نزلت على عيسى بن حكم في منزله بدمشق سنة خمس وعشرين ومائتين ؛ وبي نزلة صعبة ، فكان يغذوني بأغذية طيبة ويسقيني الثلج فكنت انكر ذلك ، واعلمه ان تلك الاغذية مضرة بالنزلة . فيعتل علي بالهواء ويقول : « انا اعلم بهواء بلدي منك وهذه الاشياء المضرة بالعراق نافعة بدمشق » . فكنت اغتذي بما يغذوني به . فلما خرجت عن البلد خرج مشيعاً لي حتى صرنا الى الموضع المعروف بالراهب ، وهو الموضع الذي فارقني فيه ، فقال لي : قد اعددت لك طعاماً يُحمل معك يخالف الاطعمة التي كنت تأكلها . وانا آمرك ان لا تشرب ماء بارداً ، ولا تأكل من مثل الأغذية التي كنت تأكلها في منزلي شيئاً . فلمته على ما كان يغذوني به فقال : « انه لا يحسن بالعاقل ان يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله .

قال يوسف : وتجاريت وعيسى يوماً بدمشق ذكر البصل ، فابترك في ذمه ووصف معايبه .

وكان عيسى وسلمويه [1] بن بيان يسلكان طريق الرهبان ، ولا يحمدان شيئاً مما يزيد في الباه ، ويذكران أن ذلك مما يتلف الابدان ويذهب الأنفس . فلم استنجد الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباه . فقلت له : قد رأيت له في سفري هذا ، اعني فيما بين سر من رأى ودمشق ، منفعة . فسأل عنها ، فاعلمته اني كنت اذوق الماء في بعض المناهل فاصيبه مالحاً فآكل البصل النيء ثم اعاود شرب الماء فاجد ملوحته قد نقصت .

وكان عيسى قليل الضحك فاستضحك من قولي ثم رجع الى اظهار جرح منه ، ثم قال : يعز علي ان يغلط مثلك هذا الغلط ، لانك صرت الى اسمج نكتة في البصل واعيب عيب فيه فجعلتها مدحاً. ثم قال لي : أليس متى حدث في الدماغ فساد فسدت الحواس ، حتى ينقص حس الشم والذوق والسمع والبصر : فاعلمته ان الامر كذلك . فقال لي : ان خاصية البصل احداث فساد الدماغ ، فانما قلل حسك بملوحة الماء ما احدث البصل في دماغك من الفساد .

قال : وقال لي عيسى وقد شيعني الى الراهب ، وهو آخر كلام دار بيني وبينه ان والدي توفي وهو ابن مائة سنة وخمس سنين لم يتشنج له وجه ، ولم ينقص من ماء وجهه لاشياء كان يفعلها وانا الآن مزودكها فاعمل بها ؛ وهي : ان لا تذوق القديد ، ولا تغسل يديك ورجليك عند خروجك من الحمام ابداً الا بماء بارد ابرد ما يمكنك ، والزم ذلك فانه ينفعك . فلزمت ما امرني به من هذا الباب إلا اني ربما مصصت القطعة الصغيرة من القديد في السنة ، وفي الاكثر من ذلك .

ولعيسى بن حكم من الكتب : كناش ، كتاب منافع الحيوان .

---

(١) هو طبيب الخليفة العباسي محمد المعتصم بالله .

تيـــاذوق

كان طبيباً فاضلا وله نوادر والفاظ مستحسنة في صناعـة الطب . وعمر ، وكان في اول دولة بني امية ومشهوراً عندهم بالطب . وصحب ايضاً الحجاج [1] بن يوسف الثقفي ، المتولي من جهة عبد الملك ابن مروان ، وخدمه بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ، ويثق بمداواته ، وكان له منه الجامكية [2] الوافرة والافتقاد الكثير .

ومن كلام تياذوق للحجاج : قال :

لا تنكح الا شابة؛ ولا تأكل من اللحم الا فتياً ؛ ولا تشرب الدواء الا من علة؛ ولا تأكل الفاكهة إلا في اوان نضجها . وأجد مضغ الطعام ، واذا اكلت نهاراً فلا بأس ان تنام ، وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة . فقال له بعض من حضر : اذا كان الأمر كما تقول فلم هلك بقراط؟ ولم هلك جالينوس وغيرهما ولم يبق احد منهم ؟ قال : يا بني قد احتججت فاسمع ! ان القوم دبّروا أنفسهم بما يملكون وغلبهم ما لا يملكون – يعني الموت – ومـا يرد من خارج كالحر والبرد والوقوع والغرق والجراح والغم وما أشبه ذلك .

وأوصى تياذوق أيضاً الحجاج فقال: لا تأكلن حتى تجوع . ولا تتكارهنّ على الجماع . ولا تحبس البول . وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك .

وقال أيضاً للحجاج : اربعة تهدم العمر وربما قتلن : دخول الحـــام على البطنة ؛ والمجامعة على الأمتلاء ؛ وأكل القديد الجاف ؛ وشرب الماء البارد على الريق . وما مجامعة العجوز ببعيدة منهن .

ووجد الحجاج في رأسه صداعـاً فبعث الى تياذوق وأحضره فقال : اغسل رجليك بمـاء حار ، وادهنهما . وخصي للحجاج قائم على رأسه ، فقال : والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة بالطب منك ! شكى الامير الصداع في رأسه فتصف له دواء في رجليه ! فقال له : أما أن علامة مـا قلت فيك بينة . قال الخصي: وما هي ؟ قال نُزعت خصيتاك فذهب شعر لحيتك. فضحك الحجاج ومن حضر.

وشكى الحجاج ضعفاً في معدته وقصوراً في الهضم الى تياذوق فقال : يكون الأمير يحضر بـين يديه الفستق الاحمر القشر البراني ويكسره ويأكل من لبه ، فان ذلك يقوي المعدة . فلمـــا امسى الحجاج بعث الى حظاياه وقال : ان تياذوق وصف لي الفستق . فبعثت اليه كل واحدة منهن صينية فيها قلوب فستق ، فأكل من ذلـــك حتى امتلأ . وأصابته بعقبه هيضة [3] كادت تأتي على نفسه . فشكى حاله الى تياذوق ، وقال : وصفت لي شيئاً أضر بي ، وذكر له ما تناول ، فقال له : انمـا

---

(١) ولد بالطائف ٦٦١ وولاه عبد الملك بن مروان على الحجاز فرمى مكة بالمنجنيق وقتل مصعب بن الزبير ثم تولى العراق فاخمد الفتن ببطشه وقوته وله خطب مشهورة . توفي سنة ٧١٤ م

(٢) المال السلطاني .

(٣) انطلاق البطن .

قلت لك ان تحضر عندك الفستق بقشره البراني ، فتكسر الواحدة بعد الواحدة ، وتلوك قشرها البراني وفيه العطرية والقبض ، فيكون بذلك تقوية المعدة . وأنت فقد عملت غير ما قلت لك . وداواه بما عرض له .

قيل ومن اخباره مع الحجاج : انه دخل عليه يوماً ، فقال له الحجاج : أي شيء دواء أكل الطين ؟ فقال عزيمة مثلك أيها الامير . فرمى الحجاج بالطين من يده ولم يعد اليه أبداً .

وقيل ان بعض الملوك لما رأى تياذوق وقد شاخ وكبر سنه ، وخشي أن يموت ولا يعتاض عنه ، لانه كان أعلم الناس وأحذق الامة في وقته بالطب . فقال له : « صف لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي ، وأعمل به أيام حياتي ، فلست آمن ان يحدث عليك حدث الموت ، ولا أجد مثلك ؛ فقال تياذوق : « أيها الملك بالخيرات ، اقول لك عشرة أبواب ان علمت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك ، وهذه عشر كلمات :

١ – لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام ؛ ٢ – ولا تأكل ما تضعف أسنانك عن مضغه ، فتضعف معدتك عن هضمه ؛ ٣ – ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين ؛ فان أصل الداء التخمة ، وأصل التخمة الماء على الطعام ؛ ٤ – وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة ، فأنه يخرج من جسدك ما لا يصل اليه الدواء ؛ ٥ – وأكثر الدم في بدنك تحرص به نفسك ؛ ٦ – وعليك في كل فصل قيئة ومسهلة ؛ ٧ – ولا تحبس البول وان كنت راكباً ؛ ٨ – واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك ؛ ٩ – ولا تكثر الجماع فانه يقتبس من نار الحياة فليكثر او يقل ؛ ١٠ – ولا تجامع العجوز فانه يورث الموت الفجأة .

فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه الالفاظ بالذهب الاحمر ، ويضعه في صندوق من ذهب مرصع . وبقي ينظر اليه في كل يوم ويعمل به ، فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه .

وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب قال : قال الحجاج لابنه محمد : يا بني ان تياذوق الطبيب كان قد أوصاني في تدبير الصحة بوصية كنت استعملها ، فلم أر الا خيراً . ولما حضرته الوفاة دخلت عليه أعوده فقال الزم ما كنت وصيتك به وما نسيت منها فلا تنس : « لا تشربن دواء حتى تحتاج اليه ، ولا تأكلن طعاماً وفي جوفك طعام ، واذا أكلت فامش أربعين خطوة . واذا امتلأت من الطعام فنم على جنبك الايسر . ولا تأكلن الفاكهة وهي مولية . ولا تأكلن من اللحم الا فتياً . ولا تنكحن عجوزاً . وعليك بالسواك . ولا تتبعن اللحم اللحم . فان ادخال اللحم على اللحم يقتل الأسود في الفلوات » .

وقال ايضاً ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتاب أخبار الحجاج : ان الحجاج لما قتل سعيد بن جبير رحمه الله ، وكان من خيار التابعين ، وجرى بينهما كلام كثير ، وأمر به فذبح بين يديه ، وخرج منه دم كثير استكثره وهاله . فقال الحجاج لتياذوق طبيبه : ما هذا ؟ قال : « لاجتماع نفسه ، وانه لم

يجزع من الموت ، ولا هاب ما فعلته به . وغيره تقتله وهو مفترق النفس ، فيقل دمه لذلك . »

ومات تياذوق بعد ما أسن وكبر ، وكانت وفاته بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة .

ولتياذوق من الكتب : كناش كبير ألفه لابنه . كتاب ايدال[1] الادوية وكيفية دقها وايقاعها واذابتها وشيء من تفسير أسماء الادوية .

زينب طبيبة بني أود

كانت عارفة بالاعمال الطبية ، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات ، مشهورة بين العرب بذلك .

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني الكبير : اخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال ، حدثني حماد بن اسحق عن ابيه عن كناسة عن ابيه عن جده قال : أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان قد أصابني فكحلتني ، ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

أمخترمي[2] ريب المنون ولم أزر   طبيب بني أود على النأي زينبا

(الطويل)

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت لا ! قالت : فيّ والله قيل ، وأنا زينب التي عناها ، وأنا طبيبة بني أود . افتدري من الشاعر ؟ قلت لا ! قالت : عمك أبو سماك الاسدي .

---

(١) هذه اما من أدل – أدلا ، أو من ودل – ودلا اللبن : مخضه وهي بهذا المعنى اي مخض الادوية وهو مزجها بالماء وتحريكها (ن . ر)

(٢) اخترمته المنية : أخذته .

الباب الثامن

طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العبّاس

ولنبتدىء أولاً بذكر جورجس وابنه بختيشوع ، والمتميزين من اولاده علي تواليهم . ثم اذكر بعد ذلك ما يليق ذكره من الاطباء الذين كانوا في ذلك الوقت .

جورجيوس بن جبرائيل

كانت له خبرة بصناعة الطب ، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج ، وخدم بصناعة الطب المنصور[1] ، وكان حظياً عنده رفيع المنزلة ، ونال من جهته اموالاً جزيلة . وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى العربي .

قال فثيون الترجمان : « ان اول ما استدعى ابو جعفر المنصور لجورجس ، هو ان المنصور في سنة مائة وثمان وأربعين سنة للهجرة مرض وفسدت معدته ، وانقطعت شهوته . وكلما عالجه الاطباء ازداد مرضه ، فتقدم الى الربيع [2] بان يجمع الاطباء لمشاورتهم . فجمعهم فقال لهم المنصور : « من تعرفون من الاطباء في سائر المدن طبيباً ماهراً ؟ فقالوا : ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رئيس أطباء جندي [3] سابور ، فانه ماهر في الطب ، وله مصنفات جليلة » .

فانفذ المنصور في الوقت من يحضره . فلما وصل الرسول الى عامل البلد ، احضر جورجس وخاطبه بالخروج معه : فقال له : « علي ههنا أسباب ولا بد ان تصبر علي أياماً حتى أخرج معك » ، فقال له : « ان انت خرجت معي في غد طوعاً ، والا اخرجتك كرهاً » ، وامتنع عليه جورجس فأمر

---

(١) الخليفة العباسي الثاني وقد حاول العلويون في ايامه اخذ الخلافة فقتل زعيمهم ابراهيم في باخمردة قرب الكوفة ، واستقل بالخلافة في الاندلس عبد الرحمن الداخل وهو الذي اسس مدينة بغداد وجعلها عاصمة الخلافة وتوفي سنة ٧٧٥ .

(٢) وزير المنصور وكاتم سره .

(٣) مدينة في خوزستان اسسها الملك سابور الأول الساساني ، واسكن فيها الشعوب اليونانية ، فتحها ابو موسى الاشعري على ايام الخليفة عمر . اشتهرت بمعهدها الطبي .

باعتقاله ، ولما اعتقل اجتمع رؤساء المدينة مع المطران فاشاروا على جورجس بالخروج ، فخرج بعد ان اوصى ابنه بختيشوع بأمر البيمارستان وأموره الـتي تتعلق به هناك . واخذ معه ابراهيم تلميذه وسرجس تلميذه ، فقال له ابنه بختيشوع : « لا تدع ههنا عيسى بن شهلا ، فانه يؤذي اهل البيمارستان » . فترك سرجس ، واخذ عيسى معه عوضاً عنه ، وخرج الى مدينة السلام . ولما ودعه بختيشوع ابنه قال له : لم لا تأخذني معك ؟ فقال : لا تعجل يا بني . فانك ستخدم الملوك وتبلغ من الاحوال اجلها » .

ولما وصل جورجس الى الحضرة أمر المنصور بايصاله اليه . ولما وصل دعا اليه بالفارسية والعربية ، فتعجب الخليفة من حسن منظره ومنطقه ، فاجلسه قدامه وسأله عن اشياء فاجابه عنها بسكون فقال له : « قد ظفرت منك بما كنت أحبه واشتاقه » ، وحدثه بعلته وكيف كان ابتداؤها . فقال له جورجس :«انا أدبرك كما تحب » . فأمر الخليفة له في الوقت بخلعة جليلة ، وقال للربيع : « انزله في منزل جليل من دورنا ، وأكرمه كما تكرم أخص الاهل » . ولما كان من غد دخل اليه ، ونظر الى نبضه ، والى قارورة الماء ، ووافقه على تخفيف الغذاء ، ودبره تدبيراً لطيفاً حتى رجع الى مزاجه الاول . وفرح به الخليفة فرحاً شديداً ، وأمر ان يجاب الى كل ما يسأل .

ولما كان بعد أيام قال الخليفة للربيع : « أرى هذا الرجل قد تغير وجهه ، لا يكون قد منعته يشربه على عادته ؟ » . قال له الربيع : « لم نأذن له ان يدخل الى هذه الدار مشروباً » ، فاجابه بقبيح وقال له : لا بد ان تمضي بنفسك حتى تحضره من المشروب كل ما يريده » فمضى الربيع الى قطربل [1] ، وحمل منها الى غاية ما أمكنه من الشراب الجيد . ولما كان بعد سنتين قال الخليفة لجورجس : « ارسل من يحضر ابنك الينا فقد بلغني انه مثلك في الطب » . فقال له جورجس : « جندي سابور اليه محتاجة . وان فارقها انفسد أمر البيمارستان . وكان أهل المدينة اذا مرضوا ساروا اليه . وههنا معي تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم في الصناعة ، حتى انهم مثلي » . فأمر الخليفة باحضارهم في غد ذلك اليوم ليختبرهم . فلما كان من غد أخذ معه عيسى بن شهلا وأوصله اليه . فسأله الخليفة عن اشياء وجده فيها حاد المزاج حاذقاً بالصناعة . فقال الخليفة لجورجس : « ما احسن ما وصفت هذا التلميذ وعلمته » .

قال فثيون[2] : ولما كان في سنة احدى وخمسين ومائة دخل جورجس الى الخليفة في يوم الميلاد ، فقال له الخليفة : « أي شيء آكل اليوم ؟ فقال له : ما تريد . وخرج من بين يديه ، فلما بلغ الباب رده ، وقال له : « من يخدمك ههنا ؟ فقال له : تلامذتي . فقال له : سمعت انه ليست لك امرأة . فقال له : لي زوجة كبيرة ضعيفة ولا تقدر تنتقل اليّ من موضعها » . وخرج من حضرته ومضى الى

---

(١) موضع في العراق اشتهر بجودة خمرها .

(٢) هو فثيون بن ايوب ترجمان نقل الى اللغة العربية بعض الاسفار المقدسة وأرخ سير الاطباء السريانيين مع خلفاء بني العباس في القرن التاسع .

البيعة . فأمر الخليفة خادمه سالماً ان يختـــار من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً ، ويحملهن الى جورجس مع ثلاثة آلاف دينار ، ففعل ذلك . ولما انصرف جورجس الى منزله ، عرفه عيسى بن شهلا بما جرى ، وأراه الجواري ، فأنكر امورهن وقـــال لعيسى تلميذه : « يا تلميذ الشيطان ! لِمَ ادخلت هؤلاء منزلي ؟ امض ردهن الى صاحبهن ؛ ثم ركب جورجس وعيسى ومعه الجواري الى دار الخليفة ، وردهن على الخادم . فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال له : لِمَ رددت الجواري ؟ قال له : هؤلاء لا يكونون معي في بيت واحد لانا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة في الحياة لا نأخذ غيرها . فحسن موقعه من الخليفة ، وأمر في وقته ان يدخل جورجس الى حظاياه وحرمه ويخدمهن . وزاد موضعه في عينه وعظم محله .

قال فثيون : ولما كان في سنة مائة واثنتين وخمسين سنة ، مرض جورجس مرضاً صعباً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره . ولما اشتد مرض جورجس ، أمر به الخليفة فحمل على سرير الى دار العامة ، وخرج اليه الخليفة ماشياً وراءه وسأله عن خبره . فبكى جورجس بكاء شديداً وقال له : « ان رأى أمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، ان يأذن لي في المصير الى بلدي لانظر الى اهلي وولدي ، وان مت قبرت مع آبائي ». فقال الخليفة :« يا جورجس اتق الله وأسْلِم ، وأنا اضمن لك الجنة » . قال جورجس : « انا على دين آبائي أموت ، وحيث يكون آبائي احب ان اكون . إما في الجنة او في جهنم » . فضحك الخليفة من قوله وقال له : « وجدت راحة عظيمة في جسمي منـــذ رأيتك والى هذه الغاية . وقد تخلصت من الامراض التي كانت تلحقني » . قـــال له جورجس : « اني اخلف بين يديك عيسى وهو تربيتي » . فأمر الخليفة ان يخرج جورجس الى بلده ، وان يدفع اليه عشرة آلاف دينار . وانفذ معه خادماً وقال : « ان مات في طريقه فاحمله الى منزله ليدفن هناك كما آثر . » فوصل الى بلده حياً .

وحصل عيسى بن شهلا في الخدمة ، وبسط يده على المطارنة والاساقفة ، يأخذ اموالهم لنفسه ، حتى انه كتب الى مطران نصيبين[1] كتاباً يلتمس منه فيه من آلات البيعة اشيـــاء جليلة المقدار ، ويتهدده متى أخرها عنه . وقال في كتابه الى المطران : « ألست تعلم ان أمر الملك بيدي ! ان شئت امرضته وان شئت عافيته » . فعندمـــا وقف المطران على الكتاب احتـــال في التوصل ، حتى وافى الربيع وشرح له صورته ، واقرأه الكتاب . فأوصله الربيع الى الخليفة حتى عرف شرح ما جرى . فأمر بنفي عيسى بن شهلا بعد أن أخذ منه جميع ما ملكه . ثم قال الخليفة للربيع : « سل عن جورجس ، فان كان حياً فانفذ من يحضره ، وان كان قد مات فاحضر ابنه » . فكتب الربيع الى العامل بجندي سابور في ذلك ، واتفق ان جورجس سقط في تلك الايام من السطح وضعف ضعفاً فلما خاطبه أمير البلد قال له : « انا انفذ الى الخليفة طبيباً ماهراً يخدمه الى ان أصلح وأتوجه اليه ». واحضر ابراهيم تلميذه ، وأنفذه إلى الامير مع كتاب شرح فيـه حال جورجس الى الربيع . فلما وصل

---

(١) مدينة في ما بين النهرين على نهر جفجع اشتهرت قديماً بمدرستها .

الى الربيع أوصله الى الخليفة ، وخاطبه الخليفة في اشياء فوجده فيها حاد المزاج جيد الجواب ، فقربه وأكرمه وخلع عليه ، ووهب له مالاً واستخلصه لخدمته ولم يزل في الخدمة الى أن مات المنصور .

ولجورجس من الكتب كناشه المشهور ، ونقله حنين بن اسحق من السرياني الى العربي .

بختيشوع بن جورجس

ومعنى بختيشوع عبد المسيح ، لان في اللغة السريانية البخت العبد ، ويشوع عيسى عليه السلام . وكان بختيشوع يلحق بابيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لاعمالها ، وخدم هرون [1] الرشيد وتميز في ايامه .

قال فثيون الترجمان : لما مرض موسى [2] الهادي أرسل الى جندي سابور من يحضر له بختيشوع، فمات قبل قدوم بختيشوع ، وكان من خبره انه جمع الاطباء ، وهم ابو قريش [3] عيسى ، وعبد الله الطيفوري [4] ، وداؤد بن سرابيون وقال لهم : انتم تأخذون أموالي وجوائزي ، وفي وقت الشدة تتقاعدون بي . فقال له أبو قريش : علينا الاجتهاد والله يهب السلامة . فاغتاظ من هذا فقال له الربيع : قد وُصف لنا ان بنهر صرصر [5] طبيباً ماهراً يقال له عبد يشوع بن نصر، فأمر باحضاره وبأن تضرب أعناق الاطباء . فلم يفعل الربيع هذا لعلمه باختلال عقله من شدة المرض ، ولانه كان آمناً منه . ووجه الى صرصر حتى أحضر الرجل ، ولما دخل على موسى قال له : رأيت القارورة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، وها أنا أصنع لك دواء تأخذه ،واذا كان على تسع ساعات تبرأ وتتخلص وخرج من عنده ، وقال للاطباء . لا تشغلوا قلوبكم فانكم في هذا اليوم تنصرفون الى بيوتكم . وكان الهادي قد أمر بأن يدفع اليه عشرة آلاف درهم ليبتاع له بها الدواء ، فأخذها ووجه بها الى بيته ، وأحضر ادوية وجمع الاطباء بالقرب من موضع الخليفة وقال لهم : دقوا حتى يسمع وتسكن نفسه ، فانكم في آخر النهار تتخلصون » . وكان كل ساعة يدعو به ويسأله عن الدواء فيقول له : « هوذا تسمع صوت الدق » فيسكت . ولما كان بعد تسع ساعات مات وتخلص الاطباء ؛ وهذا في سنة سبعين ومائة .

قال فثيون : ولما كان في سنة احدى وسبعين ومائة ، مرض هرون الرشيد من صداع لحقه ، فقال

---

(١) ولد في الري (٧٦٦) وتوفي في طوس (٨٠٩) وهو اعظم الخلفاء العباسيين استوزر البرامكة ثم قتلهم وغلب نقفورس ملك الروم وحالف شارلمان ملك فرنسا .

(٢) الخليفة العباسي الرابع ولي ابنه جعفر على الرشيد في وراثة العهد فقتل بعد سنة من ملكه « ٧٨٦ » بسماية الخيزران ام الرشيد . غزا العباسيون آسيا الصغرى على ايامه .

«٣» صيدلاني عرف ما تحمل الخيزران فحظي عندها وخلعت عليه الاموال والهدايا وقد مر ذكره

«٤» مر ذكره والكلام عنه .

«٥» قريتان ببغداد عليا وسفلى . « ن . ر. »

ليحيى بن خالد [1] : « هؤلاء الاطباء ليس يحسنون شيئاً » فقال له يحيى : « يا أمير المؤمنين ، أبو قريش طبيب والدك ووالدتك . » فقال : « ليس هو بصيراً بالطب ، وانمـــا كرامتي له لقديم حرمته . فينبغي ان تطلب لي طبيباً ماهراً » . فقـــال له يحيى بن خالد : « انه لما مرض أخوك موسى ، أرسل والدك الى جندي سابور حتى أحضر رجلاً يعرف ببختيشوع » . قال له : فكيف تركه يمضي ؟ فقال : « لما رأى عيسى أبا قريش ، ووالدتك يحسدانه اذن له في الانصراف الى بلده» فقال له : « ارسل بالبريد حتى يحملوه ان كان حياً » .

ولما كان بعد مدة مديدة وافى بختيشوع الكبير ابن جورجس ، ووصل الى هرون الرشيد ودعاله بالعربية وبالفارسية . فضحك الخليفة ، وقال ليحيى بن خالد : « انت منطقي فتكلم معه حتى اسمع كلامه » . فقال له يحيى : بل ندعو بالاطباء » ، فدعى بهم ، وهم أبو قريش عيسى ، وعبـــد الله الطيفوري ، وداود بن سرابيون ، وسرجس . فلما رأوا بختيشوع قال أبو قريش : « يا أمير المؤمنين ليس في الجماعة من يقدر على الكلام مع هذا ، لانه كون الكلام هو وابوه ، وجنسه فلاسفة » فقال الرشيد لبعض الخدم : احضره ماء دابةٍ حتى نجربه » فمضى الخادم واحضره قارورة الماء . فلمـــا رآه قال : « يا امير المؤمنين ليس هذا بول انسان » . قال له ابو قريش : كذبت هـــذا ماء حظية الخليفة » . فقال له بختيشوع : « لك اقول ايها الشيخ الكريم لم يبل هذا انسان البتة . وان كان الأمر على ما قلت فلعلهـــا صارت بهيمة » . فقال له الخليفة : من اين علمت انه ليس ببول إنسان ؟ قال له بختيشوع : لانه ليس له قوام بول الناس ، ولا لونه ولا ريحه . قال له الخليفة : بين يدي من قرأت ؟ قال له : « قدام ابي جورجس قرأت . قال له الاطباء : ابوه كان اسمه جورجس ، ولم يكن مثله في زمانه ، وكان يكرمه ابو جعفر المنصور اكرامـــاً شديداً ، ثم التفت الخليفة الى بختيشوع فقال له : « ما ترى ان نطعم صاحب هذا الماء ؟ فقال : شعيراً جيداً . فضحك الرشيد ضحكاً شديداً ، وامر فخلع عليه خلعة حسنة جليـــلة ، ووهب له مالاً وافراً . وقال : بختيشوع يكون رئيس الاطباء كلهم ، وله يسمعون ويطيعون .

ولبختيشوع بن جورجس من الكتب : كناش مختصر . كتاب التذكرة الفه لابنه جبرائيل .

جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس

كان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة . عالي الهمة ، سعيد الجد ، حظياً عند الخلفـــاء ، رفيع المنزلة عندهم ، كثيري الاحسان اليه . وحصل من جهتهم من الاموال ، مـــا لم يحصله غيره من الاطباء .

«١» حكم بلاد اذربيجان . ثم اصبح مؤدب الرشيد ومستشاره نكب بقتل ابنه جعفر في نكبة البرامكة وصودرت امواله ومات سجيناً سنة ٨٠٥ .

قال فثيون الترجمان : لما كان في سنة خمس وسبعين ومائة ، مرض جعفر [1] بن يحيى بن خالد بن برمك ، فتقدم الرشيد الى بختيشوع ان يتولى خدمته ومعالجته. ولما كان في بعض الايام قال له جعفر: « اريد أن تختار لي طبيباً ماهراً أكرمه واحسن اليه » . قال له بختيشوع : « ابني جبرائيل أمهر مني ، وليس في الاطباء من يشاكله » . فقال له : احضرنيه . ولما احضره عالجه في مدة ثلاثة أيام وبرأ ، فأحبه جعفر مثل نفسه . وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب . وفي تلك الايام تمطت [2] حظية الرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها . والاطباء يعالجونها بالتمريخ والادهان ، ولا ينفع ذلك شيئاً .

فقال الرشيد لجعفر بن يحيى : « قد بقيت هذه الصبية بعلتها . قال له جعفر : لي طبيب ماهر ، وهو ابن بختيشوع ، ندعوه ونخاطبه في معنى هذا المرض ، فلعل عنده حيلة في علاجه . فامر باحضاره ، ولما حضر قال له الرشيد : « ما اسمك ؟ قال : « جبرائيل » . قال له : أي شيء تعرف من الطب ؟ فقال : أبرد الحار ، واسخن البارد ، وارطب اليابس، وأيبس الرطب الخارج عن الطبع. فضحك الخليفة وقال : « هذا ، غاية ما يحتاج اليه في صناعة الطب . ثم شرح له حال الصبية ، فقال له جبرائيل : « ان لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة » . فقال له : وما هي ؟ قال : تخرج الجارية الى ههنا بحضرة الجمع حتى اعمل ما اريده ، وتمهل علي ولا تعجل بالسخط [3] » . فامر الرشيد باحضار الجارية فخرجت . وحين رآها جبرائيل عدا اليها ونكس رأسه ومسك ذيلها كانه يريد أن يكشفها ، فانزعجت الجارية ، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها ، وبسطت يديها الى أسفل ، ومسكت ذيلها . فقال جبرائيل : « قد برئت يا أمير المؤمنين » . فقال الرشيد للجارية ابسطي يديك يمنة ويسرة ففعلت ذلك ، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه. وأمر الرشيد في الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم ، وأحبه مثل نفسه ، وجعله رئيساً على جميع الاطباء . ولما سئل جبرائيل عن سبب العلة ، قال هذه الجارية انصب الى اعضائها وقت المجامعة خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ، ولاجل أنّ سكون حركةِ الجُماع تكوّن بغتة ًجمُدت الفضلةُ في بطون جميع الاعصاب ، وما كان يحلها الا حركة مثلها . فاحتلت حتى انبسطت حرارتها وانحلت الفضلة .

قال فثيون : وكان محل جبرائيل يقوى في كل وقت ، حتى ان الرشيد قال لاصحابه : « كل من كانت له الي حاجة فليخاطب بها جبرائيل ، لاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني » . فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم ، وحاله تتزايد . ومنذ يوم خدم الرشيد والى ان انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد فحظي عنده . وفي آخر ايام الرشيد، عند حصوله بطوس ، مرض المرضة التي توفي فيها. ولما قوي عليه المرض قال لجبرائيل : لم لا تبرئني ؟ فقال له : قد كنت أنهاك دائماً عن التخليط ،

---

(١) وزير هارون الرشيد ونديمه ومؤدب المأمون تزوج العباسة اخت هارون وقتل سنة ٨٠٣ .
(٢) تمددت .
(٣) ضد الرضى ولا يكون الا من الكبراء والعظماء .

وأقول لك قديماً ان تخفف من الجماع فلا تسمع مني . والآن ، سألتك ان ترجع الى بلدك ، فأنه أوفق لمزاجك فلم تقبل ! وهذا مرض شديد ، وأرجو أن يمن الله بعافيتك » . فأمر بحبسه .

وقيل له ان بفارس اسقفاً يفهم الطب ، فوجه من يحضره اليه ، ولما حضره ورآه قال له . الذي عالجك لم يكن يفهم الطب . » فزاد ذلك ابعاد جبرائيل .

وكان الفضل (١) بن الربيع يحب جبرائيل ، ورأى ان الاسقف كذاب يريد اقامة السوق ، فأحسن فيا بينه وبين جبرائيل . وكان الاسقف يعالج الرشيد ومرضه يزيد ، وهو يقول له أنت قريب من الصحة . ثم قال له ، « هذا المرض كله من خطأ جبرائيل » . فتقدم الرشيد بقتله ، فلم يقبل منه الفضل بن الربيع ، لانه كان يئس من حياته ، فاستبقى جبرائيل . ولما كان بعد أيام يسيرة مات الرشيد ، ولحق الفضل بن الربيع في تلك الايام قولنج صعب أيس الاطباء منه ، فعالجه جبرائيل بألطف علاج وأحسنه ، فبرأ الفضل وازدادت محبته له وعجبه به .

قال فثيون : ولما تولى محمد الامين (٢) ، وافى اليه جبرائيل ، فقبله أحسن قبول وأكرمه . ووهب له أموالا جليلة أكثر مما كان ابوه يهب له . وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب الا بأذنه ، فلما كان من الامين ما كان ، وملك الأمر المأمون (٣)، كتب الى الحسن (٤) بن سهل، وهو يخلفه بالحضرة، بأن يقبض على جبرائيل ويحبسه ، لانه ترك قصره بعد موت أبيه الرشيد ومضى الى اخيه الأمين. ففعل الحسن بن سهل هذا . ولما كان في سنة اثنتين ومائتين مرض الحسن بن سهل مرضاً شديداً ، وعالجه الأطباء فلم ينتفع بذلك ، فاخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرأ في أيام يسيرة فوهب له سراً مالا وافراً . وكتب الى المأمون يعرفه خبر علته ، وكيف برأ على يد جبرائيل ، ويسأله في أمره. فأجابه بالصفح عنه .

قال فثيون : ولما دخل المأمون الحضرة في سنة خمس ومائتين أمر بان يجلس جبرائيل في منزله ولا يُخدم ، ووجّه مَن أحضر ميخائيل المتطبب ، وهو صهر جبرائيل ، وجعله مكانه وأكرمه اكراماً وافراً كياداً لجبرائيل .

قال : ولما كان في سنة عشر ومائتين مرض المأمون مرضاً صعباً ، وكان وجوه الاطباء يعالجونه ولا يصلح ، فقال لميخائيل : « الأدوية التي تعطيني تزيدني شراً ، فاجمع الاطباء وشاورهم في امري . » فقال له اخوه أبو عيسى : يا أمير المؤمنين نحضر جبرائيل فانه يعرف مزاجاتنا منذ الصبا ، فتغافل

---

(١) وزير محمد الامين حسد البرامكه ودس الدسائس عليهم ، ورمى البغضاء بين الامين والمأمون .
(٢) ابن هارون وزبيدة تولى الخلافة بعد ابيه . وقام النزاع بينه وبين اخيه المأمون وقتل سنة ٨١٣
(٣) ابن هارون من امة فارسية اسمها مراجل . ازدهرت في عصره العلوم والفنون ونقلت مؤلفات اليونان الى العربية وعصره يعد عصر الدولة الذهبي .
(٤) من ولاة المأمون تولى ادارة بيت المال . حكم جزيرة العرب وبلاد العراق وقمع الفتن. زوج ابنته من المأمون واحسن الى العلماء والشعراء ، (ن.ر.)

عن كلامه . وأحضر ابو اسحق أخوه ، يوحنا [١] بن ماسويه ، فثلبه [٢] ميخائيل طبيبه ووقع فيه وطعن عليه . فلما ضعفت قوة المأمون عن أخذ الأدوية أذكروه بجبرائيل فأمر باحضاره . ولما حضر غيّر تدبيره كله ، فاستقل بعد يوم ، وبعد ثلاثة ايام صلح . فسر به المأمون سروراً عظيما . ولما كان بعد أيام يسيرة صلح صلاحاً تاماً ، واذن له جبرائيل في الأكل والشرب ففعل ذلك .

وقال له ابو عيسى أخوه وهو جالس معه على الشرب: « مثل هذا الرجل ، الذي لم يكن مثله ولا يكون ، سبيله أن يكرم . فامر له المأمون بألف ألف درهم ، وبألف كر [٣] حنطة ، ورد عليه سائر ما قبض منه من الاملاك والضياع ؛ وصار اذا خاطبه كناه بابي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه . وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملا لا يخرج الى عمله الا بعد أن يلقى جبرائيل ويكرمه . وكان عند المأمون مثل أبيه ، ونقص محل ميخائيل الطبيب صهر جبرائيل وانحط .

قال يوسف بن ابراهيم : دخلت على جبرائيل داره التي بالميدان في يوم من تموز ، وبين يديه المائدة وعليها فراخ طيور مسرولة كبار ، وقد عملت كردناجاً بفلفل ، وهو يأكل منها ، وطالبني بان آكل معه . فقلت له ، كيف آكل منها في مثل هذا الوقت من السنة وسني سن الشباب ؟ فقال لي : « ما الحمية عندك ؟ فقلت : « تجنب الأغذية الرديئة » . فقال لي : « غلطت ليس ما ذكرت حمية . ثم قال : « لا اعرف أحداً ، عظم قدره ولا صغر ، يصل الى الامساك عن غذاء من الأغذية كل دهره إلا أن يكون يبغضه ، ولا تتوق نفسه اليه . لان الانسان قد يمسك عن أكل الشيء برهة من دهره ، ثم يضطره الى أكله عدم أدم سواه لعلة من العلل او مساعدة لعليل يكون عنده ، أو صديق يحلف عليه ، أو شهوة تتجدد له . فمتى أكله ، وقد أمسك عن أكله منه المدة الطويلة ، لم تقبله طبيعته ونفرت منه ، وأحدث ذلك في بدن آكله مرضاً كثيراً ، وربما أتى على نفسه . والاصلح للأبدان تمرينها على أكل الأغذية الرديئة ، حتى تألفها . وان يأكل منها في كل يوم شيئاً واحداً ، ولا يجمع أكل شيئين رديئين في يوم واحد ، واذا اكل من بعض هذه الأشياء في يوم ، لم يعاود أكله في غد ذلك اليوم . فإن الابدان اذا مرنت على أكل هذه الاشياء ، ثم اضطر الانسان الى الاكثار من أكل بعضها ، لم تنفر الطبيعة منه . فقد رأينا الأدوية المسهلة اذا ادمنها مدمن وألفها بدنه قل فعلها ولم تسهل . وهؤلاء أهل الأندلس [٤] اذا اراد أحدهم اسهال طبيعته اخذ من السقمونيا [٥] وزن ثلاثة دراهم ، حتى تلين طبيعته مقدار ما يلينها نصف درهم في بلدنا واذا كانت

---

(١) احد الاطباء السريان الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس وكان طبيباً ذكياً وله مصنفات مشهورة .
(٢) عابه ولامه .
(٣) مكيال وهو ستون قفيزاً ويبلغ ١٦٧٠ كيلا و ١١٩٠٤٧٣ غ . (ن . ر) .
(٤) اسم اطلقه العرب على شبه جزيرة ايبيريا بعد ان احتلوها وتجاوزوها الى فرنسا واسسوا فيها دولة . والأندلس اليوم اسم ولاية في اسبانيا الجنوبية .
(٥) نبات يستخرج من تجاويفه رطوبة دبقة وتجفف وتدعى باسمة وهو صمغ راتنجي مسهل .

الابدان تألف الأدوية حتى تمنعها من فعلها ، فهي للأغذية ، وان كانت رديئة ، أشد إلفاً » .

قال يوسف: فحدثت بهذا الحديث بختيشوع بن جبرائيل فسألني املاءه عليه ، وكتبه عني بخطه».

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني سليمان الخادم الخراساني مولى الرشيد ، انه كان واقفاً على رأس الرشيد بالحيرة [١] يوماً وهو يتغدى ، اذ دخل عليه عون العبادي الجوهري ، وهو حامل صحفة فيها سمكة منعوتة بالسمن ، فوضعها بين يديه ومعها محشي قد اتخذه لها . فحاول الرشيد أكل شيء منها فمنعه من ذلك جبرائيل ، وغمز صاحب المائدة بعزلها له . وفطن الرشيد ، فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده ، خرج جبرائيل عن حضرته .

قال سليمان : فامرني الرشيد باتباعه ، واخفاء شخصي عنه ؛ وان اتفقد مــا يعمله وارجع اليه بخبره ، ففعلت ما امرني به ، واحسب ان امري لم يستتر عن جبرائيل لما تبينت من تحرزه . فصار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأحضر له وفيه السمكة ودعا بثلاثة أقداح من فضة فجعل في واحد قطعة منها ، وصب عليـه خمراً من خمر طيرناباذ بغير ماء ، وقال : « هذا أكل جبرائيل » . وجعل في قدح آخر قطعة وصب عليها ماء بثلج ، وقال : هذا أكل أمير المؤمنين ان لم يخلط السمك بغيره . » وجعل في القدح الثالث قطعة من السمك ومعها قطعاً من اللحم من ألوان مختلفة ، ومن شواء وحلواء وبوارد وفراريج وبقول ، وصب عليه ماء بثلج وقال : « هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره . » ورفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة ، وقال : « احتفظ بها الى ان ينتبه أمير المؤمنين من قائلته [٢] .

قال سليمان الخادم : ثم اقبل جبرائيل على السمكة فأكل منها حتى تضلع . وكان كلما عطش دعا بقدح مع الخمر الصرف فشربه ثم نام . فلما انتبه الرشيد من نومه دعاني فسألني عمـا عندي من خبر جبرائيل ، وهل أكل من السمكة شيئاً أم لم يأكل ؟ فأخبرته بالخبر ، فأمر باحضار الثلاثـة الاقداح فوجد الذي صب عليه الخمر الصرف قد تفتت ولم يبق منه شيء . ووجد الذي صب عليه الماء بالثلج قد ربا وصار على اكثر من الضعف مما كان ، ووجد القدح الذي السمك واللحم فيه قد تغيرت رائحته وحدثت له [٣] سهوكة شديدة . فأمرني الرشيد بحمل خمسة آلاف دينار الى جبرائيل ، وقال : « من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني هذا التدبير ؟ . فأوصلت اليه المال .

وقال اسحق [٤] بن علي الرهاوي ، في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة [٥] : ان يوحنا

---

(١) قصبة الملوك اللخميين في العراق كانت على بعد خمسة اكيال « كيلو متر » جنوبي الكوفة والى الجنوب الشرقي من النجف. وقد باد اثرها مع الزمان « ن. ر».
(٢) النوم في الظهيرة .
(٣) ريح كريهة .
(٤) احد الاطباء العراقيين وكان من الاطباء المتميزين عالماً بكلام جالينوس .
(٥) من الاطباء السريان وله طريقة حسنة في علاج المرضى (ن.ر) .

بن ماسويه أخبره ان الرشيد قال لجبرائيل بن بختيشوع وهو حاج بمكة : « يا جبرائيل علمت مرتبتك عندي » . قال يا سيدي وكيف لا اعلم ؟ قال له : دعوت لك والله ، في الموقف دعاء كثيراً ، ثم التفت الى بني هاشم فقال : « عسى أنكرتم قولي له ؟ فقالوا : يا سيدنا ذمي فقال : نعم ، ولكن صلاح بدني وقوامه به ، وصلاح المسلمين بي . فصلاحهم بصلاحه وبقائه » . فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين .

ونقلت من بعض التواريخ ، قـــال جبرائيل بن بختيشوع المتطبب : اشتريت ضيعة بسبعمائة ألف درهم ، فنقدت بعض الثمن وتعـــذر علي بعضه فدخلت على يحيى بن خالد وعنده ولده ، وانا أفكر . فقال : مالي أراك مفكراً ؟ فقلت : اشتريت ضيعة بسبعمائة الف ، فنقدت بعض الثمن ، وتعذر علي بعضه.. قال : فدعا بالدواة وكتب : يعطى جبرائيل سبعمائة الف درهم . ثم دفع الى كل واحد من ولده ، فوقع فيه ثلثمائة الف . قال : « فقلت ؛ جعلت فداك ، قـــد أديت عامة الثمن ، وانما بقي أقله » . قال : « اصرف ذلك فيما ينوبك » ، ثم صرت الى د ـ أمير المؤمنين . فلما رآني قال : « ما أبطأ بك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، كنت عند أبيك واخوتك ففعلوا بي كذا وكذا ، وانما ذلك لخدمتي لك » . قال: فما حالي انا ؟ ثم دعا بدابته فركب الى يحيى ، فقـــال : « يا أبت أخبرني جبرائيل بما كان ، فما حالي انا من بين ولدك ؟ فقال : ياامير المؤمنين مر بما شئت يحمل اليه . فأمر لي بخمسمائة الف .

قال يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بابن الداية : كان لأم جعفر بنت أبي الفضل في قصر عيسى بن علي ، الذي كانت تسكنه ، مجلس لا يجلس فيه الا الحسّاب والمتطببون ، وكانت لا تشتكي علة الى متطبب حتى يحضر جميع أهل الصناعتين ، ويكون مقامهم في ذلك المجلس الى وقت جلوسها، فكانت تجلس لهم في احد موضعين ؛ اما عند الشباك الذي على الدكان الكبير المحاذي للشباك وللباب الاول من ابواب الدار ؛ او عند الباب الصغير المحاذي لمسجد الدار . فكان الحُسّاب والمتطببون يجلسون من خارج الموضع الذي تجلس فيه . ثم تشتكي ما تجد فيتناظر المتطببون فيما بينهم حـــتى يجتمعوا على العلة والعلاج ، فان كان بينهم اختلاف دخل الحسّاب بينهم ، وقـــالوا بتصديق المصيب عندهم . ثم تسأل الحساب عن اختيار وقت لذلك العلاج . فان اجتمعوا على وقت ، والا نظر المتطببون فيما بين الحساب ، وحكموا لالزمهم القياس ، فاعتلت عند اجتماعها على الحج ، آخر حجـة حجتها ، علة اجمع متطببوها على اخراج الدم من ساقيها بالحجامة ، واختار الحساب لها يوماً تحتجم فيه ، وكان ذلك في شهر رمضان فلم يمكن ان تكون الحجامة الا في آخر النهار . فكان ممن يختلف اليها من الحساب ، الحسن بن محمد الطوسي التميمي المعروف بالابـــح ، وعمر بن الفرخان الطبري ، وشعيب اليهودي .

قال يوسف بن ابراهيم : وكنت متى عرضت للابح علة او عاقه عن حضور دار ام جعفر عائق حضرت عنه . فحضرت ذلك المجلس في الوقت الذي وقع الاختيار على حجامة ام جعفر فيـــه .

فوافيت ابناً لداؤد بن سرافيون حدثا ، يشبه ان يكون ابن أقل من عشرين سنة ، قد أمرت أم جعفر باحضاره مع المتطببين ليتأدب بحضور ذلك المجلس ، وقد تقدمت الى جميع من يطيف بها من المتطببين في تعليمه وتوقيفه عناية به لمكان أبيه من خدمتها ، فوافيته وهو يلاحي متطبباً راهباً احضر دارها في ذلك اليوم ، من اهل الاهواز [1] ، في شرب الماء للمنتبه من نومه ليلاً . فقال ابن داؤد : « ما الله خلق بأحمق ممن يشرب ماء بعد انتباهه من نومه » . ووافى جبرائيل ، عندما قال الغلام هذا القول، باب البيت ، فلم يدخل المجلس الا وهو يقول : « احمق والله منه من تتضرم نار على كبده فلم يطفئها » . ثم دخل فقال : من صاحب الكلام الذي سمعته ؟ فقيل له ابن داؤد ، فعنفه على ذلك وقال له : « كانت لابيك مرتبة جليلة في هذه الصناعة ، وتتكلم بمثل ما سمعته منك ؟ فقال له الغلام : فكأنك ، أعزك الله ، تطلق شرب الماء بالليل عند الانتباه من النوم ؟ فقال جبرائيل : « المحرور الجاف المعدة ، ومن تعشى وأ كل طعاماً مالحاً فأطلقه له . وانا أمنع منه الرطبي المعد ، واصحاب البلغم المالح ، لأن في منعهم من ذلك شفاء من رطوبات معدهم ، وأ كل بعض البلغم المالح بعضاً . » فسكت عنه جميع من حضر ذلك المجلس غيري ، فقلت : « يا ابا عيسى ، قد بقيت واحدة . قال : وما هي ؟ قلت : « ان يكون العطشان يفهم من الطب مثل فهمك ، فيفهم عطشه من مرار أو من بلغم مالح . فضحك جبرائيل ثم قال لي : متى عطشت ليلاً فابرز رجلك من لحافك ، وتناوم قليلاً ، فان تزايد عطشك فهو من حرارة ، او من طعام يحتاج الى شرب الماء عليه ، فاشرب . وان نقص من عطشك شيء ، فأمسك عن شرب الماء فانه من بلغم مالح » .

قال يوسف بن ابراهيم : وسأل ابو اسحق ابراهيم بن المهدي جبرائيل عن علة الورشكين ، فقال : هو اسم ركبته الفرس من الكسر والصدر ، واسم الصدر بالفارسية الفصيحة : ور ، والعامة تسميه بر . واسم الكسر اشكين ، فاذا جمعت اللفظتين كانتا : ورشكين ، أي هذه العلة من العلل التي يجب ان يكسر عليها الصدر وهي علة لا تستحكم بانسان فيكاد ينهض منها . وان من نهض منها لم يؤمن عليه النكسة سنة إلا أن يخرج منه استفراغ دم كثير تقذفه الطبيعة من الانف او من أسفل ، في وقت العلة أو بعدها قبل السنة ، فمتى حدث ذلك سلم منه . فقال أبو اسحق كالمتعجب : سنة ! قال : « نعم » جعلني الله فداك . وعلة اخرى يستخف بها الناس وهي : الحصبة [2] . فاني ما أمنت على من اصابته من النكسة سنة ، إلا ان يصيبه بعقبها استطلاق بطن يكاد ان يأتي على نفسه ؛ او يخرج به خراج كثير ، فاذا اصابه أحد هذين أمنت عليه » .

قال يوسف : ودخل جبرائيل على أبي اسحق يوماً بعقب علة كان فيها ، وقد أذن له في أ كل اللحم الغليظ ، فحين جلس وضعت بين يديه كشكية [3] رطبة فأمر برفعها ؛ فسألته عن السبب .

---

(١) من اقاليم الدولة العباسية يسمى اليوم خوزستان ، وهو من ايران وفيه مدينة عبادان المنطقة الغنية بالبترول .

(٢) مرض معد يخرج في الجسم بثوراً ويسبب حمى . واكثره سليم العاقبة اذا ما تداركوه في اول أمره .

(٣) الطعام المصنوع من الكشك وهو عند عامتنا طعام يتخذ من البرغل مع اللبن بعد اختماره ويطبخ . (ن . ر)

فقال : « ما أطلقت الخليفة قط حم يومـــاً واحداً أ كل الكشك سنة كاملة . قال ابو اسحق : أي الكشكين أردت ، الذي بلبن أم الذي بغير لبن ؟ قال : الذي بغـــير لبن ، لا اطلق له اكله سنة ، وعلى قياس ما يوجبه الطب ، فليس ينبغي ان يطلق له أ كل الكشك المعمول بلبن الا بعد استكمال ثلاث سنين .

حدث ميمون بن هرون ، قال ، حدثني سعيد بن اسحق النصراني ، قال ، قال لي جبرائيل بن بختيشوع : « كنت مع الرشيد بالرقة [١] ومعه المأمون ومحمد الامين ولداه ، وكان رجلاً بادناً كثير الا كل والشرب ، فأ كل في بعض الأيام اشياء خلط فيها ، ودخل المستراح فغشي [٢] عليه ، وأخرج فقوي عليه الغشي حتى لم يشك في موته . وأرسل الي ، فحضرت وجسست عرقـــه فوجدته نبضاً خفياً ، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم فقلت لهم : يموت ، والصواب ان يحجم الساعة . » فأجاب المأمون اليه وأحضر الحجام ، وتقدمت باقعاده ، فلما وَضَع المحاجم عليه ومصها ، رأيت الموضع قد احمر ، فطابت نفسي وعلمت إنه حي . فقلت للحجام : اشرط . فشرط ، فخرج الدم ، فسجدت شكراً لله . وجعل كلما خرج الدم يحرك رأسه ؛ وَيسْفُر [٣] لونه ، الى ان تكلم . وقال أين انا ؟ فطيبنا نفسه وغدّيناه بصدر دَرّاج [٤] ، وسقيناه شراباً ، وما زلنا نشمه الروائح الطيبة ، ونجعل في انفه الطيب ، حتى تراجعت قوته ، وادخل الناس اليه ، ثم وهب الله عافيته ، فلما كان بعد أيام دعا صاحب حرسه فسأله عن غلته في السنة فعرفه انهـــا ثلثمائة الف درهم . وسأل حاجبه عن غلته فعرفه أنها الف الف درهم . فقال : « ما انصفناك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني من الناس على ما ذكروا ، وانت تحرسني من الامراض والاسقام ، وتكون غلتك ما ذكرته » ، وأمر باقطاعي غلة الف الف درهم . فقلت له : يا سيدي ، مالي حاجة الى الاقطاع ، ولكن تهب لي مـــا اشتري به ضياعاً غلتها الف الف درهم ، فجميع ضياعي املاك لا اقطاع » .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني ابو اسحق ابراهيم بن المهدي ان جبرائيل لجأ اليه حين انتهبت العوام داره في خلافة محمد الامين ، فأسكنته معه في داره ، وحماه ممن كان يحاول قتله . قال ابو اسحق : « فكنت أرى من هلع جبرائيل وكثرة أسفه على ما تلف من ماله ، وشدة اغتمامه ، ما لم اتوهم ان احداً بلغ به الوجد بماله مثل الذي بلغ بجبرائيل . قال ابو اسحق : فلمـــا ثارت المبيضة فظهرت العلوية [٥] بالبصرة والاهواز ، أتاني وهو مسرور ، كأنه قد وصل بمائة الف دينار ، فقلت له : أرى أبا عيسى مسروراً ! « فقال : اني والله لمسرور عين السرور » . فسألته عن سبب سروره ، فقال : انه حاز العلوية ضياعا ، وضربوا عليها المنار . فقلت له : « ما أعجب أمرك ، انتهبت لك

---

(١) قاعدة ديار مضر في الجزيرة على الفرات . وفيها آثار قديمة .
(٢) فقد حسه وحركته .
(٣) يظهر ويرفع عنه ما يغطيه
(٤) طائر شبيه بالحجل واكبر منه . ارقط بسواد وبياض ، قصير المنقار .
(٥) الدعوة الى ابناء علي باحقيتهم في الخلافة . (ن . ر)

العوام حزأ من مالك ، فخرجت نفسك من الجزع الى ما خرجت اليه ؛ وتحوز العلوية جميع ما تملك فيظهر منك من السرور مثل الذي ظهر ؟ فقال : جزعي بما ركبني به العوام ، لاني أوتيت في منامي وسلبت في عزي ، واسلمني من يجب عليه حمايتي . ولم يتعاظمني ما كان من العلوية ، لانه من أكبر المحال عيش مثلي في دولتين بنعمة واحدة ، ولو لم تفعل العلوية في ضياعي ما فعلوا ، وقد كان يجب عليهم مع علمهم بصحة طويتي [1] لموالي الذين أنعم الله علي بنعمتهم التي ملكونيها ، ان يتقدموا في حفظ وكلائي ؛ والوصاة بضياعي ومزارعي ؛ وان يقولوا لم يزل جبرائيل مائلا الينـــا في أيام دولة أصحابه ، ومتفضلا علينا من أمواله ، ويؤدي الينا اخبار سادته . فكا'ن الخبر متى تأدى بذلـــك الى السلطان قتلني ، فسروري بحيازة ضياعي وبسلامة نفسي مما كان هؤلاء الجهال ملكوه منهـــا فلم يهتدوا اليه .

قال يوسف : وحدثني فرخ الخادم ، المعروف بأبي خراسان ، مولى صالح بن الرشيد ووصيه ، قال : كان مولاي صالح بن الرشيد على البصرة ، وكان عامله عليها أبو الرازي . فلما أحدث جبرائيل ابن بختيشوع عمارة داره التي في الميدان ، سأل مولاي ان يهدي له خمسمائة ساجة[2] ، وكانت الساجة بثلاثة عشر ديناراً ، فاستكثر مولاي المال . وقال له : اما خمسمائة فـــلا ، ولكني اكتب الى ابن الرازي في حمل مائتي ساجة اليك . وقال جبرائيـــل : فليست بي حاجة اليهـــا . قال فرخ فقلت لسيدي : أرى جبرائيل سيدبر عليك تدبيراً بغيضاً . فقال : جبرائيل أهون علي من كل هين ، لاني لا اشرب له دواء ولا أقبل له علاجاً . ثم استزار مولاي أمير المؤمنين المأمون ، فلما استوى المجلس بالمأمون ، قال له جبرائيل : أرى وجهك متغيراً . ثم قام اليه فجس عرقه ، وقال له : يشرب أمير المؤمنين شربة سكنجبين [3] ويؤخر الغداء حتى يفهم الخبر ، ففعل المأمون ما أشار به ، وأقبل يجس عرقه في الوقت بعد الوقت ، ثم لم يشعر بشيء حتى دخل غلمان جبرائيل ومعهم رغيف واحد ، ومعه الوان قد اتخذت من قرع [4] وماش [5] وما اشبه ذلك . فقال : « اني اكره لامير المؤمنين ان يأكل في يومه هذا شيئا من لحوم الحيوان ، فليأكل هذه الالوان ، فأكل منها ونام . فلما انتبه من قائلته ، قال له : يا أمير المؤمنين ، رائحة النبيذ تزيـــد في الحرارة ، والرأي لك الانصراف . فانصرف المأمون وتلفت نفقة مولاي كلها . فقال لي مولاي يا أبا خراسان : التمييز بين مائتي ساجة وخمسمائة ساجة واستزارة الخليفة ، لا يجتمعان .

قال يوسف : وحدثني جورجس بن ميخائيل عن خاله جبرائيل وكان جبرائيل له مكرماً لكثرة علمه ، لأني لم أر في أهل هذا البيت ، بعد جبرائيل ، أعلم منه على عجب كان فيه شديداً ، وسخف

---

(١) النية والضمير .
(٢) الخشبة الطويلة المربعة كما جلبت من الهند . (ن . ر)
(٣) شراب يتخذ من خل وعسل .
(٤) نوع من اليقطين تطبخ صغاره .
(٥) حب كالكرسنة يؤكل مطبوخاً . (ن . ر) .

كثير ؛ ان جبرائيل اخبره انـــه انكر من الرشيد قلة الرزء للطعام ، اول المحرم سنة سبع وثمانين ومائة ، وانه لم يكن يرى في مائه ولا في مجسة عرقه ما يدل على علة توجب قلة الطعام ، فكان يقول للرشيد : يا أمير المؤمنين : بدنك صحيح سليم بحمد الله من العلل ؛ وما اعرف لتركك استيفاء الغذاء معنى . فقال لي ، لما اكثرت عليه من القول في هذا الباب : قد استوخمت مدينة السلام ؛ وانا أكره الاستبعاد عنها في هذه الايام . افتعرف مكاناً بالقرب منهـــا صحيح الهواء ؟ فقلت له الحيرة يا أمير المؤمنين . فقال : قد نزلنا الحيرة مراراً ؛ فاجحفنا بعون العبادي في نزولنـــا بلده ؛ وهي أيضاً بعيدة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فالانبار طيبة وظهرها فأصح هواء من الحيرة ، فخرج اليها فلم يزدد في طعامه شيئاً ؛ بل نقص وصام يوم الخميس قبل قتله جعفراً بيومين وليلة . وأحضر جعفراً عشاءه ؛ وكان ايضاً صائماً ؛ فلم يصب الرشيد من الطعام كثير شيء . فقال له جعفر : « يا أمـــير المؤمنين ، لو استزدت من الطعام ؟ فقال : لو اردت ذلك لقدرت عليه . إلا اني احببت ان أبيت خفيف المعدة لاصبح وانا اشتهي الطعام ، واتغدى مع الحرم . ثم بكر بالركوب غداة يوم الجمعـــة متنسما ، وركب معه جعفر بن يحيى ، فرأيته وقد ادخل يده في كم جعفر حتى بلغ بدنه ، فضمه اليه وعانقه ، وقبل بين عينيه ؛ وسار يده في يد جعفر اكثر من الف ذراع . ثم رجع الى مضربه وقال : « بحياتي ، أما اصطبحت في يومك هذا وجعلته يوم سرور ؟ فاني مشغول باهلي . ثم قال لي : يا جبرائيل انا اتغدى مع حرمي فكن مع اخي تسر بسروره . فسرت مع جعفر ، واحضر طعامه فتغدينا واحضر ابا زكار المغني ، ولم يحضر مجلسه غيرنا ، ورأيت الخـــادم بعد الخادم يدخل الينا فيساره [1] فيتنفس عند مسارتهم اياه ويقول : ويحك يا ابى عيسى ، لم يطعم امير المؤمنين بعد ، وانا والله خائفان تكون به علة تمنعه من الأكل . ويأمر كلما اراد ان يشرب قدحاً ابازكار ان يغنيه .

ان بني المنذر حين انقضوا	بحيث شاد البيعـــة الراهب
أضحوا ولا يرهبهـــم راهب	حقـــاً ، ولا يرجوهم راغب
كانت من الخز [2] لبوساتهم	لم يجلب الصوف لهم جالب
كأنمـــا جئتهم لعبـــة	سار الى لبن بهـا راكب

(السريـــع)

فيغنيه أبو زكار هذا الصوت ، ولا يقترح عليه غيره . فلم تزل هذه حالنا الى أن صليت العتمة . ثم دخل الينا ابو هاشم مسرور الكبير ، ومعه خليفة هرثمة بن أعين ، ومعه جماعة كثيرة من الجند . فمد يده خليفة هرثمة الى يد جعفر ، ثم قال له : « قم يا فاسق » قال جبرائيل ؛ ولم أكلم ولم يؤمر في بأمر ؟ وصرت الى منزلي من ساعتي ، وأنا لا أعقل . فما أقمت فيه الا اقل من مقدار نصف ساعة ، حتى صار الي رسول الرشيد يأمرني بالمصير اليه، فدخلت اليه ورأس جعفر في طشت بين يديه ، فقال

(١) يكلمه سراً .

(٢) الحرير ، او ما نسج من صوف وحرير .

لي يا جبرائيل : أليس كنت تسألني عن السبب في قلة رزئي للطعام ؟ فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : الفكرة ، فيا ترى ، اصارتني الى ما كنت فيه وانا اليوم يا جبرائيل عند نفسي كالناقه [1]. قدم غذائي حتى ترى من الزيادة على ما كنت تراه عجباً ، وانما كنت آكل الشيء بعد الشيء لئلا يثقل الطعام علي فيمرضني . ثم دعا بطعامه في ذلك الوقت فأكل أكلا صالحاً من ليلته .

قال يوسف : حدثني ابراهيم بن المهدي أنه تخلف عن مجلس محمـــد الأمين ، امير المؤمنين ، أيام خلافته ، عشية من العشايا لدواء كان أخذه ؛ وان جبرائيل بن بختيشوع باكره غـداة اليوم الثاني ، وأبلغه سلام الأمين ، وسأله عن حاله كيف كانت في دوائه . ثم دنا منه ، فقال له امر أمير المؤمنين في تجهيز علي بن عيسى بن ماهان الى خراسان ليأتيه بالمأمون أسيراً في قيد من فضة وجبرائيل بريء من دين النصرانية ان لم يغلب المأمون محمداً ويقتله ، ويحوز ملكه – فقلت له ويحك ! ولم قلت هـذا القول ؟ وكيف قلته ؟ قال : لان هذا الخليفة الموسوس [2] سكر في هذه الليلة ، فدعـــا أبا عصمة الشيعي صاحب حرسه ، وأمر بسواده فنزع عنه وألبسه ثيابي وزناري وقلنسوتي ،والبسني اقبيته [3]، وسواده وسيفه ومنطقته [4] ؛ واجلسني في مجلس صاحب الحرس الى وقت طلوع الفجر ؛ وأجلسه في مجلسي ؛ وقال لكل واحد ، مني ومن ابي عصمة قد قلدتك ما كان يتقلده صاحبك . فقلت : ان الله مغير ما به من نعمة لتغييره ما بنفسه منها . وانه اذا جعل حراسته الى نصراني . والنصرانية أذل الاديان ، لانه ليس في عقد دين غيرها التسليم لما يريد به عدوه من المكروه ، مثل الاذعان لمن سخره بالسخرة ، وأن يمشي ميلاً أن يزيد على ذلك ميلاً آخر ، وان لطم له خد حول الآخر ليلطم ، غير ديني . فقضيت بان عز الرجل زائل ، وقضيت انه حين أجلس في مجلس متطببه الحافظ عنده لحياته والقائم بمصالح بدنه والخادم لطبيعته ، أبا عصمة الذي لا يفهم من كل ذلك قليـــلا ولا كثيراً ، بأنه لا عمر له ، وان نفسه تالفة . قال ابو اسحق : فكان على ما تفاءل جبرائيل به .

قال يوسف بن ابراهيم : وسمعت جبرائيل بن بختيشوع يحدث ابا اسحق ابراهيم بن المهدي انه كان عند العباس بن محمد اذ دخل عليه شاعر امتدحه ، فلم يزل جبرائيل يسمع منه الى ان صار الى هـذا البيت وهو :

لو قيل للعبـــاس يا ابن محمد ، قل : لا ، وأنت مخلد ما قالها
(الكامل)

قال جبرائيل : فلما سمعت هذا البيت لم اصبر لعلمي ان العباس أبخل أهل زمانه . فقلت لا ، فتبسم العباس ثم قال لي : اغرب قبح الله وجهك .

---

(١) المبل من المرض .
(٢) المصاب بالوسواس وهو مرض يحدث من غلبة السوداء فيختلط معه الذهن .
(٣) واحدها قباء وهو الثوب يلبس فوق الثياب .
(٤) ما يشد به الوسط . « ن . ر »

أقول . هذا الشاعر الذي يشار اليه هو ربيعة الرقى .

قال يوسف : وحدث جبرائيل أبا اسحق في هذا المجلس انه دخل على العباس بعد فطر النصارى بيوم وفي رأسه فضلة من نبيذه بالأمس ، وذلك قبل ان يخدم جبرائيل الرشيد . فقال جبرائيل للعباس : كيف أصبح الامير أعزه الله ؟ فقال العباس: اصبحت كما تحب . فقال له جبرائيل : والله ما أصبح الامير على ما أحب ، ولا على ما يحب الله ، ولا على ما يحب الشيطان » . فغضب العباس من قوله ثم قال له : ما هذا الكلام قبحك الله ؟ قال جبرائيل فقلت : عليّ البرهان . فقال العباس : لتأتيني به والا احسنت أدبك ولم تدخل لي داراً ؛ فقال جبرائيل : الذي كنت احب ان تكون امير المؤمنين ، فأنت كذلك ؟ قال العباس : لا.قال جبرائيل : والذي يحب اللهُ من عباده الطاعة له فيما أمرهم به ، ونهاهم عنه . فأنت أيها الملك كذلك ؟ فقال العباس : لا واستغفر الله . قال جبرائيل: «والذي يحب الشيطانُ من العباد ان يكفروا بالله ويجحدوا ربوبيته فانت كذلك ايها الامير ؟ فقال له العباس : لا ، ولا تعد الى مثل هذا القول بعد يومك هذا » .

قال فثيون الترجمان : ولما عزم المأمون على الخروج الى بلد الروم في سنة ثلاث عشرة ومائتين مرض جبرائيل مرضاً شديداً قوياً . فلما رآه المأمون ضعيفاً التمس منه انفاذ بختيشوع ابنه معه الى بلد الروم . فاحضره وكان مثل ابيه في الفهم والعقل والسرو [1] . ولما خاطبه المأمون وسمع حسن جوابه ، فرح به فرحاً شديداً واكرمه غاية الاكرام ، ورفع منزلته واخرجه معه الى بلد الروم . ولما خرج المأمون طال مرض جبرائيل الى ان بلغ الموت ، وعمل وصيته الى المأمون ودفعها الى ميخائيل صهره ومات . فمضى في تجميل موته ما لم يمض لامثاله بحسب استحقاقه بافعاله الحسنة وخيريته ، ودفن في دير مار سرجس بالمدائن [2] . ولما عاد ابنه بختيشوع من بلد الروم جمع للدير رهباناً واجرى عليهم جميع ما يحتاجون اليه .

وقال فثيون الترجمان : ان جلس جورجس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصهم الله به من شرف النفوس ، ونبل الهمم ؛ ومن البر والمعروف ، والافضال والصدقات ، وتفقد المرضى من الفقراء والمساكن ، والاخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح .

اقول : وكانت مدة خدمة جبرائيل بن بختيشوع للرشيد منذ خدمه والى ان توفي الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة . ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيه عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير ، واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليه في خدمته الرشيد يذكر ان رزقه كان من رسم العامة : في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم ، يكون في السنة مائة وعشرون الف درهم ، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وستمائة وستون ألفا ؛ ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم ، يكون في السنة ستون ألف درهم ، في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف وثلثمائة وثمانون الف درهم . ومن رسم

---

(١) الفضل والسخاء

(٢) اسم مدينة او عدة مدن في العراق على مسافة ٣٠ كيلو جنوبي بغداد على جانبي دجلة « ن.ر.»

الخاصة في الحرم من كل سنة : من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم . ومن الثياب : خمسون الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم .

تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة . الملحم الطرازي عشرون شقة . الخز المنصوري عشر شقاق . الخز المبسوط عشر شقاق . الوشي اليماني ثلاثة اثواب . الوشي النصيبي ثلاثة اثواب . الطيالسة ثلاثة طيالس . ومن السمور [1] والفنك [2] والقماقم [3] والدلق [4] والسنجاب [5] للقبطين [6] .

وكان يدفع اليه في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين الف الف ومائة وخمسون الف درهم . وفي يوم الشعانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ؛ مائتا الف وثلاثون الفاً ، وفي يوم الفطر في كل سنة من الورق : خمسون الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : الف الف ومائة وخمسون الف درهم ، وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم ، على الحكاية ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : مائتا الف وثلاثون الف درهم .

ولفصد الرشيد : دفعتين في السنة كل دفعة خمسون الف درهم من الورق ، مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : الفا الف وثلثمائة الف درهم .

ولشرب الدواء دفعتين في السنة ، كل دفعة خمسون الف درهم ، مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الفا الف وثلثمائة الف درهم .

ومن أصحاب الرشيد ، على ما فصل منه مع ما فيه من قيمة الكسوة وثمن الطيب والدواب ، وهو : مائة الف درهم من الورق ، فيكون أربعمائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف الف ومائتا الف درهم . تفصيل ذلك : عيسى بن جعفر خمسون الف درهم ؛ زبيدة ام جعفر خمسون الف درهم ؛ العباسة [7] خمسون الف درهم ؛ ابراهيم بن عثمان ثلاثون الف درهم ؛ الفضل بن الربيع [8] خمسون الف درهم ؛ فاطمة ام محمد سبعون الف درهم ؛ كسوة وطيب ودواب

---

(١) نوع من الفراء يتخذ من جلد السمور وهو حيوان بري لونه احمر مائل الى السواد . وقد اطلق على جلده اسمه .

(٢) فراء ايضاً من جلد الحيوان المسمى الفنك وهو جنس من الثعالب وفروته من احسن الفراء .

(٣) صغار القردان . ويقصد هنا بجلودها .

(٤) حيوان يقرب من السمور وهو اصفر اللون وبطنه وعنقه مائلان الى البياض . ويراد هنا فراؤه .

(٥) فراء حيوان اكبر من الجرذ له ذنب طويل كثيف الشعر لونه ازرق رمادي ومن اللون السنجابي ،

(٦) اظن انها ام جعفر البرمكي زوجة يحيى بن خالد .

(٧) بنت المهدي واخت هارون الرشيد . وذهب المؤرخون والشعراء مذاهبهم في الكلام عن علاقتها بجعفر البرمكي وانها كانت سبب نكبتهم .

(٨) وزير الامين فيما بعد ، حسد البرامكة ودس الدسائس عليهم ورمى البغضاء بين الامين والمأمون . « ن . ر »

مائة الف درهم .

ومن غلة ضياعه بجندي سابور والسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمته ، بعد المقاطعة ، ورقا ثماني مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر الف الف ومائة الف درهم .

وكان يصير اليه من البرامكة في كل سنة من الورق الفا الف واربعمائة الف درهم ، وتفصيل ذلك : يحيى [1] بن خالد ستماية الف درهم ؛ جعفر بن يحيى الوزير الف الف ومائتا الف درهم ؛ الفضل [2] ابن يحيى ستماية الف درهم ، يكون في مدة ثلاث عشرة سنة : احـــد وثلاثين الف الف ومائتي الف درهم .

يكون جميع ذلك مدة ايام خدمته للرشيد ، وهي ثلاث وعشرون سنة ، وخدمته للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة ، سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين الف درهم . وثمانمائة الف درهم ؛ ثلاثة آلاف ألف واربعمائة الف درهم .

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على مـا تضمنه المدرج المعمول من العين : تسعمائة الف دينار ، ومن الورق : تسعون الف الف وستمائة الف درهم .

تفصيل ذلك ، ما صرفه في نفقاته وكانت في السنة : الفي الف ومائتي الف درهم على التقريب . وجلتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون الف الف درهم وستماية الف درهم . ثمن دور وبساتين ومنتزهات ورقيق ودواب والجازات سبعون الف الف درهم ، ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا المجرى ثمانية آلاف الف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته اثنا عشر الف الف درهم . ثمن جواهر وما اعده للذخائر عن قيمة خمسائة الف دينار خمسون الف الف درهم . ما صرفه في البر والصلات والمعروف والصدقات ، ومـا بذل به حظه في الكفالات لاصحاب المصادرات ، في هذه السنين المقدم ذكرها ثلاثة آلاف ألف درهم . مـا كابره [3] عليه أصحاب الودائع وجحدوه ثلاثة آلاف ألف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عنـــد وفاته الى المأمون لابنه بختيشوع ، وجعل المأمون الوصي فيها فسلمها اليه ، ولم يعترض في شيء منها عليه بتسعماية الف دينار .

وجبرائيل بن بختيشوع هو الذي يعنيه أبو نواس [4] في قوله

سألت أخي أبـا عيسى   وجبريل لـــه عقـــل
فقلت الراح [5] تعجبـني   فقال : كثيرها قتـــل.

---

(١) والد جعفر البرمكي ومؤدب هارون الرشيد ومستشاره .

(٢) تولى الحكم من قبـــل هارون الرشيد على جرجان وطبرستان والري وخراسان . ومات سجيناً ، في الرقة بعد نكبة البرامكة «ن.ر» .

(٣) عانده وغالبه .

(٤) من كبراء شعراء العصر العباسي. ولد في الاهواز . لقب بشاعر الخمرة وقضى حياته مقرباً من الرشيد والامين والمأمون.

(٥) الخمر (ن. ر)

فقلت لـه : فقدر لي . فقـال ، وقوله فصل :
وجدت طبـائع الانسا ن أربعة هي الاصـل
فـاربعة لاربعـة لكل طبيعـة رطـل
(الوافر)

وذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب المجرد في الاغاني هذه الابيا

ألا قـل للذي ليس على الاسلام والملـة
لجـبريـل أبي عيسى أخي الانـذال والسفلة
أفي طبك يا جـبريل ما يشفي ذوي العـلة
غزال قـد سبى عقلي بـلا جرم ولا زلة
(الهزج)

قال أبو الفرج : والشعر للمأمون في جبرائيل بن بختيشوع المتطبب. والغناء لمتيم « خفيف رمل ». ومن كلام جبرائيل بن بختيشوع قال : اربعة تهدم العمر :

ادخال الطعام على الطعام قبل الانهضام . والشرب على الريق . ونكاح العجوز. والتمتع في الحمام.

ولجبرائيل بن بختيشوع من الكتب : رسالة الى المأمون في المطعم والمشروب . كتاب المدخل الى صناعة المنطق . كتاب في الباه . رسالة مختصرة في الطب . كناشه . كتاب في صنعة البخور ، ألفه لعبدالله المأمون .

بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع

كان سريانياً نبيل القدر . وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ، مـا لم يبلغه أحد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره . وكان يضاهي المتوكل [1] في اللباس والفرش .

ونقل حنين بن اسحق لبختيشوع بن جبرائيل كتباً كثيرة من كتب جالينوس الى اللغة السريانية والعربية .

قال فثيون الترجمان : لما ملك الواثق[2] الامر ، كان محمد[3] بن عبد الملك الزيات وابن أبي داود يعاديان بختيشوع . ويحسدانه على فضله ، وبره ، ومعروفه ، وصدقاته ، وكمال مروءته . فكانا يغريان

(١) الخليفة العباسي العاشر . وكان متقلباً يتبع الهوى اراد ان ينقل عاصمته من بغداد الى دمشق فـلم يستطع تحمل برد الشام فرجع . اضطهد المعتزلة . (٨٢٢-٨٦١)

(٢) تاسع خلفاء بني العباس « ٨٤٢-٨٤٦ » تسلط في ايامه القواد الاتراك على الحكم .

(٣) وزير العباسيين . غضب عليه المتوكل فامر بقتله سنة « ٨٤٧ »

الواثق عليه اذا خلوا به . فسخط عليه الواثق ، وقبض على أملاكه وضياعه ، وأخذ منه جملة طائلة من المال . ونفاه الى جندي سابور ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين . فلما اعتل بالاستسقاء (١) ، وبلغ الشدة في مرضه ، انفذ من يحضر بختيشوع . ومات الواثق قبل ان يوافي بختيشوع . ثم صلحت حال بختيشوع ، بعد ذلك في ايام المتوكل ، حتى بلغ في الجلالة ، والرفعة ، وعظم المنزلة ، وحسن الحال، وكثرة المال ، وكمال المروءة ، ومباراة الخلافة في الزي واللباس ، والطيب ، والفرش، والصناعات، والتفسيح ، والبذخ في النفقات ، مبلغاً يفوق الوصف ، فحسده المتوكل وقبض عليه .

ونقلت من بعض التواريخ ، ان بختيشوع بن جبرائيل ، كان عظيم المنزلة عند المتوكل . ثم ان بختيشوع أفرط في ادلاله عليه ، فنكبه وقبض أملاكه ووجه به الى مدينة السلام . وعرض للمتوكل بعد ذلك قولنج (٢) ، فاستحضره المتوكل واعتذر اليه ، وعالجه وبرأ ، فانعم عليه ورضي عنه ، واعاد ما كان له .

ثم جرت على بختيشوع حيلة أخرى فنكبه نكبة قبض فيها جميع أملاكه ، ووجه به الى البصرة ، وكان سببه الحيلة عليه : ان عبد الله استكتب المنتصر أبا العباس الحصيني وكان رديئاً ، فاتفقا على قتل المتوكل واستخلاف المنتصر . وقال بختيشوع للوزير : كيف استكتبت المنتصر الحصيني وانت تعرف رداءته ؟ فظن عبد الله ان بختيشوع قد وقف على التدبير . فعرف الوزير ما قاله له بختيشوع ، وقال : « انتم تعلمون كيف محبة بختيشوع له ، واحسب انه يبطل التدبير فكيف الحيلة ؟ فقالوا للمنتصر : « اذا سكر الخليفة ، فخرّق ثيابك ولوثها بالدم ، وادخل اليه . فاذا قال : ما هذا ؟ فقل بختيشوع ضرب بيني وبين اخي ، فكاد ان يقتل بعضنا بعضاً . وانا اقول : يا أمير المؤمنين ، يبعد عنهم . فانه يقول : افعلوا . فتنفيه ، فالى ان يسأل عنه نكون قد فرغنا من الامر . ففعل ذلك ، ونكب ، وقتل المتوكل . ولما استخلف المستعين (٣) رد بختيشوع الى الخدمة وأحسن اليه احساناً كثيراً ، ولما ورد الامر الى ابن عبد الله محمد (٤) بن الواثق ، وهو المهتدي ، جرى على حال المتوكل في أنسه بالاطباء وتقديمه اياهم واحسانه اليهم . وكان بختيشوع لطيف المحل من المهتدي بالله . وشكا بختيشوع الى المهتدي ما اخذ منه في ايام المتوكل ، فأمر بأن يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف به فليرد اليه بغير استئمار ولا مراجعة . فلم يبق له شيء الا اخذه ، واطلق له سائر ما فاته ، وحاطه كل الحياطة .

وورد على بختيشوع كتاب من صاحبه بمدينة السلام يصف فيه ان سليمان بن عبد الله بن طاهر قد

---

(١) في الطب هو تجمع سوائل مصلية في تجويف او اكثر من تجاويف الجسد او في خلاياه .

(٢) مرض معوي مؤلم . « ن. ر »

(٣) الخليفة العباسي الثاني عشر « ٨٦٢ – ٨٦٦ » بايعه الامراء وا كابر المماليك . وكانت ايامه شديدة الاضطراب . خلع وقتل بسعي اخيه المعتز .

(٤) الخليفة الرابع عشر العباسي . ولد في سرمن رأى ، اراد تخليص الخلافة من سلطة القواد ورفع شأنها . وكان تقياً متمسكاً بالشريعة . قتل بخيانة موسى بن بغا القائد التركي « ٨٦٩ – ٨٧٠ » . « ن . ر »

تعرض له لمنازله ، فعرض بختيشوع الكتاب على المهتدي بعد صلاة العتمة ، فأمر باحضار سليمان بن وهب في ذلك الوقت ، فحضر ، وتقدم اليه بان يكتب من حضرته الى سليمان بن عبد الله ، بالانكار عليه لما اتصل به من وكيل بختيشوع ، وان يتقدم اليه باعزاز منازله وأسبابه بأوكد ما يكون . وانفذ الكتاب ، من وقته ، مع أخص خدمه الى مدينة السلام .

وقال بختيشوع للمهتدي في آخر من حضر الدار : « يا أمير المؤمنين ، ما اقتصدتُ ولا شربت الدواء منذ أربعين سنة ، وقد حكم المنجمون بأني اموت في هذه السنة . ولست اغتم لموتي وانما غمي لمفارقتكم». فكلمه المهتدي بكلام جميل ، وقال : قلّما يصدق المنجم . فلما انصرف كان آخر العهد به .

وقال ابراهيم بن علي الحصري في كتاب نور الطرف ونور الظرف ، انه تنازع ابراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد ابن داؤد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأربى عليه ابراهيم وأغلظ له فغضب لذلك احمد بن ابي داؤد وقال : « يا ابراهيم ؛ اذا تنازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمراً فليكن قصدك أمما [١] ، وطريقك نهجا ، وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلا ، ووف مجالس الخليفة حقوقها من التوفيق والتعظيم والاستطاعة ، والتوجيه الى الحق . فان هذا أشكل [٢] بك ، واجمل بمذهبك في محتدك [٣] وعظيم خطرك . ولا تعجلن ، فرب العجلة تورث رثياً [٤] ، والله يعصمك من الزلل ، وخطل القول ، والعمل ، ويتم نعمته عليك كما اتمها على آبائك من قبل ، ان ربك عليم حكيم » . فقال ابراهيم : « أمرت ، اصلحك الله ، بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست بعائد الى ما يثلم قدري عندك ، ويسقطني من عينك ، ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار ؛ فها انا معتذر اليك من هذه البادرة ، اعتذار مقر بذنبه ، باخع [٥] بجرمه ، لان الغضب لا يزال يستفزني بمراده ، فيردني مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » . وقد خلعت حظي من هذا العقار لبختيشوع . فليت ذلك يكون وافياً بأرش [٦] الجناية عليه ، ولن يتلف مال أفاد موعظة وبالله التوفيق . »

حدث ابو محمد بدر بن أبي الاصبع الكاتب قال : حدثني جدي ، قال : دخلت الى بختيشوع في يوم شديد الحر وهو جالس في مجلس مخيّش بعدة طاقات من الخيش طاقان ريح بينهما طاق أسود وفي وسطها قبة عليها جلال [٧] من قصب مُظهّر بدبيقى [٨] قد صبغ بماء الورد والكافور [٩] والصندل [١٠]

(١) الوسط ما بين القريب والبعيد او الطريق البين .
(٢) اشبه . (٣) الاصل . (٤) الحمق .
(٥) مقر به ومذعن .
(٦) الدية .
(٧) اكسية .
(٨) الثوب الجيد المنسوب الى دبيق وهي بلدة بمصر .
(٩) نبت طيب تستخرج منه مادة عطرية بيضاء متبلورة .
(١٠) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب اخضر في عناقيد .

وعليه جبة يماني سعيدي مثقلة ، ومطرف قد التحف به ، فعجبت من زيه . فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد أمر عظيم فضحك وأمر لي بجبة ومطرف وقال : يا غلام ، اكشف جوانب القبة ، فكشفت فاذا ابواب مفتوحة من جوانب الايوان الى مواضع مكبوسة بالثلج ، وغلمان يروحون ذلك الثلج فيخرج منه البرد الذي لحقني . ثم دعا بطعامه فأتي بمائدة في غاية الحسن عليها كل شيء ظريف . ثم اتى بفراريج مشوية في نهاية الحمرة ، وجاء الطباخ فنفضها كلها فانتفضت وقال : هذه فراريج تعلف اللوز والبزر قطوناً ، [1] وتسقى ماء الرمان ، ولما كان في صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد ، وعليه جبة محشوة وكساء ، وهو جالس في طارمة [2] في الدار على بستان في غاية الحسن ، وعليها سمور قد ظهرت به ، وفوقه جلال حرير مصبغ ، ولبود مغربية وانطاع [3] أدم يمانية . وبين يديه كانون فضة مذهب مخرق ، وخادم يوقد العود الهندي ، وعليه غلالة قصب في نهاية الرفعة. فلما حصلت معه في الطارمة وجدت من الحر امراً عظيماً ، فضحك وأمر لي بغلالة قصب ، وتقدم بكشف جوانب الطارمة ، فاذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد ، وكوانين فيها فحم الغضا [4] ، وغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق [5] كما تكون للحدادين . ثم دعا بطعامه فاحضروا ما جرت به العادة في السرو والنظافة ، فاحضرت فراريج بيض شديدة البياض فبشعتها [6] وخفت ان تكون غير نضيجة ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت ، فسألته عنها فقال : هذه تعلف الجوز المقشر ، وتسقى اللبن الحليب . وكان بختيشوع بن جبرائيل يهدي البخور في درج ، ومعه درج آخر فيه فحم يتخذ له من قضبان الاترج [7] والصفصاف [8] ، وشنس [9] الكرم المرشوش عليه عند احراقه ماء الورد المخلوط بالمسك [10] والكافور ، وماء الخلاف [11] والشراب العتيق. ويقول : انا اكره ان اهدي بخوراً بغير فحم ، فيفسده فحم العامة ، ويقال هذا عمل بختيشوع » .

وحدث ابو محمد بدر بن ابي الأصبغ ، عن ابيه ، عن ابي عبدالله محمد بن الجراح ، عن ابيه ، ان المتوكل قال يوماً لبختيشوع : ادعني ، فقال السمع والطاعة فقال : اريد ان يكون ذلك غداً . قال : نعم وكرامة ، وكان الوقت صائفاً ، وحره شديداً ، فقال بختيشوع لأعوانه وأصحابه : « أمرنا كله مستقيم الا الخيش فانه ليس لنا منه ما يكفي . فاحضر وكلاءه وأمرهم بابتياع كل ما يوجد ، من

«١» حبة يستشفى بها .
«٢» الكن أو البيت من خشب كالقبة .
«٣» واحدها نطع وهي البساط من الجلد يفرش فوق الارض. واصله ما يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب او بقطع الرأس.
«٤» شجر من الاثل خشبه من اصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء .
«٥» واحدها زق وهو جلد يجز ولا ينتف .
«٦» هنا معنى استحسنتها .
«٧» شجر من فصيلة الحمضيات يعرف بالكباد .
«٨» شجر حرجي مائي قيل هو الخلاف .
«٩» قضبان شجر .
«١٠»طيب يستخرج من دم حيوان يدعى غزال المسك .
«١١» ما يعرف في الشام بالزيزفون العنب (ن.ر) .

الخيش بسمو من رأى ، ففعلوا ذلك واحضروا كل من وجدوه من النجادين والصناع ، فقطع لداره كلها صونها [١] وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها ، خيشا حتى لا يجتاز الخليفة في موضع غير مخيش. وانه فكر في روائحه التي لا تزول الا بعد استعماله مدة ، فامر بابتياع كل ما يقدر عليه بسمو من رأى من البطيخ، وأحضر أكثر حشمه وغلمانه وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها ،وأصبح وقد انقطعت روائحه . فتقدم الى فراشيه فعلقوا جميعه في المواضع المذكورة ، وأمر طباخيه بأن يعملوا خمسة آلاف جونة [٢] في كل جونة باب خبز سميد ، ودست رقاق وزن الجميع عشرون رطلاً ؛ وحمل مشوي وجدي بارد ، وفائقة ودجاجتان مصدرتان ، وفرخان ومصوصان [٣] ، وثلاثة ألوان وجام حلواء [٤].

فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الخيش وجدته فقال: « اي شيء ذهب برائحته ؟ فاعاد عليه حديث البطيخ فعجب من ذلك ، وأكل هو وبنو عمه والفتح [٥] بن خاقان على مائدة واحدة . وأجلس الامراء والحجاب على سماطين [٦] عظيمين لم ير مثلها لامثاله. وفرقت الجون على الغلمان والخدم والنقباء والركابية والفراشين والملاحين وغيرهم من الحاشية لكل واحد جونة ، وقال : « قد أمنت ذمهم لانني ما كنت آمن لو أطعموا على موائد ان يرضى هذا ويغضب الآخر ، ويقول واحد شبعت ويقول آخر لم أشبع» فاذا اعطى كل إنسان جونة من هذه الجون كفته واستشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً ، وأراد النوم ، فقال لبختيشوع : « أريد ان تنومني في موضع مضيء لا ذباب فيه وظن أنه يتعنته بذلك ، وقد كان بختيشوع تقدم بان تجعل اجاجين [٧] السيلان في سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه ، فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة . ثم أدخل المتوكل الى مربع كبير سقفه كله بكواء فيها جامات يضيء البيت منها ، وهو مخيش مظهّر بعد الخيش بالدبقي المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور .

فلما اضطجع للنوم أقبل يشم روائح في نهاية الطيب لا يدري ما هي لانه لم ير في البيت شيئاً من الروائح والفاكهة والأنوار ؛ ولا خلف الخيش لا طاقات ولا موضع يحمل فيه شيء من ذلك . فتعجب وأمر الفتح بن خاقان ان يتتبع حال تلك الروائح حتى يعرف صورتها . فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صغاراً لطافاً كالطاقات محشوة بصنوف الرياحين

(١) ضمن الدار : مساحتها او وسطها .
(٢) الخابية المطلية .
(٣) واحدها مصوص وهو لحم يطبخ وينقع في الخل .
(٤) كأس .
(٥) وزير المتوكل قتل مع المتوكل سنة «٨٦١» .
(٦) السماط : ما يبسط ليوضع عليه الطعام .
(٧) واحدها اجانة وهي الاناء « ن.ر » .

والفواكه واللخالخ (١) ، والمشام التي فيها اللفاح (٢) ، والبطيخ المستخرج ما فيها المحشوة بالنام (٣) والحماحم (٤) اليماني المعمول بماء الورد والخلوق (٥) والكافور والشراب العتيق والزعفران (٦) الشعر . ورأى الفتح غلماناً قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام مجمرة فيها ند يسجره (٧) ويبخر به . والبيت من داخله ازار من اسفيداج مخرم خروماً صغاراً لا تبين تخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة الى البيت .

فلما عاد الفتح وشرح للمتوكل صورة ما شاهده كثر تعجبه منه ، وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته ، وكمال مروءته ، وانصرف من داره قبل ان يستتم يومه . وادعى شيئاً وجده من التياث بدنه ، وحقد عليه ذلك فنكبه بعد أيام يسيرة ، وأخذ له مالاً كثيراً لا يقدر . ووجد له في جملة كسوته أربعة آلاف سراويل دبيقي سيتيزي في جميعها تكك ابريسم ارميني . وحضر الحسين بن مخلد فختم على خزانته وحمل الى دار المتوكل ما صلح منها وباع شيئاً كثيراً . وبقي بعد ذلك حطب وفحم ونبيذ وتوابل ، فاشتراه الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار . وذكر أنه باع من جملته بمبلغ ثمانية آلاف دينار ، ثم حسده حمدون ووشى الى المتوكل . وبذل فيما بقي في يده مما ابتاعه ستة آلاف دينار . فاجيب الى ذلك ، وسلم اليه ، فباعه بأكثر من الضعف . وكان هذا في سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة .

قال فثيون الترجمان : كان المعتز بالله قد اعتل ، في أيام المتوكل ، علة من حرارة امتنع بها من أخذ شيء من الادوية والاغذية . فشق ذلك على المتوكل كثيراً ، واغتم به . وصار اليه بختيشوع ، والاطباء عنده وهو على حاله في الامتناع ، فمازحه وحادثه فادخل المعتز يده في كم جبة وشي يماني مثقله كانت على بختيشوع وقال : « ما أحسن هذا الثوب » ! فقال بختيشوع : « يا سيدي ما له والله نظير في الحسن وثمنه علي الف دينار فكل لي تفاحتين وخذ الجبة » . فدعا بتفاح فأكل اثنتين ثم قال له : تحتاج يا سيدي الجبة الى ثوب يكون معها ، وعندي ثوب هو أخ لها ، فاشرب لي شربة سكنجبين وخذه . فشرب شربة سكنجبين . ووافق ذلك اندفاع طبيعته فبرأ المعتز وأخذ الجبة والثوب وصلح من مرضه . فكان المتوكل يشكر هذا الفعل أبداً لبختيشوع .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت : ان المتوكل اشتهى في بعض الاوقات الحارة أن يأكل مع طعامه خردلا فمنعه الاطباء من ذلك لحدة مزاجه وحرارة كبده وغائلة الخردل . فقال بختيشوع : أنا اطعمك اياه وان ضرك علي ! فقال : افعل . فامر باحضار قرعة وجعل عليها طيناً وتركها في تنور

---

(١) ضرب من الطيب . (٢) نبات يقطيني اصفر طيب الرائحة اصغر من التفاح . (٣) نبت له بزور كالريحان قوي الرائحة .

(٤) الحبق البستاني العريض الورق . (٥) ضرب من الطيب يتخذ من زعفران وغيره او هو الزعفران . (٦) نبات اصفر الزهر له اصل كالبصل .

(٧) يحميه ويحرقه . « ن. ر »

واستخرج ماءها وامر بان يقشر الخردل ويضرب بماء القرع . وقال : « ان الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة والقرع في الدرجة الرابعة من الرطوبة فيعتدلان ، فكل شهوتك » . وبات تلك الليلة ولم يحس بشيء من الاذى ، وأصبح كذلك . فامر بان يحمل اليه ثلثمائة الف درهم وثلاثون تختاً من اصناف الثياب .

وقال اسحق [١] بن علي الرهاوي ، عن عيسى بن ماسة قال : رأيت بختيشوع بن جبرائيل وقد اعتل ، فأمر امير المؤمنين المتوكل والمعتز [٢] ان يعوده وهو اذ ذاك ولي عهد . فعاده ومعه محمد [٣] بن عبدالله بن طاهر ووصيف [٤] التركي قال : وأخبرني ابراهيم [٥] بن محمد المعروف بابن المدبر ان المتوكل امر الوزير شفاهاً وقال له : اكتب في ضياع بختيشوع فانها ضياعي وملكي فان محله منا محل ارواحنا من ابداننا .

وقال عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ، هذا المذكور : مما يدل على منزلة بختيشوع عند المتوكل وانبساطه معه ، قال : من ذلك ، ما حدثنا به بعض شيوخنا ، انه دخل بختيشوع يوماً الى المتوكل وهو جالس على سدة في وسط دار الخاصة ، فجلس بختيشوع على عادته معه على السدة وكان عليه [٦] دراعة ديباج رومي ، وقد انفتق ذيلها قليلاً ، فجعل المتوكل يحادث بختيشوع ويعبث بذلك الفتق حتى بلغ الى حد النيفق [٧] . ودار بينهما كلام اقتضى ان سأل المتوكل بختيشوع : بماذ تعلم ان المشوّش يحتاج الى الشد والقيادة ؟ قال : اذا بلغ فتق درّاعة طبيبه الى حد النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره ، وأمر له في الحال بخلع سنية ومال جزيل .

وقال ابو الريحان [٨] البيروني في كتاب « الجماهر في الجواهر » : ان المتوكل جلس يوماً لهدايا النيروز فقدم اليه كل علق [٩] نفيس ، وكل ظريف فاخر . وان طبيبه بختيشوع بن جبرائيل دخل وكان يأنس به ، فقال له : ما ترى في هذا اليوم ؟ فقـال مثل جرياشات الشحاذين إذ ليس قدر ، واقبل على ما معي . ثم أخرج من كمه درج أبنوس مضبب بالذهب ، وفتحه عن حرير أخضر انكشف عن ملعقة كبيرة من جوهر لمع منها شهاب ووضعها بين يديه ، فرأى المتوكل ما لا عهد له بمثله ، وقال:

---

(١) طبيب من الاطباء العراقيين الف تاريخاً ذكر فيه الوقائع والحوادث من زمان المقتدر حتى ايام الطائع لله .

(٢) الخليفة العباسي الثالث عشر تسلط عليه القواد الاتراك واشتدت الازمة المالية في الدولة فلم يتمكن من حل مشاكلها. وخلع ومات جوعاً في السجن « ٨٦٩ » .

(٣) من رجال الدولة العباسية جعله المتوكل حاكماً على بغداد « ٨٥١ » فقضى على الفتن التي اثارها العلويون وتوفي سنة «٨٦٧»

(٤) احد القواد الاتراك الذين استأثروا بالحكم وقضوا على الخليفة في الزمن الذي استولى فيه غلمان الاتراك على الحكم .

(٥) تولى الخراج في مصر ودمشق والاردن وفلسطين .

(٦) جبة مشقوقة المقدم .

(٧) الموضع المتسع من القميص او السروال.

(٨) مؤلف عربي من اصل فارسي ولد في خوارزم . عالم بالرياضيات والعلوم والهندسة . كان بينه وبين ابن سينا مراسلة (٩٧٣ – ١٠٤٨) .

(٩) النفيس من كل شيء (ن . د) .

« من اين لك هذا ؟ قال : من الناس الكرام ، ثم حدث انه صار الى أبي من أم جعفر زبيدة في ثلاث مرات ثلثمائة الف دينار بثلاث شكايات عالجها فيها : واحدتها أنها شكت عارضاً في حلقهـا منذرة بالخناق فأشار اليها بالفصد والتطفئة والتغدي بحشو وصفه ، فاحضر على نسخته في غضارة صينية عجيبة الصنعة وفيها هذه الملعقة ، فغمزني أبي على رفعها ، ففعلت ولففتها في طيلساني وجاذبنيها الخادم. فقالت له : لاطفه ومره بردها ، وعوضه منها عشرة آلاف دينار . فامتنعت وقال أبي : يا ستي ان ابني لم يسرق قط فلا تفضحيه في اول كراته لئلا ينكسر قلبـه . فضحكت ووهبتها له . وسئل عن الآخرتين : فقال انها اشتكت اليه النكهة [1] باخبار احدى بطانتها اياها ، وذكرت أن الموت أسهل عليها من ذلك ، فجوعها الى العصر ، واطعمها سمكاً ممقوراً [2] ، وسقاها دردي [3] نبيذ دقل باكراه فغثت نفسها وقذفت . وكرر ذلك عليها ثلاثة أيام ثم قال لهـا : تنكهي في وجه من اخبرك بذلك واستخبريه هل زال ؟ والثالثة انها أشرفت على التلف من فواق شديد يسمع من خارج الحجرة ، فامر الخدم باصعاد خوابي الى سطح الصحن وتصفيفها حوله على الشفير وملأها ماء ، وجلس خادم خلف كل جب حتى اذا صفق بيده على الاخرى دفعوها دفعـة الى وسط الدار ، ففعلوا وارتفع لذلك صوت شديد ارعبها ، فوثبت وزايلها الفواق .

قال أبو علي القياني ؟ حدثني أبي قال : دخلت يوماً الى بختيشوع ، وكان من أيام الصيف ،وجلست فاذا هو قد رفع طرفه الى خادمه وقال له : هات . فجاء بقدح فيه نحو نصف رطل شراب عتيق ، وعلى طرف خلالة ذهب شيء اسود فمضغه ، ثم شرب الشراب عليه ، وصبر ساعة ، فرأيت وجهه يتقد كالنار . ثم دعا باطباق فيها خوخ جبلي في نهاية الحسن ، فاقبل يقطع ويأكل حتى انتهى وسكن تلهبه ، وعاد وجهه الى حاله . فقلت له : حدثني بخبرك ؟ فقال : اشتهيت الخوخ شهوة شديدة وخفت ضررها ، فاستعملت الترياق والشراب حتى نقرت الحجر ليجيد الطحن . وقال أبو علي القياني عن ابيه ، قال : حدثني محمد بن داود بن الجراح ، قال : كان بختيشوع الطبيب صديقاً لأبي . وكان لنا نديم كثير الأكل عظيم الخلق ، فكان كلما رآه قال له : أريد ان تركب لي شربة ؛ وأبرمه الى ان وصف له دواء فيه شحم الحنظل وسقمونيا ؛ وقال بختيشوع لأبي : ملاك الامر كله ان يأكل أكلا خفيفاً ويضبط نفسه فيما بعد عن التخليط ، فاطعم يوم الحمية في دارنا واقتصر على اسفيدباج من ثلاثة أرطال خبز ، فلما استوفى ذلك طلب زيادة عليه فمنع واعتقله أبي عنـده الى آخر الاوقات ، ووجه الى امرأته يوصيها ان لا تدع شيئاً يؤكل في داره .ولما علم ان الوقت قد ضاق عليه أطلقه الى منزله . فطلب من امرأته شيئاً يأكله فلم يجد عندها شيئاً. وكانت قـد أغفلت برنية فيها فتيت على الرف « فوجده وأخذ منه أرطالا . ثم أصبح وأخذ الدواء فتحير ، وورد على المعدة وهي ملأى فلم يؤثر ، وتعالى النهار ، فقال : قد خرف بختيشوع . وعمد الى عشرة ارطال لحم شرائح فاكلها مع

«١» رائحة الفم .

«٢» مشوياً حتى الاحتراق .

«٣» الكدر الراسب في اسفله « ن . ر » .

عشرة ارطال خبز ، وشرب دورقاً ماء بارداً . فلما مضت ساعة طلب الدواء طريقاً للخروج من فوق أو من أسفل فلم يجد فانتفخت بطنه وعلا نَفَسه ، وكاد يتلف . وصاحت امرأته واستغاثت بأبي . فدعا بمحمل وحمل فيه الى بختيشوع ، وكان ذلك اليوم حاراً جداً . وكان بختيشوع حين انصرف من داره وهو ضجر . فسأل عن حـــاله الى ان علم شرح امره . وكان في داره أكثر من مائتي طير من الطيطويات[1] والحصانيات[2] والبيضانيات[3] وما يجري مجراها . ولها مسقاة كبيرة مملوءة ماء ، وقد حمي في الشمس وذرقت فيه الطيور . فدعا بملح جريش ، وأمر بطرحه في المسقاة كله وتذويبه في الماء ودعا بقمع ، وسقى الرجل كله ، وهو لا يعقل ، وأمر بالتباعد عنه . فاتى من طبيعته فوق وأسفل أمر عظيم جداً حتى ضعف . وحفظت قوته بالرائحة الطيبة وبماء الدراج . وأفاق بعـد ايام وعجبنا من صلاحه .

وسألنا عنه بختيشوع فقال : فكرت في أمره فرأيت اني ان اتخذت له دواء طال أمره حتى يطبخ ويسقى فيموت الى ذلك الوقت . ونحن نعالج أصحاب القولنج الشديـد بذرق الحمام والملح . وكان في المسقاة الماء في الشمس وقد سخن ، واجتمع فيه من ذرق الحمام ما يحتاج اليه ، وكان اسرع تناولاً من غيره ، فعالجته به ونجع بحمد الله .

ونقلت من بعض الكتب ان بختيشوع كان يأمر بالحقن ، والقمر متصل بالذنب ، فيحل القولنج من ساعته . ويأمر بشرب الدواء ، والقمر على مناظرة الزهرة [4] فصلح العليل من يومه .

ولما توفي بختيشوع خلف عبيدالله ولده ، وخلف معـــه ثلاث بنات . وكان الوزراء والنظار يصادرونهم ويطالبونهم بالاموال . فتفرقوا واختلفوا . وكان موته يوم الاحد لثمان بقين من صفر سنة ست وخمسين ومائتين .

ومن كلام بختيشوع بن جبرائيل قال :

الشرب على الجوع رديء ، والأكل على الشبع أردأ .

وقال : أكل القليل مما يضر ، أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

ولبختيشوع بن جبرائيل من الكتب : **كتاب في الحجامة على طريق المسئلة والجواب .**

جبرائيل بن عبيدالله

جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ، كان فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب ، جيداً في اعماله، حسن

---

(١) و (٢) انواع من طيور الماء ، وهي من صغار الطير لا تفارق الماء

(٣) ابن الماء وهو نوع من مالك الحزين شديد البياض له جة مرغوب فيها .

(٤) كوكب من الكواكب السيارة (ن.ر) .

الدراية لها . وله تصانيف جليلة في صناعة الطب . وكانت اجداده في هذه الصناعة كل منهم أوحد زمانه وعلامة وقته .

ونقلت من كتاب عبيد الله ، ولد هذا المذكور ، في اخباره.عن ابيه جبرائيل ما هذا مثاله.قال: ان جدي عبيد الله بن بختيشوع كان متصرفاً ولما ولي المقتدر [1] رحمة الله عليه ، الخلافة استكتبه لحضرته وبقي مدة مديدة ، ثم توفي . وخلف والدي جبرائيل وأختاً كانت معه صغيرين . وأنفذ المقتدر ليلة موته ثمانين فراشاً حمل الموجود من رحل وأثاث وآنية . وبعد مواراته في القبر اختفت زوجته ، وكانت ابنة انسان عامل من أجلاء العمال يعرف بالحرسون . فقبض على والدها بسببهاوطلب منه ودائع بنت بختيشوع ، وأخذ منه مالاً كثيراً ومات عقيب مصادرته . فخرجت ابنته ومعها ولدها جبرائيل وأخته وهما صغيران الى عكبراء [2] مستترين من السلطان . واتفق انها تزوجت برجل طبيب وصرفت ولدها الى عم كان له بدقوقاء[3]واقامت مدة عند ذلك الرجل وماتت ، وأخذ ما كان معها جميعه ، ودفع ولدها . فدخل جبرائيل الى بغداد وما معه إلا اليسير النزر . وقصد طبيباً كان يعرف بترمرة ، فلازمه وقرأ عليه ، وكان من اطباء المقتدر وخواصه . وقرأ على يوسف الواسطي الطبيب ، ولازم البيمارستان والعلم والدرس . وكان يأوي الى اخوال له يسكنون بدار الروم ، وكانوا يسيئون عشرتهم عليه ، ويلومونه على تعرضه للعلم والصناعة ، ويمجنون معه ، ويقولون : يريد ان يكون مثل جده بختيشوع وجبرائيل وما يرضى ان يكون مثل اخواله ، وهو لا يلتفت الى مثل اقوالهم .

واتفق أن جاء رسول من كرمان [4] إلى معز [5] الدولة وحمل له الحمار المخطط ، والرجل الذي كان طوله سبعة اشبار ، والرجل الذي كان طوله شبرين ، واتفق انه نزل في قصر فرخ من الجانب الشرقي قريباً من الدكان الذي كان يجلس عليه والدي جبرائيل ، وصار ذلك الرسول يجلس عنده كثيراً ويحادثه ، ويباسطه . فلما كان في بعض الايام استدعاه وشاوره بالفصد ، فأشار به وفصده ، وتردد اليه يومين ، فأنفذ له على رسم الديلم الصينية التي كانت فيها العصائب ، والطشت والابريق وجميع الآلة . ثم استدعاه وقال له : ادخل الى هؤلاء القوم وانظر ما يصلح لهم ، وكان مع الرسول جارية يهواها قد عرض لها نزف الدم ولا بقي بفارس ولا بكرمان ولا بالعراق طبيب مذكور الا وعالجها ولم ينجح فيها العلاج ، فعند ما رآها رتب لها تدبيراً وعمل لها معجوناً وسقاها إياه ، فما

---

(١) الخليفة العباسي الثامن عشر تولى الحكم وعمره ١٣ سنة وعلى ايامه انسلخت اقاليم الدولة عن العاصمة وتأسست دول اخرى وتوفي سنة ٩٣٢

(٢) بلد منها عبدالله الكعبري اللغوي الشهير .

(٣) ويقال ايضاً دقوق ودقومي وهي بلدفي العراق بين بغداد واربل «ن.ر»

(٤) مدينة في ايران هي قاعدة اقليم يعرف باسمها .

(٥) احد افراد بني بويه الاسرة الفارسية التي استولى ابناؤها على اصفهان وكازرون وشيراز وكرمان وبغداد « ٩٤٥ » واصبح الخليفة على عهدهم العوبة في ايديهم .

مضى عليها أربعون يوماً حتى برئت وصلح جسمها ، وفرح الرسول بذلك فرحاً عظيماً . فلما كان بعد مدة ، استدعاه وأعطاه الف درهم ودراعة سقلاطون وثوباً توثياً ، وعمامة قصب ؛ وقال له : « طالبهم بحقك فأعطته الجارية ألف درهم وقطعتين من كل نوع من الثياب ، وحمل على بغله بمركب واتبّع ذلك بمملوك زنجي ، فخرج وهو أحسن حالاً من أحد أخواله . فلما رأوه وثبوا له وتلقوه لقياً جميلاً فقال لهم : للثياب تكرمون لا لي . فلما مضى الرسول انتشر ذكره بفارس وبكرمان بما عمل ، وكان ذلك سبب خروجه من شيراز .

فلما دخل رفع خبره الى عضد [1] الدولة ، وكان أول تبوئه ولايته شيراز[2]، واستدعى به فحضر ، واحضر معه رسالة في عصب العين تكلم فيها بكلام حسن ، فحسن موقعه عنده ، وقرر له جار وجراية كالباقين ، ثم انـه عرض لكوكين ، زوج خالة عضد الدولة ، وهو والي كورة جورقب ، مرض واستدعى طبيباً فانفذه عضد الدولة ، فلما وصل أكرم موضعه وأجله اجلالا عظيماً . وكان به وجع المفاصل والنقرس وضعف الاحشاء ، فركب له جوارشن [3] تفاحي وذلك في سنة سبع وخمسين وثلثمائة للهجرة ، فانتفع به منفعة بينة عظيمة فاجزل له عطاءه وأكرمه ورده الى شيراز مكرماً . ثم ان عضد الدولة دخل الى بغداد وهو معه من خاصته ، وجدد البيمارستان وصار يأخذ رزقين وهما : برسم خاص ثلثمائة درهم شجاعية؛ وبرسم البيمارستان ثلثمائة درهم شجاعية؛ سوى الجراية . وكانت نوبته في الاسبوع يومين وليلتين .

واتفق ان الصاحب [4] بن عباد ، رحمه الله تعالى ، عرض له مرض صعب في معدته فكاتب عضد الدولة يلتمس طبيباً . وكان عمله وفعله وفضله مشهوراً ، فأمر عضد الدولة بجمع الاطباء البغداديين وغيرهم وشاورهم فيمن يصلح ان ينفذ اليه . فلما جمعهم واستشارهم . فأشار جميع الاطباء ، على سبيل الابعاد له من بينهم وحسداً على تقدمه ، ما يصلح ان يلقى مثل هـذا الرجل إلا أبو عيسى جبرائيل ، لانه متكلم جيد الحجة ، عالم باللغة الفارسية . فوقع ذلك بوفاق عضد الدولة ، فاطلق له مالا يصلح به امره وحمل اليه مركوب جميل وبغال للحمل وسيّره . فلما وصل الري تلقاه الصاحب لقاء جميلاً وأنزله في دار مزاحة العلل بفراش وطباخ وخازن ووكيل وبواب وغيره . ولما اقام عنده اسبوعاً استدعاه يوماً وقد أعد عنده أهل العلم من اصناف العلوم . ورتب لمناظرته انساناً ، من اهل الري وقد قرأ طرفاً من الطب . فسأله عن اشياء من امر النبض ، فعلم هو ما الغرض في ذلك . فبدأ وشرح أكثر مما تحتمله المسألة . وعلل تعليلات لم يكن في الجماعة من سمع بها . واورد شكوكا ملاجاً

«١» السلطان البويهي لقبه الخليفة بعد ان هزم الاتراك ودخـل بغداد وظفر بالعراق وجرجان وطبرستان بشاهنشاه « ٩٣٦ ص ٩٨٣ »

«٢» مدينة في ايران قاعدة اقليم فارس « ن . ر » .

«٣» وهي الجوارش أي القميحة ، وهي كالسفوف يتخذ للهضم .

«٤» وزير بني بويه واسمه ابو القاسم اسماعيل الطالقاني ولقب بالصاحب توفي في الري ودفن في اصفهان (٩٣٨ - ٩٩٥)(ن.ر).

وحلها ، فلم يكن في الحضور إلا من أكرمه وعظمه . وخلع عليه الصاحب خلعاً حسنة ، وسأله أن يعمل له كناشا يختص بذكر الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم ولا يخلط بها غيرها . فعمل كناشه الصغير وهو مقصور على ذكر الامراض العارضة من الرأس الى القدم حسبما أمر الصاحب به . وحمله اليه ، فحسن موقعه عنده ووصله بشيء قيمته الف دينار . وكان دائماً يقول : « صنفت مائتي ورقة أخذت عنها ألف دينار » . ورفع خبره الى عضد الدولة فأعجب به وزاد موضعه عنده. فلما عاد من الري دخل الى بغداد بزي جميل وأمر مطاع وغلمان وحشم وخدم ، وصادف من عضد الدولة ما يسره ويختاره .

قال وحدثني من اثق اليه انه دخل الاطباء ليهنئوه بوروده وسلامته . فقال ابو الحسين بن كشكرايا ، تلميذ سنان : يا أبا عيسى ، زرعنا وأكلت ، وأردناك تبعد فازددت قرباً ، لأنه كان كما تقدم ذكره . فضحك جبرائيل من قوله وقال له : ليس الامور الينا بل لها مدبر وصاحب . وأقام ببغداد مدة ثلاث سنين .

واعتل خسروشاه بن مبادر ملك الديلم [1] وآلت حاله إلى المراقبة ، ونحل جسمه ، وقوي استشعاره . وكان عنده اثنا عشر طبيباً من الري وغيرها ، وكلما عالجوه ازداد مرضه . فأنفذ الى الصاحب يلتمس منه طبيباً . فقال : ما أعرف من يصلح لهذا الأمر إلا أبو عيسى جبرائيل . فسأله مكاتبته لما بينهما من الانس ، وكاتب عضد الدولة يسأل انفاذه ويعلمه ان حاله قد آلت الى أمر لا يحتمل الونية في ذلك . فأنفذه مكرماً . فلما وصل الى الديلمي قال له : ما اعاجلك أو ينصرف من حولك من اطباء . فصرف الاطباء مكرمين ، وأقام عنده وسأله أن يعمل في صورة المرض مقالة يقف على حقيقته ، وتدبير يختاره ويعول عليه ، فعمل له مقالة ترجمها في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيا فرغما .

ولما اجتاز بالصاحب سأله عن أفضل استقساط البدن فقال : هو الدم فسأله أن يعمل له في ذلك كتاباً يبرهن عليه فيه ، فعمل في ذلك مقالة مليحة بين فيها البراهين التي تدل على هذا ، وكان في هذه المدة مستعجلاً لعمل كناشه الكبير .

ولما عاد الى بغداد وكان عضد الدولة قد مات ، فاقام ببغداد سنين مشتغلاً بالتصنيف فتمم كناشه الكبير وسماه « بالكافي » بلقب الصاحب بن عباد لمحبته له ، ووقف منه نسخة على دار العلم ببغداد . وعمل كتاب المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة ، وهو كتاب لم يعمل في الشرع مثله لكثرة احتوائه على الأقاويل ، وذكر المواضع التي استخرجت منها ؛ وأكثر فيه من أقوال الفلاسفة في كل معنى لغموضها وقلة وجودها ؛ وقلل من الأقاويل الشرعية لظهورها وكثرة وجودها ؛ وفي هذه المدة عمل مقالة في الرد على اليهود جمع فيها أشياء منها جواز النسخ من أقوال الانبياء ؛ ومنها شهادات على صحة

---

(١) القسم الجبلي من بلاد جيلان شمالي بلاد قزوين اعتنق اهله الاسلام وخدموا في جيش الخلفاء « ٩١٣ » «ن.ر.»

مجيء المسيح وانه قد كان ، وابطل انتظارهم له ؛ ومنها صحة القربان بالخبز والخمر وعمل مقالات أخر كثيرة صغاراً منها ، لم جعل من الخمر قربان وأصله محرم ؟ وأبان علل التحليل والتحريم .

وعرض له ان سافر الى بيت المقدس ، وصام به يوماً واحداً وعاد منه الى دمشق واتصل خبره بالعزيز ، رحمه الله ، وكوتب من الحضرة بكتاب جميل ، فاحتج ان له ببغداد أشياء يمضي وينجزها ويعود الى الحضرة قاصداً ليفوز بحق القصد فحين عاد الى بغداد أقام بها وعدل عن المضي الى مصر .

ثم ان ملك الديلم أنفذ خلفه واستدعاه ، فعند حصوله بالري وقف بها نسخة من كناشه الكبير . قال: وبلغني ان البيمارستان يعمل بها وانه يعرف به بين اطبائهم اذا ذكر ابو عيسى صاحب الكناش. واقام عند ملك الديلم مدة ثلاث سنين ، وخرج من عنده على سبيل الغضب ، وكان قد حلف له بالطلاق انه متى اختار الانصراف لا يمنعه فلم يمكنه رده .

وجاء الى بغداد وأقام بها مدة . ثم انه استدعي الى الموصل الى حسام الدولة فعالجه من مرض كان به . وجرى له معه شيء استعظمه ، وكان ابداً يعيده عنه . وذلك انه كانت له امرأة عليلة بمرض حاد ، فأشار بحفظ القارورة ، واتفق انه عند حسام الدولة وقال له : هذه الأمرأة تموت ، فانزعج لذلك ، ونظرت الجارية الى انزعاجه وصرخت وخرقت ثيابها وولت فاستدعاها في الحال وقال لها : جرى في أمر هذه الأمرأة شيء لا أعلمه ؟ فحافت أنها لم تجاوز التدبير . فقال : لعلكم خضبتموها بالحناء ، قالت : قد كان ذلك . فحرد وقال للجارية أقوالا ، ثم قال لحسام الدولة أبشر بعد ثلاثة أيام تبرأ ، فكان كما قال فعظم هذا عنده وكان أبداً يعيده ويتعجب منه .

ولما عاد الى بغداد كان العميد لا يفارقه ويلازمه ويبايته في دار الوزارة لاجل المرض الذي كان به ، وحظي لديه .

ثم ان الامير ممهد الدولة أنفذ اليه ولاطفه حتى أصعد الى ميافارقين ، فلما وصل اليه أكرمه الاكرام المشهور عند كل من كان يراه . ومن لطيف ما جرى له معه انه اول سنة ورد فيها سقى الامير دواء مسهلا وقال له : يجب ان تأخذ الدواء سحَراً ، فعمد الامير وأخذه أول الليل ، فلما أصبح ركب الى داره ، ووصل اليه ، واخذ نبضه ، وسأله عن الدواء ، فقال له : ما عمل معي شيئاً امتحاناً له ، فقال جبرائيل : النبض يدل على نفاذ دواء الامير وهو اصدق . فضحك ، ثم قال له : كم ظنك بالدواء ؟ فقال : يعمل مع الامير خمسة وعشرين مجلساً ، ومع غيره زائداً وناقصاً . فقال له . عمل معي الى الآن ثلاثة وعشرين مجلساً ، فقال : وهو يعمل تمام ما قلت لك . ورتب ما يستعمله وخرج من عنده مغضباً وأمر ان يشد رحله ، ويصلح اسباب الانصراف . فبلغ ممهد الدولة ذلك ، وانفذ اليه يستعلم خبر انصرافه . فقال : مثلي لا يجرب ، لانني اشهر من ان احتاج الى تجربة . فأرضاه وحمل اليه بغلة ودراهم لها قدر .

وفي هذه المدة كاتبه ملك الديلم بكتب جميلة يسأله فيها الزيارة ، وكاتب ممهد الدولة يسأله في ذلك . فمنع من المضي واقام في الخدمة ثلاث سنين ، وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب من شهور سنة

ست وتسعين وثلثمائة للهجرة ، وكان عمره خمساً وثمانين سنة ، ودفن بالمصلى بظاهر ميافارقين .

وللجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع من الكتب : **كناشه الكبير** ، الملقب بالكافي ، خمس مجلدات ألفه للصاحب بن عباد ، رسالة **في عصب العين** ، **مقـــالة في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيافرغما** ، الفها لخسروشاه بن مبـــادر ملك الديلم . **مقالة في ان افضل استقسات البدن هو الدم** ، ألفها للصاحب بن عباد ، **كتاب المطابقة بين قـــول الانبياء والفلاسفة** ، **مقالة في الرد على اليهود** ، **مقالة في انه لم جعل من الخمر قربان واصله محرم** .

عبيد الله بن جبرائيل

هو أبو سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس ابن جبرائيل . كان فاضلا في صناعة الطب ، مشهوراً بجودة الاعمال فيها ، متقناً لاصولها وفروعها ، من جملة المتميزين من اهلها والعريقين من اربابها ، وكان جيد المعرفة بعلم النصارى ومذاهبهم ، وله عناية بالغة بصناعة الطب ، وله تصانيف كثيرة فيها . واقام بميافارقين ، وكان معاصر ابن بطلان ويجتمع به ويأنس اليه وبينهما صحبة .

وتوفي عبيد الله بن جبرائيل في شهور سنة نيف وخمسين وأربعماية .

ولعبيد الله بن جبرائيل من الكتب : **مقالة في الاختلاف بين الالبان** ، ألفها لبعض اصدقائه في سنة سبع وأربعين وأربعماية ، **كتاب مناقب الاطباء** ، ذكر فيه شيئاً من احوالهم ومآثرهم ، وكان تأليفه لذلك في سنة ثلاث وعشرين واربعمائة ، **كتاب الروضة الطبية** كتب به الى الاستاذ ابي الحسن محمد بن علي ، **كتاب التواصل الى حفظ التناسل** ، الفه في سنة احدى واربعين وأربعماية ، **رسالة الى الاستاذ ابي طاهر بن عبد الباقي** المعروف بابن قطرمين جواباً عن مسألته في الطهـارة ووجوبها . **رسالة في بيان وجوب حركة النفس** . **كتاب نوادر المسائل** مقتضبة من عـــلم الاوائل في الطب . **كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر** ، **كتاب الخاص في علم الخواص** ، **كتاب طبائع الحيوان وخواصها ومنافع اعضائها** ألفه للامير نصير الدولة .

خصيب

كان نصرانياً من أهل البصرة ومقامه بها ، وكان فاضلا في صناعة الطب جيد المعالجة .

حدث محمد بن سلام الجمحي قال : مرض الحكم بن محمد بن قنبر المازني الشـــاعر بالبصرة فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه :

ولقد قلت لاهلي إذ أتوني بخصيب

لیس والله خصیب للذي بي بطبیب
إنما یعرف دأبي[1] من به مثل الذي بي
(الرمل)

وحدث ايضاً محمد بن سلام قال : كان خصيب الطبيب نصرانياً نبيلا ، فسقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة فمرض منها ، وحمل الى بغداد فمات بهـا ، وذلك في أول سنة خمسين ومائة . فاتهم خصيب فحبس حتى مات . فنظر في علته الى مائه وكان عالماً ، فقال: قـال جالينوس : ان صاحب هذه العلة اذا صار هكذا ماؤه لا يعيش ، فقيل له ان جالينوس ربما أخطأ فقال : ما كنت الى خطئه قط أحوج مني اليه في هذا الوقت ، ومات من علته !

عيسى المعروف بأبي قريش

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى ابن ماسة قال : اخبرني يوحنا بن ماسويه أن أبا قريش كان صيدلانياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة ، وكان ديناً صالحـاً في نفسه ، وان الخيزران [2] جارية المهدي [3] وجهت بمائها مع جارية لها الى الطبيب، فخرجت الجارية من القصر فأرت أبا قريش الماء فقال لها : هذا ماء امرأة حبلى بغلام ، فرجعت الجارية بالبشارة ، فقالت لها : ارجعي اليه واستقصي المسألة عليه . فرجعت فقالت لهـا : ما قلت لك حق ، ولكن لي عليك البشرى . فقالت : كم تريدين البشرى ؟ قال : جامة فالوذج [4] وخلعة سنية فقالت لها : ان كان هذا حقاً فقد سقت الى نفسك خير الدنيا ونعيمها . وانصرفت . فلما كان بعد أربعين يومـاً أحست الخيزران بالحمل فوجهت ببدرة دراهم وكتمت الخبر عن المهدي . فلمـا مضت الايام ولدت موسى اخا هرون الرشيد . فعند ذلك اعلمت المهدي وقالت له : ان طبيباً على الباب أخبر بهذا منذ تسعة اشهر . وبلغ الخبر جورجس بن جبرائيل فقال : كذب ومخرقة . فغضبت له الخيزران وأمرت فاتخذ بين يديها مائة خوان فالوذج ، ووجهت بذلك اليه مع مائة ثوب ، وفرس بسرجه ولجامه .

وما مضى بعد ذلك الا قليل حتى حبلت باخيه هرون الرشيد . فقال جورجس للمهدي جرب أنت هذا الطبيب ! فوجه اليه بالماء فلما نظر اليه قال : هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بغـلام آخر . فرجعت الرسالة بذلك الى المهدي وأثبت اليوم عنده ، فلما مضت الايام ولدت هرون ، فوجه المهدي إلى ابي قريش فاحضره وأقم بين يديه ، فلم يزل يطرح عليه الخلـع وبدر الدنانير والدراهم

«١» هكذا ورد في ـ طبعة سابقة ـ واظن انها على الاصح دائي .
«٢» جارية اشتراها المهدي واعتقها ثم تزوجها واولدها موسى الهادي وهارون الرشيد .
«٣» ابن المنصور ، وهو ثالث الخلفاء العباسيين . وفي ايامه ظهرت الدعوة للامويين في الاندلس .
«٤» معرب بالوزه وهكذا تعرف اليوم وهي حلواء تعمل من لباب الحنطة ـ ن. ر ـ

حتى علت رأسه ، وسير هرون وموسى [1] في حجره ، وكناه أبا قريش أي ابا العرب . وقال لجورجس : هذا شيء انا بنفسي جربته . فصار أبو قريش نظير جرجس بن جبرائيل بل اكبر منه ، حتى تقدمه في المرتبة . وتوفي المهدي واستخلف هرون الرشيد ، وتوفي جرجس وسار ابنه تبع أبي قريش في خدمة الرشيد ، ومات أبو قريش وخلف اثنين وعشرين ألف دينار مع نعمة سنية .

وقال يوسف بن ابراهيم : حدثني العباس بن علي بن المهدي : أن الرشيد اتخذ مسجداً جامعاً في بستان موسى الهادي ، وامر اخوته وأهل بيته بحضوره في كل يوم جمعة ليتولى الصلاة بهم فيه . قال فحضر والدي علي بن المهدي ذلك المسجد في يوم حار ، وصلى فيه وانصرف الى داره بسوق يحيى . فكسبه حر ذلك اليوم صداعاً كاد يذهب ببصره . فأحضر له جميع متطببي مدينة السلام ، وكان آخر من احضر منهم عيسى أبو قريش ، فوافاهم قد اجتمعوا للمناظرة . فقال : ليس يتفق للجماعة رأي حتى يذهب بصر هذا . ثم دعا بدهن بنفسج وماء ورد وخل خمر وثلج ، فجعل في مضربة من ذلك الدهن بقدر وزن درهمين ، وصب عليه شيئاً من الخل وشيئاً من الماء ، وفت فيه شيئاً من الثلج وحرك المضربة حتى اختلط جميع ما فيها ، ثم أمر بتصبير راحه منه وسط رأسه والصبر عليه حتى ينشفه الرأس ، ثم زيادة راحة أخرى . فلم يزل يفعل ذلك ثلاث مرات أو أربع حتى سكن عنه الصداع وعوفي من العلة .

قال يوسف : وحدثتني شكلة ام ابراهيم ابن المهدي أن المهدي هتف بها وهي معه في مضربه بالربدة[2] من طريق مكة بلسان متغير أنكرته فصارت اليه وهو مستلق على القفا، فامرها بالجلوس. فلما جلست وثب فعانقها معانقة الانسان لمن يسلم عليه ، ثم عبرها الى صدره وزال عنه عقله . فجهد جميع من حضرها بان يخلص يديه من عنقها فما وصلوا الى ذلك . وحضر المتطببون فاجمعوا على أن الذي به فالج . فقال عيسى أبو قريش : المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن العباس يضربه فالج ؟ لا والله لا يضرب أحداً من هؤلاء ولا نسلهم فالج أبداً إلا ان يبذروا بذورهم في الروميات والصقلبيات وما اشبههن فيعرض الفالج لمن ولده الروميات وأشباههن من نسلهم . ثم دعا بالحجام فحجمه ، فوالله ما ان خرج من دمه الا محجمة واحدة حتى رد اليه يديه . ثم تكلم مع المَحْجَمَةِ الثانية، ثم ثاب اليه عقله قبل فراغ الحجام من حجامته . ثم طعم بعد ذلك ودعا بام أسماء بنت المهدي فواقعها فاحبلها باسماء .

قال يوسف : ولما اشتدت بابراهيم بن المهدي علته التي توفي فيها ، استرخى لحيه ، وغلظ لسانه في فيه فصعب عليه الكلام . وكان اذا تكلم توهمه سامعه مفلوجاً . فدعاني وقت صلاة العصر من يوم الثلاثاء لست خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين فقال لي: « اما تعجب من عرض هذه

(١) الخليفة العباسي الرابع قتل بعد توليه الخلافة بسنة بسعاية الخيزران ام الرشيد لأنه ولى اخيه جعفر عل الرشيد . وفي عهده غزا العرب اسيا الصغرى .

(٢) قرية قرب المدينة فيها قبر ابي ذر الغفاري (ن. ر)

العلة التي لم تعرض لأحد من ولد أبي غير اسماعيل بن موسى أمير المؤمنين ومحمد بن صالح المسكين . وانما عرضت لمحمد لأن أمه كانت رومية ، وأم أبيه كانت كذلك . وكانت ام اسماعيل رومية . وأنا فلم تلدني رومية ، فما العلة عندك في عرض هذه العلة لي ؟ فعلمت انه كان حفظ عن أمه قول عيسى أبي قريش في المهدي وولده انه لا يعرف لعقبه الفالج الا ان يبذروا بذورهم في الروميات ، وانه قد أمل ان يكون الذي به فالجاً لا عارض الموت . فقلت : « لا أعرف لانكارك هذه العلة معنى ، اذ كانت أمك التي قامت عنك دنباونديّة ودنباوند[1] أشد برداً من كل أرض الروم» فكأنه تفرج الى قولي وصدقني وأظهر السرور بما سمع مني . ثم توفي في وقت طلوع الفجر من يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن المهدي أن لحم عيسى بن جعفر بن المنصور كثر عليه حتى كاد أن يأتي على نفسه . وان الرشيد اغتم لذلك غماً شديداً أضر به في بدنه ومنعه لذة المطعم والمشرب ، وأمر جميع المتطببين بمعالجته . فكلهم دفع ان يكون عنده في ذلك حيلة . فزادوا الرشيد غماً الى ما كان عليه منه . وان عيسى المعروف بأبي قريش صار الى الرشيد سراً فقال « له : يا امير المؤمنين ، ان اخاك عيسى بن جعفر رزق معدة صحيحة وبدناً قابلاً للغذاء احسن قبول ، وجميع الامور جارية له بما يحب ، فليس يتمنى شيئاً الا تم له على اكثر مما يحبه .وقد وقي موت احبته ، ودخول النقص في ماله ، والظلم من ناحية سلطانه ، والاستقصاء عليه . والابدان متى لم تختلط على اصحابها طبائعهم واحوالهم فتنالهم العلل في بعض الاوقات ، والصحة في بعضها والغموم في بعضها، والسرور في بعضها ورؤية المكاره في بعضها والمحاب في بعضها ، وتدخلها الروعة احياناً ، والفرح احياناً ، لم يؤمن على صاحبها التلف . لان لحمه يزداد حتى تضعف عن حمله العظام ، وحتى يغمر فعل النَّفَس ، وتبطل قوى الدماغ والكبد . ومتى كان هذا عدمت الحياة ، وأخوك هذا ان لم تظهر موجدة عليه او تغير له او تقصده بما ينكي قلبه من حيازة مال او أخذ عزيز عليه من حرمه ، لم آمن عليه تزايد هذا الشحم حتى يتأتي على نفسه . فان احببت حياته فافعل ذلك به والا فلا اخ لك . »

فقال الرشيد : انا اعلم أن الذي ذكرت على ما قلت . غير انه لا حيلة عندي في التغير له او غمه بشيء من الاشياء ، فان تكن عندك حيلة في امره فاحتل بها . فاني اكافئك عنه متى رايت لحمه قد انحط بعشرة آلاف دينار ، وآخذ لك منه مثلها . فقال عيسى : عندي حيلة إلا اني اتخوف ان يعجل على عيسى بالقتل فتتلف نفسي . فليوجه معي امير المؤمنين خادماً جليلاً من خدمه ، ومعه جماعة يمنعونه مني ان امر بقتلي . ففعل ذلك به وسار اليه ، فجسه واعلمه أنه يضطر إلى مجسة عرقه ثلاثة ايام قبل ان يذكر له شيئاً من العلاج . فأمره عيسى بالانصراف والعود اليه . ففعل ذلك وعاد في اليوم الثاني والثالث . فلما فرغ من مجسة عرقه قال له : « ان الوصية مباركة ، وهي غير مقدمة

---

(١) جبل شاهق في ناحية كرمان وكذلك في ناحية الري الذي غرب اليه ابا الحنكة لمعاناته النيرنج ـ وهو اخذ كالسحر وليس به ـ .

ولا مؤخرة ، وانا ارى للامير ان يعهد فان لم يحدث حادث قبل اربعين يوماً عالجته في ذلك بعلاج لا يمضي به إلا ثلاثة ايام حتى يخرج من علته هذه ، ويعود بدنه الى احسن مما كان عليه . » ونهض من مجلسه وقد اسكن قلب عيسى من الخوف ما امتنع له من اكثر الغــذاء ، ومنعه من النوم فلم يبلغ اربعين يومــاً حتى انحط من منطقته خمس بشيزجات ، واستتر عيسى ابو قريش في تلك الايام عن الرشيد خوفاً من اعلام الرشيد عيسى بن جعفر تدبير عيسى المتطبب لاسكان الغم قلبه ، فيفسد عليه تدبيره . فلما كان ليلة يوم الاربعين سار الى الرشيد وأعلمه انه لا يشك في نقصان بدن عيسى ، وسأله احضاره مجلسه او الركوب اليه ، فركب اليه الرشيد ، فدخل عليه ومعه عيسى ، فقال له عيسى : « اطلق لي يا امير المؤمنين قتل هذا الكافر فقد قتلني » . واحضر منطقته فشدها في وسطه وقال : يا أمير المؤمنين نقص هذا العدو ، والله ، من بدني بما ادخل علي من الروع خمس بشيزجات ، فسجد الرشيد شكراً لله ، وقال له : يا اخي مَتَعْتَ (١) بك بابي عيسى – وكان الرشيد كثيراً ما يقول له بابي عيسى – ردت اليك بعد الله الحياة ، ونعم الحيلة احتال لك ، وقد امرت له بعشرة آلاف دينار فأوصل اليه مثلها . ففعل ذلك له وانصرف المتطبب الى منزله بالمال ، ولم يرجع إلى عيسى بن جعفر ذلك الشحم الى ان فارق الدنيا .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن المهدي انه اعتل بالرقة مع الرشيد عــلة صعبة ، فامر الرشيد بحدره الى والدته بمدينة السلام ، فكان بختيشوع جد بختيشوع الذي كان في دهرنا هذا لا يزايله ويتولى علاجه . ثم قدم الرشيد مدينة السلام ومعــه عيسى أبو قريش ، فذكر أن أبا قريش أتاه عائداً ، فرأى العلة قد أذهبت لحمه واذابت شحمه واسارته الى اليأس من نفسه ، وكان اعظم ما عليه في علته شدة الحمة . قال ابو اسحق ، فقال لي عيسى وحق المهدي لاعالجنك غداً علاجاً يكون به برؤك قبل خروجي من عندك . ثم دعا القهرمان بعد خروجه فقال له لا تدع بمدينة السلام أسمن من ثلاثة فراريج كسكرية تذبحها الساعة ، وتعلقها في ريشها حتى آمرك فيها بامري غداة غد . ثم بكر إلي ومعه ثلاث بطيخات رمشية قد بردها في الثلج ليلته كلها فلما دخــل علي دعا بسكين فقطع لي من احداهن قطعة ثم قال لي : كل هذه القطعة ، فاعلمته أن بختيشوع كان يحميني من رائحة البطيخ ، فقال لي : لذلك طالت علتك ، فكل فانه لا بأس عليك » . فأكلت القطعة التذاذاً مني لهــا ثم امرني بالاكل ، فلم أزل آكل حتى استوفيت بطيختين . ثم انتهت نفسي فقطــع من الثالثة قطعة وقال : جميع ما أكلت للذة فكل هذه القطعة للعلاج . فأكلتها بتكره . ثم قطع قطعة اخرى وأوما الى الغلمان باحضار الطشت وقال لي : كل هذه القطعة أيضاً . فما أكلت ثلثها حتى جاشت نفسي وذرعني القيء فتقيأت أربعة أضعاف ما أكلت من البطيخ ، وكل ذلك مرة صفراء . ثم اغمي علي بعد ذلك القيء وغلب علي العرق والنوم الى بعد صلاة الظهر ، فأنتبهت وما اعقل جوعاً ، وقد كانت شهوة الطعام ممتنعة مني ، فدعوت بشيء آكله ، فاحضرني الفراريج الثلاثة ، وقد طبخ لي منهــا

---

(١) متع بفلان كاذبه .

سكباج وأجادها طهاتها فاكلت منها حتى تضلعت ، ونمت بعد أكلي الى آخر اوقات العصر ، ثم قمت وما أجد من العلة قليلاً ولا كثيراً ، واتصل بي البرء فما عادت إلي تلك العلة منذ ذلك اليوم .

اللجلاج

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني اسمعيل بن ابي سهل بن نوبخت [١] ان أباه أبا سهل ، حدثه : أن المنصور لما حج حجته التي توفي فيها ، رافق ابن اللجلاج متطبب المنصور ، فكانا متى نام المنصور تنادما الى أن سأل ابن اللجلاج ، [٢] وقد عمل فيه النبيذ ، أبا سهل عما بقي من عمر المنصور . قال اسمعيل : فاعظم ذلك والدي وقطع النبيذ وجعل على نفسه أن لا ينادمه ، وهجره ثلاثة ايام ، ثم اصطلحا بعد ذلك ، فلما جلسا على نبيذهما ، قال ابن اللجلاج لابي سهل : « سألتك عن علمك ببعض الامور فبخلت به وهجرتني ، ولست أبخل عليك بعلمي فاسمعه » ثم قال : « ان المنصور رجل محرور تزداد يبوسة بدنه كلما أسن ، وقد حلق رأسه بالحيرة ، وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية [٣] وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولي في تركها ، ولا أحسبه يبلغ الى فيد [٤] حتى يحدث في دماغه من اليبس ما لا يكون عندي ولا عند احد من المتطببين حيلة في ترطيبه. فليس يبلغ فيد ، إن بلغها ، إلا مريضاً ؛ ولا يبلغ مكة ، ان بلغها ، وبه حياة . قال اسمعيل ، قال لي والدي : فوالله ما بلغ المنصور فيد إلاوهو عليل ؛ وما وافى مكة الا وهو ميت ، فدفن ببئر ميمون [٥].

قال يوسف : فحدثت ابراهيم بن المهدي بهذا الحديث فاستحسنه ، وسألني عن اسم أبي سهل بن نوبخت فاعلمته باني لا أعرفه . فقال ان الخبر في اسمه أطرف من حديثك الذي حدثتني عن ابنه ، فاحفظ عني . ثم قال لي : حدثني أبو سهل بن نوبخت ، أنه لما ضعف عن خدمة المنصور أمره المنصور باحضار ولده ليقوم مقامه ، قال ابو سهل : فادخلت على المنصور فلما مثلت بين يديه قال لي : تسم لامير المؤمنين ؟ فقلت : خرخشا ذماه طيماذاه ماذرياد خسرو بهمشاذ . فقال لي : كل ما ذكرت اسمك ؟ قلت : نعم ، فتبسم ثم قال لي : ما صنع أبوك شيئاً ؛ فاختر مني خلة من خلتين ، قلت : وما هما ؟ قال : اما أن اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ ، واما أن اجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل قال ابو سهل : قد رضيت بالكنية . فثبت كنيته وبطل اسمه . فحدث بهذا الحديث اسماعيل بن ابي سهل فقال : صدق أبو اسحق ، كذا حدثني والدي .

---

(١) بنو نوبخت عائلة اشتهرت في بغداد بنفوذها ومطالبتها بحقوق اهل الشيعة .

(٢) الخليفة العباسي الثاني وفي عهده تأسست بغداد فصارت عاصمة العباسيين توفي سنة ٧٧٥ .

(٣) اخلاط من الطيب .

(٤) موضع بالبادية او قلعة او بلدة في طرف مكة في منتصف الطريق من الكوفة (ن ر) .

(٥) بئر بمكة .

عبدالله الطيفوري

كان حسن العقل ، طيب الحديث على لكنة سوادية كانت في لسانه شديدة لان مولده كان في بعض قرى كسكر كان من احظى خلق الله عند الهادي .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني الطيفوري انه كان متطبباً لطيفور الذي كان يقول انه أخو الخيزران والناس يقولون أو أكثرهم انه مولى الخيزران ولما وجه المنصور المهدي الى الري لمحاربة سنقار ، حمل المهدي الخيزران ، وهي حامل بموسى ، وخرج طيفور معها وأخرجني معه ، ولم تكن الخيزران علمت بما رزقت من الحمل . وكان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانياً في العسكر ، فلما تبينت الخيزران ارتفاع العلة بعثت بمائها مع عجوز ممن معها وقالت لها : « أعرضي هذا الماء على جميع المتطببين الذين في عسكر المهدي ، وجميع من ينظر في ذلك » . ففعلت العجوز ، وكنا في ذلك الوقت بهمدان [1]. واجتازت في منصرفها بخيمة عيسى فرأت جماعة من غلمان اهل العسكر وقوفاً يعرضون عليه قوارير الماء فكرهت ان تجوزه قبل ان ينظر الى الماء ، فقال لها ، عند نظره الى الماء : « هذا ماء امرأه ، وهي حامل بغلام » ، فأدت [2] العجوز عنه ما قال الى الخيزران . فسجدت شكراً لله وأطلقت عدة مماليك ، وسارت الى المهدي فأخبرته بما قالت العجوز فاظهر من السرور بذلك اكثر من سرورها ، وأمر بأحضار عيسى ، وسأله عما قالت العجوز فأعلمه ان الأمر على ما ذكرت . فوصله ووصلته الخيزران بمال جليل ، وأمره بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة .

قال الطيفوري : فاراد طيفور ان ينفعني فارسل الى الخيزران إن متطببي ماهر بصناعة الطب فابعثي اليه بالماء حتى يراه . ففعلت ذلك في اليوم الثاني ، فقال : لي قل مثل قول عيسى فاعلمته أن الماء يدل على انها حامل، فاما تميز الغلام من الجارية فذلك ما لا أقوله . فجهد بي كل الجهد أن اجيبه الى ذلك فلم افعل صيانة لنفسي عن الاكتساب بالمخرقة . فأدى قولي اليها فامرت لي بألف درهم واحد وأمرت بملازمتها . فلما وافت الري ولدت بها الهادي . وصح عند المهدي أن ابا قريش عنين [3] بعد ان امتحن بكل محنة ، فسر بذلك واحظاه وتقدم عنده على جميع الخصيان . وكان ذلك من اسباب الصنع لي . فضممت الى امير المؤمنين موسى ودعيت متطببه وهو رضيع وفطيم .

ثم ولدت هرون الرشيد بالري ايضاً فكان مولده كان شؤماعلى الهادي لان الحظوة كلهاأو اكثرها صارت له دونه . فأضر بي ذلك في جاهي ، وما كنت فيه من كثرة الدخل ، الى ان ترعرع موسى ففهم الامر . فكان ذلك مما زاد في جاهي وجميل رأيه في . فكان ينيلني من افضاله أكثر مما كانت الخيزران تنيلنيه ، وفتح الله على المهدي وقتل سنقار وطراحته شهريار أبا مهرويه : وخلد ، وبسخنز

---

(١) مدينة في ايران جنوبا بقرب منها قبر ابن سينا .

(٢) اسرعت .

(٣) مصاب بالعنة وهي عدم القدرة على مقارفة النساء (ن.ر) .

أبا الحرث بن بسخنز ، والربعين وسبى ذراريهم ، فكان من ذلك السبي مهرويه وخلد وقرابتها شاهك وكانت على مائدة شهريار وهي ام السندي ابن شاهك[1] ، وكان منهـم الحرث بن بسخنز ، وجميع هؤلاء الموالي الرازيين .

ثم أدرك الهادي وأفضت الخلافة الى المهدي فاتصل بي الامر وعظم قدري لاني صرت متطبب ولي العهد . ثم ملك الهادي أمة العزيز ، فكانت اعز عليه من جلدة ما بين عينيه ، وهي أم جعفر وعبدالله واسمعيل واسحق وعيسى المعروف بالجرجاني وموسى الأعمى ، وام عيسى زوج المأمون وأم محمد وعبيدالله ابنتيه . فبناني موسى الهادي جميع ولدها ، وأعلم أمة العزيز أنه يتبرك بي ،فنلت منها اكثر من أملي مما كان من الهادي.

ثم دبر الهادي البيعة لابنه جعفر ابن موسى ، فدعاني قبل البيعة بيوم فخلع علي وحملني على دابة من دواب رحله بسرجه ولجامه ، وأمر لي بمائة الف حملت الى منزلي ، وقـال : لا تبرح الدار باقي يومك وليلتك واكثر نهار غدك حتى ابايع لابنك جعفر ، فتنصرف الى منزلك وأنت انبل الناس لانك توليت تربية ابن خليفة صار ولي العهد ، ووَلِيَ وليُّ العهد الخلافة فربيت ابنه الى أن صار ولي عهده وبلغ أمة العزيز الخبر ، ففعلت بي مثل الذي فعل الهادي من الصلة وحُمّلت إلى منزلي ثياب صحاح ، ولم تحملني على دابة وأقمت في الدار بعيساباذ الى أن طلعت الشمس من غد اليـوم الذي نلت فيه ما نلت .

ثم جلس الهادي وقد أحضر جميع بني هاشم فاخذت عليهم البيعة لجعفر ، وأحلفوا عليهـا وعلى خلع الرشيد . ثم آل زائدة فكان يزيد بن مزيد أول من خلع الرشيـد وبايع جعفر بعده ، ثم شراحيل بن معن بن زائدة وأهل بيته ، ثم سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم ؛ ثم آل مالك . وكان أول من بايع منهم عبدالله : ثم الصحابة وسائر مشايـخ العرب ، ثم القواد . فـما انتصف النهار الا وقد بايع اكثر القواد ، وكان في القواد هرثمة بن أعين ولقبه المشؤوم ، وكان المنصور قد قوّده على خمسمائة ولم يكن له حركة بعد أن قود فتوفي اكثر أصحابه،ولم يثبت له مكان من توفي منهمفاحضروه وأمروه بالبيعة . فقال له : يا امير المؤمنين ، لمن ابايـع ؟ فقال له لجعفر بن امير المؤمنين . قال : ان يميني مشغولة ببيعة امير المؤمنين وشمالي مشغولة ببيعة هرون فابايع بماذا ؟ فقال له : تخلع هارون وتبايـع جعفراً . فقال : « يا امير المؤمنين ، أنا رجل ادين بنصيحتك ونصيحة الائمة منكم اهل البيت وبالله لو تخوفت ان تحرقني على صدقي اياك بالنار لما حجزني ذلك عن صدقك . ان البيعة ، يا امير المؤمنين ، انما هي ايمان وقد حلفت لهارون بمثل ما تستحلفني به لجعفر . وان خلعت اليوم هارون خلعت جعفر في غد ؛ وكذلك جميـع من حلف لهرون على هذا فغدر به . قال ، فاستشاط موسىمن قوله وأمر بوجء[2] عنقه . وتسرعت جماعة من المـوالي والقواد نحوه بالجرزة[3] والعمد ، فنهاهم

(١) صاحب الحبس على ايام المهدي .
(٢) ضربه بالسكين وقطعه .
(٣) الأعمدة من حديد .

الهادي عنه .

ثم عاوده الامر بالبيعة فقال : يا امير المؤمنين قولي هذا قولي الاول . فزبره [1] الهادي وقال له : اخرج الى لعنة الله ، لابايعت ولا بايع اصحابك الف سنة » . ثم امر بإخراجه من الدار بعيساباذا واسقاط قيادته ، وقال : أطلقوه لينفذ حيث أحب ، لاصحبه الله ولا كلأه . ثم وجم مقدار نصف ساعة لا يأمر ولا ينهى ، ثم رفع رأسه ، وقال لبندون خادمه : الحق الفاجر . فقال له : الحقه فأصنع به ماذا ؟ فقال: ترده على امير المؤمنين . قال ، فلحقه بندون فيما بين باب خراسان وباب بردان بالقرب من الموضع المعروف بباب النقب وهو يريد منزله على نهر المهدي فرده . فلما دخل قال له : يا حائك تبايع أهل بيت امير المؤمنين فيهم عم جده وعم ابيه وعمومته واخوته وسائر لحمته ، وتبايع وجوه العرب والموالي والقواد ، وتمسك أنت عن البيعة ؟ فقال هرثمة : يا أمير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من اشراف الناس ؟ ألا ان الامر على ما حكيت لك ، انه لا يخلع اليوم احد هرون ويبقى في غد لجعفر . »

قال الطيفوري : فالتفت الهادي الى من حضر مجلسه فقال لهم : شاهت الوجوه ، صدق والله هرثمة وبر ، وغدرتم . وأمر الهادي عند هذا الكلام لهرثمة بخمسين الف درهم ، وأقطعه الموضع الذي لحقه فيه بندون ، فسمي ذلك الموضع عسكر هرثمة الى هذه الغاية . وانصرف الناس كلهم ، في أمر عظيم من أمر ذي قدر ، قد غمه ما لقيه به الخليفة . ومما يتوقعه من البلاء إن حدث بالهادي حادث ، لمسارعتهم الى خلع الرشيد ، ومن بطانته لجعفر قد كانوا أملوا خلافة صاحبهم ، والغنى بما قد قلد منها ، فصاروا يتخوفون على نفس صاحبهم التلف . وعلى أنفسهم ان سلموا من القتل والبلاء والفقر .

ودخل موسى الهادي على أمة العزيز فقالت له : « يا أمير المؤمنين ما أحسب احداً عاين ولا سمع بمثل ما عاينا وسمعنا ، فانا اصبحنا في غاية الأمل لهذا الفتى ، وأمسينا على غاية الخوف عليه . فقال : « ان الأمر لعلى ما ذكرت وأزيدك واحدة » . قالت : « وما هي يا أمير المؤمنين » ؟ قال : « أمرت برد هرثمة لأضرب عنقه . فلما مثل بين يدي حيل بيني وبينه واضطررت الى ان وصلته واقطعته ، وأنا على زيادة ورفع مرتبته والتنويه باسمه ، » فبكت أمة العزيز ، فقال لها : « ارجو ان يسرك الله » . فتوهمت وتوهم جميع من يطيف بها انه على اغتيال الرشيد بالسم ، فلم يمهل ولم تمض به ليال قلائل حتى توفي الهادي وولي الخلافة هرون الرشيد ، فوالله لقد أحسن غاية الاحسان في أمر جعفر وزاده نعماً الى نعمه وزوجه أم محمد ابنته .

قال يوسف بن ابراهيم ، وحدثني أبو مسلم عن حميد الطائي المعروف بالطوسي — ولم يكن حميد طوسياً ، وكانت كورته في الديوان مرو ، وكذلك كورة طاهر مرو ، والطاهر ولي بوشنج ؟ وموسى ابن أبي العباس الشاشي لم تكن كورته الشاش، وكورته هراة ، ومحمد بن أبي الفضل الطوسي كورته

(١) انتهره .

نسا ، وهو منسوب الى طوس ؛ والسبب في نسب هؤلاء وعدة من اصحاب الدولة الى غير كورهم أن منهم من كان مخرجه في كورة فنسب الى الكورة التي فيها ضياعه ، ومنهم من ولي بـــلداً طالت فيه ولايته إياه فنسب الى ذلك البلد – قال ابو مسلم : اعتل ابو غانم ، يعني أباه ، علة صعبة فتولى علاجه منها الطيفوري المتطبب ، وكان في ابي غانم حدة شديدة تخرجه الى قذف اصحابه ، والى الاقدام بالمكروه عليهم . فاني لواقف على رأسه وانا غلام في قبادر زبيرون اذ دخل عليه الطيفوري فجس عرقه ونظر الى مائه ، ثم ناجاه بشيء لم افهمه ، فقال له : كذبت يا ماص بظر [1] أمه ، فقال له الطيفوري : أعض الله ، أكذبنا بكذا وكذا من أمه . فقلت في نفسي ذهبت والله نفس الطيفوري. فقال أبو غانم : « يا ابن الكافرة لقد أقدمت ، ويلك ، كيف اجترأت علي بهذا ؟ » فقـــال له : « والله ما احتملت سيدي الهادي قط على لقائي بحرف خشن » ولقد كان يقذفني فارد عليه مثل قوله فكيف احتمل لك وأنت كلب قذفي ؟ » فحلف لي ابو مسلم انه رأى أباه ضاحكاً باكياً يفهم في بعض أسرة وجهه الضحك ، وفي بعضها البكاء . ثم قال له : « والله ! انك كنت ترد على امـــير المؤمنين الهادي القذف الذي كان يقذفك به » ؟ فقال له الطيفوري : اللهم نعم . فقـــال ، له : فأسألك بالله لما أحببت في عرض حميد ما أحببت ، وقذفته بما شئت من القذف ؛ متى قذفتك ؟ ثم بكى على الهادي بكاء كثيراً .

قال يوسف : فسألت الطيفوري عما حدثني به ابو مسلم من ذلك ، فبكى حتى تخوفت عليه الموت مما تداخله من الجزع عند ذكر حميد وقال: والله ما عاشرت بعد الهادي أحر نفساً ، ولا أكرم طبعاً ، ولا اطيب عشرة ، ولا أشد انصافاً من حميد ؛ إلا انه كان صاحب جيش ، فكان يظهر ما يجب على أصحاب الجيوش اظهاره ، فاذا صار مع اخوانه كان كأنه من المنقطعين اليهم لا من المفضلين عليهم . »

قال يوسف : وحدثني الطيفوري انه كان مع حميد الطوسي بقصر ابن هبيرة أيام تغلب صاحبنا على مدينة السلام وما والاها ، فقدمت عليه جماعة من جبل طيء عليهم رئيس لهم يقدمونه على أنفسهم، ويقرون له بالفضل والسؤدد عليهم . فأذن له في الدخول عليه في مجلس عام قد احتشد لاظهار عدده فيه ، ثم قال لذلك الرئيس : « ما أقدمك يا ابن عم ؟ » فقال له : قدمت مدداً لــك اذ كنت على محاربة هذا الدعي لما لا يجب له ولا يستحقه ، يعني صاحبنا . فقال له حميد : « لست أقبـل مدداً إلا من وثقت بصرامته ، وقوة قلبه ، واحتماله لما تصعب على أكثر الناس في نصرتي ؛ ولا بـــد من امتحانك ، فان خرجت على المحنة قبلتك ، والا رددتك الى أهلك » . فقال له الطائي : « فامتحني بما أحببت ! » فأخرج حميد عموداً من تحت مصلاه ثم قال له : « ابسط ذراعك » . فبسط ذراعه ، فحمل حميد العمود على عاتقه ثم هوى به الى ذراع الطائي . فلما قرب العمود من ذراعه رفع يــــده فاظهر حميد غضباً عليه ، ثم قال له : رددت يدي . فترضاه الطائي ثم دعــاه الى معاودة امتحانه . فأمره حميد باظهار ذراعه ، ففعل ، فرفع حميد العمود ليضرب به ذراعه . فلما قرب العمود من ذراع

(١) البظر ما يقطع في ختان الجارية . وقوله يا ماص بظر أمه شتيمة وتحقيراً .

الطائي فعل مثل فعله في المرة الاولى . فلما جذب ذراعه ولم يمكن حميداً من ضربهـا بالعمود أمر بسجنه بعد سحبه في مجلسه ، وأخذ دوابـه ودواب أصحابه وطردهم من معسكره . فانصرفوا من عنده رجالة بأسوأ حال .

قال الطيفوري فلمته على ما كان منه . فاستضحك ثم قال لي : « قد أطلقت لك الضحك مني ، والاستهزاء بي ، وقذف عرضي متى تكلمت في الطب بحضرتك بشيء تنكره . فأما قيادة الجيوش فذلك ما ليس لك فيه حظ ، فلا تنكرن مخالفة رأيك رأيي » . ثم قال لي : أنا رجـل من يمن ، وكان الرسول ، ﷺ ، مضريا ، والخلافة في أيدي مضر . فكما اني أحب قومي فكذلك الخلفـاء تحب قومها ؛ وان أظهرت ميلاً الى قومي في بعض الاوقات ، وانحرافاً عمن هو أمس بها رحماً مني ، فاني غير شاك في ميلها اليهم اذا حقت الحقائق . ومعي من أبناء نزار بشر كثير . وكان في استشعاري من قدم علي من قومي مفسدة لقلوب من قد امتحنته ، وعرفت بـلاءه من النزارية . ولست أدري لعل كل من أتاني من عشيرتي لا يساوي رجلاً واحداً من النزارية ، فاردت بمـا كان مني استجلاب قلوب من معي ، وأن ينصرف من أتاني من عشيرتي منذرين لا مبشرين . لانهم متى انصرفوا منذرين انقطعت عنا مادتهم ، ومتى انصرفوا مبشرين أتاني منهم من لا يسعه مال ما في ايدينا من السواد » .
فعلمت أنه قد أصاب التدبير ولم يخطىء فيما بنى عليه امره .

زكريا بن الطيفوري

قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني زكريا بن الطيفوري قـال : كنت مع الافشين [1] في معسكره وهو في محاربة بابك [2] فأمر باحصاء جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم ، وصناعة رجـل رجل منهم ، فرفع ذلك اليه . فلما بلغت القراءة بالقارىء الى موضع الصيادلة قال لي : « يا زكريا ، ضبط هؤلاء الصيادلة عندي أولى ما تقدم فيه ، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره ، ومن له دين ومن لا دين له » . فقلت : « اعز الله الامير ، ان يوسف لقوة الكيميائي كان يدخـل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه . فقال له يوماً : ويحك يا يوسف، ليس في الكيمياء شيء ؟ فقال له: « بلى يا أمير المؤمنين ، وانما آفة الكيمياء الصيادلة . قال له المأمون : ويحك ، وكيف ذلك ؟ فقال: يا أمير المؤمنين ، ان الصيدلاني لا يطلب منه انسان شيئاً من الأشياء كان عنده أو لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ،ودفـع اليه شيئاً من الأشياء التي عنده ، وقال هذا الذي طلبت . فان رأى أمير المؤمنين أن يضـع اسماً لا يعرف ، ويوجه جمـاعة الى الصيادلة في طلبه ليبتاعه فليفعل . فقال له المأمون : قد وضعت الاسم وهو سقطيثا – وسقطيثا ضيعة تقرب من مدينة السلام . ووجه

---

(١) هو قائد جيوش المعتصم . رمي بالكفر ومات في السجن جوعاً .

(٢) زعيم فرقة الخرمية من الاسماعيليين . حارب المعتصم وانكسر ثم صلب سنة ٨٣٨ (ن. ر)

المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيثا ، فكلهم ذكر انه عنده ، وأخذ الثمن من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا الى المأمون بأشياء مختلفة . فمنهم من أتى ببعض البزور ، ومنهم من اتى بقطعة من حجر ، ومنهم من اتى بوبر . فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه ، وأقطعه ضيعة على النهر المعروف بنهر الكلبة ، فهي في أيدي ورثته ومنها معاشهم » . فان رأى الأمير ان يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل . فدعا الافشين بدفتر من دفاتر الاسروشنية فاخرج منها نحواً من عشرين اسماً ووجه الى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الاسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته ، فأمر الأفشين باحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الاسماء منشورات اذن لهم فيها بالمقام في عسكره ؛ ونفى الباقين عن العسكر ، ولم يأذن لأحد منهم في المقام ، ونادى المنادي بنفيهم ، وبإباحة دم من وجد منهم في معسكره . وكتب الى المعتصم يسأله البعثة اليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميل ، ومتطببين كذلك ؛ فاستحسن المعتصم ذلك ووجه اليه بما سأل .

اسرائيل بن زكريا الطيفوري

متطبب الفتح [1] بن خاقان ، كان مقدماً في صناعة الطب ، جليل القدر عند الخلفاء والملوك ، كثيري الاحترام له . وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والأنعام الوافرة ، وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليه ، وله عند المتوكل المنزلة المكينة . ومن ذلك مما حكاه اسحق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب ان اسرائيل بن زكريا ابن الطيفوري وجد [2] على امير المؤمنين المتوكل لما احتجم بغير اذنه ، فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين ألف درهم ، وهبها له وسجل له عليها .

وحكي عن عيسى بن ماسة قال : رأيت المتوكل وقد عاده يوماً ، وقد غشي عليه ، فصير يده تحت رأسه مخدة ، ثم قال للوزير : يا عبدالله حياتي معلقة بحياته ان عدمته لا أعيش . ثم اعتل فوجه اليه سعيد بن صالح حاجبه وموسى بن عبد الملك كاتبه يعودانه .

ونقلت من بعض التواريخ ان الفتح بن خاقان كان كثير العناية باسرائيل بن الطيفوري ، فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختيشوع وعظم قدره ، وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الأمراء وأجلاء القواد ، وبين يديه أصحاب المقارع ، واقطعه المتوكل قطيعة بسر من رأى وأمر المتوكل صقلاب وابن الخيبري بأن يركبا معه ويدور جميع سر من رأى حتى يختار المكان الذي يريده ، فركبا حتى اختار من الحيز خمسين الف ذراع وضربا المنار عليه ، ودفع اليه ثلثمائة الف درهم للنفقة عليه .

---

(١) وزير المتوكل وقتل مع المتوكل سنة ٨٦١ .

(٢) غضب .

يزيد بن زيد

يزيد بن زيد بن يوحنا بن ابي خالد ، متطبب المأمون ، كان جيد العلم ، حسن المعالجة ، موصوفاً بالفضل . وكان قد خدم المأمون بصناعة الطب ، وخدم أيضاً ابراهيم بن المهدي ، وكان له منه الاحسان الكثير ، والانعام الغزير ، والعناية البالغة ، والجامكية الوافرة . وكان يقال له أيضاً يزيد بور .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني أبو اسحق ابراهيم بن المهدي ان ثمامة العبسي القعقاعي وهو ابو عثمان بن ثمامة صاحب الجبار اعتل من خلفة [1] تطاولت به ، وكان شيخاً كبيراً . قال ابو اسحق : فسألني الرشيد عن علته وأين بلغت به ، فأعلمته اني لا أعرف له خبراً ، فاظهر انكاراً لقولي ، ثم قال : رجل غريب من أهل الشرف قد رغب في مصاهرة أهله عبد الملك بن مروان ، وقد ولدت أخته خليفتين الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وقد رغب أبوك في مصاهرته فتزوج أخته ورغبت أنا أخوك في مثل ذلك منه فتزوجت ابنته ، وهو مع ذلك صحابي لجدك وأبيك ، ولاختك وأخيك ، فلا توجب على نفسك عيادته ؟ » ثم امرني بالمصير اليه لعيادته ، فنهضت وأخذت معي متطببي يزيد وصرت اليه . فدخلت على رجل توهمت انه في آخر حشاشة بقيت من نفسه ، ولم أر فيه للمسألة موضعاً . فأمر يزيد متطببي باحضار متطببه فحضر ، فسأله عن حاله فأخبره انه يقوم في اليوم والليلة مائة مجلس . وأقبل يزيد يسأل المتطبب عن باب باب من الأدوية التي تشرب وعن السفوفات والحقن ، فلم يذكر لذلك المتطبب شيئاً إلا أعلمه انه قد عالجه به فلم ينجع فيه . فوجم عند ذلك يزيد مقدار ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : قد بقي شيء واحد ان عمل به رجوت أن ينتفع به ، وان لم ينجع فيه فلا علاج له . »

قال أبو اسحق : فرأيت ثمامة قد قويت نفسه عندما سمع من يزيد ما سمع ثم قال : وما ذلك الشيء الذي بقي ، متعت بك ؟ قال له شربة اصطمخيقون . فقال ثمامة : أحب أن أرى هذه الشربة حتى اشم رائحتها . فاخرج يزيد من كمه منديلاً فيه ادوية وفيه شربة اصطمخيقون . فأمر بها ثمامة فحلت ، ثم أتى بها فرمى بها في فيه وابتلعها . فوالله ما وصلت الى جوفه حتى سمعت منه أصواتاً لم أشك في اني لم ابلغ باب داره إلا وقد مات . فنهضت ومتطببي معي ، وما أعقل غماً . وامرت خادماً لي كان يحمل معي الاسطرلاب [2] اذا ركبت بالمقام في داره وتعرف خبر ما يكون منه . فتخلف ، فوافاني كتاب الخادم بعد الزوال يعلمني « انه قام من بعد طلوع الشمس الى زوالها خمسين مرة » فقلت : تلفت والله نفس ثمامة . ثم وافى كتاب الخادم بعد غروب الشمس « انه قام

---

(١) ذهاب شهوة الطعام من المرض .

(٢) آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب .

منذ زوال الشمس الى غروبها عشرين مجلساً » . ثم صار الى الغلام مع طلوع الشمس فذكر انـــه لم يكن منه منذ غروب الشمس الى انتصاف الليل الا ثلاثة مجالس ، ولم يكن منـــه الى وقت طلوع الفجر شيء » . فركبت اليه بعد ان صليت الغداة فوجدته نائماً ، وكان لا ينام ، فانتبه لي ، فسألته عن خبره ، فاعلمني انه لم يزل في وجع من جوفه مانع له النوم والقرار منذ أكثر من اربعين ليـــلة حتى أخذ تلك الشربة . فلما انقطع فعل الشربة انقطع عنه ذلك الوجع ، وانه لم يشته طعاماً منذ ذلك الوقت وانه ما يبصرني في وقته من غلبة الجوع عليه . وسأل الاذن في الأكل فاذن له يزيد في اكل أسفيدباجه قد طبخت من فروج كسكري سمين ، ثم اتباعها زيرباجة ، ففعل ذلك .

وصرت الى الرشيد فاخبرته بما كان من أمر ثمامة . فاحضر المتطبب وقـــال له : ويحك كيف اقدمت على اسقائه حب الاصطمخيقون ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين هذا رجل كان في جوفه كيموس فاسد ، فلم يكن يدخل في جوفه دواء ولا غذاء الا أفسده ذلك الكيموس . وكان كلما فسد مـــن تلك الادوية والاغذية صار مادة لذلك الفساد ، فكانت العلة لهذا السبب تزداد . فعلمت أنه لا علاج له الا بدواء قوي يقوى على قلـــع ذلك الكيموس . وكان اقوى الاشياء التي يمكن ان يسقاها الاصطمخيقون ، فقلت له فيه الذي قلت . ولم أقدم أيضاً على القول انه يبرئه لا محالة ، وانما قلت بقي شيء واحد فان هو لم ينفعه فلا علاج له . وانما قلت ذلك لاني رأيت الرجل عليلاً قـــد اضعفته العلة ، وأذهبت أكثر قواه . فلم آمن عليه التلف ان شربه ، وكنت أرجو له العافيـــة بشربه اياه . وكنت اعلم انه ان لم يشربه ايضاً تلف » . فاستحسن الرشيد مـــا كان من قوله ووصله بعشرة آلاف درهم . ثم عـــاد الرشيد ثمامة وقال له : « لقد أقدمت من شرب ذلـــك الدواء على امر عظيم ، وخاصة اذ كان المتطبب لم يصرح لـــك بأن في شربه العافية » . فقال ثمامـــة : « يا أمـــير المؤمنين ، كنت قد يئست من نفسي وسمعت المتطبب يقول ان شرب هذا الدواء رجوت ان ينفعه ، فاخترت المقام على الرجاء ولو لحظة ، على اليأس من الحيـــاة فشربته ، وكانت في ذلك خيرة من الله عظيمة ».

اقول وهذه الحكاية تناسب ما روي عن النبي ، ﷺ ، انه جاء اليـــه رجل من العرب فقال : « يا رسول الله ، ان اخي قد غلب عليه الخوف وداويناه ولم ينقطع عنه بشيء ، »فقال له عليه السلام : « اطعمه عسل النحل » . فراح واطعمه إياه فزاد الاسهال ، فأتى اليه وقال :«يا رسول الله ، كثر الاسهال به من وقت اطعمته العسل » ، فقـــال : «اطعمه العسل » . فاطعمه ، فزاد الاسهال اكثر . فشكا ذلك الى النبي ، عليه السلام ، فقال :«اطعمه ايضاً العسل » . فاطعمه ايضاً في اليـــوم الثالث فتقاصر الاسهال وانقطع بالكلية . فاخبر النبي ، عليه السلام ، بذلك فقال : « صدق الله وكذبت بطن اخيك » . وانما قال النبي ، عليه السلام ، له ذلك لكونه كان قد علم ان في خمل معدة المريض رطوبات لزجة غليظة قد ازلقت معدته فكلما مر بها شيء من الادوية القابضة لم يؤثر فيها ، والرطوبات باقية على حالها والاطعمة تزلق عنها ، فيبقى الاسهال دائماً . فلما تناول العسل جلا تلك الرطوبات واحدرها ، فكثر الاسهال اولا بخروجها وتوالى ذلك الى ان نفدت تلك الرطوبات بأسرها ، فانقطع

الاسهال ، وبرىء الرجل . فقوله « صدق الله » يعني بالعلم الذي اوجده الله عز وجل لنبيه وعرفه به ، وقوله « وكذبت بطن اخيك » يعني ما كان يظهر من بطنه من الاسهال وكثرته بطريق العرض، وليس هو مرض حقيقي ، فكانت بطنه كاذبة في ذلك .

عبدوس بن زيد

قال ابو علي القباني عن ابيه ان القاسم بن عبيد الله مرض في حياة أبيه مرضاً حاداً في تموز ، وحل به القولنج الصعب ، فانفرد بعلاجه عبدوس بن زيد وسقاه ماء اصول قد طبخ وطرح فيه اصل الكرفس[1] والرازيانج [2] ودهن الخروع وجعل فيه شيئاً من ايارج فيقرا ، فحين شربه سكن وجعه واجاب طبعه بجلسين ، فافاق ، ثم أعطاه من غد ذلك اليوم ماء شعير فاستظرف هذا منه .

وقال ابو علي القباني ايضاً ان اخاه اسحق بن علي مرض وغلبت الحرارة على مزاجه ، والنحول على بدنه ، حتى أداه الى الضعف ورد ما يأكله . فسقاه عبدوس بن زيد هذه الاصول بالايارج ودهن الخروع في حزيران اربعة عشر يوماً فعوفي وصلحت معدته . وقال : في مثل هذه الايام تحم حمى حادة فان كنت حياً خلصتك بأذن الله وان كنت ميتاً فعلامة عافيتك له دائر سنة ان تنطلق طبيعتك في اليوم السابع فان انطلقت عوفيت ومع هذا ،فقد نقرت معدتك نقراً لو طرحت فيها الحجارة لطحنتها » ، فلما انقضت السنة مرض عبدوس وحم أخي كما قال وكان مرضها في يوم واحد . فما زال عبدوس يراعي اخي ويسأل عن خبره الى ان قيل له قد انطلقت طبيعته ، فقال : قد تخلص ومات عبدوس في الغد من ذلك اليوم .

ولعبدوس بن زيد من الكتب : **كتاب التذكرة في الطب** .

سهل الكوسج

كان سهل الكوسج ، ابو سابور بن سهل صاحب الاقراباذين ، المشهور من اهل الاهواز ، وكان الحى [3] . وانما لقب بالكوسج [4] على سبيل التضاد . وكان عالماً في الطب إلا انه دون ابنه في العلم ، وكانت في لسانه لكنة خوزية [5] . وكان كثير الهزل فغلب هزله جده . وكان متى اجتمع

---

(١) من البقول التي تؤكل .

(٢) نبات يعرف اليوم بالشمر .

(٣) له لحية

(٤) الذى لحيته على ذقنه لا على العارضين .

(٥) نسبة الى خوز وهم جيل من الناس ، او اسم اهل خوزستان .

مع يوحنا بن ماسوية : وجورجس بن بختيشوع ، وعيسى بن حكم ، وعيسى بن أبي خالد ، وزكريا ابن الطيفوري ، ويعقوب صاحب البيارستان ، والحسن بن قريش ، وعيسى المسلم ، وسهل بن جبير ، وهذه الطبقة من المتطببين قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج . وكلهم كان يخاف لسانه لطول كان فيه وبذاء . وكانت له السن [1] على جماعتهم . وكان انقطاعه الى سلام الابرش ، وكان سلام لا يفارق هرثمة بن أعين ايام محاصرته مدينة السلام ، فكان سهل هذا قد خصّ بهرثمة بن أعين حتى كان يكون معه في ليله ونهاره وسمره . وكان بدعابته الكثيرة التي كانت فيه طيب العشرة .

قال يوسف بن ابراهيم : ومن دعابات سهل الكوسج انه تمارض في سنة تسع ومائتين ، وأحضر شهوداً يشهدهم على وصيته ؛ وكتب كتاباً اثبت فيه اسماء اولاده.فاثبت اولهم جورجس بن ميخائيل وأمه مريم بنت بختيشوع اخت جبرائيل ، والثاني يوحنـــا بن ماسويه ، والثالث والرابع والخامس سابور ويوحنا وخذاهويه ولد سهل المعروفين . وذكر انه اصاب ام جورجس وام يوحنا بن ماسويه زنا واحبلها بجورجس ويوحنا .

قال يوسف : ومن دعاباته اني حضرته عند أعين بن هرثمة بن أعين،وقد دارت بينه وبين جورجس ملاحاة في حمى ربع قد كانت طالت باعين ، فعرفه بمثل ما اشهد به في وصيته.وكان في جورجس تلفت كثير الى من عن يمينه وشماله من الناس ، واخرجته الحدة الى زمع [2] اصابه ، فصاح سهل : «صرى وهلك المسيه ، أخروا في اذنه ، آيـــة خرسي ، اراد صرع » — وحق المسيح اقرؤوا في اذنه آية الكرسي .

قال يوسف : ومن دعاباته انه خرج في يوم الشعانين [3] يريد دير الجاثليق [4] والمواضع التي تخرج اليها النصارى في يوم الشعانين ، فرأى يوحنا بن ماسوية في هيئة احسن من هيئته وعلى دابة افره من دابته ، ومعه غلمان له روقة [5] فحسده على الظاهر من نعمته ؛ فصار الى صاحب مسلحة الناحية ، فقال له : « ان ابني يعقني وقد اعجبته نفسه ، وربما اخرجـــه العجب بنفسه وبنعمته الى جحود أبوي ، وان انت بطحته وضربته عشرين درة [6] موجعة اعطيتك عشرين دينـــاراً » . ثم أخرج الدنانير فدفعها الى رجل وثق به صاحب المسلحة ، ثم اعتزل ناحية إلى ان بلغ يوحنا الى الموضع الذي هو فيه ، فقدمه الى صاحب المسلحة وقال : « هذا ابني يعقني ويستخف بي » . فجحد ان يكون ابنه فلم يكلمه صاحب المسلحة حتى بطح يوحنا وضربه عشرين درة ضرباً وجيعاً مبرحاً .

---

(١) اي أكبرهم عمراً .
(٢) الرعدة تعتري الانسان اذا هم بالامر .
(٤) يوم الاحد الذي قبل عيد الفصح .
(٥) مقدم الاساقفة عند النصارى اي الرئيس العام .
(٦) الجمال والحسن .
(٧) السوط يضرب به .

سابور بن سهل

كان ملازماً لبيمارستان جندي سابور ومعالجة المرضى به وكان فاضلاً عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها ، وتقدم عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء . وتوفي في ايام المهتدي بالله . وكانت وفاة سابور بن سهل في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين .

ولسابور بن سهل من الكتب : **كتاب الاقرا باذين الكبير المشهور** ، جعله سبعة عشر باباً وهو الذي كان من المعمول عليه في البيمارستان ، ودكاكين الصيادلة وخصوصاً قبل ظهور الاقراباذين الذي ألفه أمين الدولة بن التلميذ . **كتاب قوى الاطعمة ومضارها ومنافعها** ، **كتاب الرد على حنين في كتابه** في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل . **القول في النوم واليقظة** ، **كتاب ابدال الادوية** .

اسرائيل بن سهل

كان متقدماً في صناعة الطب ، حسن العلاج خبيراً بتركيب الادوية . وله كتاب مشهور في الترياق وقد أجاد عمله وبالغ في تأليفه .

موسى بن اسرائيل الكوفي

متطبب ابراهيم بن المهدي . قال يوسف بن ابراهيم : كان موسى هذا قليل العلم بالطب إذا قيس الى من هو في دهره من مشايخ المتطببين ، إلا أنه كان أملأ لمجلسه منهم بخصال اجتمعت فيه ، منها : فصاحة اللهجة : ومعرفة بالنجوم ، وعلم بايام الناس ، ورواية الاشعار . وكان مولده فيما ذكر لي سنة تسع وعشرين ومائة ووفاته في سنة اثنتين وعشرين ومائتين . فكان ابو اسحق يحتمله لهذه الخلال ولانه كان طيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادمو الملوك . وكان قد خدم وهو حدث عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني موسى بن اسرائيل قال : كان لعيسى بن موسى متطبب يهودي يقال له فرات بن شحاثا ، كان تياذوق المتطبب يقدمه على جميع تلامذته ، وكان شيخاً كبيراً قد خدم الحجاج بن يوسف وهو حدث . قال : وكان عيسى يشاور في كل أمر ينوبه هذا المتطبب . قال موسى . فلما عقد المنصور لعيسى على محاربة محمد [1] بن عبدالله بن حسن العلوي وصار اللواء في داره

---

(١) سليل الحسن بن علي وفاطمة احتمل اضطهاد الامويين والعباسيين لمطالبته بالخلافة لقب بالنفس الزكية وقتل في المدينة (٧٦٢) .

قال للفرات : ما تقول في هذا اللواء ؟ . قال له المتطبب : أقول انه لواء الشحناء بينك وبين اهلك الى يوم القيامة . إلا أني أرى لك نقل اهلك من الكوفة الى أي البلدان أحببت ، فان الكوفة بلد شيعة من تحارب ، فان فللت لم تكن لمن تخلف بها من اهلك بقيا ، وان فللت وأصبت من تتوجه اليه زاد ذلك في اضغانهم عليك ، فان سلمت منهم حياتك لم يسلم منهم عقبك بعد وفاتك . فقال له عيسى : ويحك ان أمير المؤمنين غير مفارق للكوفة ، فلم أنقل أهلي عنها وهم معه في دار ؟ فقال له ان الفيصل [١] في مخرجك ، فان كانت الحرب لك فالخليفة مقيم بالكوفة ؛ وان كانت الحرب عليك لم تكن الكوفة له بدار وسيهرب عنها ، ويخلف حرمه فضلاً عن حرمك .

قال موسى : فحاول عيسى نقل عياله من الكوفة فلم يسوغه ذلك المنصور . قال : ولما فتح الله على عيسى ورجع الى الكوفة وقتل ابراهيم بن عبيد الله انتقل المنصور الى مدينة السلام ، فقال له متطببه : بادره بالانتقال معه الى مدينته التي قد احدثها ، واستأذن المنصور في ذلك فاعلمه انه لا سبيل اليه ، وانه قد دبر استخلافه على الكوفة ، فاخبر بذلك عيسى متطببه .

فقال له المتطبب : « استخلافه اياك على الكوفة قد حل لعقدك عن العهد لانه لو دبر تمام الامر لك لولاك خراسان بلد شيعتك . فأما ان يجعلك بالكوفة مع اعدائه وأعدائك ، وقد قتلت محمد بن عبدالله ، فوالله ما دبر فيك الا قتلك وقتل عقبك . ومن المحال أن يوليك خراسان بعد الظاهر منه فيك . فسله توليتك الجزيرتين او الشام ، فاخرج الى أي الولايتين ولاك فاوطنها . فقال له : « تكره لي ولاية الكوفة وأهلها من شيعة بني هاشم ، وترغب لي في ولاية الشام او الجزيرتين ، واهلها من شيعة بني امية ؟! » فقال له المتطبب : أهل الكوفة وان وسموا أنفسهم بالتشيع لبني هاشم فلست وأهلك من بني هاشم الذين يتشيعون لهم . وانما تشيعهم لبني أبي طالب وقد أصبت من دمائهم ما قد أكسب أهل الكوفة بغضتك ، وأحل لهم عند أنفسهم الاقتياد [٢] منك. وتشيع أهل الجزيرتين والشام ليس على طريق الديانة ، وانما ذلك على طريق احسان بني امية اليهم . وان انت أظهرت لهم مودة متى وليتهم فأحسنت اليه كانوا لك شيعة ، ويدلك على ذلك محاربتهم مع عبدالله بن علي على ما قد نال من دمائهم لما تألفهم ، وتضمن لهم الاحسان اليهم ، فهم اليك لسلامتك من دمائهم أميل . واستعفى عيسى من ولاية الكوفة وسأل تعويضه عنها ، فاعلمه المنصور ان الكوفة دار الخلافة ، وانه لا يمكن أن تخلو من خليفة أو ولي عهد . ووعد عيسى أن يقيم بمدينة السلام سنة ، وبالكوفة سنة . وانه اذا صار الى الكوفة صار عيسى الى مدينة السلام ، فاقام بها . قال موسى : فلما طلب أهل خراسان عقد البيعة للمهدي قال لمتطببه : ما تقول يا فرات ، فقد دعيت الى تقديم محمد بن أمير المؤمنين على نفسي ؟ فقال له : فتدفع بماذا ! أرى أن تسمع وتطيع اليوم ، وبعد اليوم . « فقال له : وما بعد اليوم ؟ قال : اذا دعاك محمد بن أمير المؤمنين الى خلع نفسك وتسليم الخلافة الى بعض ولده ان تسارع. فليست عندك منعة ولا يمكنك مخالفة القوم في شيء يريدونه منك ، قال موسى : فمات المتطبب في

---

(١) ما يفصل بين الامور (ن.ر) .
(٢) طلب القود وهو القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

خلافة المنصور .

فلما دعى المهدي عيسى الى خلع نفسه من ولاية العهد وتسليم الامر إلى الهادي قال عيسى بن موسى قاتلك الله يا فرات ما كان اجود رأيك ، واعلمك بما تتفوه به ، كأنك كنت شاهداً ليومنا هذا ! قال موسى بن اسرائيل ، ولما رأيت فعـــل أبي السرايا بمنازل العباسيين قلت مثل ما قال عيسى ابن موسى .

وقال يوسف بن ابراهيم : لما بلغه وهو بمصر ما ركب الطالبيون واهـل الكوفة من العباسيين ، وقتل عبدالله بن محمد بن داود مثل ما قال عيسى بن موسى وموسى المتطبب . قال يوسف : وحدثني موسى بن اسرائيل المتطبب ان عيسى بن موسى شكا الى فرات متطببه ما يصيبه من النعاس مـع مسامريه ، وانه ان تعشى معهم ثقلت معدته فنام وفاته السمر ، واصبح ومعه ثقلة تمنعه من الغداء ، وان لم يتعش معهم أضرت به الشهوة الكاذبة فقال له : شكوت الي مثل ما شكا الحجاج الى استاذي تياذوق ، فوصف له شيئاً اراد به الخير فصار شراً . فقال له : وما هو ؟ قال : وصف له العبث بالفستق ، فذكر ذلك الحجاج لحظاياه فلم يبق له حظية الا قشرت له جاماً من الفستق وبعثت بـه اليه . وجلس مع مسامريه فأقبل يستف الفستق سفاً فأصابته هيضة كادت تأتي على نفسه ، فشكا ذلك إلى تياذوق . فقال : انما امرتك أن تعبث بالفستق ، وأردت بذلـــك الفستق الذي بقشريه جميعاً لتتولى انت كسر الواحدة بعد الواحدة ، ومص قشرها المصلح لمعدة مثلك من الشباب المموورين ، واصلاح الكبد بما يتأدى اليها من طعم هـذا الفستق ، وذهبت الى انك اذا أكلت ما في الفستقة من الثمرة وحاولت كسر أخرى لم يتم لك كسرها الا وقد اسرعت الطبيعة في هضم مـا أكلت من ثمرة الفستقة التي قبلها . فأما ما فعلت فليس بعجيب ان ينالك معه اكثر مما انت فيه . وان كنت تأخذ ايها الامير الفستق على ما رأى استاذي ان يؤخذ انتفعت به . قال موسى فلزم عيسى بن موسى أخذ الفستق اكثر من عشرين سنة فكان يحمده .

ماسر جويه متطبب البصرة

وهو الذي نقل كتاب اهرن من السرياني الى العربي . وكان يهودي المذهب سريانياً ، وهو الذي يعنيه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتابه الحاوي بقوله قال اليهودي .

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان ماسرجويه كان في أيام بني أمية . وانه تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب اهرن بن اعين الى العربية الذي وجده عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، في خزائن الكتب ، فأمر باخراجه ووضعه في مصلاه ، واستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فلما تم له في ذلك أربعون صباحاً أخرجه الى الناس وبثه في ايديهم .

قال سليمان بن حسان: حدثني أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بهذه الحكايه في مسجد الترمذي

سنة تسع وخمسين وثلثمائة .

وقال يوسف بن ابراهيم : حدثني ايوب بن الحكم البصري المعروف بالكسروي صاحب محمد بن طاهر بن الحسين – وكان ذا أدب ومروءة ، وعلم بايام الناس واخبارهم . قال : كان أبو نواس [1] الحسن بن هانىء يعشق جارية لامرأة من ثقيف تسكن الموضع المعروف بحكمان من ارض البصرة ، يقال لها جنان [2] ، وكان المعروفان بأبي عثمان وأبي امية من ثقيف قريبين لمولاة الجارية . فكان ابو نواس يخرج في كل يوم من البصرة يتلقى من يقدمه من ناحية حكمان فيسائلهم عن اخبار جنان . قال : فخرج يوماً وخرجت معه ، وكان اول طالع علينا ماسرجويه : المتطبب ، فقال له أبو نواس: كيف خلفت أبا عثمان ومية ؟.. فقال ماسرجويه : جنان صالحة كما تحب . فأنشأ ابو نواس يقول .

أسأل القادمين من حكمان	كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا مية المهذب والمـــأ	مول والمرتجى لريب الزمان
فيقولون لي جنان كمـــا	سرك في حالها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم	كيف لم يغن عنهم، كتماني
	الخفيف

قال يوسف : وحدثني أيوب بن الحكم انه كان جالساً عند ماسرجويه ، وهو ينظر في قوارير الماء ، اذ أتاه رجل من الخوز فقال له : « اني بليت بداء لم يبل أحد بمثله » . فسأله عن دائه فقال : اصبح وبصري علي مظلم ، وأنا أجد مثل لحس الكلاب في معدتي ، فلا تزال هذه حالي حتى أطعم شيئاً ، فاذا طعمت سكن عني ما أجد الى وقت انتصاف النهـــار ، ثم يعاودني ما كنت فيه، فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة ، ثم يعاودني فلا اجد له دواء الا معاودة الاكل ، » فقال ما سرجويه : « على هذا الداء غضب الله فانــه أساء لنفسه الاختيار حين قرنها بسفلة مثلك ، ولوددت ان هذا الداء يحول الي والى صبياني،وكنت أعوضك مما نزل بك منه مثل نصف ما أملك »، فقال له : ما أفهم عنك ؟ فقال له ما سرجويه : هذه صحة لا تستحقها ، أسأل الله نقلها عنك الى من هو أحق بها منك .

قال يوسف : وحدثني أيوب بن الحكم ، الكسروي قال : شكوت الى ماسرجويه تعذر الطبيعة ، فسألني أي الانبذة أشرب ، فاعلمته أني ادمن النبيـــذ المعمول من الدوشاب [3] البستاني الكثير الداذي [4] .فأمرني أن آكل في كل يوم من ايام الصيف على الريق قثاءة صغيرة من قثاء بالبصرة يعرف

---

(١) من كبراء شعراء العصر العباسي ولد في الاهواز ولقب بشاعر الخمرة . وكان مقربـــاً من الأمين والمأمون واتصل بالبرامكة . ثم تاب في اواخر ايامه .

(٢) جارية لامرأة من ثقيف احبها وعشقها ابو نواس .(ن.ر) .

(٣) النبيذ الاسود او نبيذ التمر .

(٤) نبت او شيء له عنقود مستطيل حبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في العرق فتعبق رائحته ويجود اسكاره .

بالخريبي . قال فكنت أوتي بالقثاء وهو قثاء دقيق في دقـــة الاصابع وطول القثاءة منه نحو من فتر فآكل منه الخمس والست والسبع ، فكثر علي الاسهال ، فشكوت ذلك اليه فلم يكلمني حتى حقنني بحقنة كثيرة الشحوم والصموغ والخطمي والارز الفارسي ، وقال لي : « كدت تقتل نفسك باكثارك من القثاء على الريق لانه كان يحدر من الصفراء ما يزيل عن الامعاء من الرطوبات اللاصقة بهـــا ما يمنع الصفراء من سحجها واحداث الدوسنطاريا فيها .

وللماسرجويه من الكتب : كناش ، كتاب في الغذاء ، كتاب في العين .

سلمويه بن بنان متطبب المعتصم

لما استخلف أبو اسحق محمد المعتصم (١) بالله وذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين اختار لنفسه سلمويه الطبيب واكرمه اكراماً كثيراً يفوق الوصف ، وكان يرد الى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه ، وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة أمـــير المؤمنين فبخط سلمويه . وولى أخا سلمويه ابراهيم بن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد ، وخاتمه مع خاتم امير المؤمنين . ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة . وكان سلمويه بن بنان نصرانياً حسن الاعتقاد في دينه ، كثير الخير ، محمود السيرة ، وافر العقل ، جميل الرأي .

وقال اسحق بن علي الرهاوي ، في كتاب ادب الطبيب ، عن عيسى بن ماسة قـــال : أخبرني يوحنا بن ماسويه عن المعتصم ، انه قال : سلمويه طبيبي اكبر عندي من قاضي القضاة ، لان هـــذا يحكم في نفسي ، ونفسي اشرف من مالي وملكي ، ولمـــا مرض سلمويه الطبيب أمر المعتصم ولده أن يعوده فعاده . ثم قال : أنا أعلم وأتيقن اني لا أعيش بعده لانه كان يراعي حياتي ويدبر جسمي ولم يعش بعده تمام السنة .

وقال اسحق بن حنين ، عن ابيه : ان سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب . وكان المعتصم يسميه أبي . فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده وقال : تشير علي بعدك بما يصلحني فقال سلمويه : يعز علي بك يا سيدي ولكن عليك بهـذا الفضولي يوحنـــا بن ماسويه ، واذا شكوت اليه شيئاً فقد يصف فيه أوصافاً ، فاذا وصف فخذ أقلها أخلاطاً . فلما مات سلمويه امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته ، وامر بان تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل . ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته ، وحزن عليه حزناً شديداً .

وكان المعتصم الهضم في جسمه قوي ، وكان سلمويـــه يفصده في السنة مرتين ، ويسقيه بعد كل مرة دواء مسهلاً ، ويعالجه بالحمية في اوقات . فاراد يوحنا بن ماسويه

---

(١) الخليفة العباسي الثامن (٧٩٥ - ٨٤٢) حط من شان العرب واعتمد على المماليك ونقل عاصمته الى سامراء فسبب انحطاط الدولة العباسية (ن . ر)

أن يريه غير ما عهد ، فسقاه دواء قبـــل الفصد وقال : اخاف ان تتحرك عليه الصفراء ، فعند ما شرب الدواء حمي دمه ، وحم جسمه ، وما زال جسمه ينقص ، والعلل تتزايد الى ان نحل بدنه ومات بعد عشرين شهراً من وفـــاة سلمويه . وكانت وفاة المعتصم في شهر ربيـع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين .

قال يوسف بن ابراهيم : قال المعتصم لأبي اسحق ابراهيم بن المهدي في أول مقدمه من بلد الروم ، وهو خليفة : يا عم أمورك مضطربة عليك منذ اول ايام الفتنة لانك بليت في أولها مثل مـــا شمل الناس ، ثم خصك بعد ذلك من خراب الضياع وتخرم حدودها لاستتارك سبع سنين من الخليفة الماضي ما لو لم يتقدمه شيء من المكروه لقد كانت فيه كفاية ؛ ثم ظهر من سوء رأي المأمون ، بعد ذلك ، فيك ما طمّ على كل ما تقدم من المكروه النازل بك ، فزاد ذلك في أمرك . وفكرت فيك فوجدتك تحتاج الى أن يرد علي في يوم خبرك وما تحتاج اليه لمصالح أمورك . ورأيت ذلك لا يتم الا بتقليدي عن القيام برفع حوايجك الى خادم خاص بي . وقد وقع اختياري لك على خادمين لي يصل كل واحد منهما الي في مجالس جدي وهزلي ، بل يصل إلي في مرقدي ومتوضئي : وهما : مسرور سمانه الخادم وسلمويه بن بنان . فاختر أيهما شئت وقلده حوايجك ؟ فوقـع اختياره على سلمويه ، وأحضره أمير المؤمنين فامره أن يتولى ايصال رسائله اليه في جميع الأوقات .

قال يوسف : فقربني أبو اسحق بسلمويه ، وكنت لا أكاد أفارقه . وكان خروج أمير المؤمنين عن مدينة السلام آخر خرجاته عن غير ذكر تقدم لخروج الى ناحية من النواحي . وكان الناس قـــد حضروا الدكة بالشماسية لحلبة السروج في يوم الاربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعـــدة سنة عشرين ومائتين . فاخرجت الخيل ، ودعا بالجمازات فركبها ونحن لا نشك في رجوعه من يومه . ثم أمر الموالي والقواد باللحاق به ، ولم يخرج معه من أهل بيته احد الا العباس بن المأمون وعبد الوهاب ابن علي . وخلف المعتصم الواثق[1] بمدينة السلام ، إلى أن صلى بالناس يوم النحر سنة عشرين ومائتين. ثم أمر بالخروج الى القاطول [2] فخرج . فوجهني أبو اسحق بجوائج له الى باب امـــير المؤمنين ، فتوجهت ، فلم يزل سيارة مرة بالقاطول ومدينة القاطول ومرة بدير بني الصقر ، وهو الموضع الذي سمي في ايام المعتصم والواثق بالايتاخية وفي ايام المتوكل بالمحمدية . ثم صار المعتصم الى سر من رأى فضرب مضاربه فيها وأقام بها في المضارب . فاني ، في بعض الايام ، على باب مضرب المعتصم اذ خرج سلمويه بن بنان فاخبرني أن أمير المؤمنين امره بالمضي الى الدور والنظر الى سوار تكين الفرغاني، والتقدم الى متطببه في معالجته من علة يجدها بما يراه سلمويه صواباً . وحلف علي ان لا افارقه حتى نصير الى الدور ونرجع ، فمضيت معه فقال لي : حدثني في غداة يومنا هذا نصر بن منصور بن بسام انـه كان يساير المعتصم بالله في هذا البلد يعني بلد سر من رأى وهو أمير .

---

(١) تاسع الخلفاء العباسيين وفي ايامه تسلط القواد الاتراك على جيوش الخلافة . حكم (٨٤٢-٨٤٦)

(٢) موقع على دجلة .

قال لي سلمويه : قال لي نصر : ان المعتصم أمير المؤمنين قال له يا نصر أسمعت قط باعجب ممن اتخذ في هذا البلد بناء وأوطنه ! ليت شعري ما اعجب موطنه حزونة[١] أرضه ، أو كثرة أخاقيقه، أم كثرة تلاعه وشدة الحر فيه اذا حمي الحصى بالشمس . ما ينبغي ان يكون متوطن هذا البلد إلا مضطراً مقهوراً أوردي التمييز :

قال لي سلمويه : قال لي نصر بن منصور : وانا والله خائف أن يوطن أمير المؤمنين هـذا البلد ، فان سلمويه ليحدثني عن نصر اذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى في موضـــع الجوسق [٢] المعروف بالمصيب أكثر من الف رجل يضعون أساس الجوسق. فقال لي سلمويه: أحسب ظن نصر بن منصور قد صح . وكان ذلك في رجب سنة احدى وعشرين ومائتين . وصام المعتصم في الصيف في شهر رمضان من هذه السنة . وغدى الناس فيه يوم الفطر ، واحتجم المعتصم بالقاطول يوم سبت وكان ذلـك اليوم آخر يوم من صيام النصارى، فحضر غداءه سلمويه بن بنان ، واستأذنه في المصير الى القادسية [٣] ليقيم في كنيستها باقي يومه وليلته ، ويتقرب فيها يوم الاحد ، ويرجع الى القاطول قبل وقت الغداء من يوم الاحد فاذن له في ذلك وكساه ثياباً كثيرة ، ووهب له مسكاً وبخوراً كثيراً. فخرج منكسراً مغموماً وعزم علي بالمصير معه الى القادسية فاجبته الى ذلك . وكانت عادتنا متى تسايرنا قطع الطريق إما بمناظرة في شيء من الآداب واما بدعابة من دعابات المتأدبين ، فلم يجارني شيء من البابين جميعاً ، وأقبل على الفكرة وتحريك يده اليمنى ، وشفته تهمس من القول بما لا يعلنه ، فسبق الى وهمي انــه رأى من أمير المؤمنين في أمر نفسه شيئاً انكره ؛ ثم أزال ذلك الوهم عني إقدامه على الاستئذان في المصير الى القادسية والثياب والطيب الذي جيء به . فسألته عن سبب قراءته وفكرته . فقال لي : سمعتك تحكي عن بعض ملوك فارس قولا في العقل ، وانه وجب أن يكون اكثر ما في الانسان عقله فاعده علي وخبرني باسم ذلك الملك ؟ قال له : قال انو شروان : اذا لم يكن اكثر ما في الرجل عقله كان اكثر ما فيه برديه ، فقال : قاتله الله فما احسن ما قال ، ثم قال : أميرنا هذا يعني الواثق ، حفظه لما يقرأ ويقرأ عليه من الكتب اكثر من عقله ، وأحسبه قد وقع في الذي يكره وأنا استدفع الله في المكاره عنه . وبكى . فسألته عن السبب فقال : أشرت على أمير المؤمنين بترك الشرب في عشية أمس ليباكر الحجامة في يومنا هذا على نقاء، فجلس واحضر الامير هرون وابن أبي داؤد وعبدالوهاب ليتحدث معهم، فاندفع هرون في عهد أردشير بن بابك ، وأقبل يسرد جميع ما فيه ظاهراً حتى اتى على العهد كله فتخوفت عليه حسد ابيه له على جودة الحفظ الذي لم يرزق مثله وتخوفت عليه امساك ابيه ما حدّ أردشير بن بابك في عهده من ترك اظهار البيعة لولي عهده . وتخوفت عليه ما ذكر أردشير في هذا الباب من ميل الناس نحو ولي العهد متى عرفوا مكانه وتخوفت عليه ما ذكر أردشير من انه لا يؤمن اضطغان ولي العهد على أسباب والده متى علم انه الملك بعد ابيه وأنا ، والله ، عالم بأن أقل ما

---

(١) غلاظة الارض .

(٢) القصر .

(٣) قرية قرب سر من رأى .

يناله في هذا الباب التضييق عليه في معاشه ، وانه لا يظهر له بيعة ابداً ، فاغتمامي بهـذا السبب فكان جميع ما تخوف سلمويه علي ما تخوف .

قال يوسف : واستبطأ المعتصم أبو اسحق ابراهيم بن المهدي في بعض الامور واستجفاه. فكتب اليه كتاباً امرني بقراءته على سلمويه ومناظرته فيه ، فان استصوب الرأي في ايصاله ختمته وأوصلته، وان كره ذلك رددته على أبي اسحق . فقرأته على سلمويه فقال لي : قل له قد جرى لك المقدار مع المأمون والمعتصم ، أعز الله الباقي ورحم الماضي ، بما يوجب عليك شكر ربك ، والا" تنكر" علي" بالخليفتين تنكرهما في وقت من الأوقات ، لانك تسميت باسم لم يتسم به احد قط فكاثر الاحياء ، فان كان المقدار استعطف عليك رحمك حتى صرت الى الامن من المكروه . فليس ينبغي ان تتعجب من تنكر الخليفة ، في وقت من الاوقات ، ان طعن بعض أعدائك عليك بما كان منك ؛ فيظهر بالجفاء اليومين والثلاثة أو نحو ذلك . ثم ينعطف عليك ويذكر ماسة رحمك وشابكتها فيؤول امرك الى ما تحب . ولك ايضاً آفة يجب عليك التحرز منها وهي انك تجلس مع الخليفة في مجلسه وفيه جماعة من أهله وقواده ووجوه مواليه ، فهو يجب ان يكون أجل الناس في عيونهم وأملأ لقلوبهم ، فلا يجرى جار من القول الا ظهرت لنفسك فيه قولاً يتبين نصرتك فيه عليه فلو كنت مثل ابن ابي داؤد أو مثل بعض الكتاب لكان الامر فيه اسهل عليه . لانه ما كان لتلك الطبقة ، فهو للخليفة لانهم من عبيده ؛ وما كان لرجل من أهله له السن والقعدد عليه فهو موجب لمن السن والقعدد له ، وذلك مزر بالخليفة . وأنا أرى أن لا أوصل هذا الكتاب وان يتغافل ، أعزه الله ، حتى يتشوق اليه الخليفة . فاذا صار اليه تحرز بما كرهته له ، ففي ذلك غنى عن العتاب والاستبطاء . قـال فانصرفت الى أبي اسحق بالكتاب ولم أوصله، فوجدت سيما الدمشقي عند صاحبنا وقد أبلغه رسالة المعتصم بوصف شوقه اليه، وبالامر بالركوب اليه . فاخبرته بما دار بيني وبين سلمويه ، وركب فاستعمل ما أشار به ، فلم ينكر بعد ذلك منه شيئاً حتى فرق بينهما الموت .

قال يوسف وجرى بيني وبين سلمويه ذكر يوحنا بن ماسويه ، فاطنبت في وصفه وذكرت منه ما أعرف من اتساع علمه . فقال سلمويه : يوحنا آفة من آفات من اتخذه لنفسه ، واتكل على عـلاجه وكثرة حفظه للكتب ، وحسن شرحه ووصفه بما يلجم به المكروه . ثم قـال لي : أول الطب معرفة مقدار الداء حتى يعالج بمقدار ما يحتاج اليه من العلاج . ويوحنا أجهل خلق الله بمقدار الداء والدواء جميعاً . فان زاول محرور عالجه من الادوية الباردة والاغذية المفرطة البرد وبما يزيل عنه تلك الحرارة ، ويعقب معدته وبدنه برداً ، يحتاج له الى المعالجة بالادوية والاغذية الحـارة ، ثم يفعل في ذلك كفعله في العلة الاولى من الافراط ليزول عنه البرد ، ويعتل من حرارة مفرطة . فصاحبه أبـداً عليل اما من حرارة واما من برودة . والابدان تضعف عن احتمال هـذا التدبير . وانما الغرض في اتخاذ الناس المتطببين لحفظ صحتهم في ايام الصحة ، ولخدمة طبائعهم في ايام العلة . ويوحنـا لجهله بمقادير العلل والعلاج غير قائم بهذين البابين . ومن لم يقم بهما فليس بمتطبب .

قال يوسف وأصابت ابراهيم بن بنان أخا سلمويه بن بنان هيضة من خوخ أكله فاكثر منه فكادت

تأتي على نفسه . فسقاه أخوه سلمويه شهريارانا كثير السقمونيا ، فاسهله اسهالا كثيراً زائداً على المقدار الذي يجب أن يكون ممن شرب مثل ما شرب ابراهيم من الشهرياران . وانقطع مع انقطاع فعل الشهرياران فعل الهيضة [١] ، فقلت له : أحسبك امتثلت فيما فعلت بأخيك ، من اسقائه الدواء المسهل ، طريقة يزيد بور في ثمامة العبسي . فقال : ما استعملت له طريقة ولكني استعملت فكري كما استعمل فكره فنتج لي من الرأي ما نتج له

قال يوسف : وكنت يوماً عند سلمويه وقد أجرينا حديث أيام الفتنة بمدينة السلام أيام محمد الامين ، فقال لي : لقد نفعنا الله في تلك الايام بجوار بشر وبشير ابني السميدع ، وذلك انا كنا معها في كل حمى . ثم قال لي ؟ هل لك أن تركب الى بشير ، فتعوده ، فقد كنت يئست منه أول من أمس ثم أفرق أمس ؟ فاجبته الى الركوب معه وركبنا . فلما صرنا الى باب الدرب الذي كان بشير ينزله طلع علينا بولس بن حنون المتطبب ، الذي هو اليوم متطبب أهل فلسطين ، وهو منصرف من عند بشير . فسأله عن خبره فاجابه بكلمة بالسريانية معناها بئس . فقال له سلمويه : ألم تخبرني أمس انه قد أفرق ؟ فقال له بولس : قد كان ذاك الا انه أكل البارحة دماغ جدي فعاوده الاسهال . فعطف سلمويه رأس دابته وقال : انصرف بنا فليس يبيت بشير في الدنيا . فسألته عن السبب ، فذكر انه رجل مبطون ، وان أول آفته كانت في البطن ، فساد معدته ، فتطاولت أيامه في البطن بفساد المعدة الى أن كان ذلك سبباً لفساد كبده . وان الدماغ الذي أكله سيعلق بمعدته وبغرّي ما بين غضونها فلا يدخلها غذاء ولا دواء الا زلق . وانصرفنا ولم يعده سلمويه ولا عدته فما بات حتى توفي .

قال يوسف وصحبت بعد وفاة أبي اسحق ، أبا دلف . فصحبته وقد كان مبطونا قبل صحبتي اياه بخمسة عشر شهراً . وكان مجلس أبي دلف مجمعاً للمتطببين لانه كان معه من المرتزقة جماعة منهم يوسف بن صليبا ، وسليمان بن داؤد بن بابان ، ويوسف القصير البصري ولا احفظ نسبه ، وبولس بن حنون متطبب فلسطين وختن [٢] كان له من اللجلاج ، والحسن بن صالح بن بهلة الهندي . وكان يحضر مجلسه من المتطببين غير المرتزقين جماعة ، فربما اجتمع في مجلسه منهم عشرون رجلاً ، فكانوا على سبيل اختلاف في أصل علته ، فبعضهم كان يرى أن يسقيه الدرياق ، وبعضهم كان يرى أن يعالجه بالادوية التي يقع فيها الابيون مثل المترود يطوس وغيره . وكلهم كان مجمعاً على معالجته بالحمية وبالقيء في كل بضع عشرة ليلة لانه كان متى تقيأ صلحت حاله ثلاثة أيام أو نحوها . فاقمت معه عشرة أشهر لا اذكر اني تشاغلت في يوم منها بأمر من أمور الاعمال التي أتقلدها . فسلمت من رسول له يستنهضني للمسير اليه والنظر فيما بين المتطببين من الاختلاف .

---

(١) انطلاق البطن .

(٢) كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ ، او زوج الابنة .

ثم أمر المعتصم حيدر بن كاوس بالعقد لابي دلف [1] على قزوين [2] وزنجان [3] ونواحيها، وابراهيم ابن البحتري بتقليده خراج الناحية ؛ ومحمد بن عبد الملك بتقليده ضياعها . فقلد أبو دلف ابنه معنا بن القاسم ، المعونة ؛ وقلدني ، الخراج والضياع ؛ وأمرنا بالخروج . فاتيت سلمويه مودعاً ومشاوراً . فقال لي ، انقلاعك من بلدك مع رجل منحل بدنه منـــذ خمسة وعشرين شهراً ، وجميع من يطيف به معك لا يجمعك واياهم رحم ، وانما هم أهل الجبل واصبهان [4] ، واكثرهم صعاليك . ولعلك قد استقصيت على بعضهم بالحضرة ، وحيث كنت تأمن على نفسك بما لا أحبه لك ، لانه ان حدث بالرجل حادث كنت في ارض غربـــة أسيراً في أيدي من لا مجانسة بينك وبينهم . وامتناعك على الرجل بعد أن اجبته الى أن تتقدمه تسمج . ولكن استأجله في الخروج بعد سبعة أيام ، وأشرف في هذه الايام على مطعمه ومشربه حتى لا يصل الى جوفه في هذا الاسبوع مأكول ومشروب الا عرفت مبلغ وزنه على الحقيقة . ووكل من يعرف وزن ما يخرج منه في هذا الاسبوع من ثقل وبول ، وارفع وزن ذلك ليوم بعد يوم اليك ، وصر إلي بعد هذا الاسبوع بمبلغ وزن جميع ما دخل بطنه من الطعام والشراب وغير ذلك ، ووزن ما يخرج منه » .

فعنيت بذلك غاية العناية وتعرفته حتى صح عندي . فوجدت ما خرج من بدنه قريبـــاً من ضعف ما دخله من مطعم ومشرب . فاعلمت ذلك سلمويه ، فقال لي : لو كان خرج منه بوزن مـــا دخل بدنه لدل ذلك على سرعة تلفه ، فكيف ترى الحال كائنة والخارج منه مثل ضعف ما دخل بدنه الهرب من التلبيس بامر هذا الرجل ، فان الشوق قد جذبه » . فما لبث بعد هـــذا القول إلا بضع عشرة ليلة حتى توفي أبو دلف .

قال أبو علي القباني : حدثني ابي قال : كانت بين جدي الحسين بن عبد الله وبين سلمويه المتطبب مودة ، فحدثني أنه دخل اليه يوماً الى داره ، وكان في الحمام ثم خرج وهو مكمكم والعرق يسيل من جبينه ، وجاءه خادم بمائدة عليهـــا دراج ، مشوي ، وشيء اخضر في زبدية ، وثلاث رقاقات كزمازك [5] ، وفي سكرجة [6] خل . فأكل الجميع ، واستدعى ما مقداره درهمان شراباً فمزجه وشربه وغسل يديه بماء . ثم أخذ في تغيير ثيابه البخور . فلما فرغ أقبل يحادثني فقلت له : قبل أن أجيبك الى شيء عرفني ما صنعت ؟ .

فقال : أنا أعالج السل منذ ثلاثين سنة لم آكل في جميعهـــا الا ما رأيت ، وهو دراج مشوي ، وهندبا مسلوقة مطجنة بدهن لوز ، وهذا المقدار من الخبز . واذا خرجت من الحـــام احتجت الى

---

(١) هو القاسم بن عيسى ابو دلف من قواد المأمون ثم المعتصم توفي في بغداد ٨٤٢ .
(٢) مدينة في ايران .
(٣) مدينه في ايران الشمالية قاعدة اقليم .
(٤) مدينة في ايران قتل تيمورلنك سكانها .
(٥) حب الأقل اي عفص الطرفاء ، وتفسيره العفص الاعوج .
(٦) الصفحة التي يوضع فيها الطعام « ن . ر »

مبادرة الحرارة بما يسكنها كيلا تعطف على بدني فتأخذ من رطوبته ، فاشغلها بالغذاء ليكون عطفها عليه ، ثم أتفرغ لغيره .

ابراهيم بن فزارون

متطبب غسان بن عباد . وابراهيم بن فزارون هو شيخ بني فزارون الكتّاب . قال يوسف ابن ابراهيم : كان ابراهيم بن فزارون قد خرج مع غسان عباد الى السند [١] . فحدثني أن غسان بن عباد مكث بارض السند من يوم النوروز [٢] الى يوم المهرجان [٣] يشتهي أن يأكل قطعة لحم باردة ، فما قدر على ذلك . فسألته عن السبب فقال : «كنا نطجنه فلا يبرد حتى يُرْوِح فيرمى به .

قال يوسف:وأخبرني ابراهيم بن فزارون انه ما أكل بارض السند لحماً استطابه إلا لحوم الطواويس [٤] وانه لم يأكل لحماً قط أطيب من لحم طواويس بلاد السند .

وحدثني ابراهيم بن عيسى بن المنصور المعروف بابن نزيهة عن غسان بن عباد في لحوم الطواويس بمثل ما حدثني ابراهيم بن فزارون .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن فزارون انه رفع الى غسان بن عباد أن في النهر المعروف بمهران بارض السند سمكة تشبه الجدي ، وانها تصاد ثم يطين رأسها وجميع بدنها الى موضع مخرج الثقل منها ، ثم يجعل ما لم يطين منها على الجمر ، ويمسكها ممسك بيده حتى ينشوي منها ما كان موضوعاً على الجمر ، وينضج ثم يؤكل ما نضج أو يرمى به ؛ وتلقى السمكة في الماء ما لم ينكسر العظم الذي هو صلب السمكة ، فتعيش وينبت على عظمها اللحم . وان غسان أمر بحفر بركة في داره وملأها ماء وأمر بامتحان ما بلغه .

قال ابراهيم : فكنا نؤتي كل يوم بعدة من هذا السمك فنشويه ، على الحكاية التي ذكرت لنا ، ونكسر من بعضه عظم الصلب ونترك بعضه لا نكسره،فكان ما يكسر عظمه يموت ، وما لم يكسر عظمه يسلم وينبت عليه اللحم ويستوي الجلد . إلا أن جلدة تلك السمكة تشبه جلد الجدي الاسود ؛ وما قشرناه من لحوم السمك التي شويناها ورددناها الى الماء يكون على غير لون الجلدة الاولى لانه يضرب الى البياض .

قال يوسف : وسألت ابراهيم بن فزارون عن قول من يزعم أن نهر مهران هو نهر النيل فقال لي: رأيت نهر مهران وهو يصب في البحر المالح إلا أن علماء الهند والسند أعلموني أن مخرج النيل ومخرج نهر مهران من عين واحدة عظيمة ، فنهر مهران يشق أرض السند حتى يصب في بحرها المالح، والنهر

---

(١) مقاطعة في باكستان الغربية ويجتازها نهر هندوس .
(٢) يوم الفرح عموماً وهو اول يوم من السنة الشمسية عند الفرس .
(٣) عيد للفرس وهو اليوم السادس عشر من شهر مهرجان وذلك عند نزول الشمس في اول برج الميزان .
(٤) واحد طاووس وهو طائر حسن الشكل ملون الريش .

الآخر يشق أرض الهند وجميع ارض السودان حتى يخرج الى أرض النوبة ، ثم يصب باقيه في أرض مصر فيرويها ثم يصب باقيه في بحر الروم .

قال يوسف : وحدثني عنبسة بن اسحق الضبي من أمر العين التي منها يخرج نهر مهران والنيل بمثل ما حدثني به ابراهيم ، وكان يحدثنا بحديث السمك في كل وقت .

أيوب المعروف بالأبرش

كان له نظر في صناعة الطب ومعرفة بالنقل ، وقد نقل كتباً من مصنفات اليونانيين الى السرياني والى العربي وهو متوسط النقل ، وما نقله في آخر عمره فهو أجود مما نقله قبل ذلك .

ابراهيم بن أيوب الأبرش

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « أدب الطبيب » حدثني عيسى بن ماسة قال : رأيت ابراهيم بن أيوب الابرش وقد عالج اسمعيل أخا المعتز وبرىء . فكلمت أمه قبيحة المتوكل أن يجيزه ، فقال لها : لا تجيزيه ليس عندك ما تعطيه حتى أعطيه أنا مثله . وابراهيم واقف بين أيديهما ؛ فامرت قبيحه فاحضرت بدرة دراهم لابراهيم ، وأمر المتوكل باحضار مثل ذلك ؛ فاحضرت قبيحه بدرة آخرى فأمر باحضار مثلها ، فلم يزالا يأمران باحضار بدرة وبدرة حتى أحضرت ست عشرة بدرة ، فأومت قبيحة الى جاريتها أن تمسك ، فقال لها ابراهيم سراً : لا تقطعي وأنا أرد عليك . فقالت له: املأ الله عين الآخر . فقال لها المتوكل : والله لو أعطيتيه الى الصباح لاعطيته مثل ذلك . فحملت البدر الى منزل ابراهيم .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت ان الخلافة لما تأدت الى المعتز بالله كان أخص المتطببين عنده ابراهيم ابن الأبرش لمكانه من والدته قبيحة .وكانت صلاته أبداً واصلة اليه . وخلع أبو عبدالله المعتز بالله بسر من رأى ، وقبض عليه صالح بن وصيف يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وحبسه خمسة ايام ، ثم قتل وقت العصر من يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان من السنة المذكورة وله ثلاث وعشرون سنة

جبرائيل كحال المأمون

قال يوسف بن ابراهيم : كان المأمون يستخف يد جبرائيل الكحال ، ويذكر أنه ما رأى أبداً على عين أخف من يده . واتخذ مراود [1] ومكاحل ودستجا [2] ودفعه اليه ، فكان أول من يدخل

(١) واحدها مرود وهو الميل الذي يكحل به.
(٢) الدستجة ؛ الاناء الكبير من الزجاج ، (ن.د)

اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة ، فيغسل أجفانـــه ويكحل عينيه ، فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك . وكان يجري عليه ألف درهم في كل شهر . ثم سقطت منزلته بعـــد ذلك ، فسألته عن السبب في ذلك فأخبرني أن الحسين الخادم اعتل ، فلم يكن ياسراً أخاه عيادته لاشتغاله بالخدمة ، إلى أن وافى ياسر باب الحجرة التي كان فيها المأمون ، وقد خرج جبرائيل من عنده بعد ان برد أجفانه ، وكحل عينيه . فسأله ياسر عن خبر المأمون فأخبره انه أغفى ، فتغنم ياسر ما اخبره به من نومه فصار الى حسين فعاده . وانتبه المأمون قبل انصراف ياسر من عند حسين ، ثم انصرف ياسر فسأله المأمون عن سبب تخلفه ، فقـــال ياسر : أخبرت بنوم أمير المؤمنين ، فصرت الى حسين فعدته . فقال له المأمون : ومن أخبرك برقادي ؟ فقال له ياسر : جبرائيل الكحال . قال جبرائيل : فأحضرني المأمون ثم قال : يا جبرائيل اتخذتك كحالا لي او عاملاً على الاخبار عني ؟ اردد علي مكاحلي واميالي ، واخرج عن داري . فاذكرته خدمتي ، فقال : ان له لحرمة ، فليقتصر له على اجراء مائة وخمسين درهماً في كل شهر ولا يؤذن له في الدخول . فلم يخدم المأمون بعده حتى توفي .

ماسويه أبو يوحنا

قال فثيون الترجمان : ان ماسويه كان يعمل في دق الأدوية في بيمارستان جندي سابور ، وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من الالسنة ، إلا انه عرف الامراض وعلاجها وصار بصيراً بانتقاد الادوية ، فأخذه جبرائيل بن بختيشوع فأحسن اليه ، وعشق جارية لداود بن سرابيون ، فابتاعهـــا جبرائيل بثمانمائة درهم ، ووهبها لماسويه ورزق منها ابنه يوحنا وأخاه ميخائيل .

وقال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « أدب الطبيب » عن عيسى بن ماسة : إن ماسويه أبا يوحنا كان تلميذاً في بيمارستان جندي سابور ثلاثين سنة ، فلمـــا اتصل به محل جبرائيل من الرشيد ، قال : هذا أبو عيسى قد بلغ السها ، ونحن في البيمارستان لا نتجاوزه . فبلغ ذلك جبرائيل ، وكان البيمارستان اليه ، فأمر باخراجه منه ، وقطع رزقه . فبقي منقطعـــاً به ، فصار الى مدينة السلام ليعتذر الى جبرائيل ويخضع له . فلم يزل على بابه دهراً طويلاً ، فلم يأذن له . فكان إذا ركب دعـــا له ، واستعطفه فلا يكلمه . فلما ضاق به الامر صار الى دار الروم بالجانب الشرقي فقال للقس : اكرز لي في البيعة لعله أن يقع لي شيء ، فأنصرف إلى بلدي ، فان أبا عيسى ليس يرضى عني ولا يكلمني . فقال له القس : أنت في البيمارستان منذ ثلاثين سنة ، ولا تحسن شيئاً من الطب ؟ فقال : بلى ، والله ، أطب وأكحل ، وأعالج الجراحات . فأخرج له صندوقاً وأعطاه اياه ليداوي ، وأجلسه ببـــاب الحرم عند قصر الفضل بن الربيع ، وهو وزير الرشيد ، فلم يزل هناك يكسب الشيء بعد الشيء حتى حسنت حاله . واشتكت عين خادم للفضل بن الربيع فنفذ اليه جبرائيل بكحالين فعالجوه بأصناف العلاج ، فلم ينتفع به واشتد وجعه حتى عدم النوم . فلما اشتد أرقه وقلقـــه ، خرج من القصر هائماً من الضجر والقلق . فرأى ماسويه فقال له : « يا شيخ ما تصنع هنا ؟ ان كنت تحسن شيئاً فعالجني

وإلا فقم من ههنا . فقال له : يا سيدي احسن واجيد . فقال له : ادخل معي حتى تعالجني . فدخل معه ، وقلب جفنه وكحله ، وسكب على رأسه وسعطه . فنام الخادم وهدأ . فلما أصبح أنفذ إلى ماسويه جونة فيها خبز سميد ، وجدي ودجاجة وحلوى ، ودنانير ، ودراهم ، وقال له : هذا لك في كل يوم ، والدراهم والدنانير رزقك مني في كل شهر . فبكى ماسويه فرحاً ، فتوهم الرسول انه قد استقله فقال له : لا تغتم فانه يزيدك ويحسن اليك . فقال له : يا سيدي رضيت منه بهذا ان يدرّه على الأيام . فلما رجع عرّف الخادم ما كان منه ، فعجب منه وبرأ الخادم على يديه . ولم يمض إلا أيام يسيرة حتى اشتكت عين الفضل ، فنفذ اليه جبرائيل الكحالين ، فلم يزالوا بعالجونه فلم ينتفع بهم ، فأدخل الخادم ماسويه اليه ليلاً ، فلم يزل يكحله الى ثلث الليل ، ثم سقاه دواء مسهلاً فصلح به .

ثم حضر جبرائيل فقال له الفضل : يا أبا عيسى ، ان ههنا رجلاً يقال له ماسويه ، من أفره الناس وأعرفهم بالكحل ، فقال له : ومن هذا ؟ لعله الذي يجلس بالباب ؟ فقال له : نعم . قال جبرائيل : هذا كان أكاراً [1] لي فلم يصلح للكروث [2] فطردته ، وقد صار الآن طبيباً ! وما عالج الطب قط ! فان شئت فاحضره وأنا حاضر . وتوهم جبرائيل انه يدخل ويقف بين يديه ويتذلل له . فامر الفضل باحضاره ، فدخل وسلم وجلس بحذاء جبرائيل . فقال له جبرائيل : يا ماسويه اصرت طبيباً ؟ فقال له : لم أزل طبيباً ، أنا أخدم البيمارستان منذ ثلاثين سنة ، تقول لي هذا القول ! ففزع جبرائيل أن يزيد في المعنى ، فبادر وانصرف في الحال وهو خجل . وأجرى الفضل على ماسويه في كل شهر ستمائة درهم وعلوفة دابتين ، ونزل خمسة غلمان ، وأمره أن يحمل عياله من جندي سابور ، وأعطاه نفقة واسعة . فحمل عياله ويوحنا ابنه حينئذ وهو صبي

فما مضت إلا أيام حتى اشتكت عين الرشيد ، فقال له الفضل : يا أمير المؤمنين طبيبي ماسويه من أحذق الناس بالكحل . وشرح له قصته وما كان من أمر خادمه ، وأمر نفسه . فأمر الرشيد باحضاره،فأحضر ماسويه فقال له: تحسن شيئاً من الطب سوى الكحل ؟ فقال:نعم يا أمير المؤمنين ، وكيف لا احسن وأنا قد خدمت المرضى بالبيمارستان منذ ثلاثين سنة ؟ فأدناه منه ونظر عينيه ، فقال : الحجام الساعة . فحجمه على ساقيه ، وقطر في عينيه ، فبرأ بعد يومين . فامر بأن يجرى عليه ألفا درهم في الشهر ، ومعونة في السنة عشرون ألف درهم ، وعلوفة ونزل ، والزمه الخدمة مع جبرائيل وسائر من كان في الخدمة من المتطببين . وصار نظيراً لجبرائيل ، بل كان في ذلك الوقت يحضر بحضوره ، ويصل بوصوله ، ودونه في الرزق ، لان جبرائيل كان له في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة ، مائة ألف درهم ، وصلات دائمة واقطاعات .

ثم انه اعتلت بانو أخت الرشيد ، فلم يزل جبرائيل يعالجها بانواع العلاج فلم تنتفع ، فاغتم بها ،

---

(١) فلاح .

(٢) للزراعة .

فقال الرشيد ذات يوم : قد كان ماسويه ذكر انه خدم المرضى بالمارستان ، وانـــه يعالج الطبائع ، فليدخل الى عليلتنا لعل عنده فرجاً لهـــا . فاحضر جبرائيل وماسويه.، فقال له ماسويه : عرفني حالها وجميع ما دبرتها به الى وقتنا هذا . فلم يزل جبرائيل يصف له ما عالجها به ، فقال ماسويه : التدبير صالح ، والعلاج مستقيم ، ولكن احتاج الى ان أراها . فامر الرشيد ان يدخلا اليها . فدخل وتأملها ، وجس عروقها بحضرة الرشيد وخرجوا من عنده . وقال ماسويه للرشيد ! يا امير المؤمنين، يكون لك طول العمر والبقاء ، هذه تقضي بعد غد مـــا بين ثلاث ساعات الى نصف الليل . فقال جبرائيل : كذب يا أمير المؤمنين ، انها تبرأ وتعيش . فأمر الرشيد بحبس ماسويه ببعض دوره في القصر ، وقال : لاسبرن[1] ما قاله وأنذرنا به ، فما رأينا بعلم الشيخ بأساً . فلما حضر الوقت الذي حده ماسويه ، توفيت . فلم يكن للرشيد همة بعـــد دفنها إلا أن أحضر ماسويه ، فسأله وأعجب بكلامه .

وكان أعجمي اللسان ، ولكنه كان بصيراً بالعلاج ، كثير التجارب ، فصيره نظيراً لجبرائيل في الرزق والنزل والعلوفة والمرتبة . وعنى بابنه يوحنا ووسع النفقة عليه ، فبلغ المرتبة المشهورة .

قال يوسف بن ابراهيم : عدت جبرائيل بن بختيشوع بالعلث[2] في سنة خمس عشرة ومـــائتين ، وقد كان خرج مع المأمون في تلك السنة ، حتى نزل المأمون في دير النساء . فوجدت عنـــده يوحنا ابن ماسويه وهو يناظره في علته ، وجبرائيل يستحسن استماعه واجابته ووصفه . فدعـــا جبرائيل بتحويل سنته ، وسألني النظر فيه ، واخباره بما يدل عليه الحساب . فنهض يوحنا عنـــد ابتدائي بالنظر في التحويل ، فلما خرج من الحراقة[3] قال لي جبرائيل : ليست بـــك حاجة الى النظر في التحويل لاني أحفظ جميع قولك وقول غيرك في هذه السنة ، وانما أردت بدفعي التحويل اليك أن ينهض يوحنا فأسألك عن شيء بلغني عنه ، وقد نهض . فأسألك بحق الله ، اهـــل سمعت يوحنا قـــط يقول انه أعلم من جالينوس بالطب ؟ فحلفت لـــه اني ما سمعته قط يدعي ذلك ! فما انقضى كلامنا حتى رأيت الحراقـــات تنحدر الى مدينة السلام ، فـــانحدر المأمون في ذلك اليوم ، وكان يوم خميس ، ووافينا مدينة السلام غداة يوم السبت ، ودخـــل الناس كلهم الى مدينة السلام خلا ابي العباس بن الرشيد فانـــه أقام في الموضع المعروف بالقلائين من الجانب الغربي بمدينة السلام ، وهو بازاء دار الفضل بن يحيى بباب الشماسية ، التي صار بعضها في خلافة المعتصم لابي العباس بن الرشيد . فكنت وجماعة ممن يريد المصير الى أبي العباس ممن منازلهم في قنطرة البردان ونهر المهدي لا نجشم أنفسنا المصير الى الجسر ثم المصير الى القلائين ، لبعـــد الشقة ، فنصير الى قصر الفضل بن يحيى ونقف بازاء مضرب أبي العباس ، وكانت الزبيديات توافينا فتعبر بنا .

---

(١) امتحنه ليعرف قدره .

(٢) قرية شرقي دجلة وقف على العلوية .

(٣) السفينة الخفيفة المر او التي فيها مرامي النيران يرمى بها العدو بالبحر .

فاجتمعت ويوحنا بن ماسويه عند أبي العباس بعد موافاة المأمون مدينة السلام بثلاثة أيام. وجمعتنا الزبيدية عند انصرافنا فسألني عن عهدي بجبرائيل ، فأعلمته اني لم أره منذ اجتمعنا بالعلث ، ثم قلت له : قد شنعت عنده . فقال . بماذا ؟ فقلت له : بلغه انك تقول أنا أعلم من جالينوس . فقال : على من ادعى علي هذه الدعوة لعنه الله ؛ والله ما صدق مؤدي هذا الخبر ، ولا بر . فسرى ذلك من قوله ما كان في قلبي ، وأعلمته اني أزيل عن قلب جبرائيل ما تأدى اليه من الخبر الاول. فقال لي : افعل، نشدتك الله ، وقرر عنده ما أقول ، وهو ما كنت أقوله فحرف عنده . فسألته عنه فقال : « انما قلت لو ان بقراط وجالينوس عاشا الى أن يسمعا قولي في الطب وصفاتي لسألا ربهما أن يبدلهما بجميع حواسهما من البصر والشم والذوق واللمس حساً سمعياً يضيفانه الى ما معهما من حس السمع ، ليسمعا حكمي ووصفي . فاسألك بالله أما اديت هذا القول عني اليه . » فاستعفيته من القاء هذا الخبر عنه فلم يعفني . فاديت الى جبرائيل الخبر ، وقد كان أصبح في ذلك اليوم مفرقاً من علته ، فتداخله من الغيظ والضجر ما تخوفت عليه منه النكسة ، وأقبل يدعو على نفسه ويقول: « هذا جزاء من وضع الصنيعة في غير موضعها ؛ وهذا جزاء من اصطنع السفل ، وأدخل في مثل هذه الصناعة الشريفة من ليس من أهلها . ثم قال : هل عرفت السبب في يوحنا وأبيه ؟ فاخبرته أني لا أعرفها . فقال لي : ان الرشيد امرني باتخاذ بيمارستان ، وأحضرت « دهشتك » ، رئيس بيمارستان جندي سابور ، لتقليده البيمارستان الذي أمرت باتخاذه ، فامتنع من ذلك . وذكر ان السلطان ليست له عليه أرزاق جارية ، وانه انما يقوم ببيمارستان جندي سابور وميخائيل ابن أخيه حسبة. وتحمل علي بطيمانيوس الجاثليق في اعفائه وابن أخيه فاعفيتها . فقال لي : أما اذ قد أعفيتني فأني أهدي اليك هدية ذات قدر يحسن بك قبولها ، وتكثر منفعتها لك في هذا البيمارستان . فسألته عن الهدية ، فقال لي : « ان صبياً كان ممن يدق الأدوية عندنا ممن لا يعرف له اب ولا قرابة ، أقام في البيمارستان أربعين سنة ، وقد بلغ الخمسين سنة او جاوزها ، وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من الالسنة، الا أنه قد عرف الأدواء داء داء ، وما يعالج به كل داء . وهو أعلم خلق الله بانتقاد الأدوية ، واختيار جيدها ، ونفي رديها. فأنا اهديه لك فاضممه الى من أحببت من تلامذتك . ثم قلد تلميذك البيمارستان فان اموره تخرج على احسن من مخرجها لو قلدتني هذا البيمارستان . » فاعلمته اني قد قبلت الهدية ، وانصرف « دهشتك » الى بلده ، وأنفذ الي الرجل ، فأدخل علي في زي الرهبان ، وكشفته فوجدته على ما حكى لي عنه. وسألته عن اسمه، فاخبرني ان اسمه ماسوية. وكنت في خدمة الرشيد وداؤد بن سرابيون مع أم جعفر. وكان المنزل الذي ينزله ماسويه يبعد من منزلي ويقرب من منزل داؤد بن سرابيون . وكان في داؤد دعابة وبطالة، وكان في ماسويه ضعف من ضعف السفل فيستطيبه كل بطال. فما مضى بماسويه الا يسير حتى صار الي وقد غير زيه ، ولبس الثياب البيض. فسألته عن خبره، فاعلمني انه قد عشق جارية لداؤد بن سرابيون صقلبية يقال لها « رسالة » ، وسألني ابتياعها له ، فابتعتها له بثمانمائة درهم ووهبتها له ، فاولدها يوحنا وأخاه . ثم رعيت لماسويه ابتياعي له رسالة وطلبه منها النسل ، وصيرت ولده كأنهم ولد قرابة لي ، وعنيت برفع اقدارهم وتقديمهم على ابناء اشراف أهل هذه المهنة وعلمائهم ، ثم رتبت ليوحنا ، وهو غلام ، المرتبة الشريفة ووليته البيمارستان وجعلته رئيس تلامذتي ، فكانت

مثوبتي منه هذه الدعوى التي لا يسمع بها أحد الا قذف من خرّجه ، ونوّه باسمه وأطلق لسانه بمثل ما أطلقه به . ولمثل ما خرج اليه هـــذه السفلة ، كانت الاعاجم تمنع جميع الناس من الانتقال عن صناعات آبائهم ، وتحظّر ذلك غاية الحظر والله المستعان .

يوحنا بن ماسويه

كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب ، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك .

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « ادب الطبيب » عن عيسى بن ماسه الطبيب ، قـــال : اخبرني أبو زكريا يوحنا بن ماسويه انه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم ، وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين أخر . وكان الواثق مشغوفاً ضنيناً به ، فشرب يوماً عنده فسقاه الساقي شراباً غير صاف ولا لذيذ ، على ما جرت به العادة ، وهذا من عادة السقاة اذا قصر في برهم [1] . فلـــا شرب القدح الأول قال : يا أمير المؤمنين ، أما المذاقات فقد عرفتها واعتدتها ، ومذاقة هذا الشراب فخارجة عن طبع المذاقات كلها ، فوجد أمير المؤمنين على السقاة وقـــال : يسقون أطبائي ، وفي مجلسي ، مثل هذا الشراب ! وأمر ليوحنا ، بهـــذا السبب ، وفي ذلك الوقت ، بمائة ألف درهم ودعا بسمانة الخادم ، فقال له : احمل اليه المال الساعة . فلما كان وقت العصر سأل سمانة هل حمل مال الطبيب أم لا ؟ فقال : لا ، بعد ، فقال : يحمل اليه مائتا ألف درهم الساعة . فلما صلوا العشاء سأل عن حمل المال فقيل له لم يحمل بعد ، فدعا بسمانة وقال : احمل اليه ثلثمائة ألف درهم . فقال سمانة للخازن بيت المال : احملوا مال يوحنا والا لم يبق في بيت المال شيء . فحمل اليه من ساعته .

وقال سليمان بن حسان : كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانيا . قلده الرشيد ترجمـــة الكتب القديمة مما وجد بأنقره [2] وعمورية [3] وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ، ووضعه أميناً على الترجمة . وخدم هرون والأمين والمأمون ، وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل . قال : وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشنات [4] الهاضمة المسخنة الطابخة المقويـــة للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف بالاشربة الباردة والجوارشنات .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : إن يوحنا بن ماسويه خدم بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

---

(١) عطائهم والاحسان اليهم .
(٢) بلدة بالاناضول وهي عاصمة تركيا الحديثة منذ ١٩٢٣ .
(٣) مدينة بيزنطية في الاناضول لم يبق منها إلا اثر .
(٤) الجوارش اي القميحة وهي كالسفوف يتخذ للهضم .

وقال يوسف بن ابراهيم : كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو متفلسف ، لانه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب . وكان في يوحنا دعابة شديدة ، يحضر بعض من يحضر من أجلها . وكان من ضيق الصدر ، وشدة الحدة ، على اكثر مما كان عليه جبرائيل بن بختيشوع . وكانت الحدة تخرج منه ألفاظاً مضحكة ،وكان أطيب ما يكون مجلسه في وقت نظره في قوارير الماء ، وكنت وابن حمدون بن عبد الصمد بن علي الملقب بأبي العيرطرد ، واسحق بن ابراهيم بن محمد بن اسمٰعيل الملقب ببيض البغل ، قد توكلنا به بحفظ نوادره وأظهرت له التلمذة في قراءة كتب المنطق عليه ، وأظهرا له التلمــذة بقراءتها كتب جالينوس في الطب عليه .

قال يوسف : فمما حفظت من نوادره في وقت نظره : أن امرأة أتته فقالت له : ان فلانة وفلانة وفلانة يقرأن عليك السلام ، فقال لها : انا باسماء اهل قسطنطينية[1] وعمورية أعلم مني باسماء هؤلاء الذين سميتهن ، فاظهري بولك حتى أنظر لك فيه .

قال يوسف : وحفظت عليه : ان رجلاً شكى اليه علة كان شفاؤه منها الفصد ، فاشار به عليه ، فقال : لم اعتد الفصد ، فقال له : ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه . وكذلك لم تعتد العلة قبل ان تعتل ، وقد حدثت بك فاختار ما شئت من الصبر على ما أحدثت لك الطبيعة من العلة أو اعتياد الفصد لتسلم منها .

قال يوسف : وشكى اليه رجل بحضرتي جرباً [2] قد أضر به فامره بفصد الأكحل [3] من يده اليمنى ، فأعلمه أنه قد فعل. فأمر بفصد الأكحل أيضاً من يده اليسرى ، فذكر انه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ ، فقال : قد فعلت فأمره بشرب الاصطخيقون ، فأعلمه انه قد فعل . فأمره بشرب ماء الجبن اسبوعاً ، وشرب مخيض البقر اسبوعين ، فأعلمه انه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون إلا وقد ذكرت انك فعلته ، وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس ، وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً ، فاستعمله فاني أرجو أن ينجح علاجك ان شاء الله. فسأله : ما هو؟ فقال ابتع زوجي قراطيس ، وقطعها رقاعاً صغاراً ، واكتب في كل رقعه : « رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية » والق نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام ، والنصف الآخر في المسجد الغربي ، وفرقها في المجالس يوم الجمعة ، فاني ارجو ان ينفعك الله بالدعاء ، اذ لم ينفعك العلاج .

قال يوسف : وصار اليه ، وأنا حاضر ، قسيس الكنيسة التي يتقرب فيها يوحنا وقال له : قــد فسدت علي معدتي . فقال له : استعمل جوارشن الخوزبي ، فقال : قد فعلت . فقـــال له يوحنا : فاستعمل السقمونيا ، قال : قد أكلت منه أرطالاً فأمره باستعمال المقداذيقون ، فقال : قد شربت

(١) مدينة على ضفتي البوسفور وهي بيزنطيا القديمة اسسها الاغريق في القرن السابع قبل الميلاد وجعلها قسطنطين منعواصم الامبراطورية وسماها باسمه .

(٢) مرض يحدث في الجلد بثوراً لها حكة شديدة .

(٣) عرق في الذراع . (ن . ر)

منه جرة . قال له : فاستعمل المروسيا ، فقال : قد فعلت واكثرت . فغضب وقال له : ان اردت أن تبرأ فأسلم فان الاسلام يصلح المعدة .

قال يوسف : واشتدت على يوحنا علة كان فيها حتى يئس منه أهله ، ومن عادة النصارى احضار من يئس منه أهله جماعة من الرهبان والقسيسين والشمامسة يقرؤون حوله ، ففعل مثل ذلك بيوحنا . فافرق والرهبان حوله يقرؤون ، فقال لهم : يا أولاد الفسق ما تصنعون في بيتي ؟ فقالوا له : كنا ندعو ربنا في التفضل عليك بالعافية . فقال لهم يوحنا : قرص ورد أفضل من صلوات جميع أهـــل النصرانية منذ كانت الى يوم القيامة ، اخرجوا من منزلي فخرجوا .

قال يوسف : وشكى ، بحضرتي ، إلى يوحنا رجل من التجار جربا به في ايام الشتاء فقال : ليست هذه من ايام علاج ما تجد، وانما علاج دائك هذا في ايام الربيع ؛ فتنكب أكل المعفنات كلها ، وطري السمك ومالحه صغار ذلك وكباره ، وكل حريف من الابزار والبقول ، وما يخرج من الضرع . فقال له الرجل : هذه أشياء لست أعطى صبراً على تركها . فقال له يوحنا : فان كان الامر على ما ذكرت فأدمن أكلها وحك بدنك ، فلو نزل المسيح لك خاصة لما انتفعت بدعائه ، لما تصف به نفسك من الشره [1] .

قال يوسف : وعاتبه النصارى على اتخاذ الجواري وقالوا له خالفت ديننا وانت شماس ، فاما إن كنت على سنتنا واقتصرت على امرأة واحدة وكنت شماساً لنا ؛ وإما أخرجت نفسك من الشماسية واتخذت ما بدا لك من الجواري : فقال : انما أمرنا في موضع واحد أن لا نتخذ امرأتين ولا ثوبين ، فمن جعل الجاثليق [2] العاض بظر [3] أمه اولى ان يتخذ عشرين ثوباً من يوحنا الشقي في اتخاذ اربــع جوار ، فقولوا لجاثليقكم أن يلزم قانون دينه ، حتى نلزمه معه ، وان خالفه خالفناه .

قال يوسف : وكان بختيشوع بن جبرائيل يداعب يوحنا كثيراً ، فقال له يوماً في مجلس ابي اسحق، ونحن في عسكر المعتصم بالمدائن ، في سنة عشرين ومائتين : أنت يا أبا زكريا أخي لأبي فقال يوحنا لابي اسحق : أشهد ايها الأمير على اقراره فوالله لأقاسمنه ميراثه من أبيه ، فقال له بختيشوع : ان اولاد الزنا لا يرثون ولا يورثون وقد حكم دين الاسلام للعاهر بالحجر ، فانقطع يوحنا ولم يحر جواباً .

قـــال يوسف : وكانت دار الطيفوري في دار الروم من الجانب الشرقي بمدينة السلام لصيقة دار يوحنا بن ماسويه ، وكان للطيفوري ابن قد علم الطب علماً حسناً يقال له دانيل ، ثم ترهب بعد ذلك ؛ فكان يدخل مدينة السلام عند تأدي الخبر اليه بعلة والده أو ما أشبه ذلك . وكان ليوحنا طاروس كان يقف على الحائط الذي فيما بين داره ودار الطيفوري ، فقدم دانيل مدينة السلام ليلاً في

---

(١) اشتداد الميل الى الطعام .
(٢) متقدم الاساقفة ،
(٣) الفلقة التي تقطع في الختان من الجاريه اي ما بين اسكتي المرأة . والجملة عبارة عن سبة . (ن. ر.)

الشهر المعروف بآب ، وهو شهر شديد الحر كثير الرمد [1] ، فكان الطاووس كلما اشتد عليه الحر صاح فأنبه دانيل ، وهو في ثياب صوف من ثياب الرهبان ، فطرده مرات فلم ينفع ذلك فيه ، ثم رفع مرزبته [2] فضرب بها رأس الطاووس فوقع ميتاً . واستتر الخبر عن يوحنا الى ان ركب ورجع، فصادف عند منصرفه طاووسه ميتاً على باب داره ، فاقبل يقذف بالحدود من قتله . فخرج اليه دانيل فقال : لا تشتم من قتله ، فاني أنا قتلته ، ولك علي مكانه عدة طواويس . فقال له يوحنا : بحضرتي ليس يعجبني راهب له سنام وطول ذكر . إلا انه قال ذلك بفحش . فقال له دانيل : وكذلك ليس يعجبني شماس له عـــدة نساء ، واسم رئيسة نسائه قراطيس – وهو اسم رومي لا عربي . ومعنى قراطيس عند الروم القرنانة ، ولبس تكون المرأة قرنانـة حتى تنكح غير بعلهـا – . فخجل يوحنا ودخل منزله مفعولاً .

قال يوسف : وحدثني بمصر أحمد بن هرون الشرابي : أن المتوكل على الله حدثه في خلافة الواثق ان يوحنا بن ماسويه كان مع الواثق على دكان كان للواثق في دجلة ، ومع الواثق قصبة فيها شص [3] وقد ألقاها في دجلة ليصيد بها السمك ، فحرم الصيد ، فالتفت الى يوحنا وكان على يمينه ، فقال : قم يا مشؤوم عن يميني . فقال له يوحنا : يا أمير المؤمنين ، لا تتكلم بمحال ، يوحنا بن ماسويه الخوزي وأمه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانمائة درهم أقبلت به السعادة الى أن صار نديم الخلفـــاء وسميرهم وعشيرهم ، وحتى غمرته الدنيـا فنال منها مـا لم يبلغه أمـله . فمن أعظم محال أن يكون هذا مشؤوماً ، ولكن ، إن أحب أمير المؤمنين أن أخبره بالمشؤوم من هو ، أخبرته . فقال : ومن هو ؟ فقال : من ولدته أربع خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة ، فترك خلافته وقصورها وبساتينهـا وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجلة ، لا يأمن عصف الريح عليه فيغرقه . ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وشرهم ، وهم صيادو السمك . قال لي احمد بن هرون قال لي المتوكل : فرأيت الكلام قد أنجع فيه إلا أنه أمسك لمكاني .

قال يوسف : وحدثني أحمد بن هرون أن الواثق قال في هذا ليوحنا وهو على هذه الدكان : يا يوحنا ألا اعجبك من خلة ؟ قال : وما هي ؟ قال : ان الصياد ليطلب السمك مقدار ساعة ، فيصيد من السمكة ما تساوي الدينار او ما اشبه ذلك . وانا اقعد مذ غدوة الى الليل فلا أصيد ما يساوي درهماً . فقال له يوحنـا : وَضَع أمير المؤمنين التعجب في غير موضعه ، إن رزق الصيـاد من صيد السمك ، فرزقه يأتيه لانه قوته وقوت عياله ؛ ورزق أمير المؤمنين بالخلافة فهو غني عن ان يرزق بشيء من السمك ، ولو كان رزقه جعل في الصيد لوافاه رزقه منه مثل ما يوافي الصياد .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن علي متطبب أحمد بن طولون ، أنه كان في دهليز يوحنا بن ماسويه

---

(١) وجع العين وانتفاخها .

(٢) عصية من حديد .

(٣) حديدة عقفاء يصاد بها السمك وهي معرب شت او شست (ن . ر) .

ينتظر رجوع يوحنا من دار السلطان ، فانصرف وقد أسلم في ذلك الوقت عيسى بن ابراهيم بن نوح بن أبي نوح كاتب الفتح بن خاقان . قال ابراهيم : فقمت اليه وجماعة من الرهبان ، فقال لنا : اخرجوا يا اولاد الزنا من داري واذهبوا أسلموا فقد أسلم المسيح الساعة على يد المتوكل .

قال يوسف : وقدم جرجة بن زكريا ، عظيم النوبة ، في شهر رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين الى سر من رأى ، وأهدى الى المعتصم هدايا فيها قردة . فاني عند يوحنا في اليوم الثاني من شوال من هذه السنة ، وأنا اعاتبه على تخلفه عن حضور الدار ، في ذلك الوقت ، لاني رأيت سلمويه وبختيشوع والجريش المتطببين ، وقد وصلوا ، اذ دخل علينا غلام من الاتراك الخاصة ومعه قرد من القرود التي أهداها ملك النوبة لا أذكر اني رأيت اكبر منه جثة وقال له : يقول لك أمير المؤمنين زوج هذا القرد من «حماحم» قردتك وكان ليوحنا قردة يسميها حماحم ، كان لا يصبر عنها ساعة . فوجم لذلك ثم قال للرسول : قل لامير المؤمنين اتخاذي لهذه القردة غير ما توهمهُ أمير المؤمنين ، وانما دبرت تشريحها ووضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح يكون جمال وضعي اياه لأمير المؤمنين ، وكان في جسمها قلة تكون العروق فيها ، والاوراد والعصب دقاقاً ، فلم أطمع في اتضاح الأمر فيها مثل اتضاحه فيما عظم جسمه . فتركتها لتكبرويغلظ جسمها ، فاما إذ قد وافى هذا القرد فسيعلم أمير المؤمنين أني سأضع له كتاباً لم يوضع في الاسلام مثله. ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب حسن استحسنه اعداؤه فضلاً عن اصدقائه .

قال يوسف : ودخل يوحنا على محمد بن أبي أيوب بن الرشيد ، وكانت به حمى مثلثة ، وهي التي تأخذ غباً ، فنظر الى مائه وجس عرقه وسأله عن خبره ، كيف كان في أمسه ومبيته وصباحه ، الى أن وافاه . فاخبره بذلك فقال يوحنا : حُمَّاك هذه من اسهل الحميات ما لم يخلط صاحبها ، لان أقصى حقها سبعة أدوار واكثر ذلك يترك في الدور الرابع . وان خلط فيها العليل انتقلت فربما تطاولت به العلة ، وربما تلفت نفسه . فقال ابن ابي ايوب: قف بي على ما رأيت ، فأني لا أخالفك». فامره أن يقتصر على لباب الخبز المغسول بالماء الحار ثلاث غسلات ، ثم يأكل اللباب ان كانت شهوته للطعام ضعيفه ، وعلى المزّورات [1] من الطعام مثل الماس [2] والقرع [3] والسرمق [4] والخيار وما أشبه ذلك ان كانت شهوته قوية ؟ وان يرفع يده عن الطعام وهو يشتهيه . فقال له محمد : فهذا ما أمرت بأكله فدلني على ما لا آكل . فقال له : أول ما أنهاك عن أكله ، فيوحنا بن ماسويه ثم بغلة الجاثليق ، فان حقه على أهل النصرانية واجب ؛ ثم الزنبريتان وهما السفيلتان اللتان في الجسر في الجانب الشرقي ، فان الجسر لا يصلح الابها . ثم نهض مغضباً وهو يدعو علي لاني كنت السبب في مصيره الى محمد بن أبي ايوب

(١) واحدها مزورة وهي مرقة يطعمها المريض تطبخ خاليه من الادهان

(٢) حب من القطاني أخضر يؤكل مطبوخاً .

(٣) نوع من اليقطين وتسميه العرب الدباء .

(٤) نبات قيل هو القطف ، والقطف بقلة من احرار البقول . والسرمق ، فارسية او فارسيته السرمك (ن.ر)

قال يوسف : واعتل محمد بن سليمان بن الهادي المعروف بابن مشغوف علة تطاولت به ، وكان أبو العباس بن الرشيد يلزم يوحنا تعاهده ، وكان محمد ابن سليمان ربما يزيد في الحديث أشياء لا يخيل باطلها على سامعها . فدخل اليه يوماً وأنا عنده ، فاستشاره فيما يأخذ . فقال يوحنا : قد كنت أشير عليك بما تأخذ في كل يوم وأنا احسبك تحب الصحة والعافية ، فاما إذ صح عندي انك تكره العافية وتحب العلة فلست استحل أن اشير عليك بشيء . فقال له ابن مشغوف : يا جاهل من يكره العافية ويحب العلة ؟ فقال له يوحنا : أنت ، والبرهان على ذلك ان العافية في العالم تشبه الحق والسقم يشبه الكذب ، وأنت تتكلم أكثر دهرك بالكذب ، فيكون كذبك مادة لسقمك فمتى تبرأ أنت من علة متطاولة ، وأنت تمدها أكثر دهرك بالكذب الزائد فيها ، فالزم الصدق ثلاثة أيام ولا تكذب فيها، فيوحنا بريء من المسيح ، إن لم تخرج من هذه العلة قبل انقضاء هذه الثلاثة أيام

قال يوسف بن ابراهيم ، وكان ليوحنا بن ماسويه ابن يقال له ماسويه أمه بنت الطيفوري جد اسرائيل متطبب الفتح بن خاقان . وكان ماسويه هذا اشبه خلق الله بابيه في خلقه ولفظه وحركاته . إلا انه كان بليداً لا يكاد يفهم شيئاً إلا بعد مدة طويلة ، ثم ينسى ذلك في أسوع من اللحظ . فكان يوحنا يظهر محبة ابنه تقيَّة [1] من ألسنة الطيفوري وولده . وكان أشد بغضاً له منه اسهل الكوسج الذي هتكه بادعائه انه وضعه في فرج أمه .

قال يوسف : واعتل في أول سنة سبع عشرة ومائتين صالح بن شيخ بن عميرة بن حيان بن سراقة الأسدي علة أشرف منها ، فاتيته عائداً ، فوجدته قد أفرق بعض الافراق ، فدارت بيننا أحاديث كان منها ان عميرة جده أصيب باخ له من ابويه ، ولم يخلف ولداً ، فعظمت عليه المصيبة .ثم ظهر حبَل بجارية كانت له بعد وفاته فسري عنه بعض ما دخله من الغم وحولها الى بيته ، وقدمها على حرم نفسه ، فوضعت ابنة فتبنى بها وقدمها على ذكور ولده واناثهم . فلما ترعرعت رغب لها في كفء يزوجها منه . فكان لا يخطبها اليه خاطب الا فرّغ نفسه للتفتيش عن حسبه والتفتيش عن اخلاقه ، فكان بعض من نزع اليه خاطباً لها ابن عم لخالد [2] بن صفوان بن الأهتم التميمي ، وكان عميرة عارفاً بوجه الفتى وبنسبه . فقال : يابني أما نسبك فلست أحتاج الى التفتيش عنه ، وانك لكفء لابنة أخي من جهة الشرف ، ولكنه لا سبيل الى عقد عقدة النكاح على ابنتي دون معرفتي باخلاق من أعقد العقدة له ، فان سهل عليك المقام عندي وفي داري سنة أكشف فيها أخلاقك كما اكشف احساب وأخلاق غيرك ، فاقم في الرحب والسعة ؛ وان لم يسهل ذلك عليك فانصرف الى أهلك فقد أمرنا بتجهيزك وحمل جميع ما تحتاج اليه معك الى موافاتك بصرتك . قال صالح بن شيخ : حدثني أبي عن جدي أنه كان لا يبيت ليلة الا اتاه عن ذلك الرجل أخلاق متناقضة . فواصف له باحسن الامور ، وواصف له باسمجها . فاضطره تناقض أخباره الى التكذيب بكلها ، وأن يترك الأمر على أن مادحه مايله ، وان عائبه تحامل عليه .

(١) الحذر .
(٢) نديم السفاح وكان يرجع الى مشورته في معضلات اموره اتخذه نديماً لأدبه توفي سنة ٧٥٧ .

فكتب الى خالد : « أما بعد فان فلاناً قدم علينا خاطباً لابنة أخيك فلانة بنت فلان ، فان كانت أخلاقه تشاكل حسبه ففيه الرغبة لزوجته ، والحظ لولي عقد نكاحه . فان رأيت علي بما ترى العمل به في ابن عمك وابنة اخيك ، فان المستشار مؤتمن فعلت ان شاء الله » . فكتب اليه خالد : « قد فهمت كتابك وكان أبو ابن عمي هذا احسن أهلي خلقاً وأسمجهم خلقاً ، واحسنهم عمن أساء به صفحاً ، واسخاهم كفاً ، إلا انه مبتل بالعهار [1] وسماجة الخلق . وكانت امه من احسن خلق الله وجهاً ، واعفهم فرجاً ؛ الا انها من سوء الخلق والبخل وقلة العقل على ما لا اعرف احداً على مثله . وابن عمي هذا، فقد تقبل من ابويه مساويها ، ولم يتقبل شيئاً من محاسنهما . فان رغبت في تزويجه على ما شرحت لك من خبره فانت وذاك . وان كرهته رجوت ان يخير الله لابنة اخينا ان شاء الله

قال صالح : فلما قرأ جدي الكتاب أمر باعداد طعام للرجل ، فلما ادرك حمله على ناقة مهرية ووكل به من اخرجه من الكوفة . فاعجبني هذا الحديث وحفظته . وكان اختياري ، في منصرفي من عند صالح بن شيخ ، على دار هرون بن سليمان بن المنصور فدخلت عليه مسلماً وصادفت عنده ابن ماسويه . فسألني هرون عن خبري وعمن لقيت . فحدثته بما كان عند صالح بن شيخ . فقال : لقد كنت في معادن الاحاديث الطيبة الحسان . وسألني ! هل حفظت عنه حديثاً ؟ فحدثته بهذا الحديث. فقال يوحنا : عليه وعليه ان لم يكن شبه هذا الحديث بحديثي وحديث ابني اكثر من شبه ابني بي . بليت بطول الوجه وارتفاع قحف الرأس وعرض الجبين ، وزرقة العين ؛ ورزقت ذكاء وحفظاً لكل ما يدور في مسامعي . وكانت بنت الطيفوري احسن انثى رأيتها او سمعت بها الا أنها كانت ورهاء [2] بلهاء ، لا تعقل ما تقول ، ولا تفهم ما يقال لها . فتقبل ابنها مساجنا جميعاً ، ولم يرزق من محاسننا شيئاً . ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني هذا حياً ، مثل ما كان جالينوس يشرح القرود والناس . فكنت اعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلادته ، واريح الناس من خلقته ، واكسب اهلها بما اضع في كتابي في صفة تركيب بدنه ، ومجاري عروقه واوراده وعصبه علماً ولكن السلطان يمنع من ذلك . وكأني بابي الحسين يوسف قد حدث الطيفوري وولده بهذا الحديث ، فألقى لنا شراً ومنازعات ليضحك مما يقع بيننا ، فكان الامر على ما توهم .

واعتل ماسويه بن يوحنا بعد هذا بليال قلائل ، وقد ورد رسول المعتصم من دمشق ايام كان بها مع المأمون في إشخاص يوحنا اليه ، فرأى يوحنا فصده ورأى الطيفوري وابناه زكريا ودانيل خلاف ما رأى يوحنا . ففصده يوحنا وخرج في اليوم الثاني الى الشام ، ومات ماسويه في اليوم الثالث من مخرجه . فكان الطيفوري وولده يحلفون في جنازته ان يوحنا تعمد قتله ، ويحتجون بما حدثتهم به من كلامه الذي كان في منزل هرون بن سليمان .

ونقلت من كتاب الهدايا والتحف لأبي بكر وابي عثمان الخالديين قالا : حدثنا ابو يحيى ،

---

(١) الفجور . (ن. ر)

(٢) حمقاء .

قال : افتصد المتوكل فقال لخاصته وندمائه اهدوا الي يوم فصدي ، فاحتفل كل واحد منهم في هديته . وأهدى اليه الفتح بن خاقان جارية لم ير الراؤون مثلها حسناً وظرفاً وكمالاً ؛ فدخلت اليه ومعها جام [1] ذهب في نهاية الحسن ، ودن بلور لم ير مثله فيه شراب يتجاوز الصفات ، ورقعة فيها مكتوب :

اذا خرج الامام من الدواء وأعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب بهذا الجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدى اليه فهذا صالح بعد الدواء

(الوافر)

واستظرف المتوكل ذلك واستحسنه ، وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه . فقال : يا أمير المؤمنين ، الفتح ، والله ، أطب مني فلا تخالف ما أشار به .

أقول : ومن نوادر يوحنا بن ماسويه ان المتوكل على الله قال له يوماً : بعت بيتي بقصرين . فقال له : أخر الغداء يا أمير المؤمنين – أراد المتوكل تعشيت فضرني لانه تصحيفها – فأجابه ابن ماسويه بما تضمن العلاج . وعتب ابن حمدون النديم ابن ماسويه بحضرة المتوكل ، فقال له ابن ماسويه : لو ان مكان ما فيك من الجهل عقلاً ، ثم قسم على مائة خنفساء لكانت كل واحدة منهن أعقل من ارسطوطاليس .

ووجدت في كتاب جراب الدولة قال : دخل ابن ماسويه المتطبب الى المتوكل ، فقال المتوكل لخادم له : خذ بول فلان في قارورة وائتِ به الى ابن ماسويه . فأتى به فلما نظر اليه ، قال : هذا بول بغل لا محالة . فقال له المتوكل : كيف علمت أنه بول بغل ؟ قال ابن ماسويه : أحضرني صاحبه حتى أراه ، ويتبين كذبي من صدقي . فقال المتوكل : هاتوا الغلام . فلما مثل بين يديه قال له ابن ماسويه : ايش أكلت البارحة ؟ قال : خبز شعير ، وماء قراح فقال ابن ماسويه : هذا والله طعام حماري اليوم .

ونقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان ان أبا عثمان الجاحظ [2] ويوحنا بن ماسويه قال اجتمعا ، بغالب ظني ، على مائدة اسماعيل بن بلبل الوزير . وكان في جملة ما قدم مضيرة [3] بعد سمك ، فامتنع يوحنا من الجمع بينهما . قال له أبو عثمان : « أيها الشيخ لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن أو مضاداً له ، فان كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له، وان كانا من طبع واحد فلنحسب انا قد أكلنا من أحدهما الى أن اكتفينا » . فقال يوحنا : « والله مالي خبرة بالكلام ، ولكن كل يا

---

(١) الكأس .

(٢) من ائمة الادب في العصر العباسي ومن اشهر الكتاب والمؤلفين . وكان ذا ملاحظة دقيقة وروح مرحه فكهة وقلم شيق يمزج الجد بالدعابة ولد في البصرة وتوفي فيها سنة ٨٦٨ .

(٣) طعام يطبخ باللبن المضر اي حامض(ن.ر)

أبا عثمان ، وانظر ما يكون في غد » . فأكل أبو عثمان نصرة لدعواه ، ففلج في ليلته ، فقال: « هذه والله نتيجـة القياس المحال » . والذي ضلل أبا عثمان اعتقاده ان السمك من طبع اللبن . ولو سامحناه في أنهما من طبع واحد لكان لامتزاجهما قوة ليست لاحدهما .

وقال الشيخ أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي عن الحسين بن فهم قـــال : قدم علينا محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء وهو الجمحي سنة اثنتين وعشرين ومائتين ،فاعتل علة شديدة، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى اليه اجلاء أطبائهم ، فكان ابن ماسويه ممن اهدي اليه ، فلما جسّه ونظر اليه ، قال : ما ارى من العلة ما ارى من الجزع . فقال : والله ما ذاك لحرص على الدنيـا مع اثنتين وثمانين سنة ، ولكن الانسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة ، وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم زورة ، وقضيت اشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد علي من هذا قد سهل » . فقال له ابن ماسوية : فلا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما ان سلمك الله من هذه العوارض ، بلغك عشر سنين اخرى . قـــال الحسين بن فهم فوافق كلامه قـــدراً فعاش عشر سنين بعد ذلك .

وحدث الصولي في « كتاب الاوراق » قال : كان المأمون نازلاً على البدندون - نهر من أعمـــال طرسوس – فجلس يوماً واخوه المعتصم عليه ، وجعلا أرجلهما فيه استبراداً له ، وكان أبرد المـــاء وأرقه وألذه . فقال المأمون للمعتصم : أحببت الساعة من أزاذ [1] العراق آكله واشرب من هذا الماء البارد عليه ، وسمع صوت حلقة البريد واجراسه ، فقيل هـــذا يزيد بن مقبـــل بريد العراق ، فأحضر طبقاً من فضة فيه رطب ازاذ فعجب من تمنيه وما تم له . فأكلا وشربا من الماء ونهضا وتودع المأمون وأقال ، ثم نهض محموماً وفصد فظهرت في رقبته نفخة كانت تعتاده ويراعيها الطبيب الى أن تنضج وتفتح وتبرأ . فقال المعتصم للطبيب ، وهو ابن ماسويه ، ما أطرف ما نحن فيه تكون الطبيب المفرد المتوحد في صناعتك ، وهذه النفخة تعتـــاد أمير المؤمنين ، فـــلا تزيلها عنه ، وتتلطف في حسم مادتهـــا حتى لا ترجع اليه ! والله لئن عادت هذه العلة عليه لاضربن عنقك . فاستطرق ابن ماسويه لقول المعتصم وانصرف ، فحدّث به بعض من يثق به ويأنس اليه فقال له : « تدري مـــا قصد المعتصم ؟ قال : لا . قال : قد أمرك بقتله حتى لا تعود النفخة اليه ، والا فهو يعلم ان الطبيب لا يقدر على دفع الأمراض عن الاجسام ، وانما قال لك لا تدعه يعيش ليعود المرض عليه » . فتمالل ابن ماسويه وامر تلميذاً له بمشاهدة النفخة والتردد الى المأمون نيابة عنه ، والتلميذ يجيئه كل يوم ويعرفه حال المأمون وما تجدد له ، فامره بفتح النفخة ، فقال له : اعيذك بالله ، ما احمرت ولا بلغت الى حد الجرح ، » فقال له : امض وافتحهـــا كما أقول لك ولا تراجعني » فمضى وفتحها ومات المأمون رحمه الله .

اقول : انما فعل ابن ماسويه ذلك لكونه عديماً للمروءة والدين والأمانـــة ، وكان على غير ملة

---

(١) نوع من التمر .

الاسلام ، ولا له تمسك بدينه ايضاً كما حكى عنه يوسف بن ابراهيم في اخباره المتقدمة . ومن ليس له دين يتمسك به ويعتقد فيه فالواجب ان لا يداينه عاقل ولا يركن اليه حازم .

وكانت وفاة يوحنا بن ماسويه بسر من رأى يوم الاثنين لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين ومائتين في خلافة المتوكل .

ومن كلام يوحنا بن ماسويه انه سئل عن الخير الذي لا شر معه فقال : شرب القليل من الشراب الصافي

ثم سئل عن الشر الذي لا خير معه فقال : نكاح العجوز .

وقال : أكل التفاح يرد النفس .

وقال : عليك من الطعام بما حدث ، ومن الشراب بما عتق .

وليوحنا بن ماسويه من الكتب : **كتاب البرهان** ثلاثون باباً ، **كتاب البصيرة**، **كتاب الكمال والتمام**، **كتاب الحميات مشجر** ، **كتاب في الاغذية** ، **كتاب في الاشربة** ، **كتاب المنجح في الصفات والعلاجات** **كتاب في الفصد والحجامة** ، **كتاب في الجذام** لم يسبقه أحد الى مثله. **كتاب الجواهر** ، **كتاب الرجحان** **كتاب في تركيب الادوية المسهلة** واصلاحها وخاصة كل دواء منها ومنفعته ، **كتاب دفع مضار الاغذية**، **كتاب في غير ما شيء** مما عجز عنه غيره ، **كتاب السر الكامل** ، **كتاب في دخول الحمام** ومنافعها ومضرتها . **كتاب السموم وعلاجها** ، **كتاب الديباج** ، **كتاب الازمنة** ، **كتاب الطبيخ** ، **كتاب في الصداع** وعلله وأوجاعه وجميع ادويته والسدد والعلل المولدة لكل نوع منه ، وجميع علاجه ، الفه لعبد الله بن طاهر . **كتاب الصدر والدوار** ، **كتاب لم امتنع الاطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملهن** : **كتاب محنة الطبيب** ، **كتاب معرفة محنة الكحالين** ، **كتاب دغل العين** ، **كتاب مجسة العروق** ، **كتاب الصوت والبحة** ، **كتاب ماء الشعير** ، **كتاب المرة السوداء** ، **كتاب علاج النساء** **اللواتي لا يحبلن حتى يحبلن** ، **كتاب الجنين** ، **كتاب تدبير الاصحاء** ، **كتاب في السواك والسنونات**، **كتاب المعدة** ، **كتاب القولنج** ، **كتاب النوادر الطبية** ، **كتاب التشريح** ، **كتاب في ترتيب سقي الادوية المسهلة** بحسب الازمنة وبحسب الأمزجة ، وكيف ينبغي ان يسقى ، ولمن ومتى وكيف يعان الدواء اذا احتبس ، وكيف يمنع الاسهال اذا أفرط . **كتاب تركيب خلق الانسان وأجزائه** وعدد اعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ، ومعرفة أسباب الأوجاع ، ألفه للمأمون . **كتاب الابدال** فصول كتبها لحنين ابن اسحق بعد أن سأله المذكور ذلك . **كتاب الماليخوليا واسبابها وعلاماتها وعلاجها** . **كتاب جامع الطب** مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم ، **كتاب الحيلة للبرء** .

ميخائيل بن ماسويه

متطبب المأمون ، وميخائيل هذا هو اخو يوحنا بن ماسويه .

قال يوسف بن ابراهيم مولى ابراهيم بن المهدي : كان هـــذا المتطبب لا يمتع بالحديث ولا يحتج في شيء يقوله بحجـــة ، ولا يوافق أحداً من المتطببين على شيء أحدث من مائتي سنة ، فلم يكن يستعمل السكنجبين [1] والورد المربى إلا بالعسل ؛ ولا يستعمل الجلاب [2] المتخذ بماء الورد ، ولا يتخذه إلا من الورد المسلوق بالمـــاء الحار ، ولا يتخذه بالسكر ؛ ولا يستعمل شيئاً لم يستعمله الأوائل . ولقد سألته يوماً عن رأيه في الموز فقال : « لم أر له ذكراً في كتب الأوائل ، وما كانت هذه حاله لم أقـــدم على أكله ولا على طعامه للناس . وكان المأمون به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً ، حتى كان يدعوه بالكنية أكثر مما يدعوه بالاسم . وكان لا يشرب الأدوية الا ممـا تولى تركيبه واصلاحه له . وكنت أرى جميـع المتطببين بمدينـــة السلام يبجلونه تبجيلاً لم يكونوا يظهرونه لغيره .

قال يوسف : وحضر في النصف من شوال سنة عشرين ومائتين دار ابراهيم بن المهدي مع جماعـة من وجوه المتطببين ، وكانت « شكلة » عليلة فوجه المعتصم المتطببين اليها ليرجعوا اليه بخبرها ؛ وقد كانوا صاروا اليها قبل ذلك اليوم بيوم ، فنظروا الى مائها ، وجسوا عرقها ، وعاودوا النظر في اليوم الثاني في امرها ، فقالوا كلهم : « انها اصبحت صالحة ، وانهم لا يشكون في افراقها . فسبق الى وهمي انهم ، أو اكثرهم ، أحب أن يسر أبا اسحق بما ذكروا من العافية . فلما نهضوا اتبعتهم فسألت واحداً واحداً عما عنده من العلم بحالها فكلهم قال لي مثل مقالته لابي اسحق ، الا سلمويه بن بنان فانه قال لي : هي اليوم اصعب حالاً منها امس . وقال لي ميخائيل « قد ظهر أمس بالقرب من قلبها ورم لم نره في يومنا هذا ، افترى ذلك الورم ساخ في الأرض او ارتفع الى السماء ؛ انصرف فاعد لهذه المرأة جهازها فليست تبيت في الأحياء » فتوفيت وقت صلاة العشاء الآخرة بعد ان ألقى إلي ميخائيل ما القى ساعات عشراً او نحوها .

قال يوسف : وحدثني ميخائيل بن ماسويه انه لما قدم المأمون بغداد نادم طاهر [3] بن الحسين ، فقال له يوماً ، وبين ايديهم نبيذ قطر بلي : يا أبا الطيب هل رأيت مثل هذا الشراب ؟ قال : نعم ، قال : مثله في اللون والطعم والرائحة ؟ قال : نعم . قال : اين ؟ قال : ببوشنج . قال فاحمل الينا منه . فكتب طاهر الى وكيله فحمل منه ، ورفع الخبر من النهروان[4] إلى المأمون ان لطفاً وافى طاهراً من بوشنج ، فعلم الخبر وتوقع حمل طاهر له فلم يفعل . فقال له المأمون بعد ايام : يا ابا الطيب لم يواف النبيذ فيما وافى . فقال : أعيذ أمير المؤمنين بالله من أن يقيمني مقام خزي وفضيحة . قال : ولم ؟ قال : ذكرت لأمير المؤمنين شراباً شربته وانا صعلوك وفي قرية كنت أتمنى ان املكها ، فلما

---

(١) شراب يتخذ من خل وعسل .

(٢) العسل والسكر عقداً بماء الورد .

(٣) مؤسس سلالة بني طاهر في خراسان وقائد في جيش الخليفة المأمون .

(٤) بلاد في العراق واقعة بين بغداد وواسط حدثت فيها الواقعة بين علي بن ابي طالب والخوارج سنه ٦٥٨ «ن.ر.»

ملكني الله يا أمير المؤمنين اكثر مما كنت اتمنى ، وحضر ذلك الشراب وجدته فضيحة من الفضائح . قال: فاحمل الينا منه على كل حال ، فحمل منه ، فامر ان يصير في الخزانة ، ويكتب عليه الطاهري ليمازحه به من افراط رداءته ، فأقام سنتين ، واحتاج المأمون إلى ان يتقيأ فقالوا يتقيأ بنبيذ رديء فقال بعضهم : لا يوجد في العراق أردأ من الطاهري وأخرج فوجد مثل القطر بلي او اجود ، واذا هواء العراق قد اصلحه كما يصلح ما نبت وعصر فيه .

عيسى بن ماسة

من الاطباء الفضلاء في وقته ، وكان أحد المتميزين من أرباب هذه الصناعة ، له طريقة حسنة في علاج المرضى .

ولعيسى بــــن ماسة من الكتب كتاب **قوى الاغذية . كتاب من لا يحضره طبيب . مسائل في النسل واللرية . كتاب الرؤيا** . يخبر فيه بالسبب الذي امتنع به من معالجة الحوامل ، وغير ذلك . **كتاب في طلوع الكواكب** التي ذكرها بقراط . **كتاب في الفصد والحجامة . رسالة في استعمال الحمام** .

حنين بن اسحق

هو ابو زيد حنين بن اسحق العبادي (بفتح العين وتخفيف الباء ، والعباد بالفتح قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، والنسبة اليهم عبادي قال الشاعر :

يسقيكها من بني العباد رشا   منتسب عيده إلى الأحد

(المنسرح)

وكان حنين بن اسحق فصيحاً لسناً بارعاً شاعراً . واقام مدة في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل [1] بن أحمد . ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب .

قال يوسف بن ابراهيم : اول ما حصل لحنين بن اسحق من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب هو ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان من أعم مجلس يكون في التصدي لتعليم صناعة الطب ،وكان يجتمع فيه اصناف أهل الأدب . قال يوسف : وذلك أني كنت أعهد حنين بن اسحق الترجمان يقرأ على يوحنا ابن ماسويه كتاب فرق الطب الموسوم باللسان الرومي والسرياني بهراسيس،وكان حنين اذ ذاك صاحب سؤال ، وذلك يصعب على يوحنا . وكان يباعده أيضاً من قلبه ان حنينا كان من أبناء الصيارفة من

(١) نحوي ولغوي اصله من عمان تعلم على ايوب السختياني وعلم سيبويه والأصمعي وغيرهما من ائمة اللغة واكتشف علم العروض وتوفي في البصرة ٧٨٨ ، واشهر كتبه : كتاب العين .

أهل الحيرة ،وأهل جندي سابور خاصة ومتطببوها ينحرفون عن أهل الحيرة ويكرهون أن يدخل في صناعتهم أبناء التجار. فسأله حنين في بعض الأيام عن بعض ما كان يقرأ عليه مسألة مستفهم لما يقرأ، فحرد يوحنا وقال : « ما لأهل الحيرة ولتعلم صناعة الطب ا صر الى فلان قرابتك حتى يهب لـك خمسين درهماً تشتري منها قفافاً صغاراً بدرهم ، وزرنيخاً بثلاثة دراهم ، واشتر بالباقي قلوساً [1] كوفية وقادسية . وزرنخ القادسية في تلك القفاف ، واقعد على الطريق ، وصح : « القلوس الجياد للصدقة والنفقة » . ربـح القلوس فانه أعود عليك من هذه الصناعة . »

ثم أمر به فاخرج من داره فخرج حنين باكياً مكروبا . وغاب عنا حنين فلم نره سنتين . وكان للرشيد جارية رومية يقال لها «خرشى» ، وكانت ذات قدر عنده محلهـا منه محل الخوازن . وكانت لها أخت أو بنت أخت ربما أتت الرشيد بالكسوة او بالشيء مما خرشى خازنة عليه . فافتقدهـا الرشيد في بعض الاوقات وسأل «خرشى» عنها فأعلمته انها زوجتها من قرابة لها ، فغضب من ذلك وقال : كيف اقدمت على تزويج قرابة لك ، أصل ابتياعك اياها من مالي فهي مال من مالي ، بغير اذني . وأمر سلاماً الابرش بتعرف أمر من تزوجها وبتأديبه . فتعرف سلام الخبر حتى وقع على الزوج فلم يكلمه حين ظفر به حتى خصاه ، فبلي بالخصاء بعد ان علقت الجاريـة منه . وولدت الجارية عند مخرج الرشيد الى طوس [2] .

« وكانت وفاة الرشيد بعد ذلك ، فتبنت « خرشى » ذلك الغـلام وأدبته بآداب الروم وقراءة كتبهم . فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رياسة . وهو اسحق المعروف بابن الخصي. فكنانجتمع في مجالس أهل الادب كثيراً فوجب لذلك حقه وذمامه ، واعتل اسحق ابن الخصي علة فأتيته عائداً فاني لفي منزله اذ بصرت بانسان له شعرة قد جللته وقد ستر وجهه عني ببعضها ، وهو يتردد وينشد شعراً بالرومية لأوميرس رئيس شعراء الروم ، فشبهت نغمته بنغمة حنين .

« وكان العهد بحنين قبل ذلك الوقت بأكثر من سنتين ، فقلت لاسحق بن الخصي : هذا حنين ، فانكر ذلك انكاراً يشبه الاقرار ؛ فهتفت بحنين فاستجاب لي. وقال ذكر ابن رسالة الفاعلة : انه من المحال أن يتعلم الطب عبادي ، وهو بريء من دين النصرانية انه رضي أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني إحكاماً لا يكون في دهره من يحكمه احكامه . وما اطلع علي أحد غير أخي هذا ، ولو علمت انك تفهمني لاستترت عنك ، لكني عملت على ان حيلتي قد تغيرت في عينك وانا اسألك ان تستر أمري ، فبقيت أكثر من ثلاث سنين واني لاظنها أربعاً لم أره .

« ثم اني دخلت يوماً على جبرائيل بن بختيشوع ، وقد انحدر من معسكر المأمون قبل وفاته بمدة يسيرة ، فوجدت عنده حنيناً وقد ترجم له اقساماً قسمها بعض الروم في كتاب من كتب جالينوس

---

(١) واحدها قلس وهو حبل ضخم للسفينة .

(٢) مقاطعة في خراسان شمالي شرقي ايران وهي ايضاً مدينة من نفس المقاطعة كان اسمها طابران فيها قبر الامام علي الرضا وقبر هارون الرشيد . «ن.ر»

في التشريح ، وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول له يا ربن حنين وتفسيره ربن المعلم . فاعظمت ما رأيت ، وتبين ذلك جبرائيل في فقال لي : لا تستكثرن ما ترى من تبجيلي هذا الفتى ، فوالله لئن مد له في العمر ليفضحن سرجس وسرجس هذا الذي ذكره جبرائيل هو الرأس عيني ، وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم الى اللسان السرياني وليفضحن غيره من المترجمين .

« وخرج من عنده حنين وأقمت طويلاً ، ثم خرجت فوجدت حنيناً ببابه ينتظر خروجي ، فسلم علي وقال لي : « قد كنت سألتك ستر خبري ، والآن فانا اسألك اظهاره وأظهار ما سمعت من ابي عيسى وقوله في . » فقلت له : أنا مسود وجه يوحنا بما سمعت من مدح أبي عيسى لك ، فأخرج من كمه نسخة ما كان دفعه الى جبرائيل وقال لي: تمام سواد وجه يوحنا يكون بدفعك اليه هذه النسخة، وسترك عنه علم من نقلها، فاذا رأيته قد اشتد عجبه بها أعلمه انه اخراجي . ففعلت ذلك من يومي، وقبل انتهائي الى منزلي .

« فلما قرأ يوحنا تلك الفصول ، وهي التي تسميها اليونانيون الفاعلات ، كثر تعجبه وقال : « أترى المسيح أوحى في دهرنا هذا الى أحد ؟ فقلت له في جواب قوله : ما أوحى في هذا الدهر ولا في غيره الى احد ، ولا كان المسيح الا أحد من يوحى اليه . فقال لي : دعني من هذا القول ، ليس هذا الاخراج الا اخراج مؤيد بروح القدس . فقلت له : هذا اخراج حنين بن اسحق الذي طردته من منزلك وأمرته ان يشتري قلوساً. فحلف بأن ما قلت له محال . ثم صدق القول بعد ذلك وأفضل عليه افضالاً كثيراً ، وأحسن اليه ولم يزل مبجلاً له حتى فارقت العراق ؛ في سنة خمس وعشرين ومائتين » .

هذا جملة ما ذكره يوسف بن ابراهيم .

اقول : « ثم ان حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه منذ ذلك الوقت وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس ، بعضها الى اللغةالسريانية، وبعضها الى العربية ، وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدراية فيهم ، بما لا يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه ،مع ما دأب ايضاً في اتقان العربية والاشغال بها حتى صار من جملة المتميزين فيها .

ولما رأى المأمون المنام الذي أخبر به انه رأى في منامه كأن شيخاً بهي الشكل جالس على منبر وهو يخطب ويقول : « **أنا ارسطوطاليس** » انتبه من منامه وسأل عن ارسطوطاليس فقيل له رجل حكيم من اليونانيين . فاحضر حنين بن اسحق اذ لم يجد من يضاهيه في نقله ، وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغة العربية ، وبذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً » .

ونقلت من خط الحسن بن العباس المعروف بالصناديقي رحمه الله قال ؛ قال ابو سليمان : سمعت يحيى بن عدي يقول : قال المأمون: رأيت فيما يرى النائم كان رجلاً على كرسي جالساً في المجلس الذي أجلس فيه ؛ فتعاظمته وتهيبته وسالت عنه ، فقيل هو ارسطوطاليس ، فقلت اسأله عن شيء .

فسألته ، فقلت ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنته الشريعة . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنه الجمهور . قلت : ثم ماذا قال : ثم لا ثم .

فكان هذا المنام من أوكد الاسباب في اخراج الكتب فان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم ، فاجاب الى ذلك بعد امتناع . فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم، فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه امرهم بنقله فنقل . وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم . واحضر المأمون أيضاً حنين ابن اسحق وكان فتي السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربي واصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره .

ومما يحكى عنه : أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثلٍ . وقال أبو سليمان المنطقي السجتاني : ان بني شاكر [1] وهم محمد واحمد والحسن ، كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

وقال حنين بن اسحق ، انه سافر الى بلاد كثيرة ، ووصل الى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها . وقال محمد بن اسحق النديم في كتاب الفهرست : « سمعت اسحق بن شهرام يحدث في مجلس عام أن ببلد الروم هيكلاً قديم البناء عليه باب لم ير قط أعظم منه بمصراعين من حديد ، كان اليونانيون في القديم عند عبادتهم الكواكب والأصنام يعظمونه ويدعون فيه . قال : فسألت ملك الروم أن يفتحه لي فامتنع من ذلك لانه أغلق منذ وقت تنصرت الروم . فلم أزل اراسله وأسأله شفاهاً عن حضوري مجلسه فتقدم بفتحه ، فاذا ذلك البيت من المرمر والصخور العظام ألواناً ، وعليه من الكتابات والنقوش ما لم أسمع بمثله كثرة وحسناً . وفي هذا الهيكل من الكتب القديمة ما يحمل على عدة اجمال ، (وكثر ذلك حتى قال ألف جمل) بعض ذلك قد أخلق ، وبعضه على حاله ، وبعضه قد أكلته الارضة [2] . قال ورأيت فيه من آلات القرابين من الذهب وغيره أشياء ظريفة . قال : وأغلق الباب بعد خروجي وامتن علي بما فعل معي ، وذلك كان في أيام سيف الدولة بن حمدان وزعم ان البيت على ثلاثة ايام من القسطنطينية ، والمجاورون لذلك البيت قوم من الصابئة والكلدانيين، وقد أقرتهم الروم على مذاهبهم ، وتأخذ منهم الجزية .

اقول : وكان كاتب حنين رجل يعرف بالازرق . وقد رأيت اشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه وبعضها عليه تنكيت بخط حنين بن اسحق باليوناني ، وعلى تلك الكتب علامة المأمون .

---

(١) هم بنو موسى بن شاكر ثلاثة اخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والآلات من عهد المأمون الى عهد المتوكل . وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى الى بغداد .

(٢) دويبة تأكل الخشب والكتب .

وقال عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع في مناقب الأطباء : « ان حنيناً لما قوي أمره ، وانتشر ذكره بين الاطباء ،واتصل خبره بالخليفة أمر باحضاره . فلما حضر اقطع اقطاعات حسنة ، وقرر له جار جيد ، وكان يشعره بزبور الروم . وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشاور فيه غيره ، واحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظناً منه أن ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به . فاستدعاه يوماً وأمر بان يخلع عليه ، وأحضر توقيعاً فيه اقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم . فشكر له حنين هذا الفعل ، ثم قال ، بعد أشياء جرت : أريد أن تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله ، ولم يمكن اشهاره ، ونريده سراً . فقال حنين : يا أمير المؤمنين اني لم اتعلم الا الادوية النافعة ، وما علمت أن امير المومنين يطلب مني غيرها ، فان احب ان أمضي واتعلم فعلت ذلك . فقال : هذا شيء يطول ، ورغبه وهدّده وهو لا يزيد على ما قاله الى ان امر بحبسه في بعض القلاع ، ووكل به من يوصل خبره اليه ، وقتاً بوقت ويوماً بيوم . فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف ، وهو غير مكترث بما هو فيه . فلما كان بعد سنة أمر الخليفة باحضاره ، واحضار اموال يرغبه فيها ، وأحضر سيفاً ونطعاً وسائر آلات العقوبات . فلما حضر قال : هذا شيء قد كان ، ولا بد مما قلته لك . فان أنت فعلت فقد فزت بهذا المال وكان لك عندي أضعافه . وان امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة . فقال حنين : قد قلت لامير المؤمنين اني لم أحسن إلا الشيء النافع ، ولم اتعلم غيره . فقال الخليفة : فاني أقتلك . قال حنين : لي رب يأخذ بحقي غداً في الموقف الأعظم . فان اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل . » فتبسم الخليفة وقال له : ياحنين ، طب نفساً ، وثق الينا . فهذا الفعل كان منا لامتحانك ، لانا حذرنا من كيد الملوك ، واعجابنا لننتفع بعلمك . » فقبل حنين الارض وشكر له فقال له الخليفة : يا حنين ما الذي منعك من الاجابة مع ما رأيته من صدق عزيمتنا في الحالين ؟ فقال حنين : شيئان يا أمير المؤمنين . قال : وما هما ؟ قال : الدين والصناعة . قال : فكيف ؟ قال:الدين يامرنا بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف أصحابنا وأصدقائنا ، ويبعد ويحرم من لم يكن كذا . والصناعه تمنعنا من الاضرار بابناء الجنس لانها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم . ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الاطباء عهداً مؤكداً بايمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالا ، ولا مـا يؤذي . فلم أر أن أخالف هذين الأمرين من الشريعتين . ووطنت نفسي على القتل فان الله ما كان يضيع من بذل نفسه في طاعته ، وكان يثيبني . فقال الخليفة : انها لشريعتان جليلتان . وأمر بالخلع فخلعت عليه ، وحمل المال بين يديه ، وخرج من عنده وهو أحسن الناس حالا وجاهاً

اقول : وكان لحنين ولدان : داؤد واسحق . وصنف لهما كتباً طبية في المبادي والتعليم ،ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس .

فاما داؤد فاني لم أجد له شهرة بنفسه بين الاطباء ، ولا يوجد له من الكتب ما يدل على براعته وعلمه ، وان كان الذي يوجد له انما هو كناش واحد .

واما اسحق فانه اشتهر وتميز في صناعة الطب ، وله تصانيف كثيرة ، . ونقل اسحق من الكتب

اليونانية الى اللغة العربية كتباً كثيرة ، إلا ان جل عنايته كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكمية ، مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء .

وأما حنين ، أبوه ، فكان مهتماً بنقل الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس حتى انه في غالب الامر لا يوجد شيء من كتب جالينوس إلا وهي بنقل حنين أو باصلاحه لما نقل غيره . فان رؤي شيء منها وقد تفرد بنقله غيره من النقلة مثل اسطاث وابن بكس والبطريق وأبي سعيد عثمان الدمشقي وغيرهم ، فانه لا يعتنى به ، ولا يرغب فيه ، كما يكون بنقل حنين واصلاحه . وانما ذلك لفصاحته وبلاغته ، ولمعرفته أيضاً بآراء جالينوس ، ولتمهره فيها .

ووجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية الى السريانية سرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد الترجمان فلما طالعتها وتأملت ألفاظها تبين لي بين نقلها وبين الست عشرة التي هي نقل حنين تباين كثير وتفاوت بين . واين الألكن من البليغ ، والثرى من الثريا .

وكان حنين أيضاً ماهراً في صناعة الكحل وله تصانيف مشهورة بالجودة فيها .

وحدثني الشيخ شهاب الدين عبد الحق الصقلي النحوي : ان حنين بن اسحق كان يشتغل في العربية مع سيبويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل بن أحمد ، وهذا لا يبعد ، فانهما كانا في وقت واحد على زمان المأمون . واننا نجد في كلامه وفي نقله ما يدل على فصاحته وفضله في العربية وعلمه بها ، حتى ان له تصانيف في ذلك .

وقال سليمان بن حسان : ان حنينا نهض من بغداد الى ارض فارس ، وكان الخليل بن احمد النحوي بأرض فارس ، فلازمه حنين حتى برع في لسان العرب ، وأدخل كتاب العين بغداد ، ثم اختير للترجمة واؤتمن عليها ، وكان المتخير له المتوكل على الله . ووضع له كتّاباً نحارير[1] عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا ، كاصطفن بن بسيل ، وموسى بن خالد الترجمان . قال : وخدم حنين بالطب المتوكل على الله وحظي في ايامه ، وكان يلبس زناراً ، وتعلم لسان اليونانيين بالاسكندرية ، وكان جليلاً في ترجمته ، وهو الذي أوضح معاني كتب ابقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص ، وكشف ما استغلق منها ، وأوضح مشكلها . وله تواليف نافعة مثقفة بارعه . وعمد الى كتب جالينوس فاحتذى فيها حذو الاسكندرانيين ، وصنعها على سبيل المسألة والجواب فاحسن في ذلك .

وقال حنين بن اسحق عن نفسه ، ان جميع ما قد كان يملكه من الكتب ذهب حتى لم يبق عنده منها ولا كتاب واحد ، ذكر ذلك في مقالته في فهرست كتب جالينوس .

وقال أبو علي القباني : كان حنين في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء،

---

(١) جمع نحرير وهو الحاذق الفطن العاقل .

ويخرج فيلتف بقطيفة وقد أعد له هناب [1] من فضة فيه رطل شراب وكعكة مثرودة [2] ، فيأكلها ويشرب الشراب ويطرح نفسه حتى يستوفي عرقه . وربما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زيرباجه ، ورغيف فيه مائتا درهم ، فيحسو من المرق ثم يأكل الفروج والخبز وينام . فاذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً ، ولم يذق غير هذا طول عمره . فاذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والرمان والسفرجل .

وقال أحمد بن الطيب السرخسي في كتاب «اللهو والملاهي» ، قال حنين المتطبب: وافاني في بعض الليالي ، أيام المتوكل ، رسل من دار الخليفة يطلبوني ويقولون الخليفة يريدك ، ثم وافت بعدهم طائفة ، ثم وافاني زرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى أدخلني الى الخليفة . فقال : يا سيدي هوذا حنين . قال فقال ادفعوا الى زرافة ما ضمنا له . قال : فدفع اليه ثلاثون ألف درهم . ثم أقبل علي فقال : انا جائع فما ترى في العشاء ؟ فقلت له في ذلك قولاً . فلما فرغ من أكله سألت عن الخبر . فقيل لي ان مغنياً غناه صوتاً ، فسأله لمن هو ؟ فقال لحنين بن بلوع العبادي . فأمر زرافة باحضار حنين بن بلوع العبادي ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا أعرفه . فقال : لا بد منه ، وان أحضرته فلك ثلاثون ألف درهم . قال فأحضرني ، ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسه من النبيذ ، وحضرت وقد جاع فأشرت عليه بأن يقطع النبيذ ويتعشى وينام ففعل .

أقول : وكان مولد حنين في سنة مائة وأربع وتسعين للهجرة ، وتوفي في زمان المعتمد [3] على الله وذلك في يوم الثلاثاء أول كانون الاول من سنة الف ومائه وثمان وثمانين للاسكندر ، وهو لست خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستين للهجرة ، وكانت مدة حياته سبعين سنة ، وقيل انه مات بالذرب [4] .

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان حنين بن اسحق مات بالغم من ليلته في أيام المتوكل . قال : حدثني بذلك وزير أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله قال ، قال كنت مع أمير المؤمنين المستنصر فجرى الحديث فقال أتعلمون كيف كان موت حنين بن اسحق ؟ قلنا : لا يا أمير المؤمنين . قال خرج المتوكل على الله يوماً وبه خمار فقعد في مقعده فاخذته الشمس ، وكان بين يديه الطيفوري النصراني الطبيب وحنين بن اسحق . فقال له الطيفوري : يا أمير المؤمنين الشمس تضر بالخمار ، فقال المتوكل لحنين : ما عندك فيما قال ؟ فقال حنين : يا أمير المؤمنين لا تضر بالخمار . فلما تناقضا بين يديه طلب كشفهما عن صحة أحد القولين. فقال حنين: يا أمير المؤمنين الخمار حال للمخمور ، والشمس لا تضر بالخمار انما تضر المخمور . فقال المتوكل : لقد احرز من طبائع الالفاظ وتحديد المعاني ما فاق به نظراءه . فوجم لها الطيفوري ، فلما كان في غد ذلك اليوم أخرج حنين من كمه كتاباً فيه

(١) وعـاء .

(٢) مفتوتة ومبلولة .

(٣) الخليفة العباسي الخامس عشر . كان منهمكاً بلذاته فاستقل احمد بن طولون في مصر وظهرت دولة بني ساسان في فارس وثارت فتنة العبيد بالبصرة (٨٧٠ – ٨٩٣) .

(٤) داء في المعدة يفسد فيها الطعام ولا تمسكه .

صورة المسيح مصلوباً، وصور ناس حوله فقال له الطيفوري يا حنين هؤلاء صلبوا المسيح؟ قال: نعم فقال له: ابصق عليهم. قال حنين: لاأفعل. قال الطيفوري: ولم؟ قال: لأنهم ليسوا الذين صلبوا المسيح انما هي صور، فاشتد ذلك على الطيفوري ورفعه الى المتوكل يسأله اباحة الحكم عليه بديانة النصرانية. فبعث الى الجاثليق والاساقفة وسئلوا عن ذلك،فاوجبوا اللعنة على حنين،فلعن سبعين لعنة بحضرة الملأ من النصارى، وقطع زناره، وأمر المتوكل أن لا يصل اليه دواء من قبل حنين حتى يستشرف على عمله الطيفوري. وانصرف حنين الى داره فمات من ليلته. فيقال مات غماً وأسفاً.

أقول: هذه حكاية ابن جلجل، وكذلك أيضاً وجدت أحمد بن يوسف بن ابراهيم قد ذكر في رسالته في المكافأة ما يناسب هذه الحكاية عن حنين. والاصح في ذلك ان بختيشوع بن جبرائيل كان يعادي حنين بن اسحق ويحسده على علمه وفضله، وما هو عليه من جودة النقل، وعلو المنزلة. فاحتال عليه بخديعة عند المتوكل وتم مكره عليه حتى أوقع المتوكل به وحبسه. ثم ان الله تعالى فرج عنه وظهر ما كان احتال به عليه بختيشوع بن جبرائيل؛ وصار حنين حظياً عند المتوكل وفضله على بختيشوع وعلى غيره من سائر المتطببين. ولم يزل على ذلك في أيام المتوكل الى ان مرض حنين فيما بعد المرض الذي توفي فيه، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين. وتبين لي جملة ما يحكى عن حنين من ذلك، وصح عندي من رسالة، وجدت حنين بن اسحق قد ألفها فيما أصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من اشرار أطباء زمانه المشهورين. وهذا نص قوله.

قال حنين بن اسحق: انه لحقني من اعدائي ومضطهدي الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي،الظالمين لي، المتعدين علي من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم وأسهر عيني وأشغلني عن مهماتي. وكل ذلك من الحسد لي على علمي وما وهبه الله، عز وجل، لي من علو المرتبة على اهل زماني. وأكثر اولئك أهلي وأقربائي، فإنهم أول شروري، وابتداء محني. ثم من بعدهم الذين علمتهم وأقرأتهم واحسنت اليهم وأرقدتهم وفضلتهم على جماعة اهل البلد من أهل الصناعة، وقربت اليهم علوم الفاضل جالينوس، فكافأوني عوض المحاسن مساوىء بحسب ما اوجبته طباعهم. وبلغوا بي الى أقبح ما يكون من اذاعة أوحش الأخبار، وكتمان جليل الاسرار، حتى ساءت بي الظنون، وامتدت الي العيون، ووضع علي الرصد حتى انه كان يحصي علي الفاظي، ويكثر اتهامي، بما دق منها مما ليس غرضي فيه، ما أومأوا اليه، فأوقعوا بغضتي في نفوس سائر أهل الملل فضلاً عن أهل مذهبي. وعملت لي المجالس بالتأويلات الرذلة. وكلما اتصل ذلك بي حمدت الله حمداً جديداً،وصبرت على ما قد دفعت اليه. فآلت القضية بي الى أن بقيت بأسوأ ما يكون من الحال من الاضاقة والضر، محبوساً مضيقاً علي مدة من الزمان لا تصل يدي الى شيء من ذهب ولا فضة ولا كتاب. وبالجملة ولا ورقة انظر فيها. ثم ان الله عز وجل نظر الي بعين رحمته، فجدد لي نعمه وردني الى ما كنت عارفاً به من فضله. وكان سبب رد نعمتي الي بعض من كان قد التزم عداوتي واختص بها. ومن ههنا صح ما قاله جالينوس « ان الاخيار من الناس قد ينتفعون باعدائهم الأشرار » فلعمري لقد كان ذلك افضل الاعداء. وأنا الآن مبتدىء بذكر ما جرى علي مما تقدم ذكره فأقول:

كيف لا أبغض ويكثر حاسدي ، ويكثر ثلبي في مجالس ذوي المراتب؛ ويبذل في قتلي الاموال؛ ويعز من شتمني ، ويهان من أكرمني ؛ كل ذلك بغير جرم لي الى واحد منهم ولا جناية ، لكنهم لما رأوني فوقهم ، وعالياً عليهم بالعلم والعمل ، ونقلي اليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها ولا يهتدون اليها ولا يعرفون شيئاً منها ، في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة ، ولا نقص فيها ولا زلل ، ولا ميل لاحد من الملل ، ولا استغلاق ولا لحن ، باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحـــو والغريب ، ولا يعثرون على سيئة ولا شكلة ولا معنى ، لكن بأعذب ما يكون عن اللفظ ، وأقربه الى الفهم . يسمعه من ليس صناعته الطب ، ولا يعرف شيئاً من طرقات الفلسفة ، ولا من ينتحل ديانـــة النصرانية وكل الملل ، فيستحسنه ويعرف قدره ، حتى انهم قد يغرمون على ما كان من الذي أنقل الاموال الكثيرة اذ كانوا يفضلون هذا النقل على نقل كل من قبلي . وايضاً فأقول : ولا أخطىء ان سائر أهل الأدب ، وان اختلفت مللهم ، محبون لي ، مائلون الي ، مكرمون لي ، يأخذون ما أفيدهم بشكر ، ويجازوني بكل ما يصلون اليه من الجميل . فأما هؤلاء الأطباء النصارى الذين أكثرهم تعلموا بين يدي، نشأوا قدامي هم الذين يرومون سفك دمي. على انهم لا بد لهم مني .

فمرة يقولون : من هو حنين ؟ انما حنين ناقل لهذه الكتب ليأخذ على نقله الأجرة كما يأخذ الصناع الاجرة على صناعتهم ، ولا فرق عندنا بينه وبينهم ؛ لان الفارس قد يعمل له الحداد السيف في المثل بدينار ، ويأخذ هو من أجله في كل شهر مائة دينار . فهو خادم لأداتنا ، وليس هو عامل بها . كما ان الحداد ، وان كان يحسن صنعة السيف ، إلا انه ليس يحسن يعمل به، فما للحداد وطلب الفروسية! كذلك هذا الناقل ، ماله والكلام في صناعة الطب ولم يحكم في عللها وامراضها ، وإنما قصده في ذلك التشبيه بنا ليقال حنين الطبيب ، ولا يقال حنين الناقل . والاجود له لو أنه لزم صناعته ، وأمسك عن ذكر صناعتنا ؛ لقد كان يكون اجدى عليه فيما كنا سنوصله اليه من أموالنا ، ونحسن اليه مـــا امكننا ، وذلك يتم له بترك أخذ المجلس ، والنظر في قوارير الماء ، ووصف الادوية » . ويقولون : ان حنيناً ما يدخل الى موضع من الدور الخاصة والعامة الا يهزؤون بـــه ، ويتضاحكون منه عند خروجه » . فكنت كلما سمعت شيئاً من هذا ضاق به صدري ، وهممت ان اقتل نفسي من الغيظ والزرد . وما كان لي اليهم سبيل ، اذ كان الواحد لا يستوي له مقاومة الجامعة عند تظافرهم عليه ، لكني كنت أضمر وأعلم ان حسدهم هو الذي يدعوهم الى سائر الاشياء ، وان كان لا يخفى عليهم قبحها . فان الحسد لم يزل بين الناس على قديم الأيام ، حتى من يعتقد الديانة قد يعلم ان اول حاسد كان في الأرض قابيل في قتله لاخيه هابيل ، لما لم يقبل الله قربانه وقبل قربان هابيل ." وما لم يزل قديماً فليس بعجب أن اكون انا ايضاً أحد من يؤذى بسببه . وقد يقال كفى بالحاسد حسده ويقال : ان الحاسد يقتل نفسه قبل عدوه ، ولقد أكثرت العرب ذكر الحسد في الشعر ونظموا فيه الأبيات ، منها قول بعضهم :

ان يحسدوني فاني غير لائمهم   قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صعداً منها ولا أرد
البسيط

وقد قال قائل هذا وغيره في مثل هذا مما يطول ذكره ، مع قلة الفائدة فيه ، وهذا ايضاً مع ان اكثرهم اذا دهمهم الامر في مرض صعب فاليّ يصير ، حتى يتحقق معرفته مني ، ويأخذ عني له صفة دوائه وتدبيره ، ويتبين الصلاح فيما أمر به ان يعمل لامرة ولا مراراً . وهذا الذي يجيئني ويقتدي برأيي هو أشد الناس علي غيظاً ، واكثرهم لي ثلباً. وليس أزيدهم على ان أحكم رب الكل بيني وبينهم. وانما سكوتي عنهم لانهم ليس هم واحداً ولا اثنين ولا ثلاثة ، بل هم ستة وخمسون رجلاً جملتهم من أهل المذهب ، محتاجون الي وانا غير محتاج اليهم . وأيضاً فإن إثرتهم مع كثرتهم قوية بخدمة الخلفاء وهم أصحاب المملكة وأنا فأضعف عنهم من وجهين : أحدهما وحدتي ، والثانية : ان الذين يعنون بي من الناس محتاجون الى الأصل الذي يعنى بأعدائي الذي هو أمير المؤمنين ، ومع هذا كله لا أشكو الى أحد ما أنا عليه وان كان عظيماً ، بل ابوح بشكرهم في المحافل وعند الرؤساء . فإن قيل لي انهم يثلبونك وينتقصون بك في مجالسهم ، ادفع ذلك وأرى اني غير مصدق شيء مما يقال لي ، بل أقول أنا نحن شيء واحد تجمعنا الديانة والبلدة والصناعة . فما أصدق ان مثلهم يذكر أحداً من الناس فضلاً عني بسوء ، فاذا سمعوا عني مثل هذا القول قالوا : قد جزع وأعطى من نفسه الصمة . وكلما ثلبوني زدت في الشكر لهم .

وانا الآن ذاكر ههنا آخر الآبار التي حفروها لي ، سوى ما كان لي معهم قديماً خاصة مع بني موسى والجالينوسيين والبقراطيين في امر البهت الأول . وهذه قصة المحنة الاخيرة القريبة ، وهي : ان بختيشوع بن جبرائيل المتطبب عمل على حيلة تمت له علي ، وأمكنته مني ارادته في . وذلك انه استعمل قونة [1] عليها صورة السيدة مار مريم ، وفي حجرها سيدنا المسيح والملائكة قد احتاطوا بها وعملها في غاية ما يكون من الحسن وصحة الصورة بعد ان غرم عليها من المال شيئاً كثيراً . ثم حملها الى أمير المؤمنين المتوكل ، وكان هو المستقبل لها من يد الخادم الحامل لها ، وهو الذي وضعها بين يدي المتوكل . فاستحسنها المتوكل جداً ، وجعل بختيشوع يقبلها بين يديه مراراً كثيرة . فقال له المتوكل : لم تقبلها ؟ فقال له : يا مولانا اذا لم أقبل صورة سيدة العالمين فمن أقبل ؟ فقال له المتوكل : وكل النصارى هكذا يفعلون ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وأفضل مني ، لأني أنا قصرت حيث أنا بين يديك . ومع تفضيلنا معشر النصارى ، فاني أعرف رجلاً في خدمتك وافضالك وارزاقك جارية عليه من النصارى يتهاون بها ويبصق عليها ، وهو زنديق ملحد ، لا يقر بالوحدانية ولا يعرف آخرة يستتر بالنصرانية وهو معطل مكذب بالرسل » . فقال له المتوكل : من هذا الذي هذه صفته ؟ فقال له : حنين المترجم . فقال المتوكل : أوجه أحضره ، فان كان الامر على ما وصفت ، نكلت به

(١) الايقونة وهي الصورة والتمثال وفصيحها النصمة .

وخلدته المطبق [1] ، مع ما أتقدم به في أمره من التضييق عليه ، وتجديد العذاب . فقال ، أنا أحب أن يؤخر مولاي أمير المؤمنين الى أن أخرج وأقيم ساعة ، ثم تأمر باحضاره . فقـال : اني افعل ذلك . فخرج بختيشوع من الدار وجاءني ، فقـال : يا أبا زيد ، أعزكِ الله ، ينبغي أن تعلم انه قد أهدي الى أمير المؤمنين قونة قد عظم عجبه بها ، وأحسبها من صور الشام ، وقد استحسنها جداً . وان نحن تركناها عنده ومدحناها بين يديهٔ تولع بنا بها في كل وقت . وقال : هذا ربـكم وأمـه مصورين . وقد قال لي أمير المؤمنين : انظر الى هذه الصورة ما أحسنها ، وايش تقول فيها ؟ فقلت له : صورة مثلها يكون في الحمامات ، وفي البيع وفي المواضع المصورة . وهذا مما لا نبالي بـه ولا نلتفت اليه . فقال : وليس هي عندك شيء ؟ قلت : لا ! قال : فان تكن صادقـاً فابصق عليها ، فبصقت ، وخرجت من عنده وهو يضحك ويعطعط بي [2] . وانما فعلت ذلك ليرمي بها ولا يكثر الولع بنا بسببها ، ويميزنا دائماً . ولا سيما ان حرد أحد من ذلـك ، فان الولع يكون أزيد . والصواب ان دعا بك وسألك عن مثل ما سألني أن تفعل كما فعلت أنا . فاني قد عملت على لقاء سائر من يدخل اليه من اصحابنا ، وأتقدم اليهم أن يفعلوا مثل ذلك . فقبلت ما وصاني به ، وجازت علي سخريته ، وانصرف . فما كان إلا ساعة حتى جاءني رسول أمـير المؤمنين فاخذني اليه . فلما دخلت عليه اذ القونة موضوعة بين يديه فقال لي : ياحنين ترى ما احسن هذه الصورة واعجبها ؟ فقلت:والله انه لكما ذكر أمير المؤمنين . فقال : فأيش تقول فيها ؟ فقال : أو ليس هي صورة ربـكم وأمه ؟ فقلت :معاذ الله يا أمير المؤمنين ! أإن لله تعالى صورة أو يصور ؟ ولكن هذا مثال في سائر المواضع التي فيها الصور . فقال : فهذه لا تنفع ولا تضر . فقلت : هو كذلك يا أمير المؤمنين . فقال : فان كان الامر على ما ذكرت ، فابصق عليها . فبصقت عليها فللوقت أمر بحبسي . ووجه الى ثوذسيس الجاثليق فاحضره . فلما دخل عليه ورأى القونة موضوعة بين يديه وقع عليها ، قبل أن يدعو له ، فاعتنقها ولم يزل يقبلها ويبكي طويلا . فذهب الخدم ليمنعوه فأمر بتركه . فلما قبلها طويلاً على تيك الحالة أخذها بيده وقام قائماً ، فدعا لامير المؤمنين واطنب في دعائـه ، فرد عليه وأمره بالجلوس . فجلس وترك القونة في حجره . فقال له المتوكل : أي فعل هذا ؟ تأخذ شيئاً كان بين يدي وتتركه في حجرك عن غير اذني ؟ فقال له الجاثليق : نعم يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بهذه التي بين يديك . وان كان لأمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، أفضل الحقوق ، غير ان ديانتي لم تدعني أن ادع صورة سادالي مرمية على الأرض ، وفي موضع لا يعرف مقدارها ، بل لعله أن يعرف لها قدره لان هذه حقها أن تكون في موضع يعرف فيه حقهـا ، ويسرج بين يديها افضل الأدهان من حيث لا تطفأ قناديلها ، مع ما يبخر به بين يديها من أطاييب البخور في أكثر الاوقات .

فقال امير المؤمنين : فدعها في حجرك الآن ، فقال الجاثليق ، اني أسأل مولاي أمير المؤمنين ان

---

(١) السجن تحت الأرض وهي ما تسمى الزنزانة ويقابلها بالفرنسية Cellule .

(٢) يخلط في كلامه ويتتابع صوته .

يجود بها علي ، ويعمل على انه قد يقطعني ما مقدار قيمته مائة الف دينار في كل سنة حتى أقضي من حقها ما يجب علي ، ثم يسألني امير المؤمنين ما احب بعد ذلك فيما أرسل الي بسببه . فقال له : قد وهبتها لك ، وأنا أريد ان تعرفني ما جزاء من بصق عليها عندك ؟ فقال له الجاثليق : ان كان مسلماً فلا شيء عليه لانه لا يعرف مقدارها ، لكن يعرّف ذلك ويلام ويوبخ على مقدار ما فعل حتى لا يعود الى مثل ذلك مرة أخرى . وان كان نصرانياً وكان جاهلاً لا يفهم ولا معرفة عنده فيـلام ويزجر بين الناس ويتهدد بالجروم العظيمة ويعذل حتى يتوب ؛ وبالجملة ان هـذا فعل لا يقوم عليه إلا جاهل لا يعرف مقدار الديانة . فان كان عاقلاً وقد بصق عليها فقد بصق على مريم أم سيدنا وعلى سيدنا المسيح » . فقال له امير المؤمنين : فما الذي يجب على من فعل ذلك عندك ؟ فقال : ما عندي يا امير المؤمنين ، اذ كنت ، لا سلطان لي ان اعاقبه بسوط او بعصا ، ولا لي حبس ضنك ، بـل احرمه وامنعه من الدخول الى البيع ومن القربان ؛ وامنع النصارى من ملابسته وكلامه ؛ وأضيق عليه ، ولا يزال مرفوضاً عندنا الى ان يتوب ويقلع عما كان عليه ، وينتقل ويتصدق ببعض ماله على الفقراء والمساكين ، مع لزوم الصوم والصلاة ، فحينئذ نرجع الى ما قال كتابنا وهو « ان لم تعفوا للخاطئين لم يغفر لكم خطاياكم ، » فنحل حرم الجاني ، ونرجع الى ما كنا عليه .

ثم ان امير المؤمنين أمر الجاثليق بأن يأخذ القونة ، وقال له : افعل بها ما تريد ، وأمر له معها ببدرة دراهم ، وقال له : انفق ما تأخـذه على قونتك . فلما خرج الجاثليق لبث قليلاً يتعجب منه ومن محبته لمعبوده وتعظيمه اياه . ثم قال : ان هذا الامر عجيب . ثم أمر باحضاري فاحضرت اليه واحضر السوط والحبال ، وأمر بي فشددت مجرداً بين يديه وضربت مائة سوط ، وأمر باعتقـالي والتضييق علي . ووجه فحمل جميع ما كان لي من رحل واثاث وكتب وما شاكل ذلك ، وأمربنقض منازلي الى الماء ، واقمت في داخل داره معتقلاً ستة أشهر في أسوأ ما يكون من الحال ، حتى صرت رحمة لمن رآني . وكان أيضاً في كل يسير من الايام يوجه يضربني ويجدد لي العذاب . فلم أزل على ما شرحته الى أن اعتل أمير المؤمنين ، وذلك في اليوم الخامس من الشهر الرابع من يوم حبسي ،وكانت علته صعبة جداً فأقعد ولم تمكنه الحركة وأيس منه وأيس هو ايضاً من نفسه . ومع ذلك ، فإن أعدائي الأطباء عنده ليلاً ونهاراً ولا يزايلونه ساعة واحدة ، وهم يعالجونه ويداوونه ، ويسألونه في كل وقت في أمري ويقولون له « لو أراحنا مولانا أمير المؤمنين من ذلك الزنديق الملحد لأراح منه الدنيا ، وانكشف عن الدين منه محنة عظيمة » .

فلما طالت مسألتهم له في أمري وكثر ذكرهم لي بين يديـه بكل سوء ، قال لهم : فما الذي يسركم أن أفعل به ؟ قالوا : تريح العالم منه ، وكان مع ذلك ، كل من سأل في أمري وتشفع في من اصدقائي يقول بختيشوع : « يا أمير المؤمنين هذا بعض تلاميذه وهو يعتقد اعتقاده » فيقل المعين لي ويكثر المحرك علي ، وأيست من الحياة ، فقال لهم أمير المؤمنين ، وقد لجوا عليه في السؤال : فاني أقتله في غد يومنا هذا وأريحكم منه . فسر بذلك الجماعة وانصرفوا على ما يحبون .

فجاءني بعض الخدم وقال لي انه جرى في امرك العيش كذا وكذا ، فسألت الله عز وجل التفضل بما لم تزل أياديه الي بامثاله ، مع ما انا فيه من كثرة الاهتمام وشغل القلب مما أخاف نزوله بي في غد بغير جرم أستوجبه ولا جناية جنيتها ، بل بحيلة من احتال علي وطاعتي من اغتالني . وقلت : اللهم انك عالم براءتي فانت أولى بنصرتي . وطال بي الفكر الى أن حملني النوم ، فاذا بهاتف يحركني ويقول لي : « قم فاحمد الله وأثن عليه فقد خلصك من ايدي اعدائك ، وجعل عافية امير المؤمنين على يديك فطب نفساً » فانتبهت مرعوباً ، ثم قلت : كلما كثر ذكره في اليقظة لم تنكر رؤيته عند النوم . فلم أزل احمد الله واثني عليه الى أن جاء وجه الصبح ، فجاءني الخادم ففتح علي الباب ولم يكن وقته الذي كان يجيئني فيه فقلت هذا وقت منكر ، جاءني ما وعدت به البارحة . وقد جاء وقت رضاء أعدائي وشماتتهم بي ، واستعنت بالله .

فما جلس الخادم إلا هنيهة ، إذ جاء غلامه ومعه مزين ، ثم قال : تقدم يا مبارك ليؤخذ من شعرك . فتقدمت فاخذ من شعري ثم مضى بي الى الحمام فأمر بغسلي وتنظيفي والقيام علي بالطيب ، كما أمره مولاي امير المؤمنين . ثم خرجت من الحمام فطرح علي ثياباً فاخرة ، وردني الى مقصورته الى أن حضر سائر الاطباء عند امير المؤمنين ، واخذ كل واحد منهم موضعه . فدعاني امير المؤمنين وقال: هاتوا حنيناً ، فلم تشك الجماعة انه انما دعاني لقتلي فادخلت اليه فنظر الي ولم يزل يدنيني الى ان أجلسني بين يديه وقال لي : قد غفرت لك ذنبك ، واجبت السائل فيك ، فاحمد الله على حياتك ، واشر علي بما ترى ، فقد طالت علتي . فاخذت مجسته وأشرت بأخذ خيار شنبر منقى من قصبه وترنجبين ، لأنه شكا اعتقالاً مع ما كان يوجبه الصورة من استعمال هذا الدواء . فقال الاطباء الأعداء: نعوذ بالله يا أمير المؤمنين من استعمال هذا الدواء اذ كان له غائلة ردية . فقال لهم : امسكوا فقد أمرت أن آخذ ما يصفه لي ، ثم انه أمر بأصلاحه ، فاصلح وأخذه لوقته . ثم قال لي : يا حنين اجعلني من كل ما فعلته بك في حل فشفيعك الي قوي ، فقلت له : مولاي أمير المؤمنين في حل من دمي فكيف وقد مَنّ علي بالحياة . ثم قال : تسمع الجماعة ما أقوله : فنصتوا اليه ، فقال : اعلموا انكم انصرفتم البارحة مساء علي، اني ابكر أقتل حنيناً كما ضمنت لكم ، فلم أزل أقلق الى نصف من الليل متوجعاً ، فلما كان ذلك الوقت اغفيت فرأيت كأني جالس في موضع ضيق وانتم معشر الأطباء بعيدون عني بعداً كثيراً مع سائر خدمي وحاشيتي ، وأنا أقول لكم : ويحكم ما تنظرون الي في أي موضع انا هذا يصلح لمثلي ، وأنتم سكوت لا تجيبوني عما أخاطبكم به . فاذا أنا كذلك حتى اشرق علي في ذلك الموضع ضياء عظيم مهول حتى رعبت منه . واذا أنا برجل قد وافى ، جميل الوجه ومعه آخر خلفه عليه ثياب حسنة فقال : السلام عليك . فرددت عليه . فقال لي : تعرفني ؟ فقلت : لا ، فقال : أنا المسيح ، فقلقت وتزعزعت وقلت : من هذا الذي معك ؟ فقال : حنين بن اسحق . فقلت: اعذرني فلست أقدر ان أقوم أصافحك ، فقال : اعف عن حنين ، واغفر ذنبه فقد غفر الله له . واقبل ما يشير به عليك ، فإنك تبرأ من علتك . »

« فانتبهت وأنا مغموم بما جرى على حنين مني ومفكر في قوة شفيعه الي ، وان حقه الآن علي

واجب ، فانصرفوا ليلزمني ، كما أمرت ، وليحمل إلي كل واحد منكم عشرة آلاف درهم لتكون دية من سأل في قتله . وهذا المال يلزم من حضر المجلس البارحة وسأل في قتله ، ومن لم يكن حاضراً فلا شيء عليه . ومن لم يحمل ما أمرت بحمله من هذا المال لأضربن عنقه . ثم قال لي : اجلس انت والزم رتبتك . وخرج الجماعة فحمل كل واحد منهم عشرة آلاف درهم . فلما اجتمع سائر ما حملوه أمر بان يضاف اليه مثله من خزانته ، فكان زائداً عن مائتي الف درهم ، وأن يسلم الي ، ففعل ذلك . فلما كان آخر النهار وقد أقامه الدواء ثلاثة مجالس أحس بصلاح ، وخف ما كان يجد . فقال : يا حنين ابشر بكل ما تحب . فقد عظمت رتبتك عندي ، وزادت طبقتك اضعاف ما كنت عليه عندي ، فسأعوضك أضعاف ما كان لك ، واحوج أعداءك اليك ، وأرفعك على سائر اهل صناعتك . ثم انه أمر باصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ، ولا رأيت لاحد من أهل صناعتي مثلها . وحمل اليهـــا سائر ما كنت محتاجاً من الأواني والفرش والآلة والكتب وما يشا كل ذلك ، بعد ان اشهد لي بالدور ، وتوثق لي بشهادات العدول ، لانها كانت خطيرة في قيمتها ، لانها تقوم بالوف دنانير ، فلمحبته لي ، وميله الي ، احب ان تكون لي ولعقبي ولا تكون علي حجة لمعترض. فلما فرغ مما أمر به من الحمل الى الدور ، وجميع ما ذكر وتعليقها بانواع الستور ، ولم يبق غير المضي اليها ، أمر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي ، وحملني على خمسة ارؤس من خيـــار بغلاته الخاصة بمواكبهـــا . ووهب لي ثلاثة خدم روم ، وأمر لي في كل شهر بخمسة عشر الف درهم ، واطلق لي الفائت من رزقي في وقت حبسي ، فكان شيئاً كثيراً . وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع . وحصلت وظائفي التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس ، آخذها من داخل الدار ، وصرت المقدم على سائر الاطباء من اعواني وغيرهم . وهذا تم لي لما لحقتني السعادة التامة ، وهذا ما جرى علي بعـــداوة الاشرار ، كما قال جالينوس : « ان الأخيار من الناس قد ينتفعون باعدائهم الاشرار . »

« ولعمري لقد لحق جالينوس محن عظيمة ، الا انها لم تكن تبلغ الى ما بلغت بي انا هذه المحن ، واني لاعلم مراراً كثيرة ان اول من كان يعدو الى باب داري في حاجة تكون له الى امير المؤمنين ، او ان يسألني عن مرض قد حار فيه احد اعدائي الذين قد عرفتك ما لحقني منهم . وكنت وحق معبودي ، العلة الاولى ، اسارع في قضاء حوائجهم ، واخلص لهم المودة ، ولم أكافئهم على شيء مما صنعوه بي ولا واحداً منهم اخذته بذلك . فكان سائر الناس يتعجبون من حسن قضائي حوائجهم بعد ما كانوا يسمعونهم يقولون في عند الناس وخاصة عند مولاي امير المؤمنين . وصرت انقـــل لهم الكتب على الرسم بغير عوض ولا جزاء ، واسارع الى جميع محابهم بعد ان كنت اذا نقلت لاحدهم كتاباً أخذت منه وزنه دراهم » .

اقول : وجدت من هذه الكتب كتباً كثيرة وكثيراً منها اقتنيته وهي مكتوبة مولّد الكوفي بخط الازرق كاتب حنين وهي حروف كبار بخط غليظ في اسطر متفرقة ، وورقها كل ورقة منهـــا بغلظ ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات او أربع ، وذلك في تقطيع مثل ثلث

البغدادي . وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه ، لاجل ما يقابل به من وزنه دراهم ، وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ، ولا جرم أن لغلظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان.

قال حنين : « وانما ذكرت سائر ما تقدم ذكره ليعلم العاقل ان المحن قد تنزل بالعاقل والجاهل ، والشديد والضعيف ، والكبير والصغير . وانها وان كانت لا شك واقعة بهذه الطبقات التي ذكرنا ، فما سبيل العاقل ان يأيس من تفضل الله عليه بالخلاص مما بلي به ، بل يثق ويحسن ثقته بخالقه ، ويزيد في تعظيمه وتمجيده . فالحمد لله الذي منّ علي بتجديد الحيـاة ، واظهرني على اعدائي الظالمين لي ، وجعلني افضلهم رتبة واكثرهم حالا ، حمداً جديداً دائماً ، وهذا جملة قول حنين بن اسحق بلفظه .

ومن كلام حنين ، قال : الليل نهار الاديب .

ولحنين بن اسحق من الكتب : **كتاب المسائل** وهو المدخل الى صناعة الطب لانه قد جمع فيه جملا وجوامع تجري مجرى المبادىء والاوائل لهذا العلم ، وليس جميع هذا الكتاب لحنين بل ان تلميذه الاعسم حبيشاً تممه . ولهذا قال ابن أبي صادق في شرحه له ان حنيناً جمع معاني هذا الكتاب في طروس ومسودات بيض منها البعض في مدة حياتـه . ثم ان حبيش بن الحسن تلميذه وابن أخته رتب الباقي بعده وزاد فيه من عنده زوائد ، وألحقها بما أثبته حنين في دستوره. ولذلك يوجد هذا الكتاب معنونا بكتاب المسائل لحنين بزيادات حبيش الاعسم . والذي يوجد في النسخ من هـذا الكتاب أن زيادات حبيش من عند ذكره أوقات الأمراض الاربعة الى آخر الكتاب . وقال ابن أبي صادق ان زيادات حبيش انما هي من الكلام في الترياق ، واستدل على ذلك بانه قال: ثم ان حنين بن اسحق عمل مقالتين شرح فيها ما قاله جالينوس في الترياق . ولو كان قاله حنين لكان يقول ثم اني عملت مقالتين شرحت فيها كذا وكذا . وقيل ان حنيناً شرع في تأليف هـذا الكتاب في ايام المتوكل ، وقد جعله رئيس الاطباء ببغداد .

كتاب العشر مقالات في العين ، وهذا الكتاب يوجد في نسخة اختلاف كثير ، وليس مقالاته على واحد . فان بعضها توجد مختصرة موجزة في المعنى الذي هي فيه ، والبعض الآخر قد طول فيه وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب . والسبب في ذلك أن كل مقالة منه كانت بمفردهـا من غير التئام لها مع غيرها . وذلك لان حنيناً يقول في المقالة الاخيرة من هذا الكتاب أني قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة في العين مقالات مفردة ، نحوت فيها الى أغراض شتى . سألني تأليفها قوم بعد قوم قال ثم ان حبيشاً سألني أن أجمع له ذلك ، وهو تسع مقالات واجعله كتاباً واحداً وأن أضيف له للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها كتبهم لعلل العين . وهـذا ذكر أغراض المقالات التي يضمها هذا الكتاب :

المقالة الاولى يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها .

والمقالة الثانية يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه .

المقالة الثالثة يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفي نفس الابصار كيف يكون .

والمقالة الرابعة فيها جمل الاشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها .
المقالة الخامسة يذكر فيها أسباب الاعراض الكائنة في العين .
المقالة السادسة في علامات الامراض التي تحدث في العين .
المقالة السابعة يذكر فيها قوى جميع الادوية عامة .
المقالة الثامنة يذكر فيها أجناس الادوية للعين خاصة وأنواعها .
المقالة التاسعة يذكر فيها مداواة أمراض العين .
المقالة العاشرة في الادوية المركبة الموافقة لعلل العين .

ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة الى هذا الكتاب ، يذكر فيها علاج الامراض ، التي تعرض في العين بالحديد .

كتاب في العين ؛ على طريق المسألة والجواب ، **ثلاث مقالات** ، ألفه لولديه داؤد واسحق ، وهو مائتان وتسع مسائل . **اختصار الستة عشر كتاباً لجالينوس** على طريق المسألة والجواب اختصره أيضاً لولديه ، واكثر ما ألفه من الكتب على طريق المسألة والجواب ، انما غرضه بها الى هذا القصد . **كتاب الترياق** ، مقالتان . **اختصار كتاب جالينوس في الادوية المفرده**، احدى عشرة مقالة اختصره بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي الجزء الاول ، وهو خمس مقالات ، نقلها لعلي بن يحيى . **مقالة في** ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم كتبها الى علي بن يحيى المنجم **مقالة في** ثبت الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه ، وصف فيها جميع ما وجد لجالينوس من الكتب التي لا يشك انها له ، وقال : ان جالينوس يكون صنفها بعد وضعه الفهرست . **مقالة في اعتذاره لجالينوس** فيما قاله في المقالة السابقة من كتاب آراء ابقراط وافلاطن . **جمل مقالة جالينوس في اصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة** ، على طريق المسألة والجواب . **جوامع كتاب جالينوس في الذبول** على طريق المسألة والجواب . **جوامع كتاب جالينوس** في ان الطبيب الفاضل يجب ان يكون فيلسوفاً ، على طريق المسألة والجواب . **جوامع كتاب جالينوس في كتب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة** . **جوامع كتاب جالينوس في الحث على تعلم الطب** ، على طريق المسألة والجواب. **جوامع كتاب المني لجالينوس** ، على طريق المسألة والجواب . **ثمار تفسير جالينوس**، لكتاب الفصول لابقراط ، على طريق المسألة والجواب ، سبع مقالات ، وكان تأليفه له بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي المقالة الاولى والثانية والثالثة والرابعة . وأما الثلاث المقالات الباقية فنقلها الى العربي عيسى بن صهر بخت . **ثمار تفسير جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة**، على طريق المسألة والجواب. **ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط** في تدبير الامراض الحادة على طريق المسألة والجواب. **ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط** في جراحات الرأس على طريق المسألة والجواب. **ثمار السبع عشرة مقالة** الموجودة من كتاب جالينوس لكتاب أبيذيميا لابقراط على طريق المسألة والجواب. **ثمار تفسير جالينوس لكتاب قاطيطريون** لابقراط على طريق المسألة والجواب **ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والأزمنة والبلدان**، على طريق المسألة والجواب، شرح **كتاب الهواء والماء والمساكن** لابقراط لم يتم ؛ شرح **كتاب الغذاء** لابقراط : **ثمار المقالة الثالثة من**

تفسير جالينوس لكتاب طبيعة الانسان لابقراط ، ثمــار كتاب ابقراط في المولدين لثانية اشهر : فصول استخرجها من كتاب ابيذيميا . فصول استخرجها من كتاب الاهوية والبلدان وبما في كتاب الفصول من الكلام في الأهوية والبلدان بتفسير جالينوس . مقالة في تدبير الناقهين ، ألفها لأبي جعفر محمد بن موسى . رسالة في قرص العود ، رسالة الى الطيفوري في قرص الورد . كتاب الى المعتمد فيما سأله عنه من الفرق بين الغذاء والدواء المنسهل ، ثلاث مقالات ، كتاب قوى الاغذية ثلاث مقالات كتاب في كيفيةادراك الديانة مسائل في البول انتزعها من كتاب ابيذيميا لأبقراط . مقالة في تولدالفروج بين فيها أن تولد الفروج انما هو من بياض البيضة ، واغتذاؤه من المح الذي فيها . مسائل استخرجها من كتب المنطق الأربعة . مقالة في الدلائل ، وصف فيها ابواباً من الدلائل التي يستدل بها على معرفة كل واحد من الامراض .

كتاب في النبض ، كتاب في الحميات ، كتاب في البول مستخرج من كتاب ابقراط وجالينوس ، كتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجها ، مقالتان ، كتاب في حالات الاعضاء . مقالة في ماء البقول. كتاب في اليبس ، كتاب في حفظ الاسنان واللثة ، كتاب فيمن يولد لثانية اشهر ، على طريق المسألة، والجواب ، ألفه لام ولد المتوكل ، كتاب في امتحان الاطباء ، كتاب في طبائع الاغذية وتدبير الابدان كتاب في اسماء الادوية المفردة ، على حروف المعجم ، كتاب في مسائله العربية ، كتاب في تسمية الاعضاء على ما رتبها جالينوس ، كتاب في تركيب العين . مقالة في المد والجزر ، كتاب في افعال الشمس والقمر ، كتاب في تدبير السوداويين ، كتاب في تدبير الاصحاء بالمطعم والمشرب . كتاب في في اللبن ، كتاب في تدبير المستسقين ، كتاب في أسرار الادوية المركبة ، كتاب في اسرار الفلاسفة في الباه . جوامع كتاب السماء والعالم ، كتاب في المنطق ، كتاب في النحو . مقالة في خلق الانسان ، وانه من مصلحته ، والتفضل عليه جعل محتاجاً . كتاب فيما يقرأ قبل كتب افلاطن ، مقالة في تولد النار بين الحجرين . كتاب الفوائد ، ومقالة في الحمام ، مقالة في الآجال مقالة في الدغدغة ، مقالة في ضيق النفس . كتاب في اختلاف الطعوم . كتاب في تشريح آلات الغذاء ، ثلاث مقالات ، تفسير كتاب النفخ لابقراط ، تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس ، تفسير كتاب الادوية المكتومة لجالينوس يبين فيه شرح ما ذكره جالينوس في كل واحد من الأدوية . رسالة في دلالة القدر على التوحيد ، رسالة الى سلمويه بن بنان عما سأله من ترجمة مقالة جالينوس في العادات . كتاب في احكام الاعراب على مذهب اليونانيين ، مقالتان : مقالة في السبب الذي من اجله صارت مياه البحر مالحة ، مقالة في الالوان. كتاب قاطيغورياس على رأي ثامسطيوس ، مقالة . مقالة في تولد الحصاة مقالة فياختيار الأدوية المحرقة . كتاب في مياه الحمامات على طريق المسألة والجواب .

كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء ، كناش اختصره من كتاب بولس . مقالة في تقاسيم علل العين . كتاب اختيار أدوية علل العين مقالة في الصراع . كتاب الفلاحة ، مقالة في التركيب مما وافقه عليه الفاضلان ابقراط وجالينوس : مقالة تتعلق بحفظ الصحة وغيرها ، كلام في الاثار العلوية مقالة في قوس قزح . كتاب تاريخ العالم والمبدأ والانبياء والملوك والامم والخلفاء

والملوك في الاسلام ، وابتدأ فيـــه من آدم ومن أتى من بعده ، وذكر ملوك بني اسرائيل وملوك اليونانيين والروم ، وذكر ابتداء الاسلام وملوك بني أمية وملوك بني هاشم الى الوقت الذي كان فيه حنين بن اسحق ، وهو زمان المتوكل على الله . **حل بعض شكوك جاسيوس الاسكندراني** على كتاب الاعضاء الآلمة لجالينوس **رسالة فيما أصابه من المحن** والشدائد **كتاب الى علي بن يحيى** جواب كتابه فيما دعاه اليه من دين الاسلام . **جوامع ما في المقالة الاولى والثانية والثالثة من كتاب أبيديميا لابقراط** على طريق المسألة والجواب . **مقالة في كون الجنين** جمع من أقاويل جالينوس وبقراط . **جوامع تفسير القدماء اليونانيين** لكتاب أرسطوطاليس في السماء والعالم مسائل مقدمة لكتاب فرفوريوس المعروف بالمدخل ؛ وينبغي أن يقرأ قبل كتاب فرفوريوس شرح كتـــاب الفراسة لارسطاطاليس . **كتاب دفع مضار الاغذية** . **كتاب الزينة** . **كتاب خواص الاحجار** . **كتاب البيطرة** . **كتاب حفظ الاسنان** . **كتاب في ادراك حقيقة الاديان** .

اسحق بن حنين

هو أبو يعقوب اسحق بن حنين بن اسحق العبادي ، كان يلحق بابيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها ، الا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة الى ما يوجد من كثرة نقله من كتب ارسطوطاليس في الحكمة وشروحها الى لغة العرب . وكان اسحق قد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء . وكان منقطعاً الى القاسم بن عبيد الله وخصيصاً به ، ومتقدماً عنده يفضي اليه باسراره . ولاسحق حكايات مستظرفة واشعار .

قال اسحق بن حنين : شكا إلي رجل علة في احشائه فاعطيته معجوناً وقلت له : « تناوله سحراً وعرفني خبرك بالعشي » فجاءني غلامه برقعة من عنده فقرأتها ، واذا فيهـــا : « يا سيدي تناولت الدواء واختلفت ، لا عدمتك ، عشرة مجالس أحمر مثل الريق في اللزوجة ، وأخضر مثل السلق [1] في البقلية ، ووجدت بعده مغساً [2] في رأسي وهوساً [3] في سرتي [4] ، فرأيك في انكار ذلك على الطبيعة بما تراه ان شاء الله » . قـــال : «فتعجبت منه وقلت : ليس للاحمق الا جواب يليق به » . وكتبت اليه : « فهمت رقعتك وأنا أتقدم الى الطبيعة بمـا تحب ، وأنفذ اليك الجواب اذا التقينا والسلام» .

ولحق اسحق في آخر عمره الفالج ، وبه مات . وتوفي ببغداد في أيام المقتدر بالله ، وذلك في شهر

---

(١) نبات يؤكل كالهندباء .

(٢) المغص وهو وجع وتقطيع في الامعاء .

(٣) جنون وخفة في العقل .

(٤) الوقبة — النقرة — في وسط البطن .

ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين .

ومن كلام اسحق قال : قليل الراح صديق الروح ؛ وكثيرها عدو الجسم .

ومن شعره :

أنا ابن الذين استودع الطب فيهم ... وسُمّوا به طفل وكهل ويافع
يبصرني ارسْتِطَاليس بارعاً ... يقوّم مني منطق لا يُدافع
وبقراط في تفصيل ما أثبت الالى ... لنا الضر والاسقام طب مضارع
وما زال جالينوس يشفي صدورنا ... لما اختلفت فيه علينا الطبائع
ويحيى بن ماسويه وأهرن قبله ... لهم كتب للناس فيها منافع
رأى أنه في الطب نيلت فلم يكن ... لنا راحة من حفظها وأصابع

(الطويل)

ونقلت من خط ابن بطلان في رسالته المعروفة « بدعوة الاطباء » : ان القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد بالله بلغه ان أبا يعقوب اسحق قد شرب دواء مسهلا فاحب مداعبته ، وكان صديقاً له ، فكتب اليه :

أبِنْ لي كيف أمسيت ... وكم كان من الحال
وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي

(الهزج)

فكتب اليه اسحق بن حنين :

بخير كنت مسروراً ... رضي الحال والبال
فأما السير والناقة ... والمرتبع الخالي
فاجلالك انسانيه ... يا غاية آمالي

(الهزج)

ولاسحق بن حنين من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كناش لطيف ، ويعرف بكناش الخف . كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء . كتاب الادوية الموجودة بكل مكان ؛ كتاب اصلاح الادوية المسهلة . اختصار كتاب اقليدس ، كتاب المقولات ، كتاب ايساغوجي ، وهو المدخل الى صناعة المنطق . اصلاح جوامع الاسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط . كتاب في النبض على جهة التقسيم . مقالة في الاشياء التي تفيد الصحة والحفظ ،وتمنع من النسيان ألفها لعبد الله بن شمعون . كتاب في الادوية المفردة . كتاب صنعة العلاج بالحديد . كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم . مقالة في التوحيد .

حبيش الاعسم

هو حبيش بن الحسن الدمشقي ، وهو ابن اخت حنين بن اسحق ، ومنه تعلم صناعة الطب ، وكان يسلك مسلك حنين في نقله وفي كلامه واحواله ، الا انه كان يقصر عنه .

وقال حنين بن اسحق ، وقد ذكره في بعض المواضع : «ان حبيشاً ذكي مطبوع على الفهم ، غير انه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه ، بل فيه تهاون ، وان كان ذكاؤه مفرطاً وذهنه ثاقباً . »

وحبيش هو الذي تمم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين ، وجعله مدخلاً الى هذه الصناعة . ولحبيش من الكتب : **كتاب اصلاح الادوية المسهلة ، كتاب الادوية المفردة ، كتاب الاغذية . كتاب في الاستسقاء . مقالة في النبض على جهة التقسيم .**

يوحنا بن بختيشوع

كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية ، ونقل من اليوناني الى السرياني كتباً كثيرة ، وخدم بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل ، وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه مفرج كربي .

حدث ابراهيم بن العباس بن طومار الهاشمي قال :

« كان الموفق اذا جلس للشراب يقدم بين يديه صينية ذهب ، ومغسل ذهب ، وخرداذى [1] بلور ، وكوز بلور ؛ ويجلس يوحنا بن بختيشوع عن يمينه ؛ ويقدم اليه مثل ذلك ، وكذلك بين يدي غالب الطبيب . ثم يقدم الى جميع الجلساء صواني مدهون ، وقناني زجاج ، ونارنج [2] : قال : وسمعته وقد شكا الى الموفق ما يجري عليه في ضياعه ؛ فتقدم الموفق الى صاعد بأن يكتب له جميع ما يريد . ثم ان يوحنا حضر بعد مدة مديدة فعدد على الموفق احسانه اليه ، ومعروفه عنده ، وان صاعداً يكدر احسانه اليه ويكتب الى العمال كتباً فيما يبطل عليه ضياعه واملاكه . فتقدم اليه الموفق بالانصراف الى مضربه ؛ واعلمه بكيفية الفكر في هذا . ووجه الموفق الى صاعد فأحضره وقال له : أنت تعلم انه ليس لي في هذه الدنيا من استريح اليه ، واعلم ما في سويداء قلبي ، وهو مفرج كربي ، غير يوحنا . وأنت دائب الحيلة على تنغيض عيشي بشغل قلبه عن خدمتي ، فعل الله بك وفعل . فلم يزل صاعد يحلف له حتى حل سيفه ومنطقته ، وقال له : « امض الساعة مع راشد الى مضرب يوحنا ، ولا تدع جهداً في أن تتوصل الى جميع ما يحبه ، وتوثق له ، وخذ خطة بانك قد بلغت له كل ما اراده ، وانفذه الي مع راشد » . قال : فمضى وكنت أنا أحد من مضى معهما ، حتى

---

(١) الصحيح الخروازي وهي الخروهنا أي الوعاء الذي فيه الخمر .

(٢) نوع من الليمون تعرفه العامة « ليمون بوصفير » . (ت . ر)

دخلنا الى مضرب يوحنا ، واذا بـه قاعد على حصر ساماني [1] في قبة له ، فلما قرب منه صاعد قام له فسلم عليه ، وعلى راشد وعلي وجلسوا وجلست . ثم قال صاعد وحلف له ، فقال له «وما ينفعني ، وانت تكتب بضد ما تظهر » . فاعاد اليمين ووثق له . ثم دعا صاعد بمنديل وجعله في حجـره ، وأخذ القرطاس والقلم ، وجعل يكتب ويخرط الخرائط حتى بلغ ما اراده يوحنا وأخذ خطه وشهادتي ومن حضر ، وأنفذهـا مع راشد الى الموفق بالله . وما احتاج يوحنا بعد ذلك ان يستزيد في شيء من اموره .

وليوحنا بن بختيشوع من الكتب : كتاب فيما يحتاج اليه الطبيب من علم النجوم .

بختيشوع بن يوحنا

كان عالماً بصناعة الطب ، حظياً من الخلفاء وغيرهم . واختص بخدمـة المقتدر بالله [2] ، وكان له من المقتدر الانعام الكثير ، والاقطاعات من الضياع . وخدم بعد ذلك الراضي بالله [3] ، فاكرمـه وأجراه على ما كان باسمه في ايام ابيه المقتدر .

ومات بختيشوع بن يوحنا في يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلثمائة ببغداد .

عيسى بن عـــلي

كان طبيباً فاضلاً ومشتغلاً بالحكمة ، وله تصانيف في ذلك . وكان قد قرأ صناعة الطب على حنين ابن اسحق ، وهو من أجل تلاميذه . وكان عيسى بن علي يخدم احمد بن المتوكل ، وهو المعتمد على الله ، وكان طبيبه قديماً ولما ولي الخلافة احسن اليه وشرفه وحمله عدة دفعات على دواب وخلع عليه .

ولعيسى بن علي من الكتب : كتاب المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان . كتاب السموم مقالتان .

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان ايضاً من تلامذة حنين بن اسحق ، واشتغل عليه بصناعة الطب .

---

(١) حصر تصنع بساماني وهي قرية في ايران « بلخ » .

(٢) الخليفة العباسي الثامن عشر تولى الخلافة وعمره ١٣ سنة وانحطت الدولة في ايامه فاسس الفاطميون دولتهم في المغرب مصر ، والقرامطة في البحرين قطعوا طريق الحجاج .

(٣) خليفة عباسي آخر من دون له شعر . انفرد بتدبير الملك وقرب اليه العلماء . ولكن الخلافة ضعفت وقويت شوكة حكام الاقاليم فكان آلة في ايديهم . « ن ، ر »

الحلاجي

ويعرف بيحيى بن ابي حكيم كان من أطباء المعتضد ، وله من الكتب : **كتاب تدبير الابدان النحيفة التي قد علتها الصفراء** ، ألفه للمعتضد .

ابن صهار بخت

واسمه عيسى ، من اهل جندي سابور ، وله من الكتب **كتاب قوى الادوية المفردة**

ابن ماهان

ويعرف بيعقوب السيرافي وله من الكتب : **كتاب السفر والحضر في الطب** .

الساهر

اسمه يوسف ، ويعرف بيوسف القس . عارف بصناعة الطب ، وكان متميزاً في ايام المكتفي . وقال عبيد الله بن جبرائيل عنه انه كان به سرطان في مقدم رأسه ، وكان يمنعه من النـوم فلقب بالساهر من أجل مرضه . قال : وصنف كناشاً يذكر فيه أدوية الامراض ، وذكر في كناشه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض . وللساهر من الكتب : **كناشه** وهو الذي يعرف به وينسب اليه ، وهو مما استخرجه وجربه في أيام حياته ، وجعله مقسوماً الى قسمين ، فالقسم الاول تجري أبوابه على غير ترتيب الاعضاء وهي ستةأبواب .

الباب التاسع

طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم

جورجس

وهو من أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية الى اللسان العربي عندما استدعاه المنصور وكان كثير الاحسان اليه ، وقد ذكرت أخبار جورجس فيما تقدم .

حنين بن اسحق

كان عالماً باللغات الاربع غريبها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانيـة والفارسية . ونقله في غاية من الجودة .

اسحق بن حنين

كان أيضاً عالماً باللغات التي يعرفها أبوه ، وهو يلحق به في النقل ، وكان اسحق عذب العبارة فصيح الكلام ، وكان حنين مع ذلك اكثر تصنيفاً ونقلاً وقد تقـدم ذكر اسحق وابيه .

حبيش الاعسم

وهو ابن أخت حنين بن اسحـق وتلميذه . ناقل مجود يلحق بحنين واسحق . وقـد تقدم أيضاً ذكره .

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان أيضاً تلميذاً لحنين بن اسحق ، وكان فاضلاً . اثنى عليه حنين ورضي نقله ، وقلده فيه . وله مصنفات .

قسطا بن لوقا البعلبكي

كان ناقلا خبيراً باللغات فاضلا في العلوم الحكمية وغيرها ، وسيأتي ذكره وأخباره فيما بعد ان شاء الله .

أيوب المعروف بالابرش

كان قليل النقل متوسطه . وما نقله في آخر عمره يضاهي نقل حنين .

ماسرجيس

كان ناقلا من السرياني الى العربي ، ومشهوراً بالطب .

وله من الكتب : **كتاب قوى الاطعمة ومنافعها ومضارها . كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .**

عيسى بن ماسرجيس

كان يلحق بأبيه . وله من الكتب : **كتاب الالوان . كتاب الروائح والطعوم .**

شهدي الكرخي

من اهل الكرخ ، وكان قريب الحال في الترجمة .

ابن شهدي الكرخي

كان مثل أبيه في النقل ، ثم انه في آخر عمره فاق أباه ، ولم يزل متوسطا.وكان ينقل من السرياني الى العربي . ومن نقله كتاب الأجنة لأبقراط .

الحجاج بن مطر

نقل للمأمون . ومن نقله كتاب اقليدس ، ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحراني ابن ناعمة، واسمه عبد المسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي ، كان متوسط النقل ، وهو الى الجودة أميل

زروبا بن مانحوه الناعمي الحمصي

كان قريب النقل ، وما هو في درجة من قبله .

هلال بن أبي هلال الحمصي

كان صحيح النقل ، ولم يكن عنده فصاحة ، ولا بلاغة في اللفظ .

فثيون الترجمان

وجدت نقله كثير اللحن ولم يكن يعرف علم العربية اصلا .

أبو نصر بن ناري بن ايوب

كان قليل النقل ، ولم يعتد بنقله كغيره من النقلة .

بسيل المطران

نقل كتباً كثيرة ، وكان نقله اميل الى الجودة .

اصطفن بن بسيل

كان يقارب حنين بن اسحق في النقل ، الا ان عبارة حنين أفصح واحلى

موسى بن خالد الترجمان

وجدت من نقله كتباً كثيرة من الستة عشر لجالينوس وغيرها وكان لا يصل الى درجة حنين أو يقرب منها .

اسطاث

كان من النقلة المتوسطين

حيرون بن رابطة

ليس له شهرة بجودة النقل .

تدرس السنقل

وجدت له نقلاً في الكتب الحكمية لا بأس به

سرجس الرأسي

من اهل مدينة رأس العين . نقل كتباً كثيرة وكان متوسطاً في النقل . وكان حنين يصلح نقله ، فما وجد باصلاح حنين فهو الجيد ، وما وجد غير مصلح فهو وسط .

ايوب الرهاوي

ليس هو أيوب الابرش المذكور أولاً ، ناقل جيد عالم باللغات الا انه بالسريانية خير منه بالعربية .

يوسف الناقل

هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطبب الناقل ، ويلقب بالناعس ، وهو تلميذ عيسى بن صهربخت ، وكان يوسف الناقل من خوزستان وكانت في عبارته لكنة ، وليس نقله بكثير الجودة .

ابراهيم بن الصلت

كان متوسطاً في النقل يلحق بسرجس الرأسي .

ثابت الناقل

كان ايضاً متوسطاً في النقل إلا أنه يفضل ابراهيم بن الصلت . وكان مقلاً من النقل . ومن نقله : كتاب الكيموسين لجالينوس .

ابو يوسف الكاتب

كان ايضاً متوسطاً في النقل ونقل عدة كتب من كتب أبقراط .

يوحنا بن بختيشوع

نقل كتباً كثيرة الى السرياني ، فاما الى العربي فما عرف بنقله شيء منها .

البطريق

كان في ايام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة . وله نقل كثير جيد ، الا أنه دون نقل حنين بن اسحق . وقد وجدت بنقله كتباً كثيرة في الطب كتب أبقراط وجالينوس .

يحيى بن البطريق

كان في جملة الحسن [1] بن سهل ، وكان لا يعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية ، وانما كان لطينياً يعرف لغة الروم اليوم وكتابتها . وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة .

قيضا الرهاوي

كان اذا كثرت على حنين الكتب ، وضاق عليه الوقت استعان به في نقلها، ثم يصلحها بعدذلك

منصور بن باناس:

طبقته في النقل مثل قيضا الرهاوي ، وكان بالسريانية أقوى منه بالعربية.

عبد يشوع بن بهريز

مطران الموصل . كان صديقاً لجبرائيل بن بختيشوع وناقلاً له .

ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي

أحد النقلة الجيدين ، وكان منقطعاً الى علي [2] بن عيسى .

---

(١) من ولاة المأمون احسن الى العلماء والشعراء وزوج ابنته من المأمون توفي سنة ٨٥٠ ،

(٢) من تلاميذ حنين اشتهر في صناعة الكحل .

ابو اسحق ابراهيم بن بكس

كان من الأطباء المشهورين ، وترجم كتباً كثيرة الى لغة العرب ، ونقله أيضاً مرغوب فيه .

ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس

كان أيضاً طبيباً مشهوراً . وكان مثل أبيه في النقل .

فاما الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم خارجاً عن الخلفاء فمنهم :

شيرشوع بن قطرب

من أهل جندي سابور ؛ وكان لا يزال يبر النقلة ويهدي اليهم؛ ويتقرب الى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال، وكان يريد السرياني أكثر من العربي وهو أحد الخوز .

محمد بن موسى المنجم

وهو أحد بني موسى بن شاكر الحساب المشهورين بالفضل والعلم والتصنيف في العلوم الرياضية . وكان محمد هذا من أبر الناس بحنين بن اسحق ، وقد نقل له حنين كثيراً من الكتب الطبية .

علي بن يحيى المعروف بابن المنجم

احد كتاب المأمون وكان نديماً له ، وعنده فضل . ومال الى الطب فنقلوا له كتباً كثيرة .

ثادرس الاسقف

كان اسقفاً في الكرخ ببغداد . وكان حريصاً على طلب الكتب متقرباً الى قلوب نقلتها ، فحصل منها شيئاً كثيراً ، وصنف له قوم من الاطباء النصارى كتباً لها قدر وجعلوها باسمه .

محمد بن موسى بن عبد الملك

نقلت له كتب طبية وكان من جملة العلماء الفضلاء يلخص الكتب ، ويعتبر جيد الكلام فيها من رديه .

عيسى بن يونس الكاتب الحاسب

من جملة الفضلاء بالعراق وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

علي المعروف بالفيوم

اشتهر باسم المدينة التي كان عاملها ، وكانت النقلة يحصلون من جانبه ويمتارون من فضله .

احمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب

وكان يصل الى النقلة بن ماله وأفضاله شيء كثير جداً .

ابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب

وكان حريصاً على نقل كتب اليونانيين الى لغة العرب ومشتملا على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة .

عبد الله بن اسحق

وكان ايضاً حريصاً على نقل الكتب وتحصيلها .

محمد بن عبد الملك الزيات

وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر ألفي دينار ، ونقل باسمه كتب عدة .

وكان أيضاً ممن نقلت له الكتب اليونانية ، وترجمت باسمه جماعة من أكابر الاطباء ، مثـــل : يوحنا بن ماسويه ،وجبرائيل بن بختيشوع ، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ،وداؤد بن سرابيون ، وسلمويه بن بنان ، واليسع ، واسرائيل بن زكريا بن الطيفوري ، وحبيش بن الحسن .

الباب العاشر

طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيره وديار بكر

يعقوب بن اسحق الكندي

فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها . وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران ابن اسماعيل بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة ابن معاوية الاكبر بن الحرث الاصغر بن معاوية بن الحرث الاكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان ابوه اسحق بن الصباح أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد . وكان الاشعث بن قيس من اصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة . وكان أبوه قيس بن معدي كرب ملكاً على جميع كندة أيضاً ، عظيم الشأن ، وهو الذي مدحه الاعشى ، — أعشى بني قيس بن ثعلبة — بقصائده الأربع الطوال التي أولاهن :

لعمرك ما طول هذا الزمن .

والثانية : رحلت سمية غدوة أجمالها .

والثالثة : أأزمعت من آل ليلى ابتكاراً .

والرابعة : أتهجر غانية أم تلم .

وكان أبوه معدي كرب بن معاوية ملكاً على بني الحرث الاصغر بن معاوية في حضرموت [1] ، وكان أبوه معاوية بن جبلة ملكاً بحضرموت أيضاً على بني الحرث الاصغر . وكان معاوية بن الحرث الاكبر وابوه الحرث الاكبر وأبوه ثور ملوكاً على معبد بالمشقر [2] واليمامة [3] والبحرين [4] .

---

(١) بلاد في جنوبي الجزيرة العربية عاصمتها مرفأ المكلا . وفيها نهر يجري صيفاً وشتاء يدعى وادي القصر وبالقرب منه كانت تقع ظفار عاصمة الحميريين .

(٢) حصن قديم بالبحرين .

(٣) بلاد في اواسط الجزيرة العربية ورد ذكرها كثيراً في اخبار العرب .

(٤) مجموعة جزر بالقرب من الشاطىء الغربي .

وكان يعقوب بن اسحق الكندي عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد. وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جداً في جميع العلوم .

وقال سليمان بن حسان : ان يعقوب بن اسحق الكندي شريف الاصل بصري – كان جده ولي الولايات لبني [1] هاشم – ونزل البصرة وضيعته هنالك . وانتقل الى بغداد وهناك تأدب ، وكان عالماً بالطب ، والفلسفة ، وعلم الحساب ، والمنطق ، وتأليف اللحون ، والهندسة ، وطبائع الاعداد، وعلم النجوم . ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره ، احتذى في تواليفه حذو ارسطوطاليس . وله تواليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك فباشرهم بالادب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص .

وقال أبو معشر في كتاب المذكرات لشاذان ؛ حذاق التراجمة في الاسلام أربعة : حنين بن اسحق، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب المعروف بابن أبي يعقوب في كتاب الفهرست : كان ابو معشر ، وهو جعفر بن محمد البلخي من اصحاب الحديث أولاً ومنزله في الجانب الغربي بباب خراسان ببغداد ، يضاغن الكندي ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة . فدس عليه الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك فلم يكمل له ، فعدل الى علم أحكام النجوم وانقطع شره عن الكندي بنظره في هذا العلم لانه من جنس علوم الكندي . ويقال انه تعلم النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره ، وكان فاضلاً حسن الاصابة وضربه المستعين أسواطاً لانه أصاب في شيء خبره بكونه قبل وقته ، فكان يقول « أصبت فعوقبت » . وكان مولده بواسط يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة [2] وتوفي أبو معشر وقد جاوز المائة سنة .

وقال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب « حسن العقبى » : حدثني أبو كامل شجاع ابن اسلم الحاسب قال : كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في ايام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة . فاشخصا سند بن علي الى مدينة السلام ، وباعداه عن المتوكل ، ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ، ووجها إلى داره فاخذا كتبه باسرها وأفرداها في خزانة سميت الكندية . ومكن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة ، وتقدم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري ، فاسندا أمره الى أحمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر . وكانت معرفته أوفى من توفيقه ، لانه ما تم له عمل قط ، فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها أخفض من سائره ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر . فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل ، فسعى بهما اليه فيه ، فانفذ مستحثاً في احضار سند بن علي من مدينة السلام ، فوافى . فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى أن سند بن علي قد شخص ، أيقنا بالهلكة ويئسا من الحياة . فدعا المتوكل

(١) بطن من قريش ينسبون الى هاشم بن عبد مناف ابي عبد المطلب ، واخي عبد شمس والدأمية . مدفون في غزة(ن.ر)

(٢) بياض في كل النسخ .

بسند وقال : « ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول الا وقد ذكراك عندي به . وقد أتلفا جملة من مالي في هذا النهر . فاخرج اليه حتى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه . فاني قد آليت على نفسي ، ان كان الامر على ما وصف لي ، اني أصلبهما على شاطئه » . وكل هـــذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعها ، فيخرج وهما معه . فقال محمد ابن موسى لسند : « يا أبا الطيب ان قدرة الحُر تُذهب حفيظته ، وقد فرغنا اليك في أنفسنا التي هي أنفس أعلاقنا ، وما ننكر انا اسأنا والاعتراف يهدم الاقتراف ، فتخلصنا كيف شئت » . قال لهما : والله انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ، ولكن الحق أولى ما أتبع . أكان من الجميل ما اتيتماه اليه من اخـــذ كتبه ؟ والله لا ذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه » . فتقـــدم محمد بن موسى في حمل الكتب اليه ، وأخذ خطه باستيفائها ، فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها . فقال : « قد وجب لكما علي ذمام بَردّ كتب هذا الرجل ، ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعياها في ، والخطـــأ في هذا النهر يستتر أربعة أشهر بزيادة دجلة ، وقد أجمع الحساب على أن امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة انه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر ابقاء على ارواحكما ، فإن صدق المنجمون افلتنا الثلاثة ، وان كذبوا وجازت مدته حتى تنقص دجـــلة وتنصب ، اوقع بنا ثلاثتنا » .فشكر محمد واحمد هذا القول منه واسترقهما به ، ودخل على المتوكل، فقال له : ما غلطا . وزادت دجلة ، وجرى الماء في النهر ، فاستتر حاله . وقتل المتوكل بعد شهرين ، وسلم محمد واحمد بعد شدة الخوف مما توقعا .

وقال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب « طبقات الأمم »، عن الكندي عندما ذكر تصانيفه وكتبه قال : ومنها كتبه في علم المنطق ، وهي كتب قد نفقت عند الناس نفاقاً عاماً ، وقلما ينتفع بها في العلوم لانها خالية من صناعة التحليل التي لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل في كل مطلوب الا بها . وأما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبه هذه اليها فلا ينتفع بها الا من كانت عنده مقدمات عتيدة ، فحينئذ يمكنه التركيب ، ومقدمات كل مطلوب لا توجد الا بصناعة التحليل ، ولا أدري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة ، هل جهل مقدارها ، أو ضَنّ على الناس بكشفه ؟ وأي هذين كان ، فهو نقص فيه ، وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم جمة ظهرت له فيها آراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة .

أقول : هذا الذي قد قاله القاضي صاعد عن الكندي فيه تحامل كثير عليه وليس ذلك مما يحط من علم الكندي ، ولا مما يصد الناس عن النظر في كتبه والانتفاع بها .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب في كتاب « الفهرست » : كان من تلامذة الكندي ووراقيه : حسنويه ، ونفطويه ، وسلمويه ، وآخر على هذا الوزن . ومن تلامذته : أحمد بن الطيب ، وأخذ عنه أبو معشر أيضاً .

قال ابو محمد [1] عبدالله بن قتيبة في كتاب « فرائد الدر » : قـــال بعضهم أنشدت يعقوب بن

(١) ولد في الكوفة (٨٢٨ — ٨٨٩) وعاش وعلم في بغداد . تولى القضاء في دينور وله مؤلفات جليلة . (ن.ر) .

اسحق الكندي .

وفي أربع مني حلت منك أربع | فما أنا أدرى أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي | أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

(الطويل)

فقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً .

أقول : ومن كلام الكندي قال في وصيته : وليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر ، فليس عن الأنفس غوض . وقال : وكما يحب ان يقال له انه كان سبب عافية العليل وبرئه كذلك فليحذر ان يقال انه كان سبب تلفه وموته ، وقال : العاقل يظن أن فوق علمه علماً ، فهو ابداً يتواضع لتلك الزيادة ؛ والجاهل يظن انه قد تناهى ، فتمقته النفوس لذلك .

ومن كلامه مما أوصى به لولده أبي العباس نقلت ذلك من كتاب « المقدمات » لابن بختويه — قال الكندي : « يا بني ، الاب رب ، والاخ فخ ، والعم غم ، والخال وبال ، والولد كمد ، والأقارب عقارب . وقول لا ، يصرف البلا ؛ وقول نعم ، يزيل النعم ؛ وسماع الغناء ، برسام حاد ، لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت . والدينار محموم ، فان صرفته مات والدرهم محبوس فان اخرجته فر ؛ والناس سخرة ، فخذ شيئهم واحفظ شيئك . ولا تقبل من قال اليمين الفاجرة ، فأنها تدع الديار بلاقع .

أقول : وان كانت هذه من وصية الكندي فقد صدق ما حكاه عنه ابن النديم البغدادي في كتابه فانه قال : ان الكندي كان بخيلاً .

ومن شعر يعقوب بن اسحق الكندي ، قال الشيخ ابو أحمد الحسن [1] بن عبدالله بن سعيد العسكري اللغوي في كتاب « الحكم والأمثال » : انشدني أحمد بن جعفر ، قال : أنشدني أحمد بن الطيب السرخسي ، قال : أنشدني يعقوب بن اسحق الكندي لنفسه :

أناف الذنابى على الاروس | فغمض جفونك أو نكس [2]
وضائل سوادك واقبض يديك | وفي قعر بيتك فاستجلس [3]
وعند مليكك فابغ العلو | وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال | وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخي عسرة | غني وذي ثروة مفلس

---

(١) لغوي مشهور تعلم على ابن دريد . عاش في بلدة عسكر مكرم (٩٠٦ - ٩٩٣) .
(٢) طأطأ رأسه من الذل .
(٣) قر واجلس (ن. ر.) .

ومن ههم شخصـــه ميت على انـــه بعد لم يرمس (١)
فان تطعم النفس ما تشتهي تقيك جميع الذي تحتسي (٢)

(المتقارب)

وليعقوب بن اسحق الكندي من الكتب : **كتاب الفلسفة الاولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد . كتاب الفلسفة الداخلة والمسائل المنطقية والمعتاصة وما وافق الطبيعيـــات . رسالة في انه لا تنال الفلسفة الا بعلم الرياضيات . كتاب الحث على تعلم الفلسفة . رسالة في كمية كتب ارسطوطاليس** وما يحتاج اليه في تحصيل علم الفلسفة مما لا غنى في ذلك عنه منها وترتيبها ، واغراضه فيها . **كتاب في قصد ارسطوطاليس في المقولات** اياها قصد والموضوعة لها . **رسالته الكبرى في مقياسه العلمي .** كتاب أقسام العلم الانسي ، كتاب في ماهية العلم وأقسامه . كتاب في أن أفعال الباريء كلها عدل لا جور فيها . كتاب في ماهية الشيء الذي لا نهاية له وبأي نوع يقال للذي لا نهـــاية له . رسالة في في الابانة أنه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية ، وان ذلك انما هو في القوة . كتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات الاول . كتاب في عبارات الجوامع الفكرية . كتاب في مسائل سئل عنها في منفعة الرياضيات . كتاب في بحث قول المدعي ان الاشياء الطبيعية تفعل فعلاً واحداً بايجاب الخلقة ، رسالة في الرفق في الصناعات ، رسالة في رسم رقاع الى الخلفاء والوزراء . رسالة في قسمة القانون . رسالة في ماهية العقل والابانة عنه . رسالة في الفاعل الحق الاول التـام والفاعل الناقص الذي هو في المجاز . رسالة الى المأمون في العلة والمعلول . اختصار كتاب ايساغوجي لفرفوريوس . مسائل كثيرة في المنطق وغيره وحدود الفلسفة . كتاب في المدخل المنطقي باستيفاء القول فيه . كتاب في المدخل المنطقي باختصار وايجاز . رسالة في المقولات العشر . رسالة في الابانـــة عن قول بطليموس في أول كتابه في المجسطي عن قول ارسطوطاليس في انالوطيقا . رسالة في الاحتراس من خدع السوفسطائية . رسالة بايجاز واختصار في البرهان المنطقي . رسالة في الاسماء الخمسة اللاحقة لكل المقولات . رسالة في سمع الكيان . رسالة في عمل آلة مخرجة الجوامع . رسالة في المدخـــل الى الارثماطيقي ، خمس مقالات ، رسالة الى احمد بن المعتصم في كيفية استعمال الحساب الهندي ، أربع مقالات . رسالة في الابانة عن الاعداد التي ذكرها افلاطن في السياسة . رسالة في تأليف الاعداد . رسالة في التوحيد من جهة العدد . رسالة في استخراج الخبيء والضمير . رسالة في الزجر والفأل من جهة العدد . رسالة في الخطوط والضرب بعدد الشعير . رسالة في الكمية المضافة . رسالة في النسب الزمانية . رسالة في الحيل العددية وعلم اضمارها . رسالة في ان العالم وكل ما فيه كروي الشكل . رسالة في الابانة على أنه ليس شيء من العناصر الأولى والجرم الأقصى غير كروي . رسالة في أن الكرة أعظم الاشكال الجرمية ، والدائرة أعظم من جميع الاشكال البسيطة . رسالة في الكريات . رسالة في عمل السمت على الكرة . رسالة في أن سطح ماء البحر كروي . رسالة في تسطيح الكرة . رسالة في عمـــل الحلق الست

---

(١) لم يقبر . (٢) تشرب .

واستعمالها . رسالته الكبرى في التأليف . رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التأليف . رسالة في المدخل الى صناعة الموسيقى . رسالة في الإيقاع . رسالة في خبر صناعة الشعراء . رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى . مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود ، ألفه لأحمد ابن المعتصم . رسالة في أجزاء جبرية الموسيقى . رسالة في أن رؤية الهلال لا تضبط بالحقيقة وانما القول فيها بالتقريب . رسالة في مسائل سئل عنهـا من أحوال الكواكب . رسالة في جواب مسائل طبيعية في كيفيات نجومية سأله أبو معشر عنها . رسالة في الفصلين . رسالة فيما ينسب اليه كل بلد من البلدان الى برج من البروج وكوكب من الكواكب . رسالة فيما سئل عنه من شرح مـا عرض له من الاختلاف في صور المواليد . رسالة فيما حكى من أعمار الناس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن . رسالة في تصحيح عمل نمو دارات المواليد والهيلاج والكدخداه . رسالة في ايضاح علـة رجوع الكواكب . رسالة في الابانـة أن الاختلاف الذي في الاشخاص العالية ليس علة الكيفيات الاول . رسالة في سرعة ما يرى من حركة الكواكب اذا كانت في الافق وابطائها كلما علت .رسالة في الشعاعات . رسالة في فصل ما بـين السير وعمل الشعاع . رسالة في علل الاوضاع النجومية . رسالته المنسوبة الى الاشخاص العاليـة المسماة سُعادة ونحاسة . رسالة في علل القوى المنسوبة الى الاشخاص العالية الدالة على المطر . رسالة في علل احداث الجو . رسالة في العلة التي لها يكون بعض المواضع تكاد لا تمطر . رسالة الى زرنب تلميذه في أسرار النجوم وتعلم مبادىء الاعمال . رسالة في العلة التي ترى من الهالات للشمس والقمر والكواكب والاضواء النيرة أعني النيرين . رسالة في اعتذاره في موته دون كماله لسني الطبيعة التي هي مائة وعشرون سنة . كلام في الجرات . رسالة في النجوم . رسالة في أغراض كتب اقليدس . رسالة في اصلاح كتب اقليدس . رسالة في اختـلاف المناظر . رسالة في عمل شكل المتوسطين . رسالة في تقريب وتر الدائرة . رسالة في تقريب وتر التسع .رسالة في مساحة ايوان . رسالة في تقسيم المثلث والمربع وعملهما . رسالة في كيفية عمـل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة . رسالة في شروق الكواكب وغروبها بالهندسة . رسالة في قسمة الدائرة ثلاثة اقسام . رسالة في اصلاح المقالة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من كتـاب اقليدس .رسالة في البراهين المساحية لمـا يعرض من الحسبانات الفلكية . رسالة في تصحيح قول ابسقلاس في المطالع . رسالة في اختلاف مناظر المرآة . رسالة في صنعة الاصطرلاب بالهندسة . رسالة في استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة بالهندسة . رسالة في عمل الرخامة بالهندسة . رسالة في أن عمل الساعات على صفيحة تنصب على السطح الموازي للافق خير من غيرها .

رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة . رسالة في السوانح . مسائل في مساحة الانهار وغيرها . رسالة في النسب الزمانية . كلام في العـدد . كلام في المرايا التي تحرق . رسالة في امتناع وجود مساحة الفلك الاقصى المدبر للافلاك . رسالة في أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة ، وانه طبيعة خامسة . رسالة في ظاهريات الفلـك . رسالة في العالم الأقصى . رسالة في سجود الجرم الاقصى لباريه . رسالة في الرد على المنانيـة في العشر مسائل في موضوعات الفلك .

رسالة في الصور . رسالة في أنه لا يمكن ان يكون جرم العالم بلا نهاية . رسالة في المناظر الفلكية . رسالة في امتناع الجرم الاقصى من الاستحالة . رسالة في صناعة بطلميوس الفلكية . رسالة في تناهي جرم العالم . رسالة في ماهية الفلك واللون اللازم اللازوردي المحسوس من جهة السماء . رسالة في ماهية الجرم الحامل بطباعه للالوان من العناصر الاربعة . رسالة في البرهان على الجسم السائر وماهية الاضواء والاظلام . رسالة في المطيات . رسالة في تركيب الافلاك . رسالة في الاجرام الهابطة من العلو ، وسبق بعضها بعضاً . رسالة في العمل بالآلة المسماة الجامعة. رسالة في كيفية رجوع الكواكب المتحيرة . رسالة في الطب البقراطي . رسالة في الغذاء والدواء المهلك . رسالة في الابخرة المصلحه للجو من الاوباء . رسالة في الادوية المشفية من الروائح المؤذيـــة . رسالة في كيفية اسهال الادوية وانجذاب الاخلاط . رسالة في علة نفث الدم . رسالة في تدبير الاصحاء .

رسالة في أشفية السموم ، رسالة في علة بحارين الامراض الحادة ، رسالة في تبيين العضو الرئيس من جسم الانسان والابانة عن الالباب . رسالة في كيفية الدماغ ، رسالة في علة الجذام وأشفيته . رسالة في عضة الكلب الكَلِب . رسالة في الأعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة ، رسالة في وجع المعدة والنقرس. رسالة الى رجل في علة شكاها اليه في بطنه ويده رسالة في أقسام الحميات ، رسالة في علاج الطحال الجاسي من الامراض السوداوية. رسالة في اجساد الحيوان اذا فسدت . رسالة في تدبير الاطعمة ، رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها ، رسالة في الحياة . كتاب الادوية الممتحنة، كتاب الاقراباذين. رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبينما يكون من فساد الاخلاط. رسالة في الفراسة. رسالة في ايضاح العلة في السمائم القاتلة السمائية وهو على المقال المطلق الوباء ، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان . جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس . رسالة في الابانة عن منفعة الطب اذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها . رسالة في اللثغة للأخرس رسالة في تقدمة المعرفة بالاستدلال بالاشخاص العالية على المسائل .

رسالة في مدخل الاحكام على المسائل. رسالته الأولى والثانية والثالثة الى صناعة الأحكام بتقاسيم ، رسالة في الاخبار عن كمية ملك العرب وهي رسالته في اقتران النحسين في برج السرطان ، رسالة في قدر منفعة صناعة الاحكام ومن الرجل المسمى منجماً باستحقاق رسالته المختصره في حدود المواليد ، رسالة في تحويل سني المواليد . رسالة في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث ، رسالة في الرد على الثنويه ، رسالة في نقض مسائل الملحدين. رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام ، رسالة في الاستطاعة وزمان كونها ، رسالة في الرد على من زعم ان للاجرام في هويتها في الجو توقفات ، رسالة في بطلان قول من زعم ان بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون ، رسالة في أن الجسم في اول ابداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل . رسالة في التوحيد بتفسيرات ، رسالة في اوائل الجسم . رسالة في افتراق الملل في التوحيد ، وانهم مجمعون على التوحيد ، وكل قد خالف صاحبه . رسالة في المتجسد ، رسالة في البرهان .

كلام له مع ابن الراوندي في التوحيد ، كلام رد به على بعض المتكلمين ، رسالة الى محمد بن الجهم في الابانة عن وحدانية الله عز وجل ، وعن تناهي جرم الكل . رسالة في الاكفار والتضليل رسالة في ان النفس جوهر بسيط غير داثر مؤثر في الاجسام ، رسالة في ما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس . رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية ، رسالة في علة النوم والرؤيا وما يرمز به النفس . رسالة في ان ما بالانسان اليه حاجة مباح له في العقل قبل ان يحظر . رسالته الكبرى في السياسة ، رسالة في التنبيه على الفضائل . رسالة في نوادر الفلاسفة ، رسالة في خبر فضيلة سقراط ، رسالة في محاورة جرت بين سقراط وارسواس. رسالة في خبر موت سقراط ،رسالة فيما جرى بين سقراط والحرانيين رسالة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد في الكائنات الفاسدات. رسالة في العلة التي لها قيل ان النار والهواء والماء والارض عناصر تجمع الكائنة الفاسدة ، وهي وغيرها يستحيل بعضها الى بعض . رسالة في اختلاف الأزمنة التي تظهر فيها قوى الكيفيات الاربع الاولى . رسالة في خبر العقل .

رسالة في النسب الزمانية . رسالة في علة اختلاف انواع السنة . رسالة في ماهية الزمان وماهية الدهر والحين والوقت . رسالة في العلة التي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الارض . رسالة في الأثر الذي يظهر في الجو ويسمى كوكباً . رسالة في الكوكب الذي ظهر ورصده أياماً حتى اضمحل. رسالة في الكوكب ذي الذؤابة . رسالة في العلة الحادث بها البرد في آخر الشتاء في الابان المسمى أيام العجوز . رسالة في علة كون الضباب والأسباب المحدثة له . رسالة فيما رصد من الاثر العظيم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة . رسالة في الآثار العلوية . رسالة الى ابنه أحمد في اختلاف مواضع المساكن من كرة الارض ، وهذه الرسالة شرح فيها كتاب المساكن لثاوذوسيوس . رسالة في علة حدوث الرياح في باطن الارض المحدثة كثير الزلازل والخسوف . رسالة في علة اختلاف الازمان في السنة وانتقالها باربعة فصول مختلفة . كلام في عمل السمت . رسالة في ابعاد مسافات الاقاليم . رسالة في المساكن . رسالته الكبرى في الربع المسكون . رسالة في اخبار أبعاد الأجرام . رسالة في استخراج بعد مركز القمر من الارض . رسالة في استخراج آلة عملها يستخرج بها ابعاد الاجرام . رسالة في عمل آلة يعرف بها بعد المعاينات . رسالة في معرفة ابعاد قلل الجبال . رسالة الى أحمد بن محمد الخراساني فيما بعد الطبيعة ، وايضاح تناهي جرم العالم . رسالة في تقدمة الأخبار . رسالة في تقدمة المعرفة بالاحداث . رسالة في تقدمة الخبر . رسالة في تقدمة المعرفة في الاستدلال بالاشخاص السماوية رسالة في انواع الجواهر والاشباه . رسالة في نعت الحجارة والجواهر ومعادنها وجيدها ورديها وأثمانها . رسالة في تلويح الزجاج . رسالة فيما يصبغ فيعطي لوناً . رسالة في أنواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع انتسابها . رسالة الى أحمد بن المعتصم بالله فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم ولا تكل . رسالة في الطائر الانسى . رسالة في تمريخ الحمام . رسالة في الطرح على البيض . رسالة في أنواع النحل وكرائمه . رسالة في عمل القمقم الصياح . رسالة في العطر وأنواعه . رسالة في كيمياء العطر . رسالة في الاسماء المعماة . رسالة في التنبيه على خدع الكيميائيين . رسالة في الاثرين المحسوسين في الماء . رسالة في المد والجزر . رسالة في اركاب الخيل . رسالته الكبيرة في

الاجسام الغائصة في الماء . رسالة في الاجرام الهابطة .

رسالة في شعار المرآة . رسالة في اللفظ وهي ثلاثة اجزاء أول وثاني وثالث. رسالة في الحشرات. مصور عطاردي . رسالة في جواب أربع عشرة مسألة طبيعيات سأله عنها بعض اخوانه . رسالة في جواب ثلاث مسائل سئل عنها . رسالة في قصة المتفلسف بالسكوت . رسالة في علة الرعد والبرق والثلج والبرد والصواعق والمطر . رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم . رسالة في الابانة ان الاختلاف الذي في الاشخاص العالية ليس علة الكيفيات الاولى كا هي علة ذلك في التي تحت الكون والفساد ، ولكن علة ذلك حكمة مبدع الكل عز وجل . رسالة في قلع الآثار من الثياب وغيرها . رسالة إلى يوحنا بن ماسويه في النفس وأفعالها . رسالة في ذات الشعبتين . رسالة في علم الحواس . رسالة في صفة البلاغة . رسالة في قدر المنفعة باحكام النجوم. كلام في المبدع الاول. رسالة في صنعة الاحبار والليق . رسالة الى بعض اخوانه في رموز الفلاسفة في المجسمات . رسالة في عناصر الاخبار . كتاب في الجواهر الخمسة . رسالة الى أحمد بن المعتصم في تجويز اجابة الدعاء من الله عز وجل لمن دعا به . رسالة في الفلك والنجوم ، ولم قسمت دائرة فلك البروج على اثني عشر قسماً وفي تسميتهم السعود والنحوس ، وبيوتها واشرافها وحدودها بالبرهان الهندسي .

احمد بن الطيب السرخسي

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي ، ممن ينتمي الى الكندي ، وعليه قرأ ، ومنه أخذ . وكان متفنناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، حسن المعرفة ، جيد القريحة ، بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف ، أوحداً في علم النحو والشعر . وكان حسن العشرة ، مليح النادرة ، خليعاً ظريفاً . وسمع الحديث أيضاً وروى شيئاً منه .

ومن ذلك ، روى أحمد بن الطيب السرخسي قال : حدثنا عمرو بن محمد الناقل ، قال : أخبرنا سليمان بن عبيد الله ، عن بقية بن الوليد ، عن معاوية بن يحيى ، عن عمران القصير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فعليهم الدبار [1] » .

وروى أحمد بن الطيب ايضاً ، عن أحمد بن الحرث ، عن ابي الحسن علي بن محمد المدائني ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد العزيز بن أبي سالم ، عن مكحول ، قال : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة من سب نبياً أو صحابة نبي أو ائمة المسلمين » .

وتولى أحمد بن الطيب في أيام المعتضد الحسبة ببغداد . وكان أولاً معلماً للمعتضد ، ثم نادمه وخص به ، وكان يفضي اليه باسراره ويستشيره في أمور مملكته . وكان الغالب على أحمد بن الطيب علمه لا

(١) الهلاك .

عقله . وكان سبب قتل المعتضد اياه ، اختصاصه به ، فانه أفضى اليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله وبدر غلام المعتضد ، فأفشاه وأذاعه بحيلة من القاسم عليه مشهورة . فسلمه المعتضد اليهما فاستصفيا ماله ، ثم أودعاه المطامير [1] . فلما كان في الوقت الذي خرج فيه المعتضد لفتح آمد [2] وقتال أحمد ابن عسى بن شيخ ، افلت من المطامير جماعة من الخوارج وغيرهم ، والتقطهم مؤنس الفحل وكان اليه الشرطة وخلافة المعتضد على الحضرة ، وأقـــام أحمد في موضعه ورجا بذلك السلامة ، فكان قعوده سبباً لمنيته ، وأمر المعتضد القاسم باثبات جماعة ممن ينبغي أن يقتلوا ليستريح من تعلق القلب بهـــم فاثبتهم ، ووقع المعتضد بقتلهم ، فادخل القاسم اسم أحمد في جملتهم ، فيما بعد ، فقتل . وسأل عنه المعتضد ، فذكر له القاسم قتله ، وأخرج اليه الثبت فلم ينكره . ومضى بعد أن بلغ السماء رفعة في سنة (*) وكان قبض المعتضد على احمد بن الطيب في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله في الشهر المحرم من سنة ست وثمانين ومائتين .

ولاحمد بن الطيب السرخسي من الكتب : اختصار كتـــاب ايساغوجي لفرفوريوس ، اختصار كتاب قاطيغورياس ، اختصار كتاب باريرميناس ، اختصار كتاب انالوطقيا الاولى ، اختصار كتاب انالوطقيا الثانية ، كتاب النفس ، كتاب الاغشاش وصناعة الحسبة الكبير ، كتـــاب غش الصناعات والحسبة الصغير ، كتاب نزهة النفوس ولم يخرج باسمه ، كتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الغناء والمغنين ، والمنادمة ، والمجالسة وأنواع الاخبار والملح ، صنفه للخليفة ، وقال أحمد بن الطيب في كتابه هذا انه صنف هذا الكتاب وقد مر له من العمر احدى وستون سنة ، كتاب السياسة الصغير كتاب المدخل الى صناعة النجوم ، كتاب الموسيقى الكبير ، مقالتان ولم يعمل مثله ، كتاب الموسيقى الصغير ، كتاب المسالك والممالك ، كتـــاب الارثماطيقي في الاعداد والجبر والمقابلة ، كتاب المدخل الى صناعة الطب ، نقض فيه على حنين بن اسحق ، كتاب المسائل ، كتاب فضائل بغداد وأخبارها ، كتاب الطبيخ ، ألفه على الشهور والايام للمعتضد ، كتـــاب زاد المسافر وخدمة الملوك ، مقالة من كتاب أدب الملوك ، كتاب المدخل الى علم الموسيقى ، كتاب الجلساء والمجالسة ، رسالة في جواب ثابت بن قرة فيما سأل عنه ، مقالة في البهق والنمش والكلف ، رسالة في السالكين وطرائف اعتقادهم ، كتاب منفعة الجبال ، رسالة في وصف مذاهب الصابئين ، كتاب في أن المبدعات في حال الابداع لا متحركة ولا ساكنة . كتاب في ماهية النوم والرؤيا ، كتاب في العقل . كتاب في وحدانية الله تعـــالى . كتاب في وصايا فيثاغورس ، كتاب في الفاظ سقراط ، كتاب في العشق ، كتاب في برد أيام العجوز ، كتاب في كون الضباب . كتاب في الفأل ، كتاب في الشطرنج العالية ، كتاب أدب في النفس الى المعتضد ، كتاب في الفرق بين نحو العرب والمنطق ، كتاب في ان اركان الفلسفة بعضها على بعض ،

---

(١) واحدها مطمورة وهي الحفرة تحت الارض تخبأ فيها الحبوب ونحوها .

(٢) او ديار بكر ، مدينة على شاطىء دجلة الايسر فتحها عياض بن غنام النهري ومنتوجاتها الحرير والقطن والجلد . (ن . د)

(*) البياض في كل النسخ .

وهو كتاب الاستيفاء . كتاب في احداث الجو ، كتاب الرد على جالينوس في المحل الاول . رسالة الى ابن ثوابة ، رسالة في الخضابات المسودة للشعر وغير ذلك . كتـــاب في ان الجزء ينقسم الى ما لا نهاية له . كتاب في أخلاق النفس ، كتاب سيرة الأنسان ، كتاب الى بعض اخوانه في القوانين العامة الأولى في الصناعة الديالقطيقية أي الجدلية على مذهب ارسطوطاليس ، اختصار كتاب سوفسطيقا لارسطوطاليس ، كتاب القيان .

أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني

كان من الصابة المقيمين بحران [١] ، ويقال الصابئون نسبتهم الى صاب – وهو طاط ابن النبي ادريس [٢] عليه السلام – وثابت هـــذا هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس . وكان ثابت بن قرة صيرفياً بحران ، ثم استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لانه رآه فصيحاً . وقيل انـــه قرأ على محمد بن موسى فتعلم في داره ، فوجب حقه عليه . فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين . وهو أصل ما تجدد للصابة من الرئاسة في مدينة السلام ، وبحضرة الخلفاء . ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثله في صناعـة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة . وله تصانيف مشهورة بالجودة . وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم .

ولثابت ارصاد حسان للشمس تولاها ببغداد وجمعها في كتاب بيّن فيـه مذهبه في سنة الشمس ، وما أدركه بالرصد في موضع أوجها ، ومقدار سنيها ، وكمية حركاتها ، وصورة تعديلها . وكان جيد النقل إلى العربي حسن العبارة ، وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة : ان الموفق لمّا غضب على ابنـــه أبي العباس المعتضد بالله حبسه في دار اسماعيل بن بلبل . وكان أحمد الحاجب موكلا به . وتقدم اسماعيل بن بلبل الى ثابت ابن قرة بأن يدخل الى أبي العباس ويؤنسه . وكان عبد الله بن أسلم ملازماً لأبي العباس ، فأنس أبو العباس بثابت بن قرة أنساً كثيراً . وكان ثابت يدخل اليه الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحادثه ويسليه ، ويعرفه أحوال الفلاسفة ، وأمر الهندسة والنجوم ، وغير ذلك . فشغف به ولطف منـه محله . فلما خرج من حبسه قال لبدر غلامـــه : يا بدر ، أي رجل أفدنا بعدك ؟ فقال : من هو يا سيدي ؟ فقال : ثابت بن قرة . ولما تقلد الخلافة اقطعه ضياعاً جليلة وكان يجلسه بين يديـــه كثيراً بحضرة الخاص والعام ، ويكون بدر غلام الامير قائماً والوزير ، وهو جالس بين يدي الخليفة .

---

(١) مدينة قديمة ما بين النهرين قاعدة بلاد مضر اشتهرت بالفلاسفة والعلماء اعظمهم ثابت هذا واولاده ، والبتاني .

(٢) قيل ان ادريس والياس والخضر هي ثلاثة اسماء لمسمى واحد . ذكر مرتين في القرآن ، ولقب بالبار وبالنبي ، وذكر بين الصابرين وقالت العرب : انه كان تقياً ملهماً بالعلوم والفنون ، وانه عاش ٣٦٥ عاماً ثم رفعه الله اليه (ن.د)

قال أبو اسحق الصابىء الكاتب : ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس – وهو بستان في دار الخليفة للرياضة – وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ، ثم نتر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ، ففزع ثابت . فان المعتضد كان مهيباً جداً ، فلما نتر يده من يد ثابت قال له : يا أبا الحسن ، – وكان في الخلوات يكنيه وفي الملأ يسميه – سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ، فان العلماء يعلون ولا يُعلون .

ونقلت من كتاب الكنايات للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني قال : حدثني أبو الحسن هلال بن الحسن بن ابراهيم ، قال : حدثني جدي أبو اسحق الصابىء ، قال : حدثني عمي أبو الحسين ثابت بن ابراهيم ، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي قال : سألت أبا الحسن ثابت بن قرة عن مسألة بحضرة قوم فكره الاجابة عنها بمشهدهم ، وكنت حديث السن ، فدافعني عن الجواب . فقلت متمثلا :

ألا ما لليل لا ترى عند مضجعي ... بليل ولا يجري بها لي طائر
بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت ... بليلي ولكن ليس للطير زاجر

(الطويل)

فلما كان من غد لقيني في الطريق وسرت معه ، فاجابني عن المسألة جواباً شافياً ، وقال : زجرت الطير يا أبا محمد ؟ فاخجلني ، فاعتذرت اليه ، وقلت : والله يا سيدي ما أردتك بالبيتين .

ومن بديع حسن تصرف ثابت بن قرة في المعالجة ما حكاه ابو الحسن ثابت بن سنان ، قال : حكى احد اجدادي ، عن جدنا ثابت بن قرة ، انه اجتاز يوماً ماضياً الى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلاً ، فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان؟ فقالوا له: اي والله يا سيدنا البارحة فجأة. وعجبوا من ذلك . فقال : ما مات خذوا بنا اليه . فعدل الناس معه الى الدار فتقدم الى النساء بالامساك عن اللطم والصياح ؛ وأمرهن بأن يعملن مزوّرة . وأومأ الى بعض غلمانه بأن يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في مجسه ، وما زال ذلك يضرب كعبه الى ان قال : حسبك. واستدعى قدحاً وأخرج من شستكة في كمه دواء فدافه [1] في القدح بقليل ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه اياه ، فأساغه. ووقعت الصيحة والزعقة في الدار والشارع بان الطبيب قد أحيا الميت . فتقدم ثابت بغلق الباب والاستيثاق منه . وفتح القصاب عينه وأطعمه مزوّرة وأجلسه. وقعد عنده ساعة، واذا باصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه ، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت ، والعامة حوله يتعادون ، الى أن دخل دار الخلافة .

ولما مثل بين يدي الخليفة قال له يا ثابت ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاي كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد ، ويطرح عليها الملح ويأكلها . فكنت أستقذر فعله أولا ، ثم اعلم ان سكتة ستلحقه . فصرت أراعيه ، واذ علمت عاقبته انصرفت وركّبت للسكتة

(١) اذابه في الماء وضربه فيه ليختر .

دواء استصحبته معي في كل يوم . فلما اجتزت اليوم وسمعت الصياح قلت : مات القصاب ؟ قالوا : نعم ، مات فجأة البارحة . فعلمت أن السكتة قد لحقته ، فدخلت اليه ولم أجد له نبضاً . فضربت كعبه الى أن عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينيه ، واطعمته مزوّرة. والليلة يأكل رغيفاً بدراج ، وفي غد يخرج من بيته .

أقول : وكان مولد ثابت بن قرة في سنة احدى عشرة ومائتين بحران في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر . وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة : كانت بين أبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم النديم ، وبين جدي أبي الحسن ثابت بن قرة ، رحمه الله ، مودة أكيدة . ولما مات جدي في سنة ثمان وثمانين ومائتين رثاه أبو أحمد بابيات هي هذه :

ألا كل شيء ما خلا الله مائت ... ومن يغترب يرجى ومن مات فائت
أرى من مضى عنا وخيم عندنا ... كسفر ثووا أرضاً فسار وبائت
نعينا العلوم الفلسفيات كلها ... خبا نورها اذ قيل قد مات ثابت
وأصبح أهلوها حيارى لفقده ... وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلوا هداهم لنهجها ... خبير بفصل الحكم للحق ناكت [1]
ولما أتاه الموت لم يغن طبه ... ولا ناطق مما حواه وصامت
ولا أمتعته بالغنى بغتة الردى ... ألا رب رزق قابل وهو فائت
فلو أنه يسطاع للموت مدفع ... لدافعه عنه حماة مصالت [2]
ثقاة من الاخوان يَصفون وده ... وليس لما يقضي به الله لافت [3]
أبا حسن لا تبعدن وكلنا ... لهلكك مفجوع له الحزن كابت [4]
أآمل أن تجلى عن الحق شبهة ... وشخصك مقبور وصوتك خافت
وقد كان يسرو حسن تبيينك العمى ... وكل قؤول حين تنطق ساكت
كأنك مسؤولاً من البحر غارف ... ومستبدئاً نطقاً من الصخر ناحت
فلم يتفقدني من العلم واحد ... هراق اناء العلم بعدك كابت [5]
وكم من محب قد أفدت وانه ... لغيرك ممن رام شأوك هافت
عجبت لارض غيّبتك ولم يكن ... ليثبت فيها مثلك الدهر ثابت
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض ... ولا لك لما اغتالك الموت شامت

---

(١) اصل معنى نكت : ضرب الارض بقضيب او اصبع حال التفكير فاز فيها. وكأنه هنا ينكت عن الحق ليكشف عنه.
(٢) شجعان ماضون في الحوائج .
(٣) صارف .
(٤) اذله وكسره (ن.ر)
(٥) اراقه .

وبرّزت حتى لم يكن لك دافـع — عن الفضل الا كاذب القول باهت
مضى عَلَم العِلم الذي كان مقنعاً — فـلم يبق الا مخطىء متهافت (١)

(الطويل)

وكان من تلامذة ثابت بن قرة : عيسى بن أسيد النصراني ، وكان ثابت يقدمه ويفضله وقـد نقل عيسى بن أسيد من السرياني الى العربي بحضرة ثابت ويوجـد له كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى ابن أسيد .

ومن كلام ثابت بن قرة قال: ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق، وجارية حسناء. لانه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجِماع فيهرم .

وقال : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام .

ولأبي الحسن ثابت بن قرة الحراني من الكتب : كتاب في سبب كون الجبال . مسائله الطبية . كتاب في النبض . كتاب وجع المفاصل والنقرس . جوامع كتاب باريمينياس. جوامع كتاب انالوطيقا الاولى . اختصار المنطق . نوادر محفوظة من طوبيقا . كتاب في السبب الذي من أجـله جعلت مياه البحر مالحة . اختصار كتاب ما بعد الطبيعة . مسائله المشوقة الى العلوم . كتـاب في أغاليط السوفسطائيين . كتاب في مراتب العلوم . كتاب في الرد على من قال ان النفس مزاج. جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس . جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس . جوامع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس . جوامع كتاب الامراض الحـادة لجالينوس . جوامع كتاب الكثرة لجالينوس . جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس . جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر . جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعـة الطب . كتاب أصناف الامراض . كتاب تسهيل المجسطي . كتاب المدخل الى المجسطي كتاب كبير في تسهيل المجسطي لم يتم وهو أجود كتبه في ذلك . كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين ، مقالتان ، صنف هـذا الكتاب سريانياً لانه أومأ فيه الى الرد على الكندي،ونقله الى العربي تلميذ له يعرف بعيسى بن أسيد النصراني، وأصلح ثابت العربي . وذكر قوم أن الناقل لهـذا الكتاب حبيش بن الحسن الأعسم ، وذلك غلط . وقد رد أبو احمد الحسين بن اسحق بن ابراهيم المعروف بابن كرنيب على ثابت في هـذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيه ولا طائل . وهذا الكتاب أنفذه لما صنفه الى اسحق بن حنين فاستحسنه استحساناً عظيماً ، وكتب في آخره بخطه يقرظ أبا الحسن ثابتاً ويدعو له ويصفه . جوامع كتاب الفصد لجالينوس . جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الاهوية والميـاه والبلدان . كتاب في العمل بالكرة . كتاب في الحصى المتولد في الكلى والمثانة . كتاب في البياض الذي يظهر في البدن . كتاب في مساءلة الطبيب للمريض . كتاب في سوء المزاج المختلف . كتاب في تدبير الامراض الحادة.

(١) متساقط ومتتابع .

رسالة في الجدري والحصبة . اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس. كتاب في قطع الاسطوانة كتاب في الموسيقى. رسالة الى علي بن يحيى المنجم فيما أمر باثباته من أبواب علم الموسيقى. رسالة الى بعض اخوانه في جواب ما سأله عنه من أمور الموسيقى كتاب في أعمال ومسائل اذا وقع خط مستقيم على خطين ومقالة أخرى له في ذلك. كتاب في المثلث القائم الزوايا. كتاب في الاعداد المتحابة. كتاب في الشكل القطاع. كتاب في حالة الفلك. كناشه المعروف بالذخيرة ألفه لولده سنان بن ثابت. جوابه لرسالة أحمد بن الطيب اليه . كتاب في التصرف في اشكال القياس . كتاب في تركيب الافلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها ، والكواكب فيها ، ومبلغ سيرهـــا ، والجهات التي تتحرك اليها . كتاب في جوامع المسكونة . كتاب القرسطيون . رسالة في مذهب الصابئين ودياناتهم . كتاب في قسمة الارض كتاب في الهيئة . كتاب في الاخلاق . كتاب في مقدمات اقليدس . كتـــاب في اشكال اقليدس . كتاب في اشكال الجسطي . كتاب في استخراج المسائل الهندسية . كتاب رؤية الاهلة بالجنوب . كتاب رؤية الاهلة من الجـــداول . رسالة في سنة الشمس . رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز . جواب ما سئل عنه عن البقراطيين وكم مبلغ عددهم . مقالة في عمل شكل مجسم ذي اربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة . مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد اصنافها واسبابهـــا وعلاجها . مقالة في وجع المفاصل . مقالة في صفة كون الجنين . كتاب في علم ما في التقويم بالممتحن كتاب في الاظلال . كتاب في وصف القرص . كتاب في تدبير الصحة . كتـــاب في محنة حساب النجوم . كتاب تفسير الاربعة . رسالة في اختيار وقت لسقوط النطفة . جوامـــع كتاب النبض الكبير لجالينوس . كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلهـــا وتعزيز المنقوصين منهم بالنفوس والاخبار ان صناعة الطب أجل الصناعات ، كتب به الى الوزير ابي القاسم عبيد الله بن سليمان . رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية ، فيهـــا ذكر آثار ظهرت في الجو ، واحوال كانت في الهواء مما رصد بنو موسى وابو الحسن ثابت بن قرة . اختصار كتاب جالينوس في قوى الاغذية ، ثلاث مقالات . مسائل عيسى بن أسيد لثابت بن قرة واجوبتهـــا الثابت . كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها . المدخل الى كتاب اقليدس وهو في غاية الجودة . كتاب المدخل الى المنطق. اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس. شرح السماع الطبيعي ، (مات وما تممه) . كتاب في المربع وقطره . كتاب فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته. كتاب في علة كسوف الشمس والقمر ، عمل اكثره ومات وما تممه . كتاب الى ابنه سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة . جوابان عن كتابي محمد بن موسى بن شاكر اليه في امر الزمان . كتاب في مساحة الاشكال المسطحة وسائر البسط والاشكال . كتاب في ان سبيل الاثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة هي سبيلها اذا جعلت ثقلاً واحداً مثبوتاً في جميع العمود على تساو . كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها مختصر في الاصول من علم الاخـــلاق . كتاب في آلات الساعات التي تسمى رخامات . كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكر بطليموس ان به استخرج من تقدمه مسيرات القمر

الدورية وهي المستوية . كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك ، جوامع كتاب نيقوماخس في الارثماطيقي ، مقالتان . اشكال له في الحيل . جوامع المقالة الاولى من الاربع لبطلميوس . جوابه عن مسائل سأله عنها أبو سهل النوبختي . كتاب في قطع المخروط المكافي . كتاب في مساحة الاجسام المكافية كتاب في مراتب قراءة العلوم . اختصار كتاب أيام البحران لجالينوس ثلاث مقالات . اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس . كتاب في اشكال الخطوط التي يمر عليها ظل المقياس . مقالة في الهندسة الفها لاسمعيل بن بلبل . جوامع كتاب جالينوس في الادوية المنقية . جوامع كتاب الاعضاء الآلمة لجالينوس . كتاب في العروض. كتاب فيما اغفله ثاون في حساب كسوف الشمس والقمر . مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر . كتاب في الانواء . ما وجد من كتابه في النفس . مقالة في النظر في امر النفس . كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة . كتاب في النسبة المؤلفة . رسالة في العدد الوفق . رسالة في تولد النار بين حجرين . كتاب في العمل بالمتحن وترجمته. ما استدركه على حبيش في المتحن . كتاب في مساحة قطع الخطوط . كتاب في آلة الزمر . كتب عدة له في الارصاد عربي وسرياني . كتاب في تشريح بعض الطيور واظنــه مالك الحزين. كتاب في اجناس ما تنقسم اليه الادوية ، صنفه بالسرياني . كتاب في أجناس ما توزن به الادوية ، بالسرياني . كتاب في هجاء السرياني واعرابه . مقالة في تصحيح مسائــل الجبر بالبراهين الهندسية . اصلاحه للمقالة الاولى من كتاب ابلونيوس في قطع النسب المحدودة ، وهذا الكتاب مقالتان أصلح ثابت الاولى اصلاحاً جيداً وشرحها وأوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة . مختصر في علم النجوم ، مختصر في علم الهندسة . جوابات عن مسائل سأله عنها المعتضد . كلام في السياسة . جواب له عن سبب الخلاف بين زيج بطلميوس وبين المتحن . جوابات له عن عدة مسائل سأل عنهـا سند بن علي . رسالة في حل رموز كتاب السياسة لافلاطن . اختصار القاطيغورياس .

ومما وجد لثابت بن قرة الحراني الصابي بالسريانية فيما يتعلق بمذهبه : رسالة في الرسوم والفروض والسنن . رسالة في تكفين الموتى ودفنهم . رسالة في اعتقاد الصابئين . رسالة في الطهارة والنجاسة . رسالة في السبب الذي لاجله الغز الناس في كلامهم. رسالة فيما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح. رسالة في أوقات العبادات . رسالة في ترتيب القراءة في الصلاة . صلوات الابتهال الى الله عز وجل .

ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة

كان يلحق بابيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره في صناعة الطب . وله قوة بالغة في علـم الهيئة . وكان في خدمة المقتدر بالله ، والقاهر[1] ، وخدم أيضاً بصناعة الطب الراضي بالله . وقال ابن النديم البغدادي الكاتب في « كتاب الفهرست » : ان القاهر بالله أراد سنان بن ثابت بن قرة على

(١) الخليفة العباسي التاسع عشر . أسر وهو بحالة السكر وسملت عيناه وسجن ثم عاش متسولا وتوفي سنة ٩٥٠ (ن.د)

الاسلام ، فهرب ثم أسلم ، وخاف من القاهر فمضى الى خراسان وعاد وتوفي ببغداد مسلماً . وكانت وفاته بعلة الذرب في الليلة التي صبيحتها يوم الجمعة ، مستهل ذي القعدة سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة .

وقال ثابت بن سنان في تاريخه : أذكر ، وقد وقع الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى والدي سنان بن ثابت في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في أيام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الامراض جداً وكان والدي اذ ذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها ، توقيعاً يقول فيه : « فكرت ، مد الله في عمرك ، في أمر من في الحبوس وانه لا يخلو ، مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم ، أن تنالهم الامراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم . فينبغي ان تفرد لهم أطباء يدخلون اليهم في كل يوم ، وتُحمل اليهم الادوية والأشربة . ويطوفون في سائر الحبوس ، ويعالجون فيها المرضى، ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الأدوية والاشربة . ويتقدم بان تقام لهم المزوّرات لمن يحتاج اليها منهم » . ففعل والدي ذلك طول أيامه .

وورد توقيع آخر اليه فيه : « فكرت في من في السواد من أهله ، فانه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الأطباء . فتقدم ، مد الله في عمرك ، بانفاذ متطببين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه . ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون الى غيره . » ففعل والدي ذلك الى ان انتهى أصحابه الى سورا [1] ، والغالب على اهلها اليهود . فكتب الى أبي الحسن علي بن عيسى يعرفه ورود كتابة من أصحابه من السواد يذكرون فيه كثرة المرضى وان اكثر مَن حول نهر الملك يهود ؛ وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم ، وانه لم يعلم ما يجيبهم به لانه لا يعرف رأيه فيهم . وأعلمه ان رسم البيمارستان أن يعالج فيه الملي والذمي . ويسأله أن يرسم له في ذلك ما يعمل عليه . فوقع له توقيعاً نسخته : « فهمت ما كتبت به ، أكرمك الله ، وليس بيننا خلاف في ان معالجة أهل الذمة والبهائم صواب . ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم ، والمسلمين قبل أهل الذمة .

« فاذا افضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه ، صرف في الطبقة التي بعدهم . فاعمل ، أكرمك الله ، على ذلك واكتب الى اصحابك به . ووصهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة والامراض الفاشية . وان لم يجدوا بذرقة [2] توقفوا عن المسير حتى تصلح لهم الطريق ، ويصح السبيل ، فانهم اذا فعلوا هذا غنوا عن السور ان شاء الله تعالى . »

قال ثابت بن سنان : وكانت النفقة عن البيمارستان ، الذي لبدر المتضدي ، بالحرم من ارتفاع وقف سجاح أم المتوكل على الله . وكان الوقف في يد ابي الصقر وهب بن محمد الكلوذاني . وكان قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف الى بني هاشم ، وقسط منه الى نفقة البيمارستان . وكان ابو

---

(١) موضع من اعمال العراق .
(٢) تبديداً بالمال واسرافاً .

الصقر يروّج على بني هاشم مالهم ، ويؤخر ما يصرف الى نفقة البيمارستان ويضيقه . فكتب والدي الى ابي الحسن علي بن عيسى يشكو اليه هذه الحال ويعرفه ما يلحق المرضى من الضرر بذلك ، وقصور ما يقام لهم من الفحم والمؤن والدثار وغير ذلك عن مقدار حاجتهم . فوقع على ظهر رقعته الى أبي الصقر توقيعاً نسخته : « انت ، اكرمك الله ، تقف على ما ذكره وهو غلط جداً والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك يلزمك ، وما احسبك تسلم من الاثم فيه . وقد حكيت عني في الهاشميين قولاً لست أذكره . وكيف تصرفت الاحوال في زيادة المال او نقصانه ووفوره او قصوره ، لابـد من تعديل الحال فيه ، بين ان تأخذ منه وتجعل للبيمارستان قسطاً ، بل هو أحق بالتقديم على غيره لضعف من يلجأ اليه ، وعظيم النفع به . فعرفني ، أكرمك الله ، ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة البيمارستان هذه الشهور المتتابعة ، وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد . فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من في البيمارستان من المرضى والممرورين بالدثار والكسوة والفحم . ويقام لهم القوت ، ويتصل لهم العلاج والخدمة . وأجبني بما يكون منك في ذلـك . وأنفذ لي عملاً يدلني على حجتك . واعن بامر البيمارستان فضل عناية ، ان شاء الله تعالى . »

قال ثابت بن سنان : انه لما كان في اول يوم من المحرم سنة ست وثلثمائة ، فتح والدي سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى . وجلس فيه ، ورتب المتطببين ، وقبل المرضى . وهو كان بناه على دجلة ، وكانت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار . قال : وفي هـذه السنة أيضاً أشار والدي على المقتدر بالله بأن يتخذ بيمارستاناً ينسب اليه . فامره باتخاذه ، فاتخذه له في باب الشام وسماه البيمارستان المقتدري . وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار . قال ثابت بن سنان : ولما كان في سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالمقتدر ان غلطاً جرى على رجل من العامـة من بعض المتطببين فمات الرجـل . فامر ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه والدي سنان بن ثابت . وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة . فصاروا الى والدي وامتحنهم واطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه . وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم في صناعته ، وسوى من كان في خدمة السلطان .

وقال أيضاً ثابت بن سنان : لما مات الراضي بالله استدعى الامير أبو الحسين بَجْكَم والدي سنان ابن ثابت وسأله أن ينحدر اليه الى واسط . ولم يكن يطمع في ذلك منه في أيام الراضي بالله لملازمته بخدمته . فانحدر اليه والدي ، فاكرمه ووصله ، وقال له : « أريد أن اعتمد عليك في تدبير بدني وتفقده ، والنظر في مصالحه . وفي أمر آخر هو أهم الي من أمر بدني ، وهو أمر اخلاقي ، لثقتي بعقلك وفضلك ودينك ومحبتك . فقد غمني غلبة الغضب والغيظ علي ، وافراطهما بي حتى أخرج الى ما اندم عليه عند سكونهما من ضرب وقتل . وأنا أسألك أن تتفقد ما أعمله . واذا وقفت لي على عيب لم تحتشم أن تصدقني عنه ، وتذكره لي ، وتنبهني عليه ؛ ثم ترشدني الى علاجه ليزول عني » . فقال له والدي : «السمع والطاعة لما أمر به الأمير . أنا أفعل ذلك ، ولكن يستمع الامير مني بالعاجل جملة علاج ما أنكره من نفسه ، الى أن يجيئه التفصيل في أوقاته . إعلم أيها الأمير انك قد أصبحت وليس فوق

يدك يد لأحد من المخلوقين . وانك مالك لكل ما تريده ، قادر على ان تفعله أي وقت اردته . لايتهيأ لاحد من المخلوقين منعك منه ، ولا لان يحول بينك وبين ما تهواه اي وقت أردته . وأنك متى أردت شيئاً بلغته أي وقت شئت ، لا يفوتك أمر تريده .

«واعلم ان الغضب والغيظ والحرد تحدث في الانسان سكراً أشد من سكر النبيذ بكثير . فكما أن الانسان يعمل في وقت السكر من النبيذ ما لا يعقل به ، ولا يذكره اذا صحا ، ويندم عليه اذا حدث به ويستحيي منه ؛ كذلك يحدث له وقت السكر من الحرد والغيظ، بل أشد. فلما يبتدىء بك الغضب وتحس بأنه قد ابتدأ يسكرك ، قبل أن يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج الامر عن يدك ، فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة عليه الى غد ، واثقاً بان ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله في غد . وقد قيل « من لم يخف فوتاً حلم » ، فانك اذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فورة غضبك ، فانه لا بد لفورة الغضب من أن تبوخ وتسكن ، وان تصحو من السكر الذي أحدثه لك الغضب . وقد قيل « ان أصح ما يكون الانسان رأيا اذا استدبر ليله واستقبل نهاره . » فاذا صحوت من سكرك فتأمل الأمر الذي أغضبك ، وقدم أمر الله عز وجل أولاً والخوف منه وترك التعرض لسخطه ، ولا تشف غيظك بما يؤثمك . فقد قيل « ما شفى غيظه من أثم بربه » . واذكر قدرة الله عليك ، وانك محتاج الى رحمته ، والى أخذه بيدك في أوقات شدائدك . وهو وقت لا تملك لنفسك فيه شراً ولا نفعاً ولا يقدر لك عليه احد من المخلوقين ، ولا يكشف ما قد اظلك غيره عز وجل . واعلم ان البشر يغلطون ويخطئون . وانك مثلهم تغلط وتخطىء . وان كان لا يحسر أحد على ان لا يوافقك على ذلك . فكما تحب ان يغفر الله لك ، كذلك غيرك يؤمل عطفك وعفوك . وفكر بأي ليلة بات المذنب قلقاً لخوفه منك ، وما يتوقعه من عقوبتك ويخافه من سطوتك . واعرف مقدار ما يصل اليه من السرور وزوال الرعب عنه بعفوك، ومقدار الثواب الذي يحصل لك من ذلك . واذكر قول الله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا » ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . فان كان ما أغضبك مما يجوز فيه العفو ، ويكفي فيه العتاب والتوبيخ ، والعذل والتهديد متى وقعت معاودة ، فلا تتجاوز ذلك . واعف واصفح ، فانه أحسن بك، وأقرب الى الله تعالى . والله سبحانه يقول : « وأن تعفوا فهو أقرب للتقوى . وليس يظن بك المذنب ولا غيره انك عجزت عن التقويم والعقوبة ، ولا قصرت بك القدرة . وأن كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب ولم تتجاوزه الى ما يوقع الدين ؛ ويفسد به أمرك ، ويقبح عند الناس ذكرك . فانما يشتد عليك تكلف ذلك أول دفعة وثانية وثالثة . ثم يصير عادة لك وخلقاً وسجية ، ويسهل عليك . »

فاستحسن بحكم ذلك ووعد أن يفعله . وما زالت أخلاقه تصلح ، ووالدي ينبهه على شيء شيء مما ينكره منه من اخلاقه وافعاله ، ويرشده الى طريق ازالته ، إلى أن لانت أخلاقه ، وكفّ عن كثير مما كان يسرع اليه من القتل والعقوبات الغليظة . واستحلى واستطاب . ما كان يشير عليه من استعمال العدل والانصاف ورفع الظلم والجور ويستصوبه ويعمل به . فانه كان يبين له أن العدل أربح للسلطان من الظلم بكثير ، وانه يحصل له به دنيا وآخرة . وان مواد الظلم ، وإن كثرت

وتعجلت ، سريعــة الفساد والفناء والانقطاع ، ممحوقة لا يبارك فيها وتحدث حوادث تتجرمها ثم تعود بخراب الدنيا وفساد الآخرة . ومواد العدل تنمى وتزيد وتدوم وتتصل ، ويبارك فيهـا ، وتعود بصلاح الدنيا وعمارتها ، وحصول الآخرة والفوز فيها ، وحسن الذكر ما بقي الدهر . فتبين ذلك وعرف صحته وابتدأ بالعمل به . وعمل بواسط في وقت المجاعة دار ضيافة ، وببغداد بيمارستانا يعالج فيه الفقراء ويعللون ، وأنفق في ذلك جملة . ورفّه الرعية ، وأرفقها ، وعدل فيها ، وأنصف في معاملاتها ، وأحسن اليها ، ورأى ما يجب . إلا أن مدتـــه في ذلك لم تطل ، وقتل عن قرب ، ولله أمر هو بالغه .

ولأبي سعيد سنان بن ثابت بن قرة من الكتب — وهو مما نقل من خط أبي علي المحسن بن ابراهيم ابن هـــلال الصابىء — : رسالة في تاريخ ملوك السريانيين . رسالة في الاستواء . رسالة في سهيل . رسالة إلى بجكم . رسالة الى ابن رايق . رسالة الى أبي الحسن علي بن عيسى رحمه الله تعالى . الرسائل السلطانيات والاخوانيات . السيرة وهي في أجزاء تعرف بكتـــاب الناجي صنفه لعضد الدولة وتاج الملة ، تشتمل على مفاخره ومفاخر الديلم وانسابهم وذكر أصولهم واسلافهم . رسالة في النجوم. رسالة في شرح مذهب الصابئين . رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة كتبها الى ابي اسحق ابراهيم ابن هلال ورجل آخر . رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر . رسالة في أخبـــار آبائه وأجداده وسلفه .

ونقل الى العربي نواميس هرمس والسور والصلوات التي يصلي بها الصابئون . اصلاحه لكتاب [1] في الاصول الهندسية ، وزاد في هذا الكتاب شيئـــاً كثيراً . مقالة أنفذها الى الملك عضد الدولة في الاشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة ، وعليها استخراجه للشيء الكثير من المسائل الهندسية . اصلاحه لعبارة أبي سهـــل الكوهي في جميع كتبه ، لان أبا سهل سأله ذلك . اصلاحه وتهذيبه لشيء نقله من كتاب يوسف القس من السرياني الى العربي . من كتاب ارشميدس في المثلثات .

أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة

كان طبيباً فاضلاً ، يلحق بابيه في صناعة الطب . وقال في التاريخ الذي عمله — وهذا التاريـخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه ، وذلك من ايام المقتدر بالله الى ايام المطيع لله — : انه كان ولده في خدمة الراضي بالله . وقال بعد ذلك أيضـــاً عن نفسه : انه خدم بصناعة الطب المتقي [2] بن المقتدر بالله ، وخدم أيضاً المستكفي [3] بالله والمطيع [4] لله . قال : وفي سنة ثلاث

(١) بياض في الأصل .

(٢) ابو اسحق الخليفة العباسي ٢١ تسلط عليه توزون التركي وقلع عينيه حكم (٩٤٠ — ٩٤٢)

(٣) عبد الله الخليفة ٢٢ العباسي كان آلة بيد الاتراك سملت عيناه ولم يملك إلا عاماً واحداً .

(٤) الخليفة ٢٣ العباسي ، تمردت عليه مصر وفارس لأنه كان ضعيفاً وانتشرت الفتنة في بغداد فتنازل عن الخلافـــة ٩٤٦ — ٩٤٧ .

عشرة وثلثمائه قلدني الوزير الخاقاني [١] البيمارستان الذي اتخـــذه ابن الفرات بدرب المفضل . وقال ايضاً في تاريخه : انه لما سُلّم أبو علي [٢] بن مقلة الى الوزير أبي علي [٣] عبد الرحمن بن عيسى من جهة الراضي بالله في سنة أربع وعشرين وثلثمائه ، حمله الى داره في يوم الخميس لثلاث ليال خلون من جمادى الأخرة ؛ وضُرب أبو علي بن مقلة بالمقارع في دار الوزير عبد الرحمن ، وأخذ خطه بالف ألف دينار . وكان الذي تولى ذلك منه بنان الكبير من الحجرية [٤] . ثم سلم الى أبي العباس الحصيني ، ووكل به ماكرد وبنان الكبير ، ورد الحصيني مناظرته الى أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله الاسكافي المعروف بأبي نعرة ، ومطالبته الى الدستواني . فجرت عليه منه من المكاره والتعليق والضرب والدهق أمر عظيم . والذي شاهدت أنا من أمره أن أبا العباس الحصيني كلفني يوماً الدخول اليه ، لمعرفة خبره من شيء تشكاه وقال : ان كان يحتاج الى الفصد فتقدم الى من يفصده بحضرتك . فدخلت اليه فوجدته مطروحاً على حصير خَلِق على بارية [٥] ومخدة وسخة خليعة تحت رأسه ، وهو عريان بسراويل . فوجدت بدنه من رأسه إلى أطراف أصابع رجليه كلون الباذنجـــان سواء ، ليس منه عقد سليم . ووجدت به ضيق نفس شديد . لان الدستواني كان قد دهق صدره ، فعرفت الحصيني انه شديدالحاجة الى الفصد . فقال لي : يحتاج أن يلحقه كد في المطالبة ، فكيف نعمل به ؟ قلت :« لا أدري ؟ الا انه ان ترك ولم يفصد مات ، وان فصد ولحقه مكروه بعده تلف : » فقال لأبي القاسم بن أبي نعرة الاسكافي : « ادخل اليه وقـــل له : ان كنت تظن أنه يلحقك ترفيه اذا افتصدت فبئس ما تظن . فافتصد وضع في نفسك ان المطالبة لابد منها ! » ثم قال لي :«أحب ان تدخل اليه معه » .فاستعفيته من ذلك فلم يعفني، فدخلت معه وأدى الرسالة بحضرتي . فقال : اذا كان الأمر على هذا ، فلست اريد ان افتصد ، وأنا بين يدي الله ، فعدنا اليه وعرفناه ما قال ، ؛ فقال لي : أي شيء عندك وما الذي ترى ؟ قلت الذي أرى أن يفصد وان يرفه . فقال : افعل . فعدت اليه وفصد بحضرتي ، ورفه يومه ، وخف ما به ، ويتوقع المكروه من غـــد وهو يرعب طائر العقل . فاتفق سبب للحصيني أحوجه الى الاستتار في ذلك اليوم . وبقي ابن مقلة مرفهاً ليس أحد يطالبه ، وكفي أمر عدوه من حيث لم يحتسب ، ورجعت نفسه اليه . وحضر ابن فراية فضمن ما عليه وتسلمه ، وقد كان أدى قبل ذلك الى الحصيني نيفاً وخمسين الف دينار ، وأشهد عليه العدول بانه قد باع جميع ضياعه وضياع اولاده وأسبابه من السلطان .

وقال في موضع آخر من كتابه هذا : انه لما قطعت يد ابن مقلة استدعـــاني الراضي بالله في آخر

---

(١) اظن انه عبد الله بن احمد وزير المقتدر على ايامه اصيبت البلاد بالقحط فعزي الامر اليه فسجن .

(٢) هو محمد بن مقلة استوزره الخلفاء ولم يوفق في وزارته فسجن وقطعت يمينه . اشتهر بخطه وقد نقله من الوضع الكوفي (٨٨٦ - ٩٤١)

(٣) وزير الراضي بالله .

(٤) قبيلة تنزل جنوبي بلاد العرب يقولون انهم الحميريون الاصليون .

(٥) الحصيرة المصنوعة من القصب . (ن . د)

النهار وأمرني بالدخول اليه وعلاجه ، فصرت اليه يوم قطع يده فوجدته محبوساً في القلايـــة التي في صحن الشجرة ، والباب مقفل عليه . ففتح الخادم الباب عنه ، ودخلت اليه ، فوجدته جالساً على قاعدة من بعض أساطين القلاية ، ولونه كلون الرصاص الذي هو جالس عليه ، وقد ضعف جداً وهو في نهاية القلق من ضربان ساعده ورأيت له في القلاية قبة خيش نصبت له ، وعليها طاقان من الخيش وفيها مصلى ومخاد طبري ، وحول المصلى أطباق كثيرة بفـــاكهة حسنة . فلما رآني بكى وشكى حاله ، وما نزل به وما هو فيه من الضربان [1] . ووجدت ساعده قد ورم ورماً شديداً ، وعلى موضع القطع خرقة غليظة قردواني كحلية مشدودة بخيط قنب [2] ، فخاطبته بما يحب ، وسكنت منه ، وحللت الخيط ، ونحيت الخرقة ، فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين [3] الدواب ، فأمرت بان ينفض عنه ، فنفض ، واذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب وقد غاص في ذراعه لشدة الورم ، وقد ابتدأ ساعده يسود ، وعرفته أن سبيل الخيط ان يحل وان يجعل موضع السرجين كافور ، ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور .

فقال : يا سيدي افعل ما رأيت . فقال الخادم الذي معي : احتاج ان استأذن مولانا في ذلك . ودخل ليستأذن ، وخرج ومعه مخزنة كبيرة مملوءة كافوراً ، وقال : « قد أذن لك مولانا ان تعمل ما ترى . وأمر بان ترفق به ، وتوفر العناية عليه ، وتلازمه إلى ان يهب الله عافيته » . فحللت الخيط وفرغت المخزنة في موضع القطع وطليت ساعده ، فعاش واستراح وسكن الضربان . وسألته : هل اغتذى ؟ فقال : وكيف ينساغ لي طعـــام ؟ فتقدمت باحضار طعام ، فاحضر وامتنع من الأكل . فرفقت به ولقمته بيدي ؛ فحصل له نحو عشرين درهماً خبزاً ، ومن لحم فروج نحو ذلك . وحلف انه لا يقدر ان يبلع شيئاً آخر . وشرب ماء بارداً ، وعاشت روحه ، وانصرفت . وقفل الباب عليه ، وبقي وحده .

ثم ادخل عليه من غد خادم أسود يخدمه وحبس معه ، وترددت اليه أياماً كثيرة ؛ وعرض له في رجله اليسرى علة النقرس ففصدته ، وكان يتألم من يده اليمنى التي قطعت ، ومن رجله اليسرى ، ولا ينام الليل من شدة الالم ، ثم عوفي . وكنت اذا دخلت اليه يبتدىء بالمسألة عن خبر ابنه أبي الحسين، فاذا عرفته سلامته سكن غاية السكون ، ثم ناح على نفسه وبكى على يده ، وقال : « يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ؟ تذكر ، وانت تقول لي : انت في آخر نكبة ، وان الفرج قريب ؟ » قلت : بلى . فقال : « قـد ترى ما حل بي ؟ فقلت : ما بقي بعد هذا شيء ، والآن ينبغي ان نتوقع الفرج فانه قد عمل بك ما لا يعمل بنظير لك ، وهذا انتهاء المكروه . ولا يكون بعد الانتهاء الا الانحطاط . فقال : لا تفعل ، فان المحنة قد تشبثت بي تشبثاً ينقلني من حال الى حال ، الى أن تؤديني الى التلف ؛ كما تتشبث حمى الدق

---

(١) الشدة والألم .

(٢) نبات يفتل من لحائه حبال وخيطان .

(٣) الزبل .

بالاعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه الى الموت . ثم تمثل بهذا البيت :

اذا ما مات بعضك فابك بعضا . فبعض الشيء من بعض قريب

(الوافر)

فكان الامر كما قال .

ولما قرب بجكم من بغداد نُقل ابن مقلة من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه ، فلم يُوقف له على خبر ، وحُجبت عنه . ثم قطع لسانه وبقي في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ، ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه . حتى بلغني أنه كان يستسقي الماء لنفسه بيده ، يجتذب الحبل بيده اليسرى ، ويمسكه بفمه . ولحقه شقاء عظيم ، الى ان مات .

وكان ثابت بن سنان المذكور خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ .

ولثابت بن سنان بن ثابت بن قرة من الكتب : كتاب التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه ، وذلك من سنة خمس وتسعين ومائتين الى حين وفاته ، ووجدته بخطه وقد أبان فيه عن فضل .

وكانت وفاة ثابت بن سنان في شهور سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

أبو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة

كان كاملاً في العلوم الحكمية فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقدماً في زمانه ، حسن الكتابة ، وافر الذكاء . مولده في سنة ست وتسعين ومائتين . وكانت وفاته في يوم الأحد النصف من المحرم سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ببغداد . وكانت العلة التي مات فيها ورم في كبده .

أبو اسحق ابراهيم بن زهرون الحراني

كان طبيباً مشهوراً ، وافر العلم في صناعة الطب ، جيد الاعمال ، حسن المعاملة . وكانت وفاته في ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثلثمائة ببغداد .

ابو الحسن الحراني

هو أبو الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني ، كان طبيباً فاضلاً كثير الدراية ، وافر العلم ، بارعاً في الصناعة ، موفقاً في المعالجة ، مطلعاً على أسرار الطب . وكان مع ذلك ضنيناً بما يحسن .

نقلت من خط ابن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت

تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، قال : كان قد اسكت [1] الوزير أبو طاهر بن بقيه في داره الشاطئه على الجسر ببغداد ، وقد حضر الامير معز الدولة بختيار ، والاطباء مجمعون على انه قد مات . فتقدم أبو الحسن الحراني ، وكنت أصحبه يومئذ ، فقال : أيها الامير اذا كان قد مات فلن يضره الفصاد ، فهل تأذن في فصده ؟ قال له : افعل يا أبا الحسن . ففصده ، فرشح منه دم يسير . ثم لم يزل يقوى الرشح الى أن صار الدم يجري فافاق الوزير . فلما خلوت به سألته عن الحال وكان ضنيناً بما يقول ، فقال : إن من عـادة الوزير أن يستفرغ في كل ربيـع دماً كثيراً من عروق المعدة ، وفي هذا الفصل انقطع عنه فلما فصدته ثابت الطبيعة من خناقها .

وقال عبد الله بن جبرائيل لما دخل عضد الدولة، رحمه الله، الى بغداد كان أول من لقيه من الاطباء ابو الحسن الحراني ، وكان شيخاً مسناً ، وسنان وكان اصغر من ابي الحسن؛ وكانا عالمين فاضلين ،وكانا جميعاًيسعران [2] المرضى ، ويمضيان الى دار السلطان،فحسن ثناؤه عليهما . ولما دخلا الى عضد الدولة قال : من هؤلاء ؟ قالوا : الاطباء . قال : نحن في عافية ، وما بنا حاجة اليهم . فانصرفا خجلين . فلما خرجا الى الدهليز قال سنان لابي الحسن : يجمل أن ندخل إلى هذا الاسد ؛ ونحن شيخا بغداد فيفترسنا ؟ قال له أبو الحسن : فما الحيلة ؟ قال نرجع اليه ، وانا أقول ما عندي ،وتنظر أيش الجواب قال : افعل . فاستأذنا ودخلا فقال سنان ؛ أطال الله بقاء مولانا الملك ، موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الامراض . والملك احوج الناس اليه . فقال له عضد الدولة : صدقت . وقرر لهما الجاري السني وصارا ينوبان مع أطبائه .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ولهما أحاديث كثيرة حسنة ، منها حديث قلاّء الكبود . وذلك انه كان بباب الازج [3] انسان يقلي الكبود ، فكانا اذا اجتازا عليه دعا لهما وشكرهما ، وقام لهما حتى ينصرفا عنه . فلما كان في بعض الأيام اجتازا فلم يرياه ، فظنا انه قد شغل عنهما . ومن غـد سألا عنه ، فقيل لهما انه الآن قد مات . فعجبا من ذلك ، وقال أحدهما للآخر : له علينا حق يوجب علينا قصده ومشاهدته . فمضيا جميعاً وشاهداه ، فلما نظرا اليه تشاورا في فصده، وسألا أهله أن يؤخروه ساعة واحدة ليفكروا في أمره . ففعلوا ذلك ، وأحضروا فصاداً ففصده فصدة واسعة ، فخرج منه دم غليظ . وكان كلما خرج الدم خف عنه ، حتى تكلم . وسقياه ما يصلح ، وانصرفا عنه . ولما كان في اليوم الثالث خرج الى دكانه . فكان هذا من المعجز لهما .. فسئلا عـن ذلك فقالا : سببه انه كان اذا قلي الكبود يأكل منها ، وبدنه يمتلىء دماً غليظاً وهو لا يحس ، حتى فاض من العروق الى الاوعية ، وغمر الحرارة الغريزية وخنقها ، كما يخنق الزيت الكثير الفتيلة التي تكون في السراج . فلما بدروه بالفصد نقص الدم وخف عن القوة الحملُ الثقيل ، وانتشرت الحرارة وعاد الجسم الى الصحة .

---

(١) اصابته سكتة قلبية .

(٢) يطوفان

(٣) محلة ببغداد ،

وهذا الامتلاء قد يكون من البلغم أيضاً . وقد ذكر أسبابه الفاضل جالينوس في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أحسن ما سمعت عن أبي الحسن الحراني انه دخل الى قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر ، رحمه الله، وكان انساناً نبيل القدر قد عارضه ضيق نفس شديد صعب. فاخذ نبضه وأشار بما يستعمله، فشاوره في الفصد فقال له : لا أراه وان كان يخفف المرض تخفيفاً بيناً . وانصرف . وجاءه ابو موسى المعروف ببقة الطبيب ، وأبصر نبضه وقارورته وأشار بالفصد. فقال له الشريف : قد كان عندي أبو الحسن الحراني الساعة وشاورته في الفصد فذكر انه لا يراه صواباً . فقال بقة : أبو الحسن أعرف . وانصرف ، فجاءه بعض الاطباء الذين هم دون هذه الطبقة ، فقال: يفصد سيدنا فانه في الحال يسكن، وقوى عزمه على الفصد ولم يبرح حتى فصده فعندما فصده خف عنه ما كان يجده خفاً بيناً ، ونام وسكن عنه واغتدى وهو في عافية . فعاد اليه أبو الحسن الحراني آخر النهار فوجده ساكناً قاراً ، فقال له ، لما رآه على تلك الحال : قد فصدت ؟ فقال كيف كنت افعل ما لم تأمرني به ؟ قال: ما هو هذا السكون إلا للفصد. فقال له الشريف: لما علمت بهذا لم لا تفصدني!؟ قال له ابو الحسن الحراني: اذ قد فصد سيدنا فليبشر بحمى ربع سبعين دوراً، ولو أن أبقراط وجالينوس عنده ما تخلص إلا بعد انقضائها . واستدعى دواة ودرجاً ، ورتب تدبيره لسبعين نوبه ودفعه اليه . وقال : هذا تدبيرك ، فاذا انقضى ذلك جئت اليك . وانصرف . فما مضى ايام حتى جاءت الحمى وبقيت كما قال ، فما خالف تدبيره حتى برىء .

قال عبيدالله بن جبرائيل : ومن أخباره انه كان للحاجب الكبير غلام وكان مشغوفاً به ، واتفق ان الحاجب صنع دعوة كبيرة كان فيها أجلاء الدولة . ولما اشتغل بامر الدعوة حم الغلام حمى حادة ، فورد على قلب الحاجب من ذلك مورداً عظيماً ، وقلق قلقاً كثيراً . واستدعى أبا الحسن الحراني فقال له : يا أبا الحسن اريد الغلام يخدمني في غداة غد ، تعمل كل ما تقدر عليه ، وأنا أكافئك بما يضاهي فعلك . فقال له : يا حاجب ان تركت الغلام يستوفي أيام مرضه عاش ، والا ، فيمكنني من ملازمته أن يقوم في غد لخدمتك . ولكن اذا كان في العام المقبل في مثل هذا اليوم يحم حمى حادة ، ولو كان من كان عنده من الاطباء لم تنجع فيه مداواته ، ويموت اما في البُحران الاول أو الثاني فانظر أيهما أحب اليك . فقال له الحاجب : أريد أن يخدمني في غداة غد ، والى العام المقبل فرج . ظناً منه أن هذا القول من الاحاديث المدفوعة . فلازمه أبو الحسن ، ولما كان في غد أفاق وقام في الخدمة واعطى الحاجب لأبي الحسن خلعة سنية ومالاً كثيراً ، وصار يكرمه غاية الاكرام . فلما كان في العام المقبل في مثل اليوم الذي حم فيه الغلام ، عاودته الحمى ، فأقام محموماً سبعة أيام ومات . فعظم في نفس الحاجب وجماعة من الناس قول أبي الحسن ، وكبر لديهم محله ، وكان هذا منه كالمعجز.

وقال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب : حدثنا أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي قال : حدثني الشريف أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى : أنه أراد ابتياع جارية عاقلة من دور بني

خاقان باحد عشر ألف درهم ؛ وكان الوسيط في ذلك أبو المسيب فهد بن سليمان . فقال لابي المسيب: أحب أن تستشير لي في أمرها أبا الحسن الحراني بعد ان تكلفه مشاهدتها ، فمضى اليه وسأله الركوب معه الى دار القوم ليرى الجارية وكانت متشكية . وشاهدها أبو الحسن الحراني وأخذ مجسها وتأمل قارورتها ثم قال له سراً : ان كانت أكلت البارحة من سماقية أو حصرمية وقثاء أو خيار فاشترها ، والا فلا تعترض لها . فسألنا عما أكلته في ليلتها فقيل لنا بعض ما قاله أبو الحسن ، فابتاعها ، فعجبنا من ذلك ، وعجب من سمع .

وقال الحسن بن ابراهيم : كان أولاد أبي جعفر بن القاسم بن عبيد الله يشنعون على أبي الحسن الحراني ، عمنا ، بانه قتل أباهم ، فسألت أبا اسحق ابراهيم بن هلال والدي عن ذلك ، فقال : كان أبو جعفر عدواً لأبي الحسن عمي ، وعازماً على قتله لامور نقمها عليه ، وقد قبض عليه وحبسه . فاتفق ان اعتل أبو جعفر علته التي مات فيها ، فاشير عليه بمشاورة أبي الحسن وهو في حبسه ، فقال لا أثق به ، ولا أسكن اليه ، مع ما يعلمه من سوء رأيي فيه . وعول على غيره من الاطباء . فدخل بعض اخوان أبي الحسن اليه وشرح له ما يدبر به أبو جعفر في مرضه . فقال أبو الحسن ، وكان يأتمنه : أنت تعرف رأي هذا الرجل في ، ومتى استمر على هذا التدبير هلك بلا محالة ، وكفينا كفاية عاجلة . فأحب أن تمنعه مشاورتي وتصوبه على رأيه في العدول عني . واشتدت العلة بأبي جعفر ، ومضى لسبيله بعد قبض القاهر بالله عليه بعشرة أيام .

وقال الحسن ايضاً : أصابتني حمى حادة كان هجومها علي بغتة ، فحضر أبو الحسن عمنا وأخذ مجسي ساعة ، ثم نهض ولم يقل شيئاً . فقال له والدي : ما عندك يا عمي في هذه الحمى ؟ فقال له سراً : لا تسألني عن ذلك الى ان يجوزه خمسين يوماً . فوالله لقد فارقتني في اليوم الثالث والخمسين .

وحكى أبو علي بن مكنجا النصراني الكاتب ، قال : لما وافى عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلثمائة الى مدينة السلام استدعاني ابو منصور نصر بن هرون ، وكان قد ورد معه اذ ذاك ، وسألني عن أطباء بغداد . فاجتمعت مع عبد يشوع الجاثليق وسألته عنهم ، فقال : ههنا جماعة لا يعول عليهم ، والمنظور اليه منهم ابو الحسن الحراني وهو رجل عاقل لا مثل له في صناعته [1] وهو قليل التحصيل ، وابو الحسن صديقي وأنا ابعثه الى الخدمة واوافقه عليها وأشير عليه بالملازمة لها . وخاطب الجاثليق أبا الحسن على قصد أبي منصور نصر بن هرون فقصده ، وتقدم اليه بان يحضر دار عضد الدولة ويتأمل حاله وما يدبر به أمره . فتلقى ذلك بالسمع والطاعة ، وشرط ان يعرف صورته في مأكله ومشربه وبواطن أمره وطالع ابو منصور عضد الدولة بالصورة ، وحضر ابو الحسن الدار وعرف جميع ما سأل عنه ، وتردد اياماً ثم انقطع ، واجتمع مع الجاثليق فعاتبه على انقطاعه وعرفه وقوع الانكار له ، فقال له : لا فائدة في مضيي ، ولست اراه صواباً لنفسي ، وللملك اطباء فضلاء عقلاء علماء ، وقد عرفوا من طبعه وتدبيره ما يستغنى به عن غيرهم في ملازمته وخدمته . فألح

(١) بياض في كل النسخ .

الجاثليق عليه وسأله عن علة ما هو عليه في هذا الفعل ، والاحتجاج فيه بمثل هذا العذر ؟ فقال له : « هذا الملك متى اقام بالعراق سنة فسد عقله . ولست أوثر ان يجري ذلك على يدي وانا مدبره وطبيبه . ومتى انهى الجاثليق هذا القول عني جحدته وحلفت بالله والبراءة من ديني ما قلته . وكان عليك في ذلك ما تعلمه » فأمسك الجاثليق وكتم هذا الحديث . فلما عاد عضد الدولة الى العراق في الدفعة الثانية كان الامر على ما انذر به فيه .

وتوفي ابو الحسن الحراني في الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة للهجرة ببغداد . وكان مولده بالرقة ليلة يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

ولابي الحسن الحراني من الكتب: اصلاح مقالات من كناش يوحنا بن سرابيون ، جوابات مسائل سئل عنهـــا .

ابن وصيف الصابىء

كان طبيباً عالماً بعلاج أمراض العين ، ولم يكن في زمانه أعلم منه في ذلك ، ولا أكثر مزاولة .

قال سليمان بن حسان . حدثني احمد بن يونس الحراني ، قال : حضرت بين يدي احمد بن وصيف الصابىء وقد احضر سبعة انفس لقدح اعينهن ، وفي جملتهم رجل من اهل خراسان اقعده بين يديه ونظر الى عينيه ، فرأى ماء متهيأ للقدح ، فسامه على ذلك ، فطلب اليه فيه ، واتفق معه عـــلى ثمانين درهماً ، وحلف انه لا يملك غيرها . فلما حلف الرجل اطمأن وضمه الى نفسه ، ورفع يده على عضده فوجد بها نطاقاً صغيراً فيه دنانير فقال له ابن وصيف : ما هذا ؟ فتلون الخراساني . فقال ابن وصيف : حلفت بالله حانثاً وانت ترجو رجوع بصرك اليك ؟ والله لا عالجتك اذ خادعت ربك . فطلب اليه فيه فأبى ان يقدحه وصرف اليه الثمانين درهماً ولم يقدح عينه .

غالب طبيب المعتضد

شهر بخدمة المعتضد بالله وكان اولا عند الموفق طلحة بن المتوكل لانه خدمه منذ ايام المتوكل واختص به . وارتضع سائر ابناء المتوكل من لبن اولاد غالب فكان يسر بهم . فلمـا تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوله وأغناه ، وكان له مثل الوالد ينادمه ويغلفه بيده . وعالج الموفق من سهم كان أصابـــه في ثندوته [1] وبرأ ، فاعطاه مالاً كثيراً ، واقطعه ، وخلع عليه . وقال لغلمانـــه : من أراد اكرامي فليكرمه ، وليصل غالباً . فوجه اليه مسرور بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب ؛ ووجه اليـــه سائر الغلمان مثل ذلك ؛ وصار اليه مال عظيم . ولما قبض على صاعد وعبدون أخذ لعبدون عدة غلمان نصارى مماليك ، فمن أسلم منهم أجري له رزق وترك ، ومن لم يسلم منهم بعثه الى غالب . وكان

(١) هي للرجل كالثدي للمرأة .

عدد من انفذ اليه سبعين غلاماً أزمة وغيرها. فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب: أي شيء أعمل بهؤلاء ؟ وركب من وقته الى الموفق ، فقال هؤلاء يستغرقون مـال ضيعتي مع رزقي . فضحك الموفق وتقدم الى اسمعيل زيادة في اقطاعه الحرسيات ، وكانت ضياعاً جليلة تغل سبعة آلاف دينار وأجرها له بخمسين ألف درهم في السنة .

وبعد الموفق طلحة خدم لولده المعتضد بالله أبي العباس أحمد ، وكان مكينا عنده حظيا في أيامه . وكان المعتضد يحسن الظن به ويعتمد على مداواته . قال ثابت بن سنان بن ثابت : ان غالبا الطبيب توفي مع المعتضد بالله بآمد [1] ، وكان كبيراً عنده . وكان سعيد بن غالب مع المعتضد بالله بآمد ، وكان يأنس اليه ويقدمه على جميع المتطببين. واتصل الخبر بوفاة غالب بالمعتضد قبل وقوف سعيد ابنه على ذلك ، فلما دخل سعيد عليه ابتدأه المعتضد وعزاه وقال له : يا سعيد طول البقاء لك ، لمـا تم عليك . فانصرف سعيد الى مضربه كئيباً حزيناً . فأتبعه المعتضد بخفيف السمر قندي ، وبنان الرصاصي ، وبسرخاب الكسوة ، وكانوا أجل خدم السلطان ، وجلسوا معه طويلاً . وعرف الخـبر فلم يبق أحد من اهل الدولة إلا صار الى سعيد بن غالب ، وعزاه بابيه ، من الوزير القاسم بن عبيدالله ومؤنس الخادم ومن بعدهما من الاستاذين والامراء والقواد والأولياء على طبقاتهم. ثم أنفذ اليه المعتضد وقت الظهر بجون طعام وتقدم اليه أن لا يبرح أو يطعمه ويطعم دانيل كاتب مؤنس وسعدون كاتب يانس ، وكانا صهريه على أختيه ، ففعل ذلك . ولم يزل يحضره في كل يوم ويشاغله بالحديث ويصرفـه ويتبعه بجون الطعام مدة سبعة ايام . ورد اليه ما كان الى ابيه من أمر الجرايـة والتلامذة . وأقر في يده اقطاعاته وضياعه ، ولم يزل ذلك له ولولده الى آخر عمره .

أبو عثمان سعيد بن غالب

كان طبيباً عارفاً حسن المداواة مشهوراً في صناعة الطب . خدم المعتضد بالله وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه ، والانعام عليه .

وتوفي أبو عثمان سعيد بن غالب في يوم الاحـد لست بقين من جمادى الآخرة سنـة سبع وثلثمائة ببغداد .

عبدوس

كان طبيباً مشهوراً ببغداد ، حسن المعالجة ، جيد التدبير ، ويعرف كثيراً من الادوية المركبة . وله تجارب حميدة ، وتصرفات بليغة في صناعة الطب . قال أبو جعفر [2] محمد بن جرير الطبري في

(١) ديار بكر . وقد وردت سابقاً .
(٢) ولد في آمل (طبرستان) وتوفي في بغداد (٨٣٩–٩٢٣) وهو من مشاهير المؤرخين . اشهر كتبه تاريخ الامم والملوك . (ن.ر)

تاريخه : حكي عن داؤد بن ديلم ، وعن عبدوس المتطببين ، قال : لما غلظت علة المعتضد ، وكانت من استسقاء وفساد مزاج من علل يتنقل منها ، وخاف على نفسه أحضرنا وجميع الاطباء فقال لنا : أليس تقولون ان العلة اذا عُرفت عرف دواؤها ؟ فاذا أعطي العليل ذلك الدواء صلح ؟ قلنا له : بلى . قال : فعلتي عرفتموها ودواءها ، أم لم تعرفوها ؟ قلنا : قد عرفناها . قال : فما بالكم تعالجوني ولست أصلح ؟ وظننا انه قد عزم على الايقاع بنا فسقطت قوانا فقال له عبدوس : يا أمير المؤمنين نحن على ما قلنا في هذا الباب ، الا ان في الأمر شيء ، وهو انا لا نعرف مقدار اجزاء العلة فنقابلها من الدواء بمثل اجزائها ، وانما نعمل في هذا على الحدس ، ونبتدىء بالاقرب فالأقرب ، ونحن ننظر في هذا الباب ونقابل العلة بما ينجع فيها ان شاء الله تعالى .

قال فأمسك عنا وخلونا فتشاورنا على ان نرميه بالعابة وهي التنور ، فاحميناه له ورميناه فيه ، فعرق وخف ما كان به لدخول العلة الى باطن جسمه ، ثم ارتقت الى قلبه ، فمات بعد ايام ، وخلصنا مما كنا أشرفنا عليه . وكانت وفاة المعتضد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

ولعبدوس من الكتب : كتاب التذكرة في الطب .

صاعد بن بشر بن عبدوس

ويكنى أبا منصور ، كان في أول امره فاصداً في البيمارستان ببغداد . ثم انه بعد ذلك اشتغل في صناعه الطب وتميز حتى صار من الا كابر من اهلها ، والمتعينين من اربابها . نقلت من خط المختار ابن حسن بن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد ؛ كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور انقدماء ؛ قال : ان اول من فطن لهذه الطريق ونبه عليها ببغداد وأخذ المرضى في المداواة بها واطرح ما سواها ، الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب رحمه الله ، فانه اخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء فانجح تدبيره وتقدم في الزمان بعد ان كان فاصداً في البيمارستان ، وانتهت الرياسة اليه فعول الملوك في تدبيرهم عليه . فرفع عن البيمارستان المعاجين الحارة والادوية الحادة . ونقل تدبير المرضى الى ماء الشعير ومياه البزور ، فاظهر في المداواة عجائب .

من ذلك ما حكاه لي بميافارقين الرئيس أبو يحيى ولد الوزير أبي القاسم [1] المغربي ، قال : عرض للوزير بالأنبار قولنج صعب أقام لاجله في الحمام ؛ واحتقن عدة حقن ، وشرب عدة شربات فلم ير صلاحاً ، فانفذنا رسولا الى صاعد ، فلما جاء ورآه على تلك الحال ولسانه قد قصر من العطش وشرب الماء الحار والسكر ، وجسمه يتوقد من ملازمة الحمام ومداومة المعاجين الحارة والحقن

(١) وزير العباسيين ولد في مصر وتوفي فيميافارقين .

الحادة ، استدعى كوز ماء مثلوج فاعطاه الوزير فتوقف عن شربه . ثم انه جمع بين الشهوة وترك المخالفة وشربه فقويت في الحال نفسه ثم استدعى فاصداً ففصده واخرج له دماً كثير المقدار . وسقاه ماء البزور ولعاباً وسكنجبيناً ، ونقله من حجرة الحمام الى الخيش ، وقال له : ان الوزير أدام الله عافيته سينام من بعد الفصد ؛ ويعرق وينتبه ؛ فيقوم عدة مجالس ، وقد تفضل الله بعافيته . ثم تقدم بصرف الخدم لينام . فقام الوزير الى مرقده وقد وجد خفاً من بعد الفصد فنام مقدار خمس ساعات ، وانتبه يصيح بالفراش . فقال صاعد للفراش : اذا قام من الصيحة فقل له يعاود النوم ، حتى لا ينقطع العرق . فلما خرج الفراش من عنده قال : وجدت ثيابه كأنها قد صبغت بماء الزعفران ، وقد قام مجلساً ونام . ثم لا زال الوزير يتردد دفعات الى آخر النهار مجالس عدة ، ومن بعدها غذاه بزوّرة وسقاه ثلاثة أيام ماء الشعير ، فبرأ برأ تاماً . فكان الوزير أبداً يقول طوبى لمن سكن بغداد داراً شاطئة وكان طبيبه أبو منصور ، وكاتبه أبو علي بن موصلايا ، فبلغه الله امانيه فيما طلب .

ونقلت أيضاً من خط ابن بطلان : ان صاعد الطبيب عالج الأجل المرتضى [1] رضي الله عنه من لسب [2] عقرب ، بان ضمد المكان بكافور فسكن عنه الألم في الحال .

ونقلت من خط أبي سعيد الحسن بن أحمد بن علي في كتاب « ورطة الاجلاء من هفوة الاطباء » قال : كان الوزير علي بن بلبل ببغداد ، وكان له ابن أخت فلحقته سكتة دموية ، وخفي حاله على جميع الاطباء ببغداد ، وكان بينهم صاعد بن بشر حاضراً ، فسكت حتى اقر جميع الاطباء بموته ، ووقع اليأس من حياته ، وتقدم الوزير في تجهيزه ، واجتمع الخلق في العزاء ، والنساء في اللطم والنياح ، ولم يبرح صاعد بن بشر من مجلس الوزير . فعند ذلك قال الوزير لصاعد بن بشر الطبيب : « هل لك حاجة ؟ فقال له : نعم يا مولانا ، ان رسمت وامرت لي ذكرت ذلك » . فقال له : « تقدم وقل ما يلج في صدرك ؟ » فقال صاعد: « هذه سكتة دموية ، ولا مضرة في ارسال مبضع واحد وننظر ، فان نجح كان المراد ، وان تكن الاخرى فلا مضرة فيه . » ففرح الوزير وتقدم بإبعاد النساء ، وأحضر ما وجب من التمريخ والنطول [3] والبخور والنشوق ، واستعمل ما يجب . ثم شد عضد المريض وأقعده في حضن بعض الحاضرين ، وارسل المبضع بعد التعليق على الواجب من حاله ، فخرج الدم ووقعت البشائر في الدار . ولم يزل يخرج الدم حتى تمم ثلثمائة درهم من الدم ، فانفتحت العين ولم ينطق بعد ، فشد اليد الاخرى ونشقه ما وجب تنشيقه . ثم فصده ثانياً واخرج مثلها من الدم واكثر . فتكلم ، ثم أسقي واطعم ما وجب ، فبرىء من ذلك ، وصح جسمه وركب في الرابع الى الجامع ، ومنه الى ديوان الخليفة ، ودعا له ونثر عليه من الدراهم

---

(١) اوحد اهل زمانه علماً وكلاماً وحديثاً وشعراً لقب للعلويين في بغداد وكان مثالا للثقافة الكاملة في عصره . وله كتاب الامالي .

(٢) لدغة (ن.ر)

(٣) ماء تغلى فيه الادوية ويصب فاتراً على العضو المصاب (ن.ر)

والدنانير الكثيرة . وحصل لصاعد بن بشر الطبيب مال عظيم، وحشمه الخليفة والوزير وقدمه وزكاه؛ وتقدم على جميع من كان في زمانه .

أقول : ووجدت صاعد بن بشر قد ذكر في مقالته في مرض المراقيا ما عاينه في ذلك الزمان من أهوال وجدها ، ومخاوف شاهدها ، ما هذا نصه . قال : « وانه عرض لنا من تضايق الزمان علينا، والتشاغل بالتماس الامر الضروري ، ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفزع ، واختلاف السلاطين ؛ وما قد بلينا به ، مع ذلك ، من التنقل في المواضع ؛ وضياع كتبنا وسرقتها . ولما قد أظلنا من الامور المذعرة المخوفة التي لا نرجو في كشفها الا الله تقدس اسمه . »

هذا ما ذكره وما كان في أيامه الا اختلاف ملوك الاسلام بعضهم مع بعض ، وكان الناس سالمين في أنفسهم ، آمنين من القتل والسبي ، فكيف لو شاهد ما شاهدناه ونظر ما نظرناه في زماننا من التتار الذين أهلكوا العباد ، وأخربوا البلاد ، وكونهم اذا أتوا الى مدينة فما لهم همٌ الا قتل جميع من فيها من الرجال ، وسبي الاولاد والنساء ، ونهب الاموال ، وتخريب القلاع والمدن . لكان استصغرما ذكره ، واستقل ما عاينه وحقره . ولكن ما طامة إلا فوقها طامة أعظم منهما ؛ ولا حادثة إلا وغيرها تكبر عنها ؛ ولله الحمد على السلامة والعافية .

ولصاعد بن بشر من الكتب : مقالة في مرض المراقيا ومداواته الفها لبعض اخوانه .

ديلم

كان من الاطباء المذكورين ببغداد المتقدمين في صناعة الطب ، وكان يتردد الى الحسن [1] بن مخلد وزير المعتمد ويخدمه .

ووجدت في بعض التواريخ أن المعتمد على الله وهو أحمد بن المتوكل أراد ان يفتصد، فقال للحسن بن مخلد : « اكتب لي جميع من في خدمتنا من الاطباء حتى أتقدم بان تصل كل واحد منهم على قدره . » فكتب الأسماء وادخل فيها اسم ديلم المتطبب . وكان ديلم يخدم الحسن بن مخلد ، فوقع تحت الاسماء بالصلات . فقال ديلم : اني لجالس في منزلي حتى وافى رسول بيت المال ومعه كيس فيه ألف دينار ، فسلمه إلي وانصرف فلم أدر ما السبب فيه ، فبادرت بالركوب الى الحسن بن مخلد،وهو حينئذ الوزير ، فعرفته ذلك . فقال لي : افتصد أمير المؤمنين ، وأمرني بان أكتب أسماء الاطباء ليتقدم بصلاتهم ، فادخلت اسمك معهم ، فخرج لك الف دينار .

داؤد بن ديلم

كان من الاطباء المتميزين ببغداد الجيدين في المعالجة ، وخدم المعتضد بالله وخص به . فكانت

(١) كان كاتب الموفق ووزر الى اخيه المعتمد اساء التدبير فصودرت املاكه . وهو من دير قنى . كان على ديوان الضياع ا ه ا، ام ه .

التوقيعات تخرج بخط ابن ديلم لمحله منه ومكانته . وكان يتردد الى دور المعتضد ، وله منه الاحسان الكثير ، والانعام الوافر . وكانت وفاة داؤد بن ديلم يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة تسع وعشرين وثلثمائة ببغداد .

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي

كان من الاطباء المذكورين ببغداد ، ونقل كتباً كثيرة الى العربية من كتب الطب وغيره ، وكان منقطعاً الى علي [1] بن عيسى . وقال ثابت بن سنان المتطبب ان أبا الحسن علي بن عيسى الوزير في سنة اثنتين وثلثمائة اتخذ البيمارستان بالحربية [2]،وأنفق عليه من ماله ، وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطببه مع سائر البيمارستانات ببغداد ومكة والمدينة .

ومن كلام ابي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي قال : الصبر قوة من قوى العقل ، وبحسب قوة العقل تكون قوة الصبر .

ولابي عثمان الدمشقي من الكتب : مسائل جمعها من كتاب جالينوس في الاخلاق . مقالة في النبض مشجرة ، وهي جوامعه لكتاب النبض الصغير لجالينوس

الرقي

هو أبو بكر محمد بن الخليل الرقي ، كان فاضلاً في الصناعة الطبية ، عارفاً باصولها وفروعها ،جيد التعليم ، حسن المعالجة . وهو أول من وجدناه فسر مسائل حنين بن اسحق في الطب ، وكان تفسيره لهذا الكتاب في سنة ثلاثين وثلثمائة .

قال عبيد الله بن جبرائيل وقيل عنه انه ما كان يفسر إلا سكران ، وكان في هذا نادراً . قال : وقد شاهدت انساناً كان يتعاطى الشعر ، وكان اذا اراد عمله احتال في تحصيل نبيذ فيشربه ويجلس فيعمل حينئذ الشعر . وسبب ذلك ان الدماغ يكون مائلاً الى البرد ، فاذا اسخنه ببخار النبيذ تحرك وقوي على الفعل .

وللرقي من الكتب : شرح مسائل حنين في الطب .

قويري

واسمه ابراهيم ، ويكنى أبا اسحق . فاضل في العلوم الحكمية ، وهو ممن أخذ عنه علم المنطق ،

---

(١) احد الاطباء الكحالين وهو من تلاميذ حنين . له : تذكرة الكحالين .

(٢) محلة ببغداد (ن . ر)

وكان مفسراً . وعليه قرأ أبو بشر متى بن يونان . وكتب قويري مطّرحة مجفوة ، لان عباراته كانت عفطية [1] غلقة .

ولقويري من الكتب : كتاب تفسير قاطيغورياس مشجر . كتاب باريمينياس مشجر . كتاب انالوطيقا الاولى مشجر . كتاب انالوطيقا الثانية مشجر .

ابن كرنيب

هو أبو أحمد الحسين بن أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن زيد الكاتب ، ويعرف بابن كرنيب. وكان من جلة المتكلمين ، ويذهب مذهب الفلاسفة الطبيعيين . وكان في نهاية الفضل والمعرفة والاطلاع بالعلوم الطبيعية القديمة .

ولأبي أحمد بن كرنيب من الكتب : كتاب الرد على أبي الحسن ثابت بن قرة في نفيه وجوب وجود السكونين بين كل حركتين متساويتين . مقالة في الاجناس والانواع ، وهي الامور العامية . كتاب كيف يعلم ما مضى من النهار من ساعة من قبل الارتفاع .

ابو يحيى المروزي

كان طبيباً مشهوراً بمدينة السلام متميزاً في الحكمة ، وقرأ عليه ابو بشر متى بن يونان . وكان فاضلاً ، ولكنه كان سريانياً . وجميع ما له من الكتب في المنطق وغيره بالسريانية .

متى بن يونان

كان أبو بشر متى بن يونان من أهل ديرقنى [2] ، ممن نشأ في أسكول مرماري . قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي ، وعلى أبي أحمد بن كرنيب . وله تفسير من السرياني الى العربي ، واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره . وكان نصرانياً . وتوفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

ولمتى من الكتب : مقالة في مقدمات صدر بها كتاب انالوطيقا . كتاب المقاييس الشرطية . شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس .

يحيى بن عدي

وابو زكريا يحيى بن حميد بن زكريا المنطقي ، واليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في

(١) غير فصيحة .
(٢) دير على ستة عشر فرسخاً من بغداد وكان آهلاً في اوائل القرون الوسطى وخرب مع الزمان

وقته ، قرأ على ابي بشر متى وعلى أبي نصر الفارابي [1] وعلى جماعـــة أخر ، وكان أوحد دهره . ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . وكان جيد المعرفة بالنقل . وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية . وكان كثير الكتابة ، ووجدت بخطه عدة كتب .

قال محمد بن اسحق النديم البغدادي في كتاب « الفهرست » . قال لي يحيى بن عدي يومـــاً في الوراقين ، وقد عاتبته على كثرة نسخه ، فقال لي :من أي شيء تعجب في هذا الوقت ، من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري ، وحملتها الى ملوك الاطراف ، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولعهدي بنفسي ، وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل .

وقال الامير أبو الوفاء المبشر بن فاتك حدثني شيخي أبو الحسين المعروف بابن الآمدي انه سمع من أبي علي اسحق بن زرعة [2] يقول : ان أبا زكريا يحيى بن عدي وصى اليه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة ، وهو في بيعة مرتوما بقطيعة الدقيق هذين البيتين :

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبقّى قد مـــات جهلاً وعيّا
فاقتنوا العلم كي تنـــالوا خلوداً لا تعدوا الحياة في الجهل شيّا
الخفيف

وليحيى بن عدي من الكتب : رسالة في نقض حجج أنفذها الرئيس في نصرة قول القائلين بان الافعال خلق لله ، واكتساب للعبد . تفسير كتاب طوبيقا لارسطوطاليس ، مقالة في البحوث الأربعة مقالة في سياسة النفس ، مقالة في أهمية صناعة المنطق وماهيتها وأوليتها ، مقالة في المطالب الخمسة للرؤوس الثمانية . كتاب في منافع البـــاه ومضاره وجهة استعماله بحسب اقتراح الشريف أبي طالب ناصر بن اسمٰعيل صاحب السلطان المقيم في القسطنطينية .

أبو علي بن زرعة

هو أبو علي عيسى بن اسحق بن زرعة بن مرقس بن زرعة بن يوحنا . أحد المتقدمين في عـــلم المنطق ، وعلوم الفلسفة ، والنقلة المجودين . ومولده ببغداد في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وثلثمائة ونشأ بها ، وكان كثير الصحبة والملازمة ليحيى بن عدي .

نقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير اكثر الامراض التي كانت تعالج قديمـــاً بالادوية الحارة الى التدبـــير المبرد ، كالفالج واللقوة

---

(١) ابو النصر محمد ولد في فاراب وتوفي في دمشق درس الفلسفة واقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة بن حمدان ولقب بالمعلم الثاني (٨٧٣ – ٩٥٠) (ن . ر)

(٢) ولد ومات في بغداد وكان تاجراً فانصرف الى العلم والترجمة والتأليف تحت اشراف استاذه يحيى بن عدي (٩٢٣ ١٠٠٨) (ن . ر)

والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء .قال : ان اول من فطن لهذه الطريق ونبه عليها ببغداد ، وأخذ المرضى في المداواة بها ، واطرح ما سواها ، الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب ، رحمه الله ، فانني سمعته يقول : اول ما خطر لي النقل في الفالج الذي عرض لشيخنا ابي علي ابن زرعة ، رحمه الله ؛ وذلك أن أبا علي كان رجلاً منحف الجسم ، حاد الخاطر ، محداثا مليح المجلس ، ملازماً للتدريس والنقل والتصنيف ، محبا للبوارد المحرفات والمطجنات ، ومليح الاسماك وما عمل من البوارد بالخردل [1] . ثم انه حرص في آخر عمره على عمل مقالة في بقاء النفس . فأقام نحواً من سنة يفكر فيها ويسهر لها حرصا على عملها . وكان أيضا مفتونا بالتجارة الى بلد الروم ، وله فيها أضداد من تجار السريان قد سعوا به دفعات الى السلطان ، وصودر على اموال ، ولحقته عدة نكبات ، فالتام عليه حرارة المزاج الاصلي ، وفساد الاغذية ، وكد الخاطر بالتصنيف ، ومداراة السلاطين ؛ فمرضت له مرضة حادة واختلاط أبحر فيها بفالج كما يبحرن المرضى باورام ونحوها .

« وكان الناس يعظمونه للعلم فاجتمع اليه مشايخ الاطباء : كابن بكس ، وابن كشكرايا ، وتلميذ سنان وابن كزورا والحراني ، فمضوا في تدبيره بحسب المسطور في الكنانيش.وأنا أقول من حيث لا قدرة لي على مجاهرتهم بالمخالفة لتقدمهم في الزمان : « والله انهم لمخطئون ، لانه فالج تابع لمرض حاد لشخص حار المزاج . ثم انهم سئموا من تدبيره فنقلته الى المرطبات،فخف قليلاً وشارف الصلاح،وبعد زمان مات في سنة ثمان واربعين وأربعمائة من فرط ما دبر به من الحار اليابس بالجمود الحادث في مؤخر الدماغ عن خلط سوداوي » .

ولابي علي بن زرعة من الكتب : اختصار كتاب ارسطوطاليس في المعمور من الارض . كتاب اغراض كتب أرسطوطاليس المنطقية . مقالة في معاني كتاب ايساغوجي . مقالة في معاني قطعة من المقالة الثالثة من كتاب السماء . مقالة في العقل . رسالة في علة استنارة الكواكب مع انها والكرات الحاملة لها من جوهر واحد . بسائط رسالة أنشأها الى بعض اوليائه في سنة سبع وثمانين وثلثمائة .

أقول : وفي هذه الرسالة معان يرد بها على اليهود . ووجدت لبشر بن بيشى المعروف بابن عنايا الاسرائيلي رسالة يرد فيها على عيسى بن اسحق بن زرعة ، وقد أجاب فيها عن رسالته هذه .

موسى بن سيار

هو أبو ماهر موسى بن يوسف بن سيار،من الأطباء المشهورين بالحذق وجودة المعرفة بصناعةالطب.

ولموسى بن سيار من الكتب : مقالة في الفصد . الزيادة التي زادها على كناش الخف لأسحق بن حنين .

علي بن العباس المجوسي

من الاهواز ، وكان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب. وهو الذي صنف الكتاب المشهور الذي

---

(١) نبات له حب صغير جداً اسود مقرح .

يعرف « بالملكي » صنفه للملك عضد [1] الدولة فناخسرو بن ركن الدولة[2] أبي علي حسن بن بويه الديلمي ، وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها .

وكان علي بن العباس المجوسي قد اشتغل بصناعة الطب على أبي ماهر موسى بن سيار وتتلمذ له .

ولعلي بن العباس المجوسي من الكتب : كتاب الملكي في الطب ، عشرون مقالة .

عيسى طبيب القاهر

كان القاهر بالله وهو أبو منصور محمد بن المعتضد يعتمد على طبيبه هذا عيسى ، ويركن اليه ، ويفضي اليه بأسراره . وتوفي عيسى طبيب القاهر بالله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ببغداد . وكان كُفَّ قبل موته بسنتين . قال ثابت بن سنان في تاريخه : « واعلمني أن مولده كان في النصف من جمادي الأولى سنة احدى وسبعين ومائتين .

دانيال المتطبب

قال عبيد الله بن جبرائيل : كان دانيال المتطبب لطيف الخلقة ، ذميم الأعضاء ، متوسط العلم ، له إنسة بالمعالجة ، وكانت فيه غفلة وتبدد . وكان قد استخصه معز [3] الدولة لخدمته ، فدخل عليه يوماً ، فقال له : يا دانيال ، فقال : لبيك أيها الأمير ، قال : اليس عندكم أن السفرجل اذا أكل قبل الطعام أمسك الطبع واذا أكل بعد الطعام أسهل ؟ قال : بلى . قال : فانا اكلته بعد الطعام عصمني [4] . قال له دانيال : ليس هذا الطبع للناس ، فلكمه معز الدولة بيده في صدره ، وقال له : قم تعلم أدب خدمة الملوك وتعال . فخرج من بين يديه ونفث الدم ولم يزل كذلك مدة مديدة حتى مات .

قال عبيد الله : وهذه من غلطات العلماء التي تهلك ، وإلا مثل هذا لا يخفى ، لان هناك معداً ضعيفة لا يمكنها دفع ما فيها فاذا وردها السفرجل قواها واعانها على دفع ما فيها فتجيب الطبيعة . وقد شاهدت انسانا اذا اراد القيء شرب الشراب المحلى أو سكنجبين السفرجل فتقيأ مهما أراد . قال : وحكى والدي جبرائيل انه كان الأمير ابو منصور مهذب الدولة ، رحمه الله ، اذا شرب شراب السفرجل أسهله . وهذه أمور اسبابها معروفة ، وانما كانت غلطة من دانيال حتى هلك .

---

(١) السلطان البويهي ولد في اصفهان ومات في بغداد وكان محباً للعلوم محسناً للفقراء لقبه الخليفة بشاهنشاه (٩٣٦-٩٨٣).

(٢) ثاني الاخوة الثلاثة الذين أسسوا دولة بني بويه في بغداد لقب بامير الامراء وتوفي سنة ٩٤٩ (ن.د)

(٣) علي بن ابي شجاع بويه لقب بمعز الدولة وعلى زمانه وزمان اخوته اصبح الخليفة العوبة بايديهم الى ان غلبهم طغرل بك السلجوقي سنة ١٠٥٥ .

(٤) منعني .

اسحق بن شليطا

كان هذا طبيباً بغداديا له يد في الطب ، تقدم بها الى ان انتقل الى خدمة المطيع لله [١] ، واختص به الى ان مات في حياة المطيع ، وخلف على موضعه أبو الحسين عمر بن عبد الله الدحلي . وقد كان اسحق مشاركاً في طب المطيع لثابت بن سنان بن ثابت بن قره الحراني الصابىء .

ابو الحسين عمر بن الدحلي

كان متطبباً للمطيع لله ، وكان شديد التمكن منه والاختصاص به .

قال عبيد الله بن جبرائيل : حدثني من أثق به ، انه كان لا يحتشمه في شيء جملة . ولما صرف المطيع لله أبا محمد الصلحي كاتبه ، توسط أبو الحسين بن الدحلي لأبي سعيد وهب بن ابراهيم حتى تقلد كتبة الخليفة ، وبقي مدة ، ثم شرع ابو الحسين صهر أبي بشر البقري ، فتقلده . وكان ابو سعيد ، وهب ، بقي إلى ان صارت الخلافة الى الطائع [٢] وقبض عليه ، وبقي في الحبس الى أن دخل بختيار وعضد الدولة الى بغداد وهرب الخليفة ، وخرج من الحبس عند كسر أبواب الحبوس .

فنّون المتطبب

كان متقدماً يختص بخدمة بختيار ، وكان يكرمه ويعزه أمراً عظيما .

قال عبيدالله بن جبرائيل : ومن أخباره معه انه رمدت عين بختيار في بعض الاوقات فقال له : يا أبا نصر ، ليس والله تبرح من عندي أو تبرىء عيني . واريدها تبرأ في يوم واحد وأبرمه. قال فسمعت أبا نصر يتحدث انه قال له : إن أردت أن تبرأ فتقدم الى الفراشين والغلمان ان يأتمروني دونك في هذا اليوم واخلفك ومن خالفني في أمري قتلته ، ففعل بختيار ذلك. فامر أبو نصر ان يحضروا اجانة مملوءة عسل الطبرزد [٣] . فلما حضر غمس يدي بختيار في العسل ، ثم بدأ يداوي عينيه بالاشياف [٤] الابيض الابيض ، وما يصلح الرمد . وجعل بختيار يصيح بالغلمان فلا يجيبه أحد . ولم يزل كذلك يكحله الى آخر النهار فبرىء . وكان هو السفير بين بختيار والخليفة . واذا خرجت الخلع فعلى يديه تخرج ، وله فيها السهم الاوفر .

أبو الحسين بن كشكرايا

كان طبيباً عالماً مشهوراً بالفضل والاتقان لصناعة الطب ، وجودة المزاولة لاعمالها. وكان في خدمة

---

(١) الخليفة الثالث والعشرون العباسي وكان ضعيفاً فتمردت عليه مصر وفارس فتنازل عن الخلافة (٩٤٦ - ٩٧٤)

(٢) الخليفة الرابع والعشرون العباسي وبلغت في ايامه سلطة بني بويه اوجها وتمرد بهاء الدولة عليه وخلفه(٩٧٤-٩٩١)

(٣) معرب تبرزذ وهو يطلق على نوع من التمر لحلاوته ويقال سكر طبرزذ وهو السكر المعروف بسكر النبات .

(٤) واحدها شيف وهو الشوك يكون بؤخر عسيب النخل .

« ن . ر » .

الامير سيف الدولة[1] بن حمدان. ولما بنى عضد الدولة البيمارستان المنسوب اليه ببغداد ، استخدمه فيه وزاد حاله . وكان أبو الحسين بن كشكرايا كثير الكلام ، يحب أن يخجل الاطباء بالمساءلة والتهجم . وكان له أخ راهب ، وله حقنة تنفع من قيام الاغراس والمواد الحادة ، ويعرف بصاحب الحقنة . وكان أبو الحسين بن كشكرايا قد اشتغل بصناعة الطب على سنان بن ثابت بن قرة ، وكان من أجل تلامذته.

ولابي الحسين بن كشكرايا من الكتب : كناشه المعروف بالحاوي . كناش آخر باسم من وضعه اليه.

ابو يعقوب الاهوازي

كان مشكوراً في صناعة الطب ، جميل الطريقة . وكان من جملة الاطباء الذين جعلهم عضد الدولة في البيمارستان الذي أنشأه ببغداد ، ويعرف به .

ولابي يعقوب الاهوازي من الكتب : مقالة في أن السكنجبين البزوري أحر من الترياق .

نظيف القس الرومي

كان خبيراً باللغات ، وكان ينقل من اليوناني الى العربي ، وكان يعد من الفضلاء في صناعة الطب ، واستخدمه عضد الدولة في البيمارستان الذي أنشأه ببغداد . وكان عضد الدولة يتطير [2] منه وكان الناس يولعون به اذا دخل الى مريض . حتى حكي في بعض الاوقات ان عضد الدولة أنفذه الى بعض القواد في مرض كان عرض له ، فلما خرج من عند القائد استدعى بثقته وأنفذه الى حاجب عضد الدولة يستعلم منه نية الملك فيه ؛ ويقول ان كان ثم تغير نية فليأخذ له الأذن في الانصراف والبعد ، فقد قلق لما جرى ، فسأل الحاجب عن ذلك وسببه . فقال الغلام : ما أعرف أكثر من انه جاءه نظيف الطبيب وقال له : يا مولانا الملك انفذني لعيادتك. فمضى الحاجب ؛ وأعاد بحضرة الملك عضد الدولة هذا الحديث فضحك ، وأمره أن يمضي اليه ويعلمه بحسن نيته فيه؛ وان ذلك أشغل قلبه به فأنفذه اليه ليعوده . وحملت اليه خلع سنية فسكنت بها نفسه ، وزال عنه ما كان أضمره من شغل القلب ، وكان دائماً يولع به بسببها .

أبو سعيد اليمامي

كان مشهوراً بالفضل والمعرفة متقناً لصناعة الطب ، جيداً في أصولها وفروعها ، حسن التصنيف.

ولأبي سعيد اليمامي من الكتب : شرح مسائل حنين ، مقالة في امتحان الاطباء ، وكيفية التمييز بين طبقاتهم .

---

(١) صاحب حلب واشتهر بالشجاعة في الحروب وحمايته للعلماء والادباء منهم المتنبي ، ابو فراس والفارابي . وقدم اليه ابو الفرج الاصبهاني كتابه الاغاني (٩١٦ ـــ ٩٦٤) (ن.ر)

(٢) يتشاءم .

أبو الفرج بن أبي سعيد اليامي

كان فاضلاً في الصناعة الطبية متميزاً في العلوم الحكمية . اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وجرت بينهما مسائل كثيرة في صناعة الطب وغيرها . ولابي الفرج بن أبي سعيد اليامي من الكتب رسالة في مسألة طبية دارت بينه وبين الشيخ الرئيس ابن سينا .

ابو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى

كان طبيبا مشهوراً عالماً بصناعة الطب جيداً في أعمالها .

نقلت من خط ابن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء ، قال : حدثني الشيخ الفاضل أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى الطبيب بانطاكية قال : وهذا السيد في زماننا علم في العلم ، مقدم في الديانة والمروءة ، وله تصانيف جليلة . قال :قال: ورد من القسطنطينية غلام للملك رومي شاب به سوء مزاج حار وجَسَاً في طحاله ، وسحنته حائلة لغلبة الصفراء ، وكان ماؤه أحمر في اكثر الاوقات ، وبه عطش . فسقاه طبيب دواء مسهلاً ثم فصده وسقاه دواء مقيئا فساءت حاله ، وادخله طبيب رومي الحمام ولطخ جميع جسمه بالنورة ولطخه بعد ذلك بعسل نحل والزم معدته ضماداً حاراً فاحتد مزاجه ، وكثر عطشه ، وبطلت شهوته وعرض له في الحال فالج في الشق الأيمن ، فسقي مـاء الشعير كثيراً فصلحت حاله من الاسترخاء في تمـام الاربعين . ثم وقف طبعه فحقن فقام دفعات ، وجاءه دم أسود غليظ فلم يجد له نفعاً ، ثم انقطعت شهوته واستولى عليه القيام والسهر فمات في الستين .

ابو الفرج بن الطيب

هو الفيلسوف الامام العالم أبو الفرج عبد الله بن الطيب ، وكان كاتب الجاثليق ومتميزاً فيالنصارى ببغداد ، ويقرىء صناعة الطب في البيمارستان العضدي ، ويعالج المرضى فيـه . ووجدت شرحه لكتاب جالينوس الى اغلوقن وقد قرىء عليه ، وعليـه الخط بالقراءة في البيمارستان العضدي في يوم الخميس الحادي عشر من شهر رمضان سنة ست واربعمائة ، وهو من الاطباء المشهورين في صناعة الطب وكان عظيم الشأن ، جليل المقدار ، واسع العلم ، كثير التصنيف ، خبيراً بالفلسفة ، كثير الاشتغال فيها . وقد شرح كتباً كثيرة من كتب ارسطوطاليس في الحكمة وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب ابقراط وجالينوس في صناعة الطب . وكانت له مقدرة قوية في التصنيف وأكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه إملاء من لفظه . وكان معاصراً للشيخ الرئيس بن سينا . وكان الشيخ الرئيس يحمد

(١) يبس وصلابة وغلظ .

كلامه في الطب . وأما في الحكمة فكان يذمه .

ومن ذلك قال في مقالته في الرد عليه ما هذا نصه :انه كان يقع الينا كتب يعملها الشيخ أبو الفرج ابن الطيب في الطب ، ونجدها صحيحة مرضية خلاف تصانيفه التي في المنطق والطبيعيات وما يجري معها .

وحدثني الشيخ موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف النصراني ، ان رجلين من بلاد العجم كانا قد قصدا بغداد للاجتماع بأبي الفرج بن الطيب والقراءة عليه ، والاشتغال عنده ، ولما وصلا دخلا بغداد وسألا عن منزل أبي الفرج فقيل لهما انه في الكنيسة للصلاة ، فتوجها نحوه ودخلا الكنيسة . فلما قيل لهما انه ذلك الشيخ وكان ابن الطيب في ذلك الوقت لابساً ثوب صوف ، وهو مكشوف الرأس وبيده مبخرة بسلاسل وفيها نار وبخور ، وهو يدور بها في نواحي الكنيسة ويبخر، تأملاه وتحدثا بالفارسية وبقيا يديمان النظر اليه ويتعجبان منه أنه على هذه الهيئة ويفعل هذا الفعل ، وهو من أجل الحكماء ، وسمعته في أقاصي البلاد بالفلسفة والطب ، وفهم عنهما ما هما فيه . ولما فرغ وقت الصلاة وخرج الناس من الكنيسة خرج أبو الفرج بن الطيب ولبس ثيابه المعتاد لبسها ، وقدمت له البغلة فركب والغلمان حوله ، وتبعاه أولئك العجم الى داره وعرفاه انهما قاصدان اليه من بلاد العجم للاشتغال ، وأن يكونا من جملة تلامذته . فاستحضرهما في مجلسه وسمعا كلامه ودروس المشتغلين عليه ثم قال لهما : كنتما حججتما قط ؟ قالا لا ! فماطلهما بالقراءة الى أوان الحج ، وكان الوقت قريباً منه . فلما نودي للحج قال لهما ان كنتما تريدان أن تقرآ علي وأن أكون شيخكما فحجا ، واذا جئتما مع السلامة ، ان شاء الله ، يكون كل ما تريدان مني في الاشتغال علي . فقبلا أمره وحجا ، ولما عاد الحاج جاءا اليه من أثر الحج وهما أقرعان وقد غلب الشحوب عليهما من حر الشمس والطريق ،فسألهما عن مناسك الحج وما فعلا فيها ، فذكرا له سورة الحال . وقال لهما : لما رأيتما الجمار بقيتما عراة موشحين وبأيديكما الحجارة ، وأنتما تهرولان وترميان بها ؟ قالا : نعم . فقال : هكذا الواجب ان الامور الشرعية تؤخذ نقلا لا عقلا . وما كان قصده بذلك ، وانه أمرهما بالحج الا حين يتبين لهما ان الحال التي رأياه عليها وتعجبا من فعله ان ذلك راجع إلى الأوامر الشرعية ، وهي فانما تؤخذ من اربابها متسلمة ممتثلة في سائر الملل . ثم اشتغلا عليه بعد ذلك الى أن تميزا وكانا من أجل تلاميذه .

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد أبي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان أبا الفرج بن الطيب أخذ عن ابن الخمار ، وخلف من التلاميذ : أبا الحسن بن بطلان ، وابن بدرج ، والهروي ، وبني حيون ، وأبا الفضل كتيفات ، وابن أثردى ، وعبدان ، وابن مصوصا ، وابن العليق .

قال : وكان في عصر أبي الفرج من الاطباء : صاعد بن عبدوس ، وابن تفاح ، وحسن الطبيب ، وبنوسنان ، والنائلي . وعنه أخذ : ابن سينا ، وأبو سعيد الفضل بن عيسى اليامي . وذكر لي انه من تلامذته : ابن سينا ، وعيسى بن علي بن ابراهيم بن هلال الكاتب ، وأظنه يكنى بكس ، وعلي بن عيسى الكحال ، وأبو الحسين البصري ، ورجاء الطبيب من أهل خراسان ، وزهرون .

ولابي الفرج بن الطبيب من الكتب : تفسير كتاب قاطيغورياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب باريمنياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب انالوطيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب انالوطيقا الثانية لارسطوطاليس . تفسير كتاب طوبيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب سوفسطيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب الخطابة لارسطوطاليس تفسير كتاب الشعر لارسطوطاليس . تفسير كتاب الحيوان لارسطوطاليس . تفسير كتاب ابيديميا لابقراط . تفسير كتاب الفصول لابقراط . تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط . تفسير كتاب الاخلاط لابقراط . تفسير كتاب الفرق لجالينوس . تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس . تفسير كتاب النبض الصغير لجالينوس . تفسير كتاب اغلوقن لجالينوس . تفسير كتاب الاسطقسات لجالينوس . تفسير كتاب المزاج لجالينوس . تفسير كتاب القوى الطبيعية لجالينوس . تفسير كتاب التشريح الصغير لجالينوس . تفسير كتاب العلل والاعراض لجالينوس. تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة لجالينوس . تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس . تفسير كتاب الحميات لجالينوس . تفسير كتاب البحران لجالينوس ، تفسير كتاب أيام البحران لجالينوس ، تفسير كتاب حيلة البرء لجالينوس . تفسير كتاب تدابير الاصحاء لجالينوس . ثمار الستة عشر كتاباً لجالينوس . وهو اختصار الجوامع .

شرح ثمار مسائل حنين بن اسحق املاه سنة خمس واربعمائة. كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية. تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس . مقالة في القوى الطبيعية. مقالة في العلة لم جعل لكل خلط دواء يستفرغه ، ولم لم يجعل للدم دواء يستفرغه مثل سائر الاخلاط . تعاليق في العين . مقالة في الاحلام وتفصيل الصحيح منها من السقيم على مذهب الفلسفة . مقالة في عراف أخبر بما ضاع وذكر الدليل على صحته بالشرع والطب والفلسفة . مقالة أملاها في جواب ما سئل عنه من ابطال الاعتقاد في الاجزاء التي لا تنقسم ، وهذا السؤال سأله اياه ظافر بن جابر السكري . ووجدت بخط ظافر بن جابر السكري على هذه المقالة ما هذا مثاله ، قال : هذه الكراسة بخط سيدنا الاستاذ الأجل أبي نصر محمد بن علي بن برزج تلميذ الشيخ أبي الفرج أملاها الشيخ أبو الفرج - أطال الله بقاءه ونكب أعداءه - عليه ببغداد . وكان السبب في ذلك ظافر بن جابر بن منصور السكري الطبيب ، وهي الدستور بعينها » . شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . مقالة مختصرة في المحبة ، شرح الانجيل .

ابن بطلان

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان . نصراني من أهل بغداد ، وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبدالله بن الطيب وتتلمذ له ، وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكمية وغيرها . ولازم أيضاً ابا الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها .

وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري ، وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان

المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأيا إلا ويرد الآخر عليه ، ويسفه رأيه فيه . وقد رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم ، ووقائع بعضهم في بعض .

وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منه الى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به ، وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولما وصل في طريقه الى حلب أقام بها مدة وأحسن اليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه أكراماً كثيراً . وكان دخوله الفسطاط[1] في مستهل جمادى الآخرة من سنة احدى وأربعين وأربعمائة ، وأقام بها ثلاث سنين، وذلك في دولة المستنصر[2] بالله من الخلفاء المصريين . وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت، ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة . وقد تضمن كثيراً من هذه الاشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان . ولابن رضوان كتاب في الرد عليه . وكان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الادب وما يتعلق به . ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها دعوة الأطباء : وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها .

وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة . وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيره بقبح الخلقة . وقد بين فيها ، بزعمه ، أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلاً . وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه ، ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وسمها دعوة الاطباء .

فلما تبدى للقوابل وجهه نكصن [3] على أعقابهن من الندم
وقلن وأخفين الكلام تسترا : ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

(الطويل)

وكان يلقبه بتمساح الجن ، وسافر ابن بطلان من ديار مصر الى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة .

ونقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله ، قال : « ومن مشاهير الاوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الاثاري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة ، فان في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الخريف . فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف النيل ، فمات في الفسطاط والشام أكثر اهلها ، وجميع الغرباء إلا من شاء الله . وانتقل الوباء الى العراق فأتى على أكثر أهله ، واستولى عليه

---

(١) اول مدن المسلمين في مصر بناها عمر بن العاص (٦٣٩) وكان موقعها بين القاهرة ومصر العتيقة وتسمى الآن امبابه .
(٢) الخليفة الفاطمي الثامن ملك ٥٨ سنة على دولة مترامية الاطراف (ن.ر)
(٣) رجع عما كان عليه .

الخراب بطروق العساكر المتعادية ، واتصل ذلك بها الى سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداوية وأورام الطحال ، وتغير ترتيب نوائب الحميات ، واضطرب نظـــام البحارين ، فاختلف علم القضاء في تقدمة المعرفة

وقال ايضاً بعد ذلك : ولان هذا الكوكب الاثاري طلع في برج[1] الجوزاء وهو طالع مصر أوقع الوباء في الفسطاط بنقصان النيل في وقت ظهوره في سنة خمس وأربعين وأربعمائة. وصح انذار بطليموس القائل: الويل لأهل مصر اذا طلع أحد ذوات الذوائب ، وانجهم[2] في الجوزاء». ولما نزل زحل[3] برج السرطان[4] تكامل خراب العراق والموصل[5] والجزيرة[6] ، واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان[7] وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام ؛ واضطربت أحوال ملوك الارض ، وكاثرت الحروب والغلاء والوباء ، وصح حكم بطليموس في قوله : « ان زحل والمريخ[8] متى اقترنا في السرطان زلزل العالم . »

ونقلت ايضاً من خط بن بطلان ، فيما ذكره من الاوباء العظيمة العارضة للثلم بفقد العلماء في زمانه قال : ما عرض في مدة بضع عشرة سنة بوفاة الأجل المرتضى والشيخ أبي الحسن البصري ، والفقيه أبي الحسن القدوري[9] ، وأقضى القضاة الماوردي[10] ، وابن الطيب[11] الطبري ، على جماعتهم رضوان الله ؛ ومن أصحاب علوم القدماء أبو علي بن[12] الهيثم وابو سعيد اليامي ، وأبو علي بن السمح ، وصاعد الطبيب وابو الفرج عبد الله بن الطيب ؛ ومن متقدمي علوم الادب والكتابة : علي ابن عيسى الربعي ، وابو الفتح النيسابوري ، ومهيار[13] الشاعر ، وأبو العلاء بن نزيك، وأبو علي ابن موصلايا ، والرئيس ابو الحسن الصابىء ، وأبو العلاء[14] المعري . فانطفأت سرج العلم وبقيت

---

(١) برج من ابراج السماء عند الفلكيين .
(٢) اصبح جهماً ، والجهم الكالح من الوجوه ،
(٣) كوكب تحيط به منطقة نيرة .
(٤) البرج الرابع من ابراج السماء .
(٥) لواء في العراق ومدينة لقبت بالحدباء موقعها على نهر دجلة بالقرب من انقاض نينوى .
(٦) بلاد بين دجلة والفرات وتعرف ببلاد ما بين النهرين القسم الشمالي الغربي منها يسمى الجزيرة والجنوبي الشرقي العراق.
(٧) قاعدة اقليم كرمان في ايران .
(٨) كوكب من الكواكب السيارة واقربها الى الشمس .
(٩) ابو الحسين احمد بن حمدان البغدادي الحنفي فقيه نسب الى صنعة القدور (٩٧٢ – ١٠٣٧).
(١٠) ابو الحن علي المصري البغدادي فقيه شافعي تولى القضاء واستوطن بغداد وتوفي فيها (٩٩١ – ١٠٣١) وله تصانيف كثيرة .
(١١) فقيه شافعي ولد في آمل وتعلم في نيسابور وبغداد . افتى بحق جـــلال الدولة على لقب ملك الملوك تعاطى القضاء « ٩٥٩ – ١٠٥٨ »
(١٢) من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات وفلسفة ارسطو « ٩٦٥ – ١٠٣٩ »
(١٣) مهيار بن مرزويه الديلمي كان مجوسياً واسلم على يد الشريف الرضي وتخرج عليه في الشعر . توفي في بغداد «١٠٣٧».
(١٤) ولد في معرة النعمان « ٩٧٩ – ١٠٥٨ » شاعر وفيلسوف ومفكر فقد بصره وهو في الرابعة من عمره . عاش معتزلاً زاهداً . وكان قوي الشعور ، ثاقب العقل ، لاذع الانتقاد ،

العقول بعدهم في الظلمة .

أقول : ولأبن بطلان أشعار كثيرة ونوادر ظريفة ، وقد ضمن منها أشياء في رسالته التي وسمها دعوة الاطباء وفي غيرها من كتبه . وتوفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة ، ولا خلف ولداً . ولذلك يقول من أبيات .

ولا أحد ان مت يبكي لميتتي سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا
(الطويل)

ولابن بطلان من الكتب : كناش الاديرة والرهبان ، كتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري ، كتاب تقويم الصحة. مقالة في شرب الدواء المسهل، مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الادوية المسهلة وتركيبها . مقالة الى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط في سنة احدى وأربعين واربعمائة ، جواباً عما كتبه اليه . مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والاقراباذينات ، وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة سبع وسبعين وثلثمائة والى سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وصنف ابن بطلان هذه المقالة بانطاكية في سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وكان في ذلك الوقت قد أهل لبناء بيمارستان انطاكية . مقالة في الاعتراض على من قال ان الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة في سنة احدى واربعين واربعمائة . كتاب المدخل الى الطب . كتاب دعوة الاطباء الفها للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان ونقلت من خط ابن بطلان وهو يقول في آخرها : « فرغت من نسخها انا مصنفها بوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون ، بدير الملك المتيح قسطنطين ، بظاهر القسطنطينية في آخر ايلول من سنة خمس وستين وثلثمائة وألف . » هذا قوله . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة خمسين واربعمائة . كتاب دعوة الاطباء . كتاب دعوة القسوس . مقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة .

الفضل بن جرير التكريتي

كان كثير الاطلاع في العلوم ، فاضلاً في صناعة الطب حسن العلاج . وخدم بصناعة الطب للامير نصير الدولة بن مروان .

وللفضل بن جرير التكريتي من الكتب : **مقالة في أسماء الأمراض واشتقاقاتها** ، كتبها الى بعض اخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح .

ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي

كان كأخيه في العلم والفضل والتميز في صناعة الطب ، وكان موجوداً في سنة اثنتين وسبعين واربعمائة .

وليحيى بن جرير التكريتي من الكتب: **كتاب الاختبارات في علم النجوم، كتاب في الباه ومنافع الجماع ومضاره. رسالة كتبها لكافي الكفاة** أبي نصر محمد بن محمد بن جهير في منافع الرياضة وجهة استعمالها .

ابن دينـار

كان بميافارقين في ايام الامير نصير الدولة بن مروان ، وكان فاضلا في صناعة الطب جيد المداواة خبيراً بتأليف الأدوية . ووجدت له اقراباذيناً بديع التأليف ، بليـغ التصنيف ، حسن الاختبار مرضي الاخبار . وابن دينار هذا هو الذي الف الشراب المنسوب اليه المعروف بشراب الديناري المتداول استعماله المشهور بين الاطباء وغيرهم . وذلك مذكور في كتابه هذا يقول انه الذي الفه ولابن دينار من الكتب : **كتاب الاقراباذين .**

ابراهيم بن بكس

كان ماهراً في علم الطب ، ونقل كتباً كثيرة الى العربي ، ثم كف بصره ، وكان مع ذلك يحاول صناعة الطب ويزاولها بحسب ما هو عليه ، وكان يدرس صناعة الطب في البيمارستان العضدي لما بناه عضد الدولة ، وكان له منه ما يقوم بكفايته .

ولابراهيم بن بكس من الكتب : **كناشه ، كتاب الاقرباذين** الملحق بالكناش ، **مقالة بأن المـاء القراح أبرد من ماء الشعير ، مقالة في الجدري .**

علي بن ابراهيم بن بكس

كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب مشهوراً بها جيد المعرفة بالنقل ، وقد نقل كتباً كثيرة الى العربي .

قسطا بن لوقـا البعلبكي

قال سليمان بن حسان : انه مسيحي النحلة ، طبيب حاذق ، نبيل ، فيلسوف ، منجم ، عـالم بالهندسة والحساب . قال : وكان في أيام المقتدر بالله . وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : ان قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى ، لا مطعن عليه ، فصيحاً في اللغة اليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، وتوفي بارمينية عند بعض ملوكها . ومن ثم أجاب أبا عيسى ابن المنجم عن رسالته في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وثم عمل : كتاب الفردوس في التاريخ .

أقول : ونقل قسطا كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى اللغة العربية وكان جيد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي واصلح نقولا كثيرة وأصله يوناني. وله رسائل وكتب كثيرة في صناعة الطب وغيرها ، وكان حسن العبارة جيد القريحة .

وقال عبيد الله بن جبرائيل : ان قسطا اجتذبه سنحاريب الى ارمينية [1] وأقام بها ، وكان بأرمينية أبو الغطريف البطريق من أهل العلم والفضل ، فعمل له قسطا كتباً كثيرة ، جليلة نافعة ، شريفة المعاني ، مختصرة الألفاظ في اصناف من العلوم ، ومات هناك فدفن وبني عليه قبة ، واكرم قبره كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع .

ولقسطا بن لوقا من الكتب : كتاب في اوجاع النقرس ، كتاب في الروائح وعللها . رسالة الى ابي محمد الحسن بن مخلد في احوال الباه واسبابه ، على طريق المسألة والجواب ، كتاب في الاعداء ألفه للبطريق فتى أمير المؤمنين . كتاب جامع في الدخول الى علم الطب الى ابي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبر . كتاب في النبيذ وشربه في الولائم ، كتاب في الاسطقسات. كتاب في السهر ، ألفه لأبي الغطريف البطريق مولى أمير المؤمنين ، كتاب في العطش ، الفه لابي الغطريف مولى امير المؤمنين . كتاب في القوة والضعف ، كتاب في الأغذية على طريق القوانين الكلية ، ألفه لبطريق البطارقة ابي غانم العباس بن سنباط كتاب في النبض ومعرفة الحميات وضروب البحرانات ، كتاب في علة الموت فجأة ، ألفه لأبي الحسن محمد بن احمد ، كاتب بطريق البطارقة ، كتاب في معرفة الخدر وأنواعه وعلله وأسبابه وعلاجه ، ألفه لقاضي القضاة أبي محمد الحسن بن محمد . كتاب في أيام البحران في الامراض الحادة ، كتاب في الأخلاط الأربعة وما تشترك فيه . مختصر كتاب في الكبد وخلقتها وما يعرض فيهـا من الأمراض ، رسالة في المروحةوأسباب الريح . كتاب في مراتب قراءة الكتب الطبية ، كتبه الى ابي الغطريف البطريق ، كتاب في تدبير الابدان في سفر الحج ، ألفه لابي محمد الحسن بن مخلد ، كتاب في دفع ضرر السموم . كتاب في المدخل الى علم الهندسة ، على طريق المسألة والجواب ، ألفه لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين . كتاب آداب الفلاسفة ، كتاب في الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق ، كتاب في تولد الشعر ، كتاب في الفرق بين النفس والروح ، كتاب في الحيوان الناطق ، كتاب في الجزء الذي لا يتجزأ . كتاب في حركة الشريان ، كتاب في النوم والرؤيا ، كتاب في العضو الرئيس من البدن ، كتاب في البلغم ، كتاب في الدم، كتاب في المرة الصفراء كتاب في المرة السوداء ، كتاب في شكل الكرة والاسطوانة ، كتاب في الهيئة وتركيب الافلاك ، كتاب في حساب التلاقي على جهة الجبر والمقابلة ، كتاب في ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة ، كتاب في العمل بالكرة الكبيرة النجومية ، كتاب في الآلة التي ترسم عليها الجوامع وتعمل منها النتائج، كتاب في المتعة ، كتاب في المرايا المحرقة كتاب في الاوزان والمكاييل ، كتاب السياسة ، ثلاث مقالات ، كتاب العلة في اسوداد الحبش وتغيره من الرش ، كتاب في القرسطون ، كتاب في الاستدلال بالنظر الى أصناف البول ، كتاب المدخل الى المنطق ، كتاب مذهب اليونانيين . رسالة في الخضاب ، كتاب في شكوك كتاب اقليدس ، كتاب الفصد ، وهو أحد وتسعون باباً ألفه لأبي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبر . كتاب المدخل الى علم النجوم ، كتاب الحمام ، كتاب الفردوس في التاريخ . رسالة في استخراج مسائل عدديات من المقالة الثالثة من اقليدس . تفسير ثلاث مقالات ونصف من كتاب برفنطس في المسائل العددية ، كتاب

«١» بلاد ذات انجاد وجبال اهمها ارارات جنوبي القفقاس يجتازها نهر اراس .

في عبارة كتب المنطق ، وهو المدخل الى كتاب أيساغوجي ، كتابب أيساغوجي ، كتاب في البخار رسالة الى ابي علي بن بنان بن الحرث . مولى أمير المؤمنين فيما سأل عنه من علل اختلاف الناس في اخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم ، مسائل في الحدود على رأي الفلاسفة .

مسكويـــه (١)

هو ابو فاضل في العلوم الحكمية متميز فيها خبير بصناعة الطب ، جيد في أصولها وفروعها .
ولمسكويه من الكتب : كتاب الاشربة ، كتاب الطبيخ ، كتاب تهذيب الاخلاق .

أحمد بن أبي الاشعث

هو أبو جعفر أحمد بن محمـــد بن أبي الاشعث ، كان وافر العقل ، سديد الرأي محباً للخير ، كثير السكينة والوقار ، متفقها في الدين . وعمر عمراً طويلاً ، وله تلاميذ كثيرة . وكان فاضلاً في العلوم الحكمية متميزاً فيها : وله تصانيف كثيرة في ذلك تدل على ما كان عليه من العلم وعلو المنزلة . وله كتاب في العلم الالهي في نهاية الجودة وقد رأيته بخطه . رحمه الله تعـــالى . وكان عالماً بكتب جالينوس خبيراً بها ، متطلعاً على اسرارها ؛ وقد شرح كثيراً من كتب جالينوس . وهو الذي فصل كل واحد من الكتب الستة عشر التي لجالينوس الى جمل وابواب وفصول ، وقسمها تقسيما لم يسبقه الى ذلك أحد غيره . وفي ذلك معونة كثيرة لمن يشتغل بكتب الفاضل جالينوس، فانه يسهل عليه كل ما يلتمسه منها ، وتبقى له اعلام تدله على ما يريـــد مطالعته من ذلك ؛ ويتعرف به كل قسم من أقسام الكتاب وما يشتمل عليه وفي اي غرض هو . وفصّل أيضاً كذلــك كثيراً من كتب ارسطوطاليس وغيره ؛ وجملة مصنفات أحمد بن أبي الاشعث في صناعة الطب وغيرها. كل منها تام في معناه لا يوجد له نظير في الجودة .

ونقلت من كتاب عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع قال :ذكر لي من خبر احمد بن أبي الأشعث ، رحمه الله ، انه لم يكن منذ ابتدأ عمره يتظاهر بالطب ، بل كان متصرفاً وصودر ، وكان أصله من فارس ، فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع . واتفق انه كان لناصر الدولة ولد عليل في حالة من قيام الدم والاغراس ، وكان كلما عالجته الاطباء ازداد مرضه ، فتوصل الى ان دخل عليه وقال لامه أنا أعالجه . وبدأ يريها غلط الاطباء في التدبير ، فسكنت اليه ، وعالجه فبرأ ، وأعطي وأحسن اليه . وأقام بالموصل الى آخر عمره ، واتخذ له تلاميذ عدة ، الا أن الخاص به والمتقدم عنده كان أبو الفلاح . وبرع في صناعة الطب .

اقول : وكانت وفاة أحمد بن أبي الاشعث ، رحمه الله ، في سنة ثلثمائـــة ونيف وستين للهجرة ،

---

(١) هكذا في الأصل والاصح هو ابن مسكويه وله من الكتب غير المذكورة هنا كتاب « تجارب الأمم » في التاريخ وصل به الى حوادث سنة ٩٨٠ .

وكان له عدة اولاد ، والذي وجدته مشهوراً منهم في صناعة الطب محمد .

ولأحمد بن أبي الاشعث من الكتب : كتاب الأدوية المفردة، ثلاث مقالات،وكان السبب الباعث له على تصنيفه قوم من تلامذته سألوه ذلك وهذا نص كلامه في صدر الكتاب: قال: «سألني أحمد بن محمد البلدي أن أكتب هذا الكتاب ، وقديماً كان سألني محمد بن ثواب ، فتكلمت في هذا الكتاب بحسب طبقتهما وكتبته اليهما وبدأت به في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، وهما في طبقة من تجاوز تعلم الطب ، ودخلا في جملة من يتفقه فيما علم من هذه الصناعة ويفرع ويقيس ويستخرج ، والى من في طبقتهما من تلامذتي ومن إئتمّ بكتبي.فان من أراد قراءة كتابي هذا،وكان قد تجاوز حد التعليم الى حد التفقه ، فهو الذي ينتفع به ويحظى بعلمه ، ويقدر أن يستخرج منه ما هو فيه بالقوة مما لم اذكره ، وان يفرع على ما ذكرته ويشيد . وهذا قولي لجمهور الناس دون ذوي القرائح الافراد ، التي يمكنها تفهم هذا وما فوقه بقوة النفس الناطقة فيهم . فان هؤلاء تسهل عليهم المشقة في العلم ، ويقرب لديهم ما يطول على غيرهم . » كتاب الحيوان . كتاب في العلم الالهي ، مقالتان فرغ من تأليفه فيذي القعدة سنة خمس وخمسين وثلثمائة . كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء ، مقالتان.كتاب في السرسام والبرسام ومداواتهما ، ثلاث مقالات،صنفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصلي،أملاه عليه املاء من لفظه،وكتبه عنه بخطه ، وذكر تاريخ الاملاء والكتابة في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة . كتاب في القولنج وأصنافه ومداواته والادوية النافعة منه ، مقالتان . كتاب في البرص والبهق ومداواتهما ، مقالتان . كتاب في الصرع وكتاب آخر في الصرع . كتاب في الاستسقاء . كتاب في ظهور الدم، مقالتان . كتاب الماليخوليا . كتاب تركيب الادوية . مقالة في النوم واليقظة . كتبها الى أحمد بن الحسين ابن زيد بن فضالة البلدي بحسب سؤاله على لسان عزور بن الطيب اليهودي البلدي . كتاب الغاذي والمغتذي، مقالتان ، فرغ من تأليفه بقلعة برقى من ارمينية في صفر سنة ثمان واربعين وثلثمائة . كتاب امراض المعدة ومداواتها . شرح كتاب الفرق لجالينوس ، مقالتان، فرغ منه في رجب سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، شرح كتاب الحميات لجالينوس .

محمد بن ثواب الموصلي

هو أبو عبدالله محمد بن ثواب بن محمد ، ويعرف بابن الثلاج ، من أهل الموصل ؟ فاضل في صناعة الطب ، خبير بالعلم والعمل . وشيخه في صناعة الطب أحمد بن أبي الاشعث ، لازمه واشتغل عليه وتميز . وكتب بخطه كتباً كثيرة .

أحمد بن محمد البلدي

هو الشيخ أبو العباس احمد بن محمد بن يحيى من مدينة بلد [1] .وكان خبيراً بصناعة الطب ، حسن

«١» مدينة بالجزيرة او مدينة بفارس .

العلاج والمداواة ، وكان من أجل تلامذة أحمد بن أبي الاشعث . لازمه مدة سنين واشتغل عليه وتميز.

ولاحمد بن محمد البلدي من الكتب : كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم ، صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن يوسف المعروف بابن كلس [1] وزير العزيز بالله في الديار المصرية .

ابن قوسين

كان طبيباً مشهوراً في زمانه ، وله دراية بصناعة الطب ، ومقامه بالموصل . وكان يهودياً وأسلم ، وعمل مقالة في الرد على اليهود .

ولابن قوسين من الكتب ، مقالة في الرد على اليهود .

علي بن عيسى وقيل عيسى بن علي الكحال

كان مشهوراً بالحذق في صناعة الكحل متميزاً فيها وبكلامه يقتدى في أمراض العين ومداواتها . وكتابه المشهور « بتذكرة الكحالين » هو الذي لا بد لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه ، وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي قد الفت في هذا الفن وصار ذلك مستمراً عندهم ، وكلام علي بن عيسى في أعمال صناعة الكحل أجود من كلامه فيما يتعلق بالامور العلمية وكانت وفاته سنة (*) وأربعمائة . ولعلي بن عيسى من الكتب : كتاب تذكرة الكحالين ، ثلاث مقالات .

ابن الشبل البغدادي

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان حكيماً فيلسوفاً ، ومتكلماً فاضلاً ، وأديباً بارعاً ، وشاعراً مجيداً ، وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة .

ومن شعر قاله في الحكمة ، وهذه القصيدة من جيد شعره ، وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم الحكمية والاسرار الالهية . وبعض الناس ينسبها الى ابن سينا وليست له وهي هذه :

بربك أيها الفلك المدار	اقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك ، قل لنا في أي شيء	ففي أفهامنا منك ابتهار
وفيك نرى الفضاء، وهل فضاء	سوى هذا الفضاء ، به تدار
وعندك ترفع الارواح أم هل	مع الاجساد يدركها البوار
وموج،ذا المجرة أم فرند ،	على لجج الدروع له أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعاً	باجنحة قوادمها [2] قصار

---

(١) يهودي من اهل بغداد اشتهر بادارته المالية ثم أسلم واصبح حجة في العلوم الاسلامية « ٩٣٠ - ٩٩١ » «ن.ر»

(*) بياض بالاصل .

(٢) كبار الريش وهي التي في مقدمة الجناح وضدها الخوافي .

وطوقٌ في النجوم، من الليالي ، هلالك ام يد فيها سوار
وشهبٌ ذا الخواطف أم ذبال عليها المرخ[1] يقدح والعفار[2]
وترصيعٌ نجومك أم حباب[3] تؤلف بينه اللجج الغزار
تمد رقومها ليلاً ، وتطوي نهاراً ، مثل ما طوي الازار
فكم بصقالها[4] صدي البرايا وما يصدى لها أبداً غرار
تباري ثم تخنس[5] راجعات وتكنس[6] مثل ما كنس الصوار[7]
فبينا الشرق يقدمها صعوداً تلقاها من الغرب انحدار
على ذا ما مضى وعليه يمضي طوالُ منى وآجال قصار
وأيام تعرفنا مداها لها أنفاسنا أبداً شفار
ودهر ينثر الاعمار نثراً كما للغصن بالورد انتثار
ودنيا كلما وضعت جنيناً غذاه من نوائبها ظؤار[8]
هي العشواء ما خبطت هشيم هي العجماء ما جرحت جبار
فمن يوم بلا أمس ليوم بغير غد إليه بنا يسار
ومن نفسين في أخذ ورد لروع المرء في الجسم انتشار
وكم من بعد ما ألفت نفوس حسوماً عن مجاثمها تطار
ألم تك بالجوارح آنسات فكم بالقرب عاد لها نفار
فان يك آدم أشقى بنيه بذنب ماله منه اعتذار
ولم ينفعه بالاسماء علم وما نفع السجود ولا الجوار
فاخرج ثم أهبط ثم أودي فترب السافيات له شعار
فأدركه بعلم الله فيه من الكلمات للذنب اغتفار
ولكن بعد غفران وعفو يُعَيَّر ما تلا ليلاً نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه وحل بآدم وبنا الصغار[9]
وتهنا ضائعين ، كقوم موسى ولا عجل أضل ولا خوار[10]

---

(١) شجر رقيق سريع الوري يقتدح به .
(٢) شجر يتخذ منه الزناد .
(٣) الفقاقيع التي تعلو الماء او الخمر .
(٤) صقل الشيء : جلاه وملسه .
(٥) تتأخر وتنقبض .
(٦) تغيب وتستتر .
(٧) قطيع البقر .
(٨) واحدها ظئر وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له .
(٩) الذل والضيم .
(١٠) صوت البقر ويطلق ايضاً على صوت الغنم والظباء والهام .

فيا لك أكلة ما زال منها ... علينا نقمة وعليه عار !
تعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويُذبح في حشا الام الحوار[1]
وننتظر الرزايا والبلايا ، ... وبعد ، فبالوعيد لنا انتظار ؟
ونخرج كارهين كما دخلنا ... ، خروج الضب أحوجه الوجار[2]
فماذا الامتنان على وجود ... لغير الموجدين به الخيار ؟
وكانت أنعما لو أن كونا ... نخير قبله أو نستشار .
أهذا الداء ليس له دواء ، ... وهذا الكسر ليس له انجبار ؟
تحير فيه كل دقيق فهم ... وليس لعمق جرحهم انسبار
اذا التكوير[3] غال الشمس عنا ، ... وغال كواكب الليل انتثار ،[4]
وبدلنا بهذي الارض أرضا ، ... وطوح بالسموات انفطار ،
وأذهلت المراضعُ عن بنيها ... لحيرتها ، وعطلت العشار[5] ،
وغشى البدر ، من فرق وذعر ، ... خسوف للتوعد لا سرار ،[6]
وسيرت الجبال فكن كثبا ... مهيلات ، وسجرت البحار ،
فاين ثبات ذي الالباب منا ... وأين مع الرجوم لنا اصطبار ؟
وأين عقول ذي الافهام مما ... يراد بنا ، وأين الاعتبار ؟
وأين يغيب لب كان فينا ... ضياؤك من سناه مستعار ؟
وما أرض عصته ولا سماء ، ... ففيم يغول أنجمها انكدار ؟
وقد وافته طائعة ، وكانت ... دخانا ما لقاتره[7] شرار ،
قضاها سبعة والارض مهدا ... دحاها فهي للاموات دار .
فما لسمو ما أعلا انتهاء ... ولا لسمو ما أرسى قرار ،
ولكن كل ذا التهويل فيه ... لذي الالباب وعظ وازدجار .
(الوافر)

وقال يرثي أخاه أحمد :

غاية الحزن والسرور انقضاء ، ... ما لحى من بعد ميت بقاء .

«١» ولد الناقة قبل ان يفصل عنها .
«٢» الجحر .
«٣» التلفيف على جهة الاستدارة اي يلف ضوؤها فتذهب .
«٤» التفرق كالحب المنثور .
«٥» النياق الحاملات اللواتي مضى على حملهن عشرة اشهر او ثمانية واحدها عشراء وهي كالنفساء من النساء
«٦» آخر ليلة من الشهر . «ن . ر»
«٧» البخيل الذي يضيق على اهله .

لا لبيد [1] باربد [2] مات حزنا وسلت عن شقيقها الخنساء [3]
مثل ما في التراب يبلى الفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء .
غير أن الاموات زالوا وابقوا غصصاً لا يسيغه الاحياء ،
انما نحن بين ظفر وناب من خطوب أسودهن ضِراء .
نتمنى ، وفي المنى قصر العمر ، فنغدو بما نسر نساء ،
صحة المرء للسقام طريق ، وطريق الفناء هذا البقاء ؛
بالذي نغتذي نموت ونحيا ، أقتل الداء للنفوس ، الدواء.
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا نت ولا كان أخذهاوالعطاء ،
راجع جودها عليها ، فمهما يهب الصبح ، يسترد المساء .
ليت شعري حلماً تمر بنا الايام ، أم ليس تعقل الاشياء ؟
من فساد يجنيه للعالم الكو ن فما للنفوس منه اتقاء ،
قبّح الله لذة لأذانا نالها الامهات والآباء ،
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد ، فايجادنا علينا بلاء
وقليلا ما تصحب المهجة الجسم ، ففيم الاسى وفيم العناء؟
ولقد أيد الاله عقولاً حجة العود ، عندها ، الابداء
غير دعوى قوم على الميت شيئاً أنكرته الجلود والاعضاء .
واذا كان في العيان خلاف ، كيف بالغيب يستبين الخفاء ؟
ما دهانا من يوم أحمد إلا ظلمات ، ولا استبان ضياء ،
يا أخي عاد بعدك الماء سما ، وسموماً ذاك النسيم الرخاء ؛
والدموع الغزار ، عادت من الأ نفاس ناراً تثيرها الصعداء ،
وأعدّ الحياة عذراً وان كا نت حياة يرضى بها الاعداء
اين تلك الخلال ، والحزم ، اين العزم ، اين السناء ، اين البهاء ؟
كيف أودى النعيم من ذلك الظل وشيكا ، وزال ذاك الغناء .
اين ما كنت تنتضي من لسان في مقام للمواضي انتضاء ؟
كيف أرجو شفاءما بي ، وما بي دون سكناي في ثراك شفاء ؟
أين ذاك الرواء والمنطق المو نق ؟ أين الحياء ؟ أين الاباء ؟
ان محا حسنك التراب فما للدمع يوماً من صحن خدي انمحاء !
أو تبن لم يبن قديم وداد أو تمت لم يمت عليك الثناء .

«١» شاعر جاهلي من اصحاب المعلقات من بني عامر انتقل الى الكوفة بعد اسلامه
«٢» اسم اخيه وهو اربد بن قيس .
«٣» اعظم شواعر العرب قتل اخواها فرثتها . واسلمت مع قومها واشترك أولادها الاربعة وقتلوا في معركة القادسية .
«ن . ر»

شطر نفسي دفنت، والشطر باق يتمنى ، ومن مناه الفناء ؟
إن تكن قدمته ايدي المنايا فالى السابقين تمضي البطاء .
يدرك الموت ، كل حي ، ولو أخفته عنه في برجهـا الجوزاء
ليت شعري ، وللبلى كل ذي الخلق ، بماذا تميز الانبياء ؟
موت ذا العـالم المفضل بالنطق ، وذا السارح البهيم ، سواء ،
لا غوي لفقده تبسم الارض ولا للتقي تبـكي السماء !
كم مصابيح أوجـه أطفأتها تحت أطباق رمسها البيداء ؟
كم بدور ، وكم شموس ، وكم أطواد حلم ، أمسى عليهـا العفاء ؟
كم محا غرة الكواكب صبح ؟ ثم حطت ضياءها الظلماء ،
انما الناس قادم اثر ماض ، بدء قوم للآخرين انتهاء .

(الخفيف)

وقـال أيضاً

وكأنما الانسان فيه غـيره متكوناً ، والحسن فيه معار
متصرفاً وله القضاء مصرّف ، ومكلفـاً وكأنـه مختار
طوراً تصوبه الحظوظ ، وتارة خطأً تحيل صوابه الاقدار
تعمى بصيرته ويبصر بعدما لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ندماً اذا لعبت به الأفكار
لا يعرف الافراط في ايراده حتى يبينه له الاصدار
(الوافر)

وقال من أبيات :

اذا انحنى الزمـان على كريم أعار صديقه قلب العـدو

(الوافر)

وقال أيضاً :

تلق بالصبر ضيف الهم ترحله ان الهموم ضيوف أكلها المهج
فالخطب ما زاد إلاوهو منتقص والامر ماضاق الا وهو منفرج
فروح النفس بالتعليل ترض به عسى الى ساعة من ساعة فرج

(البسيط)

وقال ايضاً :

تسل عن كل شيء بالحياة فقد ... يهون بعد بقاء الجوهر العرض
يعوض الله مالاً أنت متلفه ، ... وما عن النفس، ان أتلفتها، عوض

(البسيط)

وقال أيضاً :

وعلى قدر عقله فاعتب المرء ... وحاذر[1] براً يصير عقوقا [2]
كم صديق بالعتب صار عدواً ... وعـــدو بالحلم صار صديقا

(الخفيف)

وقال ايضاً :

ليكفيكم مـــا فيكم من جوى نلقى ... فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقا
وحرمة ودي ، لاسلوت هواكم ... ولا رمت منه ، لا فكاكا ولاعتقا
سأزجر قلباً ،رام في الحب سلوة ، ... وأهجره ان لم يمت بـــكم عشقا
عذبت الهوى ، ياصاح، حتى ألفته ... فاضناه لي أشفى ، وافناه لي ابقى
فلا الصبر موجود، ولا الشوق بارح، ... ولا ادمعي تطفي اللهيب ولا ترقا[3] !
أخاف ، اذا ما الليل ، مد سدوله ... على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقا
ايجمل أن أجزى عن الوصل بالجفا ... وينعم طرفي والفؤاد بـــكم يشقى
أحظي هذا ، أم كذا كل عاشق ... يضام فلا يعفى، ويظمى فلا يسقى ؟
سل الدهر، عل الدهر يجمع بيننا ، ... فلم أر مخلوقـــاً على حالة يبقى !

(الطويل)

وقال أيضاً :

ان تكن تجزع من دمعي ، اذا فاض ، فصنه ،
أو تكن أبصرت يوماً سيدا يعفو ، فكنه ،
أنا لا أصبر عـــن لا يحل الصبر عنـــه ،
كل ذنب في الهوى يغفر لي مـــا لم أخنه

(الرمل)

«١» الرحيم البار .
«٢» العاصي اوامر والده المستخف به .
(٣) جف وانقطع.

وقال أيضاً :

ثقلت زجاجات ، أتتنا فرغـا ، حـتى اذا ملئت بصرف الراح ،
خفت فكادت أن تطير بما حوت ، وكذا الجسوم تخـف بالارواح
(الكامل)

وقال أيضاً :

قالوا : القناعة عز، والكفاف غنى والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم ، من رضاه سدجوعته ، ان لم يصبه ، بماذا عنه يقتنع ؟
(البسيط)

وقال أيضاً :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة : سر،ومال ما استطعت، ومذهب .
فعلى الثلاثـة تبتلى بثلاثـة : بمكفر ، وبحاسد ، ومكذّب
(الكامل)

وفي هذا المعنى قد قال بعضهم نثراً ، وفيه جناس : « الرجل يخفي ذهبه ومذهبه وذهابه».

وقال : أيضاً :

قالوا،وقد مات محبوب فجعت به وبالصبا ، وأرادوا عنه سلواني :
ثانيه في الحسن موجود،فقلت لهم : من أين لي في الهوى الثاني صبا ثاني؟
(البسيط)

وقال ايضاً :

وفي اليأس احدى الراحتين لذي الهوى على ان احدى الراحتين عذاب .
أعف وبي وجد،وأسلو وبي جوى، ولو ذاب مني أعظم واهاب .
وآنف أن تعتاق همي خريدة [1] بلحظ، وأن يروي صداي [2] رضاب
فلا تنكري عز الكريم على الاذى ، فحين تجـوع الضاريات تهاب
(الطويل)

وقال أيضاً :

بنا ، الى الدير من درتا ، صبابات. فلا تلمني فما تغني الملامـات .
لا تبعدن ، وان طال الزمان به ، أيام لهو عهـدناه وليـلات

---

(١) الفتاة البكر لم تمس او الحيية الطويلة السكوت .
(٢) عطشى .

فكم قضيت لبانات الشباب بها — غنما ، وكم بقيت عندي لبانات !
ما أمكنت دولة الافراح مقبلة — فانعم ولذ ، فان العيش تارات ،
قبل ارتجاع الليالي وهي عارية ؛ — وانما لذة الدنيا اعارات .
قم فاجل في فلك الظلماء شمس ضحى — بروجها الدهر ، طاسات وجامات ،
لعله ان دعا داعي الحمام بنا — نقضي ، وأنفسنا منا رِويات .
بم التعلل ؟ لولا ذاك من زمن — احياؤه باعتياد الهمّ أموات
دارت تحيي ، فقابلنا تحيتها ، — وفي حشاها لفزع المزج روعات
عذراء أخفى لنا بدور صورتها — لم يبق من روحها الا حشاشات
مدت سرادق برق من أبارقها — على مقابلها منها بلالات ،
فلاح في أذرع الساقين أسورة — تبرأ ، وفوق نحور الشرب جامات[1] .
قد وقّع الدهر سطرا في صحيفته : — لا فارقت شارب الخمر المسرات .
خذ ما تعجل ، واترك ماوعدت به ، — فعل اللبيب : فللتأخير آفات ،
والسعادة أوقات ميسرة — تعطي السرور ، وللاحزان أوقات .

البسيط

ابن بختويه

هو ابو الحسين عبدالله بن عيسى بن بختويه ، كان طبيباً وخطيباً من أهل واسط[2]، لديه معرفة ، وكلامه في صناعة الطب كلام مطلع على تصانيف القدماء ، وله نظر فيها ودراية لها . وكان والده أيضاً طبيباً .

ولأبي الحسين بن بختويه من الكتب : كتاب المقدمات ، ويعرف ايضاً بكنز الاطباء ، ألفه لولده في سنة عشرين وأربعمائة ، كتاب الزهد في الطب ، كتاب القصد الى معرفة الفصد .

أبو العلاء صاعد بن الحسن

من الفضلاء في صناعة الطب ، والمتميزين من أهلها ، وكان ذكياً بليغاً ، ومقامه بمدينة الرحبة[3] وله من الكتب : كتاب التشويق الطبي ، صنفه بمدينة الرحبة في رجب سنة أربع وستين واربعمائة .

---

(١) الأكؤس . (ن.ر)

(٢) مدينة في العراق انشأها الحجاج بن يوسف بين الكوفة والبصرة . وبعد ان تحولت عنها مياه دجلة توارت تحت رمال الصحراء .

(٣) مدينة على الفرات الأرسط اسسها مالك التغلبي ايام المأمون وتعرف برحبة مالك وقد اصبحت اليوم اثار المدينة .

زاهد العلماء

هو أبو سعيد منصور بن عيسى، وكان نصرانياً نسطورياً[1]، وأخوه مطران نصيبين المشهور بالفضل وخدم زاهد العلماء بصناعة الطب ، نصير الدولة بن مروان الذي ألف له ابن بطلان دعوة الاطباء . وكان نصير الدولة محترماً لزاهد العلماء، معتمداً عليه في صناعته ، محسناً اليه . وزاهد العلماء هو الذي بنى بيمارستان ميافارقين .

وحدثني الشيخ سديد الدين بن رقيقة الطبيب : ان سبب بناء بيمارستان ميافارقين هو ان نصير الدولة بن مروان لما كان بها مرضت ابنة له ، وكان يرى لها كثيراً ، فآلى على نفسه انها متى برئت أن يتصدق بوزنها دراهم . فلما عالجها زاهد العلماء وصلحت ، أشار على نصير الدولة ان يجعل جملة هذه الدراهم ، التي يتصدق بها ، تكون في بناء بيمارستان ينتفع الناس به ، ويكون له بذلك أجر عظيم ، وسمعة حسنة . قال فأمره ببناء البيمارستان ، وأنفق عليه أموالاً كثيرة ، وقف له املاكاً تقوم بكفايته ، وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج اليه شيئاً كثيراً جداً فجاء لا مزيد عليه في الجودة .

ولزاهد العلماء من الكتب : كتاب البيمارستانات ، كتاب في الفصول والمسائل والجوابات ، وهي جزآن : الاول يتضمن ما اثبته الحسن بن سهل مما وجده في خزانته رقاع وكراريس وأدراج وغير ذلك من المسائل والجوابات . والجزء الثاني على جهة الفصول والمسائل وجوابات أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيمارستان الفارقي . كتاب في المنامات والرؤيا . كتاب فيما يجب على المتعلمين لصناعة الطب تقديم علمه ، كتاب في امراض العين ومداواتها .

المقبلي

هو ابو نصر محمد بن يوسف المقبلي ، فاضل في صناعة الطب ، من المتميزين فيها ، والأعيان من أربابها .

وللمقبلي من الكتب : مقالة في الشراب تلخيص كتاب المسائل لحنين بن اسحق .

النيلي

هو ابو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلي ، مشهور بالفضل ، عالم بصناعة الطب ، جيد التصنيف ، متفنن في العلوم الادبية ، بارع في النظم والنثر ومن شعره .

يا مفدّى العذار والخد والقد بنفسي ، وما أراها كثيراً !

---

(١) فرقة من النصارى اصحاب نسطور الحكيم . «ن.ر»

ومعيري من سقم عينيه سقماً دمت مضنى به ودمت معيراً ،
اسقني الراح ، تشف لوعة قلب بات مذ بنت للهموم سميرا .
هي في الكاس خمرة فاذا مـــا أفرغت في الحشا استحالت سرورا
(الخفيف)

(وللنيلي) من الكتب : اختصار كتاب المسائل لحنين ، تلخيص شرح جالينوس لكتاب الفصول مع نكت من شرح الرازي .

اسحق بن علي الرهاوي

كان طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس ، وله أعمال جيدة في صناعة الطب .

ولاسحق بن علي الرهاوي من الكتب : كتاب أدب الطبيب . كناش جمعـــه من عشر مقالات لجالينوس المعروفة بالميامر في تركيب الادوية بحسب أمراض الاعضاء من الرأس الى القدم ، جوامـــع جمعها من اربعة كتب جالينوس التي رتبها الاسكندرانيون في أوائل كتبه ، وهي كتاب الفرق ، وكتاب الصناعة الصغيرة ، وكتاب النبض الصغير وكتابه الى أغلوقن ، وجعل هذه الجوامع على طريق الفصول وأوائل فصولها أعلى حروف المعجم .

سعيد بن هبة الله

هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين من الاطباء المتميزين في صناعة الطب . وكان أيضاً فاضلاً في العلوم الحكمية مشتهراً بها . وكان في ايام المقتدي بأمر الله[1]وخدمه بصناعة الطب وخدم أيضاً ولده المستظهر [2] بالله.

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب في كتاب « الشامل في الطب» : ان الطب انتهى في عصرنا الى أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين . وولد في ليلة السبت الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ على أبي العلاء بن التلميذ ، وعلى أبي الفضل كتيفات وعلى عبدان الكاتب . وألف كتباً كثيرة طبية ومنطقية وفلسفية وغير ذلك ، ومات ليلة الاحـــد سادس شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وأربعمائـــة ، وعاش ستاً وخمسين سنة ، وخلف من التلاميذ جماعة موجودين .

وحدثني الحكيم رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب النصراني ان أبا الحسن سعيد بن هبة الله كان يتولى مداواة المرضى في البيمارستان العضدي.وانه كان يوماً في البيمارستان وقد أتى الى قاعة المرورين

---

(١) خليفة عباسي « ١٠٧٥ – ١٠٩٤ » كان الحكم في ايامه بيد السلجوقيين ولم يتركوا له إلا السلطة الروحية .
(٢) الخليفة العباسي الثامن والعشرين توفي سنة ١١١٨ وفتح الصليبيون على ايامه القدس سنة ١٠٩٩ (ن.د)

لتفقد احوالهم ومعالجتهم ، واذا بامرأة قد أتت اليه واستفتته فيما تعالج به ولداً لها فقال : « ينبغي أن تلازميه بتناول الاشياء المبردة المرطبة . » فهزأ به بعض من كان مقيماً في تلك القاعة من المرورين وقال : هذه صفة يصلح أن تقولها لاحد تلامذتك ممن يكون قد اشتغل بالطب وعرف أشياء من قوانينه ، وأما هذه المرأة فأي شيء تدري ما هو من الاشياء المبردة المرطبة ، وانما سبيله أن تصف لها شيئاً معيناً تعتمد عليه . ثم قال له بعد ذلك : ولا ألومك في قولك هـذا فانك قد فعلت ما هو أعجب منه . فسأله عن ذلك ، فقال : صنفت كتاباً مختصراً وسميته المغني في الطب ، ثم انك صنفت كتاباً آخر في الطب بسيطاً يكون على قدر أضعاف كثيرة من ذلك الكتاب الأول وسميته الاقناع . وكان الواجب ان يكون الامر على خلاف ما فعلته من التسمية . فاعترف بذلك لمن حضره وقال : والله لو أمكنني تبديل اسم كل واحد منهما بالآخر لفعلت. وانما قد تناقل الناس الكتابين وعرف كل واحد منهما بما سميته به .

أقول : وكان ابو الحسن سعيد بن هبة الله موجوداً في سنة تسع وثمانين وأربعمائة لأني وجدت خطه في ذلك التاريخ على كتابه التلخيص النظامي ، وقد قرأه عليه أبو البركات .

ولسعيد بن هبةالله من الكتب : كتاب المغني في الطب صنفه للمقتدي بامر الله . مقالة في صفات تراكيب الادوية المحال عليها في كتاب المغني . كتاب الاقناع . كتاب التلخيص النظامي . كتاب خلق الانسان . كتاب في اليرقان . مقالة في ذكر الحدود والفروق . مقالة في تحديد مبادىءالاقاويل الملفوظ بها وتعديدها . جوابات عن مسائل طبية سئل عنها .

ابن جزلة

هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة وكان في أيام المقتدي بامر الله ، وقد جعل باسمه كثيراًمن الكتب التي صنفها.وكان من المشهورينفي علم الطبوعمله،وهو تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبةالله.ولابن جزلة أيضاً نظر في علم الادب . وكان يكتب خطاً جيداً منسوباً . وقد رأيت بخطه عدة كتبمن تصانيفه وغيرها تدل على فضله ، وتعرب عن معرفته . وكان نصرانياً ثم أسلم ، وألف رسالة في الرد على النصارى ، وكتب بها إلى إليا القس .

ولابن جزلة من الكتب : كتاب تقويم الابدان وصنفه للمقتدي بامر الله. كتاب منهاج البيان في ما يستعمله الانسان ، وصنفه ايضاً للمقتدي بامر الله . كتاب الاشارة في تلخيص العبارة ومـا يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن ، لخصه من كتاب تقويم الابدان . رسالةفي مدح الطب وموافقته الشرع ، والرد على من طعن عليه. رسالة كتب بها لما أسلم الى إليا القس وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة .

ابو الخطاب

هو محمد بن محمد بن أبي طالب ، مقامه ببغداد . وقرأ صناعة الطب على أبي الحسن سعيد بن هبة

الله وكان متميزاً في الطب وعمله . ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد قرىء عليه ، وهو كثير اللحن ، يدل على انه لم يشتغل بشيء من العربية . وكان تاريخــــه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسمائة .

ولابي الخطاب من الكتب : كتاب الشامل في الطب جعله على طريق المسألة والجواب في العلم والعمل ، وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة .

ابن الواسطي

كان طبيباً للمستظهر بالله ، وكان عنده رفيع المنزلة . فاتفق ان أبا سعيد بن المعوج تولى صاحب ديوان واستقر عليه قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار ، فوزن منها ألفي دينار ، وبقي عليه ألف دينار ، فسأل انظاره بها سنة الى أن يصل المستغل . فلما حل المبلغ نكبت الغلة والثمرة ولم يحصل له من ملكه ما يصرفه في ذلك .

وكان حاجبه وخاصته مظفر بن الدواتي ، فأشار اليه بالمضي الى ابن الواسطي الطبيب ، ويقصده في داره ويسأله ان يخاطب الخليفة المستظهر بالله في إنظاره الى سنة أخرى الى أن تدخل الغلة .
فلما نهض من الديوان اشار الى اصحابه بالعود وانه يريدان يمضي الى داره ، فلما عادوا مضى هو والحاجب مظفر بن الدواتي . فحيث وصل استأذن عليه ، فخرج وقبل يده وقال : الله الله يا مولانا ومن ابن الواسطي حتى يجيء مولانا الى داره ؟

فلما دخل جلس بين يديه فأشار ابن المعوج الى الحاجب مظفر ، وقال له : تصرف الجماعة للخلوة وتعود أنت بمفردك ، فلما صاروا بالدهليز قال له : تصون الباب . ففعل . فلما عاد قال له ، أتقول للحكيم فيماذا أتينا ؟ فقال له الحاجبُ : ان مولانا جاء اليك يعرفك انه كان قـــد استقر عليه قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار وانه صح منها ألفا دينار وتخلف عليه ألف دينار ، وكان سأل الخليفة انظاره الى أوان الغلة فلم يتحصل له من ملكه في هذه السنة شيء ، وقد أنفذ الديوان وضايق على ذلك . وقد رهن كتب داره على خمسمائة دينار ، وهو يسألك ان تسأل الخليفة أن يؤخر الى سنة أخرى بالباقي الى حين أوان الغلة . فقال : السمع والطاعة ، أخدم وابالغ وأقول ما يتعين . فنهض من عنده فلما كان من الغد عند نهوضه من الديوان صرف الحاشية على العادة ، وقال : يا مظفر نمضي اليه ، فان كان قد خاطب الخليفة سمعنا الجواب ، وان لم يكن خاطبه فيكون على سبيل الاذكار . فمضى اليه واستأذن عليه فأذن له وخرج الى الباب وقبل يده مثل ذلك ودعا له . فلما دخل وجلس أخرج له خط الخليفة بوصول الخمسمائة دينار ، وقال له : هذه كتب الدار التي رهنها مولانا يقبلها من الخادم وكان قد استفكها من ماله . فشكره وقبض الكتب والخط وانصرف .

فلما جاوز الدهليز صاح بالحاجب مظفر ، واخرج له منشفة فيها جبة خارا وبقيار قصب وقميص

تحتاني انطاكي ولباس دمياطي (١) ، وفيه تكة ابريسم (٢) وصرة فيها خمسون ديناراً ، وقال له : أريد من انعام مولانا يلبس هذه الثياب وأراهـا عليه وهذه الخمسون ديناراً برسم الحمام ؛ وأعطى الحاجب جبـة عتابي وعشرين ديناراً ، وأعطى الدواتي جبة عتابي وخمسة دنانـير ، وأعطى الركابي دينارين ، وقال : اسأل مولانا ان يشرف الخادم بقبول ذلك . فمضى الحاجب بالجميع الى ابن المعوج ، وشرح له الحال فقبله منه .

أبو طاهر بن البرخشي

هو موفق الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن العباس ، يعرف بابن البرخشي ، من أهل واسط . فاضل في الصناعة الطبية ، كامل في الفنون الأدبية . وقد رأيت من خطه ما يدل على رزانة عقـله وغزارة فضله وكان في أيام المسترشد بالله .

حدثني شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي قال :حدثني احمد بن بدر الواسطي قال : كان الحكيم أبو طاهر أحمد بن محمد البرخشي بواسط يعالج مريضاً به أحد انواع الاستسقاء (٣) ، فطال به المرض ولم ينجع فيـه علاج وعبر حد الحمية فسهل له في استعمال مهما طلبته النفس ومالت اليه الطبيعة من المآكل والأغذية . فاطلق المريض يده ثم أكل ما تهيأ له . فلما كان في بعض الايام اجتاز به انسان يبيع الجراد المسلوق في الماء والملح .فمالت اليه نفس المريض فطلبه ثم اشترى منه وأكل ، فعرض له من ذلك اسهال مفرط ، وانقطع الحكيم عنه لما رأى به من الافراط في الاسهال . ثم افاق منه بعد أيام ، وأخذ المزاج في الصلاح وابتدأ به البرء ، وتدرجت حاله الى كمال الصحة ، والحكيم قد أيس من صلاحه . فلما علم الحال أتاه وسأله عما استعمل ومم وجد الخف؟ فقال: لا أعرف إلا انني منذ أكلت الجراد المسلوق شرعت في العافيـة . ففكر الحكيم في ذلك طويلاً ثم قال : ليس هذا من فعل الجراد ولا من خاصته .

وسأل المريض عن بائع الجراد فقال لا أعلم بمكانـه ولكني ان رأيته عرفته . فشرع الحكيم في البحث والسؤال عن كل من يبيع الجراد وهو يحضره الى المريض واحداً بعد واحد الى ان عرف صاحبه الذي اشترى منه . فقال له الحكيم : أتعرف الموضع الذي صدت منه الجراد الذي أكل منه هذا المريض ؟ قال : نعم . قال : امض بنا اليه . فمضيا جميعاً الى المكان ، واذا هنـاك حشيشة يرعاها الجراد . فاخذ الحكيم من تلك الحشيشة ، ثم كان يداوي بها من الاستسقاء ، وأبرأ بها جماعة من هذا المرض ، وذلك معروف مشهور بواسط .

أقول : وهذه هي حكاية قديمة قد جرى ذكرها ، وان تلك الحشيشة التي كان الجراد يرعاها هي

---

(١) نسبة الى دمياط وهي مدينة في صعيد مصر على نهر النيل شهيرة بالقماش.

(٢) الحرير او الخام منه «ن.ر»

(٣) تجمع سوائل مصلية في تجويف او اكثر من تجاويف الجسد او في خلاياه .

المازريون [1] ، وقد ذكرها ايضاً القاضي التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدة » .

وكان أبو طاهر بن البرخشي حياً بواسط في سنة ستين وخمسمائة ، وكان عنده ادب بارع ، ومعرفة في النظم والنثر . ومن شعره قال في غلام ناول خلالا .

وناولني من كفه مثل خصره ... ومثل محب ذاب من طول هجره
وقال خلالي ؟ قلت : كل حميدة ، سوى قتل صب حار فيك بأسره
الطويل

وقال في انسان سوء حج من بعض قرى واسط :

لما حججت استبشرت واسط ... وقولياثا وفتى مرشد [2]
وانتقل الويـــل الى مكة ... وركنها والحجر الاسود
(السريع)

وقال أيضاً ، وقد رأى انساناً يكتب كتاباً الى صديق له فكتب في صدره العالم :

لما انمحت سنن المكارم والعلى ... وغدا الانام بوجه جهـــل قاتم
ورضوا باسماء ولا معنى لهـــا ... مثل الصديق تكاتبوا بالعـــالم
(الكامل)

وكتب اليه نجم الدين أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الهرثي الشاعر الواسطي وقد أبـل من مرض وألزمه الحمية ومنعه الغذاء :

صبحت فخراً بالمنى واغتدى ... قدرك فوق النجم مرفوعـــا
يا منقذي من حلقات الردى ... حاشاك أن تقتلـــني جوعا
(السريـع)

فكتب ابن البرخشي اليه الجواب :

تبعت مرسومك يا ذا العلى ... لا زال مرسومك متبوعـــا
لكن اشفاقي على من بــــه ... أمسى غريب القـول مسموعا
أوجب تأخيراً الغذا يومنا ... وفي غد نستدرك الجوعـــا
اصبر فما أقصرها مـــدة ... وان تلكأت فاسبوعـــا

فأجابه هو :

يا عالماً اين ثوى رحله ... أجرى من العلم ينابيعا
لم عندك الاعمار موصولة ... يضحى ويمسي الرزق مقطوعا

---

(١) جلس من الجنبات والجنبيات للتزيين .

(٢) قوله قولياثا بعض نواحي واسط من ضياعها وفتى مرشد السان بها .

والله ان بت ولم يجدني شعري يا ذا الفضل منفوعـــا
ليخلعن الجـــوع مني الحيا وأوسعن العـــلم تقطيعا

ابن صفية

هو أبو غالب بن صفية ، وكان نصرانياً . وقال بعض العراقيين : أن ابا المظفر يوسف المستنجد[1] بالله كان خليفة صارماً متيقظاً فتاكاً ، وكان وزيره أبو المظفر يحيى بن[2] هبيرة ، ثم توفي فاستوزر شرف الدين بن البلدي ، وكان يجري مجراه . وكان في الدولة أمراء أكابر ، كان متقدم الجماعة قطب الدين قايماز ، وكان أصله أرمنياً : وقد عظم شأنه وعلا مكانه واستولى على البلاد وتحكم في الدولة ، ولم يبق له ضد ولا مناو ، وعمد الى أكابر أمراء الدولة فزوجهم ببناته ، وكان بينه وبين الوزير مماراة. ثم ان الخليفة مرض وكان طبيبه ابن صفية أبو غالب النصراني ، وكان الوزير ابن البلدي يحذر الخليفة ويخوفه من استطالة قطب الدين ومن يجري معه من الأمراء ، فاطلع الطبيب على بعض الاحوال وأراد التقرب عند الامير قطب الدين ، فنقل اليه الحديث ، واستمر الحال على ذلك .

فلما مرض الخليفة عزم في القبض على قطب الدين وجماعته ، واطلع ابن صفية على ذلك ، فمضى على قطب الدين وعرفه الحال وقال له : قد جرى من الوزير كذا وكذا فتغد به قبل ان يتعشى بك . فاخذ قطب الدين يعمل فكرته ورأيه في التدبير في مكايد الوزير ، وثقل الخليفة في المرض واشتغل عما كان قد دبره مع الوزير في القبض على الامراء . فاجمع قطب الدين رأيه على قتل الخليفة ثم يتفرغ لهلاك الوزير ، فأسفر رأيه على انه قرر مع ابن صفية الطبيب أن يصف للخليفة الحمام ، فدخل الحكيم الى الخليفة وأشار بالحمام والخليفة يعلم من نفسه الضعف فأبى ذلك . فدخل قطب الدين وبعض الجماعـــة وقال : يا مولانا ، الحكيم قد أشار بالحمام ، فقال قد رأينا أن نؤخره ، فغلبوا على رأيه وأدخـلوه الحمام ، وقد كان اوقد عليه ثلاثة أيام بلياليهن وردوا عليه باب الحمام ساعة فمات . واظهروا الحزن العظيم وأتوا الى ولده أبي محمد الحسن فاستخلفوه على ما أرادوا وبايعوه ، ولقب بالمستضيء[3] بامر الله ، وأقام مدة وفي نفسه شيء مما فعلوا . وكان قـــد استوزر عضد الدين[4] أبا الفرج ابن رئيس الرؤساء ، وكان ابن صفية الطبيب على حاله ملازم الخدمة ، فشرع الخليفة في الاستبداد بالأمور مـــع وزيره وكان قطب الدين قايماز وابن صفية مهما اطلع عليه من الاحوال نقله الى قطب الدين وهو متردد

---

(١) الخليفة العباسي الثاني والثلاثون تآمر عليه اهل البلاد مـــع الطبيب فوُصف له الحمام ليعجلوا موته فحبسوه فيه حتى مات . وفي ايامه سقطت سلالة الفاطميين في مصر (١١١٦-١١٧٠).

(٢) عون الدين ابو المظفر يحيى ابن هبيرة وزير المقتفي (١٠٩٧ - ١١٦٥) (ن . ر)

(٣) الخليفة الثالث والثلاثون العباسي وامه ارمنية وقد خطب باسمه في مصر واليمن بعد قتل ابيه المستنجد . واحتجب عند ظهور صلاح الدين « ١١١٨ - ١١٨٠ » .

(٤) هو الاستاذ الدار الوزير ، تغلب على الخليفة المستنجد وادخله الحـــام وهو مريض حتى مات . وقتله الاسماعيليون سنة ١١٨٧ «ن.ر» .

الى الدار ، ولا يمنع لكونه طبيب الخدمة . فاستحضره الخليفة ليلا وقال له : يا حكيم عندي من أكره رؤيته وأريد إبعاده بوجه لطيف غير شفيع ، فقال له : نرتب له شربة قوية بالغة يشربها ، وقد حصل الخلاص منه كما تؤثر . فمضى وركب شربة كما وصف وأحضرها ليلا ودخل بها الى عند الخليفة ، ففتحها ونظر اليها ، وقال : يا حكيم استف هذه الشربة حتى نجرب فعلها ، فتلوى من ذلك وقال : الله الله يا مولانا في ؟ فقال له : الطبيب متى تعدى حده وتجاوز طوره وقع في مثل هذا ، وليس لك من هذا خلاص إلا السيف . فاستف الحكيم الشربة التي ركبها وفر من الهلاك الى الهلاك . ثم خرج من دار الخليفة وكتب الى الأمير قطب الدين يشعره بالحال ويقول له : والانتقال من أمري إلى أمركم . ثم هلك .

وأما قطب الدين فعزم أن يوقع بالخليفة ، فرد الله سبحانه كيده اليه ، ونهبت أمواله وهرب من بغداد بنفسه ومضى الى الشام الى الملك الناصر صلاح (١) الدين فلم يقبله . وعاد على طريق البرية الى الموصل فمرض في الطريق ثم دخل الموصل فمات بها .

أقول : وضد هذه الحكاية ما حدثني به شمس الدين محمد بن الحسن بن الكريم البغدادي عن بعض المشايخ ببغداد قال :

كان السلطان محمد بن محمود خوارزمشاه (٢) قد حضر بغداد في سنة(*)وخمسمائة فمرض وهو بعسكره ظاهر البلد، ومرض الخليفة المقتفي (٣) أبو عبد الله محمد بن المستظهر ببغداد، فانفذ السلطان يلتمس الرئيس أمين الدولة بن التلميذ فاخرج الى ظاهر المدينة فكان يداويه بظاهر بغداد ، ويداوي الخليفة ببغداد فقال له وزير السلطان : أيها الرئيس اني قد كنت عند السلطان ، وذكرت له من فضلك وأدبك ورآستك .وقد أمر لك بعشرة آلاف دينار . فقال له : يا مولانا ، قد أمر لي من بغداد بأثني عشر ألف دينار أفيأذن لي في قبولها السلطان ؟ يا مولانا ، أنا رجل طبيب ، لا أتجاوز وظائف الاطباء وما يلزمهم ، ولا أعرف الا ماء الشعير والنقوع وشراب البنفسج والنيلوفر(٤)، ومتى أخرجت عن هذا لا أعرف شيئاً .

وكان الوزير قد عرض له في حديثه بما معناه انه يدبر في اتلاف الخليفة ، وقدر الله سبحانه برء الخليفة والسلطان ووقع الصلح بينهما على ما اقترحه الخليفة . وهذا كان من عقل الرئيس أمين الدولة ودينه وأمانته ، فانه كان يقول : لا ينبغي للطبيب ان يداخل الملوك في اسرارهم ، ولا يتجاوز كما

---

(١) هو صلاح الدين الايوبي مؤسس الدولة الايوبية اشتهر بكرمه وعزة نفسه، ولد في تكريت وتوفي في دمشق.(١١٣٨– ١١٩١) . وهزم الافرنج في وقعة حطين .

(٢) لقب ملوك خوارزم ومحمد هذا هو السلطان السلجوقي ابو شجاع غياث الدين والدنيا (١١٥٣ – ١١٥٩) وفتك بجيش الخليفة المقتفي وحاصره في بغداد .

(٣) الخليفة الواحد والثلاثون العباسي قبض بيده على الملك فتضاءل نفوذ السجلوقيين . وفي ايامه خرج امير الموصل زنكى ثم ابنه نورالدين للجهاد في الحروب الصليبية .

(٤) نوع من الرياحين ينبت في المياه الراكدة «ن. ر»

(*) بياض في الاصل .

تقدم ذكره ماء الشعير والنقوع والشراب ، فمتى جاوز هذا تلف وكان سبب هلاكه . وكان ينشد :

واذا أنبت المهيمن للنمل جناحاً أطارها للتردي
ولكل امرىء من الناس حد وهلاك الفتى جواز الحد

(الخفيف)

امين الدولة بن التلميذ

هو الاجل موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التلميذ أوحد زمانه في صناعة الطب ، وفي مباشرة أعمالها . ويدل على ذلك ما هو مشهور من تصانيفه وحواشيه على الكتب الطبية ، وكثرة من رأيناه ممن قد شاهده . وكان ساعور [1] البيمارستان العضدي ببغداد الى حين وفاته . وكان في اول امره قد سافر الى بلاد العجم ، وبقي بها وهو في الخدمة سنيناً كثيرة . وكان جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً .

وقد رأيت كثيراً من خطه وهو في نهاية الحسن والصحة . وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي متبحراً في اللغة العربية . وله شعر مستطرف حسن المعاني ، الا ان أكثر ما يوجد له البيتان أو الثلاثة وأما القصائد فلم أجد له منها الا القليل . وكان ايضاً يترسل ، وله ترسل كثير جيد . وقد رأيت له من ذلك مجلداً ضخماً كله يحتوي على انشاء ومراسلات وأكثر أهله كتاب .

وكان والد أمين الدولة وهو أبو العلاء صاعد طبيباً فاضلاً مشهوراً . وكان أمين الدولة وأوحد الزمان أبو البركات في خدمة المستضيء بامر الله . وكان أبو البركات أفضل من ابن التلميذ في العلوم الحكمية وله فيها كتب جليلة ، ولو لم يكن له الا كتابه المعروف بالمعتبر لكفى . فاما ابن التلميذ فكان أكثر تبصره بصناعة الطب واشتهر بها . وكان بينهما شنآن وعداوة ، إلا أن ابن التلميذ كان أوفر عقلاً وأخير طباعاً من أبي البركات . ومن ذلك ان أوحد الزمان كان قد كتب رقعة يذكر فيها عن ابن التلميذ أشياء يبعد جداً ان تصدر عن مثله ، ووهب لبعض الخدم شيئاً واستسره ان يرميها في بعض طرق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك أحد، وهذا مما يدل على شر عظيم. وان الخليفة لما وجد تلك الرقعة صعب عليه جداً في اول امره ، وهَمّ ان يوقع بامين الدولة . ثم انه بعد ذلك رجع الى رأيه واشير عليه ان يبحث ويستأصل عن ذلك ، وان يستقر من الخدم من يتهمه بهذا الفعل . ولما فعل ذلك انكشف له ان اوحد الزمان كتبها للوقيعة بابن التلميذ ، فحنق عليه حنقاً عظيماً ووهب دمه وجميع ماله وكتبه لامين الدولة بن التلميذ . ثم ان امين الدولة كان عنده من كرم الطباع وكثرة الخيرية انه لم يتعرض له بشيء . وبعد أوحد الزمان بذلك عن الخليفة وانحطت منزلته ومن مطبوع ما لأمين الدولة فيه ، قوله :

لنا صديق يهودي حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه

---

(١) المتقدم في صناعة الطب وهنا بمعنى رئيس الاطباء .

يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه
(البسيط)

ولبعضهم في امين الدولة وأوحد الزمان :

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه أبو البركات في طرفي نقيض
فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض
(الوافر)

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي فيما حكاه عن الاجل أمين الدولة بن التلميذ قال : كان أمين الدولة حسن العشرة ، كريم الاخلاق ، عنده سخاء ومروءة ، وأعمال في الطب مشهورة ، وحدوس صائبة . منها انه أحضرت اليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدها وصب الماء المبرد عليها صباً متتابعاً كثيراً . ثم أمر بنقلها الى مجلس دفيء قد بخر بالعود [1] والند [2] ، ودثرت باصناف الفراء ساعة ، فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع اهلها الى منزلها .

قال : ودخل اليه رجل منزف يعرق دماً في زمن الصيف ، فسأل تلاميذه وكانوا قدر خمسين نفساً فلم يعرفوا المرض ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ، ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرأ. فسأله أصحابه عن العلة فقال : ان دمه قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

قال : ومن مروءته ان ظهر داره كان يلي النظامية ، فاذا مرض فقيه نقله اليه ، وقام في مرضه عليه ، فاذا أبل وهب له دينارين وصرفه .

ومما حكاه ايضاً عن أمين الدولة بن التلميذ وكأنه قد تجاوز في هذه الحكاية قال : وكان أمين الدولة لا يقبل عطية الا من خليفة أو سلطان ، فعرض لبعض الملوك النائية داره مرض مزمن فقيل له : ليس لك الا ابن التلميذ ، وهو لا يقصد أحداً فقال : أنا أتوجه اليه . فلما وصل أفرد له ولغلمانه دوراً وأفاض عليه من الجرايات قدر الكفاية ، ولبث مدة فبرىء الملك وتوجه الى بلاده وأرسل اليه مع بعض التجار أربعة آلاف دينار واربعة تخوت عتابي واربعة مماليك واربعة افراس ، فامتنع من قبولها وقال : علي يميناً ان لا أقبل من أحد شيئاً فقال التاجر : هذا مقدار كثير ، قال : لما حلفت ما استثنيت . وأقام شهراً يراوده ولا يزداد الا إباء . فقال له عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي ، واتمتع بالمال فتتقلد منته ، وتفوتك منفعته ، ولا يعلم احد بأنك رددته . فقال:ألست اعلم في نفسي اني لم اقبله ، فنفسي تشرف بذلك ، عَلِم الناس او جهلوا .

وحدثني الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال:حدثني الشيخ موفق الدين اسعدبن الياس بن

«١» ضرب من الطيب يتبخر به .
«٢» عود يتبخر به .

المطران ، قال : حدثني ابي : حدثني اسمعيل بن رشيد قال ؛ حدثني ابو الفرج بن توما وأبو الفرج المسيحي ، قالا : كان الاجل أمين الدولة بن التلميذ جالساً ونحن بين يديه اذ استأذنت عليه امرأة ومعها صبي صغير ، فأدخلت عليه ، فحين رآه بدرها فقال ان صبيك هذا به حرقة البول ، وهو يبول الرمل ، فقالت : نعم . قال : فيستعمل كذا وكذا وانصرفت . قالا : فسألناه عن العلامة الدالة على ان به ذلك ، وانه لو ان الآفة في الكبد او الطحال لكان اللون من الاستدلال مطابقاً . فقال : حين دخل رأيته يولع باحليله ويحكه ، ووجدت أنامل يديه مشققة قاحلة ، فعلمت أن الحكة لاجل الرمل ، وان تلك المادة الحادة الموجبة للحكة والحركة ربما لامست انامله عند ولوعه بالقضيب فتقحل وتشقق ، فحكمت بذلك وكان موافقاً .

ومن نوادر امين الدولة وحسن إشارته : انه كان يوماً عند المستضيء [1] بأمر الله ، وقد أسن امين الدولة . فلما نهض للقيام توكأ على ركبتيه ، فقال له الخليفة : كبرت يا امين الدولة . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وتكسرت قواريري ، ففكر الخليفة في قول امين الدولة وعلم انه لم يقله الا لمعنى قد قصده وسأل عن ذلك فقيل له: انالامام المستنجد بالله كان قد وهبه ضيعة تسمى قوارير وبقيت في يده زماناً ، ثم من مدة ثلاث سنين حط الوزير يده عليها . فتعجب الخليفةمن حسن أدب أمين الدولة ، وانـــه لم ينه أمرها اليه ولا عرض بطلبها . ثم أمر الخليفة باعـــادة الضيعة الى امين الدولة ، وان لا يعارض في شيء من ملكه .

ومن نوادره : ان الخليفة كان قد فوض اليه رئاسة الطب ببغداد ، ولما اجتمع اليه سائر الاطباء ليرى ما عند كل واحد منهم من هذه الصناعة ، كان من جملة من حضره شيخ له هيئة ووقار وعنده سكينة ، فأكرمه أمين الدولة وكانت لذلك الشيخ دربة ما بالمعالجة ، ولم يكن عنده من علم صناعة الطب الا التظاهر بها . فلما انتهى الامر اليه قال له امين الدولة : ما السبب في كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه حتى نعلم ما عنده من هذه الصناعة ؟ فقال يا سيدنا ، وهل شيء مما تكلموا فيه الا وانا أعلمه ، وقد سبق الى فهمي أضعاف ذلك مرات كثيرة ؟ فقال له امين الدولة : فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة ؟ فقال الشيخ : يا سيدنا اذا صار الانسان الى هذه السن ما يبقى يليق به إلا ان يسأل كم له من التلاميذ ، ومن هو المتميز فيهم . واما المشايخ الذين قرأت عليهم فقد ماتوا من زمان طويل . فقال له امين الدولة : يا شيخ ، هذا شيء قد جرت العادة به ولا يضر ذكره ، ومع هذا ، فما علينا ، اخبرني اي شيء قد قرأته من الكتب الطبية ؟ وكان قصد امين الدولة : ان يتحقق ما عنده . فقال : سبحان الله العظيم، صرنا الى حد ما يسأل عنه الصبيان ، وأي شيء قد قرأته من الكتب ، يا سيدنا لمثلي ما يقال إلا اي شيء صنفته في صناعة الطب ، وكم لك فيها من الكتب والمقالات؟ ولا بد انني اعرفك بنفسي.ثم انه نهض الى امين الدولة ودنا منه وقعد عنده، وقال

(١) هذا خطأ من المؤلف لأن المستضيء تولى الخلافة سنة ١١٧١ والشيخ امين الدولة توفي سنة ١١٦٥ وارجح ان الخليفة هو المقتفي وهو الخليفة الثاني والثلاثون والامام المستنجد الذي وهبه قوارير هو الخليفه الواحد والثلاثون . بينما المستضيء هو الخليفة الثالث والثلاثون . «ن .ر»

له ، فيما بينهما : يا سيدي ، اعلم انني قد شخت وانا اوسم بهذه الصناعة ، وما عندي منها الا معرفة اصطلاحات مشهورة في المداواة ، وعمري كله اتكسب بها ، وعندي عائلة ، فسألتك بالله يا سيدنا مشي حالي ولا تفضحني بين هؤلاء الجماعة . فقال امين الدولة : على شريطة ، وهي انك لا تهجم على مريض بما تعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل الا لما قرب من الامراض . فقال الشيخ : هـــذا مذهبي منذ كنت ، ما تعديت السكنجبين والجلاب . ثم ان امين الدولة قـــال له معلناً ، والجماعة تسمع : يا شيخ ، اعذرنا فاننا ما كنا نعرفك ، والآن فقد عرفناك ، استمر فيما انت فيه ، فان احداً ما يعارضك . ثم انه عاد بعد ذلك فيما هو فيه مع الجماعة ، وقـــال لبعضهم : على من قرأت هذه الصناعة ؟ وشرع في امتحانه ، فقال يا سيدنا . انا من تلامذة هذا الشيخ الذي قد عرفته ، وعليه كنت قد قرأت صناعة الطب . ففطن أمين الدولة بما اراد من التعريض بقوله ، وتبسم ثم امتحنه بعد ذلك .

وكان لامين الدولة بن التلميذ اصحاب وجمـــاعة يترددون اليه ، فلما كان في بعض الايام أتي اليه ثلاثة ، منجم ، ومهندس ، وصاحب أدب . فسألوا عن امين الدولة غلامه قنبر ، فذكر لهم ان سيده ليس في الدار ، وانه لم يأت في ذلك الوقت . فراحوا ، ثم انهم عادوا في وقت آخر ، وسألوه عنه ، فذكر لهم مثل قوله الأول . وكان لهم ذوق من الشعر فتقدم المنجم وكتب على الحـــائط عند باب الدار

قد بلينا في دار أسعد قوم ، بمدبر

ثم كتب المهندس بعده :

بقصير مطول   وطويل مقصر

ثم تقدم صاحب الادب وكان عنده مجون فكتب :

كم تقولون قنبراً   دحرجوا رأس قنبرَ

(الخفيف)

ومضوا . فلما جاء أمين الدولة قال له قنبر : يا سيدي جاء ثلاثة الى ههنا يطلبونك ، ولمـــا لم يجدوك ، كتبوا هذا على الحائط . فلما قرأه أمين الدولة قال لمن معه : يوشك أن يكون هذا البيت الاول خط فلان المنجم ؛ وهذا البيت الثاني خط فلان المهندس ؛ وهذا الثالث خط فلان صاحبنا ، فان كل بيت يدل على شيء مما يعانيه صاحبه . وكان الأمر كما حدسه أمين الدولة سواء . وكانت دار أمين الدولة هذه يسكنها ببغداد في سوق العطر مما يلي بابه المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظمة ، بالمشرعة النازلة الى شاطىء دجلة .

وقال أمين الدولة بن التلميذ : فكرت يوماً في أمر المذاهب فرأيت هاتفاً في النوم وهو ينشدني .

أعوم في بحرك علي أرى   فيه لمـــا أطلبه قعرا

فما أرى فيه سوى موجة		تدفعني عنها الى أخرى

(السريع)

وحدثني سعد الدين بن أبي السهل البغدادي العواد ، وكان قد عمر ، قال : رأيت أمين الدولة بن التلميذ واجتمعت به ، وكان شيخاً ربع القامة ، عريض اللحية ، حلو الشمائل ، كثير النادرة . قال: وكان يحب صناعة الموسيقى وله ميل الى أهلها .

وحدثني سديد الدين محمود بن عمرو ، رحمه الله ، قال : حدثني الامـــام فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني ، وكان صديقاً لامين الدولة وعاشره مدة ، قال : كان الاجل أمين الدولة بن التلميذمن المتميزين في العربية ، وكان يحضر مجلسه في صناعة الطب خلق كثير يقرأون عليه . وكان اثنان من النحاة يلازمان مجلسه ولهما منه الانعام والافتقاد ، فكان من يجده من المشتغلين عليه يلحن كثيراً في قراءته ، أوهو ألكن [1] يترك أحد ذينك النحويين يقرأ عنه وهو يسمع . ثم يأمر ذلك التلميذ أيضاً بأن يقرر للنحوي شيئاً يعطيه اياه عن قراءتــه عنه . وكان لامين الدوْلة ولد ، ولم يكن مدركاً لصناعة الطب ، وكان في سائر أحواله بعيداً عما كان عليه امين الدولة . ولأمين الدولة فيه :

أشكو الى الله صاحباً شكساً		تسعفه النفس وهو يعسفهـــا
فنحن كالشمس والهلال معاً		تكسبه النور وهو يكسفها

(المنسرح)

وكان امين الدولة يؤنب ولده أيضاً بهذا البيت :

والوقت أنفس ماعنيت بحفظه ،		وأراه أسهل ما عليك يضيع

(الكامل)

وحدثني الشيخ الامام رضي الدين [2] الطبيب الرحبي رحمه الله قال : اجتمعت في بغداد بابن امين الدولة ، فلما جرى بيننا حديث قال في سياقة كلامه : ان في السماء من الجانب الجنوبي مثقباً تطلع فيه الادخنة ، وتنزل منه الارواح . وبدت منه أشياء كثيرة من هذا القبيل ظهر بها ان ليس عنده شيء من تحقيق العلم ، ولا له فطرة سليمة .

وحدثني الشيخ السني البعلبكي الطبيب قال : راح من عندنا من دمشق ثلاثة من أطباء النصارى الى بغداد ، سماهم ، فلما اقاموا بها سمعوا بابن أمين الدولة ، فقالوا : « سمعة والده عظيمة ، والمصلحة اننا نروح اليـــه ونسلم عليه ونخدمه ، ونكون قد اجتمعنا به قبـــل السفر الى الشام . فقصدوا داره ودخلوا اليه وسلموا وعرفوه انهم نصارى ، وان قصدهم التشرف برؤيته ، فأكرمهم وأجلسهم عنده . قال السني فحدثوني انه تبين لهم سخافة عقل وضعف رأي . وذلك انه من جملة ما

---

(١) العي اللسان .

(٢) هو الامـــام ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي وسيأتي الكلام عنـــه في طبقة الاطباء المشهورين من اطباء الشام .

حدثهم انه قال : يقولون ان الشام مليح ؛ ودمشق طيبة ، وانا قد عزمت ان ابصرهـا ، إلا انني أعمل من حيث العلم والهندسة شيئاً اكون اذا سافرت اليها يكون بسهولة ، ولا أجد كلفة . قالوا : فقلنا له يا سيدنا ، كيف تعمل ؟ فقال : اما تعلمون ان الشام منخفض عن اقليم بغداد وانه مستقل عنه ، وذلك مذكور في علم الهيئة وارتفاع المواضع بعضها على بعض . فقلنا : نعم يا سيدنا . فقال : أستعمل عجلاً من الخشب ببكر كبار ، ويكون فوقهم دفوف مبسوطة مسمرة ؛ واجعل فوقهم جميع ما احتاج اليه ؛ واذا اطلقنا العجل تروح بالبكر بسرعة في الانحدار ، ولا نزال كذلك الى ان نصل الى دمشق بأهون سعي . قالوا : فتعجبنا من غفلته وجهله . ثم قال : والله ما تروحون حتى اضيفكم وتأكلون عندي طعاماً . وصاح بالفراش فاحضر سفرة فاخرة ومد عليها رقاقاً رفيعاً ابيض لا يكون شيء احسن منه ، كأنه النصافي البغدادية ، وهناباً فيه خل وهندبا [1] منقاة جعلها حواليه ، ثم قال : بسم الله كلوا . قالوا : فاكلنا شيئاً يسيراً اذ هو على خلاف عادتنا في الأكل . ثم رفع يديه وقال : يا غلام هات الطست ، فاحضر طستاً مفضضاً وقطعة صابون رقى كبيرة ؛ وسكب عليه الماء وهو يغسل يديه فأرغى الصابون ثم مسح به فمه ووجهه ولحيته ، حتى بقيت عيناه ووجهه ملآن من ذلك الصابون وهو أبيض ، ونظر الينا . قالوا وكان منا فلان لم يتمالك ان ضحك وزاد عليه وقام فخرج من عنده . فقال : ما لهذا ؟ فقلنا له : يا سيدنا هذا فيه خفة عقل وهذه عادته . فقال: لو أقام عندنا داويناه ، فتعجبنا منه ثم ودعناه وانصرفنا ، ونحن نسأل الله العافية مما كان فيه من الجهل .

وحدث بعض العراقيين ان امين الدولة مات ، لصديق له ولد ، وكان ذا أدب وعلم ، ولم يعزه امين الدولة . فلما اجتمع به بعد ذلك عتب عليه اذ لم يعزه عن ولده للمودة التي بينهما . فقال امين الدولة : لا تلمني في هذا ، فوالله انا أحق بالتعزية منك ، اذ مات ولدك وبقي مثل ولدي .

ووجدت كلاماً لأمين الدولة في ضمن رسالة كتبها الى ولده ، وكان يعرف برضي الدولة أبي نصر قال : والتفت بذهنك عن هذه الترهات [2] الى تحصيل مفهوم تتميز به . وخذ نفسك من الطريقة بما كررت تنبيهك عليه ، وارشادك اليه ، واغتنم الامكان ، واعرف قيمته . وتشاغل بشكر الله تعالى عليه . وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بان عقلته وملكته ، لاقرأته ورويته ، فان بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ المذكور وتلازم صاحبه . ومن طلبها من دونه ، فاما أن لا يجدها ، واما ان لا يعتمد عليها اذا وجدها ولا يثق بدوامها . واعوذ بالله أن ترضى لنفسك الا بما يليق بمثلك أن يتسامى اليه بعلو همته ، وشدة أنفته ، وغيرته على نفسه . ومما قد كررت عليك الوصاة به ان لا تحرص على أن تقول شيئاً لا يكون مهذباً في معناه ولفظه ، ويتعين عليك ايراده . فاما معظم حرصك فتصرفه الى ان تسمع ما تستفيده لا ما يلهيك ويلذ للاغمار [3] وأهل الجهالة ، نزهك الله

(١) البقلة المعروفة .

(٢) الاباطيل والدواهي .

(٣) واحدها غمر وهو الذي لم يجرب الامور اي الجاهل .

عن طبقتهم ، فان الامر كما قال أفلاطن : « الفضائل مرة الورد حلوة الصدر ، والرذائل حلوة الورد مرة الصدر». وقد زاد ارسطوطاليس في هذا المعنى فقال : « ان الرذائل لا تكون حلوة الورد عند ذي فطرة فائقة ، بل يؤذيه تصور قبحها أذى يفسد عليه ما يستلذه غيره منها ». وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى وما يجتنب ، كالتام الصحة يكفي حسه في تعريفه النافع والضار . فلا ترض لنفسك ، حفظك الله ، إلا بما تعلم انـــه يناسب طبقة امثالك . واغلب خطرات الهوى بعزمات الرجال الراشدين ؛ واطمح بنفسك اليها تتركك في طاعة عقلك . فانك تسر بنفسك وتراها في كل يوم مع اعتياد ذلك في رتبة علية ، ومرقاة من سماء في السعادة .

وكانت وفاة أمين الدولة ببغداد في الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ستين وخمسمائة ، وله من العمر أربع وتسعون سنة . ومات نصرانياً ، وخلف نعماً كثيرة وأموالاً جزيلة ، وكتباً لا نظير لها في الجودة . فورث جميع ذلك ولده وبقي مدة ، ثم ان ولد امين الدولة خنق في دهليز داره الثلث الاول من الليل ، وأخذ ماله، ونقلت كتبه على اثني عشر جملاً الى دار المجد بن الصاحب. وكان ابن أمين الدولة قد أسلم قبل موته . وقيل انه كان شيخاً قد ناهز الثمانين سنة .

ووجدت في أثناء كتاب كتبه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل الى امين الدولة بن التلميذ وهو يمتدحه فيه بهذه القصيدة :

امـــين الدولة أسلم للايادي	على رغم المناوي والمعادي
وللمعروف تنشره اذا مـــا	طواه تناوب النوب الشداد.
فأنت المرء تُلفى، حين تدعى،	جواداً بالطريف وبالتلاد ،
وصولا للخليل على التنائي ،	ودوداً لا يحول عن الوداد ،
سديد الرأي والأقوال تأبى	نهاه أن يميل عن السداد .
سأشكر ماصنعت من الايادي	اليّ على التداني والبعـاد ،
وأثني ، والثناء عليك حق ،	بما أوليتني في كل نادي .
وهل شكري على مر الليالي	ينال مدى ولائي واعتقادي؟
دعوتك، والزمان به حران،	فأمسى وهو لي سهل القياد ،
أناديه فيسمعني ، وقدمـــاً	تجانب لي أصم عن المنادي .
وكم من منة لك لا توازي	بلا منّ لدي ولا اعتداد ،
ومن بيضاء قد عمرت بقلبي	محلك منه في أقصى سواد ،
أرى الاشواق نحوك في فؤادي	كمثل النار في حجر الزناد (١)
متى ولعت به ذكراك كادت	لحر الوجد تلفظني بلادي .
تحن ركائبي واحن شوقا	اذا خطر اللقاء على فؤادي ،

---

(١) الحجر الذي تقتدح عليه .

وأطامع في الرقاد رجاء زور يلم . وأين طرفي والرقاد ؟
سأبعثها تثير البيد وخداً [1] وتعتسف الظلام بغير هادي،
لو ان النجم جاراها دليلاً تحير أو شكا طول السهاد .
تلفت بي الى الزوراء زوراً ، كما التفتت الى الماء الصوادي،
ولو ان الزمان جرى، ومن لي ، بان يجري الزمان على مرادي!
وأمكنني المزار لما عدتني ، وحقك، عن زيارتك العوادي
فمن لي ، ان تسيرني المطايا اليك ، ولو سريت بغير زاد
أقول لصاحب لم يدر جهلاً : أغيي ما تحاول أم رشادي
اذا واليت فانظر من توالي ، وان عاديت فانظر من تعادي،
فان أحببت تعرف ما التناهي من الاشياء فانظر في المبادي ؛
ودعني والثناء على مبر عرفت به صلاحي من فسادي.
على متوحد في الفضل سام الى امد العلى ، مبني الايادي،
أخي حكم ، شواهدها عليه ، بواد في الحواضر والبوادي؛
إذا ماقيس قصّر عنه قس [2] وقس ما علمنا في اياد .
وان جاورته ، جاورت غيثاً يذوب نداه في العام الجماد ؛
أو استنجدته ، أعداك منه أخو عزم على الايام عادي .
جواد بالذي تحوي يداه اذا نودي: ألا هل من جواد؟
يجيبك قبل ان تدعو نداه ويكفي كل حادثة بنادي ،
أخو كرم يقل العتب فيه ، وافضال تقر به الاعادي ،
وأخلاق كمثل الراح شيبت بشمول من الصفو البراد .
بأدنى سعيه حاز المعالي وأخفق غيره بعد اجتهاد .
وفي الغايات ان لز [3] المذاكي تبين المقرفات [4] من الجياد
أبا الحسن استمع مني ثناء حلا، فخلا من المعنى المعاد ،
كأنفاس الرياض سرت عليها صبا، فتعطرت غب العهاد [5]
أنادي فيه باسمك ، والقوافي تؤرج لا بسُعدى أو سعاد ؛
وقد عرضته لك مستجيراً بعدلك فيه من جور انتقاد.

---

(١) السير السريع .

(٢) هو قس بن ساعدة الايادي خطيب جاهلي يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والموعظة . كان يؤمن بالتوحيد ويدعو العرب اليه .

(٣) الملاحقة والمضايقة .

(٤) الفرس الذي امه عربيه لا ابوه وقيل العكس .

(٥) مواقع الوسمي من الارض — الوسمي : اول مطر الربيع — (ن.ر)

ومثلك من رأى قصد القوافي — اليه ، وقال فيها باقتصاد ،
جزيت الصالحات، فانت اهل — لها ؛ وسقيت أنواء الغوادي؟
ودمت على الزمان، وكل شيء — على مر الزمان الى نفاد :

وقال الشريف أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي من قصيدة يمدح بها الاجل امين الدولة بن التلميذ يقول فيها :

يا بني التلميـــذ لو وافيتكم — لم تكن نفسي بأهلي شغفه ،
وتسليت بـكم عن صبيتي ، — وغدا وسطي ثقيل المنصفه .
انما طلقت كرمـــان بكم ، — انكم لي عوض ، ما اشرفه
برئيس الحكمـــاء المرتجى ، — انه لي جنــة مخترفه [1] .
عوقتني عـــن عميد الملك ، دنيـــاي ، ودنياي ظـلوم مجحفه .
لو رآني هبة الله ، ابو الحسن ، الاوحــد كانت متحفـــه ،
فهو من نخـلة دهري طلعة — حلوة الطعم وكلٌ حشفه [2].
غدت الدنيا، ومن فيها معاً، — لعـــلاه بالعلى معترفه ،
فامـــاني الورى ، كلهم، — من أيادي جوده مغترفه ،
وبأبراد معـــالي ظـــله ، — من تصاريف الردى، ملتحفه
شمس مجد لا تراها أبداً ، — عن سموات العلى، منكسفه .
جل ان يدرك وصفا مجده ، — انه اكبر من كل صفه .
فهو غدر الدهر، بل احسانه، — والبرايـــا يبسات قشفه .
لو تمكنت لكانت جلتي ، — في زوايا داره معتكفه .
سن ، في دنيا المعالي ، سننا — أصبحت معجبة مستظرفه ؛
فيـــه تفتخر الدنيـــا التي — أصبحت من غيره مستنكفه.
سيدي ، كم غمة جليتهـــا — فغدت ظلمتهـــا منكشفه ،
وأياد جمـــة اوليتهـــا — بيد ، ما برحت مرتشفه ،
نثرت منك بروق لم تكن ، — حين شمناها ، بروقـاً مخلفه
وتراءى منك بر شكره — معجز كل لسان وشفه .
انمـــا أحبو بني التلميـــذ بالمدح اذ كلهم ذو معرفـــه :
فابن يحيى منهم محيي الندى — زاد في الجود على من خلفه ،
وهو في الفضل له الفضل على — كل من انكره او عرفـــه .

---

(١) مجتناة .

(٢) اصول الزرع تبقى بعد الحصاد .

حقق الكنيـــة من والده | كرما فيه وطبعـا ألفه .
وهم من صاعد عن سادة ، | بأبي ، بجدهم مـا أنظفه !
لا تقسهم بالورى كلهم | فتقس ليث الشرى بالجعدفه .
فابن ابراهيم ، لاهوت العلى، | من دعاه بشراً ما انصفه .
يا رئيس الحكماء استجلها | من بنات الفكر بكرا مترفه،
انني انفذت تخلي قاصدا ، | أشتكي دهراً قليل النصفه[1]،
وبانعامك قــد عللتها | انه يجلو الخطوب المغدفه[2].
فابق للمجد ثمالا[3] ما رغت[4] | لغبا[5] جسرة[6] سار موجفه.
كم لكم من نعمة تالدة[7] ، | تترجى اختهـا المطرفه ،
جددوا ابرادها ، يا سادتي، | بـأياد منـــكم مؤتنفه[8]

(الرمل)

وكتب ابو اسمٰعيل الطغرائي إلى امين الدولة بن التلميذ :

يا سيدي ، والذي مودتـــه | عندي روح يحيا بها الجسد .
من ألم . الظهر أستغيث وهل | يألم ظهر اليـك يستند ؟

(المنسرح)

وكان محمد بن جكينا قد مرض وزاره امين الدولة فقال فيه ابن جكينا :

قصدت ربعي ، فتعالى بـه | قدري، فدتك النفس من قاصد.
فما رأى العالم، من قبلها ، | بحراً مشى قـط الى وارد

(السريـع)

وكان بعض الشعراء ببغداد اتى الى امين الدولة وشكى حاله واستوصفه فوصف ما يصلح للمرض الذي شكاه ، ثم دفع له صرة فيها دنانير وقال له : هذه تصلح بها مزوّرة زيرباج فاخذها وبرأ بعد ايام فكتب اليه :

اتيتـــه اشتكي وبي مرض | الى التداوي والرفد محتـــاج
فقلت ، اذ برني وابراني : | هـــذا طبيب عليه زرباج

(المنسرح)

---

(١) الانصاف والعدل .
(٢) المستورة المرخي عليها السدول الكثيرة .
(٣) الثمال : الغياث الذي يقوم بالامر . (٤) صاحت وصوتت . (٥) إعياء . (٦) جرأة وشجاعة .
(٧) الاصيل الموروث .
(٨) المبتدأ بها اي التي لم تقدم بعد . « ن. ر»

ومن كلام امين الدولة بن التلميذ ، حدثني سديد الدين بن رقيقة ، قال ؛ حدثني فخر الدين المارديني ، قال : كان يقول لنا أمين الدولة : لا تقدّروا ، ان أكثر الامراض تحيطون بها خبرة ، فان منها ما يأتيكم من طريق السماوة . وكان يقول أيضاً : متى رأيت شوكة في البدن ونصفها ظاهر فلا تشترط انك تقلعها ، فانها ربما انكسرت .

ومن كلامه قال : ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس ما لا تحسده عليه العامة ، ولا تحقره فيه الخاصة .

ومن شعر الاجل أمين الدولة بن التلميذ ، وهو مما أنشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي مما سمعه من والده قال : أنشدني أمين الدولة بن التلميذ لنفسه .

حبي سعيداً جوهر ثابت ، وحبه لي عرض زائل ،
به جهاتي الست مشغولة وهو إلى غيري بها مائل .

(السريع)

وانشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه .

اذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً ، فذلك موت خفي .
ألست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفي

(المتقارب)

وأنشدني ايضاً قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه .

تعس القياس فللغرام قضية ليست على نهج الحجى تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بعرفنا عرض وتفنى دونه الاجساد

(الكامل)

وأنشدني ايضاً قال : أنشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه في الوزير الدركزيني

قالوا فلان قد وزر [1] فقلت كلا لا وزر
والله لو حكمت فيه جعلته يرعى البقر

(الرجز)

وأنشدني أيضاً قال : انشدني والدي ، قال ، انشدني المذكور لنفسه :

قال الأنام ، وقد رأوه مع الحداثة ، قد تصدر :
من ذا المجاوز قدره ؟ قلت : المقدم بالمؤخر .

(الكامل المرفل)

---

(١) اصبح وزيراً .

وانشدني ايضاً ، قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه :

قـــد قلت للشيخ الجليـــل الاريحي أبي المظفر : ذكرٌ فـلان الدين بي . قـال : المؤنث لا يـذكر

(الكامل المرفل)

وأنشدني ايضاً قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه لغزا في السمك .

لبسن الجواشن خوف الردى ، وعلين فوق الرؤوس الخوذ .
فلما أتاها الردى أهلكت ، بشم نسيم الهوا المستلذ .

(المتقارب)

ومن شعر أمين الدولة بن التلميذ أيضاً قال :

سق النفس بالعـلم نحو الكمال ، تواف السعادة مـن بابها ؛
ولا ترج ما لم تسبب له ، فان الامـــور بأسبابهـــا

(المتقارب)

وقال ايضاً :

لولا حجاب أمام النفس يمنعها عن الحقيقة فيما كان في الازل ،
لادركت كل شيء عز مطلبه حتى الحقيقة في المعلول والعلل .

(البسيط)

وقال ايضاً :

العلم للرجـــل اللبيب زيادة ، ونقيصة للاحمـــق الطياش .
مثل النهار يزيد ابصار الورى نوراً ، ويغشي أعين الخفاش

(الكامل)

وقال ايضاً :

بزجاجتين قطعت عمري ، وعليهما عولت دهري :
بزجاجة ملئت بحـــبر ، وزجاجـــة ملئت بخمر .
فبذي أثبّت حكمـتي ، وبذي أزيـل هموم صدري

(الكامل المرفل)

وقال ايضاً :

تواضـع كالبدر استنار لناظر على صفحات الماء ، وهو رفيـع
ومن دونه ،يسمو الى المجد صاعداً، سمو دخان النار وهو وضيـع

وقال ايضاً :

اذا كنت محموداً فانك مرمد عيون الورى، فاكحلهم بالتواضع

(الطويل)

وقال أيضاً :

لا تحقرن عدواً لان جانبه ، ولو يكون قليل البطس والجلد ،
فللذبابة في الجرح المدّ (1) يدٌ تنال ماقصرت عنه يـد الاسد

(البسيط)

وقال ايضاً :

نفس الكريم الجواد باقيـة فيه، وان مس جلده العجف[2]؟
والحر حر وان ألم بـه الضر ففيـه العفاف والانف ؛
والنـذل لا يهتدي لمكرمة لان ذاك المزاج منحرف .
فالقطر[3] سم ان احتواه فم الصل ، ودر ان ضمـه الصدف

(المنسرح)

وقال ايضاً :

كانت بلهنية[4] الشبيبة سكرة ، فصحوت، فاستأنفت سيرة مجمل؛
وقعدت أرتقب الفناء كراكب، عرف المحل فبات دون المنزل

(الكامل)

وقال ايضاً :

قالوا : شباب الفتى خؤون والشيب واف فليس يرحـل
فقلت : أبعـدتم قيـاساً ذاك حبيب ، وذا موكل

(البسيط)

وقال ايضاً :

وارى عيوب العالمين ولا أرى عيباً لنفسي وهـو مني قريب
كالطرف يستجلي الوجوه ووجهه منه قريب وهـو عنه مغيب

(الكامل)

وقال ايضاً :

أجدّك ، ان مـن شيم الليالي العنيفة أن تجـور على اللهيف ،
كمثل الخلط أغلب مـا تراه يصب أذاه في العضو الضعيف

(الوافر)

«١» القيح .
(٢» الهزال .
«٣» الشيء الذي مطر .
«٤» زخاؤه ونعمته . « ن. ر »

وقال ايضاً :

كأس يُطفي لهب الأوام ، ثان يعين هاضم الطعام ،
وللسرور ثالث المدام ، والعقل ينفيه مزيد جام
(الرجز)

وقال ايضاً :

يا من رماني ، عن قوس فرقته ، بسهم هجر غلا تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته ، فذاك ذنب عقابه فيه ؛
لو لم ينله من العذاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه
(المنسرح)

وقال ايضاً :

عاتبت إذ لم يزر خيالك والنوم بشوقي اليه مسلوب
فزارني منعما وعاتبني كما يقال المنام مقلوب
(المنسرح)

وقال ايضاً :

لسيف جفونك فضل على مواضي السيوف التي في الجفون .
فتلك ، مع القتل ، لا تستطيع رجع النفوس بدفع المنون
وعيناك يقتلني شزرها [1] وأحيا بإيماضها [2] في سكون
(المتقارب)

وقال ايضاً :

تمت محاسنه سوى كلف ، حلو المواقع ، زانه بشر
وسموا به لألآء غرته عمداً ليعلم أنه بَدْرُ
(الكامل)

وقال ايضاً :

لا تحسبنّ سواد الخال عن خلل من الطبيعة ، أو احداثه غلطا ،
وانما قلم التصوير حين جرى بنون حاجبه ، في خده نقطا
(البسيط)

وقال ايضاً :

ابصره عاذلي عليه ، ولم يكن قبله رآه ،
فقال لي : لو عشقت هذا ما لامك الناس في هواه ،

«١» النظر باعراض او غضب . «٢» مسارقة النظر .

قل لي الى من عدلت عنـــه وليس أهـــل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري يـــأمر بالعشق من نهـــاه
(البسيط)

وقال ايضاً :

يا من لبست عليه اثواب الضنا صفراً مشهّرة بحمر الادمع ،
ادرك بقية مهجة لو لم تذب ، شوقاً اليك ، نفيتها عن اضلعي
(الكامل)

وقال ايضاً :

انت شغلي في كل حال ، فنومي بخيـال ، ويقظتي بادّكـار .
طال ليلي بطول هجرك ، لا دا م ، وشوقي الى الليالي القصار
(الخفيف)

وقال ايضاً :

براني الهوى بري المدى فاذابني صدودك ،حتى صرت أنحل من امس
ولست أرى حتى أراك ، وانما يبين هباء الذر في افق الشمس
(الطويل)

وقال ايضاً :

وغزال ، فاق الغزالة حسناً ، فاتر الطرف ذي جفون مراض
قال إذ رمته : أتالك سخطاً . ليتـــه قالهـــا بصفحة راض
(الخفيف)

وقال ايضاً :

لئن تعوضت عن وصلي بمطرف فلا تظنن اني غـــير معتاض
اني بعزة نفس انت تعرفهـــا لسابق سلوة السالي باعراض
(البسيط)

وقال ايضاً :

قد كنت اعتد حينا لقياك انفس ربـــح
فقد بدت عـــن سلو سماء عقـــلي تصحي
مـــالي أهـــيم بحسن يكون عـــلة قبح
(المجتث)

وقال ايضاً :

لو كان يحسن غصن البان مشيتها ... تأوداً ، لمشاها غير محتشم .
في صدرها كوكبا نور أقلهما ... ركنان لم يدنوا من كف مستلم
صانتهما في حرير من غلائلها ... فنحن في الحل ، والركنان في الحرم

(البسيط)

وقال ايضاً :

عانقتها ، وظلام الليل منسدل ، ... ثم انتبهت ببرد الحلي في الغلس[1] ،
فبت احميه خوفا ان ينبهها ، ... واتقي ان أذيب العقد بالنفس

(البسيط)

وقال ايضاً :

لا تظني تجنبي لملال ، ... انت من خوف سلوتي في أمان .
رب هجر يكون أدعى الى الوصل ، ووصل أدعى الى الهجران .

(الخفيف)

وقال ايضاً :

وكان عذاري[1] عندها عذر وصلها ، ... فشاب ، فصار العذر في صدها عندي
فاعجب بأمر أمسى داعية الهوى ... يحول فيضحي اليوم داعية الصد

(الطويل)

وقال لغزاً في السحاب :

وهاجم ليس له من عدوى ، ... مستبدل بكل مثوى مثوى
بكاؤه وضحكه في معنى ... اذا بكى أضحك أهل الدنيا

(الرجز)

وقال ايضاً لغزاً في الميزان :

ما واحد ، مختلف الاهواء ، ... يعدل في الارض وفي السماء ؛
يحكم بالقسط بلا رياء ، ... أعمى يرى الرشاد كل رائي ،
أخرس لا من علة وداء ، ... يغني عن التصريح بالأيماء ،
يجيب ، ان ناداه ذو امتراء ، ... بالرفع والخفض عن النداء .

(الرجز)

«١» ظلمة آخر الليل .

وقال ايضاً لغزا في الدرع :

وبيضاء ، لا للبيض والسمر قدها ، تظاهر في تقويمها الحر والبرد ؛
تجلت لنا حباً ، ولم تجر في رحا ولكن تولاه لها الدق والبرد ،
وقيت بها نفسي فكانت ، كأنها ، هي الشمس محبوبا بها الكوكب الفرد

(الطويل)

وقال ايضاً لغزا في الابرة

وكاسبة رزقاً سواها يحوزه ، وليس لها حمد عليه ، ولا أجر .
مفرقة للشمل ، والجمع دأبها ؛ وخادمة للناس ، تخدمها عشر .
اذا خطرت جرت فضول ذيولها سجية ذي كبر[1] وليس بها كبر.
ترى الناس طرا يلبسون الذي نضت تعمهم جوداً ، وليس لها وفر .
لها البيت بعد العز غير مدافع الى بأسه تعزى المهندة البتر .
أضر بها مثلي نحول يجسمها وان لم يرعها، مثلما راعني، هجر.

(الطويل)

وقال ايضاً لغزا في الظل

وشيء من الاجسام ، غير مجسم ، له حركات تارة وسكون .
يتم أواني كونــه وفساده وفي وقت محياه المحاق يكون
اذا بانت[2] الانوار بان لناظر وأما اذا بانت[3] فليس يبين

(الطويل)

وقال ايضاً مما يكتب على حصير

أفرشت خدي للضيوف ولم يزل خلقي التواضع للبيب الاكيس ؛
فتواضعي أعلا مكاني بينهم طورا ، فصرت أحل صدر المجلس

(الكامل)

وقال ايضاً في معناه

رب وصل شهدته فتمتعت عناقا بالعاشقين جميعا
وجداني للود أهلا ، وللسر مكانا ، وللصديق مطيعا.

(الخفيف)

(١) الشرف والرفعة .
(٢) ظهرت واتضحت .
(٣) انقطع وفارق .

(ن.ر)

وقال ايضا في مدخنة البخور

اذا الهجر أضرم نار الهوى ، فقلبي يضرم للهجر نارا ،
أبـــوح باسراري المضمرات تبدو سراراً[1]، وتبدو جهارا .
اذا ما طوى خبري صاحب أبى طيب عرفي الا انتشارا !

وقال ايضاً فيها

كل نار للشوق تضرم بالهجر ، وناري تشب عند الوصال ،
فاذا الصد راعني سكن الوجد ولم يخطر الغرام ببـــالي .

(الخفيف)

وقال ايضا فيها

يشكون المحبون الجوى عنـد التفرق والزيـــال[2]
وأشد مـا أصلى بنا والشوق أوقـــات الوصال .

(الكامل المرفل)

وقال ايضا فيها

رب حمىّ لا ترام عزتـــه أبحته النفس غـــير محجوب
يبدي عياني لمـــن تأملني نـــار محب ونشر محبوب

(المنسرح)

وقال ايضاً في مغسل الشرب

اذا ما خطبت الود بين معاشر ، فكن لهم مثلي تعد اخا صدق ؛
اذا استأثروا من كل كاس بصفوها، رضيت بما أبقوه من مشرب رنق[3]

(الطويل)

وقال ايضاً

لا تدع ربك ان يعذب عاشقاً ، لقبيـــح صورتها ، بغير وصالها

(الكامل المرفل)

وقال ايضا

أكثرت حسو [4] البيض كيما يستديم قيـام أيرك
ما لا يقـــوم ببيضتيك فـلا يقوم ببيض غيرك

(الكامل)

(١) خفيه غير ظاهرة
(٢) البعاد .
(٣) شرب .

وقال ايضاً يهجو انساناً بالعين

مدور العين فاتخذه لتل [1] غرس وثل [2] عرش
لو رمقت عينه الثريا أخرجها في بنات نعش
(البسيط)

وقال ايضاً

يا دار،لا تنكريني مني التفات‌فتى فراق أحبابه أجرى مدامعه
عهدت فيك قميراً كان يؤنسني حيناً فعيناي تستقري مطالعه .
(الطويل)

وقال ايضا

خليل نأى عني فبدلت بعده مقيم‌الجوى من صفو عيش وطيبه
أغار عليه صرف دهر فغاله وعما قليل سوف يلحقني به
(الطويل)

وقال ايضاً

لا تعجبوا من حنين قلبي اليهم ، واعذروا غرامي
فالقوس ، مع كونها جماداً ، تئن من فرقة السهام
(البسيط)

وقال أيضا

كيف ألذ العيش في بلدة سكان قلبي غير سكانها
لو انها الجنة قد ازلفت [3] أرضَها الا برضوانها [4]
السريع

وقال ايضاً يرثي :

كم ذا الوقوف على غرور أماني أأخذت من دنياك عقد أمان
هل عيشة بعد الرضى مرضية كلا ، ولو كانت خلود جنان !
ان السماء لفقده لحزينة ، فرياحها نفس الكئيب العاني ؛
والغيث ادمعه وما برقت به نار الجوى والرَّعد للارنان [5] .

---

(١) ثله : صرعه .
(٢) ثله : هدمه .
(٣) قدمت .
(٤) الملك خازن الجنان .
(٥) الإرنان : الصوت الشديد .

لو ذاق فقدك من يلوم على البكا — لزرى [1] على التبسم والسلوان
تبعوك،اذا صلوا عليك، ولم تزل — كالنجم تهديهم بكل مكان .
كنت المقدم في الصفوف لجولة — الاقران أو لتلاوة القرآن .
لا تبعدن ، وما البعيد بمن نأى — حياً ، ولكن البعيد الداني

وقال ايضاً يرثي الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور دبيس الأسدي لما قتل .

لِيَبْكِ ابنَ منصور عُفاة[2] نواله — اذاعصفت بالريح نكباء حرجف[3]
ويذكرهم من ردهم بعبوسه — فتى كان يلقاهم ببشر ويسعف .
ولما سما فوق السماء بهمة ، — يغض لها طرف الحسود ويطرف،
رمته الليالي ، بل رمتنا برزئه — كبدر الدجى في ليلة التم يخسف.
عليك سلام ، لا تزال قلوبنا — على حزن ما هبت الريح توقف
ولا برحت عين السماء بوبلها [4] — على جدث واراك تهمي وتذرف

(الطويل)

وقال يهنىء بخلعة :

لئن شرفت مناسبها وجلت — لقد زفت الى كفء شريف
الى من زانها وأزان منها — كسالفة المليحة والشنوف [5]

(الوافر)

وكتب اليه الرئيس ابو القاسم علي بن أفلح الكاتب وقد نقه من مرض كان به .

انا جوعان فانقذ ني من هذي المجاعه
فرجي في الكسرة الخبز ولو كانت قطاعه[6]
لا تقل لى ساعة تصبر ، ما لي صبر ساعه
فخواي اليوم ما يقبل في الخبز شفاعه

(الرمل)

فكتب اليه امين الدولة بن التلميذ الجواب :

هكذا اضياف مثلي — يتشكون المجاعة
غير اني ليس عندي — لمضر من شفاعه

---

(١) عاب .
(٢) طلاب الفضل او رزق .
(٣) الريح البارد الشديد الهبوب .
(٤) المطر الشديد .
(٥) ما علق في الأذن او اعلاها من الحلي .
(٦) اللقمة التي يؤكل نصفها ويرد نصفها .

فتعلل بسويق [1] فهو خير من قطاعه
بحياتي قل : كما تر سمه سمعا وطاعه

واهدى الى الوزير ابن صدقه كتاب المحاضرات للراغب وكتب معه .

لما تعذر أن اكون ملازماً لجناب مولانا الوزير الصاحب ،
ورغبت في ذكري بحضرة مجده ، اذكرته بمحاضرات الراغب
(الكامل)

وكان ابو القاسم بن الفضل قد عتب على امين الدولة بن التلميذ عتباً مريباً ، فاجابه أمين الدولة بان خلع عليه قميصاً مصمتاً اسود وكتب اليه .

احبك في السوداء تسحب ذيلها خطيباً ولكن لا بذكر مثالبي [2]
(الطويل)

وقال ايضا

أتاني كتاب لم يزدني بصيرة بسؤدد مهديه الي وفضله
فقلت وقد اخجلتني بابتدائه أبى الفضل إلا ان يكون لاهله
(الطويل)

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين في صدر كتاب .

لا زال جدك بالاقبال موصولا وجد ضدك بالاذلال مغلولا
ولا عدمت من الرحمن موهبة تعيد ربعك بالعافين مأهولا
فنعم منطلق الكفين أنت اذا اضحى اللئيم عن المعروف مغلولا
تجود بالمال لا تسأل يداه وان تسأل فصاحته بذ الورى قيلا
لا يستريح الى العلات معتذرا اذا الضنين رأى للبخل تأويلا
يبادر الجود سبقاً للسؤال يرى تعجيله بعد بذل الوجه تأجيلا
لا غرو ان كسفت شمس الضحى وبدت فأكثر الناس تبجيلاً وتهليلا
فأنت سيفٌ غياث الدين أغمده صونا ، وعاد على الاعداء مسلولا
فلا خلا الدست [3] من غيث اذا قنطوا ظل نداه لدى الرواد مبذولا
فما يليق بغير السعد مسنده وان أعاروه إعظاماً وتبجيلا
فاسلم على الدهر في نعماء صافية من النوائب مرهوباً ومأمولا
« البسيط »

---

(١) طعام يتخذ من دقيق الحنطة او الشعير المغلي
(٢) المعايب .
(٣) المعايب .

وكتب في صدر كتاب الى جمال الرؤساء أبي الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد جواباً :

مـا نشر انفاس الرياض مريضة عوادهـا طـل الندى وقطار [1]
بدميثة [2] ميثاء [3] حلّى وجهها وحبا عليهـا حنوة [4] وعرار [5]
كفلت بثروتها مؤبـدة بهـا وكفى صداهـا جدول مدرار
بكت السماء فأضحكتها مثل ما أبكي فتضحـك بي الغـداة نوار
واذا تعارضهـا ذكاء تشمشمت فتمـازج النـوار والنـوار
مشت الصبا بفروعهـا مختـالة فصبـا المشوق وغيره استعبـار
واذا تغنى الطـير في ارجائهـا أبدى بلابل صـدره التذكار
يومـاً باطيب من جوارك شاهدا أو غائباً تدنو بك الاخبـار

وكتب اليه جمال الملك ابو القاسم علي بن أفلح في أثناء كتاب :

اني ، وحقك ، منـذ ارتحلت نهـاري حنـين وليـلي أنين .
ومـا كنت اعرف قبلي امرءاً بجسم يقـيم وقلب يبـين .
يقـول الخلي ، اذا مـا رأى ولوعي بذكراك لا تستكين ؛
تسل . فقل : دهاك الفراق ، أتدري جوى البين أنى يكون ؟
وكيف السبيـل الى سلوتي وحزني وفيّ وصبري خؤون ؟

« المتقارب »

فكتب أمين الدولة في جوابه :

واني ، وحبك ، مـذ بنت عنـك قلبي حزين ودمعي هتون
وأخلف ظني صـبر ُمعين ، وشاهد شكواي دمع َمعـين .
فلله أيامنـا الخـاليـات لو رد سالف دهر حنـين .
واني لارعى عهـود الصفـاء ، ويكلؤها لك ود مصون .
واحفظ ودك عـن قادح ، وود الاكارم علق ثمـين .
ولم لا يكون ، ونحن اليدا ن ، أنت بفضلك منها اليمين .
اذا قلت اسلوك قـالوا الغـرا م : هيهات ذلك ما لا يكون !
وهـل لي في سلوة مطمـع وصبري خؤون وودي أمين

وكتب في صدر كتاب الى العزيز أبي نصر بن محمد بن حامد مستوفي الممالك :

لعمر ابيك ، الخـير ليس لواحد من الناس إلا حـامد لابن حامد

---

(١) السحاب الكثير القطر - المطر - .
(٢) ما سهل ولان . (٣) لينة سهلة من غير رمل .
(٤) نبت سهلي طيب الرائحة او هو الريحان او الرند او الغار ، او هو آذريون البر ، نبته شديد الخضرة طيب الريح ، زهرته صفراء ليست بضخمة . (٥) النرجس البري (ن.ر)

كانهم دانوا الاله بشكرهم | علاه ولكن لا كشكر ابن ساعد
هم خيروا عنه فاثنوا بصالح | وعندي بما اثنيت خير المشاهد

(الطويل)

وكتب الى ابن أفلح

أسأت بنفسي حين أزمعت رحلة | فهمي بمجموع بشملي المفرق
فان امرءاً يسر الموفق قربه | وفارقه طوعاً لغير موفق

وكتب الى موفق الدين أبي طاهر الحسين بن محمد لما اجتاز بساوة

(الطويل)

ودخل الى دار كتبها التي وقفها المذكور المكتوب اليه :

وفقت للخير اذ عممت به | طلابه يا موفق الدين
أزلفت للناس جنة جمعت | عيون فضل اشهى من العين
فيها ثمار العقول دانية | قطوفها حلوة الافانين
لا زلت تسمو بكل صالحة | بسعدي قدرة وتمكين
ويرحم الله كل مستمع | مشيع دعوتي بتأمين

(المنسرح)

ولامين الدولة بن التلميذ من الكتب : أقراباذينه العشرين بابا ، وشهرته وتداول الناس له أكثر من سائر كتبه . اقراباذينه الموجز البيمارستاني ، وهو ثلاثة عشر بابا . المقالة الأمينية في الادوية البيمارستانية . اختيار كتاب الحاوي للرازي . اختيار كتاب مسكويه في الاشربة . اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط . اختصار شرح جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة لابقراط . تتمة جوامع الاسكندرانيين لكتاب حيلة البرء لجالينوس . شرح مسائل حنين بن اسحق على جهة التعليق. شرح احاديث نبوية تشتمل على طب . كناش . مختصر الحواشي على كتاب القانون للرئيس ابن سينا. الحواشي على كتاب المائة للمسيحي . التعاليق على كتاب المنهاج ، وقيل انها لعلي بن هبة الله بن اثردي البغدادي . مقالة في الفصد . كتاب يشتمل على توقيعات ومراسلات . تعاليق استخرجها من كتاب المائة للمسيحي . مختار من كتاب ابدال الادوية لجالينوس .

أبو الفرج يحيى بن التلميذ

هو الاجل الحكيم معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ ، كان متعيناً في العلوم الحكمية ، متقناً للصناعة الطبية ، ، متحلياً بالادب بالغاً فيه أعلى الرتب . وكذلك أيضاً كان لأمين الدولة بن التلميذ جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب . وقد رأيت بخط الاجل

معتمد الملك يحيى بن التلميذ ما يدل على فضله ، وعلو قدره ونبله . وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطب ، وله تلاميذ عدة .

وقال الشريف أبو العلاء محمد بن الهبارية العباسي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحيى بن صاعد ابن التلميذ، وكان ابن الهبارية قد أتاه الى اصبهان فحصل له من الامراء والاكابر مالاً جزيلاً، يقول فيها:

وجميع ما حصلته وجمعته ... منهم ، وكنت له بشعري كاسبا
نعمى أبي الفرج بن صاعد الذي ... ما زال عني في المكاسب نائبا .
هو، لا عدمت علاه، حصل كل ما ... أملته ، ومري[1] فكنت الحالبا .
يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل ... للمكرمات الى جنابي جالبا ؛
أحيا مطامعي التي ماتت فتى ، ... أحيا الفتوة والمروءة دائبا ؛
ما زال ينعشني نداه حاضراً ، ... وينوب عني في المطالب غائبا .
في باب سيف الدولة بن بهائها ، ... وكذا نصير الدين كان مخاطبا ،
كاتبته بحوائجي وهززته ... فوجدته فيها الحسام القاضبا .
وكذاك في باب الاغر وغيره ... في الخطب كنت له بذاك مخاطبا
ما زال يغرسني يداه ولم ازل ... بعلاه ما بين البرية خاطبا .

ومنها

لا تحوجن أخاك ، لا بل عبدك القن ابن عبدك ، ان يروم اجانبا
فلأنت أولى بي ، لما عودتني ، ... عمن غدا لي في الاصول مناسبا .
لا زلت اثني بالذي أوليتني ، ... وعلى المديح محافظاً ومواظباً ،
وبقيت لي ذخراً ، ودمت ممتعاً ... بالمجد ، للابراد منه ساحبا.
ثقة الخلافة ، سيد الحكماء ، معتمد الملوك ، الفيلسوف ، الكاتبا ،
لم لا تكاتبني ، فكتبك نزهة ... حسنا تخال من الجلال كتائبا ،
ومن الملاحة واللطافة روضة ، ... ومن الافادة في البيان سحائبا .
مازح وطايب مااستطعت فماالفتى ، ... من لا يكون ممازحاً ومطايبا .
وفداك من نوب الزمان وصرفه ، ... قوم يريدون الزمان معايبا .
(الكامل)

ومن شعر ابي الفرج يحيى بن التلميذ ، نقلت من كتاب زينة الدهر لعلي بن يوسف بن أبي المعالي سعد بن علي الحظيري قال : وجدت بخط الاجل الحكيم معتمد الملك يحيى بن التلميذ لنفسه لغزاً في الابرة .

وفاغرة فماً في الرجل منها ، ... ولكن لا تسيغ به طعاما ؛

---

(١) مسح الضرع لتدر

وبخطفة الحشا في الرأس منها ، لسان لا تطيق به الكلاما ؛
تصول بشوكة تبدو وسم ، وما من ذاقه يرد الحماما ؛
تجر وراءها ابداً اسيراً ، كما قادت يد الحادي الزماما ؛
منيعا ذا قوى لكن تراه بقبضتها ذليلا مستضاما ،
فتلقيه بمجبسها مقيما طوال الدهر ، لا يأبى المقاما .
أيا عجبا لها سوداء خلقا ، تريك خلائقا بيضا كراما ،
غدت عريانة من كل لبس ، وفاضل ذيلها يكسو الاناما .
(الوافر)

قال وجدت بخطه في دار جديدة بناها سيف الدولة صدقة ، وقعت فيها نار يوم الفراغ منها

يا بانيا دار العلى ملأتها لتزيدها شرفا على كيوان
علمت بانك انما شيدتها للمجد والافضال والاحسان
فقفت عوائدك الكرام وسابقت تستقبل الاضياف بالنيران
(الكامل).

ومن شعر أبي الفرج يحيى بن التلميذ أيضاً قال لغزاً في القوس

وما ذو قامة ذات اعوجاج تئن وتنحني عند الهياج
لها المكر الخفي مع التمطي كمكر الراح في القدح الزجاج
(الوافر)

وقال ايضاً :

علق الفؤاد على خلو حبها علق الذبالة في الحشا المصباح
لا يستطاع الدهر فرقة بينهم الا لحين تفرق الاشباح
(الكامل)

وقال ايضاً :

فراقك عندي فراق الحياة فلا تجهزن على مدنف
علقتك كالنار في شمعها فما ان تفارق او تنطفي
(المتقارب)

وقال ايضاً :

بدا الينا أرج القادم فبرّد الغلة من حائم
روّح عن قلبي على نأيه وقد يلذ الطيف للحالم
(السريع)

وقال في ذم مغن :

لنا مغن ان شدا تدفننـــا ثلوجــه
فموتنا خروجـــه وبعثنا خروجــه

(الرجز)

أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا

البلدي لان مولده ببلد ، ثم أقام ببغداد ، كان يهوديا وأسلم بعد ذلك . وكان في خدمة المستنجد بالله ، وتصانيفه في نهاية الجودة . وكان له اهتمام بالغ في العلوم وفطرة فائقة فيها . وكان مبدأ تعلمه صناعة الطب أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين كان من المشايخ المتميزين في صناعة الطب ، وكان له تلاميذ عدة يتناوبونه في كل يوم للقراءة عليه ، ولم يكن يقرىء يهودياً أصلاً . وكان ابو البركات يشتهي ان يجتمع به ، وأن يتعلم منه ، وثقل عليه بكل طريق ، فلم يقدر على ذلك . فكان يتخادم للبواب الذي له ؛ ويجلس في دهليز الشيخ بحيث يسمع جميع ما يقرأ عليه ، وما يجري معه من البحث ، وهو كلما سمع شيئاً تفهمه وعلقه عنده .

فلما كان بعد مدة سنة أو نحوها ، جرت مسألة عند الشيخ وبحثوا فيها فلم يتجه لهم عنها جواب وبقوا متطلعين الى حلها . فلما تحقق ذلك منهم أبو البركات ، دخل وخدم الشيخ ، وقال : يا سيدنا ، عن أمر مولانا اتكلم في هذه المسألة ؟ فقال : قل ان كان عندك فيها شيء . فاجاب عنها بشيء من كلام جالينوس ، وقال:يا سيدنا ، هذا جرى في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني ، في ميعاد فلان ، وعلق بخاطري من ذلك اليوم . فبقي الشيخ متعجباً من ذكائه وحرصه ، واستخبره عن الموضع الذي كان يجلس فيه ، فأعلمه به . فقال : من يكون بهذه المثابة ما نستحل أن نمنعه من العلم وقربه من ذلك الوقت ، وصار من أجل تلاميذه .

ومن نوادر اوحد الزمان في المداواة:ان مريضاً ببغداد كان قد عرض له علة الماليخوليا،وكان يعتقد ان على رأسه دنا ، وانه لا يفارقه أبداً . فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة ويمشي برفق ، ولا يترك احداً يدنو منه ، حتى لا يميل الدن أو يقع عن رأسه . وبقي بهذا المرض مدة وهو في شدة منه . وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به . وانهى أمره الى اوحد الزمان ففكر انه ما بقي شيء يمكن ان يبرأ به الا بالأمور الوهمية ، فقال لاهله : اذا كنت في الدار فأتوني به. ثم ان اوحد الزمان أمر أحد غلمانه بان ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في الكلام معه، واشار الى الغلام بعلامة بينهما ، انه يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم انه على رأسه ، وأوصى غلاماً آخر ، وكان قد أعد معه دنا في أعلى السطح ، أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب الماليخوليا ان يرمي الدن الذي عنده

بسرعة الى الارض . ولما كان اوحد الزمان في داره ، وأتاه المريض شرع في الكلام معه وحادثه ، وانكر عليه حمله للدن ، واشار الى الغلام الذي عنده من غير علم المريض فاقبل اليه ، وقال والله لا بد لي أن اكسر هذا الدن وأريحك منه . ثم أدار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع ، وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح ، فكانت له جلبة عظيمة ، وتكسر قطعاً كثيرة. فلما عاين المريض ما فعل به ، ورأى الدن المنكسر ، تأوه لكسرهم اياه ، ولم يشك انه الذي كان على رأسه بزعمه ، واثر فيه الوهم اثراً برىء من علته تلك .

وهذا باب عظيم في المداواة ، وقد جرى امثال ذلك لجماعة من الاطباء المتقدمين مثل جالينوس وغيره في مداواتهم بالامور الوهمية . وقد ذكرت كثيراً من ذلك في غير هذا الكتاب .

وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال ؛ حدثني موفق الدين أسعد بن الياس المطران قال : حدثني الاوحد بن التقي ، قال ؛ حدثني أبي ، قال حدثنا عبد الودود الطبيب ، قال؛ حدثني أبو الفضل تلميذ أبي البركات المعروف بأوحد الزمان ، قال : كنا في خدمة أوحد الزمان في معسكر السلطان، ففي يوم جاءه رجل به داحس ، الا ان الورم كان ناقصاً ، وكان يسيل منه صديد، قال:فحين رأى ذلك اوحد الزمان بادر الى سلامية[1] اصبعه فقطعها ، قال : فقلنا له يا سيدنا لقد اجحفت في المداواة ، وكان يغنيك ان تداويه بما يداوي به غيرك ، وتبقي عليه اصبعه ، ولمناه وهو لا ينطق بحرف . قال: ومضى ذلك اليوم ، وجاء في اليوم الثاني رجل آخر مثل ذلك سواء ، فاومأ الينا بمداواته ، وقال : افعلوا في هذا ما ترونه صوابا . قال : فداويناه بما يداوي به الداحس، فاتسع المكان وذهب الظفر وتعدى الامر الى ذهاب السلامية الاولى من سلاميات الاصبع . وما تركنا دواء إلا وداويناه به ، ولا علاجاً إلا وعالجناه ، ولا لطوخاً إلا ولطخناه ، ولا مسهلا إلا وسقيناه ، وهو مع ذلك يزيد ويأكل الاصبع أسرع أكل ، وآل امره الى القطع ، فعلمنا ان فوق كل ذي علم عليم . قال : وفشا هذا المرض في تلك السنة ، وغفل جماعة منهم عن القطع فتأدى أمر بعضهم الى اليد ، وبعضهم الى هلاك انفسهم .

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي [2] فيما ذكره عن ابن الدهان المنجم ، قال : قال كان الشيخ أبو البركات قد عمي في آخر عمره ، وكان يملي على جمال الدين بن فضلان ، وعلى ابن الدهان المنجم ، وعلى يوسف والد الشيخ موفق الدين عبد اللطيف ، وعلى المهذب بن النقاش ، كتاب المعتبر .

وقيل ان أوحد الزمان كان سبب اسلامه انه دخل يوماً الى الخليفة ، فقام جميع من حضر إلا قاضي القضاة ، فانه كان حاضراً ولم ير انه يقوم مع الجماعة لكونه ذمياً . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) عظم الاصبع التي بين كل مفصلين .

(٢) اشتهر بعلم الكلام والفلسفة والطب والتنجيم . جول في العراق وسوريا ومصر (١١٦٢ - ١٢٣١)

ان كان القاضي لم يوافق الجماعة لكونه يرى اني على غير ملته ، فأنا أسلم بين يدي مولانا ، ولا أتركه ينتقصني بهذا . وأسلم .

وحدثني الشيخ سعد الدين أبو سعيد بن أبي السهل البغدادي العواد ، وكان في اول أمره يهودياً ، انه كان يسكن ببغداد في محلة اليهود قريباً من دار أوحد الزمان ، وانه لم يحققه كثيراً ، بل كان وهو صغير يدخل الى داره . وقال : وكان لأوحد الزمان بنات ثلاث ، ولم يخلف ولداً ذكراً ، وعاش نحو ثمانين سنة .

وحدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمـــد المعروف بابن الكريدي قال : كان أوحد الزمان وأمين الدولة بن التلميذ بينهما معاداة ، وكان أوحد الزمان لما أسلم يتنصل كثيراً من اليهود ويلعنهم ويسبهم ، فلما كان في بعض الايام في مجلس بعض الأعيان الأكابر ، وعنده جماعة وفيهم أمين الدولة بن التلميذ ، وجرى ذكر اليهود ، فقال أوحد الزمان : لعن الله اليهود . فقال أمين الدولة : نعم ، وابناء اليهود . فوجم لها أوحد الزمان وعرف انه عناه بالاشارة ولم يتكلم .

ومن كلام أوحد الزمان ، حدثني بدر الدين ابو العز يوسف بن مكي قال : حدثني مهذب الدين ابن هبل ، قال : سمعت أوحد الزمان يقول : « الشهوات أجر تستخدم بها النفوس في عمارة عالم الطبيعة لتذهل عما يلزمها من التعب ، ويلحقها من الكلال ؛ فأعلها في ذلك أخسها ، وأزهدها أحسها .

ولأوحد الزمان من الكتب : كتاب المعتبر ، وهو من أجل كتبه ، واشهرها في الحكمة . مقالة في سبب ظهور الكواكب ليلا واختفائها نهاراً ، ألفها للسلطان المعظم غياث الدين أبي شجاع محمد بن ملك شاه . اختصار التشريح ، اختصره من كلام جالينوس ، ولخصه باوجز عبارة . كتاب الاقراباذين ، ثلاث مقالات . مقالة في الدواء الذي ألفه المسمى برشعثا استقصى فيـــه صفته وشرح أدويته ، مقالة في معجون آخر ألفه وسماه أمين الارواح . رسالة في العقل وماهيته .

البديع الاصطرلابي

هو بديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي . من الحكماء الفضلاء ، والادباء النبلاء ، طبيب عالم ، وفيلسوف متكلم ، وغلبت عليه الحكمة وعلم الكلام ، والرياضي ، وكان متقناً لعلم النجوم والرصد . وكان البديع الاصطرلابي صديقاً لأمين الدولة بن التلميذ . وحكي انه اجتمع على أمين الدولة باصبهان في سنة عشرة وخمسمائة .

وحدثني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي قال : كان البديع الاصطرلابي أوحد زمانه في علم الاصطرلاب [1] وعمله ، واتقان صنعته ، فعرف بذلك .

(١) او الاسطرلاب : آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب .

أقول : وكان والد مهذب الدين أبي نصر من طبرستان (١) ، وهو المعروف بالبرهان المنجم. وكان علامة وقته في أحكام النجوم ، وله حكايات عجيبة في ذلك . وقد ذكرت أشياء منهـا في كتاب اصابات المنجمين . وكان قد اجتمع بالبديع الاصطرلابي وصاحبه مدة . وللبديع الاصطرلابي نظم جيد حسن المعاني .

ومن شعر البديع الاصطرلابي وهو مما أنشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم الحلبي قال : أنشدني والدي قال : أنشدني البديع الاصطرلابي لنفسه :

يا ابن الذين مضوا على دين الهـدى والطاعنين مقاعـد الاعـدام
فوجوههم قبل العلى وأكفهم سحب الندى ومنابر الاقلام
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أهدي لمجلسك الشريف ، وانما أهدى له ما حزت من نعمائه ؛
كالبحر يمطره السحاب وماله مَنٌّ عليه ، لانـه من مائه
(الكامل)

وأنشدني ايضاً قال : أنشدني والدي قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قـام الى الشمس بآلاتـه ، لينظر السعـد مـن النحس .
فقلت : أين الشمس ؟ قال الفتى: في الثور.قلت : الثور في الشمس
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قيـل لي : قد عشقته أمرد الخـد ، وقد قيل : انه تكريش (٢)
قلت:فرخ الطاووس أحسن ما كا ن اذا ما علا عليـه الريش
(الخفيف)

وأنشدني ايضاً ، قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

هل عثرت أقلام خط العذار في مشقها ، فالخال نقط العثار ؟
أم استـدار الخط لما غدت نقطته مركز ذاك المـدار ؟
وريقة الخمر ، فهـل ثغره در حباب نظمته العقـار ؟
(السريع)

---

(١) بلاد واقعة جنوبي بحر قزوين وشمالي جبال البرز تناوب الحكم فيها بنو طاهر ، وبنو بويه ، وبنو سامان ، وبنو سلجوق . (ن . د)

(٢) الحسن اللحية .

وقال أيضاً :

وذو هيئة ، يزهو بخال مهندس، أموت به في كل وقت وأبعث ؛
محيط بأوصاف الملاحة وجهه ، كان به اقليدس يتحدث ،
فعارضه خط استواء ، وخاله به نقطة ، والخد شكل مثلث .
(الطويل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه جواباً عن قصيدة كتبها اليه القيسراني ، أولها :

(أعرب الفضل من بديع الزمان، عن معان عزت على يونان .
ما تلاها ، لما تلاها ، ولكن فاتها حائزاً خصال الرهان)
(الخفيف)

قال مهذب الدين أبو نصر محمد : فرد جوابها قصيدة لم يبق على ذكري منها شيء سوى هذه الابيات :

أيها السيد الذي أطراني بمديح كالدار ، قد أطغاني ؛
والذي زاد في محلي وقدري ، وأذلّ الشاني بتعظيم شاني .
فتعنفقت ، أي باني كما قا ل مجيب الطباع سهل الجنان .
وترشحت للجواب فأعيا ني وانسل هارباً شيطاني
مجبلاً مجبلاً يقول اتق الله ، فمالي بما تروم اليدان .
أتظن الوهاد مثل الروابي ؟ أم تخال الهجين مثل الهجان ؟
أم تجاري طرفاً يفوت مدى الطر ف اذا ما تجاريا في مكان ؟
بجهار يفوته الزمن المقعد ان ارسلا غداة الرهان .
فاكتنفني ستراً ، فشمري بخطى حين يبدو لناظر ، عورتان

ومن شعر البديع الاسطرلابي ايضاً قال في غلام معذر :

كن كيف شئت فانني قد صغت قلباً من حديد
وقعدت انتظر الكسو ف وليس ذلك من بعيد
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً :

تقسم قلبي في محبة معشر ، بكل فتى منهم هواي منوط
كان فؤادي مركز ، وهم له محيط ، وأهوائي اليه خطوط
(الطويل)

وقال ايضاً :

وشادن في حبه سنّة | قد جعلت حبي له فرضا
ارضى بان اجعل خدي له | اذا مشى منتعلاً أرضا

(السريع)

وقال ايضاً :

اذاقني خمرة المنايا | لما اكتسى خضرة العذار
وقد تبدى السواد فيه | وكارتي بعد في العيار

(البسيط)

وقال ايضاً :

هجرت النكاريش [1] ثم انثنيت اعنف من بات يهواهم
وما زلت في المرد [2] ألحاهم [3] | الى ان بليت بالحاهم [4]

(المتقارب)

وقال ايضا

تاه على الناس باغرائه | أي فاحذروني انني ملسن
ان كان في أقواله معربا | فانه في فعله يلحن

(السريع)

وقال ايضا يهجو

مستيقظ فاذا استضيف | به يصير من النيام
وتراه في عدد الطغا | م اذا رأى مضغ الطعام
تبدو مصائبه العظا | م أو ان تجريد العظام

(الكامل المرفل)

وقال يهجو فاصدا

وفاصد مبضعه مشرع | كأنه جاء الى حرب
فصد بلا نفع فما حاصل | غير دم يخرج من ثقب
لو مر في الشارع من خارج | لمات مَن في داخل الدرب
خذه اذا جاشت عليك العدا | فوحده يغنيك عَن حرب

(السريع)

---

(١) الحسنو اللحية .
(٢) جمع امرد وهو الذي لم ينبت بعد شعر ذقنه (٣) اذمهم والومهم (٤) اكثفهم لحية (ن.ر)

وقال أيضاً وقد جـــاء بالعراق وفر كثير — يعني بالوفر الثلج —

يا صدور الزمان ليس بوفر ما رأيناه في نواحي العراق
انمـــا عم ظلمكم سائر الار ض فشابت ذوائب الآفاق
(الخفيف)

وقال في مغسل الشراب وهو جردان

اني اذا ما حضرت في مـــلأ عددت من بعض آلة الفرح
اذا تصدرت في مجـــالسهم تنغصوا لي بفاضـــل القدح
(المنسرح)

وللبديـع الاسطرلابي من الكتب اختصار ديوان ابي عبدالله الحسين بن الحجاج . زيج سماه المعرب المحمودي ألفه للسلطان محمود أبي القاسم بن محمد

ابو القاسم هبة الله بن الفضل

بغدادي المولد والمنشأ ، وكان يعاني صناعة الطب ويباشر اعمالها ، ويعد من جملة الموصوفين بها . وكان ايضاً يكحل إلا ان الشعر كان أغلب عليه وكان كثير النوادر خبيث اللسان ، وله ديوان شعر. وكان بينه وبين الأمير أبي الفوارس سعد بن محمد بن الصيفي الشاعر المسمى حيص بيص [١] شنآن [٢] وتهاتر [٣] ، وكانا قـــد يصطلحان وقتاً ثم يعودان الى ما كانا فيه . وسبب تسمية الحيص بيص بهذا انه كان العسكر ببغداد قد همّ بالخروج الى السلطان السلجوقي ، وذلك في أيام المقتفي لأمر الله ، فكان الناس من ذلك في حديث كثير ، وحركة زائدة . فقال : ما لي ارى الناس في حيص بيص ؟ فلقب بذلك ، وكان الذي الصق به هذا النعت أبو القاسم هبة الله بن الفضل ، وكان الحيص بيص يقصد في كلامه أبداً ، وفي رسائله الفصاحة البليغة ، والالفاظ الغريبة من اللغة .

ومن ذلك حدثني بعض العراقيين ان الحيص بيص كان قد نقه من مرض عـــاده فيه أبو القاسم ابن الفضل ، فوصف له أكل الدراج ، فمضى غلامه واشترى دراجاً واجتاز على باب أمير وبه غلمان ترك أصاغر يلعبون ، فخطف أحدهم الدراج من الغلام ومضى . فاتى الغلام اليه فاخبره الخبر فقال له ائتني بدواة وبيضاء ، فأتاه بها فكتب : لو كان مبتر[٤] دراجه فتخاء[٥] كاسر وقف بها السغب[٦]

(١) شاعر وفقيه شافعي وكان لا يتكلم الا الفصحي ويوما رأى الناس في حركة مزعجة فقال : ما للناس في حيص بيص ؟ فبقي عليه اللقب . وكان توفي سنة ١١٧٩ .
(٢) البغض .
(٣) مسابة بالقبيح .
(٤) القاطع الخاطف . (٥) اللينة الجناحين من الطيور ثم اطلق على العقبان . (٦) العطش .

بين التدوين والتمطر (١) فهي تعقى (٢) وتسف (٣) ، وكان بحيث تنقب أخفاف (٤) الابل ، لوجب الاغذاذ(٥) الى نصرته ، فكيف وهو ببحبوحة كرمك والسلام . ثم قال لغلامه امض بها وأحسن السفارة في وصلتها الى الامير فمضى ودفعها لحاجبه فدعا الامير بكاتبه وناوله الرقعة فقرأها ، ثم فكر ليعبر له عن المعنى فقال له الامير: ما هو ؟ فقال مضمون الكلام ان غلاما من غلمان الامير أخذ دراجا من غلامه ، فقال : اشتر له قفصاً مملوءاً دراجا فاحمله اليه . ففعل .

وحدثني شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ان الحيص بيص الشاعر ببغداد كان قد كتب الى أمين الدولة بن التلميذ ورقة يقصد فيها أن ينفذ اليه شياف أبار وهي أزكنك : ايها الطب (٦) اللب (٧) الآسي (٨) النطاسي (٩) النفيس (١٠) النقريس (١١) ، أرجنت (١٢) عندك أم خنور(١٣) ، وسكعت (١٤) عنك أم هوبر(١٥) ، اني مستأخذ أشعر في حنادري (١٦) رطسا (١٧) ليس كاسب (١٨) شبوة (١٩) ، ولا كنخر (٢٠) المنصحة (٢١) ، ولا كنكز (٢٢) الحضب (٢٣) ، بل كسفع (٢٤) الزخيخ (٢٥) ، فأنا من التباشير الى الغباشير (٢٦) لا اعرف ابن سمير من ابن جمير ، ولا أحسبن صفوان من همام ، بل آونة أرجحن(٢٧) شاصيا(٢٨) ، وفينة أحبنطي (٢٩) مقلوليا (٣٠)، وتارة أعرنزم(٣١) وطوراً واسلنقي (٣٢) ، كل ذلك مع أح وأخ وحس وتهم قرونتي(٣٣) أن ارفع عقيرتي بيعاط (٣٤) عاط الى هياط (٣٥) ومياط (٣٦) وهالي أول وأهون وجبار (٣٧) ودبار(٣٨) ومؤنس وعروبة وشيار، ولا أحيص (٣٩) ولا اكيص(٤٠) ولا اغرندي(٤١)ولا اسرندي(٤٢) فتبادرني بشياف (٤٣) الأبار النافع لعلتي الناقع (٤٤) لغلتي . قال فلما قرأ أمين الدولة الورقة ، نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبار ، وقال لبعض أصحابه أوصله اياها عاجلاً ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية .

وكتب الحيص بيص الى المقتفي لامر الله سبع رقاع عند طلبه بعقوبا (٤٥) منه :

الاولى انها لطايا ولاء حملت سفر ثناء ، غرد بها حادي رجاء ، والمنزل الفناء .

الثانية : أجري جياد حمد في ساحات مجد ، اجراء ممطر نهد من غير باعثة (٤٦) وجهد ، منتجعاً

---

(١) الاسراع في الهوي . (٢) ترتفع في طيرانها وتحوم . (٣)تمر على وجه الارض . (٤)جمع خف وهو للابل كالحافر للفرس .
(٥) الاسراع في السير .
(٦) الحاذق بعلمه . (٧) اللطيف القريب من الناس . (٨) طبيب الجرح . (٩) الحاذق بالطب والامور .
(١٠) ذو القدر والخطر .
(١١)الطبيب الماهر المدقق الفطن(١٢)ألفت(١٣)الدنيا (١٤)ضلت(١٥) لم اجد لها معنى في المعاجم(١٦)أحداقي اي عيوني (١٧) ضربا (١٨) شعر العانه واصله وسب وهو العشب الكثير الملتف (١٩) العقرب (٢٠) وخز (٢١) المخيطة اي الابرة (٢٢) طعن الحية بانفها (٢٣) ذكر الحيات الضخم او الابيض او الدقيق منها (٢٤) اللفح اليسير (٢٥) النار (٢٦) ما بين الليل والنهار من الضوء (٢٧) مال واهتز (٢٨) رافعا يدي ورجلي (٢٩) ينتفخ بطني غضبا - واصل المعنى في التخبط الورم - (٣٠) قلقا مستوفزا (٣١) تجمع وتقبض (٣٢) نام على ظهره (٣٣) نفسي (٣٤) كلمة استغاثه (٣٥ و٣٦) في الهياط والمياط اي دنو وتباعد او اضطراب او الهياط اشد السوق في الوردع والمياط اشده في الصدر ويراد منه المجيء والذهاب (٣٧) كل ما افسد واهلك (٣٨) الهلاك والدمار(٣٩) عدل وحاد وانهزم (٤٠) عجز (٤١) علاه بالشتم والضرب والقهر (٤٢) علاه وغلبه او جهل عليه (٤٣) ادوية للعين (٤٤) الذي يقطع العطش ويذهبه ويسكنه من الشراب (٤٥) وردت هنا بعقوبا والاصح بعقوبة وهي واحة في العراق مشهورة ببلحها وليمونها في الماضي .(٤٦)سبب .

غب الغاية كرماء .

الثالثة : جد يا أمير المؤمنين بوفر دثر[1] ، لا بكي[2] ولا نزر ، لمفصح شعر ، يمم لجة بحر يرتاد عتاد دهر ، فالقافية سحر ، والسامع حبر ، والعطاء غمر [3] .

الرابعة : ان الموصل واليغاران هما اقطاع ملكين سلجوقيين ، وكانتا جائزتين لشاعرين طائيين من إمامين مرضيين، أحدهما معتصم بالله ، والآخر متوكل على الله ، والبناء الاشرف اعظم، وعطاؤه أرزم فعلام الحرمان ؟

الخامسة : خامسة من الخدم ، في انتجاع شابيب الكرم ، من القدس الاعظم ، حلوان قافية ، تجري كناجية ، بمخترق بادية ، تهدي سفراً ، وتسهل وعرا ، والرأي بنجح آمالها أحرى .

السادسة : ان وراء الحجاب المسدل لا يهم طود ، وخضم يم مخرس خطب ، وقاتل جدب ، جل فبهر ، وعز فقهر ، ونال فغمر ، صلوات الله عليه ما هبت الريح ، ونبت الشيح [4] .

السابعة ، يا امير المؤمنين ، مائة بيت شعر او سبع رقاع نثر ، اتذاد عن النجح ذياد الحائمات ؟ كلا ان الاعراق لبوية ، والمكارم عباسية ، والفطنة لوذعية [5] ، وكفى بالمجد محاسباً .

ماذا اقــول اذا الرواة ترنموا بفصيح شعري في الامام العادل ؟
واستحسن الفصحاء شأن قصيدة ، لأجل ممدوح ، وأفصح قائل ؟
وترنحت أعطافهم فكأنما في كل قافية سلافــة بابل ؟
ثم انثنوا غب القريض وضمنه ، يتساءلون عن الندى والنائل .
هب ، يا أمير المؤمنين ، بأنني قص الفصاحة ، ما جواب السائل ؟
« الكامل »

وكانت وفاة أبي القاسم بن الفضل في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (ومن شعر) أبي القاسم هبة الله أنشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم الحلبي ، قــال : انشدني بديع الدين أبو الفتح منصور بن أبي القاسم بن عبدالله بن عبد الدائم الواسطي المعروف بابن سواد العين ، قال : أنشدني أبو القاسم هبة الله بن الفضل لنفسه :

في العسكر المنصور ، نحن عصابة مرذولة ، أخسس بنـا من معشر
خذ عقلنا من عقدنا فـيما ترى من خسة ورقاعــة وتهور ،
تكريت[6] تعجزنا ونحن، بجهلنا ، نمضي لنأخذ ترمذاً[7] من سنجر[8]

(١) كثير . (٢) الكثير البكاء اي الوافر الكثير . (٣) سخي كثير . (٤) نبت سهلي له رائحة طيبه ، وهو مر الطعم . (ن.ر)

(٥) اللوذعي : الحديد الفؤاد والنفس او الملسان الظريف وهنا بمعنى سريع الى الفهم والصواب .

(٦) مدينة على يمين شاطىء دجلة شمالي سامراء وفيها ولد صلاح الدين الايوبي . (٧) مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون (آموداريا) شمالي ايران فيها اثار تاريخها الى العهد البوذي . (٨) سلطان سلجوقي ١٠٨٦ - ١١٥٧ وهو فاتح تركستان .

اما الحويزي الدعي فانــه — دلو ، يشوب تكبراً بتمسخر ،
يكنى ابا العباس ، وهــو بذلة — حكت عليــه وأسجلت بعمر ،
في كــف والده وفي أقدامــه — آثار نيل [1] لا يزال وعصفر [2]
يمشي الى حجر القيان بنشطة — ويدب في المحراب نحو المنبر ،
وحديثه في الحق او في باطل — لم يخــله من وحشة وتمهزر [3]
واذا رأى البركيل [4] يرعد خيفة — ذي الهاشمية اصلها من خيبر [5]
نسب الى العباس ليس شبيهـه — في الضعف غـير الباقلاء الأخضر
والحيص بيص مبارز بقناتــه ، — وأنا بشعشعــتي طبيب العسكر
هذاك لا يُخشى لتقل بعوضة ، — وأنا فلا أرجى لبرء مدبر ؛
أجري بمبضعي الدماء ، وسيفه — في الغمد لم يعرض لظفر الخنصر ؛
لقرينه في الحرب طول سلامة ، — وصريــع تدبيري بوجــه مدبر

(الكامل)

وأنشدني أيضــاً قال : أنشدني البديع أبو الفتح الواسطي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه يمدح سديد الدولة [6] أبا عبد الله محمد بن الانباري كاتب الانشاء ببغداد :

يا من هجرت فــا تبالي ، — هل ترجــع دولة الوصال ؟
ما أطمع ، يا عذاب قلبي ، — أن ينعم في هــواك بالي ؛
الطرف من الصدود بــاك ، — والجسم كما ترين بــالي ؛
والقلب ، كما عهدت ، صاب — باللوعــة والغرام صــالي ؛
والشوق بخاطري مقيــم ، — ما يؤذن عنه بارتحــال .
يا من نكأت صميم قلبي — بالحزن وصورة الخبال ،
هيهات ، وقد سلبت غمضي ، — أن أظفر منك بالخيــال .
لو شئت وقفت عنــد حد — لا يسمح منــك في الدلال ،
مــا ضرك ان تعلليــني — في الوصل ، بوعــد محال ،
أهواكِ ، وأنت حظ غيري ، — يا قاتلتي فــما احتيــالي ؟
والقتــل لظاهري شعار ، — أن أنت عزرت باختيــال
ذا الحــكم ، علي من قضاة ؟ — من أرخصني لكل غالي ؟

---

(١) نبات يصبغ بعصارته وهو العظيم ولونه عصارته الزرقة ، (٢) نبات يصبغ به ولون عصارته الصفرة ،
(٣) الضحك والهزل (٤) هكذا في الاصل والصحيح البركل كما في التاج وهو فرخ الثعبان الكبير ، (٥) واحة على الطريق بين المدينة ودمشق وغزاها النبي (ص) عام ٦٢٨ وضرب الاتاوة على سكانها اليهود ، ثم اخرجهم منها عمر بن الخطاب ، وهنا يقصد الشاعر بها التحقير والذم (ن.ر)
(٦) من مشاهير الكتاب والمنشئين.

أيام عنائي فيـــك سود ... مـــا أشبههن بالليـــالي !
واللـــوّم فيك يزجروني ... عن حبك ، ما لهم ومـــالي ؟
العشق ، به الشغاف أضحى ... عن ذكر سواك في اشتغال ؛
والنار وان خبت لظاهـــا ... في الصدر تشب باشتعـــال .
يا مازمـــي السلو عنها ، ... الصب أنـــا ، وأنت سالي ؟
والقول بتركهـــا صواب ، ... ما أحسنه لو استوى لي !
دعني وتغزلي بخـــود[1] ، ... ترنـــو وتُغن عـــن غزال ،
حوراء ، لطرفهـــا سهام ... أمضى وأمضّ من نبـــال ؛
في القلب لوقعهـــا جراح ، ... لا برء لها مـــن اغتيال .
فارحم قلقا بهـــا وقيذا[2] ... واعذره فمـــا العذار خـــالي ؛
ما يحمـــل ان تـــلوم صبا ... ان هـــام بربـــة الجمـــال ،
ايـــاك ، وخلـــني وويـــلي ... في الوجـــد ، مسلماً لحـــالي
ان كنت تعـده صلاحـــاً ، ... دعـــني فهـداي في ضلالي :
في طاعتها بـــلا اختياري ، ... قد صح بعشقها اختلالي ،
طلقت تجلدي ثلاثـــا ، ... والصبوة بعـــد في حبـــالي
من أين ؟ وكيف لي بصبر ؟ ... عن حسن بعيدة المثال .
لم أحظ بطائل لديها ، ... الا بزخـــارف المحـــال ،
كم قد نكلت[3] عقيب عهد ... فالقلب لذاك في نكال[4] ؛
كا غرني الخـــداع منهـــا ... في القـــاع ، على ظمأ الزلال
هـــلّا صدقت كأريحي ... من أكرم معشر وآل ؟
راجيـــة لديـــه في جناب ... بالانعم سابـــغ الظـــلال ؛
مـــا الغيث يسح من يديـــه ... كالغيث يسح في الفعـــال !
من موئله ذرى سديـــد ... الدولة ذي الندى المدال ،
لا تطمع ان تنـــال منه ... بالضيم مرادهـــا الليـــالي ،
والغـــدر لعـــله تـــمام ... قـــد رقن له بـــلا اعتدال ،
تسقيه يـــد النجاح منهـــا ... مـــا شاء ببـــارد زلال .
في ربـــع مهنأ العطـــايا ... في الازمـــة مسبل العزالي .
أستصرخ منه حين أشقى ... بالشدة أرحـــم الموالي .

(١) المرأة الشابة .
(٢) الشديد المرض المشرف على الموت
(٣) نكص وجبن .
(٤) الارهاب .

من جود يديه لي كفيل ... في القحط براتب العيال ،
لا ينظر في سوى صلاحي ... ان أبصرني بسوء حال .
ما زال ، ولا يزال طبعاً ... يعطي كرماً ولا يبالي
لا يعجبه ملام ناه ... في الذب عن العلى بمال
فالسؤدد شمله جميع ... في دار مفرق النوال ،
من يلق محمداً بمدح ... يحمده باحسن الخلال
والوجد بغادة رداح [1] ... فالاعظم منه كالخلال
والجود بكف ذي سماح ... من خير مناقب الرجال
مولاي ، نداء مستجير ... يدعوك لدائه العضال :
يا أكرم منعم عليه ... في دفع مآربي اتكالي
دبر محني ، لعل جرحي ... يجبره نداك باندمال .
كم أوقفني غريم سوء ، ... في حال وقوفه حيالي ،
كالمفلس من يهود هطرى [2] ... في قبضة عامل الجوالي
ما صح لي الخلاص منه ... الا بصحاحك الثقال .
والعادة في صلاح عدمي ، ... في العود لمثلها سؤالي .
تقريظك ، ما حييت ، دأبي ... بالظاء على فراغ بالي
ما أكحل بالهجاء لكن ... بالقصد لكفك اشتغالي .
فالعرض أرده سميناً ... والكيس مخالف الهزال
من دبر هكذا مزاجاً ... بالحذق لصورة الكمال
فالصبغ اذا أتاه عفواً ... وافاه برزقه الحلال .
يا خير مؤمل اليه ... شددت بمدائحي رحالي
لم يقضك خاطري حقوقاً ، ... مذ أصبح ظاهر الكلال .
ان أثن عليك أبد عجزاً ... عن نعت معظم الجلال ،
أوصافك في الفخار ، جازت ... في الكثرة عدة الرمال ؛
فالخط [3] طوالها قصار ... عن خطك ساعة النزال .
كم راع بك القنا يراع ... في كفك واسع المجال
أقلامك أسهم قواض ، ... والنقش لهن كالنصال .
تقضي ثعل لها بفخر ... والقارة ساعة النضال
لو شاجرت الرماح كانت ... في الروع لكفها العوالي ،

(١) الثقيلة الادراك التامة الخلق .

(٢) انقاض مدينة في العراق جنوبي غربي الموصل على وادي الثرثار خربتها الزلازل اكتشف فيها الاثري العراقي ناجي الاصيل حصنا عثر فيه على تمثال آلهة الجاهلية العزه واللات والمناة .

(٣) قصد بها هنا الرماح نسبة الى الخط ، بلد بالبحرين تباع فيها الرماح (ن . ر)

أو صافحت الصفاح فلّت غربي متشعشع الصقال
أو حبرت المثال أبدت ما دق وجل عن مثال.
تملى فقراً من المعاني سددن مفاقر المعالي
ينفثن على الصباح ليلا ناهيك بسحرها الحلال
كتب ضمنت بلا اشتراط تمزيق كتائب جلال
هاروت اذا أتته ولى لا يخطر بابلا ببال
فيها سبح على لجين (١) اسنى قيماً من اللآلي
في النشر كاوجه العذارى غلفن بفاخر الغوالي (٢)
الفاظك للوعول حطت مستنزلة من الفلال
بالكيد تقتل الاعادي ، في السلم لها بلا قتال .
كم رضت من الورى جموحاً للعقل فعاد في عقال (٣)
لا زلت موفق المساعي بالجد مشفع بالسؤال
تنقاد لك الامور طوعاً يا خير بقية الرجال ،
يا أكرم والد لنجل يتلوه مهذب الخلال
أكرم بفتاك من ولي للدولة مخلص موال
ان جاد يخجل الغوادي أو قال أجاد في المقال .
يا شمس علا زهت ببدر حاشاه يقاس بالهلال
لا زال مشرقاً منيراً في ظلك دائم الكمال
ما عادك بالسرور عيد ترعاه باحسن اشتمال
في أسبغ نعمة وعيش بالطيبة دائم التوالي
لا زال علاك في ثبات لا يسلمه الى زوالي
عن أخلص نية بصدق في طول بقائك ابتهالي
ما يلتبس الصحيح يوماً تالله عليك بالمحال

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه

لا أمدح اليأس ولكنه أروح للقلب من المطمع
أفلح من ابصر عشب المنى يرعى فلم يرع ولم يرتع
(السريع)

---

(١) الفضة .
(٢) النفائس ،
(٣) الحبل الذي يشد به البعير في وسط ذراعه ،

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، انشدني المذكور لنفسه

يا معشر الناس ، النفير النفير ، قد جلس الهردب[1] فوق السرير؛
وصار فينا آمراً ناهيـاً ، وكنت أرجو أنه لا يصير .
فكلما قلت : قذى ينجلي وظلمة عما قليـل تنير
فتحت عيني فـإذا الدولة الدولة والشيخ الوزير الوزير
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه . وقال في الحيص بيص الشاعر وكانت قد نبحت عليه كلبة مجرية [2] ، فقتل جرواً لها بالسيف:

يا ايها الناس،ان الحيص بيص أتى بفعلة أورثته الخزي في البلد
هو الجبان الذي ابدى شجاعته على جريّ ضعيف البطش والجلد؛
فانشدت أمه ،من بعدما احتسبت: دم الابليق عند الواحد الصمد ،
أقول للنفس : تأساء وتعزية احدى يدي أصابتني، ولم ترد ،
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي
(البسيط)

وانشدني أيضاً قال ، انشدني البديع الواسطي قال انشدني المذكور لنفسه
يا ابن المرخم صرت فينا حاكما ! خرف الزمان تراه أم جن الفلك؟
ان كنت تحكم بالنجوم فربما ، أما شريعة أحمد من اين لك ؟
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه يهجو البديع الاصطرلابي

لا غرو ان دهي الحجيج وان رموا منـه بنكبه ،
حج البديع وعرسه [3] وفتاه فانظر أي عصبة ؟
فثلاثـة من مـنزل : علق[4] ، وقواد[5]، وقحبة[6]
(الكامل المرفل)

ومن شعر أبي القاسم هبة الله بن الفضل أيضا قال يهجو أمين الدولة بن التلميذ

هذا تواضعك المشهور عن ضعة قد صرت فيه بفضل اللؤم متهم

---

(١) العجوز (٢) ذات جراء وهي صغار الكلاب

(٣) امرأته (٤) العلق في اللغة النفيس من كل شيء او الخمر او الجراب وارى انه قد استعملها هنا لما تستعملها العامة عندنا من المسبة والقبح (٥) الذي يهيء المرأة ليفجر بها ذوو الفجور اي الديوث (٦) الفاجرة « مولدة » لانهـا كانت تسعل او تتنحنح لتؤذن طلابها بقحابها .

قعدت عن أمل الراجي وقمت له　　هـذا وثوب على القصاد لا لهم

(البسيط)

وقال ايضاً

غــزال قط لا يهـوى　　سوى المطبوعـة التـبر

ولا يعجبـه المطبـو　　ع من نظمي ولا نـثري

(الهزج)

وقال ايضاً

أحسنت يا عسكر دين الهدى　　منهزمـاً في خمسمائة الف

كأنه الجبـال في سيره　　يزداد إقدامـاً الى خلف

(السريع)

وقال ايضاً

ألا قل ليحيى ، وزير الأنام　　محوت الشريعة محو السطور ،

كسرت الصحاح بتصحيحها ،　　واصبحت تضربها في الجذور .

وما ان قصدت لتهذيبهـا ،　　ولكن لتهذي بها في الصدور .

(المتقارب)

وقال ايضاً

وقالوا قد تحجب عنك مولى　　وصار له مكان مستخص [1]

فقلت سيفتح الاقفال شعري　　ويدخلها فان البرد لص

(الوافر)

وقال يمدح الدواء المعروف ببر شعثا لما ألف تركيبه أوحد الزمان :

تجرعت برشعثا وحالي اشعث　　فما نزلت بي بعده علة شعثا

ولو بعد عيسى جاز احياء ميت　　لاصبح يحيا كل ميت ببرشعثا

الطويل

وقال ايضاً

هـذا يقول استرحنا　　وذا يقـول عصينا

ويكذبان ويهـذي　　الذي يصدق منـا

المجتث

وقال ايضاً

كم ترددت مراراً　　وتجرعت مراره

(١) مخاص به (ن . ر)

ثم لما وفق الله ووقعت بكاره
لم يكن فيها من الحنطة ما تقرض فاره
الرمل

وقال ايضاً

أمدحه طوراً ، وأهذي به طوراً ، ولا أطمع في رفده [1]
مثل امام بين أهل القرى ، صلى بهم والزيت من عنده
السريع

وقال ايضاً

يا خائف الهجو على نفسه كن في امان الله من مسه
أنت بهذا العرض بين الورى مثل الخرا يمنع من نفسه
السريع

وقال ايضاً

كلما قلت قد تبغدد [2] قومي تحمصصوا [3]
ليس إلا ستر يشا ل ، وباب مجصص [4]
والغواشي [5] على الرؤ وس عليها المقرنص [6]
وأنا الكلب كل يو م لقرد أبصبص [7]
كلما صفق الزما ن لهم قمت أرقص
فمتى اسمع النداء ء وقد جاء مخلص ؟
(الخفيف)

ولأبي القاسم هبة الله من الكتب : تعاليق طبية ، مسائل وأجوبتها في الطب ، ديوان شعره .

العنتري

هو أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري، كان طبيباً مشهوراً وعالماً مذكوراً ، حسن المعالجة، جيد التدبير ، وافر الفضل ، فيلسوفاً متميزاً في علم الادب . وله شعر كثير في الحكمة وغيرها .

---

(١) العطاء .
(٢) انتسب الى بغداد .
(٣) انتسب الى حمص .
(٤) مطلي بالجص — الجفصين .
(٥) واحدتها غاشية وهي الغطاء على البصر والصدر وهنا يطلقها على الغطاء للرأس المثقب .
(٦) مشتق من القرانيص وهي خرز في اعلى الخف وذلك من القرنوص الذي هو مقدم الخف .
(٧) احرك ذنبي (ن. ر .)

وحدثني الحكيم سديد الدين محمود بن عمر رحمه الله : ان العنتري كان في أول امره يكتب أحاديث عنتر العبسي فصار مشهوراً بنسبته اليه .

ومن كلامه في الحكمة قال :

بني ، تعلم العلوم فلو لم تنل من الدنيا الا الغنى عمن يستعبدك بحق أو بباطل .

وقال : بني ، ان الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بازمة الجهل الى الخطأ والصواب . وقـــال : الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة .

وقال : الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق .

وقال : الجاهل سكران لا يفيق الا بالمعرفة .

وقال : الحكمة غذاء النفس وجمالها،والمال غذاء الجسد وجماله ،فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه ، وتم كماله ، ونعم باله .

وقال : الحكمة دواء من الموت الابدي .

وقال : كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح .

وقال : الحكمة شرف من لا شرف له قديم .

وقال : الادب أزين للمرء من نسبه ، وأولى بالمرء من حسبه ، وأدفع عن عرضه من ماله ، وأرفع لذكره من جماله .

وقال : من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه .

وقال : العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق .

وقال : عدم الحكمة هو العقم العظيم .

وقال : الجاهل يطلب المال ، والعالم يطلب الكمال .

وقال : الغم ليل القلب ، والسرور نهاره ، وشرب السم أهون من معاناة الهم .

ومن شعر أبو المؤيد محمد بن الجلي بن الصائغ المعروف بالعنتري أنشـدني إياه الحكيم سديد الدين محمود بن عمر بن رقيقة قـــال ، أنشدني مؤيد الدين ولد العنتري قال : أنشدني والدي لنفسه .

احفظ بني وصيتي واعمل بهـــا ... فالطب مجموع بنص كلامي :
قدم على طب المريض عنايـة ... في حفظ قوته مع الأيام ؛
بالشبه تحفظ صحة موجـــودة ... والضد فيه شفاء كل سقام .
أقلل نكاحك ما استطعت فانه ... ماء الحياة يراق في الأرحام ؛
واجعل طعامك كل يوم مرة ، ... واحذر طعاماً قبل هضم طعام ؛
لا تحقر المرض اليسير فإنـــه ... كالنار يصبح وهي ذات ضرام .
واذا تغير منك حال خارج ، ... فاحتل لرجعة حل عقد نظام .

لا تهجرن القيء ، واهجر كل ما كيموسه سبب الى الاسقام ؛
ان الحمى ، عون الطبيعة ، مسعد شاف من الأمراض والالام ؛
لا تشربن بعقب أكل عاجلا ، أو تأكلن بعقب شرب مدام ؛
والقيء يقطع والقيـــام كلاهما بهما وليس بنوع كل قيام .
وخذ الدواء اذا الطبيعة كررت بالاحتلام وكثرة الاحلام ؛
واذا الطبيعة منك نقت باطناً فدواء ما في الجلد بالحمام .
إياك تلزم أكل شيء واحد فتقود طبعك للأذى بزمام ،
وتزيد في الاخلاط ان نقصت به زادت فنقص فضلها بقوام .
والطب جملته ، اذا حققته ، حل وعقد طبيعة الاجسام
ولِعَقلِ تدبير المزاج فضيلة يشفى المريض بها وبالاوهام

(الكامل) [1]

أقول وهذه القصيدة تنسب أيضاً الى الشيخ الرئيس ابن سينا ، وتنسب الى المختار بن الحسن بن بطلان ، والصحيح انها لمحمد بن المجلى لما قدمته من انشاد سديد الدين محمود بن عمر لي مما أنشده مؤيد الدين بن العنتري لوالده مما سمعه منه . ووجدت العنتري أيضاً ذكرهـــا في كتابه المسمى « بالنور المجتنى » وقال انها له وقال أيضاً أنشدنيها سديدالدين .

وجودي ، به من كل نوع مركبِ من العالم المعقول والمتركّب :
فذهني مشكاة ، ونفسي زجاجة تضيء بمصباح الحجا المتلهّب ؛
ونوري من النور الالهي دائماً ، يصب على ذاتي بغير تسكّب ؛
وزيتي من الزيتونة العذب دهنهـا ، تنزه عن وصف بشرق ومغرب .
كاني في وصفي منارة راهب بقنديلها الشفاف أشرف كوكب

(الطويل)

وقال أيضاً

اذا ان غدا والنفس منه كجنة يغرد في أرجائهـــا كل طائر
تدبرت السبع الطباق وفارقت على شرف منها سجون العناصر

(الطويل)

وقال أيضاً

كأننـــا ممـتزج لم يزل من عـــالم النيّر والمُظْلِم
فبعضنـــا يختارهـــا داره وبعضنا يرقى الى الانجـــم

(السريع)

---

(١) ابو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا من كبار فلاسفة العرب وائمة المفكرين وسيأتي الكلام عليه .

وقال أيضاً :

الحق ينكره الجهول لانـــه عدم التصور فيه والتصديقا
فهو العدو لكل ما هو جاهل فاذا تصوره يعود صديقا
(الكامل)

وقال أيضاً :

لو كنت تعلم كل ما علم الورى جمعاً ، لكنت صديق كل العالم ؛
لكن جهلت ، فصرت تحسب كل من يهوى خلاف هواك ، ليس بعالم .
استحبي ان العقل اصبح ضاحكا ممـا تقول وأنت مثل النـائم
لو كنت تسمع ما سمعت ، وعالِماً ما قد علمت ، خجلت خجلة نادم
وضع الاله الخُلف[1] في كل الورى بالطبع حتى صار ضربة لازم
(الكامل)

وقال ايضاً :

أبلـــغ العـالمين عـــني باني كل علمي تصـــور وقيـــاس
قد كشفت الاشياء بالفعل حتى ظهرت لي وليس فيهـا التباس
وعرفت الرجـال بالعلم لمـــا عرف العلم بالرجـــال الناس
(الخفيف)

وقال ايضاً

قالوا : رضيت ، وانت اعلم ذا الورى ، بحقائق الاشيـــاء عن باريها
تجتاب أبواب الخمول . فقلت : عن كره ولست بجاهل راضيها ؛
لي همـة مأسورة لي صادفت سعدا بغـير عوائق تثنيها ؛
ضاق الفضاء بها ، فلا يسطيعها لعلوها الافلاك أن تحويها ،
مـا للمقـاصد جمة ومقاصدي ناط القضاء بها الفضا والتيها ؟
اطوي الليالي بالمنى ، وصروفها تنشرنني أضعاف ما اطويهـا .
اني على نوب الزمان لصابر اما سيفنى العمر أو يفنيها ؛
أما الذي يبقى فقد احرزته والفانيات لما افكر فيهـا .
(الكامل)

وقال ايضاً

بني ، كن حافظاً للعلم مطرحا جميع ما الناس فيه تكتسب نسبا ،
فقد يسود الفتى ، من غير سابقة للاصل ، بالعلم حتى يبلغ الشهبا .
غذ العلوم بتذكار تزد أبدا فالنار تخمد مهما لم تجد حطبا ،
اني أرى عدم الانسان اصلح من عمر به لم ينل علماً ولا نسبا !

(١) الاختلاف .

قضى الحياة ، فلما مات شيعه	جهل، وفقر، فقد قضّاهما نصبا.

(البسيط)

وقال ايضاً

كن غنياً ان استطعت والا	كن حكيماً فما عدا ذين غفل
انما سؤدد الفتى المال والعلم ،	وما ساد قط فقر وجهل

(الخفيف)

وقال ايضاً

اقسم العمر ثلاثاً واستمع	يا بني النصح مني ، والرشادا :
فاطلب الحكمة في أوله ،	واحرز العلم وجب فيه البلادا ؛
واكسب الاموال في الثاني، وكل	واشرح الراح ولا تبغ الفسادا ؛
وترقب آخر العمر فان	جاءك الموت ، فقد نلت المرادا ؛
وان اعتاقك ، في احداهما ،	طارق الموت فقد حزت الجهادا .
هذه سيرة مسعود بها	نال في الدنيا وفي الاخرى السدادا[1]

(الرمل)

وقال ايضاً

بني تعلم حكمة النفس انها	طريق الى رشد الفتى ودليل
ولا تطلب الدنيا فان كثيرها	قليل وعما رقدة فتزول
فمن كان في الدنيا حريصا فانه	يظل كئيب القلب وهو ذليل
ومن يترك الدنيا واصبح راهباً	فما للأذى يوماً اليه سبيل

(الطويل)

وقال ايضاً

نفسي تطالبني بما في طبعها	والعقل يزجرها عن الشهوات
والنفس تعلم ان ذلك واجب	والطبع يجذبها الى العادات
والطبع يقصر عن مراد كليهما	فكلاهما وقف على الحسرات
والنفس من خمر الحياة وسكرها	ستفيق بين عساكر الاموات

(الكامل)

وقال ايضاً

لا تدنين فتى يودك ظاهرا	حبا وضد وداده في طبعه
واهجر صديقك ان تنكر وده	فالعضو يحسم داؤه في قطعه

(الكامل)

---

(١) الرشاد والصواب والاستقامة .

وقال ايضاً

من لزم الصمت اكتسى هيبة تخفي عن النـــاس مساويه
لسان من يعقل في قلبه وقلب من يجهـــل في فيـه
(السريع)

وقال ايضاً

عدّل مزاجك ما استطعت ولا تكن كسوف أودى بـه التخليط
واحفظ عليك حرارة برطوبه تبقى فتركك حفظها تفريط
واعلم بانك كالسراج بقاؤه ما دام في طرف الذبال سليط
(الكامل)

وقال ايضاً

ثقلة الجسم يستمـــد غذاه طلبا منه للبقـــا والدوام
هو لمـا رأى التحلل طبعاً أخلف المثل بالغذا والطعام
(الخفيف)

وقال أيضاً

ومخطف[1] الخصر زارنا سحرا في غنج عينيه سحر هاروت
يحمل تفاحـــة موردة كدرة رُصّعت بيـاقوت
كأنهـا النجم في توقـده قـارن بـدرَ السماء في حوت
(المنسرح)

وقال : اهدى إلي بالرحبة بشر بن عبدالله الكاتب طبقاً من تفاح لم أشاهد مثله حمرة وندا ، فكتبت اليه . وقد كان طلب مني تشبيهاً في التفاح ، فقلت له اذا حضر عملت فيه تشبيها ، فنفذ ذلك فكتبت اليه

هُبّا ،فان الديك هب وصاحا ، جنح الظلامُ واسقياني الراحا ؛
راح تريح من الهموم ، وطبعها ينفي السقام ، وينعش الارواحا.
اهدى الرئيس، وفي نداه سجية تهدي النفائس غدوة ورواحا ،
طبقا من التفاح . اني لم ازل أهوىٰ الثمار وأعشق التفاحا .
ان الطبيعة والمزاج تشاركا في الكون لما اوجداه سماحا ،
صاغاه كالكافور ، لكن جلده قد ألبساه من النجيع وشاحا ؛
فكأنه من لون حبي قابس وكأنـه من نشر بشر فاحـا
(الكامل)

---

(١) ضامر خفيف لحم الجنب .

وقال في النارنج

سقياني من مخدرات الدنان — بنت كرم حمراء كالارجوان
وأدرهـا في مجلس ارهجته — نغمات النـايات والعيدان
وكأن الكؤوس فيه نجوم — أطلعتها أيدي البدور الحسان
وابتدت بعد قطعهـا فلك السعد جميعـا تغيب في الابـدان
وكأن النارنج بين الندامى — أكرا مثلت من الزعفران

(الخفيف)

وقال في الرمان الحامض

وشادن ابلج كالبدر — نادمته ليلا الى الفجر
بات به يصرف عنه الاذى — بنهل كاسات من الخمر
ينتقل الرمان في أثرها — مخافة من ضرر السكر
كانه وهو خبير به — يكسر الياقوت بالدر

(السريع)

وقال ايضاً

وبابلي اللحاظ كالقمر — أصبح في الارض فتنة البشر
أولاه فيض الجمال أجمعه — والحسن والظرف واهب الصور
خشيت من عقرب به قمر — فكيف بالعقربين في قمر

(المنسرح)

وقال ايضاً

ومهفهف[1] يغشى العيون غريقه — في لج ماء الحسن منه وموجه
قلم الطبيعة خطه والمشتري [2] — يملي عليه عطارد [3] من أوجه

(الكامل)

وقال في غلمان يسبحون بدجلة

وسرب غيد بشاطىء دجلة خرجوا — عن الثياب والقوا سائر الكلف
كأنهم وسط لج الماء أجمعهم — در تجرد في بحر عن الصدف

(البسيط)

وقال في غلام في الحمام

جردته الحمام من كل ثوب — وأرتني منه الذي كان قصدي
بدنا كالصباح من تحت ليل — حالك اللون اسود غير جعد

---

(١) الضامر البطن الدقيق الخصر (٢) نجم من الكواكب السيارة (٣) نجم من السيارات وهو اقربها من الشمس (ن.ر)

سكب الماء فوق جسم حكى الفضة حتى اكتسى غلالة ورد

(الخفيف)

وقال وكتبها الى صديق

جاء شعبان منـــذراً بالصيام فاسقياني راحاً بمـــاء الغمام ،
خندريساً ، كانها الشمس لونا ، وضياء ، أسفى من الاوهـــام .
واسقني من يمين أغيـــد ريم من بني الترك مثل بدر التمام .
فكأن الصهباء في الحسن والسا قي بها والحباب فوق المدام :
شمس ظهر ، في كف بدر ، عليها سمط در ، حكى نجوم الظلام ؛
سيما والربيـــع بالورد عـــاف يومه يشترى بسبعين عـــام

(الكامل)

وقال أيضاً

كتبت وبي من لاعج الشوق والاسى اليك جوى يوهي القوى والقوادما
ولولا الرجا ان يجمـــع الله بيننا كأحسن ما كنا أتيتك قادمـــاً
ولكنني أدعو الى الواحد الذي يرى كل شيء ان يردك سالماً

(الطويل)

وقال ايضاً :

يا من تربع جلقا [1] وغدا يدعى من السعداء عش أبدا ،
لا تطلبن بغيرهـــا بدلاً ، هي جنة الله التي وعـــدا ؛
قض الزمان ولا تبع ، طمعاً ، نقداً بوعد ترجيه غدا ،
واشرب بها صفراء صافية تنفي الهموم وتسلب الكمدا ؛
راحـــا اذا بزلت بانية قذفت على حافاتها الزبدا
فالعاقـــل الفطن اللبيب اذا نال المنى ، في منزل ، قعدا ،
اني لاهوى شرب صافيـــة مقطوبة في الكاس من بردى
من كف من يهوى الفؤاد بهـــا تسعى بهـــا والليل قد بردا
تسقي ندامى كالنجوم غدوا بيض الوجوه تخالهـــا بردا
ما نلتقي الا حليف حجى يلقي العـــلوم وشادياً غردا

(الكامل)

---

(١) اي دمشق .

وقال أيضاً :

سلام كانفاس الرياض بعالج[1] يبلغه ريح الصبا أرض جلق
الى ساكن فيها وفي القلب مثله مقيماً به عقلاً الى حين نلتقي
الى جنة الدنيا جميعاً وليتني أنخت بها يوماً من الدهر أينقي
وأنت بها فالراح غير لذيذة بغير نديم خالص الود مشفق
سميع مطيع للاخلاء قد صفا بغير قذى صفو الشراب المعتق
واني ليدعوني الهوى كل ساعة اليك وتغريد الحمام المطوق
سلام من الشعرى[2] اليماني دائماً الى تربها الشامية المتألق
وان مزق الدهر المعاند شملنا فان ودادي ليس بالمتمزق
وبدلني بالصد منك فحالتي كحالة مأسور بغربة موثق
ومن نكد الدهر الغشوم وصرفه يجاور رغماً .فيلسوف لأحمق
(الطويل)

وقال ايضاً :

يا حجة الدين سر بالله معتصماً ولا تكن لفراق حم ذا أسف
فالكواكب عذر في تنقلها عن البيوت لكي تحتل بالشرف
الدر لولا نحور الغيد ما خرجت به المقادير أحياناً من الصدف
فاقبل الى ملك ما نال غايته وما حواه ملوك الارض في السلف
هو الهيولى[3] وانت الجسم تقبل أصناف المعالي قبولاً غير مختلف
(البسيط)

وقال: استدعاني الرضا وزير الجزيرة في ليلة ممطرة فكتبت اليه مع الغلام :

قل للوزير أدام الله نعمته في دولة أمرها في الحضر والبادي
بعثت في طلبي والغيث منسكب والوحل قد كف سير الرائح الغادي
وقد رددت الذي نفذت في طلبي فابعث الي بمركوب ولباد
(البسيط)

فبعث اليه ما أراد وقال وكتبه الى بعض الكتاب :

دعني من المطل الذي لا ينقضي ابداً وسقم القلب بالتعليل

---

(١) رمال معروفة بالبادية قال في المصباح : جبال متواصلة يتصل اعلاها بالدهناء ، والدهناء ، قرب اليمامة ، واسفلها بنجد تتسع كثيراً حتى قال البكري : رمل عالج يحيط باكثر ارض العرب (ن.ر)
(٢) كوكب نير يقال له المرزم ، يطلع في شدة الحر بعد الجوزاء ، وهما الشعريان .
(٣) المادة الاولى والأصل وهي في اصطلاح الحكماء اصل جميع السور (ن . ر .)

قل لي نعم او لا بغير توقف ... فاليأس أروح لي من التطويل
لأكون من طمعي الكذوب كمن رأى ... أضغاث احـــلام بلا تأويل
(الكامل)

وقال يهجو علي بن مسهر الشاعر :

مـــا ولدت سعلاء من جن عبقر ... بأقبح شخص من عـــلي بن مسهر
له هامة صلعاء من فـوق قامـة ... مقوسة حـدباء في دور خنصر
بها جعَل [1] ما بين فكيه كامن يزج ... الخرا من فيه في كل محضر
ولما شكى داء قديمـاً بدبره ... الى وداء من فم منه ابخر [2]
فقلت دواء الدبر طعنـة اجرد ... عريض القفـا عريان اقرع اعور
تناك به من بين فخذي موسوس ... بـــه جنة كالعير هوج أيثر
وما يشتكي فوك الخبيث دواؤه ... بسواك جعس [3] مجه حجر خيبري
وكلّ من جوارشن البطون فانه ... لدائك أشفى من جوارشن قيصر
ففيك من العاهات ما لو تقسمت ... على الخلق جمعاً لم تجد غير مدبر
(الطويل)

وقال في المرأة :

قد أقبلت غولة الصبـــايا ... تنظر عن معـــلم النقاب
فقلت من أعظم الرزايا ... قفل على منزل خراب
أحسن ما كنت في عبـــاة ... ملفوفة الرأس في جراب
(البسيط) :

وقال يمتدح فضيلة الشرع :

ان الشريعة ألفت بصلاحها ... للعـــالم المتضادد المـــتمازج
الشرع اصلح كل غاو مارد ... وأمات شرة كل جان مارج
لولا الشريعة ما تجمع واستوى ... شمل الورى ومنوا بشر هائج
ان الشريعة حكمة ومنافع ... لمداخل ومصالح لمخارج
والعقـــل نور الله الا انـــه ... للعالم المحسوس غير ممازج
فمتى اكتفيت بفعل عقل داخل ... فسدت أمورك كلها من خارج
الانبيـــاء كواكب تهدي الى ... سبل الهدى لذوي السرى [4] والدالج [5]
(الكامل)

---
(١) ضرب من الخنافس
(٢) الكريه النفس
(٣) الخرا
(٤) مسير الليل
(٥) السائر في آخر ساعات الليل !

وقال حين ترك الخمر وتاب عنه وعن المدح بالشعر

نار الحيا ونار الفكر مذ نهكا ... جسمي تركت الحيا خشية النار
والكاس بالطبع تصدي عقل شاربها ... والسكر يسلب منه حكمة الباري

(البسيط)

وقال أيضاً :

صددت عن الصهباء [1] لما وجدتها ... منافرة مني طباعي واخلاقي
وعوضت عنها النفس كاسات حكمة ... تعللتها فازددت شوقاً الى الساقي

(الطويل)

وللعنتري من الكتب : كتاب النور المجتنى من روض الندما وتذكار الفضلاء الحكما ونزهة الحياة الدنيا ، رتبه على فصول السنة وضمنه اشعاراً وفوائد حسنة لجماعة من الأدباء ولنفسه أيضاً ، وأبان فيه عن فضل . كتاب الجمانة في العلم الطبيعي والالهي . كتاب الاقراباذين ،وهو أقراباذين كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة وأجاد في تأليفه . رسالة الشعرى اليمانية الى الشعرى الشامية ، كتبها الى عرفة النحوي بدمشق جواباً عن رسالة كتبها اليه من دمشق . رسالة حركة العالم يهنىء بها وزيراً استدعي الى وزارة بلد آخر ، وهو حجة الدين مروان لما وزره اتابك زنكي بن آق سنقر . رسالة الفراق ما بين الدهر والزمان والكفر والايمان . رسالة العشق الالهي والطبيعي .

ابو الغنائم هبة الله بن علي بن الحسين بن اثردى

من أهل بغداد متميز في الحكمة ، فاضل في صناعة الطب ، مشهور بالجودة في العلم والعمل .

ولأبي الغنائم هبة الله بن علي بن اثردى من الكتب : تعاليق طبية وفلسفية . مقالة في أن اللذة في النوم في أي وقت توجد منه ، وألف هذه المقالة لأبي نصر التكريتي طبيب الامير ابن مران .

علي بن هبة الله بن اثردى

هو أبو الحسن علي بن هبة الله بن علي بن اثردى من أهل بغداد . طبيب فاضل مشهور بالتقدم في صناعة الطب وجودة المعرفة لها ، حسن المعالجة جيد التصنيف .

ولعلي بن هبة الله بن اثردى من الكتب : شرح كتاب دعوة الاطباء ألفه لأبي العلاء محفوظ ابن المسيحي المتطبب .

سعيد بن اثردى

هو ابو الغنائم سعيد بن هبة الله بن اثردى ، من الاطباء المشهورين ببغداد ، وكان ساعور البيمارستان العضدي ، ومتقدماً في ايام المقتفي بامر الله .

(١) صفة للخمر

أبو علي الحسن بن علي بن اثردى

فاضل في صناعة الطب جيد الاعمال حسن المعالجة ، وكان من المشكورين ببغداد .

جمال الدين علي بن اثردى

هو جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي الغنائم سعيد بن هبة الله بن علي بن اثردى ، فاضل في صناعة الطب ، عالم بها ، متميز في علمها وعملها .

كان همام الدين العبدي الشاعر قد استعـــار من جمال الدين علي بن اثردى كتاب مسائل حنين ، فقال يمدحه ويشعره بان المسائل العارية قد وقع عليهـا اختياره على سبيل الدعابة ، وذلك في سنة ثمانين وخمسمائة :

حيـاك رقراق الحيـــا عني وخفـاف النسيم ،
فلأنت ذو الخُلُق الكريم ، وأنت ذو الخَلْق الوسيم .
غَدِقُ الانامل بالندى ، لَبِقُ الشمائل بالنعيم ،
مـا افـتر الا فرّ جيش دُجُنَّةِ الليل البهـيم .
نضر الفكاهة كالمـا م جرى على زهر الجميم ،[1]
ويسير أوقـــات الثرا ء كثير افراح النـــديم
لا بالملول ، ولا الجـــدو ل ، ولا الجهول ،ولا المليم ،
بـل يشفع القول اللطيف ، بوافر الطول الجسيم .
ناد الورى مستصرخـــاً هل من صديق او حميم ،
حمال أعبـاء القرين ، منيـع أكناف الحـريم ؟
وادع الكرام ، ولن يجيب سوى أبي الحسن الحكيم .
سمعـاً جمـال الدين قو ل مصاحب الود السليم :
هـل للمسائل رجعـة يوما الى الوطن القديم ؟
هيهات ، أعوز ما يرو م الفحل إلقاح العقيم .
بيني وبينك وصلة الافضـال والفضـل العمـيم ،
والوصلة العظمى ، حميـد ولاية النبأ العظـيم ،
انا ليجمعنـــا الولا ء على صراط مستقيم .

(الكامل المرفل)

وقال ايضاً يمدحه

سل لم جفا جفني الوسن[2] بعد بعـاد من ظعن [3]

(١) الكثير والمنتشر الناهض .
(٢) النوم . (٣) سار ورحل .

ومـن نأى بالصبر لم | غادر في قلبي الحزن
وقل لمن خال الهوى ، | قل لي ، على البعد وطن ؛
لم يبعـد الوجـد الذي | خلفـه البـين ولن ،
ولـن ترى جوانحي | ساكنة بعد سكن .
يا من يظـن الحب من | أيسر أحـداث الزمن
الحب مـا صير ثو | ب المرء للمرء كفن
لا مـا أسال مدمعـا | او جعـل السر علن
أمـا ، وممشوق القـوا | م ناعس الطرف أغن [1]
ينص جيـد مطفـل | تنشد خشفاً[2] ما شدن[3]
اني لاشتـاق فتـى | لا يتبع المن [4] منن [5]
ولن ترى أحسن مـن | شوقي الى أبي الحسن
مفتتن بـه فتـى | لولا هواه مـا افتتن
أحن شوقاً وجوى | فليته اشتـاق وحن
ولا أزال سائـلاً | عنه فهـل يسأل عـن
هيهـات أين ذو خـلا | من ذي غـرام وشجن
أخو الهـوى ليس له | من أسهم الوجـد جنن
تكاد تجـري نفسـه | لولا ارتبـاط بالبدن
وكيف لا أعشق معسول العطـاء واللسن
للمجـد مـا جـاد بـه | وللسمـاح مـا خزن
فسمحـه ذكـاؤه | وللسماحـات فطـن
لا ثلّ عرش سعـده | ولا وهى ولا وهـن
احمـده لا طالبـاً | منـه على الحمـد ثمن
ولا وداد مـن نأى | عـن الظبـاء والضبن
فابق لنـا مـا سجعت | حمـامة عـلى فـنن
وامض كما تؤثر من | نهـج العلى عـلى سنن
وليهنك العيـد الذي | بـه العـداة لم تهـن

(الرجز)

---

(١) ذو الغنة وهو الصوت من اللهاة والانف .
(٢) الصوت والحركة والحس الخفي (٣) قوي واستغنى .
(٤) ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع شكرها .
(٥) واحدها منة ومنة هي بالفعل الاحسان وبالقول اعتداد المرء بما يفعل من الاحسان على المحسن اليه . (ن . ر)

فخر الدين المارديني

هو الامام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر الانصاري . كان أوحد زمانه وعلامة وقته في العلوم الحكمية . قوي الذكاء فاضل النفس ، جيد المعرفة بصناعة الطب ، محاولا لأعمالها ، كثير التحقيق ، نزيه النفس ، محباً للخير ، متقناً للغة ، متفنناً في العربية . مولده في ماردين [١] واجداده من القدس وكان أبوه قاضياً . ولما فتح نجم الدين الغازي [٢] بن ارتق القدس بعث جده عبدالرحمن الى ماردين وقطن بها هو وأولاده . وكان شيخ فخر الدين المارديني في الحكمة نجم الدين بن صلاح ، وهو نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن السري ، وكان عجمياً من همذان استدعاه حسام الدين تمرتاش بن الغازي بن ارتق . وكان ابن الصلاح فاضلاً في الحكمة جيد المعرفة بها ، خبيراً بدقائقها واسرارها . وله تصانيف في الحكمة وأقام في آخر عمره بدمشق وتوفي رحمه الله في سنة(*) ودفن في مقابر الصوفية عند نهر بانياس بظاهر دمشق؛وقرأ فخر الدين المارديني صناعة الطب على أمين الدولة بن التلميذ .

وحدثني الحكيم سديد الدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة عن فخر الدين المارديني انه قرأ كتاب القانون لابن سينا على أمين الدولة بن التلميذ ، وباحثه فيه ، وبالغ في تصحيحه وتحريره معه . وكان ابن التلميذ يقرأ عليه صناعة المنطق . ومما قرأعليه في ذلك كتاب المختصر الاوسط للجرجاني[٣] لابن سينا . وأقام فخر الدين بن عبد السلام المارديني في مدينة حيني سنين كثيرة ، وكان في خدمة نجم الدين بن ارتق . قال سديد الدين محمود بن عمر وكان قد صحب فخرالدين المارديني في مدينة حيني وقرأ عليه صناعة الطب ، ولازمه مدة طويلة ، ولم يكن يفارقه في سفره ولا حضره ؛ ان الشيخ فخر الدين المارديني رحمه الله وصل الى دمشق ، وكنت معه في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وأقرأ بها صناعة الطب ، وكان له مجلس عام للتدريس . وكان من جملة من اشتغل عليه ولازمه مدة مقامه بدمشق الشيخ مهذب الدين عبدالرحيم بن علي ، وقرأ عليه الشيخ مهذب الدين بعض كتاب القانون لابن سينا وصححه معه . ولم يزل الشيخ فخرالدين المارديني مقيماً بدمشق الى آخر شهر شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فانه توجه قاصداً الى بلده ، ولما عزم على السفر أتاه الشيخ مهذب الدين وسأله ان كان يمكنه ان يقيم بدمشق ليتمم عليه قراءة كتاب القانون ، وأن يكون يوصل الى وكيله برسم النفقة في كل شهر ثلثمائة درهم ناصرية فلم يفعل . وقال : العلم لا يباع أصلاً ، بل من كان معي فانني اشغله اين كنت . ولم يمكن مهذب الدين التوجه معه ، ولما سافر فخر الدين المارديني من دمشق

---

(١) مدينة في تركيا تبعد عن حلب ٤١١ كيل (كيلومتر) بالقرب منها محطة الزعفران للسريان (٢) تركماني من بني ارتق هذه السلالة التي حكمت بلاد حصن كيفا وماردين ، وارتق اولهم حاكم اورشليم سنة ١٠٨٦ .

(*) بياض بالاصل

(٣) احسب انه عيسى بن يحيى من كبار الاطباء تعلم في بغداد وعلم في خراسان وخوارزم ومن تلاميذه ابن سينا (ن.د)

وكان في طريقه بحلب ، نفذ اليه الملك الظاهر غازي [1] بن الملك الناصر صلاح الدين ، واستحضره وأعجبه كلامه ، فطلب ان يقيم عنده فاعتذر اليه . ولم يقبل منه الملك الظاهر ذلك وأطلق له مالاً كثيراً وأنعم عليه ، وكان عظيم المنزلة عنده ، وبقي في خدمته نحو سنتين ، ثم سافر الى ماردين .

أقول : وتوفي فخر الدين الماريني رحمه الله يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة بآمد ، وله من العمر اثنان وثمانون سنة ووقف جميع كتبه في ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارتق ، وكان حسام الدين هذا فاضلاً حكيماً ، فيلسوفاً ، وقد وقف ايضاً في مشهده كتباً حكمية . والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من اجود الكتب وهي نسخه التي كان قد قرأ أكثرها على مشايخه وحررها ، وقد بالغ في تصحيحها واتقانها .

وحدثني سديد الدين محمود بن عمر وكان حاضراً عند الشيخ فخر الدين الماريني وقت موته قال لم يزل الشيخ فخر الدين لما أحس بالموت يذكر الله تعالى ويمجده ولم يفتر عن ذلك الى حين قضى ، وكان آخر شيء سمعناه منه : اللهم اني آمنت بك وبرسولك ؛ صدق صلى الله عليه وسلم ان الله يستحي من عذاب الشيخ .

ولفخر الدين الماريني من الكتب : شرح قصيدة الشيخ الرئيس ابن سينا التي أولها :

هبطت اليك من المحل الارفع .

وكان شرحه لهذه القصيدة لما سأله الامير عز الدين أبو القاسم الخضر بن أبي غالب نصر الازدي الحمصي ذلك ، رسالة فضح فيها بعض من اتهمه بالميل الى مذهب معيب .

ابو نصر بن المسيحي

هو أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي من المتميزين في صناعة الطب ، والأفاضل من اهلها والاعيان من اربابها . حدثني شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي قال : مرض الخليفة الناصر [2] لدين الله في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة مرضاً شديداً ،وكان المرض بالرمل ، وعرض له في المثانة حصاة كبيرة مفرطة في الكبر واشتد به الالم وطال المرض. وكان طبيبه ابو الخير المسيحي، وكان شيخاً حسناً مسناً وقد خدمه مدة طويلة ، وكان خبيراً متقناً للصناعة ، ومات وقد قارب المائة سنة ، فامتد به المرض وضجر من المعالجات، فاشار بان تشق المثانة لاخراج الحصاة . فسأل عن حذاق الجرائحين ، فاخبر برجل منهم يقال له ابن عكاشه من ساكني الكرخ بجانب بغداد الغربي، فاحضر وشاهد العضو العليل وامره ببطه [3] . فقال أحتاج أن أشاور مشايخ الاطباء في هذا . فقال له من

(١) صاحب حلب « ١١٦٧» — ١٢١٥ » وهو ثاني اولاد صلاح الدين الايوبي وسع مملكته الى حدود ارمينيا شمالا وحماة جنوباً وحارب الصليبيين . « ن.ر » .

(٢) الخليفة العباسي الرابع والثلاثون « ١١٨٠-١٢٢٥ » طمع بالاستيلاء على خوزستان وفارس فاستنجد بالمغول وبذلك هيأ السبيل الى غزوات جنكيزخان . وعلى ايامه فتح صلاح الدين القدس .

(٣) بشقه . « ن . ر »

تعرف ببغداد من صالحي هذه الصناعة ؟ فقال يا مولانا استاذي وشيخي أبو نصر بن المسيحي ، ليس في البلاد بامرها من يماثله . فقال له الخليفة اذهب اليه ومره بالحضور. فلما حضر خدم وقبّل الارض، امره بالجلوس فجلس ساعة ، ولم يكلمه ولم يأمره بشيء حتى سكن روعه . فلما آنس منه ذلك قال له يا أبا نصر ، مثل نفسك انك قد دخلت الى بيمارستان وانت تباشر بـه مريضاً قد ورد من بعض الضياع ، واريد ان تباشر مداواتي وتعالجني في هذا المرض كما تفعل بمن هـذه صفته . فقال : السمع والطاعة ولكني احتاج ان اعرف من هذا الطبيب المتقدم مبادىء المرض واحواله وتغيراته ، وما عالج به منذ اول المرض والى الآن .

فاحضر الشيخ ابو الخير واخذ يذكر له ابتداءات المرض وتغيرات احواله وما عالج بـه في اول الامر والى آخر وقت . فقال : التدبير صالح ، والعلاج مستقيم . فقال الخليفة : هذا الشيخ اخطأ ولا بد لي من صلبه . فقام ابو نصر بن المسيحي وقبل الارض ، وقال : يا مولانا ، بحق نعمة الله عليك وبمن مضى من اسلافك الطاهرين لا تسن على الاطباء هذه السنة ؛ وأما الرجل فلم يخطىء في التدبير ، ولكن لسوء حظه لم ينته المرض . فقال : قد عفوت عنه ، ولكن لا يعود يدخل علي . فانصرف ، ثم اخذ ابو نصر في مداواته ، فسقاه ودهن العضو بالادهان الملينات، وقال له : ان امكن ، نلاطف الامر بحيث تخرج هذه الحصاة من غير بط فهو المراد ، وان لم تخرج فذلك لا يفوتنا . فلم يزل كذلك يومين ، وفي ليلة اليوم الثالث رمى الحصاة ، فقيل انه كان وزنها سبعة مثاقيل [1] ، وقيل خمسة ، وقيل انها كانت على مقدار اكبر نواة تكون من نوى الزيتون . وبرأ وتتابع الشفاء ، ودخل الحمام ، فأمر ان يدخل ابو نصر الى دار الضرب ، ويحمل من الذهب مهما قدر ان يحمله ، ففعل به ذلك . ثم أتته الخلع والدنانير من أم الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي ، والوزير نصير الدين أبي الحسن ابن مهدي العلوي الرازي ، ومن سائر كبار الامراء بالدولة . فأما ام الخليفة وأولاده والوزير والشرابي نجاح فكانت الدنانير من كل واحد منهم ألف دينار [2] ، وكذلك من أكابر الامراء ، والباقين على قدر احوالهم . فأخبرت انه حصل من العين الدنانير عشرين ألف دينار ، ومن الثياب والخلع جملة وافرة ، وألزم الخدمة ، وفرضت له الجامكية السنية ، والراتب والاقامـة . ولم يزل مستمراً في الحكة الى ان مات الناصر .

قال : وحدثني بعض الاطباء ان ابن عكاشه الجرائحي كان قد نذر عليه انه يتصدق في بيعة سوق الثلاثاء بالربع مما يحصل له ، وانه حمل الى البيعة مائتين وخمسين ديناراً ، وصرف ابو الخير المسيحي من الخدمة ، وقد كانت منزلته قبل هذا جليلة عنده ، ومحله مرتفع ، ووصله هبات وصلات عظيمة .

---

(١) المثقال : درهم وثلاثة اسباع الدرهم . وهو : شرعي ووزنه ثمان وستون حبة واربعةاسباع الحبة . ويعادل بالوزن العشري ٦ ٣٦٤ ٣،٤ غرام هو ثمانون حبة اي ٤،٠٠٩٢ ؛ وصيرفي وهو اربع وثمانون حبة اي ٤،٠٨١١٤٣٧ غ.

(٢) نقد قديم وزنه مثقال وهو عشرة اسباع الدرهم وهو في الوزن العشري زنـة المثقال الشرعي اي ٣،٤٣٦ غ .
« ن . ر »

فمن جملتها انه اعطاه خزانة كتب الأجل أمين الدولة بن التلميذ . وكان مرض الناصر مراراً وبرأ على يده ، فحصل له فيها جمل وافرة . ثم توفي الشيخ ابو الخير في أيام الناصر فقيل له انه قد توفي ، وترك ولداً متخلفاً وجملة عظيمة من المال . فقال لا يعترض ولده فيما ورثه من ابيه ، فما خرج عنا لا يعود الينا .

ولابي نصر بن المسيحي من الكتب : كتاب الاقتضاب على طريق المسألة والجواب في الطب كتاب انتخاب الاقتضاب .

أبو الفرج

هو صاعد بن هبة الله بن توما نصراني من اهل بغداد، وكان من الاطباء المتميزين والاكابر المتعينين . حدثني شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي انه كان طبيب نجم الدولة أبي اليمن نجاح الشرابي ، وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكاتبه . ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في أوقات أمراضه . ثم حظي عنده الحظوة التامة وسلم اليه عدة جهات يخدم بها ، وكان بين يديه فيها عدة دواوين وكتاب . وقتل في سنة عشرين وستمائة وكان سببه انه احضر جماعة من الاجناد الذين كانت معايشهم تحت يده ، وانه خاطبهم بما فيه بعض المكروه ، فكمن له منهم اثنان ليلاً فقتلاه بالسكاكين . واعترضت تركته فامر الخليفة بان يحمل ما فيها من المال الى الخزانة ، ويبقى القماش والملك لولده . قال فاخبرني بعض البغداديين انه حمل من داره الى الخزانة من الدنانير العين ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار ، وبقي الاثاث والاملاك بما يقارب تتمة الالف الف دينار فترك لولده .

اقول : ووجدت الصاحب جمال الدين بن القفطي [1] قد حكى من أحوال صاعد بن توما المذكور ما هذا نصه قال : كان حكيماً طبيباً حسن العلاج ، كثير الاصابة، ميمون المعاناة في الاكثر، له سعادة تامة في هذا الشأن ، وكان من ذوي المروءات والأمانات. تقدم في أيام الناصر الى ان كان بمنزلة الوزراء، واستوثقه على حفظ أموال خواصه ، وكان يودعها عنده ، ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهر له في كل وقت ، وكان حسن الوساطة ، جميل المحضر ، قضيت على يديه حاجات واستكفيت بوساطته شرور . وسالمته الايام مدة طويلة ، ولم ير له غير شاكر وناشر . وكان الامام الناصر في آخر أيامه قد ضعف بصره وادركه سهو في اكثر اوقاته لاحزان تواترت على قلبه ، ولما عجز عن النظر في القصص والانهاءات استحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف « بست نسيم » وقربها وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه ، وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة والرقاع ، وشاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق . ثم تزايد الامر بالناصر ، فصارت المرأة تكتب الاجوبة بما تراه ، فمرة تصيب ومرة تخطىء

---

(١) ولد في قفط (١١٦٧ – ١٢٤٨) وسمع الحديث في مصر وحلب وجمع من الكتب الشيء الكثير فاوصى بها الناصر صاحب حلب . ووزر للملك العزيز (١٢٣٥) (ن.ر)

ويشاركها رشيق في مثل ذلك . واتفق ان كتب الوزير القمي المدعو بالمؤيد[1] مطالعة وحملها وعاد جوابها وفيه اختلال بين . فتوقف الوزير وأنكر ، ثم استدعى الحكيم صاعد بن توما وأسر اليه ما جرى وسأله عن تفصيل الحال ، فعرفه ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارىء في اكثر الاوقات ، وما تعتمده المرأة والخادم من الاجوبة . فتوقف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة عليه ، وتحقق الخادم والمرأة ذلك وقد كانت لهما أغراض يريدان تمشيتها لاجل الدنيا واغتنام الفرصة في نيلها . فحدسا ان الحكيم هو الذي دله على ذلك ، فقرر رشيق مع رجلين من الجند في الخدمة أن يغتالا الحكيم ويقتلاه ، وهما رجلان يعرفان بولدي قمر الدولة من الاجناد الواسطية ، وكان أحدهما في الخدمة والآخر بطالا . فرصدا الحكيم في بعض الليالي الى أن أتى الى دار الوزير وخرج عنها عائداً الى دار الخلافة ، وتبعاه الى ان وصل باب درب الغلة المظلمة ، ووثبا عليه بسكينيهما فقتلاه . وكان بين يديه مشعل وغلام ، وانهزم الحكيم لما وقع الى الارض بحرارة الضرب الى أن وصل الى باب خربة الهراس ، والقاتلان تابعان له ، فبصرهما واحد وصاح خذوهم فعادا اليه وقتلاه وجرحا النفاط الذي بين يدي الحكيم . وحمل الحكيم الى منزله ميتاً ودفن بداره في ليلته . ونفذ من البدرية من حفظ داره ، وكذلك من دار الوزير لاجل الودائع التي كانت عنده للحرم والحشم الخاص ، وبحث عن القاتلين فامر بالقبض عليهما وتولى القبض والبحث ابراهيم بن جميل بمفرده وحملهما الى منزله . ولما كان في بكرة تلك الليلة أخرجا الى موضع القتل وشق بطناهما وصلبا على باب المذبح المحاذي لباب الغلة التي جرح بها الحكيم . وكان موت الحكيم وقتله في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الاولى سنة عشرين وستمائة

أبو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل

كان نصرانياً وأصله من الحظيرة ونزل الى بغداد ، وكان اسمه أيضاً مارى ، وهو من اسماء الكنيسة عند النصارى ، فانهم يسمون اولادهم عند الولادة باسماء فاذا عمدوهم سموهم عند المعمودية باسم من اسماء الصالحين منهم . وكان ابو الحسين هذا طبيباً فاضلا وخدم بالدار العزيزة الناصرية الامامية ، وتقرب قرباً كثيراً وكسب بخدمته وصحبته الاموال ، وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم . وكان قد قرأ الأدب على أبي الحسن علي بن عبد الرحيم العصار ، وعلى أبي محمد عبد الله بن احمد بن الخشاب النحوي ، وعلى شرف الكتاب بن حيا وغيرهم . وله معرفة تامة بالمنطق والفلسفة وأنواع الحكمة ، وكان فيه كبر وحمق وتيه وعجرفة ، وينسب الى ظلم مفرط . ولم يزل على أمره ينسخ بخطه كتب الحكمة ، ويتصرف فيما هو بصدده من الطب ، وعلى حالته في القرب الى ان مات في يوم العشرين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن ببيعة النصارى بها .

---

(١) هو مؤيد الدين محمد ولد في قم ووزر للناصر ثم للظافر تم للمستنصر الى ان حبسه فرض ومات في بغداد سنة ١٢٣٢ (ن.ر)

ابن المارستانية

هو ابو بكر عبيد الله بن ابي الفرج علي بن نصر بن حمزة ، عرف بابن المارستانية .

حدثني شمس الدين ابو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي الكاتب : ان ابن المارستانية كان فاضلاً في صناعة الطب وأعمالها ، وسمع شيئاً من الحديث وكان عنده تميز وأدب . وعمل خطباً ، قال : وكان يعرضها على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين المكبري [1] ، وكان يستجيدها . وتولى النظر بالبيمارستان العضدي ثم قبض عليه وحبس به سنتين ، ثم افرج عنه . وعمل تاريخاً لمدينة السلام [2] سماه ديوان الاسلام الاعظم وكتب منه كثيراً ولم يتممه . وندب من الديوان في صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة للرسالة الى تفليس [3] ، وخلع عليه خلعة سوداء وطيلسان ، وتوجه الى هناك فأدى الرسالة وعاد الى بغداد ، فتوفي قبل وصوله بموضع يعرف بجرخ بند في ليلة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فدفن هناك .

ابن سدير

هـو ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالله من اهل المدائن يعرف بابن سدير — وسدير لقب لابيه - وكان طبيباً عالماً بصناعة الطب والمداواة ، ويقول الشعر . وكان فيه دماثة ودعابة ، وتوفي بالمدائن فجأة في العشر الاخير من رمضان سنة ستة وستمائة .

ومن شعر ابن سدير قال الحافظ ابو عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى بن الدبيثي الواسطي في كتابه : أنشدني ابن سدير لنفسه :

أيا منقذي من معشر زاد لؤمهم ... فأعيا دوائي واستكان له طبي
اذا اعتل منهم واحد فهو صحتي ... وان ظل حياً كدت اقضي به نحبي
اداويهم إلا من اللؤم إنـــه ... ليعيي علاق الحاذق الفطن الطب

(الطويل)

مهذب الدين بن هبل

هو ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن هبل البغدادي ، ويعرف ايضاً بالخلاطي . كان أوحد وقته ، وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي العلوم الحكمية . متميزاً في صناعة الادب وله شعر حسن وألفاظ بليغة . وكان متقناً لحفظ القرآن . ولد ببغداد في باب الازج بدرب ثمل في ثالث وعشرين ذي القعدة

«١» لغوي علم ابن الجوزي « ١١٣٤-١٢١٩ » .

«٢» لقب بغداد .

«٣» هي عاصمة الجمهورية الكرجية السوفياتية اليوم « ن.ر »

من سنة خمس عشرة وخمسمائة ، ونشأ ببغداد ، وقرأ الأدب والطب ، وسمع بها من ابي القاسم اسمٰعيل ابن احمد بن السمرقندي ، ثم صار الى الموصل واستوطنها الى حين وفاته .

وحدثني عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدنان النحوي الموصلي قال: كان الشيخ مهذب الدين بن هبل من بغداد، وأقام بالموصل ثم بخلاط[1] عند شاه ارمن صاحب خلاط، وبقي عنده مدة، وحصل من جهته من المال العين مبلغاً عظيماً. وقبل رحيله من خلاط بعث جملة ما له من المال العين الى الموصل الى مجاهد الدين قيماز الزيني وديعة عنده ، وكان ذلك نحو مائة وثلاثين ألف دينار . ثم أقام ابن هبل بماردين عند بدر الدين لؤلؤ [1] والنظام الى ان قتلها ناصر الدين بن ارتق صاحب ماردين. وكان بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بام ناصر الدين وعمي مهذب الدين بن هبل بماء نزل في عينيه عن ضربة ، وكان عمره اذ ذاك خمساً وسبعين سنة . ثم توجه الى الموصل وحصلت له زمانة فلزم منزله بسكة أبي نجيح . وكان يجلس على سرير ويقصده كل أحد من المشتغلين عليه بالطب وغيره .

أقول : وكان أيضاً يسمع الحديث ومن ذلك ، حدثني الحكيم بدر الدين أبو العز يوسف بن أبي محمد ابن المكي الدمشقي المعروف بابن السنجاري قال : حدثنا مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي العباس أحمد بن هبل البغدادي المعروف بالخلاطي ، أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم اسمٰعيل بن أحمد بن عمر ابن الاشعث السمرقندي ، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكناني ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر ، وأبو القاسم تمام بن محمد الرازي ، والقاضي محمد بن أحمد بن هرون الغساني المعروف بابن الجندي ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن علي بن أبي العقب ، وأبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يحيى القطان ، قالوا : اخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن ابراهيم ابن ابي العقب ، حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن صفوان البصري ، حدثنا علي ابن عياش ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة .

وكان شيخ مهذب الدين بن هبل في صناعة الطب أوحد الزمان ، وكان بن هبل في أول أمره قد اجتمع بعبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي، وقرأ عليه شيئاً من النحو، وتردد أيضاً الى النظامية ، وقرأ الفقه . ثم اشتهر بعد ذلك بصناعة الطب وفاق بها أكثر أهل زمانه من الاطباء ، وتوفي مهذب الدين بن هبل ، رحمه الله ، بالموصل ليلة الاربعاء ثالث عشر محرم سنة عشر وستمائة ، ودفن بظاهرها بباب الميدان بمقبرة المعافى بن عمران بالقرب من القرطبي .

ومن شعر مهذب الدين بن هبل قال :

أيا أثلات[3] بالعراق ألفتها عليك سلام لا يزال يفوح

«١» بلد بارمينيا .

«٢» عتيق نور الدين زنكي اتابك الموصل . قضى قسماً من حياته يحارب الامراء المتخاصمين في بلاد الموصل وجوارها . وله شعر (١١٨٠ – ١٢٥٩) (ن . ر)

«٣» واحدتها اثلة وهي شجرة الاثل وهو يشبه الطرفاء إلا انه اعظم منه وخشبه اصلب جيد تصنع منه القصاع والجفان .

لقد كنت جلداً ثاوياً بفنائها فقد عاد مكتوم الفؤاد يبوح
فما أحسن الايام في ظل أنسها قبيل طلوع الشمس حين تلوح
وقدغردالقمري[1]في غسق الدجى ووراعى حمام في الاصول ينوح
ذكرت ليال بالصراط وطيبها نطير لها شوقاً ونحن جموح

الطويل

وقال أيضاً :

أيا دوحة هام الفؤاد بذكرها عليك سلام الله يا دوحة الانس
رمتني النوى بالبعد منك وقربها وقد كنت جاراً لاصقاً لك بالامس
فيا ليت أني بعد بُعد أحبتي نقلت كريماً راضي النفس بالرمس
والا فليت الدهر يمكن منهم بقبضي حبال الوصل بالانمل الخمس
اذا جال طرفي في العراق وجوه كأني نظرت الافق من مطلع الشمس
تبدل تقليبي اليراع مع القنا بتقليب مطبوع بلقب بالفلس
واعتضت ثوباً كان للمجد شاملاً بثوب رجال كان أشبه بالحلس[2]
فمن لا يرى سوء القضاء وقدره بعقل رصين لا يقايس باللمس
يعش تائهاً في الخلق اعمى مشوها بعيد المرامي اليق الخلق بالنكس

الطويل

وقال ايضاً :

لقد سبتني غداة الخيف غانية[3] قدحازت الحسن في دل بها وضبا[4]
قامت تميس كخوط[5] البان غازلة مع الاصائل ريحي شمأل وصبا[6]
يكاد من دقة خصر تدل به يشكو الى ردفها من ثقله وَصَبا[7]
لو لم يكن اقحوان الثغر مبسمها ما هام قلبي بحبيها هوى وصبا[8].

ولمهذب الدين بن هبل من الكتب : كتاب المختار في الطب وهو كتاب جليـــل يشتمل على علم وعمل . كتاب الطب الجمالي ، صنفه لجمال الدين محمد الوزير المعروف بالجواد ، وكان تصنيفه للمختار سنة ستين وخمسائة بالموصل .

«١» ضرب من الحمام حسن الصوت .
«٢» كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج او الرحل .
«٣» اسم لعدة اماكن .
«٤» جهلة الفتوة .
«٥» الغصن الناعم .
«٦» ريح تهب مع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار .
«٧» التعب والفتور .
«٨» الشوق .

«ن . ر»

شمس الدين بن هبل

هو شمس الدين ابو العباس احمد بن مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل، مولده في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، انشقاق الصبح قبل طلوع الشمس. وكان مشتغلاً بصناعة الطب، متميزاً في الادب، وجيهاً في الدولة. وسافر الى بلاد الروم وأكرمه صاحب الروم الملك الغالب كيكاوس بن كيخسرو [1] اكراماً كثيراً وبقي عنده قليلاً وتوفي هناك رحمه الله، ثم حمل الى الموصل ودفن بها.

وكان لشمس الدين بن هبل ولدان من أعيان الفضلاء وأكابرهم وهما في وقتنا هذا مقيمان بمدينة الموصل.

كمال الدين بن يونس

هو كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة، علامة زمانه وأوحد أوانه، وقدوة العلماء، وسيد الحكماء. قد اتقن الحكمة، وتميز في سائر العلوم. وكان عظيماً في العلوم الشرعية والفقه. وكان مدرّسا في المدرسة بالموصل، ويقرأ العلوم باسرها من الفلسفة والطب والتعاليم وغير ذلك. وله مصنفات في نهاية الجودة. ولم يزل مقيما بمدينة الموصل الى ان توفي الى رحمة الله.

حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال: وكان ورد الى الموصل كتاب الارشاد للعميدي [2]، وهو يشتمل على قوة من خلاف علم الجدل، وهو الذي يسمونه العجم (جست) أي الشطار. فلما احضر الى الشيخ كمال الدين بن يونس نظر فيه وقال علم مليح، ما قصر فيه مؤلفه، وبقي عنده يومين حتى حرر جميع معانيه. ثم انه أقرأه الفقهاء وشرح لهم فيه أشياء ما ذكرها احد سواه. وقيل ان كمال الدين بن يونس كان يعرف علم السيمياء [3] من ذلك.

حدثني ايضاً القاضي نجم الدين بن الكريدي قال: حدثني القاضي جلال الدين البغدادي تلميذ كمال الدين بن يونس وكان الجلال مقيما عند ابن يونس في المدرسة – قال: كان قد ورد الى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من عند الانبرور [*] ملك الفرنج – وكان متفنناً في العلوم – رسول وبيده مسائل في علم النجوم وغير ذلك، وقصد ان كمال الدين بن يونس يرد أجوبتها. فبعث صاحب الموصل الى ابن يونس يعرفه بذلك، ويقول له أن يتجمل في لبسه وزيه ويجمل له مجلساً بأبهة لاجل

«١» احد الملوك السلجوقيين في آسيا الصغرى.

«٢» محمد السمرقندي العميدي فقيه حنفي صوفي اشتهر في الجدل وله علاوة عن كتابه «الارشاد» في الجدل كتاب «مرآة الحياة على المعاني في ادراك العالم الانساني في الفلسفة وقد توفي في بخارى سنة ١٢١٨

«٣» العلامة التي يعرف بها الشيء. واصله الارتفاع لأنه علامة رفعت للظهور اصلها وعلم السيمياء هو علم السحر.
«ن.ر»

«*» كذا في الاصل وهي الامبراطور تعريباً.

الرسول ، وذلك لما يعرفه من ابن يونس انه كان يلبس ثياباً رثة بلا تكلف ، وما عنده خبر من احوال الدنيا ، فقال : نعم . حكى جلال الدين ، قال : فكنت عنده ، وقد قيل له هذا رسول الفرنج قد أتى وقرب من المدرسة ، فبعث من الفقهاء من تلقاه فلما حضر عند الشيخ ، نظرنا فوجدنا الموضع فيه بسط من أحسن ما يكون من البسط الرومية الفاخرة ، وجماعة مماليك وقوف بين يديه وخدام وشارة حسنة . ودخل الرسول وتلقاه الشيخ وكتب له الاجوبة عن تلك المسائل بأسرها . ولما راح الرسول غاب عنا جميع ما كنا نراه ، فقلت للشيخ يا مولانا ما أعجب ما رأينا من ساعة من تلك الابهة والحشمة فتبسم وقال : يا بغدادي ، هو علم .

وقال جلال الدين : وكان للشيخ كمال الدين عند بدر الدين لؤلؤ حاجة . فركب عند الصبح ليلقاه فيها ، وكانت عادة بدر الدين أن يركب الخيل والبغال السريعة المشي ، فلما قدموا في السحر فرساً وركبه لم ينبعث في المشي ، فنزل عنه وركب غيره فلم يقدر على المشي خطوة ، فبقي متحيراً في أمره ، واذا بالشيخ قد وصل اليه وقال له عن حاجته فقضاها له ، ثم قال : ما كان الفرس امتنعت من المشي إلا حتى تقدم ، فقال : يا مولانا ، هذا من همة المشايخ . وعاد وسار بدر الدين لؤلؤ وتبعه العسكر

حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين الثاني — وقمراومتان هما قريتان من قرى صرخد [1] قال : كانا قد اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمية وتميزا واشتهر فضلهما ، وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ، ولما جاءا الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين ابن يونس وهو في المدرسة يلقي الدرس ، فسلما وقعدا مع الفقهاء . ولما جرت مسائل فقهية تكلما في ذلك وبحثا في الاصول ، وبان فضلهما على أكثر الجماعة ، فأكرمهما الشيخ وأدناهما . ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتاباً له كان قد ألفه في الحكمة وفيه لغز ، فامتنع وقال : هذا كتاب لم اجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به . فقالا له : نحن قوم غرباء ، وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك ، والوقوف على هذا الكتاب ، ونحن بائتون عندك في المدرسة ، وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة ، وبالغداة يأخذه مولانا وتلطفا له حتى انعم لهما وأخرج الكتاب ، فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم يناما أصلاً في تلك الليلة ، بل كل واحد منهما يملي على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ، ثم كررا النظر فيه مرات ، ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت ، وقد طلع النهار ، فظهر لهما حل شيء منه ، من آخره ، واتضح أولاً فأولا حتى انحل لهما اللغز وعرفاه . فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس ، فجلسا وقالا : يا مولانا ما طلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله ، واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان ، واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم ؟ وان شئت أوردناه .. فقال : قولا حتى اسمع ، فتقدم النجم القمراوي ؟ وتبعه الآخر ، وأوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره ، وذكرا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة . فعجب منهما وقال :

[1] بلدة بالشام في جبل حوران .

من اين تكونان ؟ قالا : من الشام . قال من اي موضع منه ؟ قالا : من حوران . فقال : لا أشك ان احدكما النجم القمراوي ، والآخر الشرف المتاني. قالا : نعم . فقام لهما الشيخ وأضافهما عنده وأكرمهما غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا .

اقول : وكان عمي رشيد الدين بن خليفة ، وهو في أول شبيبته ، قصد السفر الى الموصل ليجتمع بالشيخ كمال الدين بن يونس ويشتغل عليه، لما بلغه من علمه وفضله الذي لم يلحقه فيه احد وتجهز للسفر، فلما علمت بذلك والدته ، جدتي ، بكت وتضرعت اليه ان لا يفارقها ، وكان يأخذ بقلبها فلم يمكنه مخالفتها ، وأبطل الرواح اليه .

ولكمال الدين بن يونس أولاد بمدينة الموصل قد اتقنوا الفقه وسائر العلوم، وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين .

ومن شعر كمال الدين بن يونس قال :

ما كنت ممن يطيع عذالي	ولا جرى هجره على بالي
حُلْتُ كما حلتَ غادراً ، وكما	أرخصتَ أرخصتُ قدرك الغالي

(المنسرح)

وقـــال

حتى ومتى لي وعدكم لي زور	مطل واف ونائل منزور
في قلبي حب حبكم مبذور	زوروا فعسى يثمر وصلا زوروا

(دو بيت)

ولكمال الدين بن يونس من الكتب بكتاب كشف المشكلات وايضاح المعضلات في تفسير القرآن . شرح كتاب التنبيه في الفقه مجلدان . كتاب مفردات الفاظ القانون . كتاب في الاصول . كتاب عيون المنطق . كتاب لغز في الحكمة . كتاب الاسرار السلطانية في النجوم .

الباب الحادي عشر

طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم

تيادورس

كان نصرانياً وله معرفة جيدة بصناعة الطب ، ومحاولة لاعمالها ، وبنى له سابور ذو الاكتاف البيع في بلده ، ويقال ان الذي بنى له البيع بهرام جور . ولتيادورس من الكتب : كناش .

برزويــــه

قيل انه كان عالماً بصناعة الطب موسوماً بها ، متميزاً في زمانه ، فاضلاً في علوم الفرس والهند . وانه هو الذي جلب كتاب كليلة ودمنة من الهند الى أنو شروان [1] بن قباذ بن فيروز ملك الفرس ، وترجمه له من اللغة الهندية الى الفارسية ، ثم ترجمه في الاسلام عبدالله بن المقفع [2] الخطيب من اللغة الفارسية الى اللغة العربية .

أقول : وهذا الكتاب كما قد عظمت شهرته انه في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس لا نظير له في معناه . وكان عبدالله بن المقفع الخطيب فارسياً أيضـاً ، وكان كاتب ابي جعفر المنصور . وترجم ايضاً من كتب ارسطوطاليس كتاب قاطيغورياس وكتاب باريمينياس وكتاب انالوطيقا ، وترجم مـع ذلك المدخل الى كتب المنطق المعروف بايساغوجي فرفوريوس الصوري ، وعبارته في الترجمة عبارة سهلة قريبة المأخذ . ولابن المقفع ايضاً تواليف حسان منها رسالته في الادب والسياسة ، ومنها رسالته

«١» المعروف بخسرو الاول « ٥٣١ – ٥٧٩ » والملقب انو شروان – النفس الخالدة – وهو اعظم ملوك بني ساسان حارب البيزنطيين وناصر العلماء ونقلت بامره مؤلفات اليونان والسريان والهند الى الفارسية .

«٢» مؤلف وكاتب عربي من اشهر الكتاب اسلم ثم اتهم بالزندقة وقتل . له عدة مؤلفات وترجم كتاب كليلة ودمنة عن اللغة البهلوية – الفارسية القديمة – الى اللغة العربية .

المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان .

ربن الطبري

قال الصاحب جمال الدين بن القفطي في كتابه : ان هذا ربن الطبري كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان ، وكان متميزاً في الطب ، عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة ؛ وحل كتباً حكمية من لغة الى لغة اخرى . قال : وكان والده علي بن ربن طبيباً مشهوراً انتقل من طبرستان الى العراق ، وسكن سر من رأى . وربن هذا كان له تقدم في علم اليهود – والربن والربين والراب اسماء لمقدمي شريعة اليهود .

وسئل أبو معشر عن مطارح الشعاع فذكرها وساق الحديث الى أن قال: ان المترجمين لنسخ المجسطي المخرجة من لغة يونان ما ذكروا الشعاع ولا مطارحه ، ولا يوجد ذلك الا في النسخة التي ترجمها ربن المتطبب الطبري. ولم يوجد في النسخ القديمة مطرح شعاع بطليموس، ولم يعرفه ثابت ولا حنين القلوسي ولا الكندي ولا أحد من هؤلاء التراجمة الكبار ، ولا احد من ولد نوبخت .

ابن ربن الطبري

هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري . وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : علي بن ربـــل (باللام) وقال عنه انه كان يكتب للمازيار بن قارن فلما اسلم على يد المعتصم قربه وظهر فضله بالحضرة، وأدخله المتوكل في جملة ندمائه . وكان بموضع من الادب ، وهو معلم الرازي صناعة الطب . وكان مولده ومنشؤه بطبرستان .

ومن كلامه قال : الطبيب الجاهل مستحث الموت . ولابن ربن الطبري من الكتب : كتاب فردوس الحكمة ، وجعله سبعة أنواع ؛ والأنواع تحتوي على ثلاثين مقالة ، والمقالات تحتوي على ثلثمائة وستين بابا . كتاب ارفاق الحياة كتاب تحفة الملوك ، كتاب كناش الحضرة ، كتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير ، كتاب حفظ الصحـة ، كتاب في الحجامة ، كتاب في ترتيب الاغذية .

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي

مولده ومنشؤه بالري [1] ، وسافر الى بغداد وأقام بها مدة . وكان قدومه الى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة ، وكان من صغره مشتهيـاً للعلوم العقلية مشتغلاً بها وبعلم الادب ، ويقول الشعر . وأما صناعة الطب فانما تعلمها وقد كبر ، وكان المعلم له في ذلك علي بن ربن الطبري . وقال ابو سعيد زاهد العلماء في كتابه في البيمارستانات : سبب تعلم ابي بكر محمد بن زكريا الرازي صناعة الطب انه

«١» مدينة قديمة في مادي جنوبي طهران بشرق . فتحها العرب في زمن الخليفة عمر سنة ٦٣٩ وفيها ولد هارون الرشيد .

عند دخوله مدينة السلام بغداد ، دخل الى البيمارستان العضدي ليشاهده ، فاتفق له ان ظفر برجل شيخ صيدلاني البيمارستان ، فسأله عن الأدوية ومن كان المظهر لها في البدء ، فأجابه بان قال : ان اول ما عرف منها كان حي العالم [١] وكان سببه أفلولن سليلة اسقليبيوس ، وذلك ان افلولن كان به ورم حار في ذراعه مؤلم ألماً شديداً ، فلما أشفي منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطىء نهر ، فأمر غلمانه فحملوه الى شاطىء نهر كان عليه هذا النبات ، وانه وضعه عليه تبرداً به فخف ألمه بذلك ، فاستطال وضع يده عليه واصبح من غد فعل مثل ذلك فبرأ . فلما رأى الناس سرعة برئه وعلموا انه انما كان بهذا الدواء سموه حياة العالم ، وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم . فلما سمع الرازي ذلك اعجب به . ودخل تارة اخرى الى هـــذا البيمارستان ، فرأى صبياً مولوداً بوجهين ، ورأس واحد ، فسأل الاطباء عن سبب ذلك فأخبر به فأعجبه ما سمع . ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويقال له وهو يعلق بقلبه ، حتى تصدى لتعلم الصناعة ، وكان منه جالينوس العرب ، هذه حكاية ابي سعيد.

وقال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجتمع على بنـــاء هذا البيمارستان العضدي ، وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه المارستان ، وان الرازي امر بعض الغلمـــان ان يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر الـــتي لم يتغير ولم يسهك [٢] فيها اللحم بسرعة ، فأشار بان يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بني فيه البيمارستان

وحدثني كمال الدين ابو القاسم بن ابي تراب البغدادي الكاتب ان عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي المنسوب اليه ، قصد ان يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم ، فأمر ان يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة ، فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة احوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر مـــن هؤلاء ايضاً على عشرة ، فكان الرازي منهم . ثم اختـــار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم . ثم انه ميز فيما بينهم فبان له ان الرازي افضلهم ، فجعله ساعور [٣] البيمارستان العضدي .

اقول والذي صح عندي ان الرازي كان اقدم زماناً من عضد الدولة بن بويه ، وانما كان تردده الى البيمارستان من قبل ان يجدده عضد الدولة . وللرازي كتاب في صفات البيمارستان وفي كل ما كان يجده من احوال المرضى الذين كانوا يعالجون فيه .

وقال عبيد الله بن جبرئيل انه لما عمر عضد الدولة البيمارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد ، كانت الاطبـــاء الذين جمعهم فيه من كل موضع ، وأمر الراتب منه اربعة وعشرون طبيباً ، وكان من جملتهم ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، وكان دأبه ان يدرس فيه الطب لانه كان محجوباً ، وكان منهم ابو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان ؛ وابو يعقوب

«١» جلس نباتات عشبية لحمية معمرة تزرع لزهرها وللتزيين من فصيلة الخلدات وهي بالفرنسية Joubarlc

«٢» لم تتغير رائحته وينتن .

«٣» المقدم في معرفة الطب وأداته. واصله بالسريانية ساعوراء ومعناه متفقد المرضى.

الاهوازي وابو عيسى بقية والقس الرومي وبنو حسنون ، وجماعة طبائعيون . قال عبيد الله : وكان والدي جبرئيل قد اصعد مع عضد الدولة من شيراز ورتب في جملة الطبائعيين في البيمارستان ، وفي جملة الاطباء الخواص. قال : وكان في البيمارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء ابو نصر بن الدحلي ، ومن الجرائحيين ابو الخير وابو الحسن بن تفاح وجماعته ، ومن المجبرين المشار اليهم ابو الصلت. وقال سليمان بن حسان : ان الرازي كان متولياً لتدبير مارستان الري زماناً قبل مزاولته في البيمارستان العضدي وقال : ان الرازي كان في ابتداء نظره يضرب بالعود ، ثم انه اكب على النظر في الطب والفلسفة ، فبرع فيهما براعة المتقدمين . وقال القاضي صاعد في كتاب « التعريف بطبقات الامم » : ان الرازي لم يوغل في العلم الالهي ، ولا فهم غرضه الاقصى ، فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة ، وانتحل مذاهب خبيثة ، وذم أقواماً لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم . وقال محمد بن اسحق النديم المعروف بأبي الفرج بن أبي يعقوب في كتاب الفهرست : ان الرازي كان ينتقل في البلدان ، وبينه وبين منصور بن اسمٰعيل صداقة. وألف له كتاب المنصوري . قال واخبرني محمد بن الحسن الوراق قال ، قال لي رجل من أهل الري شيخ كبير سألته عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسفطه ، وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر ، فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم ، فان اصابوا والا تكلم الرازي في ذلك . وكان كريماً متفضلاً ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ولم يكن يفارق المدارج والنسخ . ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ اما يسود او يبيض ، وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء ، وعمي في آخر عمره ، وكان يقول انه قرأ الفلسفة على البلخي . قال محمد بن اسحق النديم : وكان البلخي من اهل بلخ يطوف البلاد ويجول الارض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة . وقد يقال ان الرازي ادعى كتبه في ذلك ، ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسودات ودساتير لم يخرج منها الى الناس كتاب تام ، وقيل ان بخراسان كتبه موجودة . قال : وكان في زمان الرازي رجل يعرف بشهيد بن الحسين ويكنى أبا الحسن يجري مجرى فلسفته في العلم ، ولكن لهذا الرجل كتب مصنفة ، وبينه وبين الرازي مناظرات ، ولكل واحد منهما نقوض على صاحبه

اقول : وكان الرازي ذكياً فطناً رؤوفا بالمرضى ، مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها ، وكذلك في غيرها من العلوم بحيث انه لم يكن له دأب ولا عناية في جل اوقاته الا في الاجتهاد والتطلع فيما قد دونه الافاضل من العلماء في كتبهم ، حتى وجدته يقول في بعض كتبه انه كان لي صديق نبيل يسامرني على قراءة كتب بقراط وجالينوس . وللرازي اخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمهر في صناعة الطب ، وفيما تفرد به في مداواة المرضى ، وفي الاستدلال على احوالهم من تقدمة المعرفة ، وفيما خبره من الصفات والادوية التي لم يصل الى علمها كثير من الاطباء . وله في ذلك حكايات كثيرة وقعت له قد تضمنها كثير من كتبه ، وقد ذكر من ذلك جملاً في باب مفرد من كتابه الحاوي ، وفي كتابه

في سر الطب .

ومما حكي عنه من بدائع وصفه وجودة استدلاله ، قال القاضي ابو علي [1] المحسن بن علي بن أبي جهم التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدة » : حدثني محمد بن علي بن الخلال البصري ابو الحسن أحد أمناء القضاة ، قال : حدثني بعض اهل الطب الثقاة ، ان غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه ؛ فاستدعى أبا بكر الرازي ، الطبيب المشهور بالحذق ، صاحب الكتب المصنفة ، فاراه ما ينفث ووصف ما يجد . فأخذ الرازي مجسته ورأى قارورته ، واستوصف حاله منذ بدأ ذلك به ، فلم يقم له دليل على سل [2] ولا قرحة [3] ؛ ولم يعرف العلة ؛ فاستنظر الرجل ليتفكر في الامر ، فقامت على العليل القيامة ، وقال : هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة . فازداد ما به وولد الفكر للرازي ان اعاد عليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه فأخبره انه قد شرب من مستنقعات وصهاريج [4] ، فقام في نفس أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتطبب الرأي بجدة الخاطر وجودة الذكاء ، ان علقة كانت في الماء فحصلت في معدته ، وان ذلك النفث الدم من فعلها . فقال له اذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم انصرف او تبرأ ، ولكن بشرط تأمر غلمانك ان يطيعوني فيك بما آمرهم به . فقال : نعم . وانصرف الرازي فتقدم فجمع له ملء مركنين [5] كبيرين من طحلب [6] اخضر فاحضرهما من غد معه واراه اياهما وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين . فبلع الرجل شيئا يسيراً ثم وقف فقال : ابلع . فقال : لا استطيع ، فقال للغلمان : خـــذوه فانيموه على قفاه . ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه ، واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه شاء ام أبى ، ويتهدده بالضرب الى ان بلـّعه كارهاً احد المركنين باسره ، والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء ، الى ان قال : الساعة اقذف . فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه ، فذرعه [7] القيء فقذف . وتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة ، واذا هي لما وصل اليها الطحلب قرمت [8] اليه بالطبع وتركت موضعها . والتفت على الطحلب ؛ فلما قذف الرجل خرجت مع الطحلب ، ونهض الرجل معافى .

قال القاضي التنوخي : وحدثني ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الرازي المعروف بابن حمدون قال : حدثني ابو بكر احمد بن علي الرازي الفقيه قال : سمعت ابا بكر بن قارن الرازي الطبيب

«١» رجل سياسي تعلم بالبصرة وتولى القضاء في بغداد ثم الاهواز « سنة ٩٤١ – ٩٩٤ »

«٢» مرض يصيب الرئة .

«٣» مرض يتقرح فيه الغشاء المخاطي للجهاز الهضمي .

«٤» جمع صهريج وهو حوض الماء

«٥» الاجانة ونحوها لغسل الثياب .

«٦» نباتات تعيش في البحار والمياه الحلوة وهي من مستورات الزهر لا تتميز في اجسامها السيقان والاوراق والجذور

«٧» سبق الى فيه وغلبه .

«٨» اشتدت شهوتها اليه .

«ن . ر»

وكان محذقاً في الطب ، قال : ابو بكر بن حمدون ، وقد رأيت هـــذا الرجل ، وكان يحسن علوماً كثيرة منها الحديث ويرويه ويكتبه الناس عنه ويوهونه ، ولم أسمع هذا منه ، قال القاضي التنوخي: ولم يتفق لي ، مع كثرة ملاقاة ابي بكر الرازي ، ان اسمع هذا الخبر منه ، قال ابن قارن الرازي ، وكان تلميذاً لابي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب في الطب : سمعت ابا بكر محمـــد بن زكريا الرازي الطبيب بعد رجوعه من عند امير خراسان ، لما استدعاه فعالجه من علة صعبة قال : اجتزت في طريقي بنيسابور [1] بيقام ، وهي النصف من طريق نيسابور الى الري، فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني اتم خدمة ، وسألني ان اقف على ابن له به استسقاء ، فادخلني الى دار قد أفردها له ، فشاهدت العليل فلم اطمع في برئه فعملت القول بمشهد من العليل ، فلما انفردت انا بابيه سألني ان اصدقه فصدقته وآيسته من حياة ابنه ، وقلت له مكنه من شهواته فانـــه لا يعيش ، وخرجت من خراسان وعدت منها بعد اثني عشر شهراً فاجتزت به ، فاستقبلني الرجل بعد عودتي ، فلما لقيته استحييت منه غاية الحياء ولم اشكك في وفاة ابنـــه ، واني كنت نعيته اليه وخشيت من تثقله بي ، فأنزلني داره فلم اجد عنده ما يدل على ذلك . وكرهت مسألته عن ابنه لئـــلا أجدد عليه حزناً . فقال لي يوماً : تعرف هذا الفتى ؟ وأومأ الى شاب حسن الوجه والصحة ، كثير الدم والقوة ، قائم مع الغلمان يخدمنا . فقلت : لا ! فقال : هذا ولدي الذي آيستني منه عند مضيك الى خراسان ، فتحيرت وقلت : عرفني سبب برئه ؟ فقال لي : انه بعد قيامك من عنده فطن انك آيستني منه فقال لي : لست اشك ان هذا الرجل وهو أوحد في الطب في عصره هذا قد آيسك مني ، والذي أسألك ان تمنع هؤلاء الغلمان ، يعني غلماني الذين كنت اخدمه ايام ، فانهم اترابي ، واذا رأيتهم معافين وقد علمت اني ميت تجدد على قلبي حمى تعجل لي الموت ، فأرحني من هـــذا بان لا اراهم ، وأفرد لخدمتي فلانة دايتي . ففعلت ما سأل، وكان يحمل الى الداية في كل يوم ما تأكله، واليه ما يطلب على غير حمية .

فلما كان بعد ايام حمل الى الداية مضيرة[2] لتأكل ، فتركتها بحيث يقع عليها نظر ولدي ، ومضت في شغل لها ، فذكرت انها لما عادت وجدت ابني قد اكل اكثر مما كان في الغضارة [3] ، وبقي في الغضارة شيء يسير مغير اللون ، قالت العجوز : فقلت له : مـــا هذا ؟ فقال : لا تقربي الغضـــارة ، وجذبها اليه ، وقال : رأيت أفعى عظيماً وقد خرج من موضع ودب اليها فأكل منها ، ثم قذف فصار لونها كما ترين ، فقلت أنا ميت ولا اود ان يلحقني ألم شديد ، ومتى اظفر بمثل هذا ، وأكلت مـــن الغضارة ما استطعت لاموت عاجلا وأستريح . فلما لم استطع زيادة أكل رجعت الى موضعي وجئت انت . قالت ورأيت المضيرة على يده وفمه فصحت. فقال : لا تعملي شيئاً أو تدفني الغضارة بما فيهـــا

«١» عاصمة خراسان . من اعظم المدن الاسلامية في القرون الوسطى خربت بالحروب والزلازل . وهي مسقط رأس عمر الخيام ومزيد الدين العطار .

«٢» مريقة تطبخ باللبن المضير او الصريح وهي تشبـــه ما يسمى اليوم لبن امه او شاكرية او معقودة ، وهي لحم يطبخ باللبن الرائب .

«٣» القصعة الكبيرة .

لئلا يأكلها انسان فيموت ، او حيوان فيلسع انساناً فيقتله .·. ففعلت ما قال . وخرجت الي ، فلما عرفتني ذلك ذهب علي امري ودخلت الى ابني فوجدته نائما ، فقلت لا توقظوه حتى ننظر ما يكون من امره ، فانتبه آخر النهار وقد عرق عرقاً شديداً وهو يطلب المستحم [1] ، فأنهض اليه فاندفع بطنه ، وقام من ليلته ومن غد اكثر من مائة مجلس ، فازداد يأسنا منه ، وقل الطعام بعد ان استمر اياماً ، وطلب فراريج فأكل،ولم تزل قوته تثوب اليه ، وقد كان بطنه التصق بظهره،وقوي طمعنا في عافيته فمنعناه من التخليط،فتزايدت قوته الى ان صار كما ترى.فعجبت من ذلك وذكرت ان الاوائل قالت: ان المستسقي اذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئون سنين برأ ، ولو قلت لك ان هذا علاجه لظننت اني أدافعك ومن أين نعلم كم سنوحيه اذا وجدناها فسكت عنك .

اقول : وللرازي أمثال هذا من الحكايات اشياء كثيرة جداً مما جرى له وقد ذكرت من ذلك جملة وافرة في كتاب «حكايات الاطباء في علاجات الادواء». وكان اكثر مقام الرازي ببلاد العجم ، وذلك لكونها موطنه وموطن أهله واخيه ، وخدم بصناعة الطب الاكابر من ملوك العجم وصنف هنالك كتباً كثيرة في الطب وغيره ، وصنف كتابه المنصوري للمنصور بن اسمعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر ، وكذلك صنف كتابه الذي سماه الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان . وكان الرازي أيضاً مشتغلا بالعلوم الحكمية فائقاً فيها . وله في ذلك تصانيف كثيرة يستدل بها على جودة معرفته وارتفاع منزلته . وكان في اول امره قد عنى بعلم السيمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن، وله تصانيف أيضاً في ذلك . ونقلت من خط بالمظفر بن معرف [2] قال : كان الرازي يقول أنا لا اسمي فيلسوفاً إلا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وتنزه عما في أيديهم ولم يحتج اليهم .

وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها الى بلادهم ، ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير ، وتبين لهم زيفها فجاءوا بها اليه ؛ وألزم بردها . وقال غيره ان الوزير كان أضافه الرازي فأكل عنده أطعمة لذيذة لا يمكن ان يأكل باطيب منها ، ثم ان الوزير تحيل بعد ذلك حتى اشترى احدى الجواري التي تطبخ الاطعمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك الطعام ،فلما صنعت له اطعمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي. فلما سألها عن ذلك ، ذكرت له أن الطبيخ واحد ، بل اننا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضة . فسبق الى وهمه حينئذ ان جودة الاطعمة انما هي من ذلك ، وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء . فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك ، وانكر معرفته خنقه سراً بوتر .

---

(١) موضع الاستحمام (ن.د)

(٢) من اطباء ديار مصر المشهورين وسيأتي الكلام عنه .

وقيل ان الرازي كان في أول امره صيرفياً . ومما يحقق ذلك انني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها ، واحترق أكثرها من عتقها ، وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : كناش المنصوري ، تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي . واخبرني من هي عنده انها خط الرازي . وكان الرازي معاصراً لاسحق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت ، وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينيه فقيل له : لو قدحت ؟ فقال : لا قد نظرت من الدنيا حتى مللت . فلم يسمح بعينيه للقدح . وقال أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا ، وكان قريب العهد منه : إن الرازي توفي في سنة نيف وتسعين ومائتين أو ثلثمائة وكسر ، قال : والشك مني .

ونقلت من خط بلمظفر بن معرف أن الرازي توفي في سنة عشرين وثلثمائة . وقال عبيد الله بن جبرئيل : كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له المنزلة الجليلة بالري وسائر بلاد الجبل . قال: وعاش الى أن لحقه ابن العميد [1] استاذ الصاحب [2] بن عباد ، وهو كان سبب اظهار كتابه المعروف بالحاوي ، لانه كان حصل بالري بعد وفاته فطلبه من اخت أبي بكر ، وبذل لها دنانير كثيرة حتى أظهرت له مسودات الكتاب. فجمع تلاميذه الاطباء الذين كانوا بالري حتى رتبوا الكتاب، وخرج على ما هو عليه من الاضطراب .

ومن كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :
الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر .
وقال : الاستكثار من قراءة كتب الحكماء، والاشراف على أسرارهم، نافع لكل حكيم عظيم الخطر.
وقال : العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض ، فعليك بالاشهر ، مما اجمع عليه ودع الشاذ ؛ واقتصر على ما جربت .

وقال : من لم يعن بالامور الطبيعية ، والعلوم الفلسفية ، والقوانين المنطقية ، وعدل الى اللذات الدنيائية ، فاتهمه في علمه ؛ لا سيا في صناعة الطب .

وقال : متى اجتمع جالينوس وارسطوطاليس على معنى فذلك هو الصواب ؛ ومتى اختلفا صعب على العقول ادراك صوابه جداً .

وقال : الامراض الحارة اقتل من الباردة لسرعة حركة النار . وقال : الناقهون من المرض اذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم فيجب للطبيب ان يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه الى كيفية موافقة، ولا يمنعهم ما يشتهون بتة .

وقال : ينبغي للطبيب ان يوهم المريض أبداً الصحة ويرجيه بها ، وان كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

(١) ابو الفضل محمد الخطيب ابن العميد وزير ركن الدولة البويهي . غلب الخراسانيين واسترد منهم اصفهان ومنع عنهم الري . وتوفي سنة ٩٧١ . (٢) ابو القاسم اسماعيل الطالقاني وزير بني بويه ولقب بالصاحب . اخضع طبرستان ورتب أمورها . وتوفي في الري ودفن في اصفهان (٩٣٨–٩٩٥) (ن.د.)

وقال : الاطباء الاميون والمقلدون ، والاحداث الذين لا تجربة لهم ، ومن قلت عنايته وكثرت شهواته ، قتالون .

وقال : ينبغي للطبيب ان لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ، ثم يقضي بالاقوى .

وقال : ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الاطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً .

وقال : من تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل واحد منهم .

وقال : متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل .

وقال : لا ينبغي ان يوثق بالحسن العناية في الطب حتى يبلغ الاشد ويجرب .

وقال : ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة ، لا مقبلا على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الآخرة كلية ، فيكون بين الرغبة والرهبة .

وقال : بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الاخلاق والمزاجات .

وقال : باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والاخلاق والعادات وطباع الادوية والاغذية ، حتى يكون ما في الدرجة الثانية من الادوية في الرابعة ، وما في الرابعة في الثانية .

وقال : ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق السعادة .

وقال : ما اجتمع الاطباء عليه ، وشهد عليه القياس ، وعضدته التجربة ، فليكن أمامك ، وبالضد .

ومن شعر أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :

لعمري ، ما ادري، وقد آذن البلى بعاجل ترحال ؛ الى اين ترحالي ؟
واين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المنحل والجسد البالي ؟
الطويل

ولابي بكر محمد بن زكريا الرازي من الكتب : كتاب الحاوي ، وهو أجل كتبه واعظمها في صناعة الطب . وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ، ومن أتى بعدهم الى زمانه . ونسب كل شيء نقله فيه الى قائله ، هذا مع ان الرازي توفي ولم يفسح له في الاجل ان يحرر هذا الكتاب . كتاب البرهان ، مقالتان ، الاولى سبعة عشر فصلا ، والثانية اثنا عشر فصلا . كتاب الطب الروحاني ، ويعرف ايضاً بطب النفوس ؛ غرضه فيه اصلاح أخلاق النفس ، وهو عشرون فصلا . كتاب في أن للانسان خالقاً متقناً حكيماً ، وفيه دلائل من التشريح ومنافع الاعضاء تدل على ان خلق الانسان لا يمكن ان يقع بالاتفاق ، كتاب سمع

الكيان عرضه فيه ان يكون مدخلاً الى العلم الطبيعي ومسهلاً للمتعلم لحوق المعاني المتفرقه في الكتب الطبيعية . كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى المنطق . جمل معاني قاطيغورياس. جمل معاني باريمينياس جمل معاني انالوطيقا الاولى الى تمام القياسات الحملية . كتاب هيئة العالم غرضه أن يبين أن الارض كرية وانها في وسط الفلك ، وهو ذو قطبين يدور عليهما ، وان الشمس اعظم من الارض والقمر اصغر منها وما يتبع ذلك من هذا المعنى. كتاب فيمن استعمل تفضيل الهندسة من الموسومين بالهندسة، ويوضح فيه مقدارها ومنفعتها ويرد على من رفعها فوق قدرها . مقالة في السبب في قتل ريح السموم لاكثر الحيوان . كتاب فيما جرى بينه وبين سيسن الثاني يريه خطأ موضوعاتــه وفساد ناموسه ، في سبع مباحث . كتاب في اللذة غرضه فيه ان يبين انها داخلة تحت الراحة . مقالة في العلة التي لهــا صار الخريف ممرضاً والربيع بالضد ، على أن الشمس في هذين الزمانين في مدار واحد ، صنفها لبعض الكتاب . كتاب في الفرق بين الرؤيا المنذرة ، وبين سائر ضروب الرؤيا. كتاب الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس. كتاب في كيفية الابصار يبين فيه ان الابصار ليس يكون بشعاع يخرج من العين، وينقض فيه اشكالاً من كتاب اقليدس في المناظر. كتاب في الرد على الناشيء في مسائله العشر التي رام بها نقض الطب . كتاب في علل المفــاصل والنقرس وعرق النسا ، وهو اثنان وعشرون فصلاً . كتاب آخر صغير في وجع المفاصل .

الاثنا عشر كتاباً في الصنعة : الأول كتاب المدخل التعليمي ؛ الثاني كتاب المدخل البرهــاني ؛ الثالث كتاب الاثبات ؛ الرابع كتاب التدبير؛ الخامس كتاب الحجر ؛ السادس كتاب الاكسير عشرة ابواب ؛ السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها ؛ الثامن كتاب الترتيب ؛ التاسع كتاب التدابــير ؛ العاشر كتاب الشواهد ونكت الرموز ؛ الحادي عشر كتاب المحبــة ؛ الثاني عشر كتاب الحيل . كتاب الاحجــار يبين فيه الايضاح عن الشيء الذي يكون في هذا العمل . كتاب الأسرار . كتاب سر الاسرار . كتاب التبويب . كتاب رسالة الخاصة . كتاب الحجر الاصفر . كتاب رسائل الملوك. كتاب الرد على الكندي في ادخاله صناعة الكيمياء في الممتنع . كتاب في ان الحمية المفرطة والمبادرة الى الادوية والتقليل من الاغذية لا يحفظ الصحة ، بل يجلب الامراض . مقالة في ان جهال الاطبــاء يشددون على المرضى في منعهم من شهواتهم وان لم يكن الانسان كثير مرض جهلا وجزافا . كتاب سيرة الحكماء . مقالة في ان الطين المتنقل به فيه منافع ألفهــا لابي حازم القاضي . مقالة في الجدري والحصبه ، أربعة عشر باباً . مقــالة في الحصى في الكلي والمثانة . كتاب الى من لا يحضره طبيب ، وغرضه ايضــاح الامراض ، وتوسع في القول ، ويذكر فيه علة علة ، وانه يمكن ان يعالج بالأدوية الموجودة ، ويعرف ايضاً بكتاب طب الفقراء . كتاب الادوية الموجودة بكل مكان يذكر فيه ادوية لا يحتاج الطبيب الحاذق معها الى غيرها ، اذا ضم اليها ما يوجد في المطابخ والبيوت . كتاب في الرد على الجاحظ في نقض صناعة الطب . كتاب في تناقض قول الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام ومــا غلط فيه على الفلاسفة . كتاب التقسيم والتشجير يذكر فيه تقاسيم الامراض وأسبابها وعلاجها بالشرح والبيان ، على سبيل تقسيم وتشجير . كتاب الطب الملوكي في العلل وعلاج الامراض كلها بالأغذية ،

ودس الادوية في الاغذية حيث لا بد منها ، وما لا يكرهه العليل . كتاب في الفالج . كتـــاب في اللقوة . كتاب في هيئة العين . كتاب في هيئة الكبد ، كتاب في هيئة الانثيين . كتـــاب في هيئة القلب . كتاب في هيئه الصماخ . كتاب في هيئة المفاصل أقراباذين . كتاب في الانتقاد والتحرير على المعتزلة . كتاب في الخيـــار المر . كتاب في كيفية الاغتذاء ، وهو جوامع ذكر الادوية المعدنية . كتاب في أثقال الادوية المركبة . كتاب في خواص الاشياء . كتاب كبير في الهيولى ، كتـــاب في سبب وقوف الارض وسط الفلك على استدارة . كتاب في نقض الطب الروحاني على ابن اليمان. كتاب في ان العالم لا يمكن ان يكون الا على ما نشاهده . كتاب في الحركة وانها ليست مرئية بل معلومة . مقالة في ان للجسم تحريكاً من ذاته وان الحركة مبدأ طبيعي . قصيدة في المنطقيـــات . قصيدة في العلم الالهي . قصيدة في العظة اليونانية . كتاب الكرى ومقادير مختصرة .

كتاب في ايضاح العلة التي بها تدفع الهوام بالتغذي ومرة بالتدبير . كتاب في الجبر وكيف يسكن ألمه ، وما علاقة الحر فيه والبرد . مقالة في الاسباب المميلة لقلوب اكثر الناس عن أفاضل الاطباء الى اخسائهم . مقالة فيما ينبغي ان يقدم من الاغذية والفواكه وما يؤخر منها . مقالة في الرد على احمد بن الطيب السرخسي فيما رد به على جالينوس في امر الطعم المر . كتاب في الرد على المسمعي المتكلم في رده على اصحاب الهيولى . كتاب في المدة ، وهي الزمـــان ، وفي الخلاء والملأ ، وهما المكان . مقالة أبان فيها خطأ جرير الطبيب في انكاره مشورته على الامير احمد بن اسمٰعيل ، في تناول التوت الشامي على أثر البطيخ في حاله ، وايضاح عذره فيها . كتاب في نقض كتاب انابو الى فرفوريوس في شرح مذاهب ارسطوطاليس في العلم الالهي . كتاب في العلم الالهي . كتاب في الهيولى المطلقة والجزئية . كتاب الى أبي القاسم البلخي والزيادة على جوابه وجواب هذا الجواب . كتاب في العلم الالهي على رأي افلاطون . كتاب في الرد على ابي القاسم البلخي فيما ناقض به في المقالة الثانية من كتابه في العلم الالهي. كتاب في محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي . كتاب في الثبوت في الحكمة . كتاب في عذر من اشتغل بالشطرنج. كتاب في حكمة النرد. كتاب في حيل النمس. كتاب في ان للعالم خالقاً حكيماً. كتاب في الباه يبين فيه الامزاج ومنافع الباه ومضاره . كتاب الزيادة التي زادها في الباه .

كتاب المنصوري الفه للامير منصور بن اسحق بن اسمٰعيل بن أحمد صاحب خراسان وتحرى فيه الاختصار والايجاز ، مع جمعه لجمل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علمها وعملها، وهو عشر مقالات : المقالة الاولى في المدخل الى الطب وفي شكل الاعضاء وخلقها ؛ المقالة الثانية في تعرّف مزاج الابدان وهيئتها، والاخلاط الغالبة عليها، واستدلالات وجيزة جامعة من الفراسة ؛ المقالة الثالثة في قوى الاغذية والادوية ؛ المقالة الرابعة في حفظ الصحة ؛ المقالة الخامسة في الزينة ؛ المقالة السادسة في تدبير المسافرين ؛ المقالة السابعة جمل وجوامع في صناعة الجبر والجراحات والقروح ؛ المقالة الثامنة في السموم والهوام ، المقالة التاسعة في الامراض الحادثة من القرن الى القدم ؛ المقالة العاشرة في الحميات وما يتبع ذلك مما يحتاج الى معرفته في تحديد علاجها . مقالة أضافهـا الى كتاب المنصوري وهي في الأمور الطبيعية . كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ، وغرضه في هذا الكتاب جمع ما وقع اليه وأدركـه من

كتاب طب قديم أو محدث الى موضع واحد في كل باب ، وهو ينقسم اثني عشر قسماً : القسم الاول في حفظ الصحة وعلاج الامراض والوثي والجبر والعلاجات ؛ القسم الثاني في قوى الاغذية والادوية وما يحتاج اليه من التدبير في الطب ؛ القسم الثالث في الادوية المركبة فيه ذكر ما يحتاج إليه منها على سبيل الاقراباذين ؛ القسم الرابع فيما يحتاج اليه من الطب في سحق الادوية واحراقها وتصعيداتها وغسلها واستخراج قواها وحفظها ، ومقدار بقاء كل دواء منها وما أشبه ذلك؛ القسم الخامس في صيدلية الطب ، فيه صفة الادوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورديها ، ونحو ذلك من علل الصيدلة ؛ القسم السادس في الابدال ، يذكر فيه ما ينوب عن كل دواء أو غذاء اذا لم يوجد ؛ القسم السابع في تفسير الاسماء والاوزان والمكاييل التي للعقاقير ، وتسمية الاعضاء والادواء باليونانية والسريانية والفارسية والهندية والعربية على سبيل الكتب المساة بشقشماهي؛ القسم الثامن في التشريح ومنافع الاعضاء ؛ القسم التاسع في الاسباب الطبيعية من صناعة الطب، غرضه فيه ان يبين اسباب العلل بالامر الطبيعي ؛ القسم العاشر في المدخل الى صناعة الطب وهو مقالتان : الاولى منها في الاشياء الطبيعية ، والثانية في أوائل الطب ؛ القسم الحادي عشر جمل علاجات وصفات وغير ذلك . القسم الثاني عشر فيما استدركه من كتب جالينوس ولم يذكرها حنين ولا هي في فهرست جالينوس. اقول هذا التقسيم المذكور ههنا ليس هو لكتابه المعروف بالحاوي ولا هو تقسيم مرضي، ويمكن ان هذه كانت مسودات كتاب وجدت للرازي بعد موته وهي مجموعة على هذا الترتيب فحسبت انها كتاب واحد ، والى غايتي هذه ما رأيت نسخة لهذا الكتاب ولا وجدت من أخبر أنه رآه .

كتاب الفاخر في الطب. اقول وانما اثبت هذا الكتاب في جملة كتبه لكونه قد نسب اليه ، واشتهر انه له ، وبالجملة فانه كتاب جيد قد استوعب فيه مؤلفه ذكر الامراض ومداواتها واختيار معالجتها على أتم ما يكون وأفضله ، وجمهور ما فيه منقول من كتاب التقسيم والتشجير للرازي ، ومن كناش ابن مرابيون وكل ما فيه من كلام الرازي ، فاوله قال محمد . ولأمين الدولة بن التلميذ حاشية على هذا الكتاب وانه للرازي ، قال : « الذي كثيراً ما يذكره الرازي في كتاب الفاخر ، قال محمد هو المعروف بالحسن طبيب المقتدر كان طبيباً ببغداد ماهراً في علم الطب وكان بيته بيت الطب . وكان له ثلاث اخوة أحدهم كحال حاذق يعرف بسليمان ، وآخر طبيب ليس في رتبته يعرف بهرون ، والثالث صيدلاني كبير الصيت ببغداد في الحرفة . وله كناش عجيب في تجاريبه لكنه قليل الوجود إلا ببغداد المحروسة ، كتاب في العلة التي صار لها متى انقطع من البدن شيء حتى يتبرأ منه أنه لا يلتصق به ، وان كان صغيراً ، ويلصق به من الجراحات العظيمة القدر غير المتبرئة بما هو أعظم من ذلك كثيراً . رسالة في الماء المبرد على الثلج ، والمبرد من غير أن يطرح فيه الثلج ، والذي يغلى ثم يبرد في الجليد والثلج . كتاب في العلة التي لها صار السمك الطري معطشاً . رسالة في أنه لا يوجد شراب غير مسكر يفي بجميع أفعال الشراب المسكر المحمود في البدن . كتاب في علامات اقبال الدولة . كتاب في فضل العين على سائر الحواس . رسالة في أن غروب الشمس وسائر الكواكب عنا وطلوعها علينا ليس من أجل حركة الارض بل من حركة الفلك. كتاب في المنطق ، يذكر فيه جميع ما يحتاج اليه منه بألفاظ متكلمي الاسلام . كتاب في فسخ ظن

من يتوهم ان الكواكب ليست في نهاية الاستدارة وغير ذلك . كتاب في أنه لا يتصور لمن لا دربة له بالبرهان ان الارض كرية وان الناس حولها .

رسالة يبحث فيها عن الارض الطبيعية ، طين هي أم حجر ، داخل سمع الكيان . كتاب: يوضح فيه ان التركيب نوعان وغير ذلك . مقالة في العادة وانها تكون طبيعية . مقالة في المنفعة في اطراف الاجفان دائماً . مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة . مقالة في العلة التي لها تزعم الجهال ان الثلج يعطش . مقالة في العلة التي لهـــا يحرق الثلج ويقرح . كتاب أطعمة المرضى . مقالة فيما استدركه من الفصل في الكلام في القائلين بحدوث الاجسام ، وعلى القائلين بقدمها كتاب في أن العلل اليسيرة بعضها أعسر تعرفاً وعلاجاً وغير ذلك . كتاب العلة التي لهـا تذم العوام الاطباء الحذاق . رسالة في العلل المشكلة وعذر الطبيب وغير ذلك . رسالة في العلل القاتلة لعظمها ، والقاتلة لظهورها بغتة بما لا يقدر الطبيب على صلاحها ، وعذره في ذلك . كتاب في أن الطبيب الحاذق ليس هو من قـــدر على ابراء جميع العلل ، فان ذلك ليس في الوسع ولا في صناعة أبقراط ؛ وأنه قد يستحق أن يشكر الطبيب ويمدح ، وأن تعظم صناعة الطب وتشرف ، وان هو لم يقدر على ذلك ، بعد أن يكون متقدماً لاهل بلده وعصره . رسالة في أن الصانع المتعرف بصناعته معدوم في جل الصناعات لا في الطب خاصة ، والعلة التي من أجلها صار ينجح جهال الاطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك . كتاب الممتحن في الطب على سبيل كناش . كتاب في أن النفس ليست بجسم . كتاب في الكواكب السبعة في الحكمة . رسالة الى الحسن بن اسحق بن محارس القمي . كتاب في النفس المفترة . كتـــاب في النفس الكبيرة . مقالة في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لابي زيد البلخي في فصـــل الربيع عند شمه الورد . رسالة في محنة الطبيب وكيف ينبغي ان يكون حاله في نفسه وبدنه وسيرته وأدبه . رسالة في مقدار ما يمكن أن يستدرك من أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ، ومن لم يقل منهم أن الكواكب أحياء ومـا يمكن ان تستدرك على رأي من قال انها أحياء . كتاب في العلة التي لها صار يحدث النوم في رؤوس بعض الناس شبيها بالزكام . كتاب في الشكوك التي على برقلس . كتاب في تفسير كتاب افلوطرخس لكتاب طيماوس . رسالة في علة خلق السباع والهوام . كتاب في اتمام ما ناقض به القائلين بالهيولي . كتاب في أن المناقضة التي بين أهل الدهر وأهل التوحيد في سبب احداث العالم ، انما جاز من نقصان السمة في اسباب الفعل ، بعضه على التادية وبعضه على القائلين بقدم العالم . كتاب في نقضه على علي بن شهيد البلخي فيما ناقضه به في أمر اللذة . كتاب في الرياضة . كتاب في النقض على الكيال في الامامة. كتاب في أنه لا يجوز أن يكون سكون وافتراق . كتاب في اتمـــام كتاب افلوطرخس . كتاب في نقض كتاب التدبير . اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس . اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس. تلخيص كتـــاب العلل والاعراض لجالينوس . تلخيص كتاب الاعضاء الآلمة لجالينوس . كتاب الانتقاد على أهل الاعتزال. كتاب في نقض كتاب البلخي لكتاب العـــلم الالهي والرد عليه . كتاب في أنه يجوز أن يكون سكون واجتماع ، ولا يجوز أن يكون حركة واجتماع لم يزل . رسالة

في أن قطر المربع لا يشارك الضلع من غير هندسة . كتــاب في الاشفاق على أهل التحصيل من المتكلمين بالفلسفة ، وغرضه يبين مذهب الفلاسفة في العلم الالهي لمنى القارىء بذلك عن المتحرك اليهم . كتاب في السيرة الفاضلة وسيرة اهل المدينة الفاضلة . كتاب في وجوب الدعـاء والدعاوى . كتاب الحاصل وغرضه فيه مايحمل من العلم الالهي من طريق الاخذ بالحرص وطريق البرهان . رسالة لطيفة في العلم الالهي . كتاب منافع الاغذيه ودفع مضارها ، وهو مقالتان يذكر في الاولى منها ما يدفع به ضرر الاطعمة في كل وقت ومزاج وحال ، وفي الثانية قولان استعمال الاغذية ودفع التخم ومضارها ، ألفه للأمير ابي العباس احمد بن علي . كتاب الى علي بن شهيد البلخي في تثبيت المعـاد ، غرضه فيه النقد على من أبطل المعاد ، ويثبت أن معاداً . كتاب علة جذب حجر المغنطيس للحديد وفيه كلام كثير في الخلاء . كتاب كبير في النفس . كتاب صغير في النفس . كتاب ميزان العقل . كتاب في الشراب المسكر وهو مقالتان . مقالة في السكنجبين ومنافعه ومضاره . كتاب في القولنج. مقالة في القولنج الحار وهو المعروف بكتاب القولنج الصغير. كتاب في تفسير كتاب جالينوس لفصول ابقراط . كتاب في الابنة وعلاجها وتبيينهـــا . كتاب في نقض كتاب الوجود لمنصور بن طلحة . كتاب فيما يرومه من اظهار ما يدعي من عيوب الاولياء . أقول وهذا الكتاب ان كان قد ألف، والله اعلم ، فربما ان بعض الاشرار المعادين للرازي قد ألفه ونسبه اليه ، ليسيء من يرى ذلك الكتاب او يسمع به الظن بالرازي ، والا فالرازي أجل من ان يحاول هذا الامر ، وان يصنف في هذا المعنى ، وحتى ان بعض من يذم الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمون ذلك الكتاب كتاب الرازي في مخاريق الانبياء . كتاب في آثار الامام الفاضل المعصوم . كتاب في استفراغ المحمومين قبل النضج . كتاب الامام والمأموم المحقين . كتاب خواص التلاميذ . كتاب شروط النظر . كتاب الآراء الطبيعية . كتاب خطأ غرض الطبيب . أشعار في العلم الالهي . صفة مداد معجون لا نظير له . نقل كتاب الآس لجابر الى الشعر . رسالة في التركيب . رسالة في كيفية النحو . رسالة في العطش وازدياد الحرارة لذلك . كتاب في جمل الموسيقى . كتاب في الاوهام والحركات النفسانية . كتاب في العمل بالحديد والجبر . كتاب فيما يعتقده رأياً . كتاب فيما اغفلته الفلاسفة . كتاب السر في الحكمة . كتاب منافع الاعضاء . كتاب الكافي في الطب . كتاب في المتنقل . كتاب الاقراباذين المختصر . كتاب في البرء يوضح فيه ان التركيب نوعان اما تركيب اجسام مختلفة،واما تركيب الاجسام المتشابهة الاجزاء، وانه ليس واحد على الحقيقة الاخرى . كتاب الى ابي القاسم بن دلف في الحكمة . كتاب الى علي بن وهبان فيه باب واحد في الشمس . كتاب الى ابن ابي الساج في الحكمة . كتاب الى الداعي الاطروش في الحكمة . كتاب سر الاسرار في الحكمة . كتاب سر الطبيب . كتاب في شرف الفصد عنـــد الاستفراغات الامتلائية رداءة وكمية وفضله على سائر الاستفراغات والابانة على ان الفصد لا يمنعه عند الاحتياج اليه شيء البتة ، ألفه للامير ابي علي احمد بن اسمعيل بن احمد . كتاب المرشد ويسمى كتاب الفصول . رسالة في ان العلل المستكملة التي لا يقدر الاعلاء ان يعبروا عنها ويحتاج الطبيب الى لزوم العليل والى استعمال بعض التجربة لاستخراجها والوقوف عليها وتحير الطبيب. كتاب مختصر في اللبن .

كلام جرى بينه وبين المسعودي في حدوث العالم . كتاب المدخل الى الطب . مقالة في المذاقات . مقالة في البهق والبرص . كتاب زينة الكتاب . كتاب برء ساعة ، ألفه للوزير ابي القاسم ابن عبد الله . مقالة في البواسير والشقاق في المقعدة . كلام في الفروق بين الامراض . مقالة في الحرقة الكائنة في الاحليل والمثانة . كتاب طب الفقراء . رسالة الى الوزير ابي الحسن علي ابن عيسى بن داؤد بن الجراح القنائي في الاعلال الحادثة على ظاهر الجسد . رسالة الى تلميذه يوسف بن يعقوب في ادوية العين وعلاجها ومداواتها ، وتركيب الأدوية لما يحتاج اليه من ذلك . كتاب صيدلة الطب . كتاب في جواهر الاجسام . كتاب في سيرته . مقالة في الزكام والنزلة وامتلاء الرأس ، ومنع النزلة الى الصدر ، والريح التي تسد المنخرين ومنع التنفس بها. مقالة في ابدال الادوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها . كتاب صفة البيمارستان. مقالة في الاغذية مختصر مقالة فيما سئل عنه في انه لم صار من قل جماعة من الانسان طال عمره ، ألفها للامير ابي العباس أحمد بن علي. مقالة في العلة التي لها اذا أكلت الحيوانات سخنت أبدانها ما خلا الانسان فانه يجد عند أكله فتوراً . مقالة في الكيفيات ، رسالة في الحمام ومنافعه ومضاره . كتاب في الدواء المسهل والمقيىء . مقالة في علاج العين بالحديد .

ابو الحسن احمد بن محمد الطبري

من أهل طبرستان فاضل عالم بصناعة الطب وكان طبيب الامير ركن [1] الدولة .

ولاحمد بن محمد الطبري من الكتب : الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية ، وهو من أجل الكتب وأنفعها ، وقد استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها على أتم ما يكون ، وهو يحتوي على مقالات كثيرة .

ابو سليمان السجستاني

هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي كان فاضلاً في العلوم الحكمية متقناً لها مطلعاً على دقائقها ، واجتمع بيحيى بن عدي ببغداد وأخذ عنه وكان لابي سليمان المنطقي السجستاني ايضاً نظر في الادب والشعر ومن شعره قال :

لا تحسدن على تظاهر نعمة ... شخصاً تبيت له المنون بمرصد
أو ليس بعد بلوغه آماله ... يفضي الى عدم كأن لم يوجد
لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري ... حسد النجوم على بقاء مرصد
(الكامل)

---

(١) هو احمد بن ابي شجاع بويه من امراء البويهيين الذين اصبح الخليفة في ايامهم العوبة في ايديهم . (ن.ر)

وقال ايضاً :

الجوع يدفع بالرغيف اليابس فعلام أكثر حسرتي ووساوسي ؟
والموت أنصف ، حين ساوى حكمه بين الخليفة والفقير البائس
(الطويل)

وقال أيضاً :

لذة العيش في بهيمية اللذة لا ما يقوله الفلسفيّ
حكم كاس المنون ان يتساوى في حساها الغبي والالمعيّ [١]
ويحل البليد تحت ثرى الار ض كما حل تحتها اللوذعيّ [٢]
اصبحا رمة [٣] تزايل عنها فصلها الجوهري والعرضيّ
وتلاشى كيانها الحيواني وأودى تمييزها المنطقيّ
فاسأل الارض عنها ان أزال الشك والمرية [٤] الجواب الخفيّ
بطلت تلكم الصفات جميعاً ومحال أن يبطل الازليّ
(الخفيف)

ولابي سليمان السجستاني من الكتب : مقالة في مراتب قوى الانسان ، وكيفية الانذارات التي تنذر بها النفس فيما يحدث في عالم الكون . كلام في المنطق . مسائل عدة سئل عنها وجواباته لها . تعاليق حكمية وملح ونوادر . مقالة في ان الاجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ، وانها ذات أنفس ، وان النفس التي لها هي النفس الناطقة .

ابو الخير الحسن بن سوار

ابن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمار وبهنام لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي به: خير ؛ ونام : اسم ؛ أي اسم الخير وكان هذا ابو الخير الحسن نصرانياً عالماً باصول صناعة الطب وفروعها ، خبيراً بغوامضها ، كثير الدراية لها ، ماهراً في العلوم الحكمية . وله مصنفات جليلة في صناعة الطب وغيرها . وكان خبيراً بالنقل ، وقد نقل كتباً كثيرة من السرياني الى العربي . ووجدت بخطه شيئاً من ذلك ، وقد أجاد فيها . وقرأ الحكمة على يحيى بن عدي . وكان في نهاية الذكاء والفطنة ، ومولده في شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثلثمائة .

وقال ابو الخطاب محمد بن محمد بن ابي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان ابا الخير الحسن ابن سوار كان موجوداً في سنة ثلاثين وثلثمائة . وقد ذكر ابو الحسن علي بن رضوان عنه في كتاب

(١) الذكي المتوقد. (٢) الذكي الذهن الحديد الفؤاد او الفصيح اللسان . (٣) قطعة باليه. واصلها القطعة من الحبل البالي.
(٤) الجدل والشك .

« حل شكوك الرازي على جالينوس » ما هذا نصه ، قال : كما فعل في عصرنا هـــذا الحسن بن بابا المعروف بابن الخمار فانه وصل بالطب الى ان قيل له محمود الملك للارض ، وكان الملك محمود عظيماجداً. وذلك ان هذا الرجل كان فيلسوفاً حسن التعقل حسن المعرفة . وقال عنه انـه كان حسن السياسة لفقهاء الناس ، ورؤساء العوام والعظماء والملوك . وذلك انه كان اذا دعاه من اظهر العبادة والزهـــد مشى اليه راجلا وقال له : جعلت هذا المشي كفارة لمروري الى اهل الفسق والجبابرة . فاذا دعـاه السلطان ركب اليه في زي الملوك والعظماء ،حتى انه ربما حجبه في هذه الحال ثلثمائه غلام تركي بالخيول الجياد ، والهيئة البهية . ووفى صناعته حقها بالتواضع للضعفاء ، وبالتعاظم على العظماء . وهكذا كان طريق بقراط وجالينوس وغيرهما من الحكماء . فمنهم من تواضع ولزم الزهد والتصـاون ، ومنهم من أظهر من حكمته ما ظهرت به محاسن الحكمة .

قال ابو الفرج بن هندو في كتاب « مفتاح الطب » : انه رأى في بلاد العجم جماعة كانوا ينفون من صناعة الطب . قال وقد كان زعيم الفرقة النافية للطب يعادي استاذي ابا الخير بن الخمار الفيلسوف ، ويغري العامة بايذائه فاشتكى الزعيم رأسه ، واستفتى ابا الخير في دوائه فقال : ينبغي ان يضع تحت رأسه كتابه الفلاني الذي نفى فيه فعل الطب ليشفيه الله ولم يداوه .

ولابي الخير الحسن بن سوار بن بابا من الكتب : مقالة في الهيولى . كتاب الوفاق بين رأي الفلاسفة والنصارى ثلاث مقالات . كتاب تفسير ايساغوجي مشروح كتاب تفسير ايساغوجي مختصر . مقالة في الصديق والصداقة ، مقالة في سيرة الفيلسوف ، مقالة في الاثار المخيلة في الجو الحادثـــة عن البخار المائي وهي الهالة والقوس والضباب على طريق المسألة والجواب . مقالة في السعادة . مقالةفي الافصاح عن رأي القدماء في الباري تعالى وفي الشرائع ومورديها . مقالة في امتحان الاطباء ، صنفها للامير خوارزمشاه ابي العباس مأمون بن مأمون . كتاب في خلق الانسان وتركيب اعضائه اربع مقالات. كتاب تدبير المشايخ ، وقد ذكر في اوله ان حنين بن اسحق كان قد ألف ذلك بالسرياني ، وجمع من كلام جالينوس وروفس في تدبير المشايخ ما الحاجة داعية الى معرفته ، مع زيادات ذكر انه زادها من عنده ، وصير ذلك على طريق المسألة والجواب ، وان ابا الخير بسط القول وأوضحه من غير مسألة وجواب ، وجعله ستة وعشرين بابا . كتاب تصفح ما جرى بين ابي زكريا يحيى بن عدي وبين ابي اسحق ابراهيم بن بكوس في سورة النار ، وتبين فساد ما ذهب اليه ابو سليمان محمد بن طاهر في صور الاسطقسات . مقالة في المرض المعروف بالكاهني وهو الصرع .تقاسيم ايساغوجي وقاطيغورياس لالينوس الاسكندراني ، مما نقله من السرياني الى العربي الحسن بن سوار بن بابا ، وشرحه على طريق الحواشي . نقلت ذلك من الدستور من خط الحسن بن سوار .

أبو الفرج بن هندو

هو الاستاذ السيد الفاضل أبوالفرج علي بن الحسين بن هندو من الاكابر المتميزين في العلوم الحكمية، والامور الطبية ، والفنون الادبية ، له الالفاظ الرائقة ، والاشعار الفائقة ، والتصانيف المشهورة ،

والفضائل المذكورة ، وكان ايضاً كاتباً مجيداً ، وخدم بالكتابة وتصرف . وكان اشتغاله بصناعة الطب والعلوم الحكمية على الشيخ أبي الخير الحسن بن سوار بن بابا المعروف بابن الخمار وتتلمذ له ، وكان من أجل تلاميذه وأفضل المشتغلين عليه . قال أبو منصور الثعالبي[1] في كتاب « يتيمة الدهر » في وصف ابي الفرج بن هندو ، قال : هو مع ضربه في الاداب والعلوم بالسهام الفائزة ، وملكه رقّ البلاغة والبراعة ؛ فرد الدهر في الشعر ، وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ، ونظم الفرائد في القلائد ، مع تهذيب الالفاظ البليغة ، وتقريب الاغراض البعيدة ، وتذكير الذين يسمعون ويرون ؛ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون . قال أبو منصور الثعالبي : وكان قد اتفق لي معنى بديع لم أقدّر اني سبقت اليه ، وهو قولي آخر هذه الابيات .

قلبي وجداً مشتعل — على الهموم مشتمل
وقد كستني في الهوى — ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة — بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عيني بها — فبالدموع تغتسل

(الرجز)

حتى أنشدني لأبي الفرج بن هندو :

يقولون لي ما بال عينك مذ رأت — محاسن هذا الظبي أدمعُها هطل [2]
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه — فكان لها من صوب[3] ادمعها غسل

(الطويل)

فعرفت ان السبق له .

ومن شعر ابي الفرج بن هندو قال :

قوض خيامك من أرض تضام بها — وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كانت الاوطان منقصة — فمندل[4] الهند في اوطانه حطب

(البسيط)

وقال ايضاً :

أطال بين البلاد بجوالي — قصور مالي وطول آمالي
ان رحت عن بلدة غدوت الى — اخرى فما تستقر احمالي

---

(١) ابو منصور النيسابوري (٩٦١-١٠٣٧) اديب ولغوي ومؤرخ .
(٢) الذي ينزل متتابعاً من المطر أو المطر الضعيف الدائم.
(٣) الانصباب .
(٤) العود الطيب الرائحة .

كأنــــني فكرة الموسوس لا تبقى مدى لحظة على حـــال

(المنسرح)

وقال في الحث على الحركة والسعي :

خليلي ، ليس الرأي ما تريان فشأنكما اني ذهبت لشاني

خليلي ، لولا أن في السعي رفعة لما كان يوماً يدأب القمران

(الطويل)

وقال ايضاً :

وحقك ما أخرت كتبي عنكم لقالة[1] واش أو كلام محرش [2]

ولكن دمعي ان كتبت مشوش كتابي وما نفع الكتاب المشوش

(الطويل)

وقال ايضاً في النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة :

ما للمعيل وللمعالي انما يسمو اليهن الوحيد الفارد[3]

فالشمس تجتاب السماء فريدة وأبو بنات النعش[4] فيها راكد

(الطويل)

وقال في الصبر :

تصبر اذا الهم اسرى اليك فلا الهم يبقى ولا صاحبه

(المتقارب)

وقال ايضاً :

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم وخادع النفس ان النفس تنخدع

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيــه متسع

(البسيط)

وقال ايضاً :

عارض ورد الغصون وجنته فاتفقـا في الجمـــال واختلفا

يزداد بالقطف ورد وجنتـــه وينقص الورد كلما قطفـا

(المنسرح)

وقال ايضاً :

قولا لهـــذا القمر البـــادي ما لك اصـــلاحي وافسادي

---

(١) المقالة . (٢) الصائد .

(٣) الذي لا مثيل له (ن.د)

(٤) سبعة كواكب تشاهدها جهة القطب الشمالي .

زود فؤاداً راحــلا بقبـلة   لا بد للراحـل مـن زاد

(السريع)

وقال ايضاً :

تمنيت من أهوى فلما لقيته   بهت فلم املك لسانا ولا طرفا
وأطرقت اجلالاً له ومهابة   وحاولت ان يخفى الذي بي فلم يخفا
وقد كان في قلبي دفاتر عتبه   فلما التقينا ما فهمت ولا حرفا

(الطويل)

وقال ايضاً :

عابوه لمـا التحى فقلنا   عبتم وغبتم عن الجمـال
هـذا غزال ولا عجب   تولد المسك في الغـزال

(البسيط)

وقال ايضاً في العذار :

أوحى لعارضه العذار فما   أبقى على ورعي ولا نُسكي
فكأن نملا قد دببن بـه   غمست أكارعهن في مسك

(الكامل)

وقال ايضاً :

قالوا صحا قلب المحب وما صحا   ومحا العذار سنا الحبيب وما محا
ما ضره شعر العذار وانما   وافى يسلسل حسنه ان يبرحا

(الكامل)

وقال ايضاً في خط العذار :

الآن قد صحت لدي شهادة   أن ليس مثل جماله لمصور
خط يكتبه حوالي خـده   قلم الاله بنقش مسك أذفر (١)

(الكامل)

وقال ايضاً :

يا من محياه كاسمه حسن   ان نمت عني فليس لي وسن
قد كنت قبل العذار في محن   حتى تبـدى فزادت المحن
يا شعرات جميعهـا فتن   يتيه في كنه وصفها الفطن

(١) الذي ظهرت رائحته واشتدت .

ما عيروا من عذاره سفها قد كان غصناً فأورق الغصن
(المنسرح)

وقال في ذم العذار :

كفى فؤادي عذاره حرقه فكف عيناً بدمعها غرقه
ما خط حرف من العذار به الا محا من جماله ورقه
(المنسرح)

وقال في الشراب :

أرى الخمر نارا والنفوس جواهرا فان شربت أبدت طباع الجواهر
فلا تفضحن النفس يوماً بشربها اذا لم تثق منها بحسن السرائر
(الطويل)

وقال ايضاً :

أوصى الفقيه العسكري بان أكف عن الشراب
فعصيته ان الشرا ب عمارة البيت الخراب
(الكامل المرفل)

وقال لبعض الرؤساء وقد انصبت الخمر على كمه في مجلس الشراب :

انصبت الخمر على كمه تلثم منه كمه خدمه
لو لم ترد خدمته بالتي قد فعلتما خصصت كمه
(السريع)

وقال وكتبها على عود :

رأيت العود مشتقا من العود باتقان
فهذا طيب آناف وهذا طيب آذان
(الهزج)

وقال ايضاً :

ودوحة انس اصبحت ثمراتها أغاريد تجنيها ندامى وجلاس
تغنى عليها الطير وهي رطيبة فلما عست غنى على عودها الناس
(الطويل)

وقال في الآذريون [1] :

رب روض خلت آذر يونه لما توقد

---

(١) جنس زهر من المركبات الانبوبية الزهر . اصفر اللون تسميه العامة دوار الشمس .

ذهبـــاً أشعل مسكاً　　في كوانين زبرجــــد
(الرمل)

وقال في عز الكمال :

فاذا رأيت الفضل فاز به الفتى　　فاعلم بان هنــاك نقصاً خافيا
والله اكمل قدرة من انـ يرى　　لكماله ممـن تراه ثانيـــا
(الكامل)

وقال في الشكوى :

ضعت بارض الري في اهلهـا　　ضيــاع حرف الراء في اللثغه
صرت بهـــا بعد بلوغ المنى　　يعجبـني انـ أبلـــغ البلغه
(السريع)

وقال ايضاً :

لنا ملك ما فيه للملك آلة　　سوى انــه يوم السلاح متوج
اقيم لاصلاح الورى وهو فاسد　　وكيف استواء الظل والعود أعوج
(الطويل)

وقال ايضاً :

عجبت لقولنج هذا الامير　　وأنىّ ومن أين قــد جاءه
وفي كل يوم لـــه حقنة　　تفرّغ بالزب أمعـــاءه
(المتقارب)

وقال في مدح الجرب وملح وظرف .

يهيـج مسرتي جرب بكفي　　اذا ماعد في الكرب العظام
تجنبني اللئـام لذاك حتى　　كفيت بـــه مصافحة اللئام
(الوافر)

وقال في مراجعة الشعر بعد تركه اياه .

وكنت تركت الشعر آنف من خنا　　واكبر عن مدح وأزهد عن غزل
فما زال بي حبيك حتى تطلعت　　خواطر شعر كانـ طالعه أفـل
تزل القـــوافي عن لساني كأنها　　يفاع [1] يزل السيل منه على عجل
فأصبح شعر الاعشين من العشا　　لديه وشعر الاخطلين من الخطل
(الطويل)

---

(١) التل المشرف او كل ما ارتفع من الارض .

ولابي الفرج بن هندو من الكتب : المقالة الموسومة بمفتاح الطب الفهـــا لاخوانه من المتعلمين وهي عشرة أبواب . المقالة المشوقة في المدخل الى علم الفلسفة – كتاب الكلم الروحانية من الحكم اليونانية ، ديوان شعره ، رسالة هزلية مترجمة بالوساطة بين الزناة واللاطة .

الحسن الفسوي

كان طبيباً معروفاً من أرض فارس ، من مدينة فسا [١] . متميزاً في الطب والقيام بـه والتقدم بسببه . خدم الدولة البويهية[٢] واختص منها بخدمة الملك بهاء [٣] الدين بن عضد الدولة ، وصحبه في أسفاره وتقدر عنده . ولما مرض أمير الأمراء ابو منصور بويه بن بهاء الدولة في رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مع والده بالبصرة وعزم بهاء الدولة على التوجه من البصرة الى تستر[٤] للصيد والفرجة ، وكان شديد الاشفاق على ولده من هذا المرض كثير الاحتراس منه ، خائفاً من جانبه مانعاً للجند من لقائه ، وهو مع أبيه كالمحصور يمنعه من جميع مراده . واتفق ان حم هذا الولد في رجب حمى أضعفت قوته قبل اليوم الذي أراد بهاء الدولة أبوه المسير فيه . فقال الاثير لبهاء الدولة أمير الامراء محموم ، ولا فضل فيه لحركة والرأي تركه . فقال : لا ! يحمل من فوره ويخرج قولاً واحداً . فقال له : هو اذا انزعج هلك ، ومدة مقامه بعدنا لا تطول ، فلم يرجع الى مقال الاثير ، وتقدم الى الحسن الطبيب الفسوي هذا بالمضي اليه والعود بخبره ، لثقته بما يقول ؛ فمضى اليه وشاهده وعاد وقال : الصواب في تركه وتأخيره ، فنزل وأشعر الملك سراً بخطر مرضه ، وعرفه اعراضه وآيسه من حياته . فحينئذ تقدم بتركه واستمرت عليه الحمى وأشياء أخرى حدثت له ، فتوفي في يوم الاحد ثاني شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة .

أبو منصور الحسن بن نوح القمري

كان سيد وقته واوحد زمانه ، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب محمود الطريقة في اعمالها ، فاضلاً في أصولها وفروعها . وكان ، رحمه الله حسن المعالجة جيد المداواة ؛ متميزاً عند الملوك في زمانه ؛ كثيري الاحترام له .

وحدثني الشيخ الامام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسر وشاهي أن الشيخ الرئيس ابن سينا

---

(١) مدينة في فارس جنوبي شرقي شيراز .

(٢) التي اسستها العائلة الفارسية بنو بويه وكان مركزها في اصفهان وكازرون وشيراز وكرمان وبغداد .

(٣) الحاكم الحقيقي في بغداد وكان آله في يد الجند وبتحريضه خلع الخليفة الطائـــع . ونشبت الحرب بينه وبين ذويه طمعاً بالرئاسة .

(٤) مدينة في ايران (عربستان) سكانها شيعيون من العرب والايرانيين . وهي مركز تجاري هام . (ن.ر) .

كان قد لحق هذا وهو شيخ كبير ، وكان يحضر مجلسه ويلازم دروسه ، وانتفع به في صناعة الطب .

ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري من الكتب : كتاب غنى ومنى ، وهو كناش حسن ، وقد استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها على أفضل ما يكون ، ولخص فيه جملاً من اقوال المتعينين في صناعة الطب ، وخصوصاً ما ذكره الرازي متفرقاً في كتبه . كتاب علل العلل .

ابو سهل المسيحي

هو ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني ، طبيب فاضل بارع في صناعة الطب علمها وعملها ، فصيح العبارة جيد التصنيف . وكان حسن الخط متقناً للعربية . وقد رأيت بخطه كتابه في أظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان وهو في نهاية الصحة والاتقان ، والاعراب والضبط . وهذا الكتاب من أجل كتبه وأنفعها ، فانه قد اتى فيه بجمل ما ذكره جالينوس وغيره في منافع الاعضاء بأفصح عبارة وأوضحها ، مع زيادات نفيسة من قبله تدل على فضل باهر وعلم غزير ، ولذلك يقول في اول كتابه هذا : وليس يعرف فضيلة ما أوردناه على ما أوردوا إلا من قابل بين كلامنا هذا وكلامهم مع دراية وانصاف منه ، فان من لا يدري ما يعتبره لم يصلح للحكم فيه ، ومن لا انصاف فيه لم يحكم للافضل ولم يؤثره ، فمن اعتبر من يصلح للاعتبار وهو العالم المنصف بعناية واستقصاء منه ما أوردناه وما اوردوا رأى كيف صححنا ما أوردوه وهذبناه وأتممناه وسهلناه ورتبناه ترتيباً افضل لجملة الكلام ولكل فصل منه ؛ وأسقطنا من هذا الصنف من العلم ما ليس منه . ثم كم زدنا من عندنا معاني دقيقة عجيبة كانت قد خفيت عليهم للطفها وجلالة رتبتها ، وكيف جعلنا البيانات من الاشياء المتقدمة على الاشياء المتأخرة بالعكس مما فعلوه ، ليكون بياناً للشيء بمباديه واسبابه ، فيكون برهاناً حقيقياً .

وسمعت من الشيخ الامام الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، رحمه الله ، وهو يقول انني لم اجد احداً من الاطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين افصح عبارة ولا اجود لفظاً ولا احسن معنى من كلام ابي سهل المسيحي . وقيل ان المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس صناعة الطب ، وان كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب ومهر فيها وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتباً للمسيحي وجعلها باسمه .

وقال عبيد الله بن جبرئيل : ان المسيحي كان بخراسان ، وكان متقدماً عند سلطانها ، وانه مات وله من العمر اربعون سنة .

ومن كلام المسيحي قال :

نومة بالنهار بعد أكلة خير من شربة دواء نافع .

ولأبي سهل المسيحي من الكتب : كتاب المائة في الطب وهو من اجود كتبه واشهرها ؛ ولأمين الدولة بن التلميذ حاشية عليه قال : يجب ان يعتمد على هذا الكتاب فانه كثير التحقيق قليل التكرار

واضح العبارة منتخب العلاج . كتاب اظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان ، كتاب في العلم الطبيعي كتاب الطب الكلي ، مقالتان . مقالة في الجدري . اختصار كتاب المجسطي . كتاب تعبير الرؤيا . كتاب في الوباء ألفه للملك العادل خوارزمشاه ابي العباس مأمون بن مأمون .

الشيخ الرئيس ابن سينا

هو ابو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا ، وهو ان كان أشهر من ان يذكر ، وفضائله أظهر من أن تسطر ، فانه قد ذكر من أحواله ، ووصف من سيرته مايغني غيره عن وصفه . ولذلك اننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه ، نقله عنه أبو عبيد الجوجزاني ، قال ، قال : الشيخ الرئيس .

ان أبي كان رجلاً من أهل بلخ [١] ، وانتقل منها الى بخارى[٢] في ايام نوح بن منصور [٣] واشتغل بالتصرف ، وتولى العمل في اثناء أيامه بقرية يقال لها خرميثن من ضياع بخارى ، وهـي من أمهات القرى ، وبقربها قرية يقال لها أفشنة ، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن ، وولدت منها بها. ثم ولدت أخي ، ثم انتقلنا الى بخارى . وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب ، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الادب ، حتى كان يقضى مني العجب. وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيلية [٤] . وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك اخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا اسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني أيضاً اليه ، ويجرون على السنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى اتعلمه منه . ثم جاء الى بخارى أبو عبدالله الناتلي وكان يدعى المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه. وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه الى اسمعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين . وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على الناتلي . ولما ذكر لي حد الجنس ، انه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، فاخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله، وتعجب مني كل العجب وحذر والدي من شغلي بغير العلم . وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه . وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب عـلى نفسي واطالع

---

(١) كانت القصبة السياسية لولاية خراسان . ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان . وفي سنة ٦٥٣ شدد عليها ابن قيس الاحنف الحصار حتى فتحها . واجتاحها جنكيز خان سنة ١٢٢٠ فدمرها .

(٢) مدينة في اوزبيكستان (الاتحاد السوفياتي) على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين . فيها معامل للسجاد.

(٣) هو نوح الثاني ابن منصور (٩٧٦ – ٩٩٧) جلس على العرش وهو في الثالثة عشرة من عمره فتولت الحكم امه مع الوزير ابي الحسين عبدالله العتبي . ولم يتمكن من اخضاع امراء الاقاليم واخصهم سبكتكين .

(٤) او السبعية طائفة من اهل الشيعة ينتسبون الى اسماعيل بن جعفر الصادق سادس الائمة . وهم يقيمون اليوم في فارس والهند وسوريا . (ن.د)

الشروح حتى احكمت علم المنطق . وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب باسره . ثم انتقلت الى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت الى الاشكال الهندسية ، قال لي الناتلي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرضها علي لابين لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب . وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته علية ومهمته اياه . ثم فارقني الناتلي متوجهاً الى كركانج ، واشتغلت انا بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح ، من الطبيعي والالهي ، وصارت ابواب العلم تنفتح علي

ثم رغبت في علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه ؛ وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة . فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب . وتعهدت المرضى فانفتح علي من ابواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك اختلف الى الفقه وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفاً ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهوراً ، فكل حجة كنت أنظر فيها اثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيما عساهـا تنتج ، وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحـــد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع ، وصليت وابتهلت الى مبدع الكل ، حتى فتح لي المنغلق ، وتيسر المتعسر .

وكنت أرجع بالليل الى داري واضع السراج بـين يدي ، واشتغل بالقراءة والكتابة . فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة . ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل باعيانها ، حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوههـا في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني . وكل مـــا علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم ازدد فيـــه الى اليوم ، حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت الى الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس علي غرض واضعه ، حتى اعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظـاً . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وايست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذا انا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبيد دلال مجـلد ينادي عليه .. فعرضه علي فرددته رد متبرم ، معتقد ان لا فائدة من هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص ابيعكه بثلاث دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي [1] في أغراض كتاب مـا بعد الطبيعة : ورجعت الى بيتي واسرعت قراءته . فانفتح علي في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انه كان لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومـــه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتفق له مرض اتلج [2] الاطباء فيه ،

---

(١) ابو النصر محمد ولد في فاراب وتوفي في دمشق (٨٧٣ – ٩٥٠) من اعظم فلاسفة العرب حين اقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة بحلب . ولقب المعلم الثاني بعد ارسطو ، وينسبون اليه اختراع آلة القانون . (٢) دخل (ن.ر.)

وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة . فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته فسألته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب . فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجب اليه منها .. ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً من بعـــد . فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مُرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ، ولكنه اليوم معي انضج ، والا فالعلم واحـــد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له ابو الحسين العروضي . فسألني ان أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته بـه . وأتيت فيـــه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي اذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جواري،أيضاً رجل يقـــال له ابو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم ؛ فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجـــلدة ؛ وصنفت له في الاخلاق كتاباً سميته كتاب البر والأثم . وهذان الكتابان لا يوجدان الا عنده فلم يعر أحداً ينسخ منهما ثم مات والدي وتصرفت بي الاحوال ، وتقلدت شيئاً من أعمـــال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الاخلال ببخاري والانتقال الى كركانـــج . وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً ، وقدمت الى الامير بها وهوعلي بن مأمون وكنت على زي الفقهـــاء اذ ذاك بطيلسان وتحت الحنــك ، واثبتوا لي مشاهرة دارة بكفاية مثـــلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا [1] ، ومنها الى باورد، [2] ومنها الى طوس [3] ، ومنها الى شقان ، ومنها الى سمنيقان ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان [4] ،وكان قصدي الامير قابوس [5] ، فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بهـا مرضاً صعباً وعدت الى جرجان ، فاتصل أبو عبيد الجوزجاني [6] بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل .

لما عظمت فليس مصر واسعي   لما غلا ثمني عدمت المشتري

(الكامل)

---

(١) عدة مواضع في ايران وفارس وكرمان وهمدان . اشهرها نساخراسان.

(٢) بلدة في خراسان

(٣) مدينة في خراسان فيها قبر الامام علي الرضا وقبر هارون الرشيد .

(٤) مدينة في مقاطعة جرجان وتدعى ايضاً استراباد .

(٥) من امراء بني زياد في العراق العجمي وطبرستان (ن.ر.)

(٦) نسبة الى جوزجان وهو اسم قديم لمنطقة في بلاد تركستان الافغانية قرب جيحون (ن . ر)

قال ابو عبيد الجوزجاني ، صاحب الشيخ الرئيس؛ فهذا ما حكى لي الشيخ من لفظه ، ومن هاهنا شاهدت أنا من احواله ، وكان بجرجان رجل يقال له ابو محمد الشيرازي يحب هذه العلوم ، وقد اشترى للشيخ داراً في جواره وأنزله بها ، وأنا اختلف اليه في كل يوم اقرأ المجسطي وأستملي المنطق. فأملى علي المختصر الاوسط في المنطق . وصنف لابي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الارصاد الكلية . وصنف هناك كتباً كثيرة ، كاول القانون ومختصر المجسطي ، وكثيراً من الرسائل ثم صنف في ارض الجبل بقية كتبه .

وهذا فهرست كتبه ، كتاب المجموع مجلدة ، الحاصل والمحصول عشرون مجلدة ، الانسان عشرون مجلدة ، البر والاثم مجلدتان ، الشفاء ثماني عشرة مجلدة ، القانون أربع عشرة مجلدة ، الارصاد الكلية مجلدة ، كتاب النجاة ثلاث مجلدات ، الهداية مجلدة ، القولنج مجلدة ، لسان العرب عشر مجلدات ، الادوية القلبية مجلدة ، الموجز مجلدة ، بعض الحكمة المشرقية مجلدة ، بيان ذوات الجهة مجلدة ،كتاب المعاد مجلدة ، كتاب المبدأ والمعاد مجلدة ، كتاب المباحثات مجلدة .

ومن رسائله : القضاء والقدر ، الآلة الرصدية غرض قاطيغورياس . المنطق بالشعر القصائد في العظمة والحكمة في الحروف . تعقب المواضع الجدلية . مختصر اقليدس . مختصر في النبض بالعجمية . الحدود ، الاجرام السماوية . الاشارة الى علم المنطق . اقسام الحكمة في النهاية واللانهاية ، عهد كتبه لنفسه حي بن يقظان في ان ابعاد الجسم غير ذاتية له . خطب ، الكلام في الهندبا . في انه لا يجوز ان يكون شيء واحد جوهرياً وعرضياً. في انعلم زيد غير علم عمرو . رسائل له اخوانية وسلطانية. مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء . كتاب الحواشي على القانون . كتاب عيون الحكمة ، كتاب الشبكة والطير .

ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة ، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره . وكان بمجد الدولة اذ ذاك غلبة السوداء ، فاشتغل بمداواته ، وصنف هناك كتاب المعاد ، واقام بها الى ان قصد شمس الدولة (١) بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمةعسكر بغداد . ثم اتفقت اسباب اوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوين (٢) ، ومنها الى همدان (٣) ،واتصاله بخدمة كذبانويه والنظر في اسبابها . ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد اصابه ، وعالجه حتى شفاه الله ، وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة ، ورجع الى داره بعد ماأقام هناك اربعين يوماً بلياليها ، وصار من ندماء الامير. ثماتفق نهوض الامير الى قرمسين (٤) لحرب عناز ، وخرج الشيخ في خدمته ، ثم توجه نحو همدان منهزماً راجعاً .

ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه ، واشفاقهم منه على انفسهم ،

---

(١) ابو طاهر بن فخر الدولة البويهي حاكم همدان وكرمانشاه .
(٢) مدينة في ايران .
(٣) مدينة في ايران جنوباً بغرب فيها قبر ابن سينا .
(٤) هكذا وردت والصحيح قرميسين وهي معرب كرمانشاه - بلد - .

فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس ، واغاروا على اسبابه ، واخذوا جميع ما كان يملكه . وسألوا الامير قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد ابن دخدوك اربعين يوماً فعاد الامير شمس الدولة القولنج ، وطلب الشيخ فحضر مجلسه ، فاعتذر الامير اليه بكل الاعتذار ، فاشتغل بمعالجته ، وأقام عنده مكرماً مبجلاً . واعيدت الوزارة اليه ثانياً ، ثم سألته أنا شرح كتب ارسطوطاليس ، فذكر انه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت . ولكن ان رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ، ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت ذلك ، فرضيت به . فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه كتاب الشفاء ، وكان قد صنف الكتاب الاول من القانون . وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء . وكان يقرىء غيري من القانون نوبة . فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيىء مجلس الشراب بآلاته : وكنا نشتغل به ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للامير ، فقضينا على ذلك زمناً ، ثم توجه شمس الدين الى طارم[1] لحرب الامير بها ، وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القبول من الشيخ ، فخاف العسكر وفاته فرجعوا به طالبين همدان في المهد فتوفي في الطريق في المهد . ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم وكاتب علاء الدولة [2] سراً يطلب خدمته ، والمصير اليه ، والانضمام الى جوانبه . وأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً . وطلبت منه اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد [3] والمحبرة فاحضرهما ، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل . وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه ، وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الاجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات . وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً . ثم اتهمه تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة ، فانكر عليه ذلك ، وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه ، فاخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها فردجان وانشأ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراه   وكل الشك في أمر الخروج

(الوافر)

وبقي فيها اربعة اشهر . ثم قصد علاء الدولة همدان وأخذها ، وانهزم تاج الملك ومر الى تلك القلعة بعينها . ثم رجع علاء الدولة عن همدان ، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى همدان وحملوا معهم الشيخ الى همدان ، ونزل في دار العلوي ، واشتغل هناك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف بالقلعة كتاب الهدايات ، ورسالة حي بن يقظان ، وكتاب القولنج . واما الادوية

---

(١) اسم موضع في العجم .   (ن . ر)
(٢) من امراء بني كاكوية استوزر ابن سينا . وتوفي سنة ١٠٢٩
(٣) القرطاس .

القلبية فانما صنفها اول وروده الى همدان ، وكان قد تقضى على هذا زمان ، وتاج الملك في اثناء هذا يمنيه بمواعيد جميلة . ثم عنّ للشيخ التوجه الى اصفهان[1] ، فخرج متنكراً وأنا واخوه وغلامان معه في زي الصوفية [2] الى انوصلنا الى طبران[3] على باب اصفهان ، بعد ان قاسينا شدائد في الطريق ، فاستقبلنا اصدقاء الشيخ وندماء الامير علاء الدولة وخواصه ، وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محلة يقال لها كونكنبد في دار عبدالله بن بابي ، وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله. ثم رسم علاءالدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ من جملتهم . فما كان يطاق في شيء من العلوم .

واشتغل باصفهان في تتميم كتاب الشفاء ، ففرغ من المنطق والمجسطي ، وكان قداختصر اوقليدس والارثماطيقي والموسيقى . وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى ان الحاجة اليها داعية . اما في المجسطي فاورد عشرة اشكال في اختلاف القطر واورد في آخر المجسطي في علم الهيئة اشياء لم يسبق اليها ، واورد في اوقليدس شبها ، وفي الارثماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الاولون : وتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فانه صنفهما في السنة التي توجه فيها علاء الدولة إلى سابور [4] خواست في الطريق . وصنف ايضاً في الطريق كتاب النجاة ، واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى ان عزم علاء الدولة على قصد همدان ، وخرج الشيخ في الصحبة ، فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة ، فامر الامير الشيخ الاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الاموال ما يحتاج اليه . وابتدأ الشيخ به وولاني اتخاذ آلاتها واستخدام صناعها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الاسفار وعوائقها . وصنف الشيخ باصفهان الكتاب العلائي :

وكان من عجائب امر الشيخ اني صحبته وخدمته خمساً وعشرين سنة فما رأيته اذا وقع له كتاب مجدد ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشكلة ، فينظر ما قاله مصنفه فيها ، فيتبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وكان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الامير وأبو منصور الجبائي[5] حاضر فجري في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره، فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، واستهدى كتاب

---

(١) مدينة في ايران كانت عاصمة الصفويين قتل تيمورلنك اهلها وعمل هرماً من ٧٠٠٠٠ جمجمة .

(٢) فئة من المتعبدين واحدهم صوفي وهو عندهم من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى مستخلصاً من الطبائع متصلا بحقيقة الحقائق . ويطلق العامة عليهم الدراويش «ن.ر»

(٣) بلد بتخوم قومس من عمل خراسان .

(٤) كورة في فارس .

(٥) من علماء اللغة .

تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الازهري [1] ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها . وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها الفاظاً غريبة من اللغة . وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد [2] والآخر على طريقة الصابي [3] والآخر على طريقة الصاحب [4] وأمر بتجليدها واخلاق جلدها . ثم أوعز الامير فعرض تلك الجلدة على أبي منصور الجبائي . وذكر انا ظفرنا بهذه الجلدة في الصحراء وقت الصيدفيجب ان تتفقدها وتقول لنا ما فيها ، فنظر فيها ابو منصور واشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة ، وذكر له كثير من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الالفاظ منها ، وكان ابو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، ففطن أبو منصور ان تلك الرسائل من تصنيف الشيخ ، وان الذي حمله عليه ما جبهه به في ذلك اليوم ، فتنصل واعتذر اليه . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله في البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد الى ترتيبه . وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون ، وكان قد علقها على اجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون . من ذلك انه صدع يوماً فتصور ان مادة تريد النزول الى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمن ورماً ينزل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة وتغطية رأسه بها ففعل ذلك حتى قوي الموضع ، وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي. ومن ذلك ان امرأة مسلولة بخوارزم أمرها أن لا تتناول شيئاً من الادوية سوى الجلنجبين السكري حتى تناولت على الايام مقدار مائة منه وشفيت المرأة .

وكان الشيخ قد صنف بجرجان المختصر الاصغر في المنطق وهو الذي وضعه بعد ذلك في أول النجاة ، ووقعت نسخة الى شيراز [5] فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك فوقعت لهم الشبه في مسائل منها ، فكتبوها على جزء . وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فأنفذ بالجزء الى أبي القاسم الكرماني صاحب ابراهيم بن بابا الديلمي المشتغل بعلم التناظر ، وأضاف اليه كتاباً الى الشيخ أبي القاسم وانفذهما على يدي ركابي قاصد ، وسأله عرض الجزء على الشيخ واستيجاز أجوبته فيه . واذا الشيخ أبي القاسم دخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف ، وعرض عليه الكتاب والجزء ، فقرأ الكتاب ورده عليه ، وترك الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتحدثون . ثم خرج ابو القاسم ، وأمرني الشيخ باحضار البياض وقطع اجزاء منه ، فشددت خمسة اجزاء كل واحد منها عشرة أوراق

---

(١) ولد في هراة . من علماء اللغه له كتاب التهذيب .

(٢) ابو الفتح علي بن العميد (٩٢٠ – ٩٩٧) لقب بذي الكفايتين – السيف والقلم – ووزر لركن الدولة ومؤيد الدولة . ثم دست عليه الدسائس فسجن وعذب ومات .

(٣) كاتب ديوان الانشاء في دولة بني بويه .

(٤) وزير مؤيد الدولة الذي لقبه بكافي الكفاية له مؤلفات في الأدب والشعر (٩٣٦ – ٩٩٥) ولد في طالقان وتوفي في اصفهان . (ن.ر.)

(٥) مدينة في ايران هي قاعدة اقليم فارس فتحها ابو موسى الاشعري وعثمان بن ابي العاصي في اواخر خلافة عثمان . نشأ منها عدة علماء . (٦) الجماعة «ن ر.»

بالربع الفرعوني ، وصلينا العشاء وقــدم الشمع فأمر باحضار الشراب وأجلسني واخاه ولنا بتناول الشراب ، وابتدأ هو بجواب تلك المسائل . وكان يكتب ويشرب الى نصف الليل حتى غلبني وأخاه النوم ، فأمر بالانصراف فعند الصباح قرع الباب فاذا رسول الشيخ يستحضرني فحضرته وهــو على المصلى ، وبين يديه الاجزاء الخمسة ، فقال خذها وصر بها الى الشيخ أبي القاسم الكرماني ، وقل له استعجلت في الاجوبة عنها لئلا يتعوق الركابي، فلما حملته اليه تعجب كل العجب وصرف الفيج وأعلمهم بهذه الحالة ، وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس .

ووضع في حال الرصد آلات ما سبق اليها ، وصنف فيها رسالة وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد ، وكان غرضي تبين ما يحكيه بطليموس عن قصته في الارصاد ، فتبين لي بعضها . وصنف الشيخ كتاب الانصاف واليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود الى اصفهان نهب عسكره رحل الشيخ وكان الكتاب في جملته ، وما وقف له على اثر . وكان الشيخ قوي القوى كلها ، وكانت قوة المجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب . وكان كثيراً ما يشتغل به فأثر في مزاجه : وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار امره في السنة التي حارب فيها علاء الدولة تاش فراش على باب الكرخ الى ان أخذ الشيخ قولنج ، ولحرصه على برئه اشفاقاً من هزيمة يدفع اليها ، ولا يتأتى له المسير فيها مع المرض حقن نفسه في يوم واحد ثمان كرات ، فتقرح بعض أمعائه وظهر به سحج [1] ، وأحوج الى المسير مع علاء الدولة فاسرعوا نحو ايذج فظهر به هناك الصرع الذي يتبع علة القولنج ، ومع ذلك كان يدبر نفسه ويحقن نفسه لاجل السحج ولبقية القولنج ، فامر يوماً باتخاذ دانقين من بزر الكرفس[2] في جملة ما يحتقن به وخلطه بها طلباً لكسر الرياح ، فقصد بعض الاطباء الذي كان يتقــدم هو اليه بمعالجته ، وطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم لست أدري أعمد فعله أم خطأ لانني لم اكن معه ، فازداد السحج به من حدة ذلك البزر . وكان يتناول المثرود بطوس لاجل الصرع فقــام بعض غلمانه وطرح شيئاً كثيراً من الافيون [3] فيه ، وناوله فأكله وكان سبب ذلك خيانتهم في مال كثير من خزانته ، فتمنوا هلاكه ليأمنوا عاقبة أعمالهم .

ونقل الشيخ كما هو الى اصفهان ، فاشتغل بتدبير نفسه ، وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي وحضر مجلس علاء الدولة . لكنه مع ذلك لا يتحفظ ، ويكثر التخليط في أمر المجامعة ، ولم يبرأ من العلة كل البرء ، فكان ينتكس ويبرأ كل وقت . ثم قصد علاء الدولة همدان فسار معه الشيخ فعاودته في الطريق تلك العلة الى ان وصل الى همدان ، وعلم ان قوته قد سقطت ، وانها لا تفي بدفع المرض فأهمل مداواة نفسه واخذ يقول المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير ، والآن فلا تنفع المعالجة . وبقي على هذا أياماً ، ثم انتقل الى جوار ربه .

---

(١) تقشر .

(٢) القطن .

(٣) عصارة الخشخاش وهو نبات يحمل اكوازا بيضاء وهو منوم مخدر . «ن.ر»

وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلثمائة . هذا آخر ما ذكره ابو عبيد من احوال الشيخ الرئيس ، وقبره تحت السور من جانب القبة من همدان ، وقيل انه نقل الى اصفهان ودفن في موضع على باب كونكنبد . ولما مات ابن سينا من القولنج الذي عرض له قال فيه بعض اهل زمانه .

رأيت ابن سينا يعادي الرجال ... وبالحبس مـــات أخس الممات
فـلم يشف مـــا ناله بالشفا ... ولم ينـــج من موتة بالنجاة

(المتقارب)

— وقوله بالحبس يريد انحباس البطن من القولنج الذي اصابه ، والشفاء والنجاة يريد الكتابين من تأليفه وقصد بهما الجناس في الشعر —

ومن كلام الشيخ الرئيس وصية أوصى بها بعض أصدقائه وهو ابو سعيدابن أبي الخير الصوفي قال: « ليكن الله تعالى اول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه ؛ مسافراً بعقله في الملكوت الاعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . واذا انحط الى قراره ، فلينزه الله تعالى في آثاره ، فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء .

ففي كل شيء له آية ... تدل على انـــه واحـــد

(المتقارب)

« فاذا صارت هذه الحال له ملكة ، انطبع فيها نقش الملكوت ، وتجـــلى له قدس اللاهوت ، فالف الانس الاعلى ، وذاق اللذة القصوى ، واخذ عن نفسه من هو بها اولى ، وفاضت عليه السكينة وحقت عليه الطمأنينة . وتطلع الى العالم الادنى اطلاع راحم لاهله ، مستوهن لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستضل لطرقه ؛ وتذكر نفسه وهي بها لهجة ، وببهجتها بهجه ، فتعجب منها ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم ان أفضل الحركات الصلاة ، وامثل السكنات الصيام ، وانفع البر الصدقة ، وازكى السر الاحتمال ، وابطل السعي المراءاة . ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الاحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ؛ وخير النية ما ينفرج عن جناب علم ؛ والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله اول الاوائل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) . ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيآت الانقيادية للنفوس الموادية التي اذا بقيت في النفوس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال ، إذ جوهرها غير مشاوب ولا مخالط ، وانما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ؛ بل يفيدها هيآت الاستيلاء والسياسة والاستعلاء والرياسة . وكذلك يهجر الكذب قولا وتخيلا حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة ، فتصدق الاحلام والرؤيا . واما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع او السياسة . اما المشروب فانه يهجر شربه تلهياً

بل تشفياً وتداوياً ؛ ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ؛ ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ؛ ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه . ثم لا يقصر في الاوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الالهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية . ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين تطربه الزينة في النفس والفكرة في الملك الاول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس عاهد الله انه يسير بهذه السيرة ، ويدين بهذه الديانة ،والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل .»

ومن شعر الشيخ الرئيس قال في النفس وهي من أجل قصائده واشرفها :

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها ... في ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن[1] التي ... درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها ... قفص عن الاوج الفسيح الاريع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ... ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف ... عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق ... سام الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان ارسلها الاله لحكمة ... طويت عن الفطن اللبيب الاروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنه برق تألق للحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع

(الكامل)

وقال في الشيب والحكمة والزهد :

أما اصبحت عن ليل التصابي ... وقد أصبحت عن ليل الشباب
تنفس في عذارك صبح شيب ... وعسعس ليله فكم التصابي

(١) جمع وهي اثار الدار اي ما يتركه الحي من الاقذار بعد الرحيل

شبابك كان شيطاناً مريداً ... فرجم[1] من. مشيبك بالشهاب
وأشهب من بزاة الدهرخوّى[2] ... على فودي [3] فألمأ [4] بالغراب
عفا رسم الشباب ورسم دار ... لهم عهدي بها مغنى رباب
فذاك ابيضّ من قطرات دمعي ... وذاك اخضرّ من قـَطـْر السحاب
فذا ينعي اليك النفس نعيا ... وذالكم نشورٌ للروابي
كذا دنياك ترأب لانصداع ... مغالطة وتبني للخراب
ويعلق مشمئز النفس عنها ... فلما عفتها اغريتها بي
فلولاها لعجلت انسلاخي ... عن الدنيا وان كانت اهابي
عرفت عقوقها فسلوت عنها ... بأشراك تعوق عن اضطراب
بليت بعالم يعلو أذاه ... سوى[5] صبري ويسفل عن عتابي
وسيل للصواب خلاط قوم ... وكم كان الصواب سوى الصواب
أخالطهم ونفسي في مكان ... من العلياء عنهم في حجاب
ولست بمن يلطخه خلاط ... متى اغبرت اثاث عن تراب
اذا ما لحت الابصار نالت ... خيالاً واشمأزت عن لباب

(الوافر)

وقال ايضاً :

يا ربع ، ذكـّرك الاحداث والقدم ... فصار عينك [6] كالآثار تتهم ،
كأنما رسمك السر الذي لهم ... عندي، ونؤيك صبري الدارس الهدم؛
كأنما سفعة الاثفيّ باقية ... بين الرياض كطاجونية [7] جثم
أو حسرة بقيت في القلب مظلمة ... عن حاجة ما قضوها اذ هم أمم [8]
ألا بكاه سحاب دمعه همع [9] ... بالرعد مزدفر [10] بالبرق مبتسم
لم لم تجدها سحاب جودها ديم ... من الدموع الهوامي كلهن دم
ليت الطلول اجابت من به أبداً ... في حبهم صحة في حبهم سقم
أو علها بلسان الحال ناطقة ... قد تفهم الحال ما لا تفهم الكلم

---

(١) رمي .
(٢) ارسل جناحيه .
(٣) جانب الرأس مما يلي الاذن الى الامام .
(٤) ذهب به خفية .
(٥) العدل والمساوي .
(٦) اهل الدار .
(٧) ما يقلى فيه .
(٨) القصد .
(٩) سائل . (١٠) محمل .

أمـــا ترى شيبتي تنبيك ناطقة ... بأن حدي الذي استدلقته [١] ثلم [٢]
الشيب يوعـــد والآمـــال واعدة ... والمرء يغـــتر والايام تنصرم
مالي أرى حـــكم الافعال ساقطة ... وأسمع الدهر قولا كله حـــكم
مالي أرى الفضل فضلاً يستهان به ... قد أكرم النقص لما استنقص الكرم
جوّلت في هذه الدنيا وزخرفهـــا ... عيني ، فألفيت داراً ما بها أرم [٣]
كجيفـــة دودت فالدود منشؤه ... فيهـــا ، ومنها له الارزاء والطعم
سيان عندي إن بروا وان فجروا ... فليس يجري على أمثالهم قـــلم
لا تحسدنهم إن جـــد جدهم ... فالجد يجدي ولكن ما له عصم
ليسوا وان نعموا عيشاً سوى نعم ... وربما نعمت في عيشها النعم [٤]
الواجدون غنى ، العادمون نهى ، ... ليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا
خلقت فيهم وايضاً قد خلطت بهم ... كرهاً فليس غنى عنهم ولا لهم
اسكنت بينهم كالليث في أجم ... رأيت ليثاً لـــه من جنسه أجم
أني وان بان عني من بليت بـــه ... في عينه كمـــه [٥] في أذنه صمم
ممـــيز من بني الدنيا يمـــيزني ... أقل ما فيّ ليس الجل والعظم
بـــأي مأثرة ينقاس بي أحـــد ... بأي مكرمة تحكيني الامـــم
أمثل عنجهة [٦] شوكاء [٧] يلحق بي ... أم مثل شنبر [٨] حش [٩] عرضه زيم [١٠]
فذا عجوز ولكن بعدمـــا قعدت ... وذاك جـــود مساع الملك متهم
اني وان كانت الاقـــلام تخدمني ... كذاك يخدم كفي الصارم الخذم [١١]
قـــد أشهد الروع مرتاحاً فاكشفه ... اذا تناكر عن تياره البهـــم
الضرب محتدم ، والطعن منتظم ، ... والدم مرتكم [١٢] ، والبأس مغتلم [١٣]
والحق يافوخه [١٤] من نقعهم [١٥] قاتر [١٦] ... والافك قسطاسه [١٧] من سفكهم قتم [١٨]
والبيض والسمر حمر تحت عثيره [١٩] ... والموت يحـــكم والابطال تختصم
وأعدل القسم في حربي وحربهم ... منهم لنا غنم منا لهم عرم [٢٠]

---

(١) استخرجته .
(٢) مكسور الحد اي الحافة .
(٣) اي احد .
(٤) الابل وتطلق على البقر والغنم .
(٥) العمى او العشى في العين .
(٦) الجفا والكبر . (٧) ذات اشواك . (٨) ابن آوى . (٩) الولد الهالك في بطن امه تهراق دماً عليه وتنطوي عليه اي يبقى فلا يخرج . (١٠) جمع زيمة وهي القطعة من لحم وغيره . (١١) القاطع. (١٢) مجتمع . (١٣) مشتد
(١٤) مقدم الرأس . (١٥) الغبار الساطع (١٦) اي عليه غيره . (١٧) الميزان او القبان . (١٨) صار لونه القتمة اي ضارب الى السواد . (١٩) العجاج الساطع . (٢٠) اللحم .

أما البلاغة فاسألني الخبير بهـا | أنا اللبان قديماً والزمان فم
لا يعلم العلم غيري معلماً علماً | لاهلـه أنا ذاك المعـلم العلم
كانت قناة علوم الحـق عاطلة | حتى جلاها بشرحي البند والعلم
نبيـد أرواحهم بالرعب تقذفه | فيهم وأجسادهم بالقضب تلتحم
ماتت اثالة ذا الدهر اللقاح على | عزائمي وأسفت بي لهـا الهيم
لو شئت كان الذي لو شئت بحت به | ما الخوف أسكت بل ان تلزم الحشم
ولو وجدت طلاع الشمس متسعاً | لحط رحل عزيمي كنت أعتزم
ولو بكت عزماتي دونهـا الحشم | ولم يعم سبيـلي نحوها العمم
وكانت البيض ظلفـاً للعمود له | وقد تباغل [1] عرض الخيل والحكم
وظن أن ليس تحجيل سوى شعر | وأن للخيـل في ميلادها اللجم
وغشيت صفحات الارض معدلـة | فالاسد تنفر عن مرعى به غنم [2]
لكنها بقعـة حف الشقاء بهـا | فكل صاغ [3] اليها صاغر سدم

(البسيط)

وقال ايضاً :

هو الشيب لا بد من وخطه [4] | فقرضه واخضبه أو غطـه
أأقلقك الطـل من وبله | وجرعت من البحر في شطه
وكم منك سرك غصن الشبـاب | وريقاً فلا بـد من حطه [5]
فلا تجزعن لطريـق سلكت | كم انبت غـيرك في وسطه
ولا تجشمن فمـا ان ينال | من الرزق كل سوى قسطه
وكم حاجـة بذلت نفسها | ففوتهـا الحرص من فرطـه
اذا اخصب المرء من عقـله | نشا في الزمان على قحطه
ومن عاجل الحزم في عزمه | فان الندامـة من شرطـه
وكم ملق دونهـا غيـلة | كما يـرط الشعر من مشطه
اذا ما أحـال أخو زلة | على الغدر فاعجـل على بسطه
ومـا يتعب النفس تمييزه | فـلا تعجلن الى خلطـه
ووقر أخا الشيب والح الشباب | اذا مـا تعسف في خبطـه
ولا تبغ في العذل واقصد فكم | كتبت قديمـاً على خطه

(١) تشبه بالبغل في سعة مشية او تبلده .
(٢) اي فيه قتمة . (٣) مائل ومستمع . سدم: نادم .
(٤) خالط سواد الشعر « ن.ر » .
(٥) اي تعريته من ورقه .

وكم عانــد النصح ذو شيبة | عناد القتـاد لدى خرطــه
تراه سريعــاً الى مطمع | كما أنشط البكر [1] عن نشطه[2]
وكم رام ذو ملــل حاشم | ليغصب حلمي فلــم أعطه
وذي حسد أسقطتــه لقى | فما يأنف الدهر من لقطــه
يحاول حطي عــن رتبتي | قد ارتفـع النجم عن حطه
يظــل على دهره ساخطاً | وكم يضحك الدهر من سخطه

(المتقارب)

وقال أيضاً :

قفا نجزي معاهدهم قليــلا | نغيث بدمعنا الربــع المحيلا
تخونه العفــاة كما تراه | فأمسى لا رسوم ولا طـلولا
لقد عشنا بهــا زمناً قصيرا | نقاسي بعدهم زمناً طويــلا
ومن يستثبت الدنيا بحال | يرم مــن مستحيل مستحيلا
اذا ما استعرض الدنيا اعتباراً | تنحى الحرص عنها مستقيلا
خليلي ابلــغ العذال أني | هجرت تجملي هجراً جميلا
وأني من أناس مــا أحلنا | على عــزم فاعقبنا نزولا
مآقينا وأيدينا اذا مـــا | همين [3] رأيتنا نعصي العذولا
وقفت دموعَ عيني دون سعدي | على الاطلال ما وجدت مسيلا
على جفني لدمعي فرض دمع | أقمت له بــه قلبي كفيلا
عقدت لها الوفاء وان عقدي | هو العقد الذي لن يستحيلا
وكم أخت لها خطبت فؤادي | فما وجدت الى عــذري سبيلا
أعاذل لست في شيء فأسهب | مدى الملوين [4] أو أقصر قليلاً
فـلم ير مثلهــا قلــبي ألوفا | ولم تر مثلهـا اذني مـلولا
وعذل الشيب أولى لي لواني | أطقت وان جهدت له قبولا
أجل قد كررت هذي الليالي | على ليلي زماناً لن يزولا
أتنكر ذرءة لمــا علتني | تزين كزينــة الاثر النصولا
يعيرني ذبولي او نحــولي | كسيت الذبل والجسد النحيلا
كما ان الخفيش ابا وجـيم | يعيرني بان لست البخيــلا
يقــول مبذر ليغض مني | يعــد عـلو ذي كرم سفولا

---

(١) الفتي من الإبل .
(٢) ذهابه .
(٣) ارسلت دمعها وانتشرت .
(٤) الليل والنهار .

متى وسعت لقصدي الارض حتى ابرز او انيل بـه جزيلا
يقول به الخراق الكف جدا وكم خرق وقعت به منيلا
فجل خلل الاصابع منك واجهد عسى ان لا تطوف ولا تنولا
بفحش ان مالك فوق مالي نفائس مـا تصان بمـا اذيـلا
حكاك غباء ما افناه بذلي يباع ببعض ما تحوي كميلا
يحذرك الاحبة وقع كيدي فلست بذاك مذعوراً مهولا
سقطت عن اعتقادي فيك سوءاً فطب نفساً ولا تفرق قبيـلا
فأما ان ارعك بغير قصدي فقد مـا روع الفيل الافيلا
(الوافر)

وقال ايضاً :

اوليتني نعمة مذ صرت تلحظني كاني الكفاة بعيني مجمل النظر
كذا اليواقيت فيما قيل نشأتها من حسن تأثير عين الشمس في القمر
(البسيط)

وشكا اليه الوزير ابو طالب العلوي آثار بثر بدا على جبهته ونظم شكواه شعراً وأنفذه اليه وهو:

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه وغرس انعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه ادام الله مدته آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنماً شكر النبي له مع شكر عترته
(البسيط)

فاجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفي وينفي ما يجيبهته من الاذى ويعافيه برحمتـــه
أما العلاج فاسهال يقدمـــه ختمت آخر ابيـــاتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا يدني اليه شراباً من مدامتـــه
والوجه يطليه ماء الورد معتصراً فيه الخلاف[1] مدافا وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً ولا يصيحن أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى آثار خير ويكفى أمر علتهٔ

وقال أيضاً :

خير النفوس العارفات ذواتها وحقيق كميات ماهياتهـــا

---

(١) نوع من السفصاف .

وبم الذي حلت ومم تكونت — أعضاء بنيتها على هيئاتها
نفس النبات ونفس حس ركبا — هلا كذاك سماته كسماتها
يا للرجال لعظم رزء لم تزل — منه النفوس تخب[1] في ظلماتها

وقال ايضاً :

هذب النفس بالعلوم لترقى — وذر الكل فهي للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والعلم — سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حي — واذا أظلمت فانك ميت
(الخفيف)

وقال أيضاً :

صبها في الكاس صرفا — غلبت ضوء السراج
ظنها في الكاس نارا — فطفاها بالمزاج
(الرمل)

وقال أيضاً :

قم فاسقنيها قهوة كدم الطلا — يا صاح بالقدح الملا بين الملا
خمراً تظل لها النصارى سجدا — ولها بنو عمران أخلصت الولا
لو أنها يوماً وقد ولعت بهم — قالت : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى
(الكامل)

وقال أيضاً :

نزل اللاهوت[2] في ناسوتها[3] — كنزول الشمس في أبراج يوح
قال فيها بعض من هام بها — مثل ما قال النصارى في المسيح
هي والكاس وما مازجها — كأب متحد وابن روح
(الرمل)

وقال ايضاً :

شربنا على الصوت القديم قديمة — لكل قديم اول هي اول
ولو لم تكن في حيز قلت انها — هي العلة الاولى التي لا تعلل
(الطويل)

---

(١) تضطرب وتسير خبباً .
(٢) الألوهة ، واصله (لاه) اي انه زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة كما في جبروت وملكوت .
(٣) الطبيعة الانسانية .

وقال ايضاً :

عجبـــاً لقوم يحسدون فضائلي ... مـــا بين غيابي الى عذالي
عتبوا على فضلي وذموا حكمتي ... واستوحشوا من نقصهم وكالي
اني وكيدهم وما عتبوا بـه ... كالطود يحقر نطحة الاوعال
واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه ... هانت عليـــه ملامة الجهـال

(الكامل)

وقال أيضاً :

أساجية الجفون أكل خـود ... سجاياهـا استعرن من الرحيق
هـــي الصهباء مخبرها عدو ... وان كانت تناغي عن صديق

(الوافر)

وقال ايضاً

أكاد أجن[1] فيما قـد أجن [2] ... فلم ير مـا أرى بانس وجن
رميت من الخطوب بصميات [3] ... نوافذ لا يقوم بها مجن [4]
وجاورني اناس لـــو أريدوا ... على منفت مـــا اكلوه ضنوا
فان عنت مسائـل مشكلات ... أجال سهامهم حدس وظن
وان عرضت خطوب معضلات ... تواروا واستكانوا[5] واستكنوا[6]

(الوافر)

وقال ايضاً :

أشكو الى الله الزمان فصرفه ... أبلى جديد قواي وهو جديد
محن الي توجهت فكأنني ... قد صرت مغناطيس وهي حديد

(الكامل)

وقال ايضاً :

تنهنه وحاذر ان ينالك بغتة ... حسام كلامي او كِلام [7] حسامي

وقال أيضاً ، ان هذه الابيات اذا قيلت عند رؤية عطارد وقت شرفه ؟ فانها تفيد علماً وخيراً باذن الله تعالى .

---

(١) الفقد عقلي .
(٢) ما اخبيء واخفي .
(٣) قاتلة .
(٤) كل ما وقى من السلاح او الترس .
(٥) ذلوا وخضعوا
(٦) استتروا .
(٧) جروح .

عطارد قـد والله طال ترددي — مساء وصبحاً كي أراك فاغنما
فها أنت فامددني قوى ادرك المنى — بها والعلوم الغامضات تكرما
ووقني المحذور والشر كله — بامر مليك خالق الارض والسما

(الطويل)

ومما ينسب الى الشيخ الرئيس ابن سينا قصيدة فيما يحدث من الامور والاحوال عند قران المشتري وزحل في برج الجدي ، بيت زحل ، وهو انحس البروج ، لكونــه بيت زحل نحس الفلك النحس الاكبر واول القصيدة :

« احذر بني من القران العاشر »

وجملة ما قيل في هذه القصيدة من أحوال التتر وقتلهم للخلق وخرابهم للقلاع جرى ، وقد رأيناه في زماننا . ومن أعجب ما أتى فيها عن التتر يفنيهم الملك المظفر[1] ، وكان كذلــك أفناهم الملك المظفر قطز لما وصل من الديار المصرية بعساكر الاسلام ، وكانت الكسرة على التتر منـه في وادي كنعان [2] كما ذكر ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة . وكذلك أشياء أخر من ذلك كثيرة صحت الاحكام بها في هذه القصيده ، مثل القول عن خليفة بغداد ، وكذا الخليفة جعفر البيت والبيت الذي يليه بعده تمحى خلافته وملكت التتر بغداد كما ذكر،وكان ذلك في أول سنة سبع وخمسين وستمائه . وكان الاعتماد بما في هذه القصيدة من كتاب الجفر [3] عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام . والله أعلم ، ان يكون الشيخ الرئيس قال هذه القصيدة او غيره وقد عن لي ان اذكر القصيدة ههنا سواء كانت لابن سينا او لغيره وهي :

احذر بـني من القران العاشر — وانفر بنفسك قبـل نفر النافر
لا تشغلنك لـذة تلهو بهــا — فالموت اولى بالظلوم الفاجر
واسكن بلاداً بالحجاز وقم بها — واصبر على جور الزمان الجائر
لا تركنن [4] الى البلاد فانها — سيممها حــد الحسام الباتر
من فتية فطس الانوف كانهم — سيل طما أو كالجراد الناشر
خزر [5] العيون تراهم في ذلة — كم قد ابادوا من مليك قاهر
مـا قصدهم الا الدماء كانما — ثار لهـم مـن كل تاه آمر
وخراب ما شادالورى حتى ترى — قفراً عمارتهم برغــم العامر

---

(١) احد سلاطين المماليك البحريين تولى الحكم « ١٢٥٩ – ١٢٦٠ »

(٢) هي على ما اعتقد ناحية في العراق « لواء ديالى »

(٣) الجفر : ولد الشاة اذ استكرش وأكل ، وسمي العلم الذي كتب عليه بعلم الجفر ، وهو العلم الاجمالي على طريقة علم الحروف بلوح القضاء والقدر المحتوي على ما كان وما يكون ، وقالوا انه مختص بآل البيت ،

(٤) سكن واستأمن ،

(٥) ضيقيو العيون ،

اما خراسان تعود منابتا ... للعشب ليس لاهلها من جابر
وكذا الخوارزم[١] وبلخ[٢] بعدها ... تضحي وليس بربعها من صافر
والديلمان[٣] جبالها ودحالها ... ورها ستخرب بعد اخذ نشاور
والري يسفك فيه دم عصابة ... من آل احمد لا بسيف الكافر
وتفر سفاك الدما منهم كما ... فر الحمام من العقاب الكاسر
فهو الخوارزمي يكسر جيشه ... في نصف شهر من ربيع الآخر
ويموت من كمد على ما ناله ... من ملكه في لج بحر زاخر
وتذل عترته وتشقى ولده ... لظهور نجم للذؤابة زاهر
ويكون في نصف القران ظهوره ... لكن سعادته كلمح الناظر
وتثور أعداه عليه ويلتقي ... ويعود منهزماً بصفقة خاسر
ويكون آخر عمره في آمد ... يسري اليه وما له من سائر
وتعود عظم جيوشه مرتدة ... عنه الى الخصم الألد الفاجر
وديار بكر سوف يقتل بعضهم ... بالسيف بين أصاغر وأكابر
وترى بآذربيج[٤] بدو خيامه ... نصبت لجاجا من عدو كافر
تفنى عساكره ويفنى جيشه ... متمزقاً في كل قفر واعر
والويل ما تلقى النصارى منهم ... بالذل بين اصاغر وأكابر
والويل ان حلوا ديار ربيعة ... ما بين دجلتها[٥] وبين الجازر[٦]
ويدوخون ديار بابل[٧] كلها ... من شهرزور الى بلاد السامر
وخلاط[٨] ترجع بعد بهجة منظر ... قفرا تداوس باختلاف الحافر
هذا وتغلق اربل[٩] من دونهم ... تسعا وتفتح في النهار العاشر
ويطون نينوه[١٠] ويؤخذ مالها ... ودوابها من معشر متجاور

---

(١) بلاد واقعة على نهر آموداريا الاسفل في تركستان الروسية ، ذكرها هيرودوتس ورأى البيروني فيها العمران قبل سنة ١٢٩٢ ق.م .

(٢) كانت القصبة السياسية لولاية خراسان ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان اجتاحتها قبائل جنكيز خان فدمرتها ،

(٣) الديلم هي القسم الجبلي من جبال جيلان شمالي بلاد قزوين . «ن.ر»

(٤) اقليم في بلاد ايران على الحدود الشمالية الغربية عاصمته تبريز ، ومنها قسم يؤلف اليوم جمهورية سوفياتية على ساحل بحر قزوين وعاصمتها باكو .

(٥) نهر ينبع من تركيا ويجري بديار بكر والموصل وبغداد ويمتزج بنهر الفرات في شط العرب ومن سواعده : الزاب الاكبر والزاب الاصغر وديالي .

(٦) واد بين الكوفة وقيد (٧) البلاد التي تتألف منها مملكة بابل .

(٨) بلد بارمينية (٩) مدينة بالعراق في شماليه قرب الموصل .

(١٠) مدينة اثرية في العراق وهي عاصمة بلاد آشور القديمة واسمها اليوم كويونجيك بالقرب من الموصل .

ولربما ظهرت عساكر موصل [١] تبغي الأمان من الخؤون الغادر
فتراهم نزلا بشاطىء دجـلة ومضوا الى بلد بغير تفـاتر
وترى الى الثرثار [٢] نهباً واقعـاً ودمـاً يسيل وهتك ستر ساتر
ويكون يوم حريق زهرتها التي تأتيهـم مطر كبحر زاخـر
واحسرتاه على البلاد وأهلهـا ماذا يكون وما لهم من ناصر
ولربمـا ظهـرت عليهم فتية من آل صعصعة [٣] كرام عشائر
يسقون من ماء الفرات [٤] خيولهم من كل ظام فوق صهوة ضامر
تلقاهم حلب [٥] بجيش لو سرى في البحر أظلم بالعجاج الثائر
واذا مضى حد القران رأيتهم يردون جلق وهي ذات عساكر
يفنيهم الملك المظفر مثل ما فنيت ثمود [٦] في الزمان الغابر
ويبيدهم نجل الامـام محمد بحسامه الماضي الغرار البـاتر
ولربما أبقى الزمان عصابة منهم فيهلكهم حسام النـاصر
والترك تفني الفرس لا يبقى لهم أثر كذا حكم المليك القـادر
في أرض كنعان [٧] تظل جسومهم مرعى الذئاب وكل نسر طائر
وتجول عبـاد الصليب عليهم بالسيف ذات ميامن ومياسر
يا ربع بغداد لما تحويه من جثث محلقة ورأس طـائر
وكذا الخليفة جعفر سيظل في أرض وليس لسبلها من خاطر
وكذا العراق قصورها وربوعها تلك النواحي والمشيد العـامر
يفنيهم سيف القِران فيا لهـا من سفرة أودت بمال التـاجر
والروم [٨] تكسرهم وتكسر بعدهم عاماً وليس لكسرها من جابر
تمحى خلافته وينسى ذكره بـين البرية صنع رب قادر
فترى الحصون الشامخات مهدة لم يبق فيهـا ملجأ لمسافر

---

(١) مدينة في العراق لقبت بالحدباء ، كائنة على نهر دجلة بالقرب من انقاض نينوى كانت قاعدة بلاد بني ربيعة .

(٢) عين غزيرة بالماء بالجزيرة ؛ او هي نهر بعينه ؛ او واد كائن قرب سامراء بني عليه اليوم سد .

(٣) قبيلة عربية تنسب الى صعصعة .

(٤) نهر ينبع من ارمينيا يقطع جبال طوروس ويجتاز سوريا والعراق ويصب متحداً مع دجلة في شط العرب

(٥) قاعدة سوريا الشمالية وهي من اقدم مدن العالم فقد ذكرت في الكتابات الحثية سنة ٢٠٠٠ ق.م . اتخذها سيف الدولة عاصمة لمملكته فازدهرت فيها العلوم والفنون الاسلامية .

(٦) شعب عربي قديم باد اثره قبل ظهور الاسلام وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم وثبت وجودهم تاريخياً في كتابة سرجون سنة ٣١٥ ق. م . وفي كتب الرومان واليونان وفي الشعر الجاهلي .

(٧) ناحية في العراق كان اسمها مهروذ وهي الآن تدعى لواء ديالى .

(٨) اسم اطلقه العرب على البيزنطيين

وترى قراهـا والبـلاد تبدلت بعد الانيس بكل وحش نافر

(الكامل)

وأنشدني بعض التجار من أهل العجم قصيدة لابن سينا في هذا المعنى على قافية الراء الساكنة وأولها:

اذا شرق المريخ من أرض بابل واقترن النحسان فالحذر الحذر
ولا بد ان تجري أمور عجيبة ولا بد ان تأتي بلادكم التتر

(الطويل)

ولم يكن يحفظ الا بعض القصيدة على غير الصواب فما نقلتها عنه .

وللشيخ الرئيس من الكتب كما وجدناه غير ما هو مثبت فيما تقدم من كلام أبي عبيد الجوزجاني : كتاب اللواحق يذكر انه شرح الشفـاء . كتاب الشفاء ، جمع جميع العلوم الاربعة فيه وصنف طبيعياته والهياتهـا في عشرين يوماً بهمدان . كتاب الحاصل والمحصول ، صنفه ببلده للفقيه أبي بكر البرقي في أول عمره في قريب من عشرين مجلدة ، ولا يوجد الا نسخة الأصل . كتـاب البر والأثم ، صنفه أيضـاً للفقيه أبي بكر البرقي في الأخلاق مجلدتان ، ولا يوجد الا عنده . كتاب الانصاف عشرون مجلدة شرح فيه جميع كتب ارسطوطاليس وانصف فيـه بين المشرقيين والمغربيين ، ضاع في نهب السلطان مسعود . كتـاب المجموع ويعرف بالحكمة العروضية ، صنفه وله احدى وعشرون سنة لابي الحسن العروضي من غير الرياضيات . كتاب القانون في الطب صنف بعضه بجرجان وبالرس ، وتممه بهمدان ، وعول على ان يعمل له شرحاً وتجارب. كتاب الأوسط الجرجاني في المنطق صنفه بجرجان لابي محمد الشيرازي . كتاب المبدأ والمعاد في النفس ، صنفه له أيضاً بجرجان ووجدت في اول هذا الكتاب انه صنفه للشيخ أبي أحمد محمد ابراهيم الفارسي . كتاب الارصاد الكلية صنفها أيضاً بجرجان لابي محمد الشيرازي . كتاب المعاد صنفه بالري للملك مجد الدولة . كتاب لسان العرب في اللغة صنفه باصفهان ولم ينقله الى البياض ، ولم يوجد له نسخة ولا مثله ، ووقع الي بعض هذا الكتاب وهو غريب التصنيف . كتاب دانش مايه العلائي بالفارسية ، صنفه لعلاء الدين بن كاكويه باصفهان . كتاب النجاة صنفه في طريق سابور خواست ، وهو في خدمـة علاء الدولة . كتاب الاشارات والتنبيهات وهي آخر ما صنف في الحكمة واجوده ، وكان يضن بها . كتاب الهدايـة في الحكمة صنفه وهو محبوس بقلعة فردجان لاخيه علي ، يشتمل على الحكمة مختصراً . كتاب القولنج صنفه بهذه القلعة أيضاً ، ولا يوجد تاما. رسالة حي بن يقظان صنفها بهذه القلعة أيضاً رمزاً عن العقل الفعال . كتاب الادوية القلبية صنفها بهمدان وكتب بها الى الشريف السعيد أبي الحسين علي بن الحسين الحسيني . مقالة في النبض بالفارسية . مقالة في مخارج الحروف ، وصنفها باصفهان للجبائي . رسالة الى أبي سهل المسيحي في الزاوية صنفها بجرجان . مقالة في القوى الطبيعية الى أبي سعد اليامي. رسالة الطير مرموزة تصنيف فيما يوصله الى علم الحق . كتاب الحدود . مقالة في تعرض رسالة الطبيب في القوى الطبيعية . كتاب عيون الحكمة يجمع العلوم الثلاثة . مقالة في عكوس ذوات الجهة . الخطب

التوحيدية في الالهيات . كتاب الموجز الكبير في المنطق ، واما الموجز الصغير فهو منطق النجاة . القصيدة المزدوجة في المنطق صنفها للرئيس أبي الحسن سهل بن محمد السهلي بكركانج . مقالة في تحصيل السعادة ، وتعرف بالحجج الغر . مقالة في القضاء والقدر صنفها في طريق أصفهان عند خلاصه وهربه الى أصفهان . مقالة في الهندبا . مقالة في الاشارة الى علم المنطق . مقالة في تقاسيم الحكمة والعلوم . رسالة في السكنجبين . مقالة في اللانهاية . كتاب تعاليق علقه عنه تلميذه ابو منصور بن زيلا . مقالة في خواص خط الاستواء. المباحثات بسؤال تلميذه ابي الحسن بهمنيار بن المرزبان وجوابه له . عشر مسائل أجاب عنها لابي الريحان البيروني . جواب ست عشرة مسئلة لابي الريحان . مقالة في هيئة الارض من السماء وكونها في الوسط . كتاب الحكمة المشرقية لا يوجد تاماً . مقالة في تعقب المواضع الجدلية . المدخـــل الى صناعة الموسيقى ، وهو غير الموضوع في النجاة . مقالة في الاجرام السماوية . كتاب التدارك لانواع خطا التدبير ، سبع مقالات ألفه لابي الحسن أحمد بن محمد السهلي . مقالة في كيفية الرصد ومطابقته مع العلم الطبيعي . مقالة في الاخلاق . رسالة الى الشيخ أبي الحسن سهل بن محمد السهلي في الكيمياء . مقالة في آلة رصدية صنعها باصفهان عند رصده لعلاء الدولة . مقالة في غرض قاطيغورياس . الرسالة الاضحوية في المعاد صنفهـــا للامير أبي بكر محمد بن عبيده معتصم الشعراء في العروض ، صنفه ببلاده ، وله سبع عشرة سنة . مقالة في حد الجسم . الحكمة العرشية وهو كلام مرتفع في الآلهيات عهد له عاهد الله به لنفسه . مقالة في ان علم زيد غـير علم عمرو . كتاب تدبير الجند والمماليك والعساكر وأرزاقهم وخراج الممالك . مناظرات جرت له في النفس مع أبي علي النيسابوري ، خطب وتمجيدات وأسجاع جواب يتضمن الاعتذار فيا نسب اليه من الخطب . مختصر أوقليدس أظنه المضمون الى النجاة . مقالة الارثماطيقي . عشر قصائد وأشعار في الزهد وغيره يصف فيها احواله . رسائل بالفارسية والعربية ، ومخاطبات ومكاتبـــات وهزليات . تعاليق مسائل حنين في الطب . قوانين ومعالجات طبية . مسائل عدة طبية عشرون مسألة سأله عنها بعض أهل العصر . مسائل ترجمها بالتذاكير جواب مسائل كثيرة . رسالة له الى علماء بغداد يسألهم الانصاف بينه وبين رجل همداني يدعي الحكمة . رسالة إلى صديق يسأله الانصاف بينه وبين الهمداني الذي يدعي الحكمة . جواب لعدة مسائل كلام له في تبين ماهيـة الحروف. شرح كتاب النفس لارسطوطاليس ويقال انه من الانصاف . مقالة في النفس تعرف بالفصول. مقالة في ابطال احكام النجوم . كتاب الملح في النحو . فصول الهية في اثبات الاول . فصول في النفس وطبيعيات . رسالة الى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي في الزهد . مقالة في انه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهراً وعرضاً. مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء في فنون العلوم. تعليقات استفادها أبو الفرج الطبيب الهمداني من مجلسه وجوابات له . مقالة ذكرها في تصانيفه انها في الممالك وبقـــاع الارض . مختصر في ان الزاوية التي من المحيط والمماس لا كمية لها . اجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العامري وهي اربع عشرة مسألة . كتاب الموجز الصغـير في المنطق . كتاب قيام الارض في وسط السماء ألفه لابي الحسين أحمد بن محمد السهلي . كتاب مفاتيح الخزائن في المنطق ، كلام في الجوهر والعرض كتاب تأويل الرؤيا . مقالة في الرد على مقالة الشيخ ابي الفرج بن الطيب. رسالة في العشق

ألفها لابي عبدالله الفقيه. رسالة في القوى الانسانية وادراكاتها. قول في تبين ما الحزن واسبابه. مقالة الى ابي عبيد الله الحسين بن سهل بن محمد السهلي في أمر مشوب .

ألا يلاقي

هو السيد أبو عبد الله محمد بن يوسف شرف الدين ، شريف النسب ، فاضـــل في نفسه ، خبير بصناعة الطب، والعلوم الحكمية . وهي من جملة تلاميذ الشيخ الرئيس والآخـذين عنه ، وقد اختصر كتاب القانون وأجاد في تأليفه وللايلاقي من الكتب باختصـــار كتاب القانون لابن سينا ، كتاب الاسباب والعلامات .

ابو الريحان البيروني

هو الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني منسوب إلى بيرون ، وهي مدينة في السند[1] ، كان مشتغلاً بالعلوم الحكمية فاضلاً في علم الهيئة والنجوم ، وله نظر جيد في صناعة الطب . وكان معاصر الشيخ الرئيس ، وبينهما محادثات ومراسلات . وقد وجدت للشيخ الرئيس أجوبة مسائل سأله عنها ابو الريحان البيروني وهي تحتوي على امور مفيدة في الحكمة . وأقام ابو الريحان البيروني بخوارزم .

ولابي الريحان البيروني من الكتب : كتاب الجماهر في الجواهر وانواعها وما يتعلق بهذا المعنى ، ألفه للملك المعظم شهاب الدولة أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود . كتاب الآثار البـــاقية عن القرون الخالية. كتاب الصيدلة في الطب استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين ، وما تكلم كل واحد من الاطباء وغيرهم فيه ، وقد رتبه على حروف المعجم . كتاب مقاليد الهيئة . كتاب تسطيح الكرة . كتاب العمل بالاصطرلاب . كتاب القانون المسعودي ، ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين، وحذا فيه حذو بطليموس . كتاب التفهيم في صناعة التنجيم . مقالة في تلافي عوارض الزلة في كتاب دلائل القبلة. رسالة في تهذيب الاقوال. مقالة في استعمال الاصطرلاب الكري . كتاب الاظلال . كتاب الزيج المسعودي ألفه للسلطان مسعود بن محمود ملـــك غزنة . اختصار كتاب بطليموس القلوذي . وتوفي في عشر الثلاثين والاربعمائة .

ابن مندويه الاصفهاني

هو أبو علي احمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، من الاطباء المذكورين في بلاد العجم،وخدم هنالك جماعة من ملوكها ورؤسائها . وكانت له اعمال مشهورة مشكورة في صناعة الطب، وكان من البيوتات الاجلاء باصفهان . وكان أبوه عبد الرحمن بن مندويه فاضلاً في علم الأدب ، وافر الدين ، وله اشعار

(١) مقاطعة في الباكستان الغربية عاصمتها كراتشي .

حسنة من ذلك قال :

ويحرز أموالاً رجال اشحة ... وتشغل عما خلفهن وتذهل
لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى ... بشيء ولا الانسان الا معلل
(الطويل)

وقال أيضاً :

ويمسي المرء ذا أجل قريب ... وفي الدنيا له أمل طويل
ويعجل بالرحيل وليس يدري ... الى ماذا يقر به الرحيل
(الوافر)

ولابي علي بن مندويه الاصفهاني من الكتب رسائل عدة ، من ذلك أربعون رسالة مشهورة الى جماعة من أصحابه في الطب ، وهي رسالة الى احمد بن سعد في تدبير الجسد ، رسالة الى عباد بن عباس في تدبير الجسد . رسالة الى ابي الفضل العارض في تدبير الجسد . رسالة الى ابي القاسم احمد ابن علي بن بحر في تدبير المسافر . رسالة الى حمزة بن الحسن في تركيب طبقات العين. رسالة الى ابي الحسن الوارد في علاج انتشار العين . رسالة الى عباد بن عباس في وصف انهضام الطعام ، رسالة الى احمد بن سعد في وصف المعدة والقصد لعلاجها . رسالة الى مستفسر في تدبير جسده وعلاج دائه. رسالة الى ابي جعفر احمد بن محمد بن الحسن في القولنج . رسالة اخرى اليه في تدبير اصحاب القولنج ، وتدبير اصحاب القولنج في أيام صحته فيتدافع عنه بعون الله تعالى . رسالة الى ابي محمد بن ابي جعفر في تدبير ضعف الكلى لمن يستبشع الحقنة . رسالة الى أبي الفضل في علاج المثانة . رسالة الى الاستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير. رسالة في أسباب الباه . رسالة في الابانة عن السبب الذي يولد في الاذن القرقرة عند اتقاد النار في خشب التين. رسالة الى الوثاي في علاج وجع الركبة . رسالة الى ابي الحسن بن دليل في علاج الحكة العارضة للمشيخة . رسالة في فعل الاشربة في الجسد . رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره رسالة الى حمزة بن الحسن في ان الماء لا يغذو . رسالة في نعت النبيذ ووصف أفعاله ومنافعه ومضاره . رسالة الى ابنه في علاج بثور خرجت بجسده بماء الجبن وهو صغير . رسالة في منافع الفقاع ومضاره . رسالة الى ابي الحسين احمد بن سعيد في الخنديقون والبقاع وجوابه اليه . رسالة الى بعض اخوانه في التمر الهندي رسالة الى بعض اخوانه في الكافور. رسالة الى حمزة بن الحسن في النفس والروح على رأي اليونانيين . رسالة اخرى الى حمزة بن الحسن في الاعتذار عن اعتلال الاطباء ، رسالة في الرد على كتاب نقض الطب المنسوب الى الجاحظ . رسالة الى حمزة بن الحسن في الرد على من انكر حاجة الطبيب الى علم اللغة . رسالة الى المتقلدين علاج المرضى ببيمارستان أصفهان . رسالة الى ابي الحسن بن سُعيد في البحث عما ورد من ابي حكيم اسحق بن يوحنا الطبيب الاهوازي في شأن علته . رسالة الى يوسف بن يزداد المتطبب في انكاره دخول لعاب بزر الكتان في أدوية الحقنة . رسالة أبي محمد عبدالله بن اسحق الطبيب ينكر عليه ضروباً من العلاج . رسالة اخرى الى ابي محمد المتطبب في علة الامير المتوفي شيرزيل بن ركن الدولة . رسالة اخرى الى ابي محمد المديني في شأن التكميد بالجاورس . رسالة اخرى لابي مسلم محمد بن بحر عن

لسان ابي محمدالطبيب المديني،رسالة في علةالاهزل احمدابن اسحق البرجي،وذكرالغاط الجاري من يوسف ابن اصطفن المتطبب . رسالة في أوجاع الاطفال ، كناش . كتاب المدخل الى الطب . كتاب الجامع المختصر من علم الطب وهوعشر مقالات. كتاب المغاث في الطب. كتاب في الشراب . كتاب الاطعمة والاشربة. كتاب نهاية الاختصار في الطب. كتاب الكافي في الطب ويعرف ايضاً بكتاب القانون الصغير.

ابن أبي صادق

هو ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن احمد بن أبي صادق النيسابوري، طبيب فاضل بارع في العلوم الحكمية، كثير الدراية للصناعة الطبية ، له حرص بالغ في التطلع على كتب جالينوس، وما أودعه فيه من غوامض صناعة الطب وأسرارها ، شديد الفحص عن اصولها وفروعها ، وكان فصيحاً بليغ الكلام . وما فسره من كتب جالينوس فهو في نهاية الجودة والاتقان، كما وجدنا تفسيره كتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، فانه اجهد نفسه فيه ، وأجاد في تلخيص معانيه ، وهو ايضاً يقول في أوله . وأما نحن فقد حررنا معاني هذا الكتاب شرحاً للعويص،وحذفاً للزائد ، ونظماً للمتشتت ، وإضافة اليه مما وجدته من الزيادات في مصنفات جالينوس ومصنفات غيره من المحصلين في هذا الباب، ورتبنا كل مقالة تعليماً تعليماً ، والحقنا باواخر كل منها ما يتبين به من تشريح عضو عضو يتضمن منافعه تلك المقالة ، ليسهل على من اراد تشريح اي عضو كان او منافع اي جزء من اجزائه وجدانه. وكان فراغه من هذا الكتاب في سنة تسع وخمسين واربعمائة .

وحدثني بعض الاطباء ان ابن ابي صادق كان قد اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وقرأ عليه وكان من جملة تلامذته والآخذين عنه . وهذا لا استبعده بل هو اقرب الى الصحة ، فان ابن ابي صادق لحق زمان ابن سينا وكان في بلاد العجم ، وسمعة ابن سينا كانت عظيمة ، وكذلك غزارة علمه وكثرة تلامذته وكان اكبر من ابن ابي صادق قدراً وسناً .

ولابن ابي صادق من الكتب : شرح كتاب المسائل في الطب لحنين بن اسحق . اختصار شرحه الكبير لكتاب المسائل لحنين . شرح كتاب الفصول لابقراط ، ووجد خطه على هذا الشرح بتاريخ سنة ستين واربعمائة على قراءة من قرأه عليه . شرح كتاب تقدمة المعرفة لابقراط . شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، ووجدت الأصل من هذا الكتاب تاريخ الفراغ منه في سنة تسع وخمسين واربعمائة ، موقعاً عليه بخط ابن ابي صادق ما هذا مثاله : بلغت المقابلة وصح ان شاء الله تعالى وبه الثقة . وكتب ابو القاسم بخطه حل شكوك الرازي على كتب جالينوس . كتاب التاريخ .

طاهر بن ابراهيم السجري

هو الشيخ ابو الحسين طاهر بن ابراهيم بن محمد بن طاهر السجري . كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب ، متميزاً فيها خبيراً باعمالها .

وله من الكتب : كتاب ايضاح منهاج محجة العلاج ، ألفه للقاضي ابي الفضل محمد بن حمويه .

كتاب في شرح البول والنبض . تقسيم كتاب الفصول لابقراط .

ابن خطيب الري

هو الامـــام فخر الدين ابو عبدالله محمد بن العمر بن الحسين الرازي افضل المتأخرين وسيد الحكماء المحدثين ، قد شاعت سيادته ، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته ، وكان اذا ركب يمشي حوله ثلثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم وكان خوارزمشاه يأتي اليه . وكان ابن الخطيب شديد الحرص جداً في سائر العلوم الشرعية والحكمية ، جيد الفطرة ، حاد الذهن ، حسن العبارة ، كثير البراعة ، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها ، عارفاً بالأدب ، وله شعر بالفارسي والعربي . وكان عبل [1] البدن ، ربع القامة ، كبير اللحية . وكان في صوته فخامة ، وكان يخطب ببلده الري وفي غيرها من البلاد، ويتكلم على المنبر بانواع من الحكمة ، وكان الناس يقصدونه من البلاد ، ويهاجرون اليه من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم ، وتفننهم فيما يشتغلون به . فكان كل منهم يجد عنده النهـــاية القصوى فيما يرومه منه . وكان الامام فخر الدين قد قرأ الحكمة على مجد الدولة الجيلي بمراغة[2] ، وكان مجد الدين هذا من الافاضل العظماء في زمانه ، وله تصانيف جليلة . وحكى لنا القاضي شمس الدين الخوئي عن الشيخ فخر الدين انه قال : والله انني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الاكل ، فان الوقت والزمان عزيز . وحدثني محيي الدين قاضي مرند [3] قال : لمـــا كان الشيخ فخر الدين بمرند ، أقام بالمدرسة التي كان ابي مدرسها، وكان يشتغل عنه بالفقه. ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية ، وتميز حتى لم يوجد في زمانه آخر يضاهيه، واجتمعت به ايضاً بهمدان وهراة، واشتغلت عليه قال: وكان لمجلسه جلالة عظيمة، وكان يتعاظم حتى على الملوك، وكان اذا جلس للتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار ، مثل زين الدين الكشي والقطب المصري وشهاب الدين النيسابوري ، ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق على قدر مراتبهم ، فكان من يتكلم في شيء من العلوم يباحثونه أولئك التلاميـــذ الكبار ، فان جرى بحث مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه ، وتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف .

وحدثني شمس الدين محمد الوتار الموصلي قال : كنت ببلد هراة في سنة (*) وستمائة وقد قصدها الشيخ فخر الدين بن الخطيب من بلد باميان ، وهو في أبهة عظيمة وحشم كثير . فلما ورد اليها تلقاه السلطان بها ، وهو حسين بن خرمين ، وأكرمه اكراماً كثيراً ، ونصب له بعد ذلك منبراً وسجادة في صدر الديوان من الجامع بها ليجلس في ذلك الموضع ، ويكون له يوم مشهور يراه فيه سائر الناس ويسمعون كلامه . وكنت في ذلك اليوم حاضراً مع جملة الناس ، والشيخ فخر الدين في صدر الايوان، وعن جانبيه يمنة ويسرة صفان من مماليكه الترك متكئين على السيوف وجاء فيه السلطان حسين بن

---

(١) غليظ ابيض .

(٢) عاصمة اذربيجان الايرانية قديماً .

(٣) مدينة في اذربيجان قالت الاساطير الارمنية ان فيها قبر فرند زوجة نوح .

(*) بياض بالاصل .

خرمين صاحب هراة [١] فسلم ، وأمره الشيخ بالجلوس قريباً منه. وجاء اليه أيضاً السلطان محمودابن أخت شهاب الدين الغوري صاحب فيروز كوه [٢] ، فسلم وأشار اليه الشيخ بالجلوس في موضع آخر قريباً منه من الناحية الاخرى . وتكلم الشيخ في النفس بكلام عظيم وفصاحة بليغة . قال وبينا نحن في ذلك الوقت واذا بحمامة في دائر الجامع ووراءها صقر يكاد ان يقتنصها وهي تطير في جوانبه الى أن أعيت ، فدخلت الايوان الذي فيه الشيخ ، ومرت طائرة بين الصفين الى ان رمت بنفسها عنده وبحث ، فذكر لي شرف الدين بن عنين انه عمل شعراً على البديه ، ثم نهض لوقته واستأذنه في أن يورد شيئاً قد قاله في المعنى فامره الشيخ بذلك فقال :

جاءت سليمان الزمان بشجوها والموت يلمع من جناحي خاطف
من نبأ الورقاء [٣] أن محلكم حرز [٤] وانك ملجأ للخائف

(الكامل)

فطرب لها الشيخ فخر الدين واستدناه وأجلسه قريباً منه ، وبعث اليه ، بعد ما قام من مجلسه ، خلعة كاملة ودنانير كثيرة ، وبقي دائماً محسناً اليه . قال : لي شمس الدين الوتار لم ينشد قدامي لابن خطيب الري سوى هذين البيتين ، وانما بعد ذلك زاد فيها ابياتاً أخر . هـذا قوله ، وقد وجدت الابيات المزادة في ديوانه على هذا المثال .

يا ابن الكرام المطعمين اذا استوى في كل مخمصة [٥] وثلج خاشف [٦]
العاصمين اذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج [٧] الراعف [٨]
من نبأ الورقاء أن محلكم حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت اليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستأنف
أولو انها تحبى بمال لانثنت من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشجوها والموت يلمع من جناحي خائف
قرم لواه القوت حتى ظله بأزائه يجري بقلب راجف

(الكامل)

---

(١) مدينة في افغانستان ينسبون بناءها الى الاسكندر
(٢) حصن في الجبال في غور افغانستان صار قاعدة لمملكة غور ثم خربه التتر .
(٣) الحمامة او التي يضرب لونها الى الخضرة .
(٤) الموضع الحصين .
(٥) المجاعة .
(٦) جامد .
(٧) شجر الرماح او الرماح نفسها .
(٨) السائل منها الدم .

اقول ومما حكاه شرف الدين بن عنين انه حصل من جهة فخر الدين بن خطيب الري ويجاهه في بلاد العجم نحو ثلاثين ألف دينار ، ومن شعره فيه قوله وسيرها اليه من نيسابور الى هراة .

ريح الشمال عساك ان تتحملي ... خدمي الى الصدر الامام الافضل
وقفي بواديه المقدس وانظري ... نور الهدى متألقاً لا يأتلي
من دوحة فخريـــة عمرية ... طابت مغارس مجدها المتأثل
مكية الانساب زاك اصلها ... وفروعها فوق السماك الاعزل [1]
واستمطري جدوى[2] يديه فطالما ... خلف الحيا [3] في كل عام ممحل
نعم سحائبها تعود كما بدت ... لا يعرف الوسمي[4] منها والولي [5]
بحر تصدر للعلوم ومن رأى ... بحراً تصدر قبله في محفل
ومشمر في الله يسحب للتقى ... والدين سربال [6] العفافـه المسبل
ماتت به بدع تمـادى عمرها ... دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي
فعلا بـه الإسلام أرفع هضبة ... ورسا سواه في الحضيض الاسفل
غلط أمرؤ بابي علي قـــاسه ... هيهات قصر عن هداه ابو علي
لو أن رسطاليس يسمع لفظه ... من لفظه لعرته هزة أفكل [7]
ويحار بطليموس لو لاقاه من ... برهانه في كل شكل مشكل
فلو انهم جمعوا لديـــه تيقنوا ... ان الفضيلة لم تكن للاول
وبه يبيت الحـلم معتصما اذا ... هزت رياح الطيش ركني يذبل[8]
يعفو عن الذنب العظيم تكرماً ... ويجود مسؤولا وان لم يسأل
أرضى الاله بفضله ودفاعـــه ... عن دينه وأقر عـــين المرسل
يا ايهـــا المولى الذي درجاته ... ترنو الى فلك الثوابت من عل
مـــا منصب إلا وقدرك فوقه ... فبمجدك السامي يهني مـــا تلي
فمتى اراد الله رفعـــة منصب ... افضى اليك فنال أشرف منزل
لا زال ربعك للوفـــود محطة ... أبداً وجودك كهف كل مؤمل

(الكامل)

(١) كوكب منير سمي بالاعزل لأنه ليس أمامه شيء .
(٢) عطية .
(٣) المطر .
(٤) اول مطر الربيع .
(٥) المطر يسقط بعد المطر .
(٦) القميص او كل ما يلبس .
(٧) المرتعد من خوف أو برد .
(٨) اسم جبل .

«ن. ر»

ويحدثني نجم الدين يوسف بن شرف الدين علي بن محمد الاسفزاري ، قال : كان الشيخ الامام ضياء الدين عمر والد الامام فخر الدين من الري وتفقه واشتغل بعلم الخلاف [1] والاصول حتى تميز تميزاً كثيراً وصار قليل المثل ، وكان يدرس بالري ويخطب في أوقات معلومة هنالك ، ويجتمع عنده خلق كثير لحسن ما يورده وبلاغته ، حتى اشتهر بذلك بين الخاص والعام في تلك النواحي . وله تصانيف عدة توجد في الاصول وفي الوعظ وغير ذلك ، وخلف ولدين أحدهما الامام فخر الدين والاخر وهو الاكبر سناً كان يلقب بالركن ، وكان هذا الركن قد شدا شيئاً من الخلاف والفقه والاصول ، إلا انه كان أهوج كثير الاختلال ، فكان أبداً لا يزال يسير خلف أخيه فخر الدين ، ويتوجه اليه في أي بلد قصده ، ويشنع عليه ، ويسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في اقواله ، ويقول: ألست اكبر منه واعلم منه واكثر معرفة بالخلاف والاصول ؟ فما للناس يقولون فخر الدين، فخر الدين، ولا أسمعهم يقولون ركن الدين ؟. وكان ربما صنف بزعمه شيئاً ويقول هذا خير من كلام فخر الدين ويثلبه [2] ، والجماعة يعجبون منه ، وكثير منهم يصفونه ويهزأون به . وكان الامام فخر الدين كلما بلغه شيء من ذلك صعب عليه ولم يؤثر أن أخاه بتلك الحالة ولا احد يسمع قوله . وكان دائم الاحسان اليه ، وربما سأله المقام في الري أو في غيره وهو يفتقده ويصله بكل ما يقدر عليه . فكان كلما سأله ذلك يزيد في فعله ولا ينتقل عن حاله . ولم يزل كذلك لا ينقطع عنه ، ولا يسكت عما هو فيه ، الى ان اجتمع فخر الدين بالسلطان خوارزمشاه ، وأنهى اليه حال أخيه وما يقاسي منه ، والتمس منه ان يتركه في بعض المواضع ويوصى عليه انه لا يمكن من الخروج والانتقال عن ذلك الموضع ، وان يكون له ما يقوم بكفايته وكل ما يحتاج اليه . فجعله السلطان في بعض القلاع التي له، واطلق له اقطاعاً يقوم له في كل سنة بما مبلغه الف دينار ، ولم يزل مقيما هنالك حتى قضى الله فيه أمره .

قال : وكان الامام فخر الدين علامة وقته في كل العلوم ، وكان الخلق يأتون اليه من كل ناحية ، ويخطب أيضاً بالري . وكان له مجلس عظيم للتدريس . فاذا تكلم بذ القائلين . وكان عبل البدن باعتدال ، عظيم الصدر والرأس ، كث اللحية . ومات وهو في سن الكهولة ، أشمط شعر اللحية . وكان كثيراً ما يذكر الموت ويؤثره ، ويسأل الله الرحمة ، ويقول : انني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية ، وما يبيت أؤثر الا لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم .

قال . وخلف فخر الدين ابنين الاكبر منهما يلقب بضياء الدين ، وله اشتغال ونظر في العلوم ، والاخر وهو الصغير لقبه شمس الدين وله فطرة فائقة وذكاء خارق ، وكان كثيراً ما يصفه الامام فخر الدين بالذكاء و ويقول إن عاش ابني هذا فانه يكون أعلم منيَ ، وكانت النجابة تتبين فيه من الصغر . ولما توفي الامام فخر الدين بقيت اولاده مقيمين في هراة ولقب ولده الصغير بعد

«١» العلم الذي يستدل فيه بامتناع احد النقيضين على تحقيق الآخر

«٢» يعيبه ويسبه

ذلك فخر الدين بلقب ابيه ، وكان الوزير علاء الملك العلوي متقلداً الوزارة للسلطان خوارزمشاه ، وكان علاء الملك فاضلاً متقناً العلوم والادب،والشعر بالعربية والفارسية . وكان قد تزوج بابنة الشيخ فخر الدين ، ولما جرى ان جنكز خان[1] ملك التتر قهر خوارزمشاه وكسره، وقتل اكثر عسكره، وفقد خوارزمشاه ، توجه علاء الملك قاصداً الى جنكز خان ومعتصما به فلما وصل اليه اكرمه وجعله عنده من جملة خواصه . وعندما استولى التتر على بلاد العجم وخربوا قلاعها ومدنها وكانوا يقتلون في كل مدينة جميع من بها ولم يبقوا على أحد ، تقدم علاء الملك الى جنكز خان ، وقد توجهت فرقة من عساكره الى مدينة هراة ليخربوها ويقتلوا من بها ، فسأله ان يعطيه اماناً لاولاد الشيخ فخر الدين بن خطيب الري وان يجيئوا بهم مكرمين اليه ، فوهب لهم ذلك واعطاهم اماناً . ولما ذهب اصحابه الى هراة وشارفوا أخذها نادوا فيها بأن لاولاد فخر الدين بن الخطيب الامان فليعزلوا ناحية في مكان . ويكون هذا الامان معهم .

وكان في هراة دار الشيخ فخر الدين هي دار السلطنة ، كان خوارزمشاه قد اعطاها له وهي من اعظم دار تكون واكبرها وابهاها واكثرها زخرفة واحتفالا ، فلما بلغ اولاد فخر الدين ذلك أقاموا بها مأمونين ، والتحق بهم خلق كثير من أهاليهم واقربائهم واعيان الدولة وكبراء البلد ، وجماعة كثيرين من الفقهاء وغيرهم ظنا ان يكونوا في أمان لاتصالهم باولاد فخر الدين ، ولكونهم خصيصين بهم وفي دارهم ، وكانوا خلقاً عظيماً . فلما دخل التتر الى البلد وقتلوا من وجدوه بها وانتهوا الى الدار نادوا باولاد فخر الدين ان يروهم ، فلما شاهدوهم أخذوهم عندهم وهم ضياء الدين وشمس الدين واختهم . ثم شرعوا بسائر من كان في الدار فقتلوهم عن آخرهم بالسيف . وتوجهوا باولاد الشيخ فخر الدين من هراة الى سمرقند[2] لان ملك التتر جنكز خان كان في ذلك الوقت بها وعنده علاء الملك قال: واست اعلم ما تم لهم بعد ذلك .

أقول : وكان اكثر مقام الشيخ فخر الدين بالري ، وتوجه أيضاً الى بلدة خوارزم ومرض بها وتوفي في عقابيله ببلدة هراة ، وأملى في شدة مرضه وصية على تلميذه ابراهيم بن أبي بكر بن علي الاصفهاني ، وذلك في يوم الاحد الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ست وستمائة . وامتد مرضه الى ان توفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة ، وانتقل الى جوار ربه رحمه الله تعالى .

وهذه نسخة الوصية :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي وهو في آخر

« ١ » ولد في اقليم دولون بلدق « ١١٥٥ - ١٢٢٧ » وهو ملشيء امبراطورية المغول العالمية وسلطان التتر . من اكبر جلادي العالم .

« ٢ » هي اليوم مدينة في الجمهورية الازبكية السوفياتية . وقد خربها قديماً جنكزخان . واستولى عليها تيمورلنك وجعل فيها كرسي ملكه وفيها قبره . « ن . ر »

عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة ، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ، ويتوجه الى مولاه كل ابق:
اني أحمد تعالى بالمحامد التي ذكرها اعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم ، ونطق بها أعظم انبيائه في أكمل أوقات مشاهدتهم ؛ بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والامكان . فأحمده بالمحامد التي تستحقها الوهيته ، ويستوجبها لكمال الموهبة ، عرفتها أو لم اعرفها لانه لا مناسبة للتراب مع جلال رب الارباب ؛ واصلي على الملائكة المقربين ، والانبياء المرسلين ، وجميع عباد الله الصالحين .
ثم اقول بعد ذلك : اعلموا اخواني في الدين ، وأخداني في طلب اليقين . ان الناس يقولون الانسان اذا مات انقطع تعلقه عن الخلق ، وهذا العام مخصوص من وجهين : الاول انه ان بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء ، والدعاء له أثر عند الله.والثاني ما يتعلق بمصالح الاطفال والاولاد والعورات، وأداء المظالم والجنايات . اما الاول فاعلموا اني كنت رجلاً محباً للعلم فكنت اكتب في كل شي شيئاً لا اقف على كمية وكيفية سواء كان حقاً أو باطلاً أو غثاً او سميناً . إلا ان الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي ، ان هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والاعراض ، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة . ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ، لانه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن التعمق في ايراد المعارضات والمناقضات . وما ذاك الا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة ، والمناهج الخفية فلهذا اقول :

كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والازلية ، والتدبير والفعالية ، فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى به . واما ما انتهى الامر فيه الى الدقة والغموض ، فكل ما ورد في القرآن والاخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد، فهو كما هو . والذي لم يكن كذلك اقول : يا اله العالمين اني ارى الخلق مطبقين على انك اكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، فلك ما مر به قلمي أو خطر ببالي فاستشهد علمك . وأقول : ان علمت مني اني اردت به تحقيق باطل او ابطال حق فافعل بي ما أنا أهله ؛ وان علمت مني اني ما سعيت الا في تقرير ما اعتقدت انه هو الحق، وتصورت انه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل ، وأنت اكرم من ان تضايق الضعيف الواقع في الزلة . فأغثني ، وارحمني ، واستر زلتي ، وامح حوبتي ، يا من لايزيد ملكه عرفان العارفين ، ولا ينتقص بخطأ المجرمين . وأقول : ديني متابعة محمد سيد المرسلين وكتابي هو القرآن العظيم ، وتعويلي في طلب الدين عليها . اللهم يا سامع الاصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات ، ويا راحم العبرات ، ويا قيام المحدثات والممكنات . انا كنت حسن الظن بك ، عظيم الرجاء في رحمتك ، وأنت قلت . أنا عند ظن العبد بي . وأنت قلت : أمن يجيب المضطر اذا دعاه . وأنت قلت : واذا سألك عبادي عني فاني قريب . فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم ، وأنا المحتاج اللئيم . وأعلم انه ليس لي احد سواك ، ولا اجد محسناً سواك ، وأنا معترف بالزلة والقصور ، والعيب والفتور ، فلا تخيب رجائي ، ولا ترد دعائي ، واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت ، وسهل علي سكرات

الموت ، وخفف عني نزول الموت ، ولا تضيق علي بسبب الآلام والأسقام ، فأنت ارحم الراحمين .

وأما الكتب العلمية التي صنفتها او استكثرت من ايراد السؤالات على المتقدمين فيها ، فمن نظر في شيء منها فان طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه ، على سبيل التفضل والانعام ، والا فليحذف القول السيىء فاني ما أردت الا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر ، واعتمادي فيه على الله تعالى.

وأما المهم الثاني وهو اصلاح أمر الاطفال والعورات فاعتمادي فيه على الله تعالى ، ثم على نائب الله محمد . اللهم اجعله قرين محمد الاكبر في الدين والعلو ، إلا ان السلطان الاعظم لا يمكنه ان يشتغل باصلاح مهمات الاطفال ، فرأيت الأولى ان افوض وصاية اولادي الى فلان ، وأمرته بتقوى الله تعالى، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وسرد الوصية الى آخرها ، ثم قال :

وأوصيه ثم أوصيه ثم اوصيه بان يبالغ في تربية ولدي ابي بكر . فان آثار الذكاء والفطنة ظاهرة عليه ، ولعل الله تعالى يوصله الى خير . وأمرته وأمرت كل تلامذتي وكل من عليه حق اني اذا مت يبالغون في اخفاء موتي ولا يخبرون احداً به ويكفنوني ويدفنوني على شرط الشرع ، ويحملونني الى الجبل المصاقب لقرية مزداخان ، ويدفنوني هناك ، واذا وضعوني في اللحد قرأوا علي ما قدروا عليه من آيات القرآن ، ثم ينثرون التراب علي . وبعد الاتمام يقولون : يا كريم جاءك الفقير المحتاج فاحسن اليه . وهذا منتهى وصيتي في هذا البــــاب ، والله تعالى الفعال لما يشاء ، وهو على ما يشاء قدير ، وبالاحسان جدير .

ومن شعر فخر الدين بن الخطيب أنشدني بديع الدين البندهي ممـــا سمعه من الشيخ فخر الدين بن خطيب الري لنفسه فمن ذلك قال :

نهاية اقدام العقول عقــال ... وأكثر سعي العــالمين ضلال
وأرواحنا في عقلة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

(الطويل)

وأنشدني ايضاً قال ، انشدني المذكور لنفسه :

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة [1] ... لما سبقت في المكرمات رجالها
ولو كانت الدنيا مناسبة لهـــا ... لما استحقرت نقصانهـا وكمالها
ولا ارمق الدنيا بعين كرامة ... ولا أتوقى سوءها واختلالهـا

«١» ما يكفي من العيش ولا يفضل .

وذلك لاني عارف بفنائها ومستيقن ترحالها وانحلالها
أروم أموراً يصغر الدهر عندها وتستعظم الافلاك طراً وصالها

(الطويل)

وأنشدني ايضاً قال ؛ انشدني المذكور لنفسه :

أرواحنا ليس تدري أين مذهبها وفي التراب توارى هذه الجثث
كون يرى وفساد جاء يتبعه الله أعلم ما في خلقه عبث

(الطويل)

نظر الى قوله عز وجل : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » .

وأنشدني بعض الفقهاء للشيخ فخر الدين بن الخطيب في مخدومه علاء الدين علي خوارزم شاه حين كسر الغوري قال :

الدين ممدود الرواق موطد والكفر محلول النطاق مبدد
بعد علاء الدين والملك الذي أدنى خصائصه العُلى والسودد
شمس يشق جبينه حجب السما والليل قاري [1] الدجنّة أسود
هو في الجحافل ان اثير غبارها أسد ولكن في المحافل سيد
فاذا تصدر للسماح فانه في ضمن راحته الخضم [2] المزبد
واذا تمنطق للكفاح رأيته في طي لأمته [3] الهزبر [4] الملبد
بالجهد أدرك ما أراد من العلى لا يدرك العلياء من لا يجهد
أبقت مساعي أتسز بن محمد سنناً تخيرها النبي محمد
أأعد انعاما علي عزيزة والكثر لا يحصى فلست اعدد
أجرى سوابقه على عاداتها خيل جياد وهو منها اجود
ملك البلاد لجده ويجهده فأطاعه الثقلان فهو مسود
من نسل سابور [5] ودارى [6] نجره [7] صيد [8] الملوك وذاك عندي أصيد
خوارزم شاه جهان عشت فلا يرى لك في الزمان على الجياد مفند
أفنيت أعداء الاله يسفل* الماضي شباه على العداة مهند

(١) نسبة الى القار وهو مادة سوداء تطلى بها السفن قيل انها الزفت .
(٢) البحر العظيم .
(٣) الدرع (٤) الأسد (ن.ر)
(٥) اسم عدة ملوك من بني ساسان ويقصد بها هنا من طيب المحتد .
(٦) اي داريوس وهم اسم ثلاثة ملوك من ملوك فارس من سلالة الاخمنيين .
(٧) الاصل والحسب .
(٨) واحدها أصيد وهو الشامخ برأسه كبراً وزهواً لا يلتفت تعاظماً .
* هكذا في جميع النسخ واعتقد انها يجب ان تكون بسيفك .

أمروزتو ملك الزمان بأمره	لا شيء مثل علاك أنت الأوحد
أشبهت ضحاك البلاد بسطوة	ترجى وتخشى جرخ تو وتسعد

(الكامل)

اقول وللشيخ فخر الدين ايضاً اشعاراً كثيرة بالفارسي ودوبيت .

ولفخر الدين بن الخطيب من الكتب : كتاب التيسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، اثنتا عشرة مجلدة بخطه الدقيق سوى الفاتحة ، فانه افرد لها كتاب تفسير الفاتحة مجلدة . تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي مجلد . شرح وجيز الغزالي ، لم يتم حصل منه العبادات والنكاح في ثلاث مجلدات . كتاب الطريقة العلائية في الخلاف اربع مجلدات . كتاب لوامع البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات . كتاب المحصول في علم اصول الفقه . كتاب في ابطال القياس . شرح كتاب المفصل للزمخشري في النحو لم يتم . شرح سقط الزند ، لم يتم . شرح نهج البلاغة ، لم يتم . كتاب فضائل الصحابة . كتاب مناقب الشافعي . كتاب نهاية العقول في دراية الأصول ، مجلدان . كتاب المحصل ، مجلد . كتاب المطالب العالية ، ثلاث مجلدات ، لم يتم ، وهو آخر ما ألف . كتاب الاربعين في اصول الدين . كتاب المعالم ، وهو آخر مصنفاته من الصغار . كتاب تأسيس التقديس ، مجلد ، ألفه للسلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب ، فبعث له عنه ألف دينار . كتاب القضاء والقدر . رسالة الحدوث . كتاب تعجيز الفلاسفة ، بالفارسية . كتاب البراهين البهائية ، بالفارسية . كتاب اللطائف الغياثية . كتاب شفاء العيى والخلاف. كتاب الخلق والبعث . كتاب الخمسين في اصول الدين. كتاب عمدة الانظار وزينة الافكار . كتاب الأخلاق . كتاب الرسالة الصاحبية . كتاب الرسالة المحمدية . كتاب عصمة الانبياء . كتاب الملخص . كتاب المباحث المشرقية . كتاب الانارات في شرح الاشارات . كتاب لباب الاشارات . شرح كتاب عيون الحكمة . الرسالة الكمالية في الحقائق الالهية ، ألفها بالفارسية لكمال الدين محمد بن ميكائيل ، ووجدت شيخنا الامام العالم تاج الدين محمد الارموي قد نقلها الى العربي في سنة خمس وعشرين وستمائة بدمشق . رسالة الجوهر الفرد . كتاب الرعاية . كتاب في الرمل . كتاب مصادرات اقليدس . كتاب في الهندسة . كتاب نفثة المصدور . كتاب في ذم الدنيا . كتاب الاختبارات العلائية . كتاب الاختبارات السماوية . كتاب إحكام الأحكام . كتاب الموسوم في السر المكتوم . كتاب الرياض المونقة . رسالة في النفس . رسالة في النبوات . كتاب الملل والنحل . منتخب كتاب دنكاوشا . كتاب مباحث الوجود . كتاب نهاية الايجاز في دراية الاعجاز . كتاب مباحث الجدل . كتاب مباحث الحدود . كتاب الآيات البينات . رسالة في التنبيه على بعض الاسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم . كتاب الجامع الكبير، لم يتم . ويعرف ايضاً بكتاب الطب الكبير . كتاب في النبض ، مجلد . شرح كليات القانون ، لم يتم ، وألفه للحكيم ثقة الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم السرخسي . كتاب التشريح من الرأس الى الحلق، لم يتم . كتاب الاشربة . مسائل في الطب . كتاب الزبدة . كتاب الفراسة .

القطب المصري

هو الامام قطب الدين ابراهيم بن علي بن محمد السلمي ، وكان اصله مغربياً وانمـــا انتقل الى مصر وأقام بها مدة ، ثم سافر بعد ذلك الى بلاد العجم . واشتغل على فخر الدين بن خطيب الري واشتهر هناك ، وكان من اجل تلامذة ابن الخطيب وأميزهم . وصنف كتباً كثيرة في الطب والحكمة ، وشرح الكليات باسرها من كتاب القانون لابن سينا . ووجدته في كتابه هذا يفضل المسيحي وابن الخطيب على الشيخ ابي علي بن سينا ، وهذا نص قوله قال :

والمسيحي اعلم بصناعة الطب من الشيخ ابي علي فان مشايخنا كانوا يرجحونه على جمع عظيم ممن هم افضل من ابي علي في هذا الفن . وقال ايضاً : وعبارة المسيحي اوضح وأبين مما قاله الشيخ وغرضه في كتبه تقييد العبارة من غير فائدة . وقال في تفضيل ابن الخطيب على الشيخ الرئيس : فهذا ممـا تنخل من كلام الامامين العظيمين الامام المتقدم،والامام المتأخر عنه زماناً ، الراجح عليه علماً وعملاً واعتقاداً ومذهباً . وقتل القطب المصري بمدينة نيسابور ، وذلك عندمـــا استولى التتر على بلاد العجم وقتلوا اهلها ، فكان من جملة القتلى بنيسابور .

وللقطب المصري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا .

السموأل

هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، كان فاضلاً في العلوم الرياضية عالماً بصناعة الطب ، وأصله من بلاد المغرب ، وسكن مدة في بغداد ، ثم انتقل الى بلاد العجم ولم يزل بها الى آخر عمره ، وكان ابوه ايضاً يشدو شيئاً من علوم الحكمة ، ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي قال : هذا السموأل شاب بغدادي كان يهودياً ثم اسلم ، ومات شاباً بمراغة وبلغ في العدديات مبلغاً لم يصله احد في زمانه . وكان حاد الذهن جداً ، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى . وأقام بديار بكر وآذربيجان ، وله رسائل في الجبر والمقابلة يرد فيها على ابن الخشاب النحوي . وذلك ان ابن الخشاب كان معاصره ، وكان لابن الخشاب مشاركة في الحساب ، ونظر في الجبر والمقابلة . وقال الصاحب جمال الدين بن القفطي ان السموأل هذا لما اتى الى المشرق ارتحل منه الى آذربيجان ، وخدم بيت البهلوان وامراء دولتهم . وأقام بمدينة المراغة وأولد اولاداً هناك سلكوا طريقته في الطب . وارتحل الى الموصل وديار بكر واسلم فحسن اسلامه ، وصنف كتاباً في اظهار معايب اليهود، وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلهـا ، واحكم ما جمعه في ذلك ، ومات بالمراغة قريباً من سنة سبعين وخمسمائة .

وللسموأل بن يحيى بن عباس المغربي من الكتب : كتــاب المفيد الاوسط في الطب صنفه في سنة

اربع وستين وخمسمائة ببغداد للوزير مؤيد الدين ابي اسمعيل الحسين بن محمد بن الحسن بن علي . رسالة الى ابن خدود في مسائل حسابية جبر ومقابلة . كتاب اعجاز المهندسين ، صنفه لنجم الدين ابي الفتح شاه غازي ملك شاه بن طغرلبك ، وفرغ من تصنيفه في صفر سنة سبعين وخمسمائة . كتاب الرد على اليهود . كتاب القوامي في الحساب الهندي ، ألفه في سنة ثمان وستين وخمسمائة . كتاب المثلث القائم الزاوية ، وقد احسن في تمثيله وتشكيله ، صنفه لرجل من اهل حلب يدعى الشريف. كتاب المنبر في مساحة اجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها . كتاب في المياه .

بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي

مجيد في صناعة الطب ، وله عناية بالنظر في معالجات الامراض ومداواتها .

وله من الكتب : كتاب الاقرباذين ، وهو تسعة واربعون باباً قد استوعب فيه ذكر ما يحتاج اليه من الادوية المركبة ، وجمع اكثر ذلك من الكتب المعتمد عليها كثيراً مثل القانون ، والحاوي والكامل ، والمنصوري ، والذخيرة ، والكفاية ؛ وذكر انه قد اورد مع ذلك ايضاً ذروراً من نسخ الامام العالم قوام الدين صاعد المهني ومن نسخ الامام شرف الزمان المابرسامي .

نجيب الدين ابو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي

طبيب فاضل بارع وله كتب جليلة وتصانيف مشهورة ، وقتل مع جملة الناس الذين قتلوا بمدينة هراة لما دخلها التتر ، وكان معاصراً لفخر الدين الرازي بن الخطيب .

ولنجيب الدين السمرقندي من الكتب : كتاب اغذية المرضى وقسمه على حسب ما يحتاج اليه في التغذية لكل واحد من سائر الامراض . كتاب الاسباب والعلامات ، جمعه لنفسه ونقله من القانون لابي علي بن سينا ، ومن المعالجات البقراطية وكامل الصناعة . كتاب الاقراباذين الكبير . كتاب الاقراباذين الصغير .

الشريف شرف الدين اسمعيل

كان طبيباً عالي القدر ، وافر العلم ، وجيهاً في الدولة . وكان في خدمة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه . وله منه الانعام الوافر والمرتبة المكينة . وكان له مقرر على السلطان في كل شهر ألف دينار ، وكانت له معالجات بديعة وآثار حسنة في صناعة الطب .

وتوفي في ايام خوارزمشاه بمدينة * بعد ان عمر .

وله من الكتب : كتاب الذخيرة الخوارزم شاهية في الطب ، بالفارسي ، اثنا عشر مجلداً . كتاب الاغراض في الطب ، بالفارسي : مجلدان . كتاب يادكار في الطب ، بالفارسي ، مجلد ألفه لخوارزم شاه .

---

* بياض بالأصل .

الباب الثاني عشر

طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند

كنكه الهندي

حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند[1] وأكابرهم ، وله نظر في صناعة الطب وقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات ، وكان من اعلم الناس بهيئة العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم . وقال أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف : ان كنكه هو المقدم في علم النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر .

ولكنكه من الكتب: كتاب النموذار في الاعمار. كتاب اسرار المواليد . كتاب القرانات الكبير. كتاب القرانات الصغير . كتاب الطب وهو يجري مجرى كناش . كتاب في التوهم . كتاب في احداث العالم والدور في القران .

صنجهل

كان من علماء الهند وفضلائهم الخبيرين بعلم الطب والنجوم .

ولصنجهل من الكتب : كتاب المواليد الكبير .

وكان من بعد صنجهل الهندي جماعة في بلاد الهند ولهم تصانيف معروفة في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم مثل باكهر ، راحه ، صكة ، داهر ، انكرزنكل ، جبهر ، اندى ، جارى ، كل هؤلاء اصحاب تصانيف، وهم من حكماء الهند واطبائهم ولهم الاحكام الموضوعة في علم النجوم، والهند تشتغل بمؤلفات هؤلاء فيما بينهم ويقتدون بها ويتناقلونها وقد نقل كثير منها الى اللغة العربية. ووجدت الرازي قد نقل في كتابه الحاوي وفي غيره عن كتب جماعة من الهند مثل كتاب شرك الهندي وهذا الكتاب فسره عبد الله بن علي من الفارسي الى العربي لانه أولاً نقل من الهندي الى الفارسي ؛ وعن

كتاب سسرد ، وفيه علامات الادواء ومعرفة علاجها وادويتها وهو عشر مقالات، أمر يحيى بن خالد بتفسيره ؛ وكتاب بدان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج ؛ وكتاب سندهشان وتفسيره ؛ كتاب صورة النجح ؛ وكتاب فيما اختلف فيه الهند والروم في الحار والبارد وقوى الادوية وتفصيل السنة ؛ وكتاب تفسير اسماء العقار باسماء عشرة ؛ وكتاب اسانكر الجامع ؛ وكتاب علاجات الحبالى للهند ؛ وكتاب مختصر في العقاقير للهند؛ وكتاب نوفشل ، فيه مائة داء ومائة دواء ؛ وكتاب روسي الهندية في علاجات النساء ؛ وكتاب السكر للهند ؛ وكتاب رأي الهندي في أجناس الحيات وسمومها ؛ وكتاب التوهم في الامراض والعلل لابي قبيل الهندي .

شاناق

ومن المشهورين ايضاً من اطباء الهند شاناق . وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وتفنن في العلوم وفي الحكمة ، وكان بارعاً في علم النجوم حسن الكلام متقدماً عند ملوك الهند . ومن كلام شاناق قال في كتابه الذي سماه منتحل الجوهر :

يا ايها الوالي اتق عثرات الزمان، واخش تسلط الامام ولوعة غلبة الدهر . واعلم ان الاعمال جزاء، فاتق عوائق الدهر والايام فان لها غدرات، فكن منها على حذر؛ والاقدار مغيبات فاستعد لها، والزمان منقلب فاحذر دولته، لئيم الكرة فخف سطوته، سريع الغرة فلا تأمن دولته . واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعده من الشفاء في دار لا دواء لها ، ومن أذل حواسه واستبعدها فيما تقدم من خير لنفسه أبان فضله وأظهر نبله ، ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس. فاذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم، فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط .

ولشاناق من الكتب : كتاب السموم ، خمس مقالات، فسره من اللسان الهندي الى اللسان الفارسي منكه الهندي ، وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بابي حاتم البلخي فسره ليحيى بن خالد ابن برمك ؛ ثم نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجرهري مولاه، وكان المتولي قراءته على المأمون. كتاب البيطرة . كتاب في علم النجوم . كتاب المنتحل الجوهر ، وألفه لبعض ملوك زمانه ، وكان يقال لذلك الملك ابن قانص الهندي .

جودر

حكيم فاضل من حكماء الهند وعلمائهم متميز في أيامه ، وله نظر في الطب وتصانيف في العلوم الحكمية .

وله من الكتب : كتاب المواليد ، وهو قد نقل الى العربي .

منكه الهندي

كان عالماً بصناعة الطب حسن المعالجة ، لطيف التدبير فيلسوفاً، من جملة المشار اليهم في علوم الهند متقناً للغة الهند ولغة الفرس ، وهـــو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسي وكان في أيام الرشيد هرون ، وسافر من الهند الى العراق في أيامه ، واجتمع به وداواه.

ووجدت في بعض الكتب ان منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ، وكان ينقل من اللغة الهندية الى الفارسية والعربية . ونقلت من كتاب « أخبار الخلفاء والبرامكة » : ان الرشيد اعتل علة صعبة فعالجه الاطباء فلم يجد من علته افاقة . فقال له أبو عمر الاعجمي بالهند طبيب يقال له منكه ، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم ، فلو بعث اليه أمير المؤمنين فلعل أن يهب له الشفاء على يده . قال فوجه الرشيد من حمله ووصله بصلة تعينه على سفره ، فقـدم وعالج الرشيد فبرأ من علته بعلاجه . فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالا كافية . قال ، فبينا منكه ماراً في الخـلد اذا هو برجل من المائنين قد بسط كساءه وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواءً عنده ، فقال في صفته هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغب[1] وحمى الربع[2] ولوجع الظهر والركبتين والخام والبواسير[3] والرياح ووجع المفاصل ووجع العينين، ولوجع البطن والصداع والشقيقة[4] ولتقطير البول والفالج والارتعاش، ولم يدع علة في البدن إلا ذكر ان ذلك الدواء شفاؤها . فقال منكه لترجمانه : ما يقول هذا ؟فترجم له ما سمع فتبسم منكه وقال : على كل حال ملك العرب جاهل ، وذلك انه ان كان الامر على ما قال هذا ، فلم حملني من بلدي وقطعني عن أهلي وتكلف الغليظ من مؤونتي وهو يجد هذا نصب عينه وبازائه ؟ وان كان الامر ليس كما يقول هذا فلم لايقتله ؟ فان الشريعة قد أباحت دم هذا ومن اشبهه ، لأنه ان قُتل ما هي الا نفسٌ تحيا بفنائها أنفسُ خلقٍ كثير ، وان تُرك وهذا الجهل قتل في كل يوم نفساً . وبالحري أن يقتل اثنين وثلاثة وأربعة في كل يوم ، وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة

صالح بن بهلة الهندي

متميز من علماء الهند ، وكان خبيراً بالمعالجات التي لهم ، وله قوة وانذارات في تقدمة المعرفـة . وكان بالعراق في أيام الرشيد هارون . قال أبو الحسن يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بابن الداية : حدثني أحمد بن رشيد الكاتب ، مولى سلام الابرش ، ان مولاه حدثه ، ان الموائد قدمت بين يدي الرشيد في بعض الايام وجبرائيل بن بختيشوع غائب ، فقـــال لي أحمد قال ابو سلمة ، يعني مولاه .

---

(١) التي تنوب يوماً بعد يوم .
(٢) هي التي تغيب ثلاثة ايام وتأتي في الرابع.
(٣) داء في المقعده مسبب عن تمدد العروق فيها يحدث نزفاً دموياً .
(٤) وجع يصيب نصف الرأس .

فأمرني أمير المؤمنين بطلب جبرائيل ليحضر أكله على عادته في ذلك ، فلم أدع منزلاً من منازل الولد، ومن كان يدخل اليه جبرائيل من الحرم الا طلبته فيه ، ولم أقع له على أثر. فاعلمت اميرالمؤمنين بذلك، فطفق يلعنه ويقذفه، اذ دخل عليه جبرائيل والرشيد على تلك الحال من قذفه ولعنه. فقال له: لو اشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابراهيم بن صالح ، وترك ما فيه من تناولي بالسب كان أشبه . فسأله عن خبر ابراهيم ، فاعلمه أنه خلفه وبه رمق ينقضي بآخرة وقت صلاة العتمة ، فاشتد جزع الرشيد لما اخبره به وأقبل على البكاء . وأمر برفع الموائد فرفعت ، وكثر ذلك منه حتى رحمه مما نزل به جميع من حضر .

فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين : ان طب جبرائيل طب رومي وصالح بن بهلة الهندي في العلم بطريقة أهل الهند في الطب مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم ، فان رأى أمير المؤمنين ان يأمر باحضاره وتوجيهه الى ابراهيم بن صالح لنفهم عنه ما يقول مثل ما فهمنا عن جبرائيل ، فعل . فأمر الرشيد جعفراً باحضاره وتوجيهه والمصير به اليه ، ورده بعد منصرفه من عنـده ، ففعل ذلك جعفر ، ومضى صالح الى ابراهيم حتى عاينه وجس عرقه وصار الى جعفر وسأله عما عنده من العلم ، فقال لست اخبر بالخبر غير أمير المؤمنين ، فاستعمل جعفر مجهوده بصالح ان يخبره بجملة من الخبر فلم يجبه الى ذلك . ودخل جعفر على الرشيد فاخبره بحضور صالح وامتناعه عن اخباره بما عاين ، فامر باحضار صالح ، فدخل ثم قال : يا أمير المؤمنين أنت الامام ، وعاقد ولايـة القضاء للحكام ، ومهما حكمت به لم يجز لحاكم فسخه ، وأنا أشهدك يا أمير المؤمنين وأشهد على نفسي من حضرك ان ابراهيم ابن صالح ان توفي في هذه الليلة أو في هذه العلة ان كل مملوك لصالح بن بهلة احرار لوجه الله ، وكل دابة له فحبيس في سبيل الله ؛ وكل مال له فصدقة على المساكين ، وكل امرأة له فطالق ثلاثاً بتاتاً . فقال له الرشيد : حلفت ويحك يا صالح على غيب . فقال صالح : كلا يا أمير المؤمنين ، انما الغيب ما لا علم لاحد به ، ولا دليل له عليه ، ولم أقل ما قلت الا بعلم واضح ودلائـــل بينة . قال أحمد بن رشيد ، قال لي أبو سلمة : فسري عن الرشيد ما كان يجد وطعم ، واحضر له الشراب فشرب . ولمـا كان وقت صلاة العتمة ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام يخبر بوفاة ابراهيم بن صالح على الرشيد فاسترجع وأقبل على جعفر بن يحيي باللوم في ارشاده اياه الى صالح بن بهلة . وأقبل يلعن الهند وطبهم ويقول واسوءتاه من الله ان يكون ابن عمي يتجرع غصص الموت ، وأنا اشرب النبيذ ! ثم دعا برطل من النبيذ بالماء وألقى فيه شيئاً من ملح ، وأخذ يشرب ويتقيأ حتى قذف ما كان في جوفه من طعام وشراب ، وبكر الى دار ابراهيم فقصد خدمه بالرشيد الى رواق على مجالس لابراهيم على يمين الرواق ويساره فراشان بكراسيها ومتكئاتها ومساندهما ، وفيما بين الفراشين نمارق فاتكأ الرشيد على سيفه ووقف وقال : لا يحسن الجلوس في المصيبة بالاحبة من الاهل على أكثر من البسط ، ارفعوا هـــذه الفرش والنمارق ففعل ذلك الفراشون وجلس الرشيد على البساط ، فصارت سنة لبني العباس من ذلك اليوم ، ولم تكن قبله ، ووقف صالح بن بهلة بين يدي الرشيد فلم يناطقه احد الى أن سطعت روائح المجامر ، فصاح عند ذلك صالح : الله الله يا أمير المؤمنين ان تحكم علي بطلاق زوجتي فتنزعها وتزوجها

غيري وانا رب الفرج المستحق له ، وتنكحها من لا تحل له ، والله الله ان تخرجني من نعمتي ولم يلزمني حنث ، والله الله ان تدفن ابن عمك حياً ، فوالله يا أمير المؤمنين ما مات ، فاطلق لي الدخول عليه والنظر اليه ؛ وهتف بهذا القول مرات ، فاذن له بالدخول على ابراهيم وحده .

قال أحمد ، قال لي ابو سلمة : فاقبلنا نسمع صوت ضرب بدن بكف ، ثم انقطع عنـــا ذلك الصوت ، ثم سمعنا تكبيراً فخرج الينا صالح وهو يكبر ثم قال : قم يا أمير المؤمنين حتى أريك عجباً . فدخل اليـــه الرشيد وأنا ومسرور الكبير ، وأبو سليم معه ، فاخرج صالح ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر ابهام يده اليسرى ولحمه ، فجذب ابراهيم بن صالح يده وردها الى بدنه . فقال صالح يا أمير المؤمنين هل يحس الميت بالوجع ؟ فقال الرشيد : لا ، فقال له صالح : لو شئت ان يكلم أمير المؤمنين الساعة لكلمه . فقال له الرشيد : فأنا أسألك ان تفعـــل ذلك ! فقال : يا أمير المؤمنين أخاف ان عالجته وأفاق وهو في كفن فيه رائحة الحنوط ان ينصدع قلبه فيموت موتاً حقيقياً ، فلا يكون لي في احيائـــه حيلة ، ولكن يا أمير المؤمنين تأمر بتجريـده من الكفن ورده الى المغتسل واعادة الغسل عليه حتى تزول رائحة الحنوط عنه ، ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته وعلته ، ويطيب بمثل ذلك الطيب ويحول الى فراش من فرشه التي كان يجلس وينام عليها ، حتى أعالجه بحضرة امير المؤمنين ، فانه يكلمه من ساعته . قال احمد ، قال ابو سلمة : فوكلني الرشيد بالعمل بمـا حده صالح ، ففعلت ذلك . ثم صار الرشيد وأنا معه ومسرور وأبو سليم وصالح الى الموضع الذي فيه ابراهيم ، ودعا صالح بن بهلة بكندس [1] ومنفخة من الخزانة ونفخ من الكندس في انفه فمكث مقدار ثلث ساعة ، ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس قدام الرشيد ، وقبل يده وسأله عن قصته ، فذكر انه كان نائماً نوماً لا يذكر انه نام مثله قط طيباً إلا انه رأى في منامه كلباً قد أهوى اليه فتوقاه بيده ، فعض ابهـــام يده اليسرى عضة انتبه وهو يحس وجعها ، وأراه ابهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرة. وعاش ابراهيم بعد ذلك دهراً ثم تزوج العباسة بنت المهدي ، وولي مصر وفلسطين وتوفي بمصر وقبره بها .

الباب الثالث عشر

طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

اسحق بن عمران

طبيب مشهور وعالم مذكور ويعرف باسم ساعة . وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان اسحق بن عمران مسلم النحلة ، وكان بغدادي الاصل ، ودخل افريقية في دولة زيادة الله بن الاغلب التميمي[1] وهو استجلبه وأعطاه شروطاً ثلاثة لم يف له باحدها . بعث اليه عند وروده عليه راحلة أقلته وألف دينار لنفقته ، وكتاب امان بخط يده انه متى أحب الانصراف الى وطنه انصرف . وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة . وكان طبيباً حاذقاً متميزاً بتأليف الادوية المركبة بصيراً بتفرقة العلل ، أشبه الاوائل في علمه وجودة قريحته . استوطن القيروان[2] حيناً ، وألف كتباً منها كتابه المعروف بنزهة النفس ، وكتابه في داء المالنخوليا لم يسبق الى مثله ، وكتابه في الفصد ، وكتابه في النبض .

ودارت له مع زيادة الله بن الاغلب محنة اوجبت الوجدة بينهما ، حتى صلبه ابن الاغلب . وكان اسحق قد استأذنه في الانصراف الى بغداد فلم يأذن له ، وكان اسحق يشاهد اكل ابن الاغلب فيقول له : كل هذا ، ودع هذا . حتى ورد على ابن الاغلب حدث يهودي اندلسي فاستقربه وخف عليه ، وأشهده اكله فكان اسحق اذا قال له اترك هذا لا تأكله قال الاسرائيلي يصعبه عليك . وكان بابن الاغلب علة النسمة ، وهي ضيق النفس ، فقدم بين يديه لبناً مريباً فهم بأكله ، فنهاه أسحق ، وسهل عليه الاسرائيلي ، فوافقه بالاكل فعرض له في الليل ضيق النفس

---

(١) من ملوك الاغالبة السليين (٨١٧ – ٨٣٨) قاعدة حكمه القيروان . وهو الذي بنى جامع القيروان الشهير . وغزا مرات عديدة الشواطىء الاوروبية .

(٢) مدينة في تونس مشهورة بمسجدها كانت عاصمة افريقيا وبلغت اوج عزها على ايام الملوك الاغالبة (ن.ر)

حتى اشرف على الهلاك ، فارسل الى اسحق . وقيل له هل عندك من علاج ؟ فقال قد نهيته فلم يقبل مني ، ليس عندي علاج . فقيل لاسحق هذه خمسمائة مثقال وعالجه فأبى حتى بلغ الى ألف مثقال ، فأخذها وأمر باحضار الثلج وأمره بالاكل منه حتى تملأ ، ثم قيأه فخرج جميع اللبن قد تجبن ببرد الثلج . فقال اسحق : ايها الامير لو دخل هذا اللبن الى أنابيب رئتك ولجج [1] فيها اهلكك بضيقة النفس ، لكني اجهدته وأخرجته قبل وصوله . فقال زيادة الله : باع اسحق روحي في البدء اقطعوا رزقه . فلما قطع عنه الرزق خرج الى موضع فسيح من رحاب القيروان، ووضع هنالك كرسياًودواة وقراطيس فكان يكتب الصفات كل يوم بدنانير . فقيل لزيادة الله عرضت لاسحق الغنى ، فأمر بضمه الى السجن ، فتبعه الناس هنالك. ثم أخرجه بالليل الى نفسه وكانت له معه حكايات ومعاتبات احنقته عليه لفرط جوره وسخف رأيه . فأمر بفصده في ذراعيه جميعاً وسال دمه حتى مات ثم أمر به فصلب ومكث مصلوباً زماناً طويلاً حتى عشش في جوفه طائر . وكان مما قال لزيادة الله في تلك الليلة : والله انك لتدعى بسيد العرب ، وما أنت لها بسيد ، ولقد سقيتك منذ دهر دواء ليفعلن في عقلك ، وكان زيادة الله مجنوناً فتمخل ومات .

ولاسحق بن عمران من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب العنصر والتمام في الطب . مقالة في الاستسقاء . مقالة وجيزة كتب بها الى سعيد ابن توفيل المتطبب في الابانة عن الاشياء التي يقال انها تشفي الاسقام ، وفيها يكون البرء ، مما أراد اتحافه به من نوادر الطب ولطائف الحكمة . كتاب نزهة النفس . كتاب في المالنخوليا . كتاب في الفصد . كتاب في النبض . مقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته وهي الرسالة التي كتب بها الى العباس وكيل ابراهيم بن الاغلب . كتاب في البول من كلام ابقراط وجالينوس وغيرهما . كتاب جمع فيه أقاويل جالينوس فيالشراب . مسائل له مجموعة في الشراب على معنى ما ذهب اليه ابقراط وجالينوس في المقالة الثالثة من كتاب تدبير الامراض الحادة وما ذكر فيها من الخمر . كلام له في بياض المعدة ورسوب البول وبياض المنى .

اسحق بن سليمان

الاسرائيلي ، كان طبيباً فاضلا بليغاً عالماً مشهوراً بالحذق والمعرفة ، جيد التصنيف عالي الهمة ، ويكنى أبا يعقوب . وهو الذي شاع ذكره وانتشرت معرفته بالاسرائيلي . وهو من أهل مصر ، وكان يكحل من أولبته . ثم سكن القيروان ولازم اسحق بن عمران وتتلمذ له.وخدم الامام أبا محمد عبيد الله المهدي[2] صاحب افريقية بصناعة الطب . وكان اسحق ابن سليمان مع فضله في صناعة الطب بصيراً بالمنطق ، متصرفاً في ضروب المعارف . وعمر عمراً طويلا الى ان نيف على مائة سنة ،

(١) نشب .

(٢) اول الخلفاء الفاطميين (٩٠٩ - ٩٣٤) هاجر من سلمية حمص الى المغرب واعلن عن نفسه انه المهدي وطرد منها الاغالبة وفتح مصر والشام ومراكش . وغزا مالطة وصقلية وسردينية والباليار . وهو الذي اسس في القيروان عاصمته المهدية.

ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولداً. وقيل له أيسرّك ان لك ولداً؟ قال: اما اذا صار لي كتاب الحميات، فلا . يعني ان بقاء ذكره بكتاب الحميات أكثر من بقاء ذكره بالولد .

ويروى انه قال : لي أربعة كتب تحيي ذكري أكثر من الولد وهي كتاب الحميات ، وكتاب الاغذية والادوية وكتاب البول ، وكتاب الاسطقسات وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلثمائة .

وقال أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار (١) في كتاب « أخبار الدولة » يعني ابتداء دولة الامام أبي محمد عبيد الله المهدي الذي ظهر من المغرب: حدثني اسحق بن سليمان المتطبب قال : لما قدمت من مصر على زيادة الله بن الاغلب وجدته مقيما بالجيوش في الأريس فرحلت اليه ، فلما بلغه قدومي وقد كان بعث في طلبي وأرسل إلي بخمسمائة دينار وتقويت بها على السفر ، فأدخلت اليه ساعة وصولي فسلمت بالامرة، وفعلت ما يجب ان يفعل للملوك من التعبد ، فرأيت مجلسه قليل الوقار والغالب عليه حب اللهو، وكل ما حرك الضحك. فابتدأني بالكلام ابن خنيس المعروف باليوناني فقال لي: تقول ان الملوحة تجلو ؟ قلت : نعم . قال: وتقول ان الحلاوة تجلو ؟ قلت: نعم. قال لي: فالحلاوة هي الملوحة، والملوحة هي الحلاوة فقلت : ان الحلاوة تجلو بلطف وملاءمة ، والملوحة تجلو بعنف . فتمادى على المكابرة وأحب المغالطة . فلما رأيت ذلك قلت له : تقول أنت حي ؟ قال : نعم . قلت : والكلب حي ؟ قال : نعم . قلت : فأنت الكلب والكلب انت . فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً ، فعلمت ان رغبته في الهزل اكثر من رغبته في الجد . قال اسحق : فلما وصل ابو عبد الله (٢) داعي المهدي الى رقادة (٣) ادناني وقرب منزلتي ، وكانت به حصاة في الكلى ، وكنت اعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة . فجلست ذات يوم مع جماعة من كتامة (٤) فسألوني عن صنوف من العلل ، فكلما أجبتهم فلم يفقهوا قولي . فقلت لهم : انما أنتم بقر وليس معكم من الانسانية الا الاسم . فبلغ الخبر الى ابي عبدالله فلما دخلت اليه قال لي : تقابل اخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب ، وبالله الكريم لولا انك عذرك بانك جاهل بحقهم ، وبقدر ما صار اليهم من معرفة الحق وأهل الحق لأضربن عنقك . قال لي اسحق: فرأيت رجلاً شأنه الجد فيما قصد اليه وليس للهزل عنده سوق .

ولاسحق بن سليمان من الكتب : كتاب الحميات ، خمس مقالات ، ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه ، ونقلت من خط ابي الحسن علي بن رضوان عليه ما هذا مثاله اقول : أنا علي بن رضوان الطبيب ان هذا الكتاب نافع وجمع رجل فاضل ، وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه ، وبالله التوفيق والمعونة . كتاب الأدوية المفردة والأغذية . كتاب البول اختصار كتابه في البول . كتاب الاسطقسات . كتاب الحدود والرسوم . كتاب بستان الحكيم وفيه مسائل من العلم الالهي .

---

(١) سيأتي ذكره تاليا . (ن.ر)

(٢) المحتسب او الشيعي ولد في صنعاء وقيل انه كان محتسباً في العراق . سار من مكة مع الحجاج البربر الى بلادهم واعلن فيها ظهور المهدي عبيد الله . وقتل سنة ٩١١ .

(٣) قاعدة الامراء الاغالبة في افريقيا كائنة جنوبي القيروان .

(٤) هي مركز بني كتامة من بلاد البربر (ن.ر)

كتاب المدخل الى المنطق . كتاب المدخل الى صناعة الطب . كتاب في النبض . كتاب في الترياق . كتاب في الحكمة ، وهو احد عشر ميمراً .

ابن الجزار

هو ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد، ويعرف بابن الجزار من اهل القيروان طبيب ابن طبيب وعمه ابو بكر طبيب وكان ممن لقي اسحق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه. وكان ابن الجزار من اهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم ، حسن الفهم لها . وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان احمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهديه وتعدده ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ، ولا أخلد الى لذة . وكان يشهد الجنائز والعرائس ، ولا يأكل فيها ؛ ولا يركب قط الى احد من رجال أفريقية ولا الى سلطانهم إلا إلى أبي طالب عم معد ، وكان له صديقاً قديماً ، فكان يركب اليه يوم جمعة لا غير . وكان ينهض في كل عام الى رابطة على البحر المستنير ، وهو موضع مرابطة مشهور البركة ، مذكور في الاخبار ، على ساحل البحر الرومي ، فيكون هنالك طول أيام القيظ ، ثم ينصرف الى افريقية . وكان قد وضع على باب داره سقيفة اقعد فيها غلاماً له يسمى برشيق ، أعد بين يديه جميع المعجونات والاشربة والادوية ، فاذا رأى القوارير بالغداة أمر بالجواز الى الغلام وأخذ الادوية منه نزاهة بنفسه ان يأخذ من أحد شيئاً . قال ابن جلجل ، حدثني عنه من أثق به قال : كنت عنده في دهليزه وقد غص بالناس اذ أقبل ابن اخي النعمان [1] القاضي وكان حدثاً جليلاً بافريقية يستخلفه القاضي اذا منعه مانع عن الحكم ، فلم يجد في الدهليز موضعاً يجلس فيه إلا مجلس أبي جعفر ، فخرج أبو جعفر فقام له ابن أخي القاضي على قدم فما اقعده ولا انزله ، وأراه قارورة ماء كانت معه لابن عمه ولد النعمان . واستوفى جوابه عليها وهو واقف ثم نهض وركب وما كدح ذلك في نفسه ، وجعل يتكرر اليه بالماء في كل يوم حتى برىء العليل . قال ، قال الذي حدثني : فكنت عنده ضحوة نهار اذ أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ، ومعه منديل بكسوة وثلثمائة مثقال . فقرأ الكتاب وجاوبه شاكراً ، ولم يقبض المال ولا الكسوة ، فقلت له : يا أبا جعفر رزق ساقه الله اليك . قال لي : والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة . وعاش أحمد بن الجزار نيفاً وثمانين سنة ومات عتياً بالقيروان ، ووجد له أربعة وعشرون ألف دينار ، وخمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها . وكان قد هم بالرحلة الى الاندلس [2] ولم ينفذ ذلك . وكان في دولة معد . وقال كشاجم [3] يمدح أبا جعفر أحمد بن الجزار ويصف كتابه المعروف بزاد المسافر .

---

(١) من فقهاء الاسماعيلية ومن اوائل انصار الخلفاء الفاطميين في مصر . تولى القضاء وانصرف الى درس التاريخ والفلسفة والفقه . توفي في مصر العتيقة سنة ٩٧٤ .

(٢) اسم اطلقه العرب على شبه جزيرة إيبيريا بعد ان اخضعوها لحكمهم . «ن.ر»

(٣) ويعرف بالسندي. تعاطى التنجيم له كتاب « ادب النديم »

أبا جعفر أبقيت حيـــاً وميتاً مفاخر في طهر الزمان عظاما
رأيت على زاد المسافر عنـدنا من الناظرين العارفين زحامـــا
فايقنت أن لو كان حياً لوقته يجنـــا لمـا سمى التام تمـــاما
سأحمد افعالاً لاحمــــد لم تزل مواقعها عنــــد الكرام كراما
(الطويل)

ولابن الجزار من الكتب : كتاب في علاج الامراض ، ويعرف بزاد المسافر مجلدان . كتاب في الادوية المفردة ، ويعرف باعتماد ، كتاب في الادوية المركبة ، ويعرف بالبغية ، كتاب العدة لطول المدة ، وهو أكبر كتاب وجدناه له في الطب. وحكى الصاحب جمال الدين القفطي انه رأى له بقفط كتاباً كبيراً في الطب اسمه قوت المقيم ، وكان عشرين مجلداً . كتاب التعريف بصحيح التاريخ ، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه ، وقطعة جميلة من أخبارهم . رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الاوائل فيها ، كتاب في المعدة وامراضها ومداواتها . كتاب طب الفقراء . رسالة في ابدال الادوية . كتاب في الفرق بين العلل التي تشتبه اسبابها وتختلف اعراضها . رسالة في التحذر من اخراج الدم من غير حاجة دعت الى اخراجه رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه . رسالة في النوم واليقظة . مجربات في الطب ، مقالة في الجذام واسبابه وعلاجه . كتاب الخواص . كتاب نصائح الابرار . كتاب المختبرات . كتاب في نعت الاسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفعذلك وعلاج ما يتخوف منه ، رسالة الى بعض اخوانه في الاستهانة بالموت . رسالة في المقعدة وأوجاعها . كتاب المكلل في الادب . كتاب البلغة في حفظ الصحة . مقالة في الحامات . كتاب اخبار الدولة ، يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب . كتاب الفصول في سائر العلوم والبلاغات .

ابن السمينة

ومن أطباء الاندلس يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة [١] . قال القاضي صاعد ابن أحمد بن صاعد ، في كتاب « التعريف في طبقـــات الامم » : انه كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب ، متصرفاً في العلوم ، متفنناً في ضروب المعارف ، بارعاً في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل . وكان معتزلي المذهب . ورحل الى المشرق ، ثم انصرف . وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة .

ابو القاسم مسلمة بن أحمد

المعروف بالمرحيطي من أهل قرطبة ، وكان في زمن الحكم [٢] . وقال القاضي صاعد في كتـــاب

(١) مدينة في الاندلس اصبحت عاصمة الخلفاء الامويين فيها . يوجد فيها قصر الزهراء .
(٢) هو الحكيم الاول ثالث امراء قرطبة . قامت على زمنه الفتن في قرطبة وطليطلة فقمعها بالسيف وضعفت قواه فاستغل ذلك الفولس الثاني واخذ يوسع ارجاء مملكته على حسابه .

« التعريف في طبقات الامم » : انه كان امام الرياضيين بالاندلس في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الافلاك وحركات النجوم ، وكانت له عناية بارصاد الكواكب ، وشغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي . وله كتاب حسن في تمام علم العدد المعروف عندنا بالمعاملات . وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني ، وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمي [1] وصرف تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي ، ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة على انه اتبعه على خطئه فيه . ولم ينبه على مواضع الغلط منه . وقد نبهت على ذلك في كتابي المؤلف في اصلاح حركات الكواكب ، والتعريف بخطا الراصدين .

وتوفي أبو القاسم مسلمة بن أحمد قبل مبعث الفتنة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة . وقد انجب تلاميذ جلة لم ينجب عالم بالاندلس مثلهم . فمن أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراوي والكرماني وابن خلدون .

ولابي القاسم مسلمة بن أحمد من الكتب : كتاب المعاملات ، اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني .

ابن السمح

هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي ، وكان في زمن الحكم . قال القاضي صاعد : ان ابن السمح كان محققا لعلم العدد .والهندسة ، متقدماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم . وكانت له مع ذلك عناية بالطب ، وله تآليف حسانٌ منها : كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس . ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات ، ومنها كتاب طبيعة العدد ، ومنها كتابه الكبير في الهندسة يقضي فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني ، ومنها كتابان في الآلة المساة بالاسطرلاب ، أحدهما في التعريف بصورة صنعتها وهو مقسوم على مقالتين ، والآخر في العمل بها والتعريف بجوامع ثمرتها وهو مقسم على مائة وثلاثين باباً . ومنها زيجه الذي ألفه على احد مذاهب الهند المعروف بالسند هند ، وهو كتاب كبير مقسم على جزأين أحدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول . قال القاضي صاعد وأخبرني عنه تلميذه ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى بن الناشي المهندس انه توفي بمدينة غرناطة [2] قاعدة ملك الامير حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ، ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية .

ولابن السمح من الكتب : كتاب المدخل الى الهندسة . كتاب المعاملات . كتاب طبيعة العدد .

---

(١) احد منجمي المأمون اعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس والفرس وعلى تعليم مدرسة جنديسابور . نقلت مؤلفاته الى اللغة اللاتينية . (ن . ر)

(٢) عاصمة المملكة العربية في الاندلس سابقاً اخذها الاسبان من صاحبها ابي عبد الله . وفيها قصر الحمراء .

كتاب كبير في الهندسة يقضي فيه اجزاءهـــا من الخط المستقيم والمقوس والمنحني . كتاب التعريف بصورة صنعة الاسطرلاب ، مقالتان . كتاب العمل بالاسطرلاب والتعريف بجوامع ثمرته . زيج على أحد مذاهب الهند المعروف بالسندهند،وهو كتاب كبير مقسم على جزءين احدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول .

ابن الصفار

هو ابو القاسم احمد بن عبدالله بن عمر ، كان ايضاً متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم . وقعد في قرطبة لتعليم ذلك . وله زيج مختصر على مذهب السندهند ، وكتـــاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ ، وكان من جملة تلامذة ابي القاسم مسلمة بن احمد المرحيطي . وخرج ابن الصفار عن قرطبة بعد ان مضى صدر من الفتنة،واستقر بمدينة دانية[1] قاعدة الامير مجاهدالعامري[2] من ساحل بحر الاندلس الشرقي وتوفي بها رحمه الله . وقد انجب من اهل قرطبة جماعة ، وكان له أخ يسمى محمداً مشهور بعمل الاسطرلاب لم يكن بالأندلس قبله اجمل صنعاً لها منه .

ولابن الصفار من الكتب : زيج مختصر على مذهب السند هند . كتاب في العمل بالاسطرلاب .

أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي

كان عالماً بالعدد والهندسة،معتنياً بعلم الطب . وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان، وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان . وكان قد اخذ كثيراً من العلوم الرياضية عن ابي القاسم مسلمة ابن احمد المعروف بالمرحيطي وصحبه مدة .

ولابي الحسن علي بن سليمان الزهراوي من الكتب : كتاب في المعاملات على طريق البرهان وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان .

الكرماني

هو ابو الحكم عمرو بن احمد بن علي الكرماني من اهل قرطبة ، احـــد الراسخين في علم العدد والهندسة . قال القاضي صاعد : أخبرني عـــن الكرماني تلميذه الحسين بن محمد بن الحسين بن يحيى المهندس المنجم انه ما لقي احداً يجاريه في علم الهندسة. ولا يشق غباره في فك غامضها،وتبيين مشكلها، واستيفاء اجزائها . ورحل الى ديارالمشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة وعني هناك بطلب الهندسة والطب،ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة[3] من ثغرها،وجلب معه الرسائل المعروفة

---

(١) قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة القنت الاسبانية . ازدهرت تحت الحكم العربي .

(٢) رئيس مملكة دانية وجزائر البايار . كان له اسطول بحري يدخل الرعب في بلاد كتالونيا وبروفانس وايطاليـــا في القرن الحادي عشر .

(٣) مدينة في اسبانيا -الاندلس- كانت تنسج فيها الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية . « ن.ر »

برسائل اخوان الصفاء . ولا نعلم أحداً ادخلها الاندلس قبله. وله عناية بالطب ومجربات فاضلة فيه ونفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبط[1] وغير ذلك من اعمال الصناعة الطبية . قال: ولم يكن بصيراً بعلم النجوم التعليمي ، ولا بصناعة المنطق ، اخبرني عنه بذلك أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائيلي [2] وكان خبيراً به . ومحله في العلوم النظرية المحل الذي لا يجارى فيه عندنا بالاندلس . وتوفي ابو الحكم الكرماني رحمه الله بسرقسطة سنة ثمان وخمسين واربعمائة وقد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل .

ابن خلدون

هو أبو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي ، من اشراف أهل اشبيلية [3] ومن جملة تلامذة ابي القاسم مسلمة بن أحمد أيضاً ، وكان متصرفاً في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقه وتعديل سيرته وتقويم طريقته . وتوفي في بلده سنة تسع وأربعين واربعمائة . وكان من اشهر تلامذة أبي مسلم بن خلدون : أبو جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار المتطبب .

أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر بن دميح

من أهل طليطلة أحد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب ، وله مشاركة في علوم اللسان ، وحظ صالح من الشعر ، وهو من أقران القاضي أبي الوليد هشام بن أحمد بن هشام .

حمدين بن أبان

كان في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكان طبيباً حاذقاً مجرباً ، وكان صهر بني خالد ، وله بقرطبة أصول ومكاسب . وكان لا يركب الدواب الا من نتاجه ، ولا يأكل الا من زرعه ، ولا يلبس الا من كتان ضيعته ، ولا يستخدم الا بتلاده من أبناء عبيده .

جواد الطبيب النصراني

كان في أيام الامير محمد أيضاً ، وله اللعوق المنسوب الى جواد ، وله دواء الراهب والشرابات والسفوفات المنسوبة اليه والى حمدين ، وبني حمدين كلها شجارية .

خالد بن يزيدبن رومان النصراني

كان بارعاً في الطب ، ناهضاً في زمانه فيه . وكان بقرطبة وسكنه عند بيعة سبت أخلج . وكانت

(١) الشق للجرح .
(٢) سيأتي ذكره قريباً .
(٣) مدينة في اسبانيا فتحها العرب وهي مشهورة بقصرها القصر (Alcazar) .

داره الدار المعروفة بدار ابن السطخيري الشاعر . وكسب بالطب مبلغاً جليلاً من الاموال والعقار . وكان صانعاً بيده ، عالماً بالادوية الشجارية ، وظهرت منه في البلد منافع . وكتب اليه نسطاس بن جريج الطبيب المصري رسالة في البول . وأعقب خالد ابناً سماه يزيد ، ولم يبرع في الطب براعة أبيه.

ابن ملوكة النصراني

كان في ايام الامير عبيد الله ، وأول دولة الامير [1] عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفصد العروق . وكان على باب داره ثلاثون كرسياً لقعود الناس .

عمران بن ابي عمرو

كان طبيباً نبيلاً ، خدم الامير عبد الرحمن بالطب ، وهو الذي ألف له حب الانيسون ، وكان عالماً فيها .

ولعمران بن أبي عمرو من الكتب : كناش .

محمد بن فتح طملون

كان مولى لعمران بن أبي عمرو ، وبرع في الطب براعة علا بها من كان في زمانه. ولم يخدم بالطب، وطلب ليلحق فاستعفى من ذلك واستعان على الامير حتى عفي ، ولم يكن احد من الاشراف في وقته إلا وهو يحتاج اليه . قال ابن جلجل ، حدثني أبو الاصبغ بن حوى قال : كنت عند الوزير عبد الله ابن بدر وقد عرض لابنه محمد قرح شمل بدنه ، وبين يديه جماعة من الاطباء فيهم طملون ، فتكلم كل واحد منهم في تلك القروح ، وطملون ساكت . فقال له الوزير : ما عندك في هذا فاني أراك ساكتاً فقال : عندي مرهم ينفع هذه القروح من يومه . فمال الى كلامه وأمره باحضار المرهم ، فاحضره وطلى على القروح فجفت من ليلتها ؛ فوصله عبد الله بن بدر بخمسين ديناراً وانصرف الأطباء دونه بغير شيء .

الحراني

الذي ورد من المشرق ، كان في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكانت عنده مجربات حسان بالطب ، فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها . قال ابن جلجل : رأيت حكاية عند ابي الاصبغ الرازي بخط امير المؤمنين المستنصر ، وهي ان هذا الحراني ادخل الاندلس معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين ديناراً لاوجاع الجوف ، فكسب به مالا . فاجتمع خمسة من الاطباء مثل حمدين وجواد

---

(١) عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ثامن الخلفاء الامويين في الاندلس ازدهرت المملكة على ايامه وعاشت الاندلس عصرها الذهبي « ٩٢٦ – ٩٦١ » « ن . ر »

وغيرهمـــا وجمعوا خمسين ديناراً واشتروا منه شربة من ذلك الدواء ، وانفرد كل واحد منهم بجزء يشمه ويذوقه ويكتب ما تأدى اليه منه بحسه . ثم اجتمعوا واتفقوا على ما حدسوه وكتبوا ذلك . ثم نهضوا الى الحراني وقالوا له قد نفعك الله بهذا الدواء الذي انفردت به ، ونحن أطباء اشترينا منك شربة وفعلنا كذا وكذا وتأدى الينا كذا وكذا وكذا ، فان يكن ما تأدى الينا حقـاً فقد اصبنا ، وإلا فاشركنا في علمه فقد انتفعت . فاستعرض كتابهم فقـــال ما أعديتم من أدويته دواء ، لكن لم تصيبوا تعديل اوزانه . وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير ، فأشركهم في علمه وعرف مـــن حينئذ بالأندلس .

أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحراني

رحلا الى المشرق في دولة الناصر في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وأقاما هنالك عشرة اعوام ، ودخلا بغداد وقرآ فيهـــا على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابىء كتب جالينوس عرضاً، وخدما ابن وصيف في عمل علل العين ، وانصرفا الى الاندلس في دولة المستنصر بالله ، وذلك في سنة احـــدى وخمسين وثلثمائة وغزوا معه غزواته الى سنة اثنتين ، وانصرفا والحقهما في خدمته بالطب ، واسكنهما مدينة الزهراء[1] واستخلصها لنفسه دون غيرهما ممن كان في ذلك الوقت من الاطبـــاء . ومات عمر بعلة المعدة ، ورمت له فلحقه ذبول من اجلها ومات ، وبقي احمد مستخلصاً . وأسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء ، وكان لطيف المحل عنده ، أميناً مؤتمناً ، يطلعه على العيال والكرائم . وكان رجلاً حليماً ، صحيح العقل ، عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق . وتوجه عند المستنصر بالله لان المستنصر كان نهماً في الأكل ، وكان يحدث له في أكله تخمة لكثرة ما كان يتناول من الاكل ، وكان يصنع له الجوارشنات الحادة العجيبة وكان وافقه في ذلك موافقة وأفاد مالاً عظيماً . وكان ألكن اللسان ، رديء الخط ، لا يقيم هجاء حروف كتابه . وكان بصيراً بالأدوية المفردة ، وصانعاً للأشربة والمعجونات ، ومعالجاً لما وقف عليه .

قال ابن جلجل : ورأيت له اثني عشر صبياً صقالبة ، طباخين للأشربة ، صنّاعين للمعجونات بين يديه . وكان قد استأذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من احتـــاج من المساكين والمرضى ، فأباح له ذلك . وكان يداوي العين مداواة نفيسة . وله بقرطبة آثار في ذلك . وكان يواسي بعلمه صديقه وجاره والمساكين والضعفاء . وولاه هشام المؤيد[2] بالله خطة الشرطة وخطة السوق . ومات بحمى الربع وعلة الاسهال . وخلف مما قيمته أزيد من مائة الف دينار .

---

(١) مدينة بالأندلس بناهـــا عبد الرحمن الثالث مشهورة باعمدتها المستجلبة من روما والقسطنطينية وقرطجنة خربت في ثورة البربر « ن.ر »

(٢) احد ملوك قرطبة الامويين .

اسحق الطبيب

والد الوزير ابن اسحق ، مسيحي النحلة ، وكان مقيمـــاً بقرطبة ، وكان صانعاً بيده ، مجرباً ، يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة ، وتحنك فاق به جميع اهل دهره . وكان في أيام الامير عبد الله الاموي .

يحيى بن اسحق

كان طبيباً ذكياً عالماً بصيراً بالعلاج صانعاً بيده ، وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، واستوزره وولي الولايات والعمالات ، وكان قائد بطليوس[٢] زماناً ، وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير . كان ينزله منزلة الثقة ويتطلع على الكرائم والخدم . وألف في الطب كتاباً يشتمل على خمسة اسفار ذهب فيها مذهب الروم . وكان يحيى قد اسلم ، واما ابوه اسحق فكان نصرانياً كما تقدم ذكره . قال ابن جلجل : حدثني عن يحيى بن اسحق ثقة ، انه كان عنده غلام للحاجب موسى او للوزير عبد الملك قال ، قال : بعثني اليه مولاي بكتاب ، فانا قاعد عند داره بباب الجوز إذ أقبل رجل بدوي على حمار وهو يصيح ، فاقبل حتى وقف ببـــاب الدار . فجعل يتضرع ويقول : ادركوني وتكلموا الى الوزير بخبري . اذ خرج الى صراخ الرجل ومعه جواب كتابه ، فقال للرجل : ما بالك يا هـــذا ؟ فقال له : أيها الوزير ورم في احليلي منعني البول منذ ايام كثيرة وأنا في الموت . فقال له : اكشف عنه ، قال فكشف عنه فاذا هو وارم . فقال لرجل كان أقبل مع العليل : اطلب لي حجراً أملس . فطلبه فوجده وأتاه به . فقال : ضعه في كفك وضع عليه الاحليل . قال ، فقال المخبر لي : فلما تمكن احليل الرجل من الحجر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشي على الرجل منها . ثم اندفع الصديد يجري لما استوفى الرجل جري صديد الورم حتى فتح عينيه ثم بال البول في أثر ذلك . فقال له : اذهب فقد برئت من علتك ، وأنت رجـــل عائث واقعت بهيمة في دبرها فصادفت شعيرة من علفها لحجت[١] في عين الاحليل ، فورم لها وقد خرجت في الصديد . فقال له الرجل : قد فعلت هذا . وأقر بذلك ، وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة حسناء .

وقال ابن جلجل : وله نادر محفوظ في علاج الناصر قال : عرض للناصر وجع في أذنه والوزير يومئذ قائد بطليوس ، فعولج منه فلم يفتر ، فامر الناصر في الخروج فيه فرانقا ، فلمـــا وصل اليه الفرانق استنطقه عن الحاجة التي أوجبت الخروج فيه . فقال له : أمير المؤمنين عرض له في أذنـــه وجع أعيا الاطباء فمرج في طريقه الى بعض أديار النصارى وسأل عن عالم هناك ، فوجد رجلاً مسناً فسأله : هل عندك من تجربة لوجع الاذن ؟ فقال الشيخ الراهب : دم الحمار حاراً ، فوصل الى أمير

---

(١) اقليم في اسبانيا الغربية او هي مدينة في اسبانيا على وادي يانا كانت قاعدة لبني الافطس وتدعى اليوم داخوس .
(٢) لجأت .

المؤمنين وعالجه بدم الحمار حاراً كما يسفح وبرأ . وهذا بحث واستقصاء ودؤوب على التعليم .

وليحيى بن اسحق من الكتب : كتاب كبير في الطب .

سليمان أبو بكر بن تاج

كان في دولة الناصر ، وخدمه بالطبُ . وكان طبيباً نبيلاً وعالج أمير المؤمنين الناصر من رمد [1] عرض له من يومه بشيافه . وطلب منه نسخته بعد ذلك فأبى ان يمليها وعالج سعماً صاحب البريد من ضيق النفس بلعوق [2] فبرأ من يومه بعد ان اعيا علاجه الاطباء . وكان يعالج وجع الخاصرة بحب من حبه فيبرأ الوقت ، وكانّ ضنيناً بنسخ الادوية . وله نوادر في الطب كثيرة . وكان أديباً فاضلاً ، حسن المحاضرة والمذاكرة ، وادركه في آخر أيامه مرض القروح في أحليله فلم يمكنه دواؤه وعرّفه الله القادر عجزه فقطع احليله . وولاه أمير المؤمنين الناصر قضاء شذونة [3] .

ابن ام البنين

سمي بالأعرف ، وكان من اهل مدينة قرطبة ، وخدم أمير المؤمنين الناصر بصناعة الطب . وكان ينادمه وكانت معه فطنة في الطب . وله نوادر انذر بها . وكان معجباً بنفسه . وكان الناصر ربما استثقله لذلك وربما اضطر اليه لجودة فطنته .

سعيد بن عبد ربه

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن محمد بن سالم مولى الامير هشام الرضي [4] بن عبد الرحمن الداخل [5] بالاندلس ، وهو ابن اخي ابي عمرو واحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب كتاب العقد [6] . وكانت وفاة عمه هذا احمد بن محمد بن عبد ربه في شهر جمادى الاولى من سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، ومولده في سنة ست واربعين ومائتين لعشر خلون من شهر رمضان . وكان سعيد بن عبد ربه طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً ، وله في الطب رجز جليل محتو على جملة حسنة منه دل به على تمكنه من العلم وتحققه لمذاهب القدماء وكان له مع ذلك بصر بحركات الكواكب وطبائعها ، ومهاب الرياح وتغير الاهوية ، وكان مذهبه في مداواة الحميات ان يخلط بالمبردات شيئاً من (*) وله في ذلك مذهب جميل ولم يخدم بالطب سلطاناً . وكان بصيراً بتقدمة

---

(١) داء يصيب العين فتؤلم وتنتفخ .

(٢) كل ما يلعق اي يلحس كالعسل وغيره .

(٣) بلدة بجنوبي غربي الاندلس في اقليم وادي ياش كانت قاعدة ولاية اشبيليا وكانت حاميتها من عرب فلسطين .

(٤) ثاني ملوك قرطبة اتم بناء الجامع الكبير وبناء جسر القنطرة وغزا فرنسا .

(٥) فر من مذابح بني العباس الى الاندلس واسس دولة عربية في قرطبة وهو باني جامعها سمي صقر قريش لبأسه .

(٦) مجموعة ادبية من خطب وشعر واقوال الحكماء والعلماء والتاريخ وعلم العروض ألفه ابن عبد ربه «ن ، ر»

(*) بياض بالاصل ،

المعرفة ، وتغيير الاهوية ، ومهب الرياح ، وحركة الكواكب . قال ابن جلجل : حدثني عنه سليمان ابن ايوب الفقيه قال ، قال : اعتللت بحمة فطاولتني واشرفت منهـا ، اذ مر بأبي وهو ناهض الى صاحب المدينة احمد بن عيسى ، فقام اليه وقضى واجب حقه بالسلام عليه ، وسأله عن علتي واستخبر ابي عما عولجت به ، فسفه علاج من عالجني وبعث الى ابي بثماني عشرة حبة من حبوب مدورة ، وأمر ان اشرب منها كل يوم حبة فما استوعبتها حتى اقلعت الحمى وبرئت برأ تامـاً . وعمي سعيد في آخر ايامه .

ومن شعر سعيد بن عبد ربه انه افتصد يومـاً فبعث الى عمه احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر الاديب راغباً اليه في ان يحضر عنده مؤانساً له ، فلم يجبه عمه الى ذلك وأبطأ عنه فكتب اليه :

لما عدمت مؤانساً وجليسا نادمت بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفردي وهما الشفاء لكل جرح يوسا
ووجدت علمهما اذا حصلته يذكي ويحيي للجسوم نفوسا

(الكامل)

فلما وصل الشعر الى عمه جاوبه بابيات منها :

ألفيت بقراطا وجالينوسا لا يأكلان ويرزآن جليسا
فجعلتهم دون الاقارب جنة ورضيت منهم صاحبا وأنيسا
وأظن بخلك لا يرى لك تاركا حتى تنادم بعدهم ابليسا

وقال سعيد بن عبد ربه ايضاً في آخر عمره ، وكان جميل المذهب منقبضاً عن الملوك :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين اشرافي على ملكوته أرى طالبا رزقا الى غير رازقي
وأيام عمر المرء متعة ساعـة تجيء حثيثـاً مثل لمحة بارق
وقد أذنت نفسي بتقويض رحلها وأسرع في سوقي الى الموت سائقي
واني وإن أوغلت أو سرت هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحقي

(الطويل)

ولسعيد بن عبد ربه من الكتب : كتـاب الاقراباذين . تعاليق ومجربات في الطب . ارجوزة في الطب .

عمر بن حفص بن برتق

كان طبيباً فاضلاً قارئاً للقرآن مطرب الصوت ، وكان له رحلة الى القيروان الى أبي جعفر ابن الجزار لزمه ستة اشهر لا غير . وهو ادخل الى الاندلس كتاب زاد المسافر ، ونبل بالأندلس وخدم

بالطب الناصر . وكان نجم بن طرفه صاحب البيازرة قد استخلصه لنفسه وقام به واغناه وشاركه في كل دنياه ولم يطل عمره .

أصبغ بن يحيى

كان متقدماً في صناعة الطب ، وخدم بها الناصر ، وألف له حب الانيسون . وكان شيخاً وسيماً بهياً سرياً معظما عند الرؤساء .

محمد بن تمليح

كان رجلا ذا وقار وسكينة ومعرفة بالطب والنحو واللغة والشعر والرواية . وخدم الناصر بصناعة الطب . وكان المقيم برئاسته احمد بن الياس القائد ، وولاه الناصر خطبة الردّ وقضاء شذونة . وله في الطب تأليف حسن الاشكال . وأدرك صدراً من دولة الحكم المستنصر بالله وكان حظياً عنده وخدمه بصناعة الطب . قال القاضي صاعد : وولاه النظر في بنيان الزيادة من قبلي الجامع بقرطبة ، فتولى ذلك وكملت تحت اشرافه وأمانته . ورأيت اسمه مكتوباً بالذهب وقطع الفسيفساء على حائط المحراب بها . وان ذلك البنيــان كمل على يديه عن أمر الخليفة الحكم في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة . ولمحمد بن تمليح من الكتب : كتاب في الطب .

ابو الوليد بن الكتاني

هو ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني ، كان عالماً بهياً سرياً حلو اللسان محبوباً من العامة والخاصة لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه ، ولم يكن يرغب في المال ولا جمعه ، وكان لطيف المعاناة وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب ، ومات بعلة الاستسقاء .

ابو عبد الله بن الكتاني

هو أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني ، كان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته وخدم به المنصور بن أبي عامر [١] وابنه المظفر . ثم انتقل في صدر الفتنة الى مدينة سرقسطة واستوطنها ، وكان بصيراً بالطب ، متقدماً فيــه ، ذا حظ من المنطق والنجوم ، وكثير من علوم الفلسفة . قال القاضي صاعد : أخبرني عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمي [٢] : انه كان دقيق الذهن ، ذكي الخاطر ، جيد الفهم ، حسن التوحيد والتسبيح ،

---

(١) من قبيلة معافر اليمنية ، حاجب هشام الثاني في قرطبة ، استبد بامره وتغلب المنصور لدين الله ، انتصر على الاسبان في لاون وقشتالة وقطلونيا ، وبلغت السلطة في ايامه ارج مجدها ،

(٢) هو ابو مروان حاجب الاندلس حمل على الاسبان بحروب عديدة ورجع ظافراً ،

وكان ذا ثروة وغنى واسع ، وتوفي قريباً من سنة عشرين واربعمائة وهو قد قارب ثمانين سنة . قال وقرأت في بعض تآليفه انه أخذ صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجبلي ، وعمر بن يونس بن احمد الحراني ، واحمد بن حفصون الفيلسوف ، وابي عبد الله محمد بن ابراهيم القاضي النحوي ، وابي عبدالله محمد بن مسعود البجائي ، ومحمد بن ميمون المعروف بمركوس ، وابي القاسم فيد بن نجم ، وسعيد ابن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار ، وابي الحرث الاسقف تلميذ ربيع بن زيد الاسقف الفيلسوف وابي مرين البجائي ، ومسلمه بن أحمد المرحيطي .

احمد بن حكيم بن حفصون

كان طبيباً عالماً جيد القريحة ، حسن الفطنة ، دقيق النظر ، بصيراً بالمنطق ، مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة . وكان متصلاً بالحاجب جعفر الصقلبي ومستولياً على خاصته ، فاوصله بالحكم المستنصر بالله وخدمه بالطب الى ان توفي الحاجب جعفر فأسقط حينئذ من ديوان الاطباء وبقي مخمولا إلى ان توفي ومات بعلة الاسهال .

ابو بكر احمد بن جابر

كان شيخاً فاضلاً في الطب ، حليما عفيفاً وخدم المستنصر بالله بالطب وادرك صدراً من دولة المؤيد وكان اولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه . وكان وجيهاً عندهم مؤتمناً ، وكذلك عند الرؤساء ، وكان أديباً فهما . وكتب بخطه كتباً كثيرة في الطب والجامع والفلسفة . وعمر زمانا طويلاً .

أبو عبد الله الملك الثقفي

كان طبيباً اديباً عالماً بكتاب اقليدس ، وبصناعة المساحة . وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب ، وكان أعرج . وله في الطب نوادر . وولاه المستنصر أو الناصر خزانة السلاح ، وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينيه ، ومات بعلة الاستسقاء .

هرون بن موسى الاشبوني

كان من شيوخ الاطباء واخيارهم ، مؤتمناً مشهوراً بأعمال اليد وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب .

محمد بن عبدون الجبلي العذري

رحل الى المشرق سنة سبع واربعين وثلثمائة ، ودخل البصرة ولم يدخل بغداد ، وأتى مدينة فسطاط مصر ودبر مارستانها . ومهر بالطب ونبل فيه وأحكم كثيراً من اصوله ، وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة . وكان شيخه فيها أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي . ورجع الى

الاندلس سنة ستين وثلثمائة ، وخدم بالطب المستنصر بالله والمؤيد بالله ، وكان قبل ان يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة ، وله في التكسير كتاب حسن . قال القاضي صاعد : واخبرني أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش الطليطلي انه لم يلق في قرطبة ايام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلي في صناعة الطب ، ولا يجاريه في ضبطها ، وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها .

ولمحمد بن عبدون من الكتب : كتاب في التكسير .

عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم

من اعيان أطباء الاندلس وفضلائها ، وكان من أهل قرطبة .

وله من الكتب : كتاب الكمال والتمام في الادوية المسهلة والمقيئة . كتاب الاقتصار والايجاد في خطا ابن الجزار في الاعتماد . كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء ، صنفه للحاجب القائد أبي عامر محمد بن أبي عامر . كتاب السمائم .

ابن جلجل

هو أبو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل ، وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بالمعالجات ، جيد التصرف في صناعة الطب . وكان في أيام هشام المؤيد بالله . وخدمه بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة ، وقد فسر اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربي ، وأفصح عن مكنونها ، وأوضح مستغلق مضمونها ، وهو يقول في أول كتابه هذا ان كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في ايام جعفر المتوكل وكان المترجم له اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وتصفح ذلك حنين بن اسحق المترجم ، فصحح الترجمة وأجازها فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فسره بالعربية ، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالاً منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي ، اذ التسمية لا تكون بالتواطؤ من أهل كل بلد على اعيان الادوية بما رأوا ، وان يسموا ذلك اما باشتقاق واما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية فاتكل اصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف اعيان الادوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته فيسميها على قدر ما سمع في ذلك الوقت فيخرج الى المعرفة .

قال ابن جلجل : وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسماً بالعربية ، ومنه ما لم يعرف له اسماً . فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالاندلس الى ايام الناصر عبد الرحمن [1] بن محمد ، وهو يومئذ صاحب الاندلس . فكاتبه أرمانيوس [2] الملك ، ملك قسطنطينية ،

---

(١) ثامن الامراء في قرطبة لقب نفسه بالناصر . وحد صفوف العرب والبربر وقد مر ذكره في غير هذا المكان .

(٢) امبراطور بيزنطية (٩٠٥ - ٩٥٩) ظفر بالجر والعرب . « ن . ر »

في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وهاداه بهدايا لها قدر عظيم ، فكان في جملة هديته كتاب دسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب. وكان الكتاب مكتوباً بالاغريقي الذي هو اليوناني، وبعث معه كتاب هروسيس صاحب القصص ، وهو تاريخ للروم عجيب ، فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الاول ، وفوائد عظيمة . وكتب أرمانيوس في كتابه الى النـــاصر ان كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ، ويعرف اشخاص تلك الادوية ، فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ايها الملك بفائدة الكتاب ؛ وامـا كتاب هروسيس فعندك في بلدك من اللطيليين من يقرأه باللسان اللطيني ، وان كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني الى اللسان العربي .

قال ابن جلجل : ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي الذي هو اليوناني القديم ، فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الاغريقي ، ولم يترجم الى اللسان العربي ، وبقي الكتاب بالاندلس . والذي بين أيدي النـــاس بترجمة اسطفن الواردة من مدينة السلام بغداد .

فلما جاوب الناصر ارمانيوس الملك سأله ان يبعث اليه برجل يتكلم بالاغريقي واللطيني ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين ، فبعث ارمانيوس الملك الى الناصر براهب كان يسمى نقولا (١) ، فوصل الى قرطبة سنة اربعين وثلثمائة وكان يومئذ بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس الى العربية ، وكان أبحثهم واحرصهم على ذلك مـن جهـــة التقرب الى الملك عبد الرحمن الناصر ، حسداي بن بشروط الاسرائيلي ، وكان نقولا الراهب عنـده احظى الناس واخصهم به . وفسر من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا ، وهو اول من عمل بقرطبة ترياق الفاروق على تصحيح الشجارية التي فيه . وكان في ذلك الوقت من الاطباء الباحثين عن تصحيح اسماء عقاقير الكتاب وتعيـين اشخاصه محمد المعروف بالشجار ، ورجـــل كان يعرف بالبسباسي ، وابو عثمان الجزار الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد الطبيب ، وعبد الرحمن بن اسحق بن هيثم وأبو عبد الله الصقلي ، وكان يتكلم باليونانية ويعرف اشخاص الادوية .

قال ابن جلجل : وكان هؤلاء النفر كلهم في زمان واحد مع نقولا الراهب أدركته وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر ، وصحبتهم في أيام المستنصر الحكم . وفي صدر دولته مات نقولا الراهب ، فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الاندلس ، ما أزال الشك فيها عن القلوب ، وأوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها ، وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف إلا القليل منهـــا الذي لا بال به ، ولا خطر له . وذلك يكون في مثل عشرة أدوية .

قال : وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الادوية المركبة حرص شديد وبحث

---

(١) راهب بيزنطي ساهم في نقل مخطوطة ديسقوريدس الطبية الى العربية التي اهداها قسطنطين السابع «ارمانيوس» الى عبد الرحمن الثالث الاندلسي .

عظيم ، حتى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي في احياء ما خفت يُدرس وتذهب منفعته لأبدان الناس ، فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما انبتته الارض ، واستقر عليها من الحيوان المشاء ، والسابح في الماء والمنساب ، وما يكون تحت الارض في جوفها من المعدنية ، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق .

ولابن جلجل من الكتب : كتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ، ألفه في شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة بمدينة قرطبة ، في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله . مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به ، وما لا يستعمل لكيلا يغفل ذكره . وقال ابن جلجل : ان ديسقوريدس اغفل ذلك ولم يذكره إما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا ، واما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وابناء جنسه . رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين . كتاب يتضمن ذكر شيء من اخبار الاطباء والفلاسفة ألفه في أيام المؤيد بالله.

ابو العرب يوسف بن محمد

احد المتحققين بصناعة الطب والراسخين في علمه . قال القاضي صاعد : حدثني الوزير ابو المطرف ابن وافد وابو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش : انه كان محكما لاصول الطب نافذاً في فروعه حسن التصرف في انواعها . قال : وسمعت غيرهما يقول لم يكن أحد بعد محمد بن عبدون يوازي أبو العرب في تقدمه بصناعة الطب ونفوذه فيها . وكان غلب عليه في آخر عمره حب الخمر فكان لا يوجد صاحياً ولا يرى مفيقاً من خمار ، وحرم بذلك الناس كثيراً من الانتفاع به وبعلمه . وتوفي وقد قارب تسعين سنة ، وذلك بعد ثلاثين واربعمائة .

ابن البغونش

هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش . قال القاضي صاعد : كان من أهل طليطلة [1] ، ثم رحل الى قرطبة لطلب العلم بها ، فاخذ عن مسلمة بن احمد علم العدد والهندسة ، وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جلجل وابن الشناعة ونظرائهم علم الطب . ثم انصرف الى طليطلة واتصل بها باميرها الظافر اسمعيل بن عبد الرحمن بن اسمعيل بن عامر بن مطرف بن ذي النون ، وحظي عنده وكان أحد مدبري دولته . قال : ولقيته انا فيها بعد ذلك في صدر دولة المأمون [2] ذي المجد بن يحيى بن الظافر اسمعيل بن ذي النون ، وقد ترك قراءة العلوم وأقبل على قراءة القرآن ، ولزم داره والانقباض عن الناس ، فلقيت منه رجلا عاقلا ، جميل الذكر والمذهب ، حسن السيرة ، نظيف الثياب ، ذا كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة . وتبينت منه انه قرأ الهندسة وفهمها ، وقرأ المنطق وضبط كثيراً منه ، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها ، وتناولها بتصحيحه

(١) مدينة في اسبانيا قرب مدريد فتحها طارق بن زياد (٧١٤) فيها اثار عربية فخمة .

(٢) من ملوك الطوائف في الاندلس . حالف أمراء قشتالة الاسبان على سائر ملوك العرب في الاندلس « ن ر » .

ومعاناته ، فحصل بتلك العنـــاية على فهم كثير منها . ولم تكن له دربة بعلاج المرضى ولا طبيعة نافذة في فهم الامراض . وتوفي عند صلاة الصبح من يوم الثلاثاء اول يوم من رجب سنة اربع واربعين واربعمائة . وأخبرني انه ولد سنة تسع وستين وثلثمائة . فكان اذ توفي ابن خمس وسبعين سنة .

ابن وافد

هو الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي أحد أشراف اهل الاندلس ، وذوي السلف الصالح منهم ، والسابقة القديمة فيهم . عنى عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهمها ، ومطالعة كتب ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة . قال القاضي صاعد : وتمهر بعلم الادوية المفردة حتى ضبط منهـا ما لم يضبطه أحد في عصره ، وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمن كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفان في الأدوية المفردة ، ورتبه احسن ترتيب . قال : وأخبرني انه عانى جمعه ، وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الادوية وصفاتها ، وأودعه اياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة ، حتى كمل موافقـــاً لغرضه ، وتم مطابقاً لبغيته . وله في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل ، وذلك انـــه كان لا يرى التداوي بالأدوية ما امكن التداوي بالأغذية أو ما كان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل الى التداوي بمفردها، فان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل اقتصر على الاقل ما يمكنه منه . وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في الابراء من العلل الصعبة والامراض المخوفة بأيسر العلاج واقربه . واستوطن مدينة طليطلة ، وكان في ايام ابن ذي النون . ومولد ابن وافد في ذي الحجة من سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، وكان في الحياة فيسنة ستين واربعمائة .

ولابن وافد من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب الوساد في الطب. مجربات في الطب. كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر . كتاب المغيث .

الرميلي

هو (*) وكان بالمرية (١) في ايام ابن معن (٢) المعروف بابن صمادح ، ويلقب بالمعتصم بالله . وقال ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتـــاب « المغرب عن محاسن أهل المغرب » : إن الرميلي صحبه توفيق يساعده ويصعده ، ويقيم له الجـــاه ويقعده ، مع دربة جرى بها فأدرك ، وقياس حركة للمحاورة فتحرك ، فأصبح يقتدى بنسخه ويتنافس في مستصرخه ويتوسل اليه برئاسة

(*) بياض بالأصل .

(١) مرفأ في الاندلس على البحر المتوسط كانت من مدن مملكة غرناطة عظم شأنها على ايام عبد الرحمن الاول (الداخل)

(٢) هو المعتصم محمد بن معن بن صمادح من ملوك الطوائف خلف والده على ولاية المرية في الاندلس . وهـــو صديق يوسف ابن تاشفين (ن.ر)

نفس لا ترضى بدنيّة ، ولا تعامل إلا بالحرية . وربما عالج في بعض اوقاته المستورين بمـــاله أدوية وأغذية ، فأحبه البعيد والقريب ، وأصبح ما له إلا حميم أو حبيب حتى اودت به الأيام فاقـــدة احسانه ، نادبة مكانه .

وللرميلي من الكتب : كتاب البستان في الطب .

ابن الذهبي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد الازدي ويعرف بابن الذهبي ، احد المعتنين بصناعة الطب ، ومطالعة كتب الفلاسفة ، وكان كلفاً بصناعة الكيمياء مجتهداً في طلبها . وتوفي ببلنسية [1] في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين واربعمائة .

ولابن الذهبي من الكتب : مقالة في ان الماء لا يغذو .

ابن النباش

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي ويعرف بابن النبـــاش ، معتن بصناعة الطب مواظب لعلاج المرضى ، ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي ، وله ايضـــاً نظر ومشاركة في سائر العلوم الحكمية ، وكان مقيماً بجهة مرسية [2] .

ابو جعفر بن خميس الطليطلي

قرأ كتب جالينوس على مراتبها ، وتناول صناعة الطب من طرقهـا ، وكانت له رغبة كثيرة في معرفة العلم الرياضي والاشتغال به .

ابو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر الدارمي

اعتنى بكتب جالينوس عناية صحيحة،وقرأ كثيراً منها على ابي عثمان سعيد بن محمد بن بغونش ، واشتغل أيضاً بصناعة الهندسة والمنطق وغير ذلك ، وكانت له عبارة بالغة ، وطبع فاضل في المعاناة، ومنزع حسن في العلاج ، وله تصرف في دروب من الاعمال اللطيفة والصناعات الدقيقة .

ابن الخياط

هو ابو بكر يحيى بن احمد ويعرف بابن الخيـــاط ، كان احد تلاميذ ابي القاسم مسلمة بن احمد المرحيطي في علم العدد والهندسة ، ثم مال الى احكام النجوم وبرع فيها واشتهر بعلمها ، وخدم بهـا سليمان بن حكم بن الناصر لدين الله في زمن الفتنة وغيره من الامراء ، وآخر من خدم بذلك الامير

---

(١) مدينة في الاندلس (اسبانيا) كانت من عواصم الحضارة العربية .

(٢) مدينة في جنوب آسيا احتلها المرابطون ثم الموحدون . (ن.ر)

المأمون يحيى بن اسمٰعيل بن ذي النون ، وكان مع ذلك معتنيـاً بصناعة الطب ، دقيق العلاج حصيفاً حليماً دمثاً حسن السيرة كريم المذهب ، وتوفي بطليطلة سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقـد قارب ثمانين سنة .

منجم بن الفوال

يهودي من سكان سرقسطة ، وكان متقدماً في صناعة الطب متصرفاً مع ذلك في علم المنطق وسائر علوم الفلسفة .

ولمنجم بن الفوال من الكتب : كتاب كنز المقل ، على طريق المسألة والجواب ، وضمنه جملاً من قوانين المنطق وأصول الطبيعة .

مروان بن جناح

كان ايضاً يهودياً وله عناية بصناعة المنطق والتوسع في علم لسان العرب واليهود ، ومعرفة جيدة بصناعة الطب . وله من الكتب كتاب التلخيص وقد ضمنه ترجمة الادوية المفردة ، وتحديد المقـادير المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل .

اسحق بن قسطار

كان ايضاً يهودياً وخدم الموفق مجاهداً العامري [1] وابنه اقبال الدولة عليا . وكان اسحق بصيراً باصول الطب ، مشاركاً في علم المنطق ، مشرفاً على آراء الفلاسفة . وكان وافر العقـل ، جميل الاخلاق . وله تقدم في علم اللغة العبرانية ، بارعاً في فقه اليهود ، حبراً [2] من احبارهم ، ولم يتخذ قط امرأة . وتوفي بطليطلة سنة ثمان واربعين واربعمائة وله من العمر خمس وسبعون سنة .

حسداي بن اسحق

معتن بصناعة الطب ، وخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وكان حسداي بن اسحق من احبار اليهود متقدمـاً في علم شريعتهم ، وهو اول من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك . وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت اعيادهم الى يهود بغداد ، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم ومبادىء سنيهم . فلما اتصل حسداي بالحكم ، ونال عنده نهاية الحظوة توصل به الى استجلاب ما شاء من تآليف اليهود بالمشرق ، فعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا قبل يجهلونه واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه .

(١) مؤسس مملكة دانية وجزائر البايار .
(٢) العالم يتبحر الكلام من اهل البيت .

ابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي

من ساكني مدينة سرقسطة ، ومن بيت شرف اليهود بالأندلس،من ولد موسى النبي عليه السلام . عني بالعلوم على مراتبها ، وتناول المعارف من طرقها ، فأحكم علم لسان العرب ، ونال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة ، وبرع في علم العدد والهندسة وعلم النجوم ، وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها ، واتقن علم المنطق وتمرن بطرق البحث والنظر ، واشتغل ايضاً بالعلم الطبيعي ، وكان له نظر في الطب ، وكان في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في الحياة وهو في سن الشبيبة .

أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي

من الفضلاء في صناعة الطب ، وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب ابقراط وجالينوس وفهمها . وكان قد سافر من الاندلس الى الديار المصرية . واشتهر ذكره بها وتميز في ايام الآمر باحكام الله (١) من الخلفاء المصريين ، وكان خصيصاً بالمأمون ، وهو أبو عبدالله محمد بن نور الدولة أبي شجاع الآمري ، في مدة أيام دولته وتدبيره للملك . وكانت مدته في ذلك ثلاث سنين وتسعة أشهر : لان الآمر كان قد استوزر المأمون في الخامس من ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمسمائة وقبض عليه ليلة السبت الرابع من شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة في القصر بعد صلاة المغرب . ثم قتل بعد ذلك في رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وصلب بظاهر القاهرة (٢) . وكان المأمون في ايام وزارته له همة عالية، ورغبة في العلوم فكان قد امر يوسف بن أحمد بن حسداي ان يشرح له كتب أبقراط اذ كانت أجل كتب هذه الصناعة وأعظمها جدوى واكثرها غموضا . وكان ابن حسداي قد شرع في ذلك،ووجدت له منه شرح كتاب الايمان لابقراط ، وقد أجاد في شرحه لهذا الكتاب ، واستقصى ذكر معانيه وتبيينها على أتم ما يكون ، واحسنه . ووجدت له ايضاً شرح بعض كتاب الفصول لابقراط ، وكان بينه وبين أبي بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجة صداقة فكان أبداً يراسله من القاهرة .

وكان يوسف بن أحمد بن حسداي مدمناً للشراب ، وعنده دعابة ونوادر . وبلغني عنه انه لما أتى من الاسكندرية (٣) الى القاهرة ، كان هو وبعض الصوفية قد اصطحبا في الطريق فكانا يتحادثان ، وأنس كل واحد منهما الى الآخر ، ولما وصلا الى القاهرة قال له الصوفي أنت اين تنزل في القاهرة حتى اكون أراك ؟ فقال : ما كان في خاطري أن انزل إلا حانة الخمار وأشرب فان كنت توافق وتأتي الي فرأيك . فصعب قوله على الصوفي وأنكر هذا الفعل ، ومشى الى الخانكاه (٤) . ولما كان في بعض

---

(١) ابو علي الآمر باحكام الله المنصور (١٠٩٦ - ١١٣٠) عاشر الخلفاء الفاطميين بمصر .

(٢) بنيت بامر جوهر القائد الفاطمي في ٩ تموز سنة ٩٦٩ وفيها اعظم الآثار الاسلامية والعربية . وهي اليوم عاصمة جمهورية مصر العربية .

(٣) من اهم ثغور البحر المتوسط.أسسها الاسكندر الكبير(٣٣١ ق.م)اشتهرت بمدرستها الفلسفية ومن اساتذتهاافلوطينوس.

(٤) الخان الذي ينزل فيه المسافرون .

الايام ، بعد مديدة ، وابن حسداي في السوق ، واذا يجمع من الناس وفي وسطهم صوفي يعزر وقد اشتهر أمره بأنه وجد سكران ، ولما قرب الى الموضع الذي فيه ابن حسداي ونظر اليه وجده ذلك الصوفي بعينه . فقال : يا لله قتلك النامس [1] .

وليوسف بن احمد بن حسداي من الكتب : الشرح المأموني لكتاب الايمان لابقراط المعروف بعهده الى الاطباء، صنفه للمأمون أبي عبدالله محمد الامري . شرح المقالة الاولى من كتاب الفصول لابقراط . تعاليق وجدت بخطه كتبها عند وروده على الاسكندرية من الاندلس . فوائد مستخرجة استخرجها وهذبها من شرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس الى اغلوقن ، من القول على اول الصناعة الصغيرة لجالينوس . كتاب الاجمال في المنطق . شرح كتاب الاجمال .

ابن سمجون

وهو ابو بكر حامد بن سمجون فاضل في صناعة الطب متميز في قوى الادوية المفردة وافعالها ، متقن لما يجب من معرفتها . وكتابه في الادوية المفردة مشهور بالجودة ، وقد بالغ فيه واجهد نفسه في تأليفه ، واستوفى فيه كثيراً من آراء المتقدمين في الادوية المفردة. وقال أبو يحيي اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتاب «المغرب عن محاسن أهل المغرب» : ان ابن سمجون ألف كتابه هذا في أيام المنصور الحاجب محمد بن أبي عامر . أقول وكانت وفـــاة محمد بن أبي عامر في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة .

ولابن سمجون من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب الاقراباذين .

البكري

هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، من مرسيه ، من أعيان أهل الاندلس وأكابرهم ، فاضل في معرفة الادوية المفردة وقواها ومنافعها واسمائها ونعوتها وما يتعلق بها .

وله من الكتب : كتاب أعيان النبات والشجريات الاندلسية .

الغافقي

هو أبو جعفر أحمـــد بن محمد بن احمد بن السيد الغافقي . امـــام فاضل ، وحكيم عالم ويعد من الاكابر في الاندلس . وكان أعرف أهل زمانه بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصهـــا واعيانها ومعرفة اسمائها . وكتابه في الادوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه . قد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس بأوجز لفظ وأتم معنى ، ثم ذكر بعد قوليهما ما تجدد للمتأخرين من الكلام في الادوية المفردة ، أو ما ألم به واحد واحد منهم وعرفه فيما يعـــد ،

---

(١) المسر الذي يسر اليك .

فجاء كتابه جامعاً لما قاله الافاضل في الادوية المفردة ودستوراً يرجع اليه فيا يحتاج الى تصحيحه منها.
وللغافقي من الكتب : كتاب الادوية

الشريف محمد بن محمد الحسني

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني ويلقب بالعالي بالله . كان فاضلاً عالماً بقوى الادوية المفردة ومنافعها ومنابتها وأعيانها .
وله من الكتب . كتاب الادوية المفردة

خلف بن عباس الزهراوي

كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج . وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب ، وافضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي .

ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب : كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها ، وهو كتاب تام في معناه .

ابن بكلارش

كان يهودياً من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب ، وله خبرة واعتناء بالغ بالادوية المفردة . وخدم بصناعة الطب بني هود .

ولابن بكلارش من الكتب : كتاب الجدولة في الادوية المفردة ، وضعه مجدولا ، وألفه بمدينة المرية للمستعين بالله ابي جعفر احمد بن المؤتمن بالله بن هود

ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت

هو من بلد دانية [1] من شرق الأندلس ، وهو من أكابر الفضلاء ، في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم ، وله التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة . قد بلغ في صناعة الطب مبلغاً لم يصل اليه غيره من الاطباء ، وحصل من معرفة الادب مالم يدركه كثير من سائر الادباء. وكان أوحد في العلم الرياضي، متقناً لعلم الموسيقى وعمله ، جيد اللعب بالعود . وكان لطيف النادرة ، فصيح اللسان ، جيد المعاني. ولشعره رونق . وأتى ابو الصلت من الاندلس الى ديار مصر وأقام بالقاهرة مدة ؛ ثم عاد بعد ذلك الى الاندلس . وكان دخول أبي الصلت الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة . ولما كان في الاسكندرية حبس بها .

وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي في القاهرة سنة اثنين وثلاثين وستمائة : ان أبا الصلت أمية بن عبد العزيز كان سبب حبسه في الاسكندرية ان مركباً كان قد وصل اليها، وهو موقر بالنحاس فغرق قريبا منها ، ولم تكن لهم حيلة تخليصه لطول المسافة في عمق البحر ففكر ابو الصلت في أمره وأجال

(١) قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة القفت « وقد مر ذكرها » .

النظر في هذا المعنى حتى تلخص له فيه رأي ، واجتمع بالافضل بن أمير الجيوش ملك الاسكندرية وأوجده انه قادر ان تهيأ له جميع ما يحتاج اليه من الآلات ان يرفع المركب من قعر البحر ، ويجعله على وجه الماء مع ما فيه من الثقل فتعجب من قوله ، وفرح به ، وسأله ان يفعل ذلك . ثم آتاه على جميع ما يطلبه من الآلات وغرم عليها جملة من المال . ولما تهيأت وضعها في مركب عظيم على موازاة المركب الذي قد غرق ، وأرسى اليه حبالا مبرومة من الابريسم ، وأمر قوماً لهم خبرة في البحر ان يغوصوا ويوثقوا ربط الحبال بالمركب الغارق وكان قد صنع آلات باشكال هندسية لرفع الاثقال في المركب الذي هم فيه . وامر الجماعة بما يفعلونه في تلك الآلات . ولم يزل شأنهم ذلك والحبال الابريسم ترتفع اليهم أولا فاولا وتنطوي على دواليب بين أيديهم حتى بان لهم المركب الذي كان قد غرق ، وارتفع الى قريب من سطح الماء . ثم عند ذلك انقطعت الحبال الابريسم ، وهبط المركب راجعاً الى قعر البحر . ولقد تلطف أبو الصلت جداً فيما صنعه ، وفي التحيل الى رفع المركب ، إلا ان القدر لم يساعده وحنق عليه الملك لما غرمه من الآلات وكونها مرت ضائعة ، وأمر بحبسه ، وان يستوجب ذلك . وبقي في الاعتقال مدة الى ان شفع فيه بعض الأعيان واطلق . وكان ذلك في خلافة الآمر باحكام الله ؛ ووزارة الملك الأفضل بن امير الجيوش .

ونقلت من رسائل الشيخ أبي القاسم علي بن سليمان المعروف بابن الصيرفي في ما هذا مثاله . قال: وردتني رقعة من الشيخ أبي الصلت،وكان معتقلا وفي آخرها نسخة قصيدتين خدم بها المجلس الافضلي أول الاولى منها .

الشمس دونك في المحل ... والطيب ذكرك بل أجل

(الكامل)

وأول الثانية

نسخت غرائب مدحك التشبيبا ... وكفى بها غزلا لنا ونسيبا

(الكامل)

فكتبت اليه :

لئن سترتك الجدر عنا فربما ... رأينا جلابيب السحاب على الشمس

(الطويل)

وردتني مولاي فاخذت في تقبيلها وارتشافها ، قبل التأمل لمحاسنها واستشفافها،حتى كأني ظفرت بيد مصدرها ، وتمكنت من أنامل كاتبها ومسطرها ، ووقفت على ما تضمنته من الفضل الباهر، وما أودعتها من الجواهر التي قذف بها فيض الخاطر . فرأيت ما قيد فكري وطرفي ، وجل عن مقابلة تقريظي ووصفي . وجعلت أجدد تلاوتها مستفيداً ، واردها مبتدئاً فيها ومعيداً .

نكرر طوراً من قراة فصوله ... فان نحن أتممنا قراءته عدنا

اذا ما نشرناه فكالمسك نشره ونطويه لا طي السآمة بل ضنا

(الطويل)

فاما ما اشتملت عليه من الرضا بحكم الدهر ضروره ، وكون ما اتفق له عارض بتحقق ذهابه ومروره ، ثقة بعواطف السلطان ، خلد الله أيامه ومراحمه ، وسكونا الى ما جبلت النفوس عليه من معرفة فواضله ومكارمه . فهذا قول مثله ممن طهر الله نيته . وحفظ دينه ، ونزه عن الشكوك ضميره ويقينه ، ووفقه بلطفه لاعتقاد الخير واستشعاره، وصانه عما يؤدي الى عاب الاثم وعاره .

لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
صبراً فان اليوم يتبعه غد ويد الخلافة لا تطاولها يـد

(الكامل)

وأما ما اشار اليه من ان الذي مني به تمحيص أوزار سبقت ، وتنقيص ذنوب اتفقت ، فقـد حاشاه الله من الدنايا،وبرأه من الآثام والخطايا.بل ذاك اختبار لتوكله وثقته، وابتلاء لصيره[1] وسريرته كما يبتلى المؤمنون الاتقياء ، ويمتحن الصالحون والاولياء . والله تعالى يدبره بحسن تدبيره ، ويقضي له بما الحظ في تسهيله وتيسيره ، بكرمه . وقد اجتمعت بفلان فاعلمني انه تحت وعد أداه الاجتهاد الى تحصيله واحرازه ، ووثق من المكارم الفائضة بالوفاء به وانجازه ، وانـــه ينتظر فرصة في التذكار ينتهزها ويغتنمها ، ويرتقب فرجة للخطاب يتولجها ويقتحمها. والله تعالى يعينه على ما يضمر من ذلك وينويه ، ويوفقه فيما يحاوله ويبغيه .

وأما القصيدتان اللتان أتحفني بهما فما عرفت أحسن منهما مطلعا ، ولا أجود منصرفاً ومقطعاً، ولا أملك للقلوب والاسماع ، ولا أجمع للاغراب والابداع ، ولا أكمل في فصاحة الالفاظ وتمكن القوافي، ولا اكثر تناسبا على كثرة ما في الاشعار من التباين والتنافي . ووجدتهما تزدادان حسناً على التكرير والترديد ، وتفاءلت فيهما بترتيب قصيدة الاطلاق بعد قصيدة التقييد . والله ، عز وجل ، يحقق رجائي في ذلك وأملي ، ويقرب ما أتوقعه فمعظم السعادة فيه لي ، انشاء الله .

أقول : وكانت وفاة أبي الصلت رحمه الله يوم الاثنين مستهل محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة بالمهدية [2] ، ودفن في المنستير [3] ، وقال عند موته ابياتاً وأمر ان تنقش على قبره وهي :

سكنتك يا دار الفناء مصدقاً باني الى دار البقـــاء أصير
وأعظم ما في الامر اني صائر الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها وزادي قليل والذنوب كثير

(١) الصير : منتهى الامر وعاقبته .
(٢) مدينة في القيروان انشأها المهدي عبيد الله سنة ٩٢١
(٣) اسم بلدة في تونس الغرب كان فيها دير للمسيحيين . ومنه سميت البلدة .

«ن.ر»

فان أك مجزياً بذنبي فانني | بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عني ورحمة | فثم نعيم دائم وسرور

(الطويل)

ولما كان ابو الصلت أمية بن عبد العزيز قد توجه الى الاندلس ، قال ظافر الحداد الاسكندري وانفذها الى المهدية الى الشيخ أبي الصلت من مصر يذكر شوقه اليه ، وايام اجتماعها بالاسكندرية :

ألا هل لدائي من فراقك افراق[1] | هو السم لكن في لقائك درياق
فيا شمس فضل غربت ولضوئها | على كل قطر بالمشارق اشراق
سقى العهد عهدا منك عمر عهده | بقلبي عهد لا يضيع وميثاق
يجدده ذكر يطيب كما شدت | وريقاء كنتها[2] من الايك اوراق
لك الخلق الجزل الرفيع طرازه | وأكثر اخلاق الخليقة اخلاق[3]
لقد ضاءلتني يا ابا الصلت مذ نأت | ديارك عن داري هموم واشواق
اذا عزني اطفاؤهـا بمدامعي | جرت ولها ما بين جفني احراق
سحائب يحدوهـا زفير تجره | خلال التراقي[4] والترائب[5] تشهاق
وقد كان لي كنز مع الصبر واسع | فلي منه في صعب النوائب انفاق
وسيف اذا جردت بعض غراره | لجيش خطوب صدها منه ارهاق
إلى ان ابان البين ان غراره | غرور وان الكنز فقر واملاق
اخي سيدي مولاي دعوة من صفا | وليس له من رق ودك اعتاق
لئن بعدت ما بيننا شقة النوى | ومطرد طامي الغوارب خفاق
وبيد اذا كلفتها العيس قصرت | طلائح[6] انضاها ذميل[7] واعناق[8]
فعندي لك الود الملازم مثل ما | يلازم اعناق الحمائم اطواق
ألا هل لايامي بك الغر عودة | كعهدي وثغر الثغر أشنب براق
ليالي يدنينا جواب أعادنا | من القرب كالصنوين ضمها ساق
وما بيننا من حسن حفظك روضة | بها حسدت منا المسامع احداق
حديث حديث كلما طال موجز | مفيد الى قلب المحدث سباق
يزجيه بحر من علومك زاخر | له كل بحر فائض اللج رقراق

---

(١) برء وإفاقة .
(٢) سترتها . (٣) البالي .
(٤) جمع ترقوة وهي مقدم الحلق في اعلى الصدر حيث يترقى فيه النفس ، او هو العظم الذي في اعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق .
(٥) واحدها تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .
(٦) متعبة معياة (٧) السير اللين (٨) السير السريع (ن ر)

معـان كاطواد الشوامخ جزلة — تضمنها عذب من اللفظ غيداق [1]
به حِكَمٌ مستنبطات غرائب — لابكارهـا الغر الفلاسف عشاق
فلو عاش رسطاليس كان له بها — غرام وقلب دائم الفكر تواق
فيا واحد الفضل الذي العلم قوته — وأهلوه مشتـاق بشم وذواق
لئن قصرت كتبي فلا غرو انه — لعائق عذر والمقـادير اوهاق [2]
كتبت وآفات البحار تردهـا — فان لم يكن رد علي فاغراق
بحـار باحكام الرياح فانهـا — مفاتيح في أبوابهن وأغـلاق
ومن لي ان أحظى اليك بنظرة — فيسكن مقلاك [3] ويرقا مهراق [4]

(الطويل)

ومن شعر ابي الصلت امية بن عبد العزيز قال يمدح ابا الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس [5] ويذكر وصول ملك الروم بالهدايا راغباً في ترك الغزو وذلك في سنة خمس وخمسمائة :

يهاديك من لو شئت كان هو المهدى — والا فضمنـه المثقفة [6] الملدا [7]
وكل سريجي [8] اذا ابتز غمده — تعوض من هام الكماة له غمدا
تخير فردا في ظبا الهنـد شأنه — اذا شيم يوم الروع ان يزوج الفردا
ظبا [9] ألفت غلب الرقاب وصالها — كما ألفت منهن أغمادهـا الصدا
تركت بقسطنطينة رب ملكهـا — وللرعب ما أخفاه منه وما أبدى
سددت عليه مغرب الشمس بالظبا — فود حذارا منك لو جاوز السدا
وبالرغم منه مـا اطاعك مبديا — لك الحب في هذي الرسائل والودا
لانك ان اوعدته [10] أو وعدتـه — وفيت ولم تخلف وعيداً ولا وعدا
اجل ،واذا ما شئت جردت نحوه — جحاجحة [11] شيباً وصبيانة مردا
يردون اطراف الرمـاح دواميا — يخلن على ايـديهم مقلا رمدا
فدتك ملوك الارض ابعدها مدى — وارفعها قدراً واقدمها مجـدا

---

(١) الغزير .
(٢) جمع وهق وهو حبل في طرفه انشوطة يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ .
(٣) كنى به عن قلبه (٤) كنى به عن مدمعه .
(٥) من بني زيري ملوك غرناطة .
(٦) الرماح (٧) الناعمة اللينة .
(٨) السيوف المنسوبة الى رجل اسمه سريج كان ماهراً بصنعها .
(٩) حد السيف والسنان « ن.ر ».
(١٠) هددته .
(١١) الاسياد المسارعون الى المكارم .

اذا كلفوا بالطرف ادعج ساجياً كلفت بجب الطرف عبل[1] الشوى[2] نهدا
وكل اضاة[3] احكم القين[4] نسجها فضاعف في اثنائها الحلق السردا
واسمر عسال[5] وابيض صارم يعنق ذا قداً ويلثم ذا خدا
محاسن لو ان الليالي حليت بايسرها لابيض منهن ما اسودا
فمُرْ بالذي تختاره الدهر يمتثل لامرك حكماً لا يطيق له ردا

(الطويل)

وقال ايضاً ورفعها الى الافضل[6] يذكر تجريده العساكر الى الشام لمحاربة الفرنج بعد انهزام عسكره في الموضع المعروف بالبصه [7] ، وكان قد اتفق في اثناء ذلك التاريخ ان قوماً من الاجناد وغيرهم ارادوا الفتك به فوقع على خبرهم فقبض عليهم وقتلهم .

هي العزائم من انصارها القدر وهي الكتائب من أشياعها الظفر
جردت للدين والاسياف مغمدة سيفاً تفل به الاحداث والغير
وقمت اذ قعد الاملاك كلهم تذب عنه وتحميه وتنتصر
بالبيض تسقط فوق البيض انجمهم والسمر تحت ظلال النقع تشتجر
بيض اذا خطبت بالنصر السنها فمن منابرها الاكباد والقصر [8]
وذبل من رماح الخط مشرعة في طولهن لاعمار العدا قصر
يغشى بها غمرات الموت اسد شرى من الكماة اذا ما استنجدوا ابتدروا
مستلئمين [9] اذا سلوا سيوفهم شبهتها خلجاً[10] مدت بها غدر[11]
قوم تصول ببيض الهند اذرعهم فما يضر ظباها انها بتر
اذا انتضوها وذيل النقع فوقهم كالشمس طالعة والليل معتكر
ترتاح انفسهم نحو الوغى طرباً كأنما الدم راح والظبا زهر
وان هم نكصوا يوماً فلا عجب قد يكهم[12] السيف وهو الصارم الذكر

(١) ضخم .
(٢) العيدان والرجلان والاطراف .
(٣) كنى بها عن الدرع .
(٤) الحداد .
(٥) الرمح الشديد الاهتزاز .
(٦) هو وزير الدولة الفاطمية وامير جيوشها .
(٧) موقع قرب الناقورة على حدود فلسطين .
(٨) واحدها قصرة وهي اصل الرقبة .
(٩) متدرعين .
(١٠) جمع خليج .
(١١) جمع غدير « ن. ر »
(١٢) كل .

العود احمد والايام ضامنة ... عقبى النجاح ووعد الله ينتظر
وربما ساءت الاقدار ثم جرت ... بما يسرك ساعات لها أخر
الله زان بك الايام من ملك ... لك الحجول من الايام والغرر
لله بأسك والالباب طائشة ... والخيل تردى ونار الحرب تستعر
وللعجاج على صم القنا ظلل ... هي الدخان واطراف القنا شرر
اذ يرجع السيف يبدي خده علقاً ... كصفحة البكر أدمى خدها الخفر
واذ تسد مسد السيف منفرداً ... ولا يصدك لا جبن ولا خور
أما يهولك ما لاقيت من عدد ... سيان عندك قل القوم أو كثروا
هي السماحة إلا انها شرف ... هي الشجاعة الا انها غرر
الله في الدين والدنيا فما لهما ... سواك كهف ولا ركن ولا وزر
ورام كيدك اقوام وما علموا ... أن المنى خطرات بعضها خطر
هيهات أين من العيوق[1] طالبه ... لو كان سدد منه الفكر والنظر
ان الاسود لتأبى أن يروعها ... وسط العرين ظباء الربرب[2] العفر
أمر نووه ولو هموا به وقفوا ... كوقفة العير لا ورد ولا صدر
فاضرب بسيفك من ناواك منتقما ... ان السيوف لاهل البغي تدخر
ما كل حين ترى الاملاك صافحة ... عن الجرائر تعفو حين تقتدر
ومن ذوي البغي من لا يستهان به ... وفي الذنوب ذنوب ليس تغتفر
ان الرماح غصون يستظل بها ... وما لهن سوى هام العدى ثمر
وليس يصبح شمل الملك منتظما ... الا بحيث ترى الهامات تنتثر
والرأي رأيك فيما انت فاعله ... وأنت أدرى بما تأتي وما تذر
أضحى شهنشاه غيثاً للندى غدقاً ... كل البلاد الى سقياه تفتقر
الطاعن الالف الا انها نسق[3] ... والواهب الالف الا انها بدر[4]
ملك تبوأ فوق النجم مقعده ... فكيف تطمع في غاياته البشر
يرجى نداه ويخشى عند سطوته ... كالدهر يوجد فيه النفع والضرر
ولا سمعت ولا حدثت عن أحد ... من قبله يهب الدنيا ويعتمر
ولا بصرت بشمس قبل غرته ... اذا تجلى سناها أغدق المطر
يا ايها الملك السامي الذي ابتهجت ... به الليالي وقر البدو والحضر
جاءتك من كلم الحاكي محبرة ... تطوى لبهجتها الابراد والحبر

---

(١) نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها .
(٢) القطيع من بقر الوحش .
(٣) ما كان على طريقة نظام واحد .
(٤) جمع بدرة وهي في الاصل جلد السخلة اذا فطم وسمي بها الكيس الذي فيه عشرة آلاف درهم .

هي اللآلىء الا ان ناظمها طي الضمير ومن غواصها الفكر
تبقى وتذهب اشعـــار ملفقة أولى بقائلها من قوله الحصر
ولم اطلهـــا لاني جد معترف بان كل مطيل فيـه مختصر
بقيت للدين والدنيا ولا عدمت أجياد تلك المعالي هـذه الدرر

البسيط

وقال أيضاً :

ومهفهف شركت محاسن وجهه ما مجه في الكاس من إبريقه
ففعالها من مقلتيه ، ولونهـــا من وجنتيه ، وطعمها من ريقه

الكامل

وقال أيضاً يصف الثريا :

رأيت الثريا لهـــا حالتان منظرها فيهـــما معجب
لهـــا عند مشرقهـــا صورة يريك مخالفهـــا المغرب
فتطلع كالكاس اذ تستحث وتغرب كالكاس اذ يشرب

المتقارب

وقال في الموضع المعروف ببركة الحبش بمصر :

لله يومي ببركة الحبش والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب كالسيف سلته كف مرتعش
ونحـــن في روضة مفوفـــة دبـــج بالنور عطفهـــا ووشي
قد نسجتها يـــد الربيـــع لنـــا فنحن من نسجهـــا على فرش
وأثقـــل الناس كلهم رجـــل دعاه داعي الصبا فـلم يطش
فعاطني الراح ان تاركهـــا من سورة [1] الهم غير منتعش
واسقني بالكبـــار مترعة فتلك أروى لشدة العطش

المنسرح

وقال ايضاً :

عجبت من طرفك في ضعفه كيف يصيد البطـــل الاصيدا
يفعل فيـــنا وهو في جفنه ما يفعل السيف اذا جردا

السريع

(١) حدة الهم وسطوته .

وقال ايضاً :

حجبت مسامعه عن العذال　　فابى فليس عن الغرام بسالي
ويح المتيم لا يزال معذباً　　بخفوق برق او طروق خيـال
واذا البلابل بالعشي تجاوبت　　بعثت باضلعه جوى البلبـال
وارحمتا لمعذب يشكو الجوى　　بنعم يشكو فراغ البـال
نشوان من خمرين خمر زجاجة　　عبثت بمقلته وخمر دلال
كالريم إلا أن هـذا عاطل　　أبداً وذا في كل حال حـالي
لا يستفيق وهل يفيق بحـالة　　من ريق فيه سلافة الجريال [1]
عَلِمَ العدو بما لقيت فرق لي　　ورأى الحسود بليتي فرثى لي
يامن برى جسمي بطول صدوده　　ألا سمحت ولو بوعد وصال
قد كنت أطمع منك لو عاقبتني　　بصدود عتب لا صدود ملال
الكامل

وقال يصف فرساً أشهب :

وأشهب كالشهاب اضحى　　يجول في مذهب الجـلال
قال حسودي وقد رآه　　يجنب خلفي الى القتـال
من ألجم الصبح بالـثريا　　وأسرج البرق بالهـلال
البسيط

وقال أيضاً :

تقريب ذي الامر لاهل النهى　　افضل ما ساس بـه أمره
هذا بـه أولى ومـا ضره　　تقريب أهل اللهـو في الندره
عطارد [2] في جـل أوقاته　　أدنى الى الشمس مـن الزهره[3]
(السريـع)

وقال ايضاً :

بي من بـني الاصفر ريم رمى　　قلـبي بسهم الحور الصائب
سهـم من اللحظ رمتني بـه　　عـن كثب قوس من الحاجب
كانمـا مقلتيـه في الحشا　　سيف عـلي بن أبي طالب
(السريـع)

---

(١) الخمر .
(٢) نجم من الكواكب السيارة وهو اقربها الى الشمس .
(٣) كوكب من الكواكب السيارة ويعني عند القدماء آلهة الجمال .

وقال ايضاً :

يا موقـــداً بالهجر في اضلعي ناراً بغير الوصل مـــا تنطفي
ان لم يكن وصل فعدني بــه رضيت بالوعـــد وان لم تف

(السريع)

وقال ايضاً :

وليت وردت اليـــك الامور ولم أك منتظـــراً أن تـــلي
وها انا بـــين عدا كلهـــم علـيّ فكن بابي أنت لي

(المتقارب)

ذكرت نواهم لدى قربهـــم فجـــدت بادمعي الهمـــع
فكيف اكون اذا هم نأوا وهـــذا بكائي اذ هم معـــي

(المتقارب)

وقال أيضاً :

اذا ألفيت حراً ذا وفـــاء وكيف بـــه فدونك فاغتنمه
وان آخيت ذا أصـــل خبيث وساءك في الفعال فـــلا تلمه

(الوافر)

وقال ايضاً :

أقول وقد شطت به غربة النوى وللحب سلطـــان على مهجتي فظ
لئن بان عني من كلفت بحبه وشط فما للعين من شخصه حظ
فان له في أسود القلب منزلا تكنفه فيه الرعايـــة والحفظ
أراه بعين الوهم والوهم مدرك معاني شتى ليس يدركها اللحظ

(الطويل)

وقال ايضاً :

وراغب في العـــلوم مجتهـــد لكنـــه في القبـــول جلمود (١)
فهو كذي عنة (٢) به شبق (٣) او مشتهي الاكل وهو ممعود (٤)

(المنسرح)

وقال ايضاً :

تفكر في نقصان مالك دائماً وتغفل عن نقصان جسمك والعمر

---

(١) الصخر .
(٢) الذي لا يقدر على مقارفة النساء .
(٣) شدة الشهوة للنساء .
(٤) المصاب بداء في معدته .

ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية — وخوفك حال الفقر من أعظم الفقر
الم تر ان الدهر جم صروفه — وان ليس من شيء يدوم على الدهر
فكم فرحة فيه أزيلت بترحة — وكم حال عسر فيه آلت الى اليسر
(الطويل)

وقال في البراغيث :

وليلة دائمة الفسوق — بعيدة الممسى من الشروق
كليلة المتيم المشوق — أطال في ظلمائها تشريقي
احب خلق لأذى مخلوق — يرى دمي أشهى من الرحيق
يغب فيه غير مستفيق — لا يترك الصبوح[1] للغبوق[2]
لو بت فوق قمة العيوق[3] — ما عاقه ذلك عن طروقي
كعاشق اسرى الى معشوق — أعلم من بقراط بالعروق
من أكحل منها وباسليق — يفصدها ببضع دقيق
من خطمه المذرب الذليق — فصد الطبيب الحاذق الرقيق
(الزاجر)

وقال أيضاً :

مارست دهري وجربت الانام فلم — أحمدهم قط في جد ولا لعب
وكم تمنيت أن ألقى به احداً — يسلي من الهم أو يعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا — كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت احسبني — أحظى به واذا دائي من السبب
فما مقلم أظفاري سوى قلمي — ولا كتائب اعدائي سوى كتبي
(البسيط)

وقال يصف الاسطرلاب

أفضل ما استُصحب النبيل فلا — تعدل به في المقام والسفر
جرم اذا ما التمست قيمته — جل على التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه — عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة يستبين ما رمقت — عن صائب اللحظ صادق النظر
تحمله وهو حامل فلكا — لو لم يدر بالبنان لم يدر

(١) ما يشرب في الصباح .
(٢) ما يشرب في العشي .
(٣) قمة العيوق وهو نجم يتلو الثريا ويريد به البعد والتنائي .

«ن.ر»

مسكنه الارض وهو ينبئنا عن جل ما في السماء من خبر
أبدعه رب فكرة بعدت في اللطف عن ان تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء له من كل ذي فطنة من البشر
فهو لذي اللب شاهد عجب على اختلاف العقول والفطر
وأن هذي الجسوم بائنة بقدر ما أعطيت من الصور

(المنسرح)

وقال في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها تثير غماماً في الندي من الند
ولم أر ناراً كلما شب جمرها رأيت الندامى منه في جنة الخلد

(الطويل) :

وقال أيضاً

قامت تدير المدام كفاها شمس ينير الدجى محياها
ان أقبلت فالقضيب قامتها أو أدبرت فالكثيب ردفاها
للمسك ما فاح من مراشفها والبرق ما لاح من ثناياها
غزالة أخملت سميتها فلم تشبه بها وحاشاها
هبك لها حسنها وبهجتها فهل لها جيدها وعيناها

(المنسرح)

قال وقد باع داره من رجل اسود :

حكم الزمان ببيع داري ظالما وأعادها ملكاً لألأم مشتري
يا بؤس ما صنع الزمان بمنزل أمسى به زحل [1] بديل المشتري [2]

(الكامل) :

وقال ايضاً :

خلط الصبا ماء الشباب بناره من ورد وجنته وآس [3] عذاره

---

(١) كوكب تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد ، واما هنا فقد اراد التورية فهي من رجل زحل : يتنحى عن العمل حسناً كان او قبحاً .
(٢) كوكب من الكواكب السيارة .
(٣) شجر يعرف بالريحان .

صنم حوى بدع الجمال بأسرها | ليحوز قلبي في وثاق إساره
البدر في أزراره ، والغصن في | زناره ، والحِقف [1] ملء ازاره

(الكامل)

وقال أيضاً :

من تقبل الدنيا عليه فانها | تثني محاسن غيره من لبسه
وكذاك مهما أدبرت عن فاضل | سلبته ظالمة محاسن نفسه

(الكامل) :

وقال أيضاً :

لا تقعدن بكسر البيت مكتئباً | يفنى زمانك بين اليأس والامل
واحتل لنفسك في رزق تعيش به | فان اكثر عيش الناس بالحيل
ولا تقل ان رزقي سوف يدركني | وان قعدت فليس الرزق كالاجل

(البسيط) :

وقال أيضاً :

لا ترج في أمرك سعد المشتري | ولا تخف في فوته نحس زحل
وارج وخف ربها فهو الذي | ما شاء من خير ومن شر فعل

(الرجز) :

وقال ايضاً :

لا تعتبوني على أن لا أزوركم | وقد تمنعتم عني بحجّاب
اني من القوم يحلو الموت عندهم | دون الوقوف لمخلوق على باب

(البسيط)

وقال في طبيب اسمه شعبان :

يا طبيباً ضجر العا | لم منه وتبرم
فيك شهران من العا | م اذا العام تصرم
أنت شعبان ولكن | قتلك الناس محرم

(الرمل)

وقال في وقت شدة :

يقولون لي صبراً واني لصابر | على نائبات الدهر وهي فواجع
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى | وإن أنا لم اصبر فما أنا صانع

(الطويل)

وقال في الزهد :

---

(١) ما اعوج من الرمل واستطال .

مــا أغفل المرء وألهاه | يعصي ولا يذكر مولاه
يأمر بالغي شيطــانه | والعقل لو يرشد ينهـاه
غرته دنيـاه فلم يستفق | من سكرها يوماً لاخراه
يا ويحه المسكين يا ويحه | ان لم يكن يرحمه الله

(السريع)

وقال ايضاً :

ساد صغار الناس في عصرنا | لا دام من عصر ولا كانا
كالدست[1] مهما هم ان ينقضي | عاد به البيدق [2] فرزانا [3]

(السريع)

وقال ايضاً :

يا مفـرداً بالغنج والشكل | من دل عينيـــك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره | والشمس مـن نورك تستملي

(السريع)

وقال وقد رأى أمرد جميلا قام من موضع وجاء أسود قعد في مكانه :

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم | فقد صرت اشقى بعدما كنت انعم
وما هي الا الشمس حان افولها | وأعقبهـا قطع من الليل مظلم

(الطويل)

وقال ايضاً :

وقائلة ما بال مثلك خامـــلا | أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
فقلت لهـا ذنبي الى القوم أنني | لما لم يحوزوه من المجـــد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده | وأمـا المعـــالي فهي في غرائز

(الطويل)

ولابي الصلت أمية بن عبد العزيز من الكتب : الرسالة المصرية ، ذكر فيها ما رآه في ديار مصر من هيئتها وآثارها ، ومن اجتمع بهم فيها من الأطبـــاء والمنجمين والشعراء وغيرهم من أهل الأدب ؛ وألف هذه الرسالة لابي الطـــاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس . كتاب الادوية المفردة على ترتيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء والآلية ، وهو مختصر قد رتبه احسن ترتيب . كتاب الانتصـار لحنين بن اسحق على ابن رضوان في تتبعه لمسائل حنين . كتاب حديقة الادب . كتاب الملح العصرية من شعراء

---

(١) قالوا هو حسن الدست اي شطرنجي حاذق وكنى به عن الشطرنج نفسه .

(٢) هكذا وردت في الاصل والصحيح هي البيذق وهو من العسكر الرجالة وهنا يعني به بيذق الشطرنج وهو المعروف بالعسكري .

(٣) ما يسمى الملكة في لعبة الشطرنج . « ن.ر »

اهل الاندلس والطارئين عليها . ديوان شعره . رسالة في الموسيقى . كتاب في الهندسة . رسالة في العمل بالاسطرلاب . كتاب تقويم منطق الذهن .

ابن باجة

هو ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، ويعرف بابن باجة ، من الأندلس . وكان في العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه . وبلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام ، وقصدوا هلاكه مرات وسلمه الله منهم . وكان متميزاً في العربية والأدب حافظاً للقرآن . ويعد من الافاضل في صناعة الطب . وكان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود . وقال ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام ، في صدر المجموع الذف نقله من اقاويل ابي بكر محمد بن الصائغ بن باجة ما هذا مثاله : هـذا مجموع ما قيد من اقوال ابي بكر بن الصائغ رحمه الله في العلوم الفلسفية . وكان ذا ثقابة الذهن . ولطف الغوص على تلك المعاني الشريفة الدقيقة اعجوبة دهره ، ونادرة الفلك في زمانه . فان هذه الكتب كانت متداولة بالاندلس ، من زمان الحكم مستجلبها ، ومستجلب غرائب ما صنف بالمشرق ، ونقل من كتب الاوائل وغيرها ، نصر الله وجهه ، وتردد النظر فيها ، فما انتهج فيها الناظر قبله سبيلاً ، وما تقيد عنهم فيها إلا ضلالات وتبديل ، كما تبدد عن ابن حزم الاشبيلي[1] وكان من أجل نظار زمانه وأكثرهم لمن تقدم على اثبات شيء من خواطره . وكان احسن منه نظراً وأثقب لنفسه تمييزاً . وانما انتهجت سبل النظر في هذه العلوم بهذا الحبر وبمالك بن وهيب الاشبيلي ، فانهما كانا متعاصرين ، غير ان مالك لم يقيد عنه الا قليل نزر في أول الصناعة الذهنية ؛ واضرب الرجل عن النظر ظاهراً في هذه العلوم، وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه لسببها ، ولقصده الغلبة في جميع محاوراته في فوز المعارف . وأقبل على العلوم الشرعية فرأس فيها او زاحم ذلك ، لكنه لم يلوح على اقواله ضياء هذه المعارف ، ولا قيد فيها باطناً شيئاً الفى بعد موته . وأما ابو بكر فنهضت به فطرته الفائقة، ولم يدع النظر والتنتيج والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته في نفسه على أطوار أحواله، وكيفما تصرف به زمنه، وأثبتت في الصناعة الذهنية في أجزاء العلم الطبيعي ما يدل على حصول هاتين الصناعتين في نفسه صورة ينطق عنها ، ويفصل ويركب فيها فعل المستولي على أمدها .

وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفن . واما العلم الالهي فلم يوجد في تعاليقه شيء مخصوص به اختصاصاً تاماً الا نزعات تستقرأ من قوله في رسالة الوداع ، واتصال الانسان بالعقل الفعال ، واشارات مبددة في أثناء أقاويله لكنها في غاية القوة ، والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف الذي هو غاية العلوم ومنتهاها ، وكل ما قبله من المعارف فهو من أجله وتوطئة له . ومن المستحيل ان ينزع في التوطئات وتنفصل له أنواع الوجود على كمالها ، ويكون مقصراً في العلم الذي هو

(١) فقيه وطبيب وشاعر وفيلسوف ومؤرخ غربي ولد في قرطبة (٩٩٤ — ١٠٦٤) تولى الوزارة ثم اعتزل وانصرف للتأليف . (ن . ر)

الغاية ، واليـه كان التشوق بالطبع لكل ذي فطرة بارعه ، وذي موهبة إلهية ترقيه عن أهل عصره، وتخرجه من الظلمات الى النور . كما كان ، رحمه الله ، وقد صدرنا هذا المجموع بقول له في الغاية الانسانية ، على نهاية من الوجازة ، تعرب عما أشرنا اليه من ادراكه في العلم الالهي . وفيما قبله من العلوم الموطئة له. وعسى انه قد علق فيه ما لم يعثر عليه، ويشبه انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي[1] مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فانه اذا قارنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي[2] ، وهما اللذان فتح عليهما بعد ابي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ، ودونا فيها ، بان لك الرجحان في اقاويله . وفي حسن فهمه لاقاويل ارسطو . والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم بارع الحكمة عن يقين تمتاز به اقاويلهم ، ويتواردون فيها مع السلف الكريم .

أقول : وكان هذا أبو الحسن علي بن الامام من غرناطة ، وكان كاتباً فاضلاً متميزاً في العلوم ، وصحب ابا بكر بن باجة مدة واشتغل عليه . وسافر أبو الحسن علي بن الامام من المغرب ، وتوفي بقوص[3] . وكان من جملة تلاميذ ابن باجة أيضاً القاضي أبو الوليد محمد بن رشد[4] . وتوفي ابن باجة شاباً بمدينة فاس[5] ودفن بها . واخبرني القاضي أبو مروان الاشبيلي انه رأى قبر ابن باجة ، وقريباً من قبره قبر أبي بكر بن العربي الفقيه ، صاحب التصانيف .

ومن كلام ابن باجة قال : الاشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل لا يضيع تذكرها . وقال : حسن عملك تفز بخير من الله سبحانه .

ولابن باجة من الكتب : شرح كتاب السمع الطبيعي لارسطوطاليس، قول على بعض كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس،قول على بعض كتاب الكون والفساد لارسطوطاليس . قول على بعض المقالات الاخيرة من كتاب الحيوان لارسطوطاليس . كلام على بعض كتاب النبات لارسطوطاليس . قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته ، وابتدأ ان يعطي أسباب البرهان وحقيقته . رسالة الوداع . قول يتلو رسالة الوداع . كتاب اتصال العقل بالانسان . قول على القوة النزوعيـة . فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالانسان . كتاب تدبير المتوحد . كتاب النفس . تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية . فصول قليلة في السياسة المدنية ، وكيفية المدن وحال المتوحد فيها . نبذ يسيرة على الهندسة والهيئة . رسالة كتب بها الى صديقه أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه الى مصر . تعاليق حكمية وجدت متفرقة . جوابه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه . كلام على شيء من كتاب الادوية المفردة لجالينوس . كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد ، واشترك في تأليف هذا

---

(١) ولد في فاراب وتوفي في دمشق «٨٧٣ – ٩٥٠» من اعظم فلاسفة العرب لقب بالمعلم الثاني .

(٢) ابو حامد الغزالي مفكر من اعظم فلاسفة العرب ولد في طوس «١٠٥٩ – ١١١١ انصرف الى الحياة الصوفية بعد ان علم في المدرسة النظامية في بغداد .

(٣) مدينة في صعيد مصر انجبت عدة علماء .

(٤) فيلسوف وطبيب عربي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ١١٢٦ – ١١٩٨ ولي القضاء في قرطبة ومن أهم آرائه قدم العالم ، ووحدة العقل الفعال المشترك بين الكل .

(٥) احدى المدن السلطانية الاربع في المغرب وعاصمة الشمال كانت مركزا ثقافيا ودينيا خطيرا في القرن العاشر .

الكتاب أبو بكر بن باجه ، وابو الحسن سفيان . كتاب اختصار الحاوي للرازي . كلام في الغاية الانسانية كلام في الامور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعال . كلام في الاسم والمسمى . كلام في البرهان . كلام في الاسطقسات . كلام في الفحص عن النفس النزوعية وكيف هي ولم تنزع وبماذا تنزع. كلام في المزاج بما هو طبي .

ابو مروان بن زهر

هو أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الآيادي الأشبيلي ، كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً باعمالها مشهوراً بالحذق ، وكان والده الفقيه محمد من جملة الفقهاء والمتميزين في علم الحديث باشبيليه . وقال القاضي صاعد ان أبا مروان بن زهر رحل الى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمناً طويلاً . ثم رجع الى الاندلس وقصد مدينة دانية . وكان ملكها في ذلك الوقت مجاهداً. فلما وصل أبو مروان بن زهر اليه أكرمه اكراما كثيرا ، وامره أن يقيم عنده ففعل وحظي في أيامه ، واشتهر في دانية بالتقدم في صناعة الطب ، وطار ذكره منها الى اقطار الاندلس . وله في الطب آراء شاذة منها منعه من الحمام ، واعتقاده فيه انه يعفن الاجسام ، ويفسد الامزجة قال : هذا رأي يخالفه فيه الاوائل والأواخر ، ويشهد بخطئه الخواص والعوام بل اذا استعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي يكون رياضة فاضلة ، ومهنة نافعة لتفتيحه المسام وتطريقه وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات .

اقول : وانتقل ابو مروان بن زهر من دانية الى مدينة اشبيلية ، ولم يزل بها الى ان توفي وخلف اموالا جزيلة ، وكان غني اشبيلية محط انظارها في الرباع والضياع .

ابو العلاء بن زهر

هو أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبدالملك بن محمد بن مروان ، مشهور بالحذق والمعرفة ، وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها . وكانت له نوادر في مداواته المرضى ومعرفته لاحوالهم ، وما يجدونه من الآلام من غير أن يستخبرهم عن ذلك بل بنظره الى قواريرهم ، او عندما يجس نبضهم . وكان في دولة الملثمين [1] ، ويعرفون ايضاً بالمرابطين وحظي في ايامهم ، ونال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل . وكان قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في ايام المعتضد بالله ابي عمرو عباد بن عباد [2] . واشتغل ايضاً بعلم الادب ، وهو حسن التصنيف جيد التأليف . وفي زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا الى المغرب ، وقال ابن جميع المصري في « كتاب التصريح

---

(١) اسم يطلق على قبائل الصنهاجة في افريقيا الشمالية الغربية .كان رجالهم يضعون اللثام على وجوههم . والسلالة الملكية التي ترتكز عليهم هي المرابطون . فتحت المغرب وبسطت سلطانها على الاندلس مؤسسها يحيى بن ابراهيم الجدلي واشهر ملوكها يوسف بن تاشفين

(٢) صاحب اشبيلية واعمالها خلف والده في الحكم واستبد وكان معه وزراء فافناهم. حارب البربر وظفر بهم «ن٠ر»

بالمكنون في تنقيح القانون » ، ان رجلاً من التجار جُلب من العراق الى الاندلس نسخة من هـذا الكتاب ، قد بولغ في تحسينها فاتحف بها لابي العلاء بن زهر تقرباً اليه ، ولم يكن هذا الكتاب وقع اليه قبل ذلك فلما تأمله ذمه واطرحه ، ولم يدخله خزانة كتبه ، وجعل يقطع من طرره [1] مـا يكتب فيـه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى وقـال ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم ابن اليسع في كـتاب « المغرب عن محاسن اهـل المغرب » ؛ ان ابا العلاء بن زهر كان مع صفر سنه تصرخ النجـابة بذكره ، وتخطب المعـارف بشكره . ولم يزل يطـالع كتب الاوائل متفهما ، ويلقى الشيوخ مستعلماً ، والسعد ينهج له مناهج التيسير ، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسير ، حتى برز في الطب الى غاية عجز الطب عن مرامها ، وضعف الفهم عن ابرامها وخرجت عن قانون الصناعة الى ضروب من الشناعة ؛ يخبر فيصيب ، ويضرب في كل ما ينتحله من التعاليم باوفى نصيب ، ويشعر سابق مدى ، ويغبر في وجوه الفضلاء علماً ومحتدا ، ويفوق الجـلة سماحة وندى ، لولا بذاء لسان ، وعجلة انسان . واي الرجال تكمل خصاله ، وتتناسب اوصاله ؟

ونقلت من خط محمد بن احمد بن صالح العبدي ، وهو من اهل المغرب ، وله نظر وعناية بصناعة الطب . قال ابو العيناء المصري ، وهو شيخ ابو العلاء بن زهر ، ومن قبله انصرف من بغداد وحكايته معه طويلة ، قال : اخبرني بهـذا الشيخ الطبيب ابو القاسم هشام بن اسماعيل بن محمد بن احمد بن صاحب الصلاة بداره باشبيلية حرسها الله .

اقول : وكان من جملة تلاميذ ابي العلاء بن زهر في الطب ابو عامر بن ينق الشاطبي الشاعر .وتوفي ابو العلاء بن زهر في سنة [*] ودفن باشبيلية خارج باب الفتح .

ومن شعر ابي العلاء بن زهر ، قال في التغزل :

يا من كلفت به وذلت عزتي	لغرامـه وهو العزيز القاهر
رمت التصبر عندما ألقى الجفا	ويقول ذاك الحسن مالك ناصر
ما الجاه الا جاه من ملك القوى	واطاعه قلب عزيز قـادر

الكامل

وقال ايضاً :

يا راشقي بسهام ما لها غرض	الا الفؤاد وما لها منه عوض
وممرضي بجفون حشوها سقم	صحّت ومن طبعها التمريض والمرض
أمنن ولو بخيال منك يطرقني	فقد يسد مسد الجوهر العرض

البسيط

وقال في ابن منظور قاضي قضاة اشبيلية ، وقد وصله عنه انه قال : ايمرض ابن زهر ؟ على

(١) حاشيته .

(*) بياض بالاصل .

جهة الاستهزاء .

قالوا ابن منظور تعجب دائبا ... إني مرضت فقلت يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دهره ... فمن الفقيه المرتضى اكل الرشا

الكامل

وقال ايضاً :

سمعت بوصف الناس هنداً فلم ازل ... اخا صبوة حتى نظرت الى هند
فلما اراني الله هنـــداً وزيهـا ... تمنيت ان ازداد بعداً على بعد

الطويل

ولابي العلاء ابن زهر من الكتب : كتاب الخواص ، كتاب الادوية المفردة ، كتاب الايضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق في كتاب المدخل الى الطب . كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس ، مجربات ، مقـــالة في الرد على ابي علي بن سينا في مواضع من كتابه الادوية المفردة ، ألفها لابنه ابي مروان . كتاب النكت الطبية ، كتب بها الى ابنه ابي مروان . مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن اسحق النكدي في تركيب الادوية ، وامثـلة ذلك نسخ له ومجربات امر بجمعها علي بن يوسف بن تاشفين بعد موت ابي العلاء . فجمعت بمراكش ، وبسائر بلاد العدوة والاندلس ، وانتسخت في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وخمسمائة .

ابو مروان بن ابي العلاء بن زهر

هو ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء ، زهر بن ابي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر ، لحق بابيه في صنــــاعة الطب ، وكان جيد الاستقصاء في الادوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، قد ذاع ذكره في الاندلس وفي غيرها من البلاد ، واشتغل الاطباء بمصنفاته . ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة اعمال صناعة الطب . وله حكايات كثيرة في تأتيه لمعرفة الامراض ومداواتها مما لم يسبقه احد من الاطباء الى مثل ذلك . وكان قد خدم الملثمين، ونال من جهتهم من النعم والاموال شيئاً كثيراً . وفي الوقت الذي كان فيه ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر دخل المهدي الى الأندلس وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت[1] ومعه عبد المؤمن[2] ، وشرع في بث الدعوة لعبد المؤمن ، وتمهيد امره الى ان انتشرت كلمته واتسعت مملكته ، وملك البـــلاد وأطاعه الخلق . وحكاية المهدي في تأتيه الى ان نال الملك وصفا له الأمر معروفة مشهورة . ولمـا استقل عبد المؤمن بالمملكة ، وعرف بامير المؤمنين ، واستولى على خزائن المغرب ، بذل الاموال ، وأظهر العدل، وقرب أهل العلم وأكرمهم ، ووالى احسانه اليهم ، واختص ابا مروان عبد الملك بن زهر لنفسه ، وجعل

(١) مصلح ديني مراكشي يعرف بمهدي الموحدين ، ولد في جبل السوس .
(٢) مؤسس سلالة الموحدين في المغرب ، حمل بالحرب على الاندلس وتوفي في سلا «ن.ر»

اعتماده عليه في الطب ، وأناله من الانعام والعطـــاء فوق امنيته . وكان مكيناً عنده ، عالي القدر ، متميزاً على كثير من ابناء زمانه . وألف له ابو مروان بن زهر الترياق السبعيني ، واختصره عشارياً ، واختصره سباعياً ، ويعرف بترياق الانتلة .

حدثني ابو القاسم المعاجيني الاندلسي ان الخليفة عبد المؤمن احتاج الى شرب دواء مسهل ، وكان يكره شرب الادوية المسهلة فتلطف له ابن زهر في ذلك ، وأتى الى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة ادوية مسهلة بنقعها فيه ، او بغليانهـــا معه . ولما تشربت الكرمة قوة الادوية المسهلة التي ارادها ، وطلع فيها العنب ، وله تلك القوة ، احم الخليفة ، ثم أتاه بعنقود منهـا وأشار عليه ان يأكل منه . وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ، فلما اكل منه وهو ينظر اليه قال له يكفيك يا امير المؤمنين فانك قد اكلت عشر حبات من العنب ، وهي تخدمك عشر مجالس. فاستخبره عن علة ذلك وعرفه به . ثم قام على عدد ما ذكره له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده .

وحدثني الشيخ محيي الدين ابو عبد الله بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي من اهل مرسية ان ابا مروان عبد الملك بن زهر ، كان في وقت مزوره الى دار امير المؤمنين باشبيلية ، يجد في طريقه عند حمام ابي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضـــاً به سوء قنبه[1] ، وقد كبر جوفه ، واصفر لونه فكان أبداً يشكو اليه حاله،ويسأله النظر في امره . فلما كان بعض الأيام سأله مثل ذلك فوقف ابو مروان بن زهر عنده ، ونظر اليه فوجد عند رأسه ابريقاً عتيقاً يشرب منه الماء ، فقال اكسر هذا الابريق فانه سبب مرضك. فقال له لا بالله يا سيدي فاني ما لي غيره، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره فظهر منه لما كسر ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان . فقال له ابن زهر : خلصت يا هذا من المرض انظر ما كنت تشرب . وبرأ الرجل بعد ذلك .

وحدثني القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك اللخمي ثم الباجي قال : حدثني من اثق به انـــه كان باشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب يعرف بالفار ، وله كتاب جيد في الادوية المفردة سفران ، وكان ابو مروان بن زهر كثيراً ما يأكل التين ويميل اليه . وكان الطبيب المعروف بالفار لا يقتذي منه بشيء ، وان اخذ منه شيئاً فيكون واحدة في السنة ، فكان يقول هذا لابي مروان بن زهر انـــه لا بد ان تعرض لك نغلة صعبة بمداومتك اكل التين ، والنغلة هو الدبيلة بلغتهم . وكان ابو مروان يقول له لا بد لك لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئاً من التين ان يصيبك الشنـاج قال : فلم يمت المعروف بالفار الا بعلة التشنج وكذلك ايضاً عرض لابي مروان بن زهر دبيلة في جنبه ، وتوفي بها . وهذا من ابلغ ما يكون من تقدمة الانذار . قال : ولما عرض لابي مروان هذه العلة ، كان يعالجها ويصنع لها مراهم وادوية ، ولم تؤثر نفعاً يعتد به . فكان يقول له ابنه ابو بكر : يا ابي لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني ، ولو زدت من هذا الدواء او استعملت دواء كذا وكذا ، فكان

(١) المعي .

يقول له : يا بني اذا أراد الله تغيير هذه البنية فانه لا يقدر لي ان استعمل من الادوية الا ما يتم به مشيئته وارادته .

اقول : وكان من اجل تلاميذ ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر في صناعة الطب والآخذين عنه: ابو الحسين بن اسدون ، شهر بالمصدوم . وابو بكر بن الفقيه القاضي ابي الحسن قاضي اشبيلية، وابو محمد الشذوني والفقيه الزاهد ابو عمران بن ابي عمران. وتوفي ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر في سنة * وخمسمائة، ودفن باشبيلية خارج باب الفتح .

ولابي مروان بن ابي العلاء بن زهر من الكتب : كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، ألفه للقاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد . كتاب الاغذية الفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي. كتاب الزينة تذكرة الى ولده ابي بكر في امر الدواء المسهل وكيفية اخذه ، وذلك في صغر سنه ، واول سفرة سافرها فناب عن ابيه فيها . مقالة في علل الكلى . رسالة كتب بها الى بعض الاطباء باشبيلية في علتي البرص والبهق . كتاب تذكرة ذكر بها لابنه ابي بكر اول ما تعلق بعلاج الامراض .

الحفيد ابو بكر بن زهر

هو الوزير الحكيم الاديب الحسيب ابو بكر محمد بن ابي مروان بن ابي العلاء بن زهر ، مولده بمدينة اشبيلية ونشأ بها وتميز في العلوم ، واخذ صناعة الطب عن ابيه ، وباشر اعمالها ، وكان معتدل القامة صحيح البنية ، قوي الاعضاء . وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير ، وانما عرض له في اواخر عمره ثقل في السمع . وكان حافظاً للقرآن ، وسمع الحديث ، واشتغل بعلم الادب والعربية ، ولم يكن في زمانه اعلم منه بمعرفة اللغة . ويوصف بانه قد أكمل صناعة الطب والادب ، وعانى عمل الشعر وأجاد فيه . وله موشحات مشهورة ويغني بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك .

وكان ملازماً للامور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محباً للخير . وكان مهيباً وله جرأة في الكلام ، ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب ، وذكره قد شاع واشتهر في اقطار الاندلس وغيرها من البلاد. وحدثني القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك الباجي من اهل اشبيلية قال، قال لي الشيخ الوزير الحكيم ابو بكر بن زهر انه لازم لجدي عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه ، وقرأ عليه كتاب المدونة لسخنون[1] في مذهب مالك ، وقرأ ايضاً عليه مسند ابن ابي شيبة. وحدثني ايضاً القاضي ابو مروان الباجي عن ابي بكر بن زهر انه كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلي، والرطل الذي باشبيلة ستة عشر أوقية ، وكل أوقية عشرة دراهم ، وانه كان

(*) بياض بالاصل .

(١) عبد السلام سخنون (٧٧٦ - ٨٥٦) ولي القضاء بالقيروان. وصنف كتاب «المدونة» في فقه الامام مالك. وعنه انتشر علم مالك بالمغرب

جيد اللعب بالشطرنج جداً ولم يكن في زمانه احد مثله في صناعة الطب ، وخدم الدولتين . وذلك انه لحق دولة الملثمين واستمر في الخدمة مع ابيه في آخر دولتهم . ثم خدم دولة الموحدين[1] وهم بنو عبد المؤمن . وذلك انه كان في خدمة عبد المؤمن هو وابوه، وفي أيام عبد المؤمن مات ابوه وبقي هو في خدمته ثم خدم لابن عبد المؤمن ابي يعقوب يوسف[2] ، ثم لابنه يعقوب ابي يوسف[3] الذي لقب بالمنصور . ثم خدم ابنه ابا عبد الله محمد الناصر[4] ، وفي اول دولته توفي ابو بكر بن زهر، وكانت وفاته رحمه الله في عام ستة وتسعين وخمسمائة بمراكش[5] وقد اتاها ليزور بها ودفن هناك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ ، وعمر نحو الستين سنة .

قال: وكان ابوبكر بن زهر صائب الرأي،حسن المعالجة،جيد التدبير .وقد عرف هذا منه،حتى انه يوماً كان قد كتب والده ابومروان ابن‌زهر نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة،فلما رآه ابو بكر بعد ذلك، وكان في حال شبيبته قال: يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر.فلم يتناول عبد المؤمن ذلك الدواء. ولما رآه ابوه قال : يا أمير المؤمنين ان الصواب في قوله . وبدل الدواء المفرد بغيره فاثر نفعاً بينا . وألف أبو بكر ابن زهر الترياق الخمسيني للمنصور ابي يوسف يعقوب . قال : وحدثني من أثق به ان رجلا من بني اليناقي كان صديقاً للحفيد ابي بكر بن زهر ، وكان يجالسه كثيراً ويلعب معه بالشطرنج ، وانه كان عند الحفيد ابي بكر يوماً وهما يلعبان بالشطرنج ، فرآه الحفيد على غير ما يعهده به من الانبساط ، فقال له : ما لخاطرك كأنه مشتغل بشيء عرفني ما هو ؟ فقال : نعم ان لي بنتا زوجتها لرجل وهو يطلبها ، وقد احتجت الى ثلثمائة دينار فقال له : العب وما عليك فان عندي في وقتنا هذا ثلثمائة دينار الا خمسة دنانير تأخذها . فلعب معه ساعة واستدعى بالذهب واعطاه له ، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلثمائة دينار الا خمسة . فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : انني بعت زيتونا لي بسبعمائة دينار ، وقد أتيت منها بثلثمائة دينار الا خمسة عوض الذي‌تفضلت به علي ، وأقرضتني اياه ، وقد بقي عندي حاصلاً أربعمائة دينار . فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك وانتفع به ، فاني ما دفعت لك الذهب على اني اعود آخذه أبداً . فابى الرجل وقال : انني بحمد الله بحال سعة ، ولا لي حاجة ان آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلا . وتفاوضا في ذلك ، فقال له ابن زهر : يا هذا ، انت صديقي او عدوي ؟ فقال له : بل صديقك ، وأحب الناس فيك . فقال له ابن زهر : والله لئن لم تأخذه لاعادينك بسببه ، ولا أعود اكلمك أبداً . فأخذه منه ، وشكره على فعله .

---

(١) سلالة من ملوك البربر في المغرب اسسها المهدي بن تومرت . تغلبت على المرابطين في المغرب والاندلس. واستولت على الملك (١٠٥٥-١٢٦٩) .

(٢) صاحب اشبيلية . خليفة وامام في مراكش من الموحدين قاتل الافرنج وتوفي سنة ١١٨٤ .

(٣) سلطان من الموحدين «١١٨٤-١١٩٩»

«٤) رابع سلاطين الموحدين في المغرب حكم «١١٩٩ - ١٢١٣ » وحارب الاسبان . والناصر لقب شرف ؛ لابي عبد الله محمد .

(٥) مدينة في المغرب الاقصى موقعها في اسفل جبل اطلس الاعلى . اسسها المرابطون «ن،ر»

قال القاضي أبو مروان الباجي : وكان المنصور قد قصد ان لا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده . وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار وشدد في ان لا يبقى احد يشتغل بشيء منهـا ، وانه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم او وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم . ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضا الى الحفيد ابي بكر بن زهر ، وانه الذي ينظر إليه . واراد الخليفة انه ان كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ، ولا يقال عنه انه يشتغل بها ، ولا يناله مكروه بسببها ولمـا نظر ابن زهر في ذلك ، وامتثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم ، وان لا يبقى شيء منها ، واهانة المشتغلين بها . وكان باشبيليـة رجل من اعيانها يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده وعنده شر ، فعمل محضراً في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه ، وان عنده في داره شيئاً كثيراً من كتبه ، وجمع فيه شهادات عدة وبعث به الى المنصور ، وكان المنصور حينئذ في حصن الفرح وهو موضع بناه قريباً من اشبيلية على ميلين منها ، صحيح الهواء بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته . وكان أبو بكر بن زهر هو الذي أشار على المنصور ان يبنيه في ذلك الموضع ، ويقيم فيه في بعض الاوقات . فلما كان المنصور به ، وقد اتاه المحضر نظره ، ثم أمر بأن يقبض على الذي عمله وان يودع السجن ففعل بـه ذلك . وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه . ثم قال المنصور : انني لم أول ابن زهر في هذا الا حتى لا ينسبه أحد الى شيء منه ، ولا يقال عنه . ووالله لو ان جميع أهل الاندلس وقفوا قدامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم ، لمـا اعرفه في ابن زهر من متانة دينـه وعقله .

وحدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الاشبيلي قال : كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى اليه من الطلبة اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب فترددا اليه ، ولازماه مدة وقرآ عليه شيئاً من كتب الطب . ثم انهما أتياه يوما وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق، وكان يحضر معهما أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم ان يشتغلوا فيه ، فلما نظر ابن زهر الى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم اخذه ينظر فيه ، فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية ، ثم نهض اليهم حافيا ليضربهم وانهزموا قدامه ، وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبـالغ في شتمهم ، وهم يتعادون قدامه الى ان رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه ايامـاً لا يجسرون ان يأتوا اليه . ثم انهم توسلوا الى ان حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ، ولا لهم فيه غرض أصلاً ، وانهم انما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون اليه فهزأوا بصاحبه: وعبثوا به واخذوا منه الكتاب قهراً وبقي معهم ودخلوا اليه ، وهم ساهون عنه . فتخادع لهم ، وقبل معذرتهم ، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب.

ولما كان بعد مديدة أمرهم ان يجيدوا حفظ القرآن ، وان يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه، وان يواظبوا على مراعاة الامور الشرعية والاقتداء بها ، ولا يخلوا بشيء من ذلك . فلما امتثلوا امره، وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم ، وصارت لهم مراعاة الامور الشرعية سجية وعادة قـد ألفوها، كانوا يوماً عنده واذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق ، وقـال لهم : الآن

صلحتم لان تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي . وأشغلهم فيه ، فتعجبوا من فعله رحمه الله . وهذا يدل منه على كمال عقله وتوفر مروءته .

وحدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : كان أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله ، وعلو منزلته وعلمه ، فاحتال عليه في سم صيره مع احد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه الى الحفيد بن زهر في بيض ، وكانت مع الحفيد أيضاً بنت اخته ، وكانت اخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور ، ولا يقبل[1] للمنصور وأهله ولداً الا أخت الحفيد او بلتها لما توفيت امها . فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت اخته ماتا جميعاً ولم ينفع فيهما علاج . قال : ولم يمت أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان إلا مقتولاً قتله مع بعض أقاربه .

أقول وكان من أجل تلامذة الحفيد أبي بكر بن زهر في صناعة الطب ، والآخذين عنه أبو جعفر ابن الغزال .

ومن شعر الحفيد أبي بكر بن زهر أنشدني محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي قال : أنشدني الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه يتشوق الى ولده .

نأت عنه داري فيا وحشتي ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته ... فيبكي علي وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه الي ومني اليه
(المتقارب)

أنشدني القاضي أبو مروان الباجي قال ، أنشدني ابو عمران بن عمران الزاهد المرتلي القاطن باشبيلية قال أنشدني الحفيد ابو بكر بن زهر لنفسه في آخر عمره .

اني نظرت الى المرآة اذ جليت ... فأنكرت مقلتاي كلما رأتا
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه ... وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت اين الذي مثواه كان هنا ... متى ترحّل عن هذا المكان متى؟
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت: ... قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى ،
هون عليك فهذا لا بقاء له ... أما ترى العشب يفنى بعدما نبتا
كان الغواني يَقُلْنَ يا أُخَيَّ فقد ... صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا
(البسيط)

وانشدني ايضاً القاضي ابو مروان الباجي عن الحفيد بن زهر له من أبيات :

أعدِ الحديث عليّ من جنباته ... ان الحديث عن الحبيب حبيب
الكامل :

---

(١) تتولى قبالة نساء اهله اي توليدهن .

وأنشدني شيخنا علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الحنفي المهندس ، للحفيد أبي بكر بن زهر ، وهي بديعة المعنى كثيرة التجنيس .

لله ما صنع الغرام بقلبه ... أودى به لما ألب[1] بلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا ... من يدعه داعي الغرام يلبه
بأبي الذي لا تستطيع لعجبه ... رد السلام وان شككت فعج به
ظبي من الاتراك ما ترك الضنا ... ألحاظه من سلوة لمحبه
ان كنت تنكر ما جنى بلحاظه ... في سلبه يوم الغوير فسل به
او شئت ان تلقى غزالا أغيداً ... في سربه اسد العرين فسر به
يا ما اميلحه وأعذب ريقه ... وأعزه وأذلني في حبه
أو ما أليطف وردة في خده ... وأرقها واشد قسوة قلبه
كم من خمار دون خمرة ريقه ... وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه تعمداً ... يا عاشقين تمنعوا من قربه

(الكامل)

ومن موشحاته مما انشدني أبو عبدالله محمد ، سبط الحكيم أبي محمد عبدالله ابن الحفيد ابي بكر بن زهر ، وكان والد هذا المذكور ابي عبدالله،وهو ابو مروان احمد بن القاضي أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن عبد الملك الباجي ، قد تزوج ببنت ابي محمد عبدالله بن الحفيد ابي بكر بن زهر، ورزق منها ابا عبدالله محمد . وكان — اعني ابا مروان احمد — قد ملك اشبيلية ، وبقيت في يده تسعة اشهر . ثم قتله ابن الاحمر غدراً في سنة ثلاثين وستمائة،وكان عمره اذ ذاك سبعاً وثلاثين سنة فمن ذلك قال وهي من اول قوله

زعمت انفاسي الصعدا ... ان افراح الهوى نكد
هام قلبي في معذبه ... وانا اشكو لمطلبه ... ان كتمت الحب مت به
واذا ما صحت وا كبدا ... فرح الاعداء وانتقدوا
ايها الباكي على الطلل ... ومدير الراح بالامل ... انا من عينيك في شغل
فدع الدمع السفوح سدى ... وضرام الشوق تتقد
مقلة جادت بما ملكت ... عرفت ذل الهوى فبكت ... وشكت مما بها ورثت
وفؤادي هائم أبدا ... ما عليه للسلو يد
ان عيني لا اذنبها ... اتعبت قلبي واتعبها ... لنجوم بت ارقبها
رمت ان احصي لها عددا ... وهي لا يحصى لها عدد
وغزال يغلب الاسدا ... جئت لاستنجاز ما وعدا ... فانزوى عني وقال غدا

---

(١) اقام .

اترى يا قوم اين هو غدا   في اي مكان يسكن او يجد
(المديد)

وقال ايضاً :

شمس قارنت بدرا   راح ونديـــم
ادر أكؤس الخمر   عنبرية النشر   ان الروض ذو بشر
وقـد درع النهرا   هبـــوب النسيم
وسلت على الافق   يد الغرب والشرق   سيوفاً من البرق
وقد اضحك الزهرا   بـــكاء الغيـوم
الا ان لي مولى   تحكم فاستولى   أما انه لولا
دمع يفضح السرا   لكنت كتـوم
أنى لي كتمان   ودمعــي طوفان   شبت فيه نيران
فمـن ابصر الجمرا   في لــج يعـوم
اذا لامني فيه   من رأى تجنيــه   شدوت اغنبـه
لعـل له عـــذرا   وانـت تـــلوم

وقال ايضاً :

أيها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته   وشربت الراح من راحته   كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكا   وسقاني اربعاً في أربع
غصن بان مال من حيث استوى   بات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى   ما له يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد   يا لقومي عذلوا واجتهدوا   انكروا شكواي مما اجد
مثل حالي حقه ان يشتكي   كمد اليأس وذل الطمع
ما لعيني عشيت بالنظر   انكرت بعدك ضوء القمر   واذا ما شئت فاسمع خبري
شقيت [1] عيناي من طول البكا   وبكى بعضي على بعضي معي
كبد حرى ودمع يكف   يعرف الذنب ولا يعترف   ايها المعرض عما اصف
قد نمى حبك عندي وزكا   لا يظن الحب [2] اني مدعي

وقال ايضاً :

يا صاحبي نداء مغتبط بصاحب   لله ما القاه من فقد الحبائب

---

(١) هكذا في الاصل والمشهور عشيت .
(٢) الحبيب .

قلب احاط به الجوى من كل جانب
اي قلب هائـم لا يستريح من اللواحي
يا من أعانقه باحناء الضلوع وأقيمه بدلاً من القلب الصديع
أنا للغرام وأنت للحسن البديع
وكلام الـلائم شيء يمر مع الرياح
أنحى على رشدي وأفقدني صلاحي ثغر ثنى الابصار عن نور الصباح
يسقى بمختلطين من مسك وراح
كالحبـــاب العــائم في صفحة المــاء القراح
من لي به بدراً تجلى في الظلام علقت من وجناته بدر التمام
وعلقت من أعطافه لدن القوام
كالقضيـــب النــاعم لم يستطـع حمـــل الوشاح
حملتني في الحب ما لا يستطاع شوقاً يراع لذكره من لا يراع
بل أنت اظلم من له حكم مطاع

(الكامل والرمل)

وقال أيـ.ـ: :

حي الوجـــوه المــلاحا وحي كحـــل العيون
هل في الهوى من جناح وفي نـــديم وراح رام النصوح صلاحي
وكيف أرجو صــلاحا بين الهـــوى والجون
يا غائبـــاً لا يغيب أنت البعيد القريب كم تشتقيك القـــلوب
أثخنتهـــن جراحـــاً واسأل سهام العيون
ابكى العيون البواكي تذكار أخت السماك حتى حمـــام الاراك
بكى بشجو وناحـــا على فروع الغصون
ألقى اليها زمــــامه صب يداوي غرامه ولا يطيق الملامـــه
غـــدا بشوق وراحـــا ما بـين سبي الظنون
يا راحـــلا لم يودع رحلت بالانس أجمـــع والعجز يعطي ويمنـــع
مروا واخفـــوا الرواحـــا سحراً ومـــا ودعوني

(المجتث)

وقال ايضاً :

هل ينفع الوجد او يفيد أم هل على من بكى جناح
يا منية القلب غبت عني فالليل عنـدي بلا صباح

أفديه من معرض تولى لا عين منــه ولا أثر
عذبني في هواه كلا لم يبق مني ولا يذر
يا عين عيني فليس الا صبر على الدمع والسهر
ويفعل الشوق ما يريد في كبد كلها جراح
يا مخجل البد لا تسلني عن جور الحاظك الملاح
زاد على بهجة النهـار من حسنه الدهر في ازدياد
لحظ له سطوة العقـار يفعل في العقل ما اراد
خداه كالورد في البهار [1] يقطف باللحظ ام يكاد
وذلـك المبسم البرود حصاه در وصرف راح
أو مثل ما قلت ماء مزن يسقي بـه يانع الاقاح
يا من له ابدع الصفات يا غصن يا دعص[2] يا قمر
غبت فلم يأت منك آت فاستوحش السمع والبصر
لولا صبا تلكم الجهـات لذاب قلبي مـن الفكر
يا أيها النازح البعيد جاءت بانبائك الريـاح
ان الصبا عنك اخبرتني ما اهتز روض الربى وفاح
يا ساحرا فوق كل ساحر ومن له حسنـه أصف
وجه له كالصبـاح باهر أرديـة الحسن يلتحف
كالروض حفت به الازاهر يقطف باللحظ ام قطف
كالبدر في ليلة السعود اشرق لألاؤه[3] ولاح
كالغصن اللدن في التثني تهز أعطافه الريـاح
من لي بمخضوبة البنان ممشوقة القـد والدلال
من هجرها مشية الزمان ماض ومستقبل وحـال
فيها رثى عاذلي لشاني ثم انثنى ضاحكا وقال
عاشق ومسكين الله يريد وارض لمن يعشق الملاح
فدع يهجر أو يصلني ليس على ساحر اقتراح

ابو محمد بن الحفيد ابي بكر بن زهر

هو ابو محمد عبد الله بن الحفيد ابي بكر محمد بن ابي مروان عبد الملك بن ابي العـلاء زهر بن ابي

---

(١) الجمال .
(٢) كثيب الرمل المجتمع .
(٣) ضوءه .

مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر . كان جيد الفطرة ، حسن الرأي ، جميـــل الصورة ، مفرط الذكاء ، محمود الطريقة ، محباً للبس الفاخر . وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها ، والتحقيق لمعانيها. واشتغل على والده ووقفه على كثير من اسرار علم هذه الصناعة وعملها . وقرأ كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري [١] على أبيه واتقن معرفته . وكان الخليفة ابو عبد الله محمد الناصر بن المنصور أبي يعقوب يرى له كثيراً ويحترمه ، ويعرف مقدار علمه وبيتوتته[٢] .

حدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : لما توجه ابو محمد عبد الله بن الحفيد الى الحضرة خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في الطريق نحو عشرة آلاف دينار . قال : ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدية لما فتحها الناصر خدمه على ما جرت به العادة وقال له : انني يا أمير المؤمنين بحمد الله بكل خير من انعامكم واحسانكم علي وعلى آبائي ، وقد وصل الي ممـا كان بيد ابي من احسانكم ما يغنيني مدة حياتي واكثر ، وانما أتيت لاكون في الخدمة كما كان ابي ، وان اجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي امير المؤمنين . فأكرمه الناصر اكراماً كثيراً ، وأطلق اليه من الاموال والنعم ما يفوق الوصف . وكان مجلسه اذا حضر قريباً منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد ، فكان يجلس الى جانب الخليفة الناصر الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ابي يوسف حجاج القاضي ، وكان يجلس تلوه القاضي الشريف ابو عبد الله الحسيني ، وكان يجلس تلوه ابو محمد عبد الله بن الحفيد ابو بكر بن زهر ، وكان يجلس الى جانبه ابو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي[٣] صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية . وكان هذا في النحو يشتغل عليه ابو محمد عبد الله بن الحفيد ، ويجلس بين يديه ويتعلم منه .

وكان مولد أبي محمد عبدالله بن الحفيد أبي بكر في سنة سبع وسبعين وخمسمائة بمدينة اشبيلية . وتوفي رحمه الله مسموماً في سنة اثنتين وستمائة في مدينة سلا [٤] في الجهة المسماة برباط الفتح ودفن بها. وكان متوجهاً الى مراكش فاخترمه الاجل دونها ، ثم حمـل من الموضع الذي دفن فيه الى أشبيلية ، ودفن عند آبائه باشبيلية خارج باب الفتح فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة .

ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال : كنت يوماً عنده واذا به قد قال لي انني رأيت البارحة في النوم أختي ، وكانت اخته قد ماتت قبله ، قال : وكاني قلت لها يا أختي بالله عرفيني كم يكون عمري ؟ فقالت لي:طابيتين ونصفاً والطابية هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة اشبار فقلت لها:أنا اقول لك جد وأنت تجيبيني بالهزء ! فقالت:لا والله ما قلت لك الا جداً ، وانما أنت لم تفهمت . أليس الطابية عشرة اشبار والطابيتين ونصفاً خمسة وعشرون

(١) احمد بن داود بن حنيفة الدينوري من علماء اللغة وعالم في الحيوان والنبات توفي سنة ٢٨١ او ٢٩٠ هجرية .
(٢) نسبه .
(٣) ولد في جزولة - المغرب - وأخذ عن ابن بري وعلم في بجاية واسبانيا والجزائر «ن.ر»
(٤) مرفأ على الاطلسي في المغرب شمالي الرباط عند مصب وادي ابو الرقراق .

يكون عمرك خمساً وعشرين سنة . قال القاضي ابو مروان فلما قص عليّ هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا فلعله من أضغاث الاحلام . قال : ولم تكمل تلك السنة الا وقد مات فكان عمره كما قيل له خمساً وعشرين سنة لا أزيد ولا أنقص ، وخلف ولدين كل منهما فاضل في نفسه كريم في جنسه . أحدهما يسمى أبا مروان عبد الملك ، والآخر أبا العلاء محمد ، والاصغر منهما وهو أبو العلاء ممتن بصناعة الطب ، وله نظر جيد في كتب جالينوس . وكان مقامهما في اشبيليه

ابو جعفر بن هارون الترجالي

من اعيان اهل اشبيلية ، وكان محققاً للعلوم الحكمية ، متقناً لها ملتنياً بكتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء المتقدمين ؛ فاضلاً في صناعة الطب ، متميزاً فيها ، خبيراً باصولها وفروعها ؛ حسن المعالجة ، محمود الطريقة . وخدم لابي يعقوب والد المنصور . وكان من طلبة الفقيه أبي بكر بن العربي [1] لازمه مدة واشتغل عليه بعلم الحديث . وكان أبو جعفر بن هارون يروي الحديث وهو شيخ أبي الوليد بن رشد في التعاليم والطب ، وأصله من ترجالة من ثغور الاندلس . وهي التي أصابها المنصور خالية ، وهرب اهلها وعمرها المسلمون . وكان ابو جعفر هارون أيضاً عالماً بصناعة الكحل ، وله آثار فاضلة في المداواة .

حدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ، ثم الباجي : ان أخاه القاضي أبا عبدالله محمد بن أحمد لما كان صغيراً اصاب عينه عود ، واخترق السواد حتى انه يئس له من البرء فاستدعى أبوه ابا جعفر بن هارون ، وأراه عين ولده وقال له : أنا أدفع لك ثلثمائة دينار وتعالجها. فقال والله ما حاجة الى هذا الذي ذكرته ، وانما اداويه ويصلحان شاء الله تعالى . وشرع في مداواته الى ان صلحت عينه وابصر بها ، واصاب ابن هارون خدر وضعف في اعضائه فالتزم داره باشبيلية وكان يطب الناس ، وتوفي باشبيلية .

ابو الوليد بن رشد

هو القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد؛ مولده ومنشؤه بقرطبة مشهور بالفضل ممتن بتحصيل العلوم ، أوحد في علم الفقه والخلاف ، واشتغل على الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق . وكان أيضاً متميزاً في علم الطب ، وهو جيد التصنيف حسن المعاني . وله في الطب كتاب الكليات ، وقد أجاد في تأليفه . وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة . ولما ألف كتابه هذا في الأمور الكلية قصد من ابن زهر أن يؤلف كتاباً في الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة

---

(١) ولد في اشبيليه وتوفي في فاس « ١٠٧٦ - ١١٤٨ » محدث وقاضي القضاة في اشبيلية . «ن.ر»

الطب . ولذلك يقول ابن رشد في آخر كتابه ما هذا نصه ، قال: فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الامراض بأوجز ما أمكننا وأبينه ، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عرض عرض من الاعراض الداخلة على عضو عضو من الاعضاء . وهذا وان لم يكن ضرورياً لانـه منطو بالقوة فيما سلف من الاقاويل الكلية ففيه تتميم ما وارتياض ،لانا ننزل فيها الى علاجات الامراض بحسب عضو عضو ،وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنانيش، حتى نجمع في اقاويلنا هـذه الى الاشياء الكلية الامور الجزئية . فان هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها الى الامور الجزئية ما أمكن إلا انا نؤخر هذا الى وقت نكون فيه أشد فراغاً لعنايتنا في هـذا الوقت بما يهم من غير ذلك ، فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء ، واحب أن ينظر بعد ذلـك الى الكنانيش فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي الفه في زماننا هذا ابو مروان بن زهر وهذا الكتاب سألته أنا اياه وانتسخته فكان ذلك سبيلا الى خروجه ، وهو كما قلنا كتاب الاقاويل الجزئية الـتي قلت فيه ، شديدة المطابقة للأقاويل الكلية ، إلا انه مزج هنالك مـع العـلاج العلامات واعطاء الاسباب على عادة اصحاب الكنانيش ، ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا الى ذلك بل يكفيه من ذلك مجرد العلاج فقط . وبالجملة من تحصل له ما كتبناه من الاقاويل الكلية أمكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنانيش في تفسير العلاج والتركيب .

حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كان القاضي أبو الوليد بن رشد حسن الرأي ذكياً رث البزة قوي النفس ، وكان قد اشتغل بالتعاليم وبالطب على أبي جعفر بن هارون ، ولازمه مدة وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكمية . وكان ابن رشد قد قضى مدة في اشبيلية قبل قرطبة ، وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ، وكذلك أيضاً كان ولده الناصر يحترمه كثيراً قال : ولما كان المنصور بقرطبة وهو متوجه الى غزو ألفنس [1] وذلك في عام احد وتسعين وخمسمائة استدعى أبا الوليد بن رشد ، فلما حضر عنده احترمه كثيراً ، وقربه اليه حتى تعدى به الموضع الذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ حفص الهنتاتي [2] صاحب عبد المؤمن، وهو الثالث او الرابع من العشرة ، وكان هذا أبو محمد عبد الواحد قد صاهره المنصور وزوجه بابنته لعظم منزلته عنده ، ورزق عـبد الواحد منها ابناً اسمه علي ، وهو الآن صاحب افريقية فلما قرب المنصور ابن رشد وأجلسه الى جانبه حادثه ، ثم خرج من عنده وجماعة الطلبـه ، وكثير من اصحابه ينتظرونه فهنؤوه بمنزلته عندالمنصور واقباله عليه ، فقال والله ان هذا ليس مما يستوجب الهناء به فان أمير المؤمنين قد قربني دفعة إلى اكثر مما كنت أؤمله فيه ، او يصل رجائي اليه ، وكان جماعة من اعدائه قد شيعوا بان أمير المؤمنين قد أمر بقتله فلما خرج سالماً أمر بعض خدمه ان يمضي الى بيته ، ويقول لهم ان يصنعوا له قطاً وفراخ حمام مسلوقة الى متى يأتي اليهم ، وانما كان غرضه بذلك تطييب قلوبهم بعافيته .

---

(١) هو الفونس الثاني ملك البرتغال .

(٢) احد افراد اسرة من البربر يدعون الحفصيين وعميدهم ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي القائد البربري ومن اوائل مريدي ابن تومرت وأحد ضباط عبد المؤمن المخلصين . « ن . ر »

ثم ان المنصور فيما بعد نقم على ابي الوليد بن رشد ، وامر بان يقيم في اليسانة وهي بلد قريب من قرطبة ، وكانت اولاً لليهود ، وان لا يخرج عنها . ونقم أيضاً على جماعة اخر من الفضلاء الاعيان ، وامر ان يكونوا في مواضع اخر واظهر انه فعل بهم ذلك بسبب ما يدّعي فيهم انهم مشتغلون بالحكمة وعلوم الاوائل . وهؤلاء الجماعة هم : أبو الوليد بن رشد ، وأبو جعفر الذهبي ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضي بجاية ، وأبو الربيع الكفيف ، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي . وبقوا مدة ثم ان جماعة من الاعيان باشبيلية شهدوا لابن رشد انه على غير مـا نسب اليه ، فرضي المنصور عنه وعن سائر الجماعة ، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة . وجعل أبا جعفر الذهبي مزواراً للطلبة ومزواراً للاطباء . وكان يصفه المنصور ويشكره ويقول :ان ابا جعفر الذهبي كالذهب الابريز الذي لم يزدد في السبك إلا جودة .

قال القاضي ابو مروان :ومما كان في قلب المنصور من ابن رشد انه كان متى حضر مجلس المنصور، وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بان يقول:تسمع يا اخي.وأيضاً فان ابن رشد كان قد صنف كتاباً في الحيوان ، وذكر فيه انواع الحيوان ، ونعت كل واحد منهـا . فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : وقد رأيت الزرافة عند ملك البربر يعني المنصور ، فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان احد الاسباب الموجبة في انه نقم على ابن رشد وأبعده . ويقال انه مما اعتذر به ابن رشد انه قال : انما قلت ملك البرين ، وانما تصحفت على القارىء فقال ملك البربر . وكانت وفاة القاضي ابي الوليد بن رشد رحمه الله في مراكش أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وذلك في اول دولة الناصر ، وكان ابن رشد قد عمر عمراً طويلاً ، وخلف ولداً طبيباً عالماً بالصناعة ، يقال له ابو محمد عبد الله . وخلف ايضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور .

ومن كلام ابي الوليد بن رشد قال : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله .

ولابي الوليد بن رشد من الكتب : كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف اهل العلم مع الصحـابة والتابعين وتابعيهم ، ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف. كتاب المقدمات في الفقه . كتاب نهاية المجتهد في الفقه . كتاب الكليات . شرح الارجوزة المنسوبة الى الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب . كتاب الحيوان . جوامع كتب ارسطوطاليس في الطبيعيات والالهيات . كتاب الضروري في المنطق . ملحق به تلخيص كتب ارسطوطاليس ، وقد لخصها تلخيصاً تاماً مستوفياً . تلخيص الالهيات لنيقولاوس . تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لارسطوطاليس. تلخيص كتاب الاخلاق لارسطوطاليس . تلخيص كتاب البرهان لارسطوطاليس. تلخيص كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس شرح كتاب السماء والعالم لارسطوطاليس . شرح كتاب النفس لارسطوطاليس . تلخيص كتـاب الاسطقسات لجالينوس. تلخيص كتاب المزاج لجالينوس . تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس . تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس ، تلخيص كتاب التعرف لجالينوس . تلخيص كتاب الحميات لجالينوس . تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس . تلخيص النصف الثـاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس . كتاب تهافت التهافت يرد فيه على كتاب التهافت للغزالي . كتاب منهـاج الأدلة في

علم الاصول . كتاب صغير سماه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . المسائل المهمة على كتاب البرهـــان لارسطوطاليس . شرح كتاب القياس لارسطوطاليس . مقالة في العقل . مقالة في القياس . كتـــاب في الفحص هل يمكن العقل الذي فينا ، وهو المسمى بالهيولاني ان يعقل الصور المفارقة بآخره أو لا يمكن ذلك ، وهو المطلوب الذي كان ارسطوطاليس وعدنا بالفحص عنه في كتاب النفس . مقالة في ان ما يعتقده المشاؤون ، وما يعتقده المتكلمون من أهل ملتنا في كيفية وجود العالم متقارب في المعنى . مقالة في التعريف بجهة نظر أبي نصر في كتبه الموضوعة في صناعة المنطق الـــتي بايدي الناس ، وبجهة نظر ارسطوطاليس فيها ، ومقدار ما في كتاب كتاب من اجزاء الصناعة الموجودة في كتب ارسطوطاليس ، ومقدار ما زاد لاختلاف النظر يعني نظريهما . مقالة في اتصال العقل المفارق بالانسان . مقالة في اتصال العقل بالانسان. مراجعات ومباحث بين أبي بكر بن الطفيل وبين ابن رشد في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكليات . كتـــاب في الفحص عن مسائل وقعت في العلم الالهي في كتاب الشفاء لابن سينا . مسألة في الزمان . مقالة في فسخ شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه في وجود المادة الاولى ، وتبيين ان برهان ارسطوطاليس هو الحق المبين . مقالة في الرد على أبي علي بن سينـــا في تقسيمه الموجودات الى ممكن على الاطلاق ، وممكن بذاته واجب بغيره . والى واجب بذاته . مقالة في المزاج . مسألة في نوائب الحمى . مقالة في حميات العفن . مسائل في الحكمة . مقالة في حركة الفلك . كتاب فيما خالف ابو النصر لارسطوطاليس في كتاب البرهان من ترتيبـــه وقوانين البراهين والحدود . مقالة في الترياق .

ابو محمد بن رشد

هو ابو محمد عبد الله بن ابي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، فاضـــل في صناعة الطب عالم بها مشكور في افعالها ، وكان يفد الى الناصر ويطبه .

ولابي محمد بن رشد من الكتب : مقالة في حيلة البرء .

ابو الحجاج يوسف بن موراطير

من شرقي الاندلس ، وموراطير قرية قريبة من بلنسية . كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً بهـــا ، مزاولاً لاعمالها ، محمود الطريقة ، حسن الرأي ، عالماً بالامور الشرعية ، وسمع الحديث وقرأ المدونة. وكان اديباً شاعراً محباً للمجون كثير النادرة .

حدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : كنا في تونس مع الناصر وكان في العسكر غلاء ، وقـــل وجود الشعير فعمل ابو الحجاج بن موراطير موشحاً في الناصر ، واتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد ابو بكر بن زهر في بعض موشحاته وذلك ان ابن زهر قال :

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب وانما العيد في التلاقي مع الحبيب

فعمل ابن موراطير :

ما العيد في حلة وطيق من الحرير   انما الغيد في التلاقي مع الشعير

فاطلق له الناصر عشرة امداد شعير كانت قيمتها في ذلك الوقت خمسين ديناراً . وكان أبو الحجاج ابن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب . ولما توفي المنصور خدم لولده الناصر، وهو ابو عبد الله محمد بن يعقوب ، ومن بعد الناصر أيضاً خدم لولده أبي يعقوب يوسف المستنصر بن الناصر . وكان ابو الحجاج بن موراطير قد عمر عمراً طويلا ، وكان حظياً عنـــد المنصور ، مكيناً عنده رفيع المنزلة . وكان يدخـل مجلس الخاصة مع الاشياخ للمذاكرة في العربيـــة وغيرها ، ومات بالنقرس في مراكش في دولة المستنصر .

ابو عبد الله بن يزيد

هو ابن أخت أبي الحجاج يوسف بن موراطير كان طبيباً فاضلا واديبـــاً شاعراً وشعره موصوف بالجودة .

ابو مروان عبد الملك بن قبلال

مولده ومنشؤه بغرناطة. وكان جيد النظر في الطب، حسن العلاج، وخدم بصناعة الطب المنصور، ثم خدم بعده لولده الناصر ، ومات في دولة الناصر في مراكش .

ابو اسحق ابراهيم الداني

كانت له عناية بالغة في صناعة الطب ،وأصله من بجاية [١] ، ونقل الى الحضرة ، وكان أمين البيمارستان وطبيبه بالحضرة ، وكذلك ولداه . والاكبر منهما ، وهو ابو عبد الله محمد قتل في غزوة العقاب في الأندلس مع الناصر ، وتوفي الداني في مراكش في دولة المستنصر بن الناصر .

ابو يحيى بن قاسم الاشبيلي

كان فاضلا في صناعة الطب ، خبيراً بقوى الادوية المفردة والمركبة ، كثير العناية بها . وكان صاحب خزانة الاشربة التي يأخذها الخليفة المنصور من عنده،وكذلك كان والده في خدمة أبي يعقوب والد المنصور . وتوفي أبو يحيى في مراكش في دولة المستنصر ، وكان له ولد فجعل موضعه في الخزانة عوضاً عن ابيه .

ابو الحكم بن غلندو

مولده ومنشؤه باشبيلية ،وكان اديباً شاعراً حسن الشعر ، متميزاً في صناعة الطب محمود الطريقة.

---

(١) مدينة ساحلية بالجزائر .

وكان مفنناً وخدم بصناعة الطب المنصور ، وكان مكيناً عنده وجيهاً في دولته . وكان المنصور في عام ثمانين وخمسمائة حمله معه لما ولي الخلافة ، وكان ابن غلندو صاحب كتب كثيرة ، ويكتب خطين اندلسيين وتوفي بمراكش ودفن بها .

ابو جعفر احمد بن حسان

هو الحاج ابو جعفر احمد بن حسان الغرناطي . مولده ومنشؤه بغرناطة . واشتغل بصناعة الطب، واجاد في علمها وعملها ، وخدم المنصور بالطب. وحج ابو جعفر بن حسان مع ابي الحسين بن جبير[1] الغرناطي ، الاديب الكاتب ، صاحب كتاب الرحلة وذكره معه في الرحلة . وتوفي ابو جعفر بن حسان بمدينة فاس .

ولابي جعفر بن حسان من الكتب : كتاب تدبير الصحة ألفه للمنصور .

أبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان

من مدينة غرناطة ، واحد الاعيان بها والمتميزين من أهلها . قوي الذكاء ، حسن الفطرة ، مشتغل بالادب ، وعنده براعة وفضل ، وهو طبيب وكاتب . وخدم بصناعة الطب المستنصر ، وكان حظياً عنده . وهو من جملة الفضلاء في صناعة الطب باشبيلية وقد قطن بها .

أبو محمد الشذوني

مولده ومنشؤه باشبيلية وكان ذكياً فطناً ، وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة . وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي مروان عبد الملك بن زهر ،ولازمه مدة وباشر أعمالها ، وكان مشهوراً بالعلم جيد العلاج . وخدم الناصر بالطب وتوفي باشبيلية في دولة المستنصر .

المصدوم

هو ابن الحسين بن اسدون ، شهر بالمصدوم ، وهو تلميذ ابي مروان عبد الملك بن زهر . وكان المصدوم ديناً كثير الخير معتنياً بصناعة الطب، مشهوراً بها، اديباً شاعراً . ومولده ومنشؤه باشبيلية . وكان مقيماً في البلد ويحضر عند المنصور ، ويطلبه في أوقات المداواة . وتوفي المصدوم في اشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

عبد العزيز بن مسلمة الباجي

أصله من باجة الغرب ، كان من أعيان أهل الاندلس وأجلائها ، ويعرف بابن الحفيد . وكان فاضلا

---

(١) رحالة عربي ولد في بلنسية « ١١٤٥ » وتوفي في الاسكندرية «١٢١٧» طوف البلاد ووصف رحلاته في كتاب يعرف برحلة ابن جبير « ن.ر »

في صناعة الطب ، متميزاً في الادب، وله شعر جيد . وكان تلميذ المصدوم، وخدم بالطب المستنصر. وتوفي في دولته في مراكش .

أبو جعفر بن الغزال

مولده بقنجيرة من أعمال المرية ، وأتى الى الحفيد أبي بكر بن زهر ، ولازمه حق الملازمة ، وقرأ عليه صناعة الطب وعلى غيره حتى اتقن الصناعة . وخدم المنصور بالطب وكان خبيراً بتركيب الادوية ومعرفة مفرداتها . وكان المنصور يعتمد عليه في الادوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه . وكان المنصور قد أبطل الخمر ، وشدد بأن لا يأتي بشيء منه الى الحضرة ، أو يكون عند أحد . فلما كان بعد ذلك بمدة ، قال المنصور لأبي جعفر بن الغزال أريد ان تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه فامتثل أمره ، وجمع حوائجه وأعوزه الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق ، وانهى ذلك الى المنصور فقال له تطلبه من كل ناحية وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لنكمل الترياق . فتطلبه ابو جعفر من كل أحد ، ولم يجد شيئاً منه . فقال المنصور : والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت الا لاعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا ، وتوفي ابو جعفر بن الغزال في أيام الناصر .

ابو بكر بن القاضي ابي الحسن الزهري

هو أبو بكر بن الفقيه القاضي ابي الحسن الزهري القرشي قاضي اشبيلية مولده ومنشؤه باشبيلية . وكان جواداً كريماً حسن الخلق شريف النفس ، قد اشتغل بالأدب وتميز في العلم . وكان أحد الفضلاء في صناعة الطب والمتعينين في أعمالها . وخدم بالطب للسيد أبي علي بن عبد المؤمن صاحب اشبيلية . وكان يطبب الناس من دون اجرة ويكتب النسخ لهم ، وكان في مبدأ أمره محباً للشطرنج كثير اللعب به ، وجاد لعبه في الشطرنج جداً حتى صار يوصف به .

وحدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : سألت القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري عن سبب تعلمه صناعة الطب فقال لي : انني كنت كثير اللعب بالشطرنج ، ولم يكد يوجد من يلعب مثلي به في اشبيلية الا القليل ، فكانوا يقولون أبو بكر الزهري الشطرنجي ، فكان اذا بلغني ذلك أغتاظ منه ويصعب علي . فقلت في نفسي لا بد ان اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لانعت به ، ويزول عني وصف الشطرنج ، وعلمت ان الفقه وسائر الأدب ، ولو اشتغلت به عمري كله ، لم يخصني منه وصف أنعت به ، فعدلت الى أبي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب . وكنت أجلس عنده ، وأكتب لمن جاء مستوصفاً من المرضى الرقاع ، واشتهرت بعد ذلك بالطب ، وزال عني ما كنت أكره الوصف به .

وعاش أبو بكر بن أبي الحسن الزهري خمساً وثمانين سنة ، وتوفي في دولة المستنصر ، ودفن باشبيلية .

أبو عبد الله الندرومي

هو أبو عبد الله محمد بن سحنون ، ويعرف بالندرومي منسوباً الى ندرومة [1] من نظر مدينة تلمسان [2] ، وهو كومي أيضاً ينسب الى قبيله ، جليل القدر ، فاضل النفس ، محب للفضائل ، حاد الذهن ، مفرط الذكاء . ومولده بقرطبه في نحو سنة ثمانين وخمسمائة ، ونشأ بقرطبة ، ثم انتقل الى اشبيلية . وكان قد لحق القاضي أبا الوليد بن رشد واشتغل عليه بصناعة الطب ، واشتغل أيضاً على أبي الحجاج يوسف بن موراطير . والندرومي من جملة المتميزين في علم الأدب والعربية وسمع كثيراً من الحديث ، وخدم الناصر في آخر دولته بصناعة الطب،وخدم بعده لولده المستنصر ، وأقام باشبيلية ، وخدم بعد ذلك النجاء سالم بن هود ، ولاخيه أبي عبد الله بن هود صاحب الأندلس .

ولابي عبد الله الندرومي من الكتب : اختصار كتاب المستصفى للغزالي .

أبو جعفر أحمد بن سابق

أصله من قرطبة ، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظر ، حسن العلاج ، موصوفاً بالعلم . وكان من طلبة القاضي أبي الوليد بن رشد ، ومن جملة المشتغلين عليه بصناعة الطب . وخدم بالطب الناصر ، وتوفي في دولة المستنصر .

ابن الحلاء المرسي

من مرسية [1] وكان موصوفاً بجودة المعرفة بصناعة الطب ، وخدم المنصور لما أتى اليه خدمة وافد ، وتوفي ببلده .

أبو أسحق بن طملوس

من جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، وهو من جملة الفضلاء في صناعة الطب ، وأحد المتعينين من اهلها ، وخدم الناصر بالطب وتوفي ببلده .

أبو جعفر الذهبي

هو ابو جعفر أحمد بن جريج ، كان فاضلا عالماً بصناعة الطب ، جيد المعرفة لها ، حسن التأني في أعمالها . وخدم المنصور بالطب وكذلك ايضاً خدم بعده الناصر ولده . وكان يحضر مجلس المذاكرة في الأدب . وتوفي ابو جعفر الذهبي بتلمسان عند غزوة الناصر الى افريقية سنة ستمائة .

---

(١) مدينة في الجزائر نشأت في مقاطعتها دولة الموحدين .

(٢) مدينة في الجزائر فيها تجارة الحبوب والفلين والمواشي اليوم .

(٣) مدينة في جنوبي اسبانيا احتلها المرابطون ثم الموحدون ثم رجعت الى الاسبان .

أبو العباس بن الرومية

هو ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية ، من أهل اشبيليه ومن أعيان علمائها وأكابر فضلائها . قد اتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الادوية وقواها ومنافعها ، واختلاف أوصافها، وتباين مواطنها . وله الذكر الشائع والسمعة الحسنة ، كثير الخير ، موصوف بالديانة ،محقق للامور الطبية . قد شرف نفسه بالفضائل ، وسمع من علم الحديث شيئاً كثيراً عن ابن حزم[1]وغيره. ووصل سنة ثلاث عشر وستمائة الى ديار مصر ، وأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين ، وانتفع الناس به ، واسمع الحديث ، وعاين نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب ، وشاهد اشخاصها في منابتها ونظرها في مواضعها . ولما وصل من المغرب الى الاسكندرية سمع به السلطان الملك العادل ابو بكر [2] بن أيوب رحمه الله ، وبلغه فضله وجودة معرفته بالنبات . وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الاسكندرية ، وتلقاه واكرمه ورسم بان يقرر له جامكية وجراية، ويكون مقيما عنده فلم يفعل . وقال انما أتيت من بلدي لاحج ان شاء الله وارجع الى اهلي وبقي مقيما عنده مدة، وجمع الترياق الكبير وركبه ، ثم توجه الى الحجاز . ولما حج عاد الى المغرب وأقام باشبيلية

ولابي العباس بن الروميه من الكتب :تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . مقالة في تركيب الادوية .

ابو العباس الكنيناري

هو ابو العباس احمد بن ابي عبدالله محمد ، من أهل أشبيلية ، عارف بصناعة الطب ، من فضلاء اهلها والمتميزين من أربابها .قرأ الطب في اول امره على عبد العزيز بن مسلمة الباجي. ثم قرأ بعد ذلك على ابي الحجاج يوسف بن موراطير في مراكش واقام باشبيلية . وخدم لابي النجا بن هود صاحب اشبيلية. وكان يطب ايضاً لاخيه ابي عبدالله بن هود .

ابن الاصم

هو (*) من الاطباء المشهورين باشبيلية ، وله خبرة في صناعة الطب ، وقوة نظر في الاستدلال على الامراض ومداواتها . وله حكايات مشهورة، ونوادر كثيرة في معرفته بالقوارير واخباره

---

(١) علي بن حزم ولد في قرطبه «٩٩٤ - ١٠٦٤» فقيه عربي اندلسي وطبيب وشاعر وفيلسوف .

(٢) ابو بكر سيف الدين ولد في المنصورة ومات في القاهرة سجيناً وهو من اعظم الامراء الايوبيين حكم (١٢٢١ - ١٢٢٨) وقاتله اخوه الصالح ايوب على الملك «ن . ر»

(*) بياض بالاصل .

عندما يراها بجملة حال المريض ، وما يشكوه ومــا كان قد تناوله من الاغذية . وحدثني ابو عبد الله المغربي قال : كنت يوماً عند ابن الاصم واذا بجماعة قد اقبلوا اليه ، ومعهم رجل على دابة ، وهو منكب عليها فلما وصلوا وجدنا ذلك الرجل وفي فمه حية قد دخل بعضها مع رأسها في حلقه، وبقيتها ضاهرة ، وهي مربوطة بخيط قنب الى ذراع الرجل فقال : ما شأن هذا ? فقالوا له ان عادتــه ينام وفمه مفتوح ، وكان قد اكل لبناً ، فنام ، فلما جاءت هذه الحية لعقت فمه ، وداخــل فمه وهو نائم . ولما احست بمن أتى خافت وانساب بعضها في حلقه ، وادركناها فربطناها بهــذا الخيط لئلا تدخل في حلقه . فلما نظر الى ذلك الرجل وجده وهو في الموت من الخوف فقال له ما عليك، كدتم تهلكون الرجل . ثم قطع الخيط فانسابت الحية في حلقه واستقرت في معدته ، فقال له : الآن تبرأ. وأمره ان لا يتحرك واخذ ادوية وعقاقير فاغلاها في ماء غلياً جيداً ، وجعل ذلك الماء في ابريق ، وسقاه الرجل وهو حار فشربه ، وصار يحس معدته حتى قال ماتت الحية . ثم سقاه ماء آخر مغليا فيه حوائج ، وقال هذه تهرىء الحية مع هضم المعدة . وصبر مقدار ساعتين وسقاه ماء قد اغلي فيه ادوية مقيئة فجاشت نفس الرجل وذرعه القيء فعصب عينيه وبقي يتقيأفي طشت فوجدنافيهالحيةوهي قطع ، وهو يأمره بكثرة القيء ، حتى تنظفت معدته ، وخرجت بقايا الحية فقال له : طب نفساً فقد تعافيت ، وذهب الرجل مطمئنا صحيحا بعد ان كان في حالة الموت .

الباب الرابع عشر

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر

بليطيان

كان طبيباً مشهوراً بديار مصر، نصرانياً عالماً بشريعة النصارى الملكية[1] . قال سعيد بن البطريق في كتاب «نظم الجوهر» . لما كان في السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صيربيلطيان بطريركاً على الاسكندرية وكان طبيباً اقام ستاً واربعين سنة ومات . قال : ولما كان في ايام الرشيد هرون وولى الرشيد عبيد الله بن المهدي مصر ، أهدى عبيد الله الى الرشيد جارية من اهل البيا من أسفل الأرض ، وكانت حسنة جميلة ، وكان الرشيد يحبها حباً شديداً فاعتلت علة عظيمة فعالجها الاطباء ، فلم تلتفع بشيء . فقالوا له : ابعث الى عبيد الله عاملك بمصر ليوجه اليك واحداً من اطباء مصر فانهم ابصر بعلاج هذه الجارية من اطباء العراق . فبعث الرشيد الى عبيد الله بن المهدي يختار له من احذق اطباء مصر من يعالج الجارية فدعا عبيد الله بليطيان بطريرك الاسكندرية وكان حاذقاً بالطب فاعلمه بحب الرشيد الجارية وعلتها ، وحمله الى الرشيد . وحمل بليطيان معه من كعك مصر الخشن والصير[2] ، فلما دخل الى بغداد ودخل الى الجارية اطعمها الكعك والصير فرجعت الى طبعها، وزالت عنها العلة فصار من ذلك الوقت يحمل من مصر الى خزانة السلطان الكعك الخشن والصير . ووهب الرشيد لبليطيان البطريرك مالاً كثيراً ، وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد اليعقوبية[3] مما اخذوها ، وتغلبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من اليعقوبية كنائس كثيرة . وتوفي بليطيان في سنة ستة وثمانين ومائة للهجرة .

---

(١) هم المسيحيون الذين خضعوا للمجمع الخلقيدوني الذي انحاز اليه الملك مرتيانوس . وهم في طاعة بطريرك انطاكية لغتهم الطقسية اليونانية والعربية .

(٢) السمك المملح .

(٣) طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الواحدة يسمون اليوم السريان القديم او الارثوذكس تمييزاً عن السريان الكاثوليك .

ابراهيم بن عيسى

كان طبيباً فاضلاً معروفاً في زمانه متميزاً في اوانه ، صحب يوحنا بن ماسويه ببغداد وقرأ عليه وأخذ عنه . وخدم بصناعة الطب الامير احمد بن طولون [1] ، وتقدم عنــــده وسافر معه الى الديار المصرية ، واستمر في خدمته ولم يزل ابراهيم بن عيسى مقيمــاً في فسطاط مصر الى ان توفي ، وكانت وفاته في نحو سنة ستين ومائتين .

الحسن بن زيرك

كان طبيباً في مصر ايام احمــد بن طولون يصحبه في الاقامة ، فاذا سافر صحبه سعيد بن توفيل . ولما توجه ابن طولون الى دمشق في شهور سنة تسع وستين ومائتين، وامتد منها الى الثغور لاصلاحها، ودخل انطاكية عائداً عنها اكثر من استعمال لــبن الجواميس فأدركته هيضة لم ينجع فيها معاناة سعيد ابن توفيل ، وعاد بها الى مصر وهو ساخط على سعيد بن توفيل . فلما دخل الفسطاط احضر الحسن ابن زيرك وشكا اليه سعيداً فسهل عليه ابن زيرك أمر علته ، واعلمه انه يرجو له السلامة منهــا عن قرب . وخفت عنه علاته بالراحة والطمــأنينة واجتماع الشمل ، وهدوء النفس ، وحسن القيام . وبر الحسن بن زيرك . وكان يسر التخليط مع الحرم فازدادت علتــه ، ثم دعا بالاطباء فأرهبهم وخوفهم وكتمهم ما اسلفه من سوء التدبير والتخليط ، واشتهى على بعض حظاياه سمكاً قريصاً فأحضرته اياه سراً فما تمكن من معدته، حتى تتابع الاسهال فأحضر الحسن بن زيرك وقال له: احسب الذي سقيتنيه اليوم غير صواب . قال له الحسن بن زيرك يأمر الامير ايده الله باحضار جماعة اطباء الفسطاط داره في غداة كل يوم ، حتى يتفقوا على ما يأخذه كل غداة ، وما سقيتك الا أشياء تولى عجنهــا ثقتك ، وجميعها تنهض القوة الماسكة في معدتك وكبدك . فقال أحمد: والله لئن لم تنجحوا في تدبيركم لاضرب أعناقكم فانما تجربون على العليل ، ولا يحصل منكم على شيء في الحقيقة . فخرج الحسن بن زيرك من بين يديه وهو يرعد . وكان شيخاً كبيراً فحميت كبده من سوء فكره وخوفه ، وتشاغله عن المطعم والنوم فاعتراه اسهــــال سريع ، واستولى الغم عليه فخلط وكان يهذي بعلة احمد بن طولون ، حتى مات في غد ذلك اليوم .

سعيد بن توفيل

كان طبيباً نصرانياً متميزاً في صناعة الطب ، وكان في خدمة احمد بن طولون من اطبــاء الخاص يصحبه في السفر والحضر ، وتغير عليه قبل موته . وسببه ان أحمد بن طولون ، كما تقدم ذكــره ،

---

(١) مؤسس الدولة الطولونية لمصر واول ولاتها مع الشام الذين لم يكونوا تابعين للخلافة في بغداد الا اسماً . بنى الجامــع المعروف باسمه في القاهرة . وهو اول من اجرى تأميم مناجم النطرون .

كان قد خرج الى الشام ، وقصد الثغور لاصلاحها ، وعاد الى انطاكية فأدركته هيضة من ألبان الجواميس ، لانه أسرع فيها، واستكثر منها فالتمس طبيبه سعيداً فوجده قد خرج الى بيعة بانطاكية فتمكن غيظه عليه ، فلما حضر اغلظ له في التأخر عنه ، وأنف أن يشكو اليه ما وجده . ثم زاد الأمر عليه في الليلة الثـــانية فطلبه فجاء متنبذاً ، فقال له : لي من يومين عليل وأنت شارب نبيذ ؟ فقال : يا سيدي طلبتني أمس وأنا في بيعتي على ما جرت عادتي ، وحضرت فلم تخبرني بشيء ! قال : فما كان ينبغي أن تسأل عن حالي ؟ قال : ظنك يا مولاي سيىء ، ولست أسأل أحداً من حاشيتك عن شيء من أمرك . قال : فما الصواب الساعة ؟ قال : لا تقرب شيئا من الغذاء ، ولو قرمت [١] اليه الليلة وغداً . قال : أنا والله جائع ، وما أصبر . قال : هذا جوع كاذب لبرد المعدة . فلمـا كان في نصف الليل استدعى شيئاً يأكله فجيء بفراريج كردباج[٢] حارة ، وبزماورد [٣]من دجاج، وجداء [٤] باردة فأكل منها فانقطع الاسهـــال عنه ، فخرج نسيم الخادم ، وسعيد في الدار فقال له أكل الأمير خروف كردباج فخف عنه القيام . قال سعيد : الله المستعان ضعفت قوته الدافعة بقهر الغذاء لهـا ، وستتحرك حركة منكرة فوالله ما وافى السحر حتى قام اكثر من عشرة مجالس،وخرج من انطاكية ، وعلته تتزايد إلا أن في قوته احتمالاً لهــا . وطلب مصر وثقل عليه ركوب الدواب فعملت له عجلة كانت تجر بالرجال ، وطئت له ، فلما وصل الفرما[٥] حتى شكا ازعاجها فركب الما الى الفسطاط ، وضرب له بالميدان قبة نزل فيها .

ولما حل ابن طولون بمصر ظهرت منه نبوة في حق سعيد الطبيب هذا ، وشكاه الى اسحق بن ابراهيم كاتبه وصاحبه فقال اسحق بن ابراهيم لسعيد يعاتبه : ويحك ، أنت حاذق في صناعتك وليس لك عيب إلا انك مدل بها ، غير خاضع ان تخدمه فيها . والأمير ، وإن كان فصيح اللسان ، فهو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أوضاع الطب فيدبر نفسه بها وينقاد لك . وقد أفسده عليك الاقبال فتلطف له ، وارفق به ، وواظب عليه ، وراع حاله . فقال سعيد : والله ما خدمتي له إلا خدمة الفار للسنور ، والسخلة للذئب ، وان قتلي لأحب إلي من صحبته . ومات أحمد بن طولون في علته هذه .

وقال نسيم خادم أحمد بن طولون : ان سعيد بن توفيل المتطبب ، كان في خدمة الامير احمد بن طولون فطلبه يوماً فقيل له مضى يستعرض ضيعة يشتريها فامسك حتى حضر . ثم قال له : يا سعيد اجعل ضيعتك التي تشتريها فتستغلها صحبتي ولا تغفلها ، واعلم انك تسبقني الى الموت إن كان موتي على فراشي ، فاني لا امكنك بالاستمتاع بشيء بعدي . قال نسيم : وكان سعيد بن توفيل آيساً من

---

(١) اشتقت واشتدت شهوتك اليه .

(٢) هكذا في الأصل والصحيح كردناج وهي معرب كردناك وهو شواء في سفود يقلب على النار لينضج ويؤكل .

(٣) او الزماورد طعام قيل هو الرقاق الملفوف باللحم ويسمى لقمة القاضي .

(٤) جمع جدي وهو الذكر من اولاد المعز ما كان دون ستة اشهر . (ن.ر)

(٥) الفرماء: مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً اصطدم فيها العرب بالروم عند هجومهم على مصر فتحها عمرو بن العاص .

الحيــاة لان احمد بن طولون امتنع من مشاورته ولم يكن يحضر إلا ومعه من يستظهر عليه برأيه ، ويعتقد فيه انه فرط في أول أمره وابتداء العلة به حتى فات أمره .

وفي التــاريخ ان سعيد بن توفيل كان له في أول ما صحب أحمد شاكري[1] قبيح الصورة ، كان ينفض الكتان مع اب له واسمه هاشم ، وكان يخدم بغلة سعيد ويمسكها له اذا دخل دار احمد ابن طولون . وكان سعيد يستعمله في بعض الاوقات في سحق الادوية بداره اذا رجع معه ، وينفخ النار على المطبوخات . وكان لسعيد بن توفيل ابن حسن الصورة ، ذكي الروح ، حسن المعرفة بالطب فتقدم احمد بن طولون الى سعيد اول ما صحبه ان يرتاد متطبباً يكون لحرمه ، ويكون مقيا بالحضرة في غيبته ، فقال له سعيد : لي ولد قدعلمته وخرجته . قال:ارنيه فأحضره ، فرأى شاباًرائقاً،حسن الاسباب كلها . فقال له احمد بن طولون : ليس يصلح هذا لخدمة الحرم ، احتاج لهن حسن المعرفة قبيح الصورة ، فأشفق سعيد ان ينصّب لهم غريباً فينبو عنه ، ويخالف عليه ، فأخذ هاشماً وألبسه دراعة [2] وخفين ونصبه للحرم . فذكر جريج ابن الطباخ المتطبب قال : لقيت سعيد بن توفيــل ومعه عمر بن صخر . فقال له عمر : ما الذي نصبت هاشما له ؟ قال خدمة الحرم لان الاميرطلب قبيح الخلقة . فقال له عمر : قد كان في ابناء الاطباء قبيــح قد حسنت تربيته ، وطاب مغرسه يصلح لهذا ، ولكنك استرخصت الصنعة . والله يا ابا عثمان ان قويت يــده ليرجعن الى دناءة منصبه ، وخساسة محتده . فتضاحك سعيد بغرته من هذا الكلام . وتمكن هاشم من الحرم باصلاحه لهم مــا يوافقهم من عمل ادوية الشحم والحبل ، وما يحسن اللون ويغزر الشعر ، حتى قدمه النساء على سعيد. فلما جمع الاطباء على الغدو الى احمد بن طولون في كل يوم عند اشتداد علته قالت «مائة الف» ام ابي العشائر : قد احضر جماعة من الاطباء ، ولم يحضر هاشم ، والله يا سيدي ما فيهم مثله ، فقال لهــا احضريه‌نيه سرا حتى اشافهه واسمع كلامه ، فادخلته اليه سرا وشجعته على كلامه . فلما مثل بين‌يديه نظر وجهه وقال أغفِل الامير حتى بلغ الى هذه الحالة ، لا احسن الله جزاء من كان يتولى امره. قال له احمد بن طولون : فما الصواب يا مبارك ؟ قــال : تتناول قميحة فيها كذا وكذا ، وعدد قريباً من مائة عقار،وهذه القمائح تمسك وقت اخذها وتعود بضرربعدذلك لانها تتعب القوى .فتناولها أحمد ، وأمسك عن تناول ما عمله سعيد والاطباء . ولما امسكت حسن موقع ذلك عند أحمد وظن ان البرء قد تم له . ثم قال أحمد لهاشم : ان سعيداً قــد حماني من شهر عن لقمة عصيدة [3] وأنا أشتهيها : قال : يا سيدي ، أخطأ سعيد وهي مغذية ولها أثر حميد فيك . فتقدم أحمد بن طولون باصلاحها فجيء منها بجام واسع فاكل اكثره وطاب نفساً ببلوغ شهوته ونام ولحجت العصيدة فتوهم ان حاله زادت صلاحاً . وكل هذا يطوى عن سعيد بن توفيل . ولما حضر سعيد قال له : ما تقول في العصيدة ؟ قال هي ثقيلة على الاعضاء وتحتاج أعضاء الامير الى تخفيف عنها . قال له احمد : دعني

---

(١) الاجير والمستخدم .

(٢) جبة مشقوقة المقدم .

(٣) دقيق يلت بالسمن ويطبخ .

من هذه المخرقة [1] قد أكلتها ونفعتني والحمد لله . وجيء بفاكهة من الشام فسأل احمد بن طولون سعيد بن توفيل عن السفرجل فقال : تمص منه على خلو المعدة والاحشاء فانه نافع . فلما خرج سعيد من عنده أكل أحمد بن طولون سفرجلا فوجد السفرجل المصيدة فعصرها فتدافع الاسهال، فدعا سعيداً فقال يا ابن الفاعلة ذكرت ان السفرجل نافع لي وقد عاد الي الاسهال ، فقام فنظر المادة ورجع اليه فقال : هذه العصيدة التي حمدتها وذكرت اني غلطت في منعها فانها لم تزل مقيمة في الاحشاء لا تطيق تغييرها ولا هضمها لضعف قواها ، حتى عصرها السفرجل ، ولم أكن أطلقت لك أكله ، وانماأشرت بمصه . . ثم سأله عن مقدار ما أكل منه فقال : سفرجلتين . فقال سعيد : أكلت السفرجل للشبع ولم تأكله للعلاج . فقال يا ابن الفاعلة جلست تنادرني وأنت صحيح سوي ، وأنا عليل مدنف . ثم دعا بالسياط فضربه مائتي سوط وطاف به على جمل ، ونودي عليه هذا جزاء من ائتمن فخان ، ونهب الاولياء منزله ومات بعد يومين ، وذلك في سنة تسع وستين ومائتين بمصر. وقيل في سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهي السنة التي مات ابن طولون في ذي قعدتها . والله اعلم

خلف الطولوني

هو أبو علي خلف الطولوني مولى امير المؤمنين ، كان مشتغلا بصناعة الطب ، وله معرفة جيدة في علم امراض العين ومداواتها.

وللخلف الطولوني من الكتب : كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتها وعلاجها وادويتهما ، ونقلت من خطه في كتابه هذا ، وجملة الكتاب بخطه ، ان معاناته كانت لتأليف هذا الكتاب في سنة أربع وستين ومائتين ، وفراغه منه في سنة اثنتين وثلثمائة .

نسطاس بن جريج

كان نصرانياً عالماً بصناعة الطب ، وكان في دولة الاخشيد بن طغج[2] . ولنسطاس بن جريج من الكتب : كناش . رسالة إلى يزيد بن رومان النصراني الاندلسي في البول .

اسحق بن ابراهيم بن نسطاس

هو أبو يعقوب ، اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بن جريج، نصراني فاضل في صناعة الطب. وكان في خدمة الحاكم بأمر الله[3] ويعتمد عليه في الطب وتوفي اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بالقاهرة في أيام الحاكم ، واستطب بعده أبا الحسن علي بن رضوان ، واستمر في خدمته وجعله رئيساً على سائر الاطباء .

---

(١) الكذب والاختلاق .

(٢) احد ملوك الاخشيديين الذين تولوا الحكم في مصر وسوريا واصلهم ايرانيون .

(٣) هو المنصور بن العزيز سادس الخلفاء الفاطميين (٩٨٥–١٠٢١) . اختفى فجأة فقيل انه قتل وقيل انه عمد الى الاختفاء ومن انصاره درزي داعي الباطنية .

البالسي

هو (*) كان طبيباً فاضلاً متميزاً في معرفة الادوية المفردة وافعالها . وله من الكتب : كتاب التكميل في الادوية المفردة ألفه لكافور الاخشيدي[1] .

موسى بن العازار الاسرائيلي

مشهور بالتقدم والحذق في صناعة الطب ، وكان في خدمة المعز لدين الله ، وكان في خدمته ايضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب . وكان جليل القدر عند المعز ومتولياً أمره كله في حياة أبيه وتوفي اسحق بن موسى لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وستين وثلثمائة . واغتم المعز لموت اسحق لموضعه منه ولكفايته ، وجعل موضعه اخاه اسمعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق، وكان ذلك في حياة أبيهم موسى وتوفي قبل وفاة اسحق بيوم اخ له مسلم اسمه عون الله بن موسى .

ولموسى بن العازار من الكتب : الكتاب المعزي في الطبيخ ، ألفه للمعز . مقالة في السعال . جواب مسئلة سأله عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم الراغبين جني ثمارها ، كتاب الاقراباذين .

يوسف النصراني

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب فاضلا في العلوم . وقال يحيى بن سعيد بن يحيى . في كتاب «تاريخ الذيل» : انه لما كان في السنة الخامسة من خلافة العزيز صير يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس . اقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية أشهر ، ومات بمصر ودفن في كنيسة مار ثوادرس مع آباء أخر منطودلا القيسراني .

سعيد بن البطريق

من اهل فسطاط[2] مصر ، وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها متقدماً في زمانه ، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم، ومولده في يوم الاحد لثلاث بقين من ذي‌الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين للهجرة . ولما كان في اول سنة من خلافة القاهر[3] بالله محمد بن احمد المعتضد بالله ، صير سعيد بن البطريق بطريركاً على الاسكندرية ، وسمي أوثوشيوس ، وذلك لثمان خلون من شهر صفر سنة احدى وعشرين وثلثمائة ولسعيد بن البطريق من العمر نحو ستين سنة . وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين وستة أشهر . وكان في أيامه شقاق عظيم وشر متصل بينه وبين

(*) بياض بالاصل .

(1) هو ابو المسك تولى الحكم سنة ٩٦٦ ولد في المهدية – تونس – وهو رابع الخلفاء الفاطميين . بسط سيادته على مصر وسوريا والحجاز . وفي ايامه اسس القائد جوهر مدينة القاهرة (ن.ر)

(2) اول مدن المسلمين في مصر بناها عمرو بن العاص . كان موقعها بين القاهرة ومصر العتيقة وتسمى الآن امبابة .

(3) الخليفة العباسي التاسع عشر اساء سياسة الرعية فاسر وهو بحالة السكر وسملت عيناه وسجن وعاش متسولاً .

شعبه . واعتـــل سعيد بن البطريق بمصر بالاسهال . وكان متميزاً في صناعـــة الطب فحدس انها علة موته ، فصـــار الى كرسيه بالاسكندرية ، وأقام به أياماً عـــدة عليلاً ، ومـــات يوم الاثنين سلخ[1] رجب من سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

ولسعيد بن البطريق من الكتب: كتاب في الطب ، علم وعمل . كناش . كتاب الجدل بين المخالف والنصراني . كتاب نظم الجوهر ، ثلاث مقالات . كتبه الى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم وأعيـادهم ، وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين ؛ وذكر البطاركة وأحوالهم ، ومدة حياتهم ومواضعهم ، وما جرى لهم في ولايتهم . وقد ذيل هذا الكتاب نسيب لسعيد بن البطريق يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى ، وسمى كتابه كتاب تاريخ الذيل .

عيسى بن البطريق

كان طبيباً نصرانياً عالماً بصناعة الطب علمها وعملهـــا ، متميزاً في جزئيات المداواة والعلاج ، مشكوراً فيها وكان مقامه بمدينة مصر القديمة ، وكان هذا عيسى بن البطريق أخا سعيد بن البطريق المقدم ذكره ولم يزل عيسى بمدينة مصر طبيباً الى ان توفي بها .

أعين بن أعين

كان طبيباً متميزاً في الديار المصرية ، وله ذكر جميل وحسن معالجة . وكان في أيام العزيز بالله [2] وتوفي أعين بن اعين في شهر ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة .

وله من الكتب : كناش . كتاب في امراض العين ومداواتها .

التميمي

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي . كان مقامه أولاً بالقدس[3] ونواحيهـا وله معرفة جيدة بالنبات وماهياته والكلام فيه .وكان متميزاً أيضاً في أعمال صناعة الطب والاطلاع على دقائقها ؛ وله خبرة فاضلة في تركيب المعـاجين والأدوية المفردة ؛ واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق وتركيبه وركب منه شيئاً كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة . وانتقل الى الديار المصرية وأقام بهـــا الى أن توفي رحمه الله . وكان قد اجتمع في القدس بحكيم فاضل راهب يقال له انبا زخريا بن ثوابة . وكان هذا الراهب يتكلم في شيء من اجزاء العلوم الحكمية والطب ، وكان مقيمـاً في القدس في المائة الرابعة من الهجرة ، وكان له نظر في أمر تركيب الأدوية . ولما اجتمع به محمد التميمي لازمه

---

(١) آخره .

(٢) ابو منصور خامس خلفاء الفاطميين بمصر (٩٧٥–٩٩٦) بلغت الدولة اوج عزها في ايامه . وبنى الجوامع والقصور والاقنية لكنه اعتمد على العساكر التركية فاغتصبوا منه السيادة .

(٣) عاصمة فلسطين دمرها الرومان وفتحها العرب وهي مقدسة عند الاديان السماوية الثلاثة (ن.ر)

وأخذ عنه فوائد وجملا كثيرة ممـــا يعرفه . وقد ذكر التميمي في كتابه مادة البقاء ، صفة سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وذكر انه نقل ذلك عن انبا زخريا .

وقال الصاحب جمال الدين بن القفطي القاضي الأكرم في كتاب « أخبار العلماء باخبار الحكماء »: ان التميمي محمد بن أحمد بن سعيد كان جده سعيد طبيباً ، وصحب أحمد بن أبي يعقوب مولى ولد العباس ، وكان محمد من البيت المقدس ، وقرأ علم الطب به وبغيره من المدن التي ارتحل اليها، واستفاد من هذا الشأن جزءاً متوفراً ، وأحكم ما علمه منه غاية الاحكام . وكان له غرام وعناية تامة في تركيب الادوية ، وحسن اختيار في تأليفها،وعنده غوص على أمور هذا النوع ، واستغراق في طلب غوامضه. وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بمـــا زاده فيه من المفردات ، وذلك باجماع الاطباء على انه الذي أكمله . وله في الترياق عدة تصانيف ما بين كبير ومتوسط وصغير . وقـــد كان مختصاً بالحسن بن عبد الله بن طغج المستولي على مدينة الرملة ، وما انضاف اليها من البلاد الساحلية وكان مغرماً به وبما يعالجه من المفردات والمركبات . وعمل له عـــدة معاجين ولخالخ[1] طبية ودخناً دافعة للوباء وسطر ذلك في أثنـــاء مصنفاته . ثم ادرك الدولة العلوية[2] عند دخولها الى الديار المصرية وصحب الوزير يعقوب بن كلس[3] وزير المعز والعزيز وصنف له كتاباً كبيراً في عدة مجلدات سماه مادة البقـاء باصلاح فساد الهواء ، والتحرز من ضرر الاوباء وكل ذلك بالقاهرة المعزية . ولقي الأطبـــاء بمصر وناظرهم واختلط باطباء الخاص القادمين من أهل المغرب في صحبة المعز عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها .

قال وحكى محمد التميمي خبراً عن ولده وهو ، قال :حدثني والدي رضي الله عنه انه سكرمرة سكراً مفرطاً غلب فيه على عقله فسقط في بعض الخانات من موضـع عال من أسفل الخان ، وهو لا يعقل فحمله صاحب الخان وخدمه حتى ادخله الى الحجرة التي كان ساكنها . فلما أصبح قام وهو يجد وجعاً ووهناً في مواضع من جسده ، ولا يعرف لذلك سبباً فركب وتصرف في بعض اموره الى ان تعالى النهار ثم رجع ، فقال لصاحب الخان : اني اجد في جسدي وجعاً وتوهنـاً شديداً لست أدري ما سببه ؟ فقال له صاحب الخان : ينبغي ان تحمد الله على سلامتـــك . قال : مم ذا ؟ قال : أو ما علمت ما نالك البارحة ؟ قال : لا . قال : فانك سقطت من أعلى الخان الى أسفل وانت سكران . قال : ومن اي موضع ؟ فأراه الموضع ، فلمـا رآه حدث به للوقت من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلاً الى الصبر ، وأقبل يضج ويتأوه الى ان جـاءوه بطبيب ففصده ، وشد على مفاصـــله المتوهنة جباراً فأقام أياماً كثيرة الى ان برأ وذهب عنه الوجع .

اقول : ومما يناسب هذه الحكاية ان بعض التجـار كان في بعض أسفاره في مغارة ومعه رفقة له فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس فخرجت حيـــة من بعض النواحي ، وصادفت رجله

---

(١) مراهم وأطلية .

(٢) الدولة الفاطمية .

(٣) يهودي من بغداد (٩٣٠ - ٩٩١) اشتهر بادارته المالية . واصبح وزيراً للخليفة العزيز الفاطمي . واسلم وأصبح حجة في العلوم الاسلامية .

فنهشته فيها وذهبت ، وانتبـه مرعوباً من الألم وبقي يمسك رجله ويتأوه منها . فقـال له بعضهم : ما عليك ، انك مددت رجلك بسرعة ، وقد صادفت رجلك شوكة في هـذا الموضع الذي يوجعك ، وأظهر له انه اخرج الشوكة ، وقال : ما بقي عليك بأس. وتساكن عنه الألم بعد ذلك ، ورحلوا فلما كان بعد عودهم بمدة وقد نزلوا في تلك المنزلة قال له صاحبه أتدري ذلك الوجع الذي عرض لـك في هذا الموضع من اي شيء كان ؟ فقال : لا . قال ان حية ضربتك في رجلك ورأيناها وما أعلمناك . فعرض له للوقت ضربان قوي في رجله ، وسرى في بدنه الى ان قرب من قلبـه وعرض له غشي ، ثم تزايد به الى ان مات . وكان السبب في ذلك ان الاوهام والاحداث النفسانية تؤثر في البدن أثراً قوياً فلما تحقق ان الآفة التي عرضت له كانت من نهشة الحية تأثر من ذلك وسرى مـا كان في ذلك الموضع من بقايا السم في بدنه . ولما وصل الى قلبه أهلكه .

قال الصاحب جمال الدين : ولما كان التميمي ببلده البيت المقدس معانياً لصناعـة الطب واحكام التركيبات ، صنف وركب ترياقاً سماه مخلص النفوس وقال فيه : « هذا ترياق ألفته بالقدس واحكمت تركيبه ، مختصر، نافع الفعل ، دافع لضرر السمومات القاتلة المشروبة والمصبوبة في الابـدان . بلسع ذوات السم من الافاعي والثعابين وانواع الحيات المهلكة السم ، والعقارب الجرارات وغيرها ، وذوات الاربع والاربعين[1] رجلاً، ومن لدغ الرتيلاء[2] والعظايات[3] مجرب ليس له مثل» . ثم ساق مفرداته وصورة تركيبه في كتابه المسمى بمادة البقاء . ولما كان بمصر صنف جوارشن وركبه وسماه : مفتـاح السرور من كل الهموم ، ومفرح النفس ، ألفه لبعض اخوانه بمصر ، وذكر صورة تركيبـه وأسماء مفرداته ، غير انه ركبه بمصر وسماها الفسطاط ، اسمها الاول في زمن عمرو بن العاص عند افتتاحها ، وذلك مذكور في كتابه مادة البقاء وكان التميمي هذا موجوداً بمصر في سنة سبعين وثلثمائة .

وللتميمي من الكتب : رسالة الى ابنه علي بن محمد في صنعـة الترياق الفاروق والتنبيه على ما يغلط فيه من ادويته ، ونعت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفيـة عجنه ، وذكر منافعه وتجربته . كتاب آخر في الترياق ، وقد استوعب فيه تكميل أدويته وتحرير منافعه . كتاب مختصر في الترياق . كتاب في مادة البقاء باصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الاوباء ، صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس بمصر . مقالة في ماهية الرمد وانواعه وأسبابه ، وعلاجه . كتاب الفاحص والاخبار

سهلان

هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان ، كان طبيباً نصرانياً من أهـل مصر ينتحل رأي الفرقة الملكية،وخدم الخلفاء المصريين، وارتفع جاهه في الايام العزيزية، ولم يزل مرتفع الذكر محروس الجانب

---

(١) دويبة ذات قوائم كثيرة ومن اسمائها ام سبع وسبعين وحريش وعقربان ودخال الاذن .

(٢) من انواع العنكبوت .

(٣) كل دويبة صغيرة منالزحافات ذوات الاربع منها : سوام ، ابرص ، والعضارف اي الحرادين ، والضباب ، والسحالي. وفي الاصل ما يسمى عند عامة مصر بالسحلية وفي سواحلالشام بالسقاية (ن.ر).

مقتنياً للمال الجزيـل الى ان توفي بمصر في أيام العزيز بالله ، في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمائة وأخرج يوم الاحد بعد صلاة الظهر إلى كنيسة الروم بقصر الشمع : فاخذ بجنازته من داره على النخاسين على الجامع العتيق على المربعة الى حمام الفارو ، بين يديه خمسون شمعة موقودة، وعلى تابوته ثوب مثقل وخلف جنازته المطران أخو السيد ، وأبو الفتح منصور بن مقشر طبيب الخاص مشاة ، وسائر النصارى تبع لهم. ثم اخرج من الكنيسة بعد ان قسس عليه بقية ليلتهم الى دير القصير فدفن هناك عند قـبر أخيه كيسان بن عثمان بن كيسان ، ولم يعترض العزيز لتركته ، ولا ترك أحداً يمد يده اليها على كثرتها .

ابو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر

كان طبيباً نصرانياً مشهوراً ، وله دراية وخبرة بصناعة الطب ، وكان طبيب الحاكم بأمر الله ، ومن الخواص عنده ، وكان العزيز ايضاً يستطبه ويرى له ويحترمه . وكان متقدماً في الدولة، وتوفي في أيام الحاكم واستطب الحاكم بعده اسحق بن ابراهيم بن نسطاس . ومات اسحق بن نسطاس أيضا في ايام الحاكم بعد ذلك .

عمار بن علي الموصلي

كان كحالا مشهوراً ، ومعالجا مذكورا . له خبرة بمداواة أمراض العين ؛ ودربة باعمال الحديد . وكان قد سافر الى مصر وأقام بها وكان في ايام الحاكم ولعمار بن علي من الكتب : كتاب المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالادوية والحديد ، ألفه للحاكم .

الحقير النافع

كان هذا من أهل مصر ، يهودي النحلة في زمن الحاكم . وكان طبيبا جرائحيا ، حسن المعالجة . ومن ظريف أمره انه كان يرتزق بصناعة مداواة الجراح ، وهو في غاية الخمول واتفق ان عرض لرجل الحاكم عقر [1] ازمن ولم يبرأ. وكان ابن مقشر طبيب الحاكم والحظي عنده ، وغيره من أطباء الخاص المشاركين له يتولون علاجه فلا يؤثر ذلك الاشرافي [2] العقر فاحضر له هذا اليهودي المذكور ، فلما رآه طرح عليه دواء يابساً فنشفه وشفاه في ثلاثة أيام فاطلق له الف دينار، وخلع عليه ، ولقبه بالحقير النافع ؛ وجعله من اطباء الخاص .

ابو بشر طبيب العظيمية

كان في ايام الحاكم . مشهوراً في الدولة ، ويعد من الافاضل في صناعة الطب .

«١» جرح .

«٢» هكذا في النسخ والصحيح الاشراف في .

ابن مقشر الطبيب

كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين . مكيناً في الدولة ، حظيا عند الحاكم ، وكان يعتمد عليه في صناعة الطب . وقال عبيد الله بن جبرئيل : ان ابن مقشر الطبيب كان في خدمة الحاكم ، وبلغ معه اعلى المنازل واسناها ، وكان له منه الصلات الكثيرة ، والعطايا العظيمة . قال : ولما مرض ابن مقشر الطبيب عاده الحاكم بنفسه ، ولما مات أطلق لمخلفيه مالا وافرا .

علي بن سليمان

كان طبيباً فاضلاً متقناً للحكمة والعلوم الرياضية ، متميزاً في صناعة الطب ، اوحد في احكام النجوم . وكان في أيام العزيز بالله وولده الحاكم ولحق أيام الظاهر لاعزاز دين الله [1] ولد الحاكم .

ولعلي بن سليمان من الكتب : اختصار كتاب الحاوى في الطب. كتاب الامثلة والتجارب والاخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب ابقراط وجالينوس وغيرهما . تذكرة له ورياضة ووجدت هذا الكتاب بخطه اربع مجلدات وقد ذكرفيه انه ابتدأ بتأليفه في سنة أحدى وتسعين وثلثمائة بالقاهرة . كتاب التعاليق الفلسفية ووجدته أيضا بخطه وهو يقول فيه انه ابتدأ بتصنيفه بحلب في سنة احدى عشرة وأربعمائة . مقالة في ان قبول الجسم التجزؤ لا يقف ولا ينتهي الى ما لا يتجزأ . وتعديد شكوك تلزم مقالة ارسطوطاليس في الابصار . وتعديد شكوك في كواكب الذنب .

ابن الهيثم

هو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم أصله من البصرة[2] ، ثم انتقل الى الديار المصرية وأقام بها الى آخر عمره . وكان فاضل النفس قوي الذكاء متفنناً في العلوم . لم يماثله احد من أهل زمانه في العلم الرياضي ، ولا يقرب منه . وكان دائم الاشتغال ، كثير التصنيف، وافر التزهد ، محباً للخير . وقد لخص كثيراً من كتب ارسطو طاليس وشرحها ، وكذلك لخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب . وكان خبيراً باصول صناعة الطب وقوانينها وامورها الكلية إلا انه لم يباشر أعمالها ، ولم تكن له دربة بالمداواة ، وتصانيفه كثيرة الافادة . وكان حسن الخط ، جيد المعرفة بالعربية .

وحدثني الشيخ علم الدين بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الحنفي المهندس قال : كان ابن الهيثم في أول امره بالبصرة ونواحيها قد وزر ، وكانت نفسه تميل الى الفضائل والحكمة والنظر فيها ، ويشتهي ان يتجرد عن الشواغل التي تمنعه من النظر في العلم . فأظهر خبالا في عقله وتغيراً في تصوره

«١» ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله «٩٩٦ - ١٠٢٠» سابع الخلفاء الفاطميين .

(٢) مدينة عراقية مرفأ على شط العرب كانت مع الكوفة مهداً للدروس اللغوية العربية وهي مسقط رأس حسن البصري والاشعري والحريري .

وبقي كذلك مدة حتى مكن من تبطيل الخدمة ، وصرف من النظر الذي كان في يده . ثم انه سافر الى ديار مصر، واقام بالقاهرة في الجامع الازهر بها. وكان يكتب في كل سنة اقليدس والمجسطي ويبيعها، ويقتات من ذلك الثمن . ولم تزل هذه حاله الى ان توفي رحمه الله .

ووجدت الصاحب جمال الدين أبا الحسن بن القفطي قد ذكر أيضاً عن ابن الهيثم ما هذا نصه ، قال : انه بلغ الحاكم صاحب مصر من العلويين ، وكان يميل الى الحكمة ، خبره وما هو عليه من الاتقان لهذا الشأن، فتاقت نفسه الى رؤيته. ثم نقل له عنه انه قال : لو كنت بمصر لعملت في نيلها[1] عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، فقد بلغني انه ينحدر على موضع عال هو في طرف الاقليم المصري . فازداد الحاكم اليه شوقاً وسير اليه سراً جملة من المال ، وأرغبه في الحضور فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا بقرية على باب القاهرة المعزية تعرف بالخندق ، وأمر بانزاله واكرامه واحترامه ، واقام ريثما استراح وطالبه بما وعد به من أمر النيل . فسار ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة بأيديهم ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له . ولما سار الى الاقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الامم الخالية ، وهي على غاية من احكام الصنعة وجودة الهندسة ، وما اشتملت عليه من اشكال سماوية ومقالات هندسية وتصوير معجزة ، تحقق ان الذي يقصده ليس بممكن . فان من تقدمه ، في الصدور الخالية ، لم يغرب عنهم علم ما عمله . ولو امكن لفعلوه . فانكسرت همته، ووقف خاطره، ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل ، قبلي مدينة اسوان، وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل ، فعاينه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشي على موافقة مراده ، وتحقق الخطأ والغلبة عما وعد به . وعاد خجلاً ومنخذلاً واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره ووافقه عليه . ثم ان الحاكم ولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لا رغبة، وتحقق الغلط في الولاية فان الحاكم كان كثير الاستحالة مريقاً للدماء بغير سبب او بأضعف سبب من خيال يتخيله. فأجال فكرته في امر يتخلص به فلم يجد طريقاً الى ذلك الا اظهار الجنون والخبال . فاعتمد ذلك وشاع ، فاحيط على موجوده له بيد الحاكم ونوابه وجعل برسمه من يخدمه ويقوم بمصالحه ، وقيّد وتُرك في موضع من منزله . ولم يزل على ذلك الى ان تحقق وفاة الحاكم ، وبعد ذلك بيسير أظهر العقل وعاد الى ما كان عليه . وخرج عن داره واستوطن قبة على باب الجامع الازهر احد جوامع القاهرة. واقام بها متنسكاً متعزياً مقتنعاً . واعيد اليه ماله من تحت يد الحاكم ، واشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة . وكان له خط قاعدته في غاية الصحة ، كتب به الكثير من علوم الرياضة ، قال : وذكر لي يوسف الفاسي الاسرائيلي الحكيم بحلب قال : سمعت ان ابن الهيثم كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن اشتغاله ، وهي اقليدس والمتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة السنة فاذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية ، وصار ذلك

---

(١) نهر يخرج من بحيرة فيكتوريا فيجتاز اوغندا والسودان وتنحدر مياهه ببحر الغزال فيسمى النيل الابيض ، وبمياه البحر الازرق فيسمى النيل الازرق ويجري في ارض النوبة ومصر فيخصبها بفيضانه ويصب في البحر المتوسط .

كالرسم الذي لا يحتاج فيه الى مواكسة[1] ولا معاودة قول ، فيجعلها مؤونته لسنته . ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة أو بعدها بقليل . والله أعلم .

أقول : ونقلت من خط ابن الهيثم في مقـــالة له فيما صنعه وصنفه من علوم الاوائل الى آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة لهجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الواقع في شهور سنة ثلاث وستين الهلالية من عمره ما هذا نصه ، قال : اني لم أزل منذ عهد الصبا مرتاباً في اعتقادات هذه الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأي ، فكنت متشككاً في جميعه ، موقناً بان الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه . فلمـا كملت لادراك الامور العقلية ، انقطعت الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتي وحدسي الى ادراك ما به تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون ، وبعثت عزيمتي الى تحصيل الرأي المقرب الى الله جل ثنـــاؤه ، المؤدي الى رضاه الهـادي لطاعته وتقواه ، فكنت كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البرء يخاطب تلميذه : لست أعلم كيف تهيأ لي ، منذ صباي ، ان شئت قلت باتفـــاق عجيب ، وان شئت قلت بالهام من الله ، وان شئت قلت بالجنون ، أو كيف شئت ان تنسب ذلك ، اني ازدريت عوام الناس واستخففت بهم ، ولم التفت اليهم ، واشتهيت ايثار الحق وطلب العلم ، واستقر عندي انه ليس ينال الناس من الدنيا أشياء أجود ولا أشد قربة الى الله من هذين الأمرين . قال محمد بن الحسن : فخضت لذلك في ضروب الآراء والاعتقادات ، وأنواع علوم الديانات ، فلم أحظ من شيء منها بطائل ، ولا عرفت منه للحق منهجاً ، ولا الى الرأي اليقيني مسلكاً مجدداً . فرأيت انني لا أصل الى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الامور الحسية ، وصورتها الامور العقلية . فلم أجد ذلك إلا فيما قرره ارسطوطاليس من علوم المنطق والطبيعيات والالهيات ، التي هي ذات الفلسفة وطبيعتهـا ، حين بدأ بتقرير الامور الكلية والجزئية والعامية والخاصية ، ثم تلاه بتقرير الألفاظ المنطقية وتقسيمها الى اجناسها الاوائل ، ثم أتبعه بذكر المعاني التي تتركب مع الالفاظ فيكون منها الكلام المفهوم المعلوم ، ثم أفرد من ذلك الاخبار التي هي عنصر القياس ومادته فقسمها الى أقسامها ، وذكر فصولها وخواصها التي تميزها بعضها من بعض ، ويلزم منه صدقها وكذبها ، ويعرض معه اتفاقها واختلافها وتضادها وتناقضها . ثم ذكر بعد ذلك القياس فقسم مقدماته ، وشكل أشكاله ، ونوع تلك الاشكال ، وميز من الانواع ما لا يلزم دائماً نظاماً واحداً ، وأفردها مما يلزم أبداً نظاماً واحداً . ثم ذكر النتائج التي تلزم منها مع اقترانات عناصر الامور التي هي الواجب والممكن والممتنع ، وبيّن وجوه اكتساب مقدمات القياس الضرورية والاقناعية وما هو من جهة الأولى والأشبه والأكثر ، وما يلزم من جهة العادات والاصطلاحات وسائر الامور القياسية . وذكر صور القيـــاس ، وفصل فصوله ، ونوع أنواعه ، ثم ختم ذلك بذكر طبيعة البرهـان وشرح مواده ، وأوضح صوره ، وبين الشبه المغلطة فيه ، وكشف عن مستوره وخافيه . ثم تلا ذلك بالكلام في الصناعات الاربع الجدلية والمرائية والخطبية والشعرية فأوضح من ذلك مـــا

---

(١) غبن ومواضعة في الثمن .

يكون سبباً مميزاً لصناعة البرهان من هذه الصناعات الاربع ، وفصلا فاصلا لها من جنسها ؛ ثم أخذ بعد ذلك في شرح الامور الطبيعية . فبدأ في ذلك بكتابه في السماع الطبيعي فقرر فيه الامور المعلومة بالطبع التي لا تحتاج الى برهان ، انما يؤخذ من الاستقرار والقسمة والتحليل ، وبرهن على بطلان الاعتراضات فيها ، وكشف عن اغلاط من شك في شيء منها ، وكان يجمل كلامه في ذلك على ستة أمور : المبادىء الكونية والطبيعية ، والمكان ، والخلاء ، وما لا نهاية له ، والزمان ، والحركة ، والمحرك الأول . ثم أتبع ذلك بكتابه في الكون والفساد ، فأوضح فيه قبول العالم الارضي الكون والفساد . ثم تلاه بكتابه في الآثار والعلوية وهي التي تعرض في الجو كالسحاب ، والضباب ، والرياح ، والامطار ، والرعد ، والبرق ، الصواعق ، وسائر ما يكون من أنواع ذلك . وذكر في آخره أمور المعدنيات وأسباب كونها . ثم أتبعه بكتابه في النبات والحيوان فذكر ضروب النبات والحيوان وطبائعها، وفصولها، وانواعها وخواصها، وأعراضها . ثم أتبع ذلك بكتابه في السماء والعالم فأبان عن طبيعة العالم وذاتيته ، واتصال القوة الالهية به . ثم والاه بكتابه في النفس فتكلم على رأيه في النفس ، ونقض آراء جميع من قال فيها قولا يخالف قوله واعتقد في ذاتيتها اعتقاداً غير اعتقاده ، وقسمها الى : الغاذية ، والحاسة ، والعاقلة . وذكر أحوال الغاذية ، وشرح أمور الحواس ، وفصل أسباب العقل . فذكر من ذلك ما كشف كل مستور، وأوضح عن كل خفي . ثم ختم جميع ذلك بكتابه فيما بعد الطبيعة ، وهو كتابه في الالهيات فبين فيه ان الإله واحد ، وانه حكيم لا يجهل ، وقادر لا يعجز ، وجواد لا يبخل . فأحكم الاصول التي فيها يسلك الى الحق فيدرك طبيعته وجوهره ، وتوحيد ذاته وماهيته .

فلما تبينت ذلك أفرغت وسعي في طلب علوم الفلسفة وهي ثلاثة علوم : رياضية ، وطبيعية ، وإلهية . فتعلقت من هذه الامور الثلاثة بالاصول والمبادىء التي ملكت بها فروعها ، وتوقلت باحكامها من حيث انخفاضها وعلوها . ثم اني رأيت طبيعة الانسان قابلة للفساد ، متهيئة الى الفناء والنفاد. وانه، مع حدة الشباب وعنفوان الحداثة ، تملك على فكرة طاعة التصور لهذه الاصول ، فاذا صار الى سن الشيخوخة وأوان الهرم قصرت طبيعته ، وعجزت قوته الناطقة مع إخلاق آلتها ، وفسادها عن القيام بما كانت تقوم به من ذلك . فشرحت ولخصت واختصرت من هذه الاصول الثلاثة ما احاط فكري بتصوره ، ووقف تمييزي على تدبره . وصنفت من فروعها ما جرى مجرى الايضاح والافصاح عن غوامض هذه الامور الثلاثة الى وقت قولي هذا، وهو ذو الحجة سنة سبع عشرة واربعمائة لهجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم . وأنا ما مدت لي الحياة باذل جهدي ومستفرغ قوتي في مثل ذلك توخياً به اموراً ثلاثة ، أحدها افادة من يطلب الحق ويؤثره في حياتي وبعد وفاتي ، والآخر اني جعلت ذلك ارتياضاً لي بهذه الامور في اثبات ما تصوره وأتقنه فكري من تلك العلوم، والثالث اني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم . فكنت في ذلك كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البرء : انما قصدت وأقصد في وضع ما وضعته وأضعه من الكتب الى أحد أمرين إما الى نفع رجل أفيده اياه ، وإما ان أتعجل أنا في ذلك رياضة أروض بها نفسي في وقت وضعي اياه ، وأجعله

ذخيرة لوقت الشيخوخة .

قال محمد بن الحسن : وأنا أشرح ما صنعته في الاصول الثلاثة ليوقف منه على موضع عنايتي بطلب الحق وحرصي على ادراكه ، وتعلم حقيقة ما ذكرته من عزوف نفسي عن مماثلة العوام الرعاع الاغبياء وسموها الى مشابهة أولياء الله الاخيار الاتقياء . فما صنعته في العلوم الرياضية خمسة وعشرون كتاباً :

احدها : شرح أصول اقليدس في الهندسة والعدد وتلخيصه .

والثاني : كتاب جمعت فيه الاصول الهندسية والعددية من كتاب اقليدس وابلونيوس ، ونوعت فيه الاصول وقسمتها ، وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية ، حتى انتظم ذلك مع انتقاض توالي اقليدس وابلونيوس .

والثالث : شرح المجسطي وتلخيصه شرحاً وتلخيصاً برهانيـــاً لم أخرج منه شيئاً الى الحساب الا اليسير . وان أخر الله في الاجل ، وأمكن الزمان من الفراغ ، استأنفت الشرح المستقصي لذلك الذي أخرجه به الى الامور العددية والحسابية .

والرابع : الكتاب الجامع في أصول الحساب وهو كتاب استخرجت اصوله لجميع أنواع الحساب، من أوضاع اقليدس في أصول الهندسة والعدد ، وجعلت السلوك في استخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي . وعدلت فيه عن أوضاع الجبريين وألفاظهم .

والخامس: كتاب لخصت فيه علم المناظر من كتابي اقليدس وبطلموس وتممته بمعاني المقالة الاولى المفقودة من كتاب بطلميوس .

والسادس : كتاب في تحليل المسائل الهندسية .

والسابع : كتاب في تحليل المسائل العددية بجهة الجبر والمقابلة مبرهناً .

والثامن : كتاب جمعت فيه القول على تحليل المسائل الهندسية والعددية جميعـاً . لكن القول على المسائل العددية غير مبرهن بل هو موضوع على أصول الجبر والمقابلة .

والتاسع : كتاب في المساحة على جهة الاصول ..

والعاشر : كتاب في حساب المعاملات .

والحادي عشر : مقـــالة في اجارات الحفور والابنية بجميع الاشكال الهندسية ، حتى بلغت في ذلك الى أشكال قطوع المخروط الثلاثة : المكافىء والزائد والناقص .

والثاني عشر : تلخيص مقالات ابلونيوس في قطوع المخروطـات .

والثالث عشر : مقالة في الحساب الهندي .

والرابع عشر : مقالة في استخراج سمت القبلة في جميع المسكونة ، بجداول وضعتهـــا ولم أورد البرهان على ذلك .

والخامس عشر : مقالة فيما تدعو اليه حاجة الامور الشرعية من الامور الهندسية ولا يستغنى عنه ي، سواه .

والسادس عشر : رسالة الى بعض الرؤساء في الحث على عمل الرصد النجومي .

والسابع عشر : كتاب في المدخل الى الامور الهندسية .

والثامن عشر : مقالة في انتزاع البرهان على ان القطع الزائد والخطان اللذان لا يلقيانه يقتربان آ ولا يلتقيان .

والتاسع عشر : أجوبة سبع مسائل تعليمية سئلت عنها ببغداد فأجبت .

والعشرون : كتاب في التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للمتعلمين ، وهو بمجموع مسائل ـسية وعددية حللتها وركبتها .

والحادي والعشرون : كتاب في آلة الظل، اختصرته ولخصته من كتاب ابراهيم بن سنان في ذلك.

والثاني والعشرون : مقالة في استخراج ما بين بلدين في البعد بجهة الامور الهندسية .

والثالث والعشرون : مقالة في أصول المسائل العددية الصم وتحليلها .

والرابع والعشرون : مقالة في حل شك رداً على اقليدس في المقـــالة الخامسة من كتابه في ـسول الرياضية .

والخامس والعشرون : رسالة في برهان الشكل الذي قدمه ارشميدس في قسمة الزاوية ثلاثة أقسام يبرهن عليه .

ومما صنعته من العلوم الطبيعية والالهية ، أربعة وأربعون كتاباً :

أحدها : تلخيص مدخل فرفوريوس وكتب ارسطوطاليس الأربعة المنطقية .

والآخر : اختصار تلخيص مدخل فرفوريوس وكتب ارسطوطاليس السبعة المنطقية .

والثالث : رسالة في صناعة الشعر ممتزجة من اليوناني والعربي .

والرابع : تلخيص كتاب النفس لارسطوطاليس ، وان اخر الله في الاجل وامكن الزمان من اغ والتشاغل بالعلم لخصت كتابيه في السماع الطبيعي والسماء والعالم .

والخامس : مقالة في مشاكلة العالم الجزئي وهو الانسان للعالم الكلي .

والسادس : مقالتان في القياس وشبهه .

والسابع : مقالة في البرهان .

والثامن : مقالة في العالم من جهة مبدئه وطبيعته وكماله .

والتاسع : مقالة في المبادىء والموجودات .

والعاشر : مقالة في هيئة العالم .

والحادي عشر : كتاب في الرد على يحيى النحوي وما نقضه على ارسطوطاليس وغيره من أقوالهم في السماء والعالم .

والثاني عشر : رسالة الى بعض من نظر في هذا النقض فشك في معان منه في حل شكوكه ومعرفة ذلك من فهمه .

والثالث عشر : كتاب في الرد على أبي الحسن علي بن العباس بن فسا نجس نقضه آراء المنجمين .

والرابع عشر : جواب ما أجاب به ابو الحسن بن فسا نجس نقض من عارضه في كلامه على المنجمين.

والخامس عشر : مقالة في الفضل والفاضل .

والسادس عشر : مقالة في تشويق الانسان الى الموت بحسب كلام الاوائل .

والسابع عشر : رسالة اخرى في هذا المعنى بحسب كلام المحدثين .

والثامن عشر : رسالة في بطلان ما يراه المتكلمون من أن الله لم يزل غير فاعل ثم فعل .

والتاسع عشر : مقالة في خارج السماء لا فراغ ولا ملاء .

والعشرون : مقالة في الرد على أبي هاشم رئيس المعتزلة ما تكلم به على جوامع كتاب السماء والعالم لارسطوطاليس .

والحادي والعشرون : قول في تباين مذهبي الجبريين والمنجمين .

والثاني والعشرون : تلخيص المسائل الطبيعية لارسطوطاليس .

والثالث والعشرون : رسالة في تفضيل الاهواز على بغداد من جهة الامور الطبيعية .

والرابع والعشرون : رسالة الى كافة أهل العلم في معنى مشاغب شاغبه .

والخامس والعشرون : مقالة في ان جهة ادراك الحقائق جهة واحدة .

والسادس والعشرون : مقالة في ان البرهان معنى واحد وانما يستعمل صناعياً في الامور الهندسية، وكلامياً في الامور الطبيعية والالهية .

والسابع والعشرون : مقالة في طبيعتي الألم واللذة .

والثامن والعشرون : مقالة في طبائع اللذات الثلاث الحسية والنطقية والمعادلة .

والتاسع والعشرون : مقالة في اتفاق الحيوان الناطق على الصواب مع اختلافهم في المقاصد والاغراض.

والثلاثون : رسالة في ان برهان الخلف يصير برهان استقامة بحدود واحدة .

والحادي والثلاثون : كتاب في تثبيت احكام النجوم بجهة البرهان .

والثاني والثلاثون : رسالة في الاعمار والآجال الكونية .

والثالث والثلاثون : رسالة في طبيعة العقل .

والرابع والثلاثون : كتاب في النقض على من رأى ان الادلة متكافئة .

والخامس والثلاثون : قول في اثبات عنصر الامتناع .

والسادس والثلاثون : نقض جواب مسألة سئل عنها بعض المعتزلة بالبصرة .

والسابع والثلاثون : كتاب في صناعة الكتابة على أوضاع الأوائل وأصولهم .

والثامن والثلاثون : عهد الى الكتاب .

والتاسع والثلاثون : مقالة في أن فاعل هذا العالم انما يعلم ذاته من جهة فعله .

والأربعون : جواب قول لبعض المنطقيين في معان خالف فيها من الامور الطبيعية .

والحادي والأربعون : رسالة في تلخيص جوهر النفس الكلية .

والثاني والأربعون : في تحقيق رأي ارسطوطاليس ان القوة المدبرة هي من بدن الانسان في القلب منه .

والثالث والأربعون : رسالة في جواب مسألة سئل عنها ابن السمع البغدادي المنطقي فلم يجب عنها جواباً مقنعاً .

والرابع والأربعون : كتاب في تقويم الصناعة الطبية ، نظمته من جمل وجوامع ما نظرت فيه من كتب جالينوس وهو ثلاثون كتاباً : كتابه في البرهان ، كتابه في فرق الطب ، كتابه في الصناعة الصغيرة ، كتابه في التشريح ، كتابه في القوى الطبيعية ، كتابه في منافع الاعضاء ، كتابه في آراء ابقراط وافلاطن ، كتابه في المني ، كتابه في الصوت ، كتابه في العلل والاعراض ، كتابه في اصناف الحميات ، كتابه في البحران ، كتابه في النبض الكبير ، كتابه في الاسطقسات على رأي أبقراط ، كتابه في المزاج ، كتابه في قوى الادوية المفردة ، كتابه في قوى الادوية المركبة ، كتابه في مواضع الاعضاء الآلية ، كتابه في حيلة البرء ، كتابه في حفظ الصحة ، كتابه في جودة الكيموس ورداءته ، كلامه في أمراض العين ، كتابه في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، كتابه في سوء المزاج المختلف ، كتابه في أيام البحران ، كتابه في الكثرة ، كتابه في استعمال الفصد لشفاء الامراض ، كتابه في الذبول ، كتابه في أفضل هيئات البدن ، جمع حنين بن اسحق من كلام جالينوس وكلام ابقراط في الاغذية .

ثم شفعت جميع ما صنعته من علوم الاوائل برسالة بينت فيها ان جميع الامور الدنيوية والدينية هي نتائج العلوم الفلسفية . وكانت هذه الرسالة هي المتممة لعدد أقوالي في هذه العلوم بالقول السبعين ، وذلك سوى رسائل ومصنفات عدة حصلت لي في أيدي جماعة من الناس بالبصرة والاهواز ضاعت دساتيرها ، وقطع الشغل بامور الدنيا وعوارض الاسفار عن نسخها ، وكثيراً ما يعرض ذلك للعلماء . فقد اتفق مثله لجالينوس حتى ذكر ذلك في بعض كتبه فقال: وقد صنفت كتباً كثيرة دفعت دساتيرها الى جماعة من اخواني ، وقطعني الشغل والسفر عن نسخها حتى خرجت الى الناس من جهتهم .

قال محمد بن الحسن : وان أطال الله لي في مدة الحياة وفسح في العمر صنفت وشرحت ، ولخصت من هذه العلوم أشياء كثيرة تتردد في نفسي ويبعثني ويحثني على اخراجها الي فكري ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريده ، وبيده مقاليد كل شيء ، وهو المبدىء المعيد . وهذا ما وجب ان اذكره في معنى ما صنعته واختصرته من علوم الاوائل قصدت به مذاكرة الحكماء

الافاضل ، والعقلاء الاماثل من الناس كالذي يقول :

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقّى قد مات جهلاً وغيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا البقاء في الجهل شيا
(الخفيف)

وهذان البيتان هما لابي القاسم بن الوزير أبي الحسن علي بن عيسى رضي الله عنهما ، وكان فيلسوفاً قالهما ووصى بان يكتبا على قبره لم اقصد به مخاطبة جميع الناس لا غير الفاضل منهم . وقلت في ذلك كما قال جالينوس في كتابه في النبض الكبير : ليس خطابي في هذا الكتاب لجميع الناس ، بل خطابي لرجل منهم يوازي ألوف رجال بل عشرات ألوف رجال ، إذ كان الحق ليس هو بان يدركه الكثير من الناس ، لكن هو بان يدركه الفهم الفاضل منهم ليعرفوا رتبتي في هذه العلوم ، ويتحققوا منزلتي من ايثار الحق جل وعلا من طلب القربة الى الله في ادراك العلوم والمعارف النفسية ، ويعلموا تحققي بفعل ما فرضته هذه العلوم علي من ملابسة الامور الدنيوية ، وكلية الخير ومجانبة كلية الشر فيها، فان ثمرة هذه العلوم هو علم الحق والعمل بالعدل في جميع الامور الدينوية ؛ والعدل هو محض الخير الذي يفعله يفوزأين [1] العالم الارضي وبنعيم الآخرة السماوي ويعتاض عن صعوبة ما يلقاه بذلك مدة البقاء المنقطع في دار الدنيا ، دوام الحياة منعما في الدار الاخرى . والى الله تعالى أرغب في توفيقي لما فزت اليه ، وأزلف لديه .

اقول : وكان تاريخ كتابة ابن الهيثم لهذه الرسالة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة . وكان تلوها أيضاً بخطه ما هذا مثاله ، ما صنعه محمد بن الحسن بن الهيثم بعد ذلك الى سلخ جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وأربعمائة . تلخيص السماع الطبيعي لارسطوطاليس . مقالة لمحمد بن الحسن في المكان والزمان على ما وجده ، يلزم رأي ارسطوطاليس فيهما . رسالة الى أبي الفرج عبدالله بن الطيب البغدادي المنطقي في عدة معان من العلوم الطبيعية والالهية ، نقض محمد بن الحسن على ابي بكر الرازي المتطبب رأيه في الالهيات والنبوات . مقالة له في ابطال رأي من يرى ان العظام مركبة من اجزاء كل جزء منها لا جزء له . مقالة له في عمل الرصد من دائرة افق بلد معلوم العرض . كتاب له في اثبات النبوات ، وايضاح فساد رأي الذين يعتقدون بطلانها ، وذكر الفرق بين النبي والمتنبي. مقالة لمحمد بن الحسن في ايضاح تقصير أبي علي الجبائي في نقضه بعض كتب ابن الراوندي ولزومه ما ألزمه اياه ابن الراوندي ، بحسب أصوله ، وايضاح الرأي الذي لا يلزم معه اعتراضات ابن الراوندي. رسالة له في تأثيرات اللحون الموسيقية في النفوس الحيوانية . مقالة في ان الدليل الذي يستدل به المتكلمون على حدوث العالم دليل فاسد ، والاستدلال على حدوث العالم بالبرهان الاضطراري والقياس الحقيقي . مقالة له يرد فيها على المعتزلة رأيهم في حدوث صفات الله تبارك وتعالى . رسالة له في الرد على المعتزلة رأيهم في الوعيد. جواب له عن مسألة هندسية سئل عنها ببغداد في شهور سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

---

(١) التعب والاعياء .

مقالة ثانية لمحمد بن الحسن في ابانة الغلط ممن قضى ان الله لم يزل غير فاعل من فعل. مقالة في ابعاد الاجرام السماوية وأقدار اعظامها . تلخيص كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس . تلخيص كتاب ارسطوطاليس في الحيوان ، وبعد ذلك : مقالة في المرايا المحرقة مفردة عما ذكرته من ذلك في تلخيص كتابي اقليدس وبطلميوس في المناظر . كتاب في استخراج الجزء العملي من كتاب المجسطي . مقالة في جوهر البصر وكيفية وقوع الابصار به . مقالة في الرد على أبي الفرج عبدالله بن الطيب ، رأيه المخالف به لرأي جالينوس في القوى الطبيعية في بدن الانسان

اقول : وهذا آخر ما وجدته من ذلك بخط محمد بن الحسن بن الهيثم المصنف رحمه الله .

وهذا ايضاً فهرست وجدته لكتب ابن الهيثم الى آخر سنة تسع وعشرين واربعمائة . مقالة في هيئة العالم . مقالة في شرح مصادرات كتاب اقليدس كتاب في المناظر ، سبع مقالات . مقالة في كيفية الارصاد . مقالة في الكواكب الحادثة في الجو . مقالة في ضوء القمر . مقالة في سمت القبلة بالحساب . مقالة في قوس قزح والهالة . مقالة فيما يعرض من الاختلاف في ارتفاعات الكواكب. مقالة في حساب المعاملات . مقالة في الرخامة الافقية ، مقالة في رؤية الكواكب. كتاب في بركار القطوع، مقالتان . مقالة في مراكز الاثقال . مقالة في اصول المساحة . مقالة في مساحة الكرة. مقالة في مساحة الجسم المكافىء . مقالة في المرايا المحرقة بالدوائر . مقالة في المرايا المحرقة بالقطوع . مقالة مختصرة في الاشكال الهلالية . مقالة مستقصاة في الاشكال الهلالية . مقالة مختصرة في بركار الدوائر العظام . مقالة مشروحة في بركار الدوائر العظام . مقالة في السمت . مقالة في التنبيه على مواضع الغلط في كيفية الرصد . مقالة في أن الكرة أوسع الاشكال المجسمة التي احاطتها متساوية ، وان الدائرة أوسع الاشكال المسطحة التي احاطتها متساوية . مقالة في المناظر على طريقة بطلميوس . كتاب في تصحيح الاعمال النجومية ، مقالتان . مقالة في استخراج أربعة خطوط بين خطين . مقالة في تربيع الدائرة . مقالة في استخراج خط نصف النهار على غاية التحقيق . قول في جميع الاجزاء . مقالة في خواص القطع المكافىء. مقالة في خواص القطع الزائد . مقالة في نسب القسي الزمانية الى ارتفاعها . مقالة في كيفية الاظلال . مقالة في ان ما يرى من السماء هو اكثر من نصفها . مقالة في حل شكوك المقالة الاولى من كتاب المجسطي يشككها فيها بعض أهل العلم . مقالة في حل شك في مجسمات كتاب اقليدس . قول في قسمة المقدارين المختلفين المذكورين في الشكل الاول من المقالة العاشرة من كتاب اقليدس مسألة في اختلاف النظر. قول في استخراج مقدمة ضلع المسبع . قول في قسمة الخط الذي استعمله ارشميدس في كتاب الكرة والاسطوانة ، قول في استخراج خط نصف النهار بظل واحد . مقالة في عمل مخمس في مربع . مقالة في المجرة ، مقالة في استخراج ضلع المكعب . مقالة في اضواء الكواكب . مقالة في الاثر الذي في القمر . قول في مسألة عددية . مقالة في اعداد الوفق . مقالة في الكرة المتحركة على السطح . مقالة في التحليل والتركيب . مقالة في المعلومات . قول في حل شك في المقالة الثانية عشرة من كتاب اقليدس . مقالة في حل شكوك المقالة الاولى من كتاب اقليدس . مقالة في حساب الخطأين. قول في جواب مسألة في المساحة.

مقالة مختصرة في سمت القبلة . مقالة في الضوء . مقالة في حركة الالتفـــاف . مقالة في الرد على من خالفه في ماهية المجرة . مقالة في حل شكوك حركة الالتفاف . مقالة في الشكوك على بطلميوس . مقالة في الجزء الذي لا يتجزأ . مقالة في خطوط الساعات . مقالة في القرسطون . مقالة في المكان . قول في استخراج أعمدة الجبال . مقالة في علل الحساب الهندي . مقالة في أعمدة المثلثات . مقالة في خواص الدوائر . مقالة في شكل بني موسى . مقالة في عمل المسبع في الدائرة . مقالة في استخراج ارتفاع القطب على غاية التحقيق . مقالة في عمل النكام . مقالة في الكرة المحرقة . قول في مسألة عددية مجسمة . قول في مسألة هندسية . مقالة في صورة الكسوف . مقالة في أعظم الخطوط التي تقع في قطعة الدائرة . مقالة في حركة القمر . مقالة في مسائل التلاقي . مقالة في شرح الارثماطيقي على طريق التعليق . مقالة في شرح القانون على طريق التعليق . مقالة في شرح الرومنطيقي على طريق التعليق . قول في قسمة المنحرف الكلي . مقالة في الاخلاق . مقالة في آداب الكتاب . كتــاب في السياسة ، خمس مقالات. تعليق علقه اسحق بن يونس المتطبب بمصر عن ابن الهيثم في كتاب ديوفنطس في مسائل الجبر . قول في استخراج مسألة عددية .

المبشر بن فاتك

هو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري من أعيـــان امراء مصر وأفاضل علمائها . دائم الاشتغال ، محب للفضائل ، والاجتماع باهلها ومباحثتهم ، والانتفاع بما يقتبسه منجهتهم وكان ممن اجتمع به منهم ، وأخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية أبو محمـــد بن الحسن بن الهيثم . وكذلك أيضاً اجتمع بالشيخ ابي الحسين المعروف بابن الآمدي ، وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكمية ، واشتغل أيضاً بصناعة الطب ، ولازم ابا الحسن علي بن رضوان الطبيب .

وللمبشر بن فاتك تصانيف جليلة في المنطق وغيره من اجزاء الحكمة، وهي مشهورة فيما بين الحكماء. وكان كثير الكتابة . وقد وجدت بخطه كتباً كثيرة من تصانيف المتقدمين. وكان المبشر بن فاتك قد اقتنى كتباً كثيرة جداً . وكثير منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له بغرق أصابه .

وحدثني الشيـخ سديد الدين المنطقي بمصر قال : كان الامير ابن فاتك محباً لتحصيل العلوم،وكانت له خزائن كتب ، فكان في أكثر أوقاته اذا نزل من الركوب لا يفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ، ويرى أن ذلك أهم ما عنده . وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من ارباب الدولة : فلما توفي ، رحمه الله ، نهضت هي وجوار معها الى خزائن كتبه ، وفي قلبها من الكتب ، وانه كان يشتغل بها عنها . فجعلت تندبه، وفي اثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها . ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها . فهذا سبب ان كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال .

أقول : وكان من جملة تلاميذ المبشر بن فاتك والآخذين عنه أبو الخير سلامة بن مبارك ابن رحمون .

وللمبشر ابن فاتك من الكتب : كتاب الوصايا والامثال والموجز من محكم الاقوال . كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم . كتاب البداية في المنطق . كتاب في الطب .

اسحق بن يونس

كان طبيباً عالماً بالصناعة الطبية ، عارفاً بالعلوم الحكمية ، جيد الدربة ، حسن العلاج . قرأ الحكمة على ابن السمح ، وكان مقيما بمصر .

علي بن رضوان

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ، وكان مولده ومنشؤه بمصر ، وبها تعلم الطب . وقد ذكر علي بن رضوان في سيرته من كيفية تعلمه صناعة الطب وأحواله ما هذا نصه . قال : انه لما كان ينبغي لكل انسان أن ينتحل أليق الصنائع به ، واوفقها له ، وكانت صناعة الطب تتاخم الفلسفة طاعة لله عز وجل ، وكانت دلالات النجوم في مولدي تدل على ان صناعتي الطب . وكان العيش عندي في الفضيلة ألذ من كل عيش ، اخذت في تعلم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة ، والاجود ان أقتص اليك أمري كله:ولدت بأرض مصر في عرض ثلاثين درجة ، وطول خمس وخمسين درجة ، والطالع بزيج يحيى بن أبي منصور الحمل (ه لو) وعاشرة الجدي (ه كح) ومواضع الكواكب الشمس بالدلو (اه لب) والقمر بالعقرب (ح يه) وعرضه جنوب (ح يز)وزحل بالقوس (كط) والمشتري بالجدي (ه كح) والمريخ بالدلو (كا)(مح) والزهرة بالقوس (كد)(ك•) وعطارد بالدلو (يط•) وسهم السعادة بالجدي (د)(ه) وجزء الاستقبال المتقدم بالسرطان (كب ي•) والجوزهر بالقوس (يز) (يا) والذنب بالجوزاء (يز)(ما.) والنسر الواقع بالجدي(ا)(كب) والشعرى العبور بالسرطان (يب.) . فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم ، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت الى المدينة العظمى واجهدت نفسي في التعلم . ولما أقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لي مال انفق منه ، فلذلك عرض لي في التعلم صعوبة ومشقة . فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم ، ومرة بصناعة الطب، ومرة بالتعليم . ولم أزل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التعليم، الى السنة الثانية والثلاثين ، فاني اشتهرت فيها بالطب وكفاني ما كنت أكسبه بالطب ، بل وكان يفضل عني الى وقتي هذا ، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين . وكسبت مما فضل عن نفقتي أملاكا في هذه المدينة ان كتب الله عليها السلامة وبلغني سن الشيخوخه كفاني في النفقة عليها .

وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين الى يومي هذا أعمل تذكرة لي وأغيرها في كل سنة الى ان قررتها على هذا التقرير الذي أستقبل به السنة الستين من ذلك . أتصرف في كل يوم فيصناعتي بمقدار ما يغني،

ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة، وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة وغياث الملهوف ، وكشف كربة المكروب ، واسعاف المحتاج . وأجعل قصدي في كل ذلك الالتذاذ بالافعال ، والانفعالات الجميلة . ولا بد ان يحصل مع ذلك ، كسب ما ينفق فأنفق منه على صحة بدني ، وعمارة منزلي نفقة لا تبلغ التبذير، ولا تنحط الى التقتير وتلازم الحال الوسطى بقدر ما يوجبه التعقل في كل وقت . واتفقد آلات منزلي فما يحتاج الى اصلاح اصلحته ، وما يحتاج الى بدل بدلته ، وأعد في منزلي ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والعسل والزيت والحطب ، وما يحتاج اليه من الثياب ، فما فضل بعد ذلك كله صرفته في وجوه الجميل والمنافع مثل اعطاء الاهل والاخوان والجيران ، وعمارة المنزل . وما اجتمع من غلة أملاكي ادخرته لعمارتها ومرمّتها ، ولوقت الحاجة الى مثله . واذا هممت لتجديد امر مثل تجارة أو بناء أو غير ذلك فرضته مطلوباً ، وحللته الى موضوعاته ولوازمها . فان وجدته من الممكن الاكثر بادرت اليه ، وان وجدته من الممكن القليل اطرحته .

وأتعرف ما يمكنني تعريفه من الامور المزمعة وآخذ له اهبته. واجعل ثيابي مزينة بشعار الاخيار والنظافة وطيب الرائحة . وألزم الصمت وكف اللسان عن معايب الناس . واجتهد ان لا اتكلم إلا بما ينبغي . واتوقى الأيمان ومثالب الآراء ، فاحذر العجب وحب الغلبة ، واطرح الهم الحرصي ، والاغتمام . وان دهمني أمر فادح أسلمت فيه الى الله تعالى ، وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولا تهور . ومن عاملته عاملته يداً بيد ، لا أسف ولا أتسلف ، إلا ان اضطر لذلك . وان طلب مني أحد سلفاً وهبت منه ، ولم أرد منه عوضاً وما بقي من يومي بعد فراغي من رياضتي صرفته في عبادة الله سبحانه بأن أتنزه بالنظر في ملكوت السموات والارض ، وتمجيد محكمها ، وأتدبر مقالة ارسطاطاليس في التدبير ، وآخذ نفسي بلزوم وصاياها بالغدة والعشي ، واتفقد في وقت خلوتي ما سلف في يومي من افعالي وانفعالاتي . فما كان خيراً او جميلاً أو نافعاً سررت به ، وما كان شراً او قبيحاً او ضاراً اغتممت به ، ووافقت نفسي بان لا أعود الى مثله. قال : وأما الاشياء التي أتنزه فيها فلأني فرضت تزهتي ذكر الله عز وجل وتمجيده بالنظر في ملكوت السماء والارض .

وكان قد كتب القدماء والعارفون في ذلك كتباً كثيرة رأيت ان اقتصر منها على ما أنصه من ذلك خمسة كتب من كتب الادب ؛ وعشرة كتب من كتب الشرع ؛ وكتب ابقراط وجالينوس في صناعة الطب وما جانسها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس ، وكتب روفس ، وأريباسيوس ، وبولس وكتاب الحاوي للرازي ؛ ومن كتب الفلاحة والصيدلة أربعة كتب ؛ ومن كتب التعاليم المجسطي ومداخله ، وما انتفع به فيه والمربعة لبطلميوس ؛ ومن كتب العارفين كتب أفلاطن، وارسطوطاليس، والاسكندر ، وثامطيوس ، ومحمد الفارابي ، وما أنتفع به فيها . وما سوى ذلك إما أبيعه بأي ثمن اتفق ، واما ان اخزنه في صناديق . وبيعه أجود من خزنه .

اقول : هذا جملة ما ذكره من سيرته . وكان مولده في ديار مصر بالجيزة (١) ونشأ بمدينة مصر .

---

(١) مدينة في مصر بالقرب من الاهرام على انقاض منفيس .

وكان أبوه فراناً . ولم يزل ملازماً للاشتغال والنظر في العلم الى ان تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة ، وخدم الحاكم وجعله رئيساً على سائر المتطببين . وكانت دار ابن رضوان بمدينة مصر في قصر الشمع ، وهي الآن تعرف به ، وقد تهدمت ولم يتبين الا بقايا يسيرة من آثارها . وحدث في الزمان الذي كان فيه ابن رضوان بديار مصر الغلاء العظيم . والغلاء الفادح الذي هلك به أكثر أهلها . ونقلت من خط المختار ابن الحسن بن بطلان ان الغلاء عرض بمصر في سنة خمس وأربعين وأربعمائة قال : ونقص النيل في السنة التي تليها ، وتزايد الغلاء ، وتبعه وباء عظيم ، واشتد وعظم في سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وحكي ان السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس ، وانه فقد ثمانمائة قائد ، وحصل للسلطان من المواريث مال جزيل .

وحدثني أبو عبد الله محمد المالقي الناسخ : ان ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره ، وكان السبب في ذلك انه في ذلك الغلاء ، كان قد أخذ يتيمة رباها ، وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلا لها الموضع ، وكان قد ادخر اشياء نفيسة ، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت . ولم يظفر منها على خبر ، ولا عرف أين توجهت فتغيرت احواله من حينئذ .

أقول : وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان يعاصره من الاطباء وغيرهم ، وكذلك على كثير ممن تقدمه . وكانت عنده سفاهة في بحثه ، وتشنيع على من يريد مناقشته . وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين بن اسحق ، وعلى أبي الفرج بن الطيب ، وكذلك ايضاً على أبي بكر محمد بن زكريا الرازي . ولم يكن لابن رضوان في صناعة الطب معلم ينسب اليه ، وله كتاب في ذلك يتضمن ان تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين . وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مفرد ، وذكر فصلاً في العلل التي لاجلها صار المتعلم من افواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف اذا كان القول واحداً . وأورد عدة علل :

الأولى منها تجري هكذا : وصول المعاني من النسيب الى النسيب ، خلاف وصولها من غير النسيب الى النسيب . والنسيب الناطق أفهم للتعليم بالنطق وهو المعلم ، وغير النسيب له جماد وهو الكتاب ، وبُعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم ، وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم ، فالفهم من النسيب ، وهو المعلم اقرب وأسهل من غير النسيب ، وهو الكتاب .

والثانية ، هكذا : النفس العلامة علامة بالفعل ، وصورة الفعل عنها يقال له تعليم ، والتعليم والتعلم من المضاف . وكلها هو للشيء بالطبع أخص به مما ليس له بالطبع . والنفس المتعلمة علامة بالقوة ، وقبول العلم فيها يقال له تعلم ، والمضافان معاً بالطبع . فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتب .

والثالثة ، على هذه الصورة : المتعلم اذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظ نقله الى لفظ آخر ، والكتاب لا ينقل من لفظ الى لفظ . فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب ، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في ايصال العلم أصلح للمتعلم .

والرابعة : العلم موضوعه اللفظ ، واللفظ على ثلاثة أضرب : قريب من العقل ، وهو الذي صاغه العقل مثلاً لما عده من المعاني ؛ ومتوسط ، ومتوسط ، وهو المتلفظ به بالصوت ، وهو مثال لما صاغه العقل ؛ وبعيد ، وهو المثبت في الكتب ، وهو مثال ما خرج باللفظ . فالكتاب مثال مثال مثال المعاني التي في العقل ، والمثال الاول لا يقوم مقام المثل لعوز المثل ، فما ظنك بمثال مثال مثال المثل . فالمثال الاول لما عند العقل اقرب في الفهم من مثال المثال ، والمثال الاول هو اللفظ ، والثاني هو الكتاب . واذا كان الامر على هذا فالفهم من لفظ المعلم اسهل وأقرب من لفظ الكتاب .

والخامسة : وصول اللفظ الدال على المعنى الى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ، وهي البصر، لان الحاسة النسبية للفظ هي السمع لانه تصويت، والشيء الواصل من النسيب، وهو اللفظ، اقرب من وصوله من الغريب ، وهو الكتابة . فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الكتاب بالخط .

والسادسة هكذا : يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم قد عدمت في تعليم المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ ، والغلط بزوغان البصر وقلة الخبرة بالاعراب ، او عدم وجوده مع الخبرة به ، أو فساد الموجود منه . واصطلاح الكتاب ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب ، ونحو التعليم ونمط الكلام ومذهب صاحب الكتاب ، وسقم النسخ ورداءة النقل ، وادماج القارىء مواضع المقاطع ، وخلط مبادىء التعاليم ، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة ، والفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالثوروس وهذه كلها معوقة عن العلم . وقد استراح المتعلم عن تكلفها عند قراءته على المعلم. واذا كان الامر على هذا فالقراءة على العلماء أفضل وأجدى من قراءة الانسان لنفسه ، وهو ما أردنا بيانه..

قال : وانا آتيك ببيان سابع أظنه مصدقاً عندك، وهو ما قاله المفسرون في الاعتياض عن السالبة البسيطة بالموجبة المعدولة ، فانهم يجمعون على ان هذا الفصل لو لم يسمعه من ارسطوطاليس تلميذه : ثاؤفرسطس وأوذيموس ، لما فهم قط من كتاب . وإذا كان الامر على هذا فالفهم من المعلم افضل من الفهم من الكتاب . وبحسب هذا يجب على كل محب للعلم ان لا يقطع بظن فربما خفي الصواب ، واذا خفي الصواب.علّم الاشياء علماً ردياً، فثار عليه بحسب اعتقاده في الحق انه محال شكوك يعسر حلّها. وكانت وفاة علي بن رضوان ، رحمه الله، في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بمصر ، وذلك في خلافة المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله الحاكم[1]

ومن كلام علي بن رضوان قال : اذا كانت للانسان صناعة ترتاض بها اعضاؤه ، ويمدحه بها الناس، ويكسب بها كفايته في بعض يومه ، فأفضل ما ينبغي له في باقي يومه ان يصرفه في طاعة ربه . وافضل الطاعات النظر في الملكوت ، وتمجيد المالك لها سبحانه . ومن رزق ذلك فقد رزق خير الدنيا والآخرة ، وطوبى له وحسن مآب . ومن كلامه نقلته من خطه قال : الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال :

(١) الخليفة الفاطمي السابع (١٠٣٥ – ١٠٩٤)

الاولى : ان يكون تام الخلق ، صحيح الاعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً، خير الطبع .

الثانية : ان يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

الثالثة : ان يكون كتوماً لاسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم .

الرابعة : ان تكون رغبتـه في ابراء المرضى اكثر من رغبتـه فيما يلتمسه من الاجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الاغنياء .

الخامسة : ان يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس .

السادسة : ان يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة ، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والاموال التي شاهدها في منازل الاعلاء فضلاً عن ان يتعرض الى شيء منها .

السابعة : ان يكون مأموناً ثقة على الارواح والاموال ، لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الاجنة ، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

وقال : المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه الخصال بعد استكماله صناعة الطب .والمتعلم هو الذي فراسته تدل على انه ذو طبع خير ، ونفس ذكيـة ، وان يكون حريصاً على التعليم ، ذكياً ، ذكوراً لما قد تعلمه .

وقال : البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي كل واحد من اعضائه باق على فضيلته . أعني ان يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغي .

وقال: تعرُّف العيوب هو ان تنظر الى هيئة الاعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة، وتتفقد أفعال الاعضاء الباطنة والظاهرة،مثل ان تنادي به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه،وان تعتبر بصره بنظر الاشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بشيل الثقل والمسك والضبط والمشي وانحاء ذلك ، مثل ان تنظر مشيه مقبلاً ومدبراً ؛ ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما، وتعتبر بذلك حال احشائه ؛ وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالاخلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الاخلاط ؛ وتعتبر عقله بان يسأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء ، وأخلاقه الى ما تميل بأن تعتبر كل واحد منها بما يحركه او يسكنه . وعلى هذا المثال أجر الحال في تفقد كل واحـد من الاعضاء والاخلاق . أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس ، واما فيما يتعرف بالاستدلال فاستدل عليه بالعلامات الخاصة . واما فيما يتعرف بالمسألة فابحث عنه بالمسأله . حتى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل هو عيب حاضر أو كان أو متوقع ، ام الحال حال صحة وسلامة .

ومن كلامه قال : اذا دعيت الى مريض فاعطه ما لا يضره الى ان تعرف علته فتعالجهـا عند ذلك . ومعنى معرفة المرض هو ان تعرف من أي خلط حدث أولا ، ثم تعرف بعـد ذلك في أي عضو هو ، وعند ذلك تعالجه .

ولعلي بن رضوان من الكتب : شرح كتاب العرق لجالينوس ، وفرغ من شرحه له في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس . شرح كتاب النبض الصغير لجالينوس . شرح كتاب جالينوس الى اغلوقن في التأني لشفاء الامراض . شرح المقالة الاولى في خمس مقالات . وشرح المقالة الثـانية في مقالتين . شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس . شرح بعض كتاب المزاج لجالينوس ، ولم يشرح من الكتب الستة عشر لجالينوس سوى ما ذكرت . كتاب الاصول في الطب ، أربع مقالات . كناش ، رسالة في علاج الجذام . كتاب تتبع مسائل حنين ، مقالتان . كتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، ثلاث مقالات . مقالة في ان جالينوس لم يغلط في أقاويله في اللبن على ما ظنه قوم . مقالة في دفع المضار عن الابدان بمصر . مقالة في سيرته . مقالة في الشعير وما يعمل منه ، ألفها لابي زكريا يهوذا بن سعادة الطبيب . جوابه لمسائل في لبن الاتن ، سأله اياها يهوذا بن سعادة . تعاليق طبية . تعاليق نقلهـا في صيدلة الطب ، مقالة في مذهب ابقراط في تعليم الطب . كتاب في ان أفضل أحوال عبدالله بن الطيب الحالي السوفسطائية ، وهو خمس مقالات . كتاب في أن الاشخاص كل واحد من الانواع المتناسلة أب أول ، منه تناسلت الاشخاص على مذهب الفلسفة . تفسير مقالة الحكيم فيثاغورس في الفضيلة . مقالة في الرد على افرائيم وابن زرعة في الاختلاف في الملل . انتزاعـات شروح جالينوس لكتب ابقراط . كتاب الانتصار لارسطوطاليس ، وهو كتاب التوسط بينه وبـين خصومه المناقضين له في السماع الطبيعي ، تسع وثلاثين مقالة

تفسير ناموس الطب لأبقراط . تفسير وصية ابقراط المعروفة بترتيب الطب . كلام في الأدويـة المسهلة . كتاب في عمل الاشربة والمعاجين ، تعليق من كتاب التميمي في الاغذية والادوية . تعليق من كتاب فوسيدونيوس في اشربة لذيذة للاصحاء . فوائد علقها من كتاب فيلغريوس في الاشربة النافعة اللذيذة في اوقات الامراض . مقالة في الباه مقالة في ان كل واحد من الاعضاء يغتذي مـن الخلط المشاكل له . مقالة في الطريق الى احصاء عدد الحميات . فصل من كلامه في القوى الطبيعية ، جواب مسائل في النبض وصل اليه السؤال عنها من الشام . رسالة في أجوبة مسائل سأل عنهـا الشيخ أبو الطيب أزهر بن النعمان في الاورام . رسالة في علاج صبي اصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الاسد . نسخة الدستور الذي انفذه أبو العسكر الحسين بن معدان ملك مكران في حال علة الفالج في شقـه الأيسر ، وجواب ابن رضوان له . فوائـد علقها من كتاب حيلة البرء لجالينوس . فوائد علقها من كتاب تدبير الصحة لجالينوس . فوائد علقها من كتاب الادوية المفردة لجالينوس . فوائـد علقها من كتاب الفصد لجالينوس . فوائد علقها مـن كتاب الادوية المفردة لجالينوس . فوائـد علقها من كتاب الميامر لجالينوس . فوائد علقها من كتاب قاطاجانس لجالينوس . فوائد علقهـا في الاخلاط من كتب عدة لابقراط وجالينوس .

كتاب في حل شكوك الرازي على كتب جالينوس ، سبع مقالات . مقالة في حفظ الصحة . مقالة في ادوار الحميات . مقالة في التنفس الشديد ، وهو ضيق النفس . رسالة كتب بها الى أبي زكريا يهوذا

ابن سعادة في النظام الذي استعمله جالينوس في تحليل الحد في كتابه المسمى الصناعة الصغيرة . مقالة في نقض مقالة ابن بطلان في الفرخ والفروج . مقالة في الفأر . مقالة فيما اورده ابن بطلان من التحييرات . مقالة في ان ما جهله يقين وحكمة ، وما علمه ابن بطلان غلط وسفسطة . مقالة في ان ابن بطلان لا يعلم كلام نفسه فضلاً عن كلام غيره . رسالة الى اطباء مصر والقاهرة في خبر ابن بطلان. قول له في جملة الرد عليه . كتاب في مسائل جرت بينه وبين ابن الهيثم في المجرة والمكان . اخراجه لحواشي كامل الصناعة الطبية الموجود منه بعض الاولى . رسالة في أزمنة الامراض . مقالة في التطرق بالطب الى السعادة . مقالة في اسباب مدد حميات الاخلاط وقرائنها . جوابه عما شرح له من حال عليل به علة الفالج في شقه الايسر . مقالة في الاورام . كتاب في الادوية المفردة على حروف المعجم، اثنتا عشرة مقالة الموجود منه الى بعض السادسة . مقالة في شرف الطب . رسالة في الكون والفساد. مقالة في سبيل السعادة وهي السيرة التي اختارها لنفسه . رسالة في بقاء النفس بعد الموت . مقالة في فضيلة الفلسفة . مقالة في بناء النفس على رأي افلاطن وارسطوطاليس . أجوبته لمسائل منطقية من كتاب القياس . مقالة في حل شكوك يحيى بن عدي المسماة بالمحرسات . مقالة في الحر . مقالة في بعث نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والفلسفة . مقالة في ان في الوجود نقط وخطوط طبيعية . مقالة في حدث العالم . مقالة في التنبيه على حيل من ينتحل صناعة القضايا بالنجوم وتشرف أهلها . مقالة في خلط الضروري والوجودي . مقالة في اكتساب الحلال من المال . مقالة في الفرق بين الفاضل من الناس والسديد والعطب. مقالة في كل السياسة . رسالة في السعادة . مقالة في اعتذاره عما ناقض به المحدثين . مقالة في توحيد الفلاسفة وعبادتهم . كتاب في الرد على الرازي في العلم الالهي واثبات الرسل . كتاب المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع ، ثلاث مقالات . رسالة صغرى في الهيولي ، صنفها لابي سليمان بن بابشاد . تذكرتاه المسماة بالكمال الكامل والسعادة القصوى غير كاملة . تعاليقه لفوائد كتب أفلاطون المساجرة لهوية طبيعة الانسان . تعاليق فوائد مدخل فرفوريوس . تهذيب كتاب الحابس في رياسة الثنا الموجود منه بعض لا كل . تعاليق في ان خط الاستواء بالطبع أظلم ليلاً ، وأن جوهره بالعرض أظلم ليلاً . كتاب فيما ينبغي ان يكون في حانوت الطبيب، أربع مقالات . مقالة في هواء مصر . مقالة في مزاج السكر . مقالة في التنبيه على ما في كلام ابن بطلان من الهذيان . رسالة في دفع مضار الحلاوى بالمحرور .

افرائيم بن الزفان

هو ابو كثير افرائيم بن الحسن بن اسحق بن ابراهيم بن يعقوب . اسرائيلي المذهب وهو من الاطباء المشهورين بديار مصر ، وخدم الخلفاء الذين كان في زمانهم وحصل من جهتهم من الاموال والنعم شيئاً كثيراً جداً . وكان قد قرأ صناعة الطب على أبي الحسن علي بن رضوان وهو من أجل تلامذته، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب ، وفي استنساخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب

الطبية وغيرها . وكان أبداً عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم منه . ومن جملتهم محمد بن سعيد بن هشام الحجري،وهو المعروف بابن مِلساقه ووجدت بخط هذا عدة كتب قد كتبها لافرائيم، وعليها خط افرائيم.وحدثني أبي أن رجلاً من العراق كان قد أتى الى الديار المصرية ليشتري كتباً ويتوجه بها وانه اجتمع مع افرائيم،واتفق الحال فيما بينهما ان باعه افرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد، وكان ذلك في ايام ولاية الافضل ابن أمير الجيوش ، فلما سمع بذلك اراد ان تلك الكتب تبقى في المصرية ، ولا تنتقل الى موضع آخر فبعث الى افرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق تثمينه بين افرائيم والعراقي ، ونقلت الكتب الى خزانة الافضل وكتبت عليها ألقابه، ولهذا انني قد وجدت كتباً كثيرة من الكتب الطبية وغيرها عليها اسم افرائيم ، والقاب الافضل أيضاً . وخلف افرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين الف مجلد ، ومن الاموال النعم شيئاً كثيراً جداً .

ولافرائيم بن الزفان من الكتب : تعاليق ومجربات جعلها على جهة الكناش ، ووجدت هذا الكتاب بخطه ، وقد استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها ، وقد ذكر في أوله ما هذا نصه قال : أقول وانا افرائيم انني جعلت هذا الكتاب تذكرة على طريق المجموع، لا على جهة التصنيف احتياطاً على من يعالج من السهو . كتاب التذكرة الطبية في مصلحة الاحوال البدنية ، الفها لنصير الدولة أبي علي الحسين بن أبي علي الحسن بن حمدان ، لما أراد الانفصال عن مصر ، والتوجه الى ثغر الاسكندرية والبحيرة وتلك الاعمال. مقالة في التقرير القياسي على ان البلغم يكثر تولده في الصيف ، والدم والمرار الاصفر في الشتاء .

سلامة بن رحمون

هو أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون بن موسى ، من اطباء مصر وفضلائها ، وكان يهودياً وله أعمال حسنة في صناعة الطب ، واطلاع على كتب جالينوس والبحث عن غوامضها . وكان قد قرأ صناعة الطب افرائيم ، واشتغل بها عليه مدة . وكان لابن رحمون أيضاً اشتغال جيد بالمنطق والعلوم الحكمية ، وله تصانيف في ذلك ، وكان شيخه الذي اشتغل عليه بهذا الفن الامير أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك . ولما وصل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أبي الصلت الاندلسي من المغرب الى الديار المصرية اجتمع بسلامة بن رحمون وجرت بينهما مباحث ومشاغبات . وقد ذكره ابن ابي الصلت في رسالته المصرية عندما ذكر من رآه من اطباء مصر قال ، وأشبه من رأيته منهم وأدخلهم في عدد الاطباء رجل من اليهود يدعى أبا الخير سلامة بن رحمون فانه لقي أبا الوفاء المبشر بن فاتك، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصص به وتميز عن أضرابه . وادرك أبا كثير بن الزفان تلميذ أبي الحسن بن رضوان فقرأ عليه بعض كتب جالينوس . ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والهيئة ، وشرح بزعمه وفسر ولخص ولم يكن هناك في تحصيله وتحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه . بل كان يكثر كلامه فيضل ، ويسرع جوابه فيزل . ولقد سألته

أول لقائي له واجتماعي به عن مسائل استفتحت مباحثه بها مما يمكن ان يفهمها من لم يكن يمتد في العلم باعه ، ولم يكثر تبحره واتساعه ، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بعجزه ، وأعرب عن سوء تصوره وفهمه، وكان مثله في عظم دواعيه وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه كقول الشاعر:

يشمر للج عن ساقه ويغمره الموج في الساحل
(المتقارب)

تمنيتم مائتي فارس فردكم. فارس واحد
(المتقارب)

قال أبو الصلت : وكان طبيب من أهل انطاكية يسمى بجرجس ، ويلقب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغرب أبو البيضاء ، وفي اللديغ سليم قد تفرغ للتولع بابن رحمون والازراء عليه ، وكان يزور فصولاً طبية وفلسفية ، يقررها في معارض ألفاظ القوم ، وهي محال لا معنى لها وفارغة لا فائدة فيها ، ثم انه ينفذها الى من يسأله عن معانيها ، ويستوضحه أغراضها . فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ ولا تحفظ ، بل باسترسال واستعجال وقلة اكتراث واهتبال ، فيوجد فيها عنه ما يضحك منه . وانشدت لجرجس هذا فيه وهو أحسن ما سمعته في هجو طبيب مشؤوم . وانا متهم له فيه :

ان ابا الخير على جهله يخف في كفته الفاضل
عليله المسكين من شؤمه في بحر هلك ماله ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة طلعته والنعش والغاسل
(السريع)

ولبعضهم :

لابي الخير في العلا ج يد ما تقصر
كل من يستطبه بعد يومين يقبر
والذي غاب عنكم وشهدناه اكثر
(الخفيف)

وله :

جنون أبي الخير الجنون بعينه وكل جنون عنده غاية العقل
خذوه فغلوه ، فشدو وثاقه فما عاقل من يستهين بمختل
وقد كان يؤذي الناس بالقول وحده فقدصار يؤذي الناس بالقول والفعل
(الطويل)

ولسلامة بن رحمون من الكتب : كتاب نظام الموجودات ، مقالة في السبب الموجب لقلة المطر بمصر . مقالة في العلم الالهي . مقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهي الشباب .

مبارك بن سلامة بن رحمون

هو مبارك بن أبي الخير سلامة بن مبارك بن رحمون، مولده ومنشؤه بمصر،وكان ايضاً طبيباً فاضلاً.
ولمبارك بن سلامة بن رحمون من الكتب : مقالة في الجمرة المسماة بالشقفة والخزفة مختصرة .

ابن العين زربي

هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة ، وأقام ببغداد مدة، واشتغل بصناعة الطب بالعلوم الحكمية ومهر فيها ، وخصوصاً في علم النجوم . ثم بعد ذلك انتقل من بغداد الى الديار المصرية الى حين وفاته وخدم الخلفاء المصريين ، حظي في ايامهم ، وتميز في دولتهم وكان من اجل المشايخ ، واكثرهم علماً في صناعة الطب . وكانت له فراسة حسنة وانذارات صائبة في معالجاته . وصنف بديار مصر كتباً كثيرة في صناعة الطب ، وفي المنطق وفي غير ذلك من العلوم. وكانت له تلاميذ عدة يشتغلون عليه ، وكل منهم تميز وبرع في الصناعة . وكان ابن العين زربي في أول أمره انما يتكسب بالتنجيم .

وحدثني أبي قال : حكى لي سبط الشيخ أبي نصر عدنان بن العين زربي : ان سبب اشتهار جده في الديار المصرية ، واتصاله بالخلفاء انه ورد من بغداد رسول الى ديار مصر ، وكان يعرف ابن العين زربي ببغداد وما هو عليه من الفضل والتحصيل والاتقان لكثير من العلوم ، فلما كان ماراً في بعض الطرق بالقاهرة ، واذا به قد وجد ابن العين زربي جالساً وهو يتكسب بالتنجيم فعرفه وسلم عليه ، وبقي متعجباً من كثرة تحصيله للعلوم ، وكونه متميزاً في علم صناعة الطب ، وهو على تلك الحال ، وبقي في خاطره ذلك . فلما اجتمع بالوزير وتحدثا أجرى ذكر ابن العين زربي ، وما هو عليه من العلم والفضل والتقدم في صناعة الطب وغيرها ، وكونهم لم يعرفوا قدره ولا انتهى اليهم أمره ، وان الواجب في مثل هذا لا يهمل ، فاشتاق الوزير الى رؤيته ، والاجتماع بمشاهدته ، فاستحضر ، وسمع كلامه فاعجب به ، واستحسن مما سمعه منه ، وتحقق فضله ومنزلته في العلم ، وأنهى أمره الى الخليفة فاطلق له ما يليق بمثله ، ولم تزل أنعامهم تصل اليه ومواهبهم تتوالى عليه .

أقول : وكان ابن العين زربي خبيراً بالعربية ، جيد الدراية لها ، حسن الخط ، وقد رأيت كتباً عدة في الطب وفي غيره بخطه ، هي في نهاية الحسن والجودة ولزوم الطريقة المنسوبة . وكان أيضاً يشعر وله شعر جيد . وتوفي رحمه الله في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بالقاهرة ، وذلك في دولة الظافر بامر الله [1] .

ولابن العين زربي من الكتب : كتاب الكافي في الطب ، وصنفه في سنة عشر وخمسمائة بمصر وكمل في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وخمسمائة . شرح كتاب الصناعة الصغيرة

(١) هو ابو منصور اسماعيل الظافر بامر الله (١١٤٩ – ١١٥٤) الخليفة الفاطمي الحادي عشر . (ن.ر)

لجالينوس . الرسالة المقنعة في المنطق ألفها من كلام أبي نصر الفارابي والرئيس ابن سينـا . مجربات في الطب على جهة الكناش جمعها ورتبها ظافر بن تميم بمصر بعد وفاة ابن العين زربي . رسالة في السياسة . رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل . مقالة في الحصى وعلاجه .

بلمظفر ابن معرف

هو بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف . كان ذكياً فطناً ، كثير الاجتهاد والعناية والحرص في العلوم الحكمية ، وله نظر ايضاً في صناعة الطب والأدب ويشعر . وكان قد اشتغل على ابن العين زربي ولازمه مدة وقرأ عليه كثيراً من العلوم الحكمية وغيرها . ورأيت خطه في آخر تفسير الاسكندر لكتاب الكون والفساد لارسطوطاليس ، وهو يقول انه قرأه عليه ، واتقن قراءته ، وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة . وكان بلمظفر حسن الخط ، جيد العبارة . وكان مغرى بصناعة الكيمياء ، والنظر فيها ، والاجتماع باهلها . وكتب بخطه من الكتب التي صنفت فيها شيئاً كثيراً جداً . وكذلك ايضـاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكمية ، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب وقراءتها .

وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي عنه انه كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ، وان بلمظفر لم يزل في معظم اوقاته في ذلك المجلس مشتغلا في الكتب وفي القراءة والنسخ .

أقول : ومن أعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن ، وان جميع كتبه لا يوجد شيء منهـا إلا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه . وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرهـا من الكتب الحكمية كانت لابي المظفر وعليها اسمه ، وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة ، وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب .

ومن شعر بلمظفر بن معرف :

وقالوا الطبيعة مبدا الكيـان ... فيا ليت شعري ما هي الطبيعه ؟
أقـادرة طبعـت نفسهـا ... على ذاك أم ليس بالمستطيعه ؟
(المتقارب)

وقال أيضاً :

وقالوا الطبيعـة معلومنـا ... ونحـن نبين مـا حدهـا
ولم يعرفوا الآن ما قبلهـا ... فكيف يرومون مـا بعدهـا
(المتقارب)

ولبلمظفر بن معرف من الكتب : تعاليق في الكيمياء . كتاب في علم النجوم . مختارات في الطب.

الشيخ السديد رئيس الطب

هو القاضي الأجل السديد أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد أبي الحسن علي،وكان لقب القاضي أبي المنصور شرف الدين ، وانما غلب عليه لقب أبيه وعرف به وصار له علماً بان يقال الشيخ السديد ، وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً باصولها وفروعها ، جيد المعالجة ، كثير الدربة ، حسن الاعمال باليد . وخدم الخلفاء المصريين وحظي في أيامهم ، ونال من جهتهم من الاموال الوافرة ، والنعم الجسيمة ، ما لم ينله غيره من سائر الاطباء الذين كانوا في زمانه ، ولا قريباً منه ، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذي لا مزيد عليه . وعمّر عمراً طويلا . وكان من بيتوتة صناعة الطب . وكان أبوه ايضاً طبيباً للخلفاء المصريين مشهوراً في ايامهم .

حدثني القاضي نفيس الدين بن الزبير ، وكان قد لحق الشيخ السديد وقرأ عليه صناعة الطب ، قال : قال لي الشيخ السديد رئيس الطب : إن اول من مثلت بين يديه من الخلفاء وانعم علي الآمر باحكام الله [1] ، وذلك ان ابي كان طبيباً في خدمته ، وكان مكيناً عنده ، رفيع المنزلة في ايامه . قال : وكنت صبياً في ذلك الوقت فكان ابي يهب لي في كل يوم دراهم ، واجلس عند باب الدار التي لنا ، واقصد جماعة في كل نهار ، حتى تمرنت وصارت لي دربة جيدة في الفصد ، وكنت قد شدوت شيئاً من صناعة الطب ، فذكرني ابي عند الآمر واخبره بما انا عليه وانني اعرف صناعة الفصد ، ولي دربة جيدة بها . فاستدعاني ، فتوجهت اليه وانا بحالة جميلة من الملبوس الفاخر والمركوب الفاره المتحلي بمثل الطوق الذهب وغيره . وانني لما دخلت اليه القصر مشيت مع ابي حتى صرنا بين يديه فقبلت الارض وخدمت . فقال لي : افصد هذا الاستاذ وكان واقفاً بين يديه . فقلت : السمع والطاعة . ثم جيء بطشت فضة وشددت عضده ، وكانت له عروق بينة الظهور ففصدته وربطت موضع الفصادة. فقال لي : احسنت وامر لي بانعام كثيرة وخلع فاخرة وصرت من ذلك الوقت متردداً الى القصر ، وملازماً للخدمة . واطلق لي من الجاري ما يقوم بكفايتي على افضل الاحوال التي اؤملها ، وتواترت علي من الهبات والاطلاقات الشيء الكثير .

وحدثني اسعدالدين عبدالعزيز بن أبي الحسن : ان الشيخ السديد حصل له في يوم واحد من الخلفاء في بعض معالجاته لاحدهم ثلاثون الف دينار . وقال لي القاضي نفيس الدين بن الزبير عنه انه لما طهر ولَدَي الحافظ لدين الله [2] ، حصل له في ذلك الوقت من المال نحو خمسين الف دينار واكثر من ذلك ، سوى ما كان في المجلس من اواني الذهب والفضة فانها وهبت جميعها له وكانت له همة عالية وانعام عام .

حدثني الشيخ رضي‌الدين الرحبي قال : لما وصل المهذب بن النقاش الى الشام من بغداد ، وكان

---

(١) ابو علي الآمر باحكام الله (١١٠١ - ١١٣٠) وهو تاسع الخلفاء الفاطميين .

(٢) ابو الميمون (١١٣٠-١١٤٩) وهو عاشر الخلفاء الفاطميين .

فاضلاً في صناعة الطب ، أقام بدمشق مدة، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته ، وسمع بالديار المصرية وانعام الخلفاء فيها وكرمهم واحسانهم الى من يقصدهم ولا سيما من ارباب العلم والفضل وتاقت نفسه الى السفر ، وتوجهت امانيه الى الديار المصرية . فلما وصلها أقام بها اياماً ، وكان قد سمع بالشيخ السديد طبيب الخلفاء ، وما هو عليه من الافضال وسعة الحال ، والاخلاق الجميلة والمروءة العزيزة . فمشى الى داره وسلم عليه ، وعرفه بصناعته ، وانه انما اتى قاصداً اليه ، ومفوضاً كل اموره لديه ومغترفاً من بحر علمه ، ومعترفاً بان مهما يصله من جهة الخلفاء فانما هو من بره ، ويكون معتداً له بذلك في سائر عمره . فتلقاه الشيخ السديد بما يليق بمثله واكرمه غاية الاكرام . ثم بعد ذلك قال له : وكم تؤثر ان يطلق لك من الجامكية إذا كنت مقيماً بالقاهرة ؟ فقال : يا مولانا يكفيني مهما تراه وما تأمر به . فقال له : قل بالجملة . فقال : والله ان اطلق لي في كل شهر من الجاري عشرة دنانير مصرية فاني اراها خيراً كثيراً . فقال له : لا ، هذا القدر ما يقوم بكفايتك على ما ينبغي! وانا اقول لوكيلي ان يوصلك في كل شهر خمسة عشر ديناراً مصرية وقاعة قريبة مني تسكنها، وهي بجميع فرشها وطرحها، وجارية حسناء تكون لك . ثم أخرج له بعد ذلك خلعة فاخرة البسه اياها وأمر الغلام ان يأتي له ببغلة من اجود دوابه فقدمها له ، ثم قال له : هذا الجاري يصلك في كل شهر وجميع ما تحتاج اليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك على ما تختاره ، واريد منك اننا لا نخلو من الاجتماع والانس وانك لا تتطاول الى شيء آخر من جهة الخلفاء ، ولا تتردد الى احد من ارباب الدولة . فقبل ذلك منه، ولم يزل ابن النقاش مقيماً في القاهرة على هذه الحال ، الى ان رجع الى الشام ، وأقام بدمشق الى حين وفاته .

اقول : وكان الشيخ السديد قد قرأ صناعة الطب واشتغل على ابي نصر عدنان بن العين زربي . ولم يزل الشيخ السديد مبجلاً عند الخلفاء ، واحواله تنمى ، وحرمته عندهم تتزايد من حين الآمر بأحكام الله الى آخر ايام العاضد[1] بالله ، وذلك أنه كان وهو صبي مع ابيه في خدمة الآمر بأحكام الله ، وهو أبو المنصور بن أبي القاسم أحمد المستعلي بالله بن المستنصر ، الى ان استشهد الآمر في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة بالجزيرة . وكانت مدة خلافته ثمانية وعشرين سنة وتسعة اشهر وايام . ثم بقي في خدمة الحافظ لدين الله ، وهو أبو الميمون عبد المجيد بن الامير أبي القاسم محمد بن الامام المستنصر بالله وبويع للحافظ يوم استشهاد الآمر ، ولم يزل في خدمة الحافظ الى ان انتقل في اليوم الخامس من جمادى الآخرة من سنة أربع وأربعين وخمسمائة . ثم خدم بعده للظافر بأمر الله وهو ابو منصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله وبويع له في ليلة صباحها الخامس من جمادى الآخرة سنة اربع وأربعين وخمسمائة عند انتقال والده ، ولم يزل في خدمته الى ان استشهد الظافر بأمر الله وذلك في التاسع والعشرين من المحرم سنة تسع واربعين وخمسمائة .

ثم بعد ذلك خدم الفائز بنصر الله ، وهو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأمر الله ، وبويع له في الثلاثين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ولم يزل في خدمته الى ان انتقل الفائز بنصر الله في

---

(١) آخر الخلفاء الفاطميين .

سنة (*) وخمسمائة ، ثم خدم بعده العاضد لدين الله وهو ابو محمد عبدالله بن المولى بن أبي الحجاج يوسف بن الامام الحافظ لدين الله ، ولم يزل في خدمة العاضد لدين الله الى ان انتقل في التاسع من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، وهو آخر الخلفاء المصريين ، وخدمهم ونال في أيامهم من العطايا السنية والمنن الوافرة خمس خلفاء: الآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد . ثم لما استبد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب[1] بالملك في القاهرة ، واستولى على الدولة كان يفتقد الشيخ السديد بالانعام الكثير ، والهبات المتواترة ، والجامكية السنية مدة مقامه بالقاهرة الى ان توجه الى الشام . وكان يستطبه ويعمل على وصفاته وما يشير به اكثر من بقية الاطباء ولم يزل الشيخ السديد رئيساً على سائر المتطببين الى حين وفاته . وكان يسكن في القاهرة عند باب زويلة في دار قد اعتني بها وبولغ في تحسينها ، وجرت عليه في اواخر عمره محنة . وذلك ان داره قد احترقت وذهب له فيها من الاثاث والآلات والامتعة شيء كثير جداً ، ولما تهدم بعضها من النار وقعت براني كبار وخوابي ممتلئة من الذهب المصري ، وتكسرت وتناثر فيما بعد الحريق والهدم منها الذهب الى كل ناحية ، وشاهد الناس وبعضه قد انسبك من النار وكان مقدار ذلك الوفاً كثيرة جداً .

وحدثني القاضي نفيس الدين بن الزبير : ان الشيخ السديد كان قد رأى في منامه قبل ذلك بقليل ان داره التي هو ساكنها قد احترقت فاشتغل سره بذلك وعزم على الانتقال منها. ثم انه شرع في بناء دار قريبة منها ، وحث الصناع في بنائها ، وعند كمالها حيث لم يبق منها الا مجلس واحد وينتقل اليها احترقت داره التي كان ساكنها ، وذلك في السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، والدار التي عمرها قريباً منها هي التي صارت بعده للصاحب صفي الدين بن شكر[2] وزير الملك العادل ابي بكر بن ايوب[3] ، وهي التي تعرف به الآن .

ونقلت من خط فخر الكتاب حسن بن علي ابن ابراهيم الجويني الكاتب في الشيخ السديد عند حريق داره وذهاب منفوساته يعزيه ، وكان صديقاً له وبينهما أنس ومودة .

أيا من حق نعمته قديم ... على المرؤوس منا والرئيس
فكم عاف[4] أعدت له العوافي ... وكم عنا نضوت[5] لباس بوس
ويا من نفسه أعلى محلا ... .من المنفوس يعدم والنفيس

(*) بياض بالاصل . واعتقد انها سنة اربع وخمسين .

(١) هو صلاح الدين الايوبي (١١٣٨–١١٩١) ولد في تكريت وتوفي في دمشق . وهو مؤسس الدولة الايوبية. هزم الافرنج في موقعة حطين وفتح بيت المقدس .

(٢) صفي الدين ابو محمد عبد الله بن شكر (١١٥٣–١٢٢٥) وزير الملك العادل . انشأ مدرسة مقابل داره . وكان داهية بالسياسة ، مكرماً لاهل العلم والصلاح .

(٣) احد سلاطين بني ايوب في مصر . ولد في المنصورة ومات سجيناً في القاهرة (١٢٤٨) وهو من اعظم الامراء الايوبيين.

(٤) هالك .

(٥) نزعت .

جرعت مرارة أحلى مذاقاً لمثلك من كميت (١) خندريس (٢)
فعاين ما عراك بنور تقوى خلائقك التي هي كالشموس
مصابك بالذي اضحى ثوابا يريك البشر في اليوم العبوس
عطاء الله يوم العرض يسمو مماثلة عن العرض الخسيس
هموم الخلق في الدنيا شراب يدور عليهم مثل الكؤوس
تروم الروح في الدنيا بعقل ترى الارواح منها في حبوس
وكل حوادث الدنيا يسير اذا بقيت حشاشات النفوس

(الوافر)

ونقلت أيضاً من خطه مما نظمه في مآثر القاضي السديد مجيزاً البيتين عملاً فيه وهما .

ولكل عافية عفت وقت فإن ُعدت المريض فانت من اوقاتها
فاسلم ليسلم من تعلله فقد صحّت بك الدنيا على علاتها

(الكامل)

فعمل هذه الابيات :

بك عرّفت نفسي لذيذ حياتها سبحان منشرها عقيب مماتها
وردت حياض الموت فاستنقذتها بمشيئة لله بعد وفاتها
وأعدت فائتها بقدرة قادر يسترجع الاشياء بعد فواتها
فلذاك شكرك بعد شكر إلهها في سائر الاوقات من أوقاتها
لله نفسك ما أتم ضياءها ألعلمها تعتام ام بركاتها
تقوى تقرّ الروح في اوطانها ونهىً تجير النفس من آفاتها
كم مثل مهجتي اختلست من الردى فرددت عنها وهي في سكراتها
وغمرتها براً وبرءاً بعدما قذفت بها الامراض في غمراتها
ونزعت عنها النزع وهو مدافع لنسيم زوح الروح عن لهواتها
ولكم باذن الله عدت مودعاً نفساً فعدت بها الى عاداتها
يا من غدت ألفاظه لتلاوة القرآن تهدي البرء من نفثاتها
يا أيها القاضي السديد ومن غدا للملة البيضاء من حسناتها
يا من بعين العلم منه قريحة تتصور الاشياء في مرآتها
لله فكرك مدركاً ما اكتن في الاعضاء عنه من جميع جهاتها
يحمي طريق الروح من دعاره فكأنه وال على طرقاتها

---

(١) من اسماء الخمرة ما فيها من سواد وحمرة .
(٢) الخمر القديمة المعتقة . (ن . ر)

لله في هـــذا الانام لطـائف ... خفيت عليهم انت من آياتهـــا
ولكل عافية عفت وقت فانـ ... عدت المريض فانت من اوقاتها
فاسلم ليسلم من تعلله فقـــد ... صحت بك الدنيا على علاتهـــا

ونقلت ايضاً من خطه مما نظمه فيه وقد عالجه من بعض الامراض العظيمة الخطر فكتب اليه :

اواصل شكراً لست عنه بلاهي ... سفـيراً غدا بيني وبـــين الهي
اعاد باذن الله روحي ولم اكد ... أعود الى هـــذا الوجود ولاهي
هو السيد القاضي السديد الذي به ... أفاخـــر أرباب العـــلا وأباهي
فلولا التناهي في البرايا لقلت ما ... لآماده في المكرمـات تنـاهي
تنـير له المشكلات بصـــيرة ... تريه خفايا الغائبـــات كما هي
زمـام العوافي والسقـام بكفه ... له آمر في الفرقتـــين وناهي
لك الله يا عبد الاله فكم زهت ... ببهجتك الدنيـــا ولست بزاهي
تجل عن الماء الزلال وجَلّ ان ... يقـــاس هواء منعش بميـــاه

(الطويل)

وتوفي الشيخ السديد رحمه الله بالقاهرة في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

ابن جميع

هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن اسمٰعيل بن جميع الامرائيلي ، من الاطباء المشهورين ، والعلماء المذكورين ، والا كابر المتعينين . وكان متفنناً في العلوم ، جيد المعرفة بها ، كثير الاجتهاد في صناعة الطب ، حسن المعالجة ، جيد التصنيف . وقرأ صنــاعة الطب على الشيخ الموفق أبي نصر عدنان بن العين زربي ولزمه مدة . وكان مولد ابن جميع ومنشؤه بفسطاط مصر . وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة عنده ، عالي القدر ، نافذ الامر ، يعتمد عليه في صناعة الطب ، وركب له الترياق الكبير الفاروق . وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعــة الطب ، وذكر انه كان كثير التحصيل في صناعة الطب ، متصرفاً في علمها ، فاضلاً في اعمالها

اقول : ومما يؤيد ذلك ما نجده في مصنفاته ، فانها جيدة التأليف ، كثيرة الفوائـــد ، منتخبة العلاج . وكان له نظر في العربية ، وتحقيق للالفاظ اللغوية . وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح [1] للجوهري [2] حاضر بين يديه ، ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حق المعرفة الا ويكشفها منه ، ويعتمد

---

(١) احد الكتب اللغوية مرتب على حروف الهجاء جمع فيه ٤٠ الف كلمة .

(٢) هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي الامام في اللغة والادب ، واعترته وسوســة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور وصعد سطحه وقال : ايها الناس اني قد عملت في الدنيا شيئاً لم اسبق اليه فسأعمل في الآخرة امراً لم اسبق اليه . وضم الى جنبيه مصراعي باب وشدهما بحبل وصعد مكاناً عالياً وزعم انه يطير فوقع فمات .

على ما اورده الجوهري في ذلك . وكنت يوماً عند الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح [(١)] في داره بدمشق ، وكان ذلك في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب [(٢)] صاحب البلاد المصرية والشامية . والصاحب جمال الدين يومئذ وزيره في سائر البلاد ، وهو صاحب السيف والقلم ، وفي خدمته مائتا فارس ، وتجارينا الحديث وتفضل وقال لي : ما سبقك الى تأليف كتابك في طبقات الاطباء أحد . ثم قال لي : وذكرت اصحابنا الاطباء المصريين ؟ فقلت له : نعم . فقال : وكأني بك قد اشرت الى ان ما في الاطباء المتقدمين منهم مثل ابن رضوان ، وفي المتأخرين مثل ابن جميع ، فقلت له : صحيح يا مولانا

وحدثني بعض المصريين ان ابن جميع كان يوماً جالساً في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح بأهل الميت ، وذكر لهم ان صاحبهم لم يمت ، وانهم ان دفنوه فانما يدفنونه حياً . قال : فبقوا ناظرين اليه كالمتعجبين من قوله ، ولم يصدقوه فيما قال . ثم ان بعضهم قال لبعض : هذا الذي يقوله ما يضرنا اننا نمتحنه ، فان كان حقاً فهو الذي نريده ، وان لم يكن حقاً فما يتغير علينا شيء ؟ فاستدعوه اليهم وقالوا : بين الذي قد قلت لنا ، فأمرهم بالمسير إلى البيت ، وان ينزعوا عن الميت اكفانه ، وقال لهم : احملوه الى الحمام ، ثم سكب عليه الماء الحار ، واحمى بدنه ونطله بنطولات ، وغطسه ، فرأوا فيه أدنى حس ، وتحرك حركة خفيفة . فقال : ابشروا بعافيته ! ثم تم علاجه الى ان أفاق وصلح ، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم ، وظهرت عنه كالمعجزة . ثم أنه سئل بعد ذلك من اين علمت ان ذلك الميت،وهو محمول وعليه الاكفان ان فيه روحاً ؟ فقال : اني نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين ، واقدام الذين قد ماتوا منبسطة ، فحدست انه حي ، وكان حدسي صائباً اقول : وكان بمصر ابن المنجم المصري ، وكان شاعراًمشهوراً خبيث اللسان ، وله أهاجي كثيرة في ابن جميع ومن ذلك مما أنشدت له فيه .

لابن جميع في طبه حمق … يسب طب المسيح من سببه
وليس يدري مافي الزجاجة من … بول مريض ولو تمخض به
وأعجب الامر أخذه أبداً … أجرة قتل المريض من عصبه

(المنسرح)

وله ايضاً فيه :

دعوا ابن جميع وبهتانه … ودعواه في الطب والهندسة
فما هو الا رقيع [(٣)] أتى … وان حل في بلد أنحسه

---

(١) ابو الحسن يحيى بن مطروح ناظر الخزانة في مصر ووزير السلطان نجم الدين ايوب الملك الصالح في دمشق (١١٩٧ – ١٢٥٢) .

(٢) احد الملوك الايوبيين (١٢٠٧ – ١٢٤٩) بسط سلطانه على العراق واحتل دمشق واسترد فلسطين من ايدي الصليبيين . واقطع المماليك اقطاعات فحصر فحالفوه ونصروه . (ن ر)

(٣) أحمق .

وقد جعل الشرب من شأنه ولكن كما تشرب النرجسه
(المتقارب

وله ايضاً فيه :

كذبت وصحفت[1] فيما ادعيت وقلت أبوك جميع اليهودي
وليس جميع اليهودي أباك ولكن أباك جميع اليهود

ونقلت من خط يوسف بن هبة الله بن مسلم قصيدة لنفسه، وهو يرثي بها الشيخ الموفق بن جميع وهي

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجمي[2] وان نفذت منك الدموع فبالدم
فحق بان تذرفي على فقد سيد فقدنا به فضل العلا والتكرم
وأفضل أهل العصر علماً وسؤدداً وأفضلهم في مشكل القول مبهم
وأهداهم بالرأي والامر مبهم وأعلمهم بالغيب علم تفهم
وأرحبهم صدراً وكفاً ومنزلا ووجهاً كمثل الصبح عند التبسم
وأنجد من يمته لملمة وأنجد من أملته لتألم
ولو كان يفدى من حمام فديته بنفس متى تقدم على الموت تقرم[3]
وبطش أسود كالاساود ترتمي بهزة هندي وعزة لهذم[4]
ولكن قضاء الله في الخلق نافذ فلا دافع للأمر المتحكم
وما رد بقراطا عن الموت طبه وقد كان من اعيانه في التقدم
ولا حاد جالينوس عن حتف يومه فسلم ما اعياه للمتسلم
لا كسر كسرى ثم تابع تبعاً[5] وعاد بعاد ثم جر بجرهم[6]
فقل معلناً للشامتين بيومه ذوو الجهل ان الجهل منكم بمأتم
تمر سفيهات الرياح عواصفاً فهل زعزعت ضعفاً نبات يلملم[7]
وما سرح السرح الضعيف حراكه بارض فكان الليث فيها بمجثم
ألم يك ذا ورد النفوس باسرها فكل أخير تابع المتقدم
فلا فرح الا ويعقبه الأسى ولا غاية البنيان غير التهدم
فقبحاً لدهر ردنا بعد فقده حيارى بلا هاد حليف التيتم
أما عجب اذ غاله الحتف رامياً وقد كان أرمى للخطوب باسهم

---

(١) صحف الكلمة : اخطأ في قراءتها او حرفها عن موضعها .
(٢) اسيلي وحي كثيراً
(٣) تشتد شهوتها للقائه . (٤) الحاد القاطع مع السيوف والأسنة .
(٥) لقب ملوك اليمن الاقدمين رقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم .
(٦) قبيلة عربية من العرب العاربة جاءت من اليمن ونزلت مكة وهلكت كما هلكت ثمود وعاد .
(٧) ميقات اهل اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة . (ن.ر)

واهدى الى الداء الخفي بعلمه اذا جال بين اللحم والعظم والدم
وارفع بيتاً في القبيل مكارما كما لاح بدر التم ما بين انجم
فيا أيها المولى الموفق أينا رأيناه من در الكلام المنظم
وما غال ذاك النطق أفصح مقول ينير دجى ليل من الشك مظلم
وما أخمد الحس الذكي توقدا وقد كان يهدي كل سار ميمم
لعمرك ما قلب الشجي كغيره ولا محرق الاحشاء كالمتجشم
ولا كل من أجرى المدامع ثاكل وأين جميل في الاسى من متمم
فلا تعذلوني ان بكيت تأسفاً فقدر عظيم الحزن قدر المعظّم
ووالله ما وفيت واجب حقه ولو ان جسمي كل عين بمرزم
واني لافني مدة العمر والهاً تصرم أيامي ولم يتصرم
فويح المنايا ما درت كنه حادث رمت سيداً يحيا به كل منعم
ثوى بين أحجار الثرى ولقد غدى يضوع به النادي ذكي التنسم
وطلق المحيا رائق البشر باسماً وليس بفظ الخلق كالمتجهم
وقد كنت أهديه الثناء مبجلا فها أنا أهديه الرثا جهد معدم
فيا قبره الوضاح لم يدر ما حوى ترابك من جود ومجد مخيم
سقاك من الوسمي [1] كل سحابة تخيل عليك العين ذات توسم
ولا زال منك النشر يأرج عرفه فيهديه أنفاس الصبا بسلم

(الطويل)

ولابن جميع من الكتب : كتاب الارشاد لمصالح الانفس والاجساد أربع مقالات . كتاب التصريح بالمكنون في تنقيح القانون . رسالة في طبع الاسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها . رسالة الى القاضي المكين أبي القاسم علي بن الحسين فيما يعتمده حيث لا يجد طبيباً . مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه . مقالة في الراوند ومنافعه . مقالة في الحدبة . مقالة في علاج القولنج ، واسمها الرسالة السيفيه في الادوية الملوكية .

ابو البيان بن المدور

لقب بالسديد ، وكان يهوديا قرّاء عالماً بصناعة الطب ، حسن المعرفة بأعمالها وله مجربات كثيرة ، وآثار محمودة . وخدم الخلفاء المصريين في آخر دولتهم وبعد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين، وكان يرى له ويعتمد على معالجته ، وله فيه حسن ظن ، وكانت له منه الجامكية الكثيرة والافتقاد المتوفر . وعمر الشيخ أبو البيان بن المدور وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف ، من كثرة الحركة والتردد الى الخدمة ،

(١) اول مطر الربيع .

فاطلق له الملك الناصر صلاح الدين رحمه‌الله في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل اليه، ويكون ملازماً لبيته، ولا يكلف خدمة. وبقي على تلك الحال وجامكيته تصل اليه نحو عشرين سنة. وكان في مدة انقطاعه في بيته لا يخل بالاشتغال في صناعة الطب، ولا يخلو موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه والمستوصفين منه . وكان لا يمضي الى احد لمعالجته في تلك المدة الا من يعز عليه جداً . ولقد بلغني عنه من ذلك ان الامير ابن منقذ لما وصل من اليمن ، وكان قد عرض له استسقاء بعث اليه ليأتيه ويعالجه بالمعالجة فاعتذر اليه على قرب موضعه منه ، ولم يمض اليه دون ان بعث اليه القـاضي الفاضل وكيله ابن سناء الملك ، وقصده في ذلك حتى مضى اليه ووصف له ما يعتمد عليه في المداواة . وعاش أبو البيان ابن المدور ثلاثاً وثمانين سنة ، وتوفي في سنة ثمانين وخمسمائة بالقاهرة. وكان من تلاميذه زين الحساب .

ولابي البيان بن المدور من الكتب : مجرباته في الطب .

ابو الفضائل بن الناقد

لقبه المهذب . كان طبيباً مشهوراً ، وعالماً مذكوراً . له العلم الوافر ، والاعمال الحسنة، والمداواة الفاضلة . وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل ، إلا أن الكحل كان أغلب عليه . وكان كثير المعاش ، عظيم الاشتيام ، حتى ان الطلبة والمشتغلين عليه كانوا في أكثر اوقاته يقرؤون عليه ، وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى . وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة بالقاهرة ، وأسلم ولده أبو الفرج ، وكان طبيباً وكحالاً أيضاً .

وحدثني أبي قال : كان قد أتى الى أبي الفضائل بن الناقد صاحب له من اليهود ، ضعيف الحال ، وطلب منه ان يرفده بشيء فأجلسه عند داره وقال له : معاشي اليوم بختك ورزقك . وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة ، وشرع يفتح واحدة واحدة منها فمنها ما فيها الدينار والاكثر ، ومنها ما فيها دراهم ناصرية ، وبعضها فيهـا دراهم سواد فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجملة نحو ثلثمائة درهم سواد فأعطاهـا ذلك الرجل . ثم قال والله جميع هذه الكواغد ما أعرف الذي اعطاني الذهب أو الدراهم ، أو الكثير منها أو القليل بل كل من اعطاني شيئاً أجعله في عدة الكحل ، وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير .

ولابي الفضائل بن الناقد من الكتب : مجرباته في الطب .

الرئيس هبة الله

كان اسرائيلياً فاضلاً مشهوراً بالطب ، جيد الاعمال ، حسن المعالجة . وكان في آخر دولة الخلفاء المصريين ، وخدمهم بصناعة الطب، وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتوالية . ثم انقرضت دولتهم وبقي بعدهم بعيش فيما أنعموا به عليه الى ان توفي ، وكانت وفاته في سنة خمسمائة ونيف وثمانين

الموفق بن شوعة

كان من أعيان العلماء وأفاضل الاطبـاء ، اسرائيلي مشهور باتقان الصنـاعة وجودة المعرفة في علم الطب والكحل والجراح . كان دمثاً خفيف الروح كثير المجون ، وكان يشعر ويلعب بالقيثارة، وخدم الملك الناصر صلاح الدين بالطب لما كان بمصر ، وعلت منزلته عنده . وكان بدمشق فقيه صوفي صحب محمد بن يحيى وسكن خانقاه السميساطي كان يعرف بالخوبشاني ويلقب بالنجم ، وله معرفة بنجم الدين أيوب وبأخيه أسد الدين . وكان الخوبشاني ثقيـل الروح ، قشفـاً في العيش ، يابساً في الدين ، يأكل الدنيا بالناموس، ؛ ولما صعد أسد الدين مصر تبعه ونزل بمسجد عنـد دار الوزارة يعرف اليوم بمسجد الخوبشاني ؛ وكان يثلب أهل القصر ويجعل تسبيحه سبهم . وكان سلطاً ، ومتى رأى ذميـاً راكباً قصد قتله فكانوا يتحامونه . ولما كان في بعض الأيام رأى ابن شوعة وهو راكب فرماه بحجر أصاب عينه فقلعها ، وتوفي ابن شوعة بالقاهرة في سنة تسع وسبعين وخمسمائه .

ومن شعر الموفق بن شوعة أنشدني القـاضي نفيس الدين بن الزبير قال : أنشدني الموفق بن شوعة لنفسه ، فمن ذلك قال في النجم الخوبشاني لما قلع عنه :

لا تعجبوا من شعاع الشمس اذ حسرت ... منه العيون وهـذا الشأن مشهور
بـل اعجبوا كيف أعمى مقلتي نظري ... للنجم وهو ضئيل الشخص مستور
(البسيط)

وانشدني أيضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه يهجو ابن جميع اليهودي .

يا ايها المدعي طباً وهندسة ... أوضحت يا ابن جميع واضح الزور
ان كنت بالطب ذا علم فلم عجزت ... قواك عن طب داء فيك مستور
تحتاج فيه طبيباً ذا معالجـة ... ببضـع طوله شبران مطرور
هذا ولا تشتفي منه فقل وأجب ... عن ذا السؤال بتمييز وتفكـير
ما هندسي له شكل تهيم بـه ... وليس ترغب فيـه غير منشور
بجسم اسطـواني على اكر ... تألفت بـين مخروط وتدوير
. . . الا نصف زاوية ... . . . فهو كمثل الحبل في البير (*)
(البسيط)

وقال ايضاً

وروضة جادها صوب الربيـع فقد ... جادت علينا بوشي لم تحكه يد
كأن أصفرها الزاهي وأبيضهـا ... تبر وورق بكف الريح تنتقد

(*) بياض بالاصل في الموضعين .

وباح نشر خزاماها بما كتمت   وناح قمريها شجواً بما يجـــد
(البسيط)

ابو البركات بن القضاعي

لقبه الموفق ، وكان من جملة الاطباء المهرة والمتميزين في صناعة الطب . وكان مشكوراً في علمها ، مشهوراً بجودة المعرفة في عملها . وكان يعاني ايضاً صناعة الكحل والجراح ، ويعد من الافاضل فيها. وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين في الديار المصرية وتوفي ابو البركات بنالقضاعي بالقاهرة في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

ابو المعالي بن تمام

هو أبو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام ، يهودي ، غزير العـــلم ، وافر المعرفة. وكان مشهوراً في الدولة ، موصوفاً بالفضل ، مشكوراً بالمعالجة . وكان مقيماً بفسطاط مصر . واسلم جماعة من أولاده. وكان ابو المعالي قد خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحظي في أيامه ؛ وخدم أيضاً بعد ذلك لاخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب[1] .

ولابي المعالي بن تمام من الكتب : تعاليق ومجربات في الطب .

الرئيس موسى

هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي . يهودي ، عالم بسنن اليهود ، ويعد من أحبارهم وفضلائهم . وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية . وهو أوحد زمانه في صناعة الطب . وفي أعمالها ، متفنن في العلوم،وله معرفة جيدة بالفلسفة. وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه، وكذلك ولده الملك الافضل علي . وقيل ان الرئيس موسى كان قـد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه . ثم انه لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتد . وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى .

أرى طب جالينوس للجسم وحده   وطب أبي عمران للعقل والجسم
فلو انه طب الزمان بعلمـــه   لابراه من داء الجهالة بالعـلم
ولو كان بدر الـــتم من يستطبه   لـــتم له ما يدعيـــه من الـــتم

---

(١) من الامراء الايوبيين وقد ورد ذكره فيما تقدم .

وداواه يوم الستم من كلف به وأبرأه يوم السرار من السقم

(الطويل)

وللرئيس موسى من الكتب : اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس . مقالة في البواسير وعلاجها. مقالة في تدبير الصحة صنفها للملك الافضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . مقالةفي السموم والتحرز من الادوية القتالة . كتاب شرح العقار . كتاب كبير على مذهب اليهود .

ابراهيم بن الرئيس موسى

هو أبو المنى ابراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون ، منشؤه بفسطاط مصر ، وكان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب ، جيداً في اعمالها . وكان في خدمة الملك الكامل [1] محمد بن أبي بكر بن أيوب ويتردد ايضاً الى البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر ، ويعالج المرضى فيه . واجتمعت به سنة احدى وثلاثين او اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة وكنت حينئذ أطب في البيمارستان بها فوجدته شيخاً طويلاً نحيف الجسم ، حسن العشرة ، لطيف الكلام ، متميزاً في الطب . وتوفي ابراهيم بن الرئيس موسى بمصر في سنة (*) وثلاثين وستمائة .

ابو البركات بن شعيا

ولقبه الموفق شيخ مشهور ، كثير التجارب ، مشكور الاعمال في صناعة الطب . وكان يهودياً قراء.عاش ستاً وثمانين سنة وتوفي بالقاهرة ، وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة أبو الفخر ، وهو طبيب ايضاً ، ومقامه بالقاهرة

الاسعد المحلي

هو اسعد الدين يعقوب بن اسحق . يهودي من مدينة المحلة [2] من اعمال ديار مصر ، متميز في الفضائل ، وله اشتغال بالحكمة ، واطلاع على دقائقها، وهو من المشهورين في صناعة الطب ، والخبيرين بالمداواة والعلاج . وأقام بالقاهرة ، وسافر في اول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة الى دمشق . واقام بها مديدة ، وجرت بينه وبين بعض الافاضل من الاطباء بها مباحث كثيرة ونكد ، ورجع بعد ذلك الى الديار المصرية وتوفي بالقاهرة . ومن نوادره في حسن المداواة انه كان بعض اهلنا من النساء قد عرض لها مرض وتغير مزاج ، وتطاول بها ولم ينجع فيها علاج فلما افتقدها قال لعمي ، وكان صديقه عندي اقراص قد ركبتها لهذا المرض خاصة وهي تبرأ بها ان شاء الله ، تكون تتناول في كل يوم بالغداة منها قرصاً مع شراب سكنجبين ، واعطاه الاقراص فلما تناولتها برأت .

---

(١) ابن الملك العادل (١١٨٠ – ١٢٣٨) وحكم سنة (١٢١٨) وعلى ايامه تم بناء القلعة في القاهرة .

(٢) اظن انها المحلة الكبرى وهي مدينة في مصر على دلتا النيل (ن. ر)

وللاسعد المحلي من الكتب : مقالة في قوانين طبية وهي ستة ابواب . كتاب المنزه في حل ما وقع من ادراك البصر في المرايا من الشبه . كتاب في مزاج دمشق .ووصفها وتفاوتها من مصر ، وانها اصح واعدل ، وفي مسائل أخر في الطب واجوبتها وهو يحتوي على ثلاث مقالات . مسائل طبية واجوبتها سألها لبعض الاطباء بدمشق ، وهو صدقة بن ميخا بن صدقة السامري .

الشيخ السديد بن أبي البيان

هو سديد الدين ابو الفضل داوود بن ابي البيان سليمان بن ابي الفرج اسرائيل بن ابي الطيب سليمان ابن مبارك اسرائيلي، قراء، مولده في سنة ست وخمسين وخمسمائة بالقاهرة. وكان شيخاً محققاً للصناعة الطبية ، متقناً لها ، متميزاً في علمها وعملها ، خبيراً بالادوية المفردة والمركبة . ولقد شاهدت منه حيث نعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة من حسن تأنيه لمعرفة الامراض وتحقيقها ، وذكر مداواتها ، والاطلاع على ما ذكره جالينوس فيها ما يعجز عن الوصف . وكان اقدر اهل زمانه من الاطباء على تركيب الادوية ومعرفة مقاديرها واوزانها على ما ينبغي ، حتى انه كان في اوقات يأتي اليه من المستوصفين من به امراض مختلفة او قليلة الحدوث ، فكان يملي صفات أدوية مركبة بحسب ما يحتاج اليه ذلك المريض من الاقراص والسفوفات والاشربة أو غير ذلك في الوقت الحاضر ، وهي في نهاية الجودة وحسن التأليف . وكان شيخه في صناعة الطب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودي . وقرأ أيضاً على ابي الفضائل بن الناقد. وكان الشيخ السديد بن أبي البيان قد خدم الملك العادل ابا بكر ابن أيوب ووجدت لبعضهم فيه :

اذا اشكل الداء في باطن   أتى ابن بيان له بالبيان
فان كنت ترغب في صحة   فخذ لسقامك منه الامان

(المتقارب)

وعاش فوق الثمانين سنة ، وكان قد ضعف بصره في آخر عمره .

وللشيخ السديد بن أبي البيان من الكتب : كتاب الاقراباذين ، وهو اثنا عشر بابا قد أجاد في جمعه ، وبالغ في تأليفه واقتصر على الادوية المركبة المستعملة المتداولة في البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيادلة، وقرأته عليه وجمعته معه.تعاليق على كتاب العلل والاعراض لجالينوس.

جمال الدين بن ابي الحوافر

هو الشيخ الامام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ، ويعرف بابن أبي الحوافر . أفضل الاطباء ، وسيد العلماء ، وأوحد العصر ، وفريد الدهر . قد اتقن الصناعة الطبية ،

وتميز في اقسامها العلمية والعملية . وله اشتغال جيد بعلم الادب وعناية فيــه ، وله شعر كثير صحيح المباني ، بديع المعاني . وكان رحمه الله كثير المروءة ، غزير العربيــة ، معروفاً بالافضال ، موصوفاً بحسن الخلال ، قد غمر باحسانه الخاص والعام ، وشملهم بكثرة الانعام . مولده ومنشؤه بدمشق . واشتغل بصناعة الطب على الامام مهذب الدين بن النقاش وعلى الشيخ رضي الدين الرحـبي . وخـدم بصناعة الطب الملك العزيز [1] عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين ، واقــام معه في الديار المصرية ، وولاه رياسة الطب ولم يزل في خدمته ، وهو كثير الاحسان اليه والانعام عليه ، الى ان توفي الملك العزيز رحمه الله . وكانت وفاته ليلة الاحد العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة بالقاهرة . وبقي هو مقيماً بالديار المصرية وقطن بها . ثم خدم بعد ذلك الملك الكامل [2] محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين . وتوفي جمال الدين بن أبي الحوافر رحمه الله بالقاهرة .

وحدثني بعض أصدقائه قال : كان يوماً راكباً فرأى في بعض النواحي على مصطبــة بياع حمص مسلوق ، وهو قاعد ، وقدامه كحال يهودي ، وهـو واقف ، وبيده المكحلة والميل ، وهو يكحل ذلك البياع.. فحين رآه على تلك الحال ساق بغلته نحوه وضربه بالمقرعة على رأسه ، وشتمه . وعندما مشى معه قال له اذا كنت أنت سفلة في نفسك ، أما للصناعه حرمة؟ كنت قعدت الى جانبه وكحلته ، ولا تبقى واقفاً بين يدي عامي بياع حمص !.. فتاب ان يعود يفعل مثل ذلك الفعل وانصرف .

اقول : واشتغل على الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر جماعة ، وتميزوا في صناعة الطب ، وأفضل من اشتغل عليه منهم ، وكان أجل تلامذته وأعلمهم عمي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله

فتح الدين بن جمال الدين بن أبي الحوافر

كان مثل ابيه جمال الدين في العلم والفضل والنباهة . نزيه النفس ، صائب الحدس ، أعــلم الناس بمعرفة الامراض ، وتحقيق الاسباب والاعراض . حسن العلاج والمداواة ، لطيف التدبير والمداراة . عالي الهمة ، كثير المروءة . فصيح اللسان ، كثير الاحسان . وخدم بصناعة الطب الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبعد الملك الصالح نجم الدين [3] أيوب ابن الملك الكامل محمــد ، وتوفي رحمه الله في أيامه بالقاهرة .

شهاب الدين بن فتح الدين

هو سيد العلماء ورئيس الاطباء ؛ علامة زمانه ، وأوحد أوانه . قــد جمع الفضائل ، وتميز على الاواخر والاوائل ؛ واتقن الصناعة الطبية علماً وعملا ، وحررها تفصيلا وجملا ؛ وهو علامة وقته في

(١) تولى الحكم سنة (١١٩٣)
(٢) تولى الحكم سنة (١٢١٨)
(٣) تولى الحكم سنة (١٢٤٠)

حفظ الصحة ومراعاتها ، وازالة الامراض وعلاجاتها . وقـــد اقتفى سيرة آبائه ، وفاق نظرائه في همته وابائه .

ورث المكارم عن ابيه وجده كالرمح انبوبـاً على انبوب

ومقامه في الديار المصرية ، وخدم بصناعة الطب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس[1] الملك الصالح صاحب الديار المصرية والشامية .

القاضي نفيس الدين بن الزبير

هو القاضي الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولمي ، والكولم من بلاد الهنـد ، وهو ينسب من جهة امـه الى ابن الزبير الشاعر المشهور الذي كان بالديار المصرية . وهو القائل :

يا ربـع أين ترى الاحبة يمموا هل أنجدوا[2] من بعدنا أو أتهموا[3]

ومولد القاضي نفيس الدين في سنة خمس أو ست وخمسين وخمسمائـة ، وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولاً ، وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب ، وتميز في صناعة الطب وحاول أعمالها، واتقن ايضاً صناعة الكحل، وعلم الجراح. وكثرت شهرته بصناعة الكحل ، وولاه الملك الكامل ابن الملك العادل رياسة الطب بالديار المصرية ، ويكحل في البيمارستان الناصري الذي كان من جملة القصر للخلفاء المصريين. وتوفي القاضي نفيس الدين بن الزبير رحمه الله بالقاهرة في سنة ست وثلاثين وستمائة، وله أولاد مقيمون في القاهرة ، وهم من المشهورين بصناعة الكحل والمتميزين في علمها وعملها .

افضل الدين الخونجي

هو الامام العالم ، الصدر الكامل ، سيد العلماء والحكماء ، أوحد زمانـه ، وعلامة أوانـه ، أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماوار الخونجي . قد تميز في العلوم الحكمية ، واتقن الامور الشرعية. قوي الاشتغال كثير التحصيل . اجتمعت به بالقاهرة في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فوجدته الغايـة القصوى في سائر العلوم . وقرأت عليه بعض الكليات من كتاب القانون للرئيس ابن سينا ، وكان في بعض الاوقات يعرض له انشداه خاطر لكثرة انصباب ذهنه الى العلم ، وتوفر فكرته فيه . وفي آخر أمره تولى القضاء بمصر ، وصار قاضي القضاة بها وباعمالها. وكانت وفاته رحمه الله بالقاهرة يوم الاربعاء

(١) رابع السلاطين من المماليك البحريين ملك (١٢٢٣-١٢٧٧) قهر المغول والافرنج في موقعة عين جالوت بسوريا . وحطم قوى الصليبيين في الساحل . وغزا جنوده بلاد النوبة والبربر .
(٢) نزول نجد ، وهي البلاد الجبلية الواقعة في شمالي الجزيرة العربية
(٣) نزلوا تهامة ، وهي البلاد الساحلية الغربية من جزيرة العرب (ن . ر)

خامس شهر رمضان سنة ست وأربعين وستمائة ودفن بالقرافة . وقال الشيخ عز الدين محمد بن حسن الغنوي الضرير الاربلي يرثيه

قضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل ... وماتت بموت الخونجي الفضائل
فيا أيها الحبر الذي جاء آخرة ... فحل لنا ما لم تحل الاوائل
ومستنبط العلم الخفي بفكرة ... بها اتضحت للسائلين المسائل
وفاتح باب المشكلات بها لنا ... فلم يسم لولاه لها المتطاول
وحبراً اذا قيس البحار بعلمه ... غدا علمه بحراً وتلك الجداول
فليت المنايا عنه طاشت سهامها ... وكانت اصيبت من سواه المقاتل
أتدري بمن قد سار حامل نعشه ... عداه أحبوه ومن هو حامل
ومات فريداً في الزمان واهله ... وبحر علوم ماله الدهر ساحل
فان غيبوه في الثرى عن عيوننا ... فما علمه خاف ولا الذكر خامل
وان أفلت شمس المعالي بموته ... فما علمه عن طالب العلم زائل
وما كنت أدري ان للشمس في الثرى ... أفولا وان البدر في الترب نازل
الى أن رأيناه وقد حل قبره ... قضينا بان البدر في اللحد حاصل

(الطويل)

ولافضل الدين الخونجي من الكتب : شرح ما قاله الرئيس ابن سينا في النبض . مقالة في الحدود والرووم . كتاب الجمل في علم المنطق . كتاب كشف الاسرار في علم المنطق . كتاب الموجز في المنطق . كتاب ادوار الحميات .

ابو سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة

كان طبيباً نصرانياً بمصر في زمن الخلفاء ، وكان حظيا عندهم ، فاضلاً في الصناعة الطبية ، خبيراً بعلمها وعملها ، متميزاً في العلوم . وكان من أهل القدس ، ثم انتقل الى الديار المصرية . وكانت له معرفة بالغة باحكام النجوم .

حدثني الحكيم رشيد الدين أبو حليقة بن الفارس بن أبي سليمان المذكور قال : سمعت الامير مجد الدين أخا الفقيه عيسى ، وهو يحدث السلطان الملك الكامل بشرمساح عند حضوره اليه ، بعد وفاة الملك العادل ، ونزول الفرنج على ثغر دمياط [1] من أحوال جدي أبي سليمان داود ما هذا نصه قال : كان الحكيم أبو سليمان في زمان الخلفاء ، وكان له خمسة اولاد ، فلما وصل الملك مارى الى الديار المصرية أعجبه طبه فطلبه من الخليفة بها ، ونقله هو وأولاده الخمسة الى البيت المقدس ، ونشأ

(١) مدينة في مصر على نهر النيل . حاصرها الصليبيون وفتحوها ثم ردهم عنها الملك الكامل (ن.ر)

للملك ماري ولد مجذم فركب له الترياق الفاروقي بالبيت المقدس ، وترهب وترك ولده الأكبر وهو الحكيم المهذب أبو سعيد خليفته على منزله واخوته .

واتفق ان مالك الفرنج المذكور بالبيت المقدس أسر الفقيه عيسى ، ومرض فسيره الملك لمداواته ، فلما وصل اليه وجده في الجب مثقلاً بالحديد فرجع الى الملك وقال له : ان هذا الرجل ذو نعمة ، ولو سقيته ماء الحياة وهو على هذا الحال لم ينتفع به . قال الملك : فما أفعل في امره ؟ قال : يطلقه الملك من الجب ويفك عنه حديده ويكرمه فما يحتاج الى مداواة اكثر من هذا . فقال الملك : نخاف ان يهرب وقطيعته كثيرة . قال الملك : سلمه الي وضمانه علي . فقال له : تسلمه واذا جاءت قطيعته كان لك منها الف دينار . فمضى وشاله من الجب وفك حديده ، وأخلى له موضعاً في داره اقام فيه ستة أشهر يخدمه فيها أتم خدمة . فلما جاءت قطيعته طلب الملك الحكيم أبا سعيد ليحضر له الفقيه المذكور فحضر وهو صحبته ، ووجد قطيعته في اكياس بين يديه فاعطاه منها الكيس الذي وعده به . فلما أخذه قال له : يا مولانا هذه الالف دينار قد صارت لي أتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم ؟ فقال له : نعم . فاعطاها للفقيه في المجلس وقال له : أنا أعرف ان هذه القطيعة ما جاءت إلا وقد تركت خلفك شيئاً وربما قد تدني لك شيئاً آخر فتقبل مني هذه الالف دينار اعانة نفقة الطريق . فقبلها الفقيه منه ، وسافر الى الملك الناصر .

واتفق ان الحكيم أبا سليمان داود المذكور ظهر له في احكام النجوم ان الملك الناصر يفتح البيت المقدس في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من السنة الفلانية ، وانه يدخل اليها من باب الرحمة ، فقال لاحد اولاده الخمسة وهو الفارس أبو الخير بن أبي سليمان داود المذكور ، وكان هذا الولد قد تربى مع الولد المجذم ملك البيت المقدس ، وعلمه الفروسية ، فلما توج الملك ، فرسه وخرج المذكور من بين اخوته الاربعة الاطباء جندياً . وكان قول الحكيم أبي سليمان لولده هذا بان يمضي رسولا عنه الى الملك الناصر ، ويبشره بملك البيت المقدس في الوقت المذكور . فامتثل مرسومه ومضى إلى الملك الناصر ، فاتفق وصوله اليه في غرة سنة ثمانين وخمسمائة ، والناس يهنؤنه بها وهم على فاميه ، فمضى الى الفقيه المذكور ففرح به غاية الفرح ، ودخل به الى الملك الناصر ، وأوصل اليه الرسالة عن أبيه ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وانعم عليه بجائزة سنية ، وأعطاه علماً أصفر ونشابة من رنكة . وقال له : متى يسّر الله ما ذكرت اجعلوا هذا العلم الاصفر والنشابة فوق داركم فالحارة التي أنتم فيها تسلم جميعها في خفارة داركم . فلما حضر الوقت صح جميع ما قاله الحكيم المذكور فدخل الفقيه عيسى الى الدار التي كان مقيماً بها ليحفظها ، ولم يسلم من البيت المقدس من الاسر والقتل ووزن القطيعة سوى بيت هذا الحكيم المذكور . وضاعف لاولاده ما كان لهم عند الفرنج ، وكتب له كتاباً الى سائر ممالكه براً وبحراً بمسامحتهم بجميع الحقوق اللازمة للنصارى ، فاعفوا منها الى الآن . وتوفي الحكيم ابو سليمان المذكور بعد ان استدعاه الملك الناصر اليه ، وقام له قائماً وقال له : أنت شيخ مبارك ، قد وصل الينا بشراك ، وتم جميع ما ذكرته فتمن علي . فقال له : اتمنى عليك حفظ أولادي . فأخذ الملك الناصر اولاده واعتنى بهم ، واعطاهم للملك العادل ، ووصاه بان يكرمهم ويكونوا من

الخواص عنده وعند أولاده ، وكان كذلك أقول : وكان فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب للقدس في سابع وعشرين رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

أبو سعيد بن أبي سليمان

هو الحكيم مهذب الدين أبو سعيد بن أبي سليمان بن أبي المنى بن أبي فانة . كان فاضلاً في صناعة الطب ، عالماً بها ، متميزاً في اعمالها ، متقدماً في الدولة . وقرأ علم الطب على أبيه وعلى غيره . وكان السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب قد جعله في خدمة ولده الملك المعظم ، واكرمه غاية الاكرام وأمر ان لا يدخل قلعة من قلاعه إلا راكباً مع صحة جسمه. فكان يدخل في قلاعه الاربعة كذلك ، وهي قلعة الكرك [1] وقلعة جعبر [2] وقلعة الرها [3] وقلعة دمشق . وخدم أبو سعيد بن أبي سليمان الملك الناصر صلاح الدين والملك العادل أيضاً بالطب . وانتقل الى الديار المصرية ، واقام بها الى حين وفاته . وتوفي في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن بدير الخندق عند القاهرة

أبو شاكر بن أبي سليمان

هو الحكيم موفق الدين ابو شاكر بن ابي سليمان داود ، وكان متقناً لصناعة الطب متميزاً في علمها وعملها جيد العلاج مكيناً في الدولة وقرأ صناعة الطب على أخيه أبي سعيد بن أبي سليمان ، وتميز بعد ذلك واشتهر ذكره . وكان السلطان الملك العادل قد جعله في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته ، وحظي عنده الحظوة العظيمة ، وتمكن عنده التمكن الكثير ، ونال في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه اقطاعات ضياع وغيرها . ولم يزل ابداً يفتقده بالهبات الوافرة ، والصلات المتواترة . وكان ايضاً الملك العادل يعتمد عليه في المداواة ، ويصفه بحسن العلاج . وكان يدخل ايضاً في جميع قلاعه وهو راكب ، مثل قلعة الكرك وقلعة جعبر وقلعة الرها وقلعة دمشق ، ثم قلعة القاهرة ، مع صحة جسمه . ولقد بلغ من امره عند سكن الملك الكامل بقصر القاهرة المحروسة ان اسكنه عنده فيه . وكان الملك العادل ساكناً بدار الوزارة ، وانه ركب ذات يوم على بغلة النوبة التي له ، وخرج الى بين القصرين فركب فرساً آخر وسير بغلته التي كان راكباً عليها الى دار الحكيم المذكور بالقصر ، وأمر بركوبه عليها وخروجه من القصر راكباً ولم يزل راكباً بين القصرين الى ان وصل اليه فأخذ بيده وسايره يتحدث معه الى دار الوزارة ، وسائر الامراء يمشون بين يدي الملك الكامل . وللعضد ابن منقذ في أبي شاكر :

---

(١) قلعة في مدينة الكرك الاردنية . وكانت قاعدة المماليك . وتشرف هذه القلعة على طريق الحج والتجارة .

(٢) قلعة قديمة سماها العرب دوسره على الفرات بين رقة ودالس .

(٣) قلعة في مدينة الرها . والرها بلدة يطلق عليها ايضاً اسم اورفا . وهي كائنة بين النهرين في تركيا (ن. ر)

هــذا الحكيم أبو شاكر كثير المحبين والشاكر
خليفة بقراط في عصرنا وثانيه في علمه الباهر
(المتقارب)

وتوفي أبو شاكر بن أبي سليمان في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن بدير الخندق عند القاهرة

أبو نصر بن أبي سليمان

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب ، حسن المعالجة ، جيد العلاج . وتوفي بالكرك

أبو الفضل بن أبي سليمان

كان طبيباً مشكوراً في صناعة الطب ، عالماً بها ، متميزاً في المعالجة والمداواة. وكان اصغر اخوته وعمر من دونهم . كان مولده في سنة ستين وخمسمائة ، ووفاته في سنة اربع واربعين وستمائة ، فمدة حياته اربع وثمانون سنة لم يبلغها احد من اخوته وكان طبيباً للملك المعظم [1] ، مقيماً بالكرك . ثم خدم الملك الكامل بالديار المصرية وتوفي فيها

رشيد الدين أبو حليقة

هو الحكيم الاجل العالم رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة ، ويعرف بأبي حليقة . كان اوحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية ، متفنناً في العلوم والآداب ، حسن المعالجة ، لطيف المداواة ، رؤوفاً بالمرضى ، محباً لفعل الخير ، مواظباً للامور الشرعية التي هو عليها ، كثير العبادة . ولقد اجتمعت به مرات ، ورأيت من حسن معالجته وعشرته ، وكمال مروءته ما يفوق الوصف . واشتغل بصناعة الطب في اول امره على عمه مهذب الدين ابي سعيد بدمشق ، واشتغل بعد ذلك بالديار المصرية، وقرأ ايضاً على شيخنا مهذب الدين عبدالرحيم ابن علي رحمه الله ، ولم يزل دائم الاشتغال ، ملازماً للقراءة . ومولده بقلعة جعبر ، وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسمائة . وخرج منها الى الرها وربي بها مدة سبع او ثمان سنين . وكان والده يلبسه لباس الجندية مثل لباسه، وكان ساكنا بدار يقال لها دار ابن الزعفراني عند باب شاع بالرها . وكانت هذه الدار ملاصقة لدار السلطان ، فاتفق ان الملك الكامل دخل فيها الحمام فأعطاه والده الفارس المذكور فاكهة وماء ورد . وأمره بحمله الى السلطان فحمله اليه فلما خرج من الحمام وقدمه اليه أخذه ودخل به الى الخزانة ، وفرغ تلك الاطباق الفاكهة وملأها له شقاقاً سنية ، وسيرها مع غلامه لوالده وأخذ الملك الكامل بيده ، وكان عمره يومئذ نحو ثمان سنين ، ودخل الى الملك العادل . وعندما أبصره الملك العادل ، ولم يكن رآه قبلها قط ، قال للملك الكامل : يا محمد هذا ابن الفارس ؟ لأنه

---

(١) الايوبي (١١٨٠ – ١٢٢٨) تولى الحكم في دمشق واختلف مع اولاد صلاح الدين . (ن. ر)

أخذه بالشبه ، فقال : نعم . قال : هاته الي . فحمله الملك الكامل ، ووضعه بين يديه فمسك بيده وتحدث معه حديثاً طويلاً . ثم التفت الى والده ، وقد كان قائماً في خدمته مع جملة القيام وقال له : ولدك هذا ولد ذكي لا تعلمه الجندية فالأجناد عندنا كثيرون ، وأنتم بيت مبارك ، وقد استبركنا بطبكم ، تسيره الى الحكيم أبي سعيد الى دمشق ليقرئه الطب . فامتثل والده الأمر وجهزه وسيره الى دمشق ، أقام فيها مدة سنة كاملة حفظ فيها كتاب الفصول لابقراط ، وتقدمة المعرفة . ثم وصل الى القاهرة في سنة تسع وخمسمائة ، ولم يزل مقيماً بها . وخدم بصناعة الطب الملك الكامل ، وكان كثير الاحترام له ، حظياً عنده ، وله منه الاحسان الكثير، والانعام المتصل، وله خَبَزٌ[1] بالديار المصرية. وهو الذي كان مقطعاً باسم عمه موفق الدين أبي شاكر ، فانه لما توفي أبو شاكر جعل الملك الكامل هذا الخبز باسم رشيد الدين المذكور، وهو نصف بلد يعرف بالعزيزية[2] والخربة[3] من اعمال الشرقية . ولم يزل في خدمة الملك الكامل الى ان توفي رحمه الله .

ثم خدم بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الى ان توفي الملك الصالح رحمه الله ، وخدم أيضاً ولد الملك الصالح بعد ذلك ، وهو الملك المعظم ترنشاه[4] . ولما قتل رحمه الله ، وذلك في يوم الاثنين سابع وعشرين المحرم سنة ثمان واربعين وستمائة ، وجاءت دولة الترك واستولوا على البلاد واحتووا على الممالك صار في خدمتهم واجروه على ما كان باسمه . ثم خدم منهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح ، وبقي في خدمته على عادته المستمرة ، وقاعدته المستقرة وله منه الاحترام التام وجزيل الانعام والاكرام . وللحكيم رشيد الدين أبي حليقة نوادر في أعمال صناعة الطب ، وحكايات كثيرة تميز بها على غيره من جماعة الاطباء .

من ذلك انه مرضت دار من بعض الآدر السلطانية بالعباسية ، وكان من سيرته معه ان لا يشرك معه طبيباً في مداواته وفي مداواة من يعز عليه من دوره وأولاده ، فباشر مداواة المريضة المذكورة أياماً قلائل ، ثم حصل له شغل ضروري ألجأه الى ترك المريضة ، ودخل القاهرة وأقام بها ثمانية عشر يوماً . ثم خرج الى العباسية فوجد المريضة قد تولى مداواتها الاطباء الذين في الخدمة . فلما حضر وباشر معهم قالوا له : هذه المريضة تموت والمصلحة ان نعلم السلطان بذلك قبل ان يفاجئه أمرها بغتة . فقال لهم : ان هذه المريضة عندي ما هي في مرضة الموت ، وانها تعافى بمشيئة الله تعالى من هذه المرضة . فقال له أحدهم ، وهو أكبرهم سناً ، وكان الحكيم المذكور شاباً : إنني أكبر منك ، وقد باشرت من المرضى اكثر منك فتوافقني على كتابة هذه الرقعة ؟ فلم يوافقه . فقالت جماعة الحكماء لا بد لنا من المطالعة ، فقال لهم : إن كان لا بد لكم من هذه المطالعة فيكون باسمائكم من دوني . فكتب اليه الاطباء بموتها فسير اليهم رسولا ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً تحمل فيه . ولما وصل الرسول

---

(١) المكان المطمئن المنخفض من الارض .

(٢) قرية في مصر ولا ادري ايها يريد فالعزيزية اسم لعدة قرى مصرية ولعلها الشرقية .

(٣) قرية بالقرب من شونة الزبيب في مصر في جوارها انقاض معبد اوزيريس .

(٤) اوطوران شاه ملك سنة ١٢٤٩ .

والنجار معه الى الباب ، والاطباء جلوس ، قال له الحكيم المذكور : ما هذا النجار ؟ قال : يعمل تابوتاً لمريضتكم . فقال له : تضعونها فيه وهي في الحياة ؟ فقال الرسول : لا ، لكن بعد موتها . قال له : ترجع بهذا النجار وتقول للسلطان عني خاصة انها في هذه المرضة لا تموت.فرجع وأخبره بذلك .

فلما كان الليل استدعاه السلطان بخادم وشمعة وورقة بخطه يقول فيها : ولد الفارس يحضر الينا ، لانه لم يكن بعد سمي أبا حليقة ، وانما سماه بذلك فيما بعد السلطان الملك الكامل . فانه كان في بعض الأيام جالساً مع الاطباء على الباب ، فقال السلطان للخادم في أول مرة اطلب الحكيم ، فقال له يا خوند أي الحكماء هو ؟ فقال له ابو حليقة . فاشتهر بين الناس بهذا الاسم من ذلك اليوم الى حيث غطى نعته ونعت عمه الذي كانوا يعرفون به ببني شاكر . فلما وصل اليه قال : أنت منعت عمل التابوت ؟ فقال : نعم . قال : باي دليل ظهر لك هذا من دون الاطباء كلهم ؟ قال له : يا مولانا ، لمعرفتي مزاجها وباوقات مرضها على التحرير من دونهم ، وليس عليها بأس في هذه المرضة . فقال له : امض وطبها واجعل بالك لها . فطب المذكورة وعوفيت . ثم أخرجها السلطان وزوجها وولدت من زوجها اولاداً كثيرين .

ومن جملة ما تم ايضاً له انه حكم معرفة نبض الملك الكامل حتى انه في بعض الايام خرج اليه من خلف الستارة مع الآدر المرضى فرأى نبض الجميع ووصف لهم . فلما انتهى الى نبضه عرفه فقال هذا نبض مولانا السلطان ، وهو صحيح بحمد الله ، فتعجب منه غاية العجب وزاد تمكنه عنده .

ومن حكاياته معه : انه أمره بعمل الترياق الفاروق فاشتغل بعمله مدة طويلة ، ساهراً عليه الليل حتى حقق كل واحد من مفرداته اسماً على مسمى بشهادة أئمة الصناعة ابقراط وجالينوس . وفي غضون ذلك حصل للسلطان نزلة على أسنانه فافصد بسببها وهو ببركة الفيل يتفرج بها ، فطلع الى القلعة وتولى مداواته الاسعد الطبيب بن أبي الحسن ، بسبب شغل المذكور بعمل الترياق . فعالجه الاسعد مدة والحال كلما مر اشتد ، فشكا ذلك للأسعد فقال له ما بقي قدامي إلا الفصد . فقال له : افصد مرة اخرى ، ولي عن الفصد ثلاثة أيام ، اطلبوا لي أبا حليقة . فحضر اليه وشكا له حاله ، وأعلمه ان ذلك الطبيب قد أشار عليه بالفصد واستشاره فيه أو في شرب دواء ، فقال : يا مولانا بدنك بحمد الله نقي ، والأمر أيسر من هذا كله . فقال له السلطان : ايش تقول لي أيسر ، وأنا في شدة عظيمة من هذا الألم لا أنام الليل ، ولا أقر النهار . فقال له : يتسوك مولانا من الترياق الذي حمله المملوك في البرنية الفضة الصغيرة ، وترى ، باذن الله ، العجب . وخرج الى الباب ، ولم يشعر إلا بورقة بخط السلطان قد خرجت اليه ، وهو يقول فيها يا حكيم ، استعملت ما ذكرته فزال جميع ما بي لوقته ، وكان ذلك بحضور الاسعد الطبيب الذي كان يعالجه أولاً . فقال له : ونحن ما نصلح لمداواة الملوك ، ولا يصلح لمداواتهم إلا انتم . ثم دخل الملك الكامل الى خزانته ، وبعث اليه منها خلعاً سنية وذهباً متوفراً .

ومن حكاياته : انه لما طال عليه عمل الترياق الفاروق ،لتعذر حضور أدويته الصحيحة من الآفاق ،

عمل ترياقاً مختصراً توجد ادويته في كل مكان . ونوى انه لا يقصد به قرباً من ملك ، ولا طلب مال ولا جاهاً في الدنيا ، ولا يقصد به الا التقرب الى الله بنفع خلقه اجمعين ، والشفقة على سائر العالمين ، وبذله للمرضى فكان يخلص به المفلوجين ، ويقوم به الأيدي المتقوسة لوقته وساعته بحيث كان ينشىء في العصب زيادة في الحرارة الغريزية ، وتقوية واذابة البلغم الذي فيه فيجد المريض الراحة به لوقته ، ويسكن وجع القولنج من بعد الاستفراغ ، لوقته. وانه مر على بواب الباب الذي بين السورين بالقاهرة المحروسة ، وهو رجل يعرف بعلي ، وهو ملقى على ظهره لا يقدر ان ينتصب من جنب الى جنب ، فشكا اليه حاله فأعطاه منه شربة ، وطلع القلعة وباشر المرضى وعاد في الساعة الثالثة من النهار، فقام المفلوج يعدو في ركابه يدعو له . فقال له : اقعد ، فقال : يا مولانا قد شبعت قعوداً خليني أتملى بنفسي .

ومن حكاياته : ان الملك الكامل كان عنده مؤذن يعرف بأمين الدين جعفر ، حصل له حصاة سدت مجرى البول ، وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها على الموت . فكتب الى الملك الكامل وأعلمه بحاله ، وطلب منه دستوراً يمشي الى بيته يتداوى ، فلما حضر الى بيته أحضر أطباء العصر ، فوصف كل منهم له ما وصف فلم ينجع . فاستدعى الحكيم أبا حليقة المذكور فأعطاه شربة من ذلك الترياق . فبمقدار ما وصلت الى معدته نفذت قوتها الى موضع الحصاة ففتتتها وخرجت من الاراقة ، وهي مصبوغة بالدواء ، وخلص لوقته ، وخرج لخدمة سلطانه ، وأذن أذان الظهر . وكان السلطان يومئذ مخيماً على جيزة القاهرة ، فلما سمع صوته أمر باحضاره اليه ، فلما حضر قال له ما ورقتك ؟ بالامس وصلتنا ، وأنت تقول انك كنت على الموت فاخبرني أمرك . فقال : يا مولانا الامر كان كذلك ، لولا لحقني مملوك مولانا الحكيم أبو حليقة ، فأعطاني ترياقاً خلصت به للوقت والحال . واتفق ان في ذلك اليوم جلس انسان ليريق ماء فنهشته أفعى في ذكره فقتلته ، فلما سمع السلطان بخبره رق عليه لانه كان رؤوفاً بالخلق . ثم دخل الى قلعة القاهرة بات بها ، واصبح من باكر والحكيم المذكور قاعد في الخدمة عند زمام الدار على الباب . والسلطان قد خرج فوقف واستدعاه اليه ، وقال له : يا حكيم ايش هذا الترياق الذي عملته ؛ واشتهر نفعه للناس هذه الشهرة العظيمة ، ولم تعلمني به قط ؟ فقال : يا مولانا ، المملوك لا يعمل شيئاً الا لمولانا ، وما سبب تأخير اعلامه الا ليجربه المملوك لانه هو الذي أنشأه فاذا صحت له تجربته ذكره لمولانا على ثقة منه ، واذ قد صح هذا لمولانا ، فقد حصل المقصود . فقال له : تمضي وتحضرلي كلما عندك منه . وترك خادماً قاعداً على الباب في انتظاره ، ورجع الى داره كأنه لم يطلع القلعة في تلك الليلة ، ولا خرج من الدار في تلك الساعة الا لهذا المهم خاصة . فمضى الحكيم المذكور الى داره فوجد عنده من ذلك الترياق شيئاً يسيراً ، لان الخلق كانت تفنيه مما تطلبه منه فمضى الى اصدقائه الذين كان أهدى لهم منه شيئاً ، وجمع منه مقدار أحد عشر درهماً ووعدهم بانه يعطيهم عوضاً عنه أضعافه ، فجعله في برنية فضة صغيرة وكتب عليه منافعه ومقدار الشربة منه وحملها الى الخادم المذكور القاعد في انتظاره فحملها الى السلطان ، ولم يزل حافظاً لها ، فلما آلمته أسنانه دلكه عليها فحصل له منه من الراحة ما ذكر .

ومن حكاياته معه : انه كان قد عرض لبعض جهاته مرض عجز عن مداواته ، فسيرت تلك الجهة تقول له أنا أعرف ان السلطان لو عرف ان في الديار المصرية طبيباً خيراً منك لما سلم نفسه واولاده اليك من دون كافة الاطباء ، فانت ما تؤتى في مداواتي من قلة معرفة بل من التهاون بأمري بدليل أنك تمرض فتداوي نفسك في أيام يسيرة ، وكذلك يمرض أحد اولادك فتداويه في أيام يسيرة أيضاً ، وكذلك بقية الجهات التي عندنا ما منهم الا من تداويـــه وتنجع مداواتك بايسر سعي . فقال لها : ما كل الامراض تقبل المداواة ، ولو قبلت الامراض كلها المداواة لما مات أحد . فلم تسمع ذلك منه ، وقالت : أنا أعرف ان ما بقي في الديار المصرية طبيب ، وأنا أشير الى السلطان يستخدم لي اطباء من دمشق، فاستخدم لها طبيبين نصرانيين فلما حضرا لمداواتها من دمشق اتفق سفر السلطان الى دمياط ، فاستؤذن من يمضي معه من الاطباء ومن يترك ، فقال الاطباء كلهم يبقون في خدمة تلك الجهة ، والحكيم فلان وحده يكون معي . فأما اولئك الاطباء فانهم عالجوها بكل ما يقدرون عليه ، وتعبوا في مداواتها فلم ينجع فانبسط في ذلك عذر المذكور ، وأورد ما ذكر أبقراط في تقدمة المعرفة .

ثم انه لما سافر مع السلطان بقي فيخدمته مدة شهر لم يتفق له ان يستدعيه ، وبعد ذلك بدمياط استدعاه ليلاً فحضر بين يديه فوجده محموماً ، ووجد به اعراضاً مختلفة يباين بعضها بعضاً فركب له مشروباً يوافق تلك الاعراض المختلفة ، وحمله اليه في السحر فلم تغب الشمس الا وقد زال جميع ما كان يشكوه ، فحسن ذلك عنده جـــداً . ولم يزل ملازماً لاستعمال ذلك التدبير الى ان وصل الى الاسكندرية ، واتفق اول يوم من صيام شهر رمضان ان الحكيم المذكور مرض بها ، فحضر اليـــه الاطباء الذين في الخدمة واستشاروه فيما يحملون الى السلطان يفطر عليه ، فقال لهم : عنده مشروب قد جربه وهو يثني عليه ويطلبه دائماً ، فما دام لا يشكو لكم شيئاً متجدداً يمنع من استعماله فاحملوه اليه ، وان تجدد لكم شيء فاستعملوا ما تقتضيه المصلحة الحاضرة .

فمضوا ولم يقبلوا منه قصداً منهم ان يجددوا تدبيراً من جهتهم ، فلما جددوا ذلك التدبير تغـــير عليه مزاجه ، فاستدعاهم واستدعى نسخة الحكيم المذكور ، وأخـــذ يحاققهم [1] عليها ، فكان من جملة ما فيها بزر هندبا،وقد حذفوه فقال لهم لماذا حذفتم هذا البزر وهو مقو للكبد منق للعروق،قاطع للعطش ؟ فقال احد الاطباء الذين حضروا : والله ما للمماليك في حذفه ذنب ، إلا ان الاسعد بن أبي الحسن نقل في بزر الهندبا نقلاً شاذاً بانه يضر بالطحال ، المملوك والله ما يعرفـــه ؛ وزعم ان بمولانا طحالاً فوافقه المماليك على ذلك . فقال : والله يكذب ، انا ما بي وجع طحال . وامر باعـــادة بزر الهندبا الى مكانه . ثم حاققهم على منفعة دواء دواء من مفردات ذلك المشروب التي حذفوها الى ان أعادوها واعاد استعماله دائماً ولم يزل منتفعاً به شاكراً له .

---

(١) حاققه في الامر : خاصمه ورافعه وادعى انه اولى بالحق

ومن حكاياته : انه طلب منه يوماً ان يركب له صلصا [١] يأكل به اليخني في الاسفار ، واقترح عليه ان يكون مقوياً للمعدة منبها للشهوة ، وهو مع ذلك ملين للطبخ فركب له صلصاً هـذه صفته : يؤخذ من المقدونس جزء ، ومن الريحان الترنجاني وقلوب الاترج الغضة المحلاة بالماء والملح اياماً ثم بالماء الحلو أخيراً ، من كل واحد نصف جزء يدق في جرن الفقاعي كل منهم بمفرده ، حتى يصير مثـل المرهم . ثم يخلط الجميع في الجرن المذكور ويعصر عليه الليمون الاخضر المنتقى ، ويذر عليه من الملح الاندراني مقدار ما يطيبه . ثم يرفع في مسللات صغار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدم على المائدة لانها اذا نقصت تكرجت ، وتختم تلك الاواني بالزيت الطيب وترفع ، فلما استعمله السلطان حصلت له منه المقاصد المطلوبة ، واثنى عليه ثنـاء كثيراً . وكان مسافراً الى بـلاد الروم ، فقال للحكيم المذكور : هذا الصلص يدوم مدة طويلة ؟ فقال له : لا . فقال : ما يقيم شهراً ؟ فقال له : نعم اذا عمل على هذه الصورة التي ذكرتها . فقال : تعمل لي منه راتباً في كل شهر ما يكفيني في مـدة ذلك الشهر ، وتسيره لي في رأس كل هلال . فلم يزل الحكيم المذكور يجدد ذلك الصلص في كل شهر ويسيره له الى دربندات الروم ، وهو يلازم استعماله في الطريق ويثني عليه ثناء كثيراً

ومن نوادره : انه جاءت اليه امرأة من الريف ، ومعها ولدها ، وهو شاب قد غلب عليه النحول والمرض ، فشكت اليه حال ولدها ، وانها قد أعيت فيه من المداواة ، وهو لا يزداد الا سقاماً ونحولاً . وكانت قد جاءت اليه بالغداة قبل ركوبه ، وكان الوقت بارداً . فنظر اليه واستقرأ حاله ، وجس نبضه . فبينما هو يجس نبضه قال لغلامه : ادخل ناولني الفرجية [٢] حتى اجعلها علي ، فتغير نبض ذلك الشاب عند قوله تغيراً كثيراً ، واختلف وزنه ، وتغير لونه أيضاً فحدس ان يكون عاشقاً . ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن . وعندما خرج الغلام اليه وقال له : هذه الفرجية ، جس نبضه فوجده أيضاً قد تغير ، فقال لوالدته ان ابنك هذا عاشق والتي يهواها اسمها فرجية ، فقالت اي والله يا مولاي هو يحب واحدة اسمها فرجية ، وقد عجزت مما أعذله فيها . وتعجبت من قوله لها غاية التعجب ، ومن اطلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له لذلك .

أقول : ومثل هذه الحكاية كانت قد عرضت لجالينوس لما عرف المرأة العاشقة ، وذلك انه كان قد استدعي الى امرأة جليلة القدر ، وكان المرض قد طال بها وحدس انها عاشقة . فتردد اليها . ولما كان يوماً وهو يجس نبضها وكانت الاجناد قد ركبوا في الميدان وهم يلعبون ، فحكى بعض الحاضرين ما كانوا فيه ، وان فلاناً تبينت له فروسية ولعب جيد ، وعندما سمعت باسم ذلك الرجل تغير نبضها واختلف . جسه بعد ذلك فوجده قد تساكن ، الى ان عاد الى حاله الاولى . ثم ان جالينوس أشار لذلك الحاكي سراً ان يعيد قوله ، فلما أعاده ، وجس نبضها وجده أيضاً قد تغير ، فتحقق من حالها انها تعشق ذلك الرجل . وهذا يدل على وفور العلم ، وحسن النظر في تقدمة المعرفة .

---

(١) يتخذ من احرار البقول مطيب بالزيت والملح والخل . وهو بعينه معنى الصلطة .

(٢) ثوب مفرج من امام وربما فرج من خلف (ن. ر)

أقول : وجماعة أهل الحكيم رشيد الدين أبي حليقة أكثر شهرتهم في الديار المصرية والشام ببني شاكر ، لشهرة الحكيم أبي شاكر وسمعته الذائعة ، فصار كل من له نسب اليه يعرفون ببني شاكر ، وإن لم يكونوا من أولاده . ولما اجتمعت بالحكيم رشيد الدين أبي حليقة وكان قد بلغه انني ذكرت الاطباء المشهورين من أهله ، ووصفت فضلهم وعلمهم فتشكر مني وتفضل فأنشدته بديهاً .

وكيف لا أشكر من فضلهم ... قد سار في المشرق والمغرب
تشرق منهم في سماء العلا ... نجوم سعد قط لم تغرب
قوم ترى أقدارهم في الورى ... بالعلم تسمو رتبة الكوكب
كم صنفوا في الطب كتباً أتت ... بكل معنى مبدع مغرب
وان شكري في بني شاكر ... ما زال في الابعد والاقرب
خلدت مجداً دائماً فيهم ... بحسن وصف وثنا طيب

(السريع)

وأما سبب الحلقة التي وضعت في اذن الرشيد ، واشتهر بها اسمه فان والده لم يعش له ولد ذكر غيره ، فوصف له ووالدته حامل به ان يهيىء له حلقة فضة ، قد تصدق بفضتها ، وفي الساعة التي يخرج فيها الى العالم يكون صائغ مجهزاً يثقب اذنه ويضع الحلقة فيها . ففعل ذلك وأعطاه الله الحياة ، فعاهدته والدته ان لا يقلعها فبقيت . ثم تزوج هو وجاءه أولاد ذكور عدة ، ويموتون كما جرى الحال في أمره فتنبه الى عمل الحلقة المذكورة فعملها لولده الكبير المعروف بمهذب الدين أبي سعيد ، لانه سماه باسم عم المذكور .

ومن شعر الحكيم رشيد الدين أبي حليقة وهو مما أنشدني لنفسه ، فمن ذلك قال بحضرة سيف الاسلام :

سمح الحبيب بوصله في ليلة ... غفل الرقيب ونام عن جنباتها
في روضة لولا الزوال لشابهت ... جنات عدن في جميع صفاتها
فالطير يطرب في الغصون بصوته ... والراح تجلى في كؤوس سقاتها
ومجالس القمر المنير تنزهت ... فيه الحواس باسمها وكناتها

(الكامل)

وقال أيضاً :

احن الى ذكر التواصل يا سعد ... حنين النياق العيس عَنّ لها الورد
فسعدى على قلبي الذ من المنى ... وقربي لها عند اللقاء هو القصد
حوت مبسماً كالدر اضحى منظما ... وثغراً كمثل الاقحوان به شهد
وفرعاً[1] كمثل الليل أوحظ عاشق ... ووجهاً كضوء الصبح هذا لذا ضد

---

(١) كنى به عن الشعر .

أقول لها عند الوداع وبيننا حديث كنشر المسك[١] خالطه ند[٢]
ترى ، نلتقي بعد الفراق بمنزل ويظفر مشتاق اضر به البعد
تمر الليالي ليلة بعد ليلة وذكركم باق يجدده العهد
ولكن خوف الصب ان طال هجركم فيقضي ولا يمضي له منكم وعد
عشقت سيوف الهند من اجل انها تشابهها في فعل الحاظها الهند
ولي في الرماح السمر سمر لانها تشابهها قداً فيا حبذا القد
وفي الورد معنى شاهد فوق خدها نشاهده فيها اذا عدم الورد
وبي من هواها ما جحدت وعبرت به عبرتي يوماً وما نفع الجحد
(الطويل)

وقال ايضاً :

خليلي اني قد بقيت مسهداً من الحب مأسور الفؤاد مقيدا
بحب فتاة يخجل البدر وجهها ولا سيما في ليل شعر اذا بدا
ضللت بها وهي الهلال ملاحة فوا عجباً منه أضل وما هدى
لها مبسم كالدر اضحى منظما ونطق كمثل الدر أمسى مبددا
(الطويل)

وقال ايضاً لما كان بدمياط ، ومرض والده في القاهرة فجاءه كتابه بعافيته :

مطرت علي سحائب النعماء مذ زال ما تشكو من البلواء
ولبست مذ أبصرت خطك نعمة فيها أقوم لشكرها بوفاء
(الكامل)

ولرشيد الدين أبي حليقة من الكتب : مقالة في حفظ الصحة . مقالة في ان الملاذ الروحانية الذ من الملاذ الجسمانية ، إذ الروحانية كمالات وادراك الكمالات ، والجسمانية انما هي دفع آلام خاصة ، وان زادت اوقعت في آلام اخر . كتاب في الادوية المفردة ، سماه المختار في الالف عقار . كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها بالادوية المفردة والمركبة التي قد اظهرت التجربة نجحها ، ولم يداو بها مرضاً يؤدي الى السلامة الا ونجحت ، التقطها من الكتب المصنفة في صناعة الطب من آدم والى وقتنا هذا ونظم متشتتها ومتفرقها . مقالة في ضرورة الموت ، ولما ذكر من التحليل في هذه المقالة ان الانسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة التي في داخله ، وبحرارة الهواء الذي من خارج ، كانت نهايته الى الفناء بهذين السببين . وتمثل بعد ذكرهما بهذا البيت

واحداهما قاتلي فكيف اذا استجمعا

(١) طيب يستخرج من دم دابه تدعى غزال المسك .
(٢) عود شجر يتبخر به .

وهذا البيت فما يكون موقعه بأولى مما هو في هذا الموضع ، فانه قد جاء موافقاً لما أورده ومطابقاً للمعنى المقصود اليه

مهذب الدين ابو سعيد محمد أبي حليقة

أوحد العلماء وأكمل الحكماء . مولده في القاهرة في سنة عشرين وستمائة ، وسمي محمداً لما اسلم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملكي الصالحي وهو ، فقد منحه الله من العقل أكمله ، ومن الادب أفضله ، ومن الذكاء أغزره ، ومن العلم اكثره ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وعرف العلوم الحكمية فلا احد يدانيه فيما يعانيه ، ولا يصل الى الخلائق الجميلة التي اجتمعت فيه . لطيف الكلام ، جزيل الانعام . احسانه الى الصديق والنسيب ، والبعيد والقريب . وصلني كتابه وهو في المعسكر المنصور الظاهري في شهر شوال سنة سبع وستين وستمائة ، وهو يعرب عن فضل باهر ، وعلم وافر ، وفطنة اصمعية [1] ، وشنشنة [2] أخزمية ، وتودد عظيم ، واحسان جسيم . ويقول فيه انه وجد بمصر نسخة من هذا الكتاب الذي الفته في طبقات الاطباء ، وقد اقتناها وصارت في جملة كتبه التي حواها وبالغ في الوصف الذي يدل على كرم أخلاقه ، وطيب أعراقه . وكان في اول كتابه الواصل الي :

واني امرؤ أجبتكم لمحاسن ... سمعت بها والاذن كالعين تعشق

فقلت على الوزن والروي وكتبت اليه الجواب :

أتاني كتاب وهو بالنقش مونق ... وفيه المعاني وهي كالشمس تشرق
كتاب كريم اريحي ممجد ... صبيح المحيا نوره يتألق
هو السيد المولى المهذب والذي ... به قد زها في العلم غرب ومشرق
حكيم حوى كل العلوم بأسرها ... وما عنه باب للمكارم يغلق
كريم لانواع المحامد جامع ... ولكنه للمال جوداً مفرق
اذا ذكرت اوصافه في محافل ... فمن طيبها نشر من المسك يعبق
حوى قصبات السبق في طلب العلا ... ومن رام تشبيهاً به ليس يلحق
اذا قال ، بذ القائلين بلاغة ، ... ويصمت قس عنده ، حين ينطق
ولو أن جالينوس كان لوقته ... لقال : بهذا في التطبب يوثق
فما أحد يحكيه في حفظ صحة ، ... ولا مثله في الجسم للداء يحدق ،
اذا قلت مدحاً في معالي محمد ... فكل امرىء فيما اقول يصدق
ولو رمت أحصي ما حواه من العلا ... عجزت ، ولو اني البليغ الفرزدق [3]

(١) نسبة الى الاصمعي احد الائمة في اللغة والادب . ولد في البصرة (٧٤٠ - ٨٢٠) ولولاه لفقدنا الكثير من دواوين العرب واشعارهم .

(٢) الخلق والطبيعة والعادة .

(٣) لقب همام بن غالب الشاعر المشهور في العصر الاموي وخصوصاً في الهجاء الذي اشتد بينه وبين الاخطل من جهة وبين جرير من جهة اخرى .

ولا غرو في -إبنا حليقة انني | بصدق الولا في قبضة الرق موثق
لوالدهم عنــدي أياد قديمــة | فشكري لهم طول الزمان محقق
وكل ففي العليـــاء سام وسيا | لمن قال لي اذ جد فيه التشوق :
وإني امرؤ احببتكم لمحـــاسن | سمعت بها والاذن كالعين تعشق».
فلا برحوا في نعمة وسلامــة | مؤبدة ما دامت الدوح تورق

ولم يزل مهذب الدين أبو سعيد محمد ملازمـاً للاشتغال ، محمود السيرة في الاقوال والافعال . وقرأ على أبيه الصناعة الطبية ، وحرر اقسامها الكلية والجزئية ، وحصل معانيها العلمية والعملية . وخدم السلطان الملك الظاهر بيبرس الملكي الصالحي بصناعة الطب ، وله منه غاية الاحترام وأوفر الانعام ، والمنزلة الجميلة ، والعطايا الجزيلة . ولمهذب الدين المذكور اخوان احدهما موفق الدين أبو الخير، متميز في صناعة الكحل ، غزير العلم والفضل ؛ وكان قد صنف للملك الصالح نجم الدين كتاباً في الكحل ، من قبل ان يصير له من العمر عشرون سنة . والاخ الآخر علم الدين أبو نصر ، وهو الاصغر ، مفرط الذكاء ، معدود من جملة العلماء ، متميز في صناعة الطب ، وافر العلم واللب .

ولمهذب الدين محمد بن أبي حليقة من الكتب : كتاب في الطب .

رشيد الدين ابو سعيد

هو الحكيم الاجل العالم ، أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب من نصـارى القدس . وكان متميزاً في صناعة الطب ، خبيراً بعلمها وعملها ، حاد الذهن ، بليـغ اللسان ، حسن اللفظ . واشتغل في العربية على شيخنا تقي الدين خزعل بن عسكر بن خليل . وكان هذا الشيخ في علم النحو أوحد زمانه . ثم اشتغل الحكيم رشيد الدين ابو سعيد بعد ذلك بعلم الطب على عمي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة ، لما كان في خدمة السلطان الملك المعظم ، وقرأ عليه ، ولم يكن في تلامذته مثـــله ، فانه لازمه حق الملازمة ، وكان لا يفارقه في سفره وحضره ، وأقام عنده بدمشق ، وهو دائم الاشتغـال عليه ، الى ان اتقن حفظ جميع ما ينبغي ان يحفظ من الكتب التي هي مبادي لصناعة الطب. ثم قرأ عليه كثيراً من كتب جالينوس وغيرها ، وفهم ذلك فهماً لا مزيد عليــه . واشتغل ايضـــاً على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي . ولما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، قررت له جامكية في خدمة الملك الكامل، وبقي في خدمته زماناً مقيماً بالقاهرة . ثم خدم بعد ذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وبقي في خدمته نحو تسع سنين .

وكان قد عرض للملك الصالح نجم الدين وهو بدمشق أكـــلة في فخذه ، وكان يعالجه الحكيم رشيد الدين أبو حليقة ولما طال الأمر بالملك الصالح استحضر أبا سعيد وشكا حاله اليه ، وكان بين الحكيم رشيد الدين أبي حليقة وبين رشيد الدين أبي سعيد منافسة ومناقشة . وتكلم أبو سعيد في أن

معالجة أبي حليقة لم تكن على الصواب فنظر الملك الصالح الى أبي حليقة نظر غضب فقام من بين يديه، وقعد على باب دار السلطان، وبقي أبو سعيد فيما هو فيه من المناواة في المداواة. ثم في أثناء ذلك المجلس بعينه قدام السلطان عرض لابي سعيد فالج، وبقي ملقى قدامه فامر السلطان بحمله الى داره، وبقي أربعة أيام بحاله تلك ومات. وكانت وفاته بدمشق في العشر الاخير من شهر رمضان سنة ست وأربعين وستمائة. ثم ان الملك الصالح توجه الى الديار المصرية، وقوي مرضه ولم يزل به الى ان توفي رحمه الله. وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشر شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة، بعد ان كان عظيم الشأن قوي السلطان. ولما أتاه الممات، وحل به هاذم اللذات، ذهب كأنه لم يكن. وكذلك يفعل بأهله الزمان كما قلت:

احذر زمانك ما استطعت فانه ... دهر يجور على الكرام وان عدل
قد كان نجم الدين أيوب الذي ... ملك البرية واستطال على الدول
في صحة بسعوده حتى عشا ... في جسمه داء فاعيته الحيل
وصفت له الدنيا وظن بانها ... تبقى له أبداً ففاجاه الاجل
وعلى الحقيقة انه نجم علا ... وكذا النجوم وبعد ذلك قد أفل

(الكامل)

ولرشيد الدين أبي سعيد من الكتب: كتاب عيون الطب، صنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب وهو من أجل كتاب صنف في صناعة الطب، ويحتوي على علاجات مخلصة مختارة. تعاليق على كتاب الحاوي لابي بكر محمد بن زكريا الرازي في الطب.

اسعد الدين بن ابي الحسن

هو الحكيم الاوحد العالم أسعد الدين عبد العزيز بن أبي الحسن علي. من أفاضل العلماء، واعيان الفضلاء، حاد الذهن، كثير الاعتناء بالعلم، قد اتقن الصناعة الطبية، وحصل العلوم الحكمية. وكان أيضاً عالماً بامور الشرع مسموع القول. وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي زكريا يحيى البياسي في ديار مصر، وخدم الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل، واقام معه باليمن مدة وله منه الاحترام الكثير والاحسان الغزير. وكان قرر له منه في كل شهر مائة دينار مصرية، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المسعود رحمه الله. ثم أطلق له الملك الكامل إقطاعات يستغلها في كل سنة بالديار المصرية، ورسم بانتظامه في سلك الخدمة. وكان مولد أسعد الدين بالديار المصرية في سنة سبعين وخمسمائة، وكان أبوه طبيباً أيضاً بديار مصر. واشتغل الشيخ أسعد الدين بعلم الادب والشعر، وله شعر جيد. واول اجتماعي به كان بدمشق في مستهل رجب سنة ثلاثين وستمائة فوجدته شيخاً حسن الصورة مليح الشيبة، تام القامة، أسمر اللون، حلو الكلام، غزير المروءة. واجتمعت به أيضاً

بعد ذلك بمصر وأحسن الي واشتمل علي ، وكان صديقاً لابي من السنين الكثيرة . وكانت وفاة الاسعد المذكور بالقاهرة في سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ولاسعد الدين بن أبي الحسن من الكتب : كتاب نوادر الالباء في امتحان الاطباء ، صنفه للملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب .

ضياء الدين بن البيطار

هو الحكيم الاجل العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباتي ، ويعرف بابن البيطار . أوحد زمانه، وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ، ومواضع نباته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها. سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم، ولقي جماعة يعانون هذا الفن، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير، وعاينه في مواضعه، واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات، وعاين منابته ، وتحقق ماهيته ، واتقن دراية كتاب ديقوريدس اتقانا بلغ فيه الى ان لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه ، وذلك انني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات ، وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه . واول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . ورأيت أيضاً من حسن عشرته ، وكمال مروءته ، وطيب أعراقه ، وجودة اخلاقه ودرايته ، وكرم نفسه ، ما يفوق الوصف ويتعجب منه .

ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه وقرأت عليه ايضاً تفسيره لاسماء ادوية كتاب ديسقوريدس فكنت اجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً . وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الادوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وامثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن ، فكان يذكر اولا ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وافعاله، ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ، ويذكر أيضاً جملا من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته . فكنت أراجع تلك الكتب معه ، ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها . واعجب من ذلك ايضاً انه كان ما يذكر دواء الا ويعين في اي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي اي عدد هو من جملة الادوية المذكورة في تلك المقالة .

وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن ايوب ، وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش، وجعله في الديار المصرية رئيساً على سائر العشابين واصحاب البسطات . ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الكامل رحمه الله بدمشق . وبعد ذلك توجه الى القاهرة فخدم الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل ، وكان حظياً عنده متقدماً في ايامه . وكانت وفاة ضياء الدين العشاب

رحمه الله بدمشق في شهر شعبان سنة ست واربعين وستمائة فجأة .

ولضياء الدين بن البيطار من الكتب . كتاب الابانة والاعلام ، بما في المنهاج من الخلل والاوهام . شرح أدوية كتاب ديسقوريدس . كتاب الجامع في الادوية المفردة ، وقد استقصى فيه ذكر الادوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها ، وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه ، ولم يوجد في الادوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه ، وصنفه للملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل . كتاب المغني في الادوية المفردة ، وهو مرتب بحسب مداواة الاعضاء الآلمة . كتاب الافعال الغريبة والخواص العجيبة .



الباب الخامس عشر

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام

ابو نصر الفارابي

هو أبو نصر محمد بن محمدبن أوزلغ بن طرخان، مدينته فاراب،وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ، وكان أبوه قائد جيش ، وهو فارسي المنتسب . وكان ببغداد مدة ثم انتقل الى الشام وأقام به الى حين وفاته . وكان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً وإماماً فاضلاً قد اتقن العلوم الحكميـــة ، وبرع في العلوم الرياضية ، زكي النفس ، قوي الذكاء ، متجنبا عن الدنيا ، مقتنعاً منها بمـا يقوم بأوده ، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين . وكانت له قوة في صناعة الطب ، وعـــلم بالامور الكلية منها . ولم يباشر اعمالها ، ولا حاول جزئياتها .

وحدثني سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي ان الفارابي كان في أول امره ناطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها ، والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها . وكان ضعيف الحال حتى انه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ، ويستضيىء بالقنديل الذي للحارس . وبقي كذلك مـــدة . ثم انه عظم شأنه وظهر فضله ، واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه ، وصار اوحد زمانه وعـلامة وقته . واجتمع به الامير سيف الدولة [1] أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي واكرمه اكراماً كثيراً ، وعظمت منزلته عنده وكان له مؤثراً .

ونقلت من خط بعض المشايخ ان أبا نصر الفارابي سافر الى مصر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائـــة ، ورجع الى دمشق ، وتوفي بها في رجب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة عند سيف الدولة علي بن حمدان في خلافة الراضي ، وصلى عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلاً من خاصته . ويذكر انه لم يكن يتناول

(١) صاحب حلب (٩١٦ - ٩٦٤) اشتهر بشجاعته وحمايته للعلماء منهم المتنبي وابو فراس والفارابي الفيلسوف . ورفع اليه ابو الفرج كتابه الاغاني .

من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه . ولم يكن معتنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . ويذكر انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط . ويذكر انه كان في أول امره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك ، واقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن الى نحو من امور الدنيا البتة . ويذكر انه كان يخرج الى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرؤه . وكان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل الى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه . ويذكر انه صنع آلة غريبة يستمع منها الحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات . ويذكر ان سبب قراءته الحكمة ان رجلاً اودع عنده جملة من كتب ارسطوطاليس ، فاتفق ان نظر فيها فوافقت منه قبولاً وتحرك الى قراءتها ولم يزل الى ان اتقن فهمها وصار فيلسوفاً بالحقيقة.

ونقلت من كلام لابي نصر الفارابي في معنى اسم الفلسفة قال : اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفا ومعناه ايثار الحكمة . وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا ، ففيلا الايثار وسوفيا الحكمة . والفيلسوف مشتق من الفلسفة ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس . فان هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم، ومعناه المؤثر للحكمة . والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يجعل الوكد [1] من حياته وغرضه من عمره الحكمة . وحكى ابو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه قال : ان أمر الفلسفة اشتهر في أيام ملوك اليونانيين ، وبعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الى آخر أيام المرأة . وانه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها الى ان ملك ثلاثة عشر ملكاً ، وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلماً أحدهم المعروف باندرونيقوس . وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة فغلبها أوغسطس الملك من أهل رومية ، وقتلها واستحوذ على الملك . فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصنعها ، فوجد فيها نسخاً لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في ايامه وايام ثاوفرسطس ، ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها ارسطو . فامر أن تنسخ تلك الكتب التي كانت نسخت في ايام ارسطو وتلاميذه ، وان يكون التعليم منها ، وان ينصرف عن الباقي . وحكم اندرونيقوس في تدبير ذلك ، وأمره ان ينسخ نسخاً يحملها معه الى رومية ونسخاً يبقيها في موضع التعليم بالاسكندرية ؛ وأمره ان يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية ويسير معه الى رومية . فصار التعليم في موضعين وجرى الامر على ذلك الى ان جاءت النصرانية فبطل التعليم من رومية ، وبقي بالاسكندرية الى ان نظر ملك النصرانية في ذلك ، واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل . فرأوا ان يعلم من كتب المنطق إلى آخر الاشكال الوجودية ، ولا يعلم ما بعده ، لانهم رأوا أن في ذلك ضرراً على النصرانية ، وان فيما أطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرة دينهم فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار ، وما ينظر فيه من الباقي مستوراً الى ان كان الاسلام بعده بمدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية ، وبقي بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فتعلم منه رجلان وخرجا ومعهما الكتب ، فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو . فأما الذي من أهل مرو

(١) المراد والقصد.

فتعلم منه رجلان أحدهما ابراهيم المروزي والآخر يوحنا بن حيـلان . وتعلم من الحراني اسرائيل الاسقف وقويري وسار الى بغداد فتشاغل ابراهيم بالدين ، وأخذ قويري في التعليم وامـا يوحنا بن حيلان فانه تشاغل أيضاً بدينه وانحدر ابراهيم المروزي الى بغداد فأقام بها . وتعلم من المروزي متى ابن يونان ، وكان الذي يتعلم في ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية .

وقال أبو نصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان . وكان يسمى ما بعد الاشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ الى ان قرىء ذلـك ، وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الى معلمي المسلمين ان يقرأ من الاشكال الوجودية الى حيث قدر الانسان ان يقرأ . فقال أبو نصر انه قرأ الى آخر كتاب البرهان .

وحدثني عمي رشيد الدين أبو الحسن علي بن خليفة رحمـه الله : ان الفارابي توفي عند سيف الدولة بن حمدان في رجب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وكان أخذ الصناعة عن يوحنا بن حيلان ببغداد في ايام المقتدر ، وكان في زمانه أبو المبشر متى بن يونان وكان أسن من أبي نصر ، وأبو نصر أحـد ذهنا وأعذب كلاما . وتعلم أبو المبشر متى من ابراهيم المروزي وتوفي أبو المبشر في خلافة الراضي فيما بين سنة ثلاث وعشرين الى سنة تسع وعشرين وثلثمائة . وكان يوحنا بن حيلان وابراهيم المروزي قد تعلما جميعا من رجل من اهل مرو .

وقال الشيخ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ، في تعاليقه ان يحيى بن عدي أخبره ان متى قرأ ايساغوجي على انسان نصراني وقـرأ قاطيغورياس بارميناس على انسان يسمى روبيل ، وقرأ كتاب القياس على أبي يحيى المروزي . (وقال) القـاضي صاعد بن أحمد بن صاعد في كتاب التعريف بطبقات الامم: ان الفارابي اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفي بمدينة السلام في ايام المقتدر فبذ جميع أهل الاسلام فيها ، وأربى عليهم في التحقق بها . فشرح غامضها ، وكشف سرها ، وقرب تناولها ، وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة ، لطيفة الاشارة ، منبهة على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وانحاء التعاليم . واوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس، وافاد وجوه الانتفاع بها ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها . فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية ، والنهـاية الفاضلة . ثم له بعد هذا كتاب شريف في احصاء العـلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ، ولا ذهب احد مذهبـه فيه . لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به ، وتقديم النظر فيه . وله كتاب في اغراض فلسفة افلاطون ، وارسطو طاليس يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة ، وهو اكبر عون على تعلم طريق النظر، وتعرف وجه الطلب اطلع فيه على اسرار العلوم وثمارها علماً علماً ، وبين كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئاً شيئاً . ثم بدأ بفلسفة افلاطون فعرف بغرضه منها ، وسمى تآليفه فيهـا . ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطوطاليس فقدم له مقدمة جليلة ، عرف فيها بتدرجه الى الفلسفة . ثم بدا بوصف اغراضه في تآليفه المنطقية والطبيعية كتاباً كتاباً ، حتى انتهى به القول في النسخة الواصلة الينا الى اول العلم الالهي والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه . ولا اعلم كتاباً اجدى على طالب الفلسفة منـه فانه يعرف

بالمعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بعلم علم منها . ولا سبيل الى فهم معـــاني قاطيغورياس وكيف هي الاوائل الموضوعة لجميع العلوم الا منه . ثم له بعد هذا في العلم الالهي وفي العـــلم المدني كتابان لا نظير لهما ، احدهما المعروف بالسياسة المدنية ، والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة عرف فيهما جمل عظيمة من العلم الالهي على مذهب ارسطوطاليس في مبادىء الستة الروحانية ، وكيف يؤخذ عنها الجواهر الجسمانية على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة . وعرف فيهما بمراتب الانسان وقواه النفسانية وفرق بين الوحي والفلسفة ، ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة ، واحتياج المدينه الى السيرة الملكية والنواميس النبوية .

أقول : وفي التاريخ ان الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج [١] فيقرأ عليه صنـاعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق . وكان الفارابي ايضاً يشعر . وسئل ابو نصر : من اعلم انت ام ارسطو ؟ فقال : لو ادركته لكنت اكبر تلاميذه . ويذكر عنه انه قال : قرأت الســـماع لارسطو اربعين مرة ، وارى اني محتاج الى معاودته . وهذا دعاء لابي نصر الفارابي قال : اللهم إني اسألك يا واجب الوجود ، ويا علة العلل ، قديماً لم يزل ، ان تعصمني من الزلل، وان تجعل لي من الامل مانرضاه لي من عمل . اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب ، وارزقني في اموري حسن العواقب . نجح مقاصدي والمطالب ، يا إله المشارق والمغارب . رب الجوار الكنس السبع التي انبجست عـن الكون انبجاس الابهر ، هنّ الفواعل عن مشيئته التي عمت فضائلها جميع الجوهر . اصبحت أرجو الخير منك وأمتري زحلا ونفس عطارد والمشتري . اللهم البسني حلل البهاء ، وكرامات الانبياء ، وسعادة الاغنياء ، وعلوم الحكماء ، وخشوع الاتقياء . اللهم انقذني من عالم الشقاء والفناء واجعلني من اخـوان الصفاء ، واصحاب الوفاء ، وسكان السماء ، مع الصديقين والشهداء . انت الله الاله الذي لا إله الا انت ، علة الاشياء ، ونور الارض والسماء . امنحني فيضاً من العقل الفعال ، يا ذا الجلال والافضال ، هذب نفسي بانوار الحكمة ، واوزعني شكر ما اوليتني من نعمة ، أرني الحق حقا والهمني اتباعه ، والباطل باطلا واحرمني اعتقاده واستماعه ، هذب نفسي من طينة الهيولى انك انت العلة الاولى

يا علة الاشياء جمعا والذي	كانت به عـن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز	في وسطهن من الثرى والأبحر
اني دعوتك مستجيراً مذنبا	فاعفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من	كدر الطبيعة والعناصر عنصري

(الكامل)

اللهم ، رب الاشخاص العلوية ، والاجرام الفلكية ، والارواح السماوية ، غلبت على عبدك الشهوة البشرية ، وحب الشهوات والدنيا الدنية . فاجعل عصمتك مجني من التخليط ، وتقـــواك حصني من

---

(١) من علماء وأئمة النحو المشهورين واليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد ، وكتابه الاصول الكبيرة المرجع عند اضطراب النقل ، وجمع فيه اصول علم العربية .

التفريط ، انك بكل شيء محيط . اللهم انقذني من اسر الطبائع الاربع ، وانقلني الى جنانك الاوسع وجوارك الارفع . اللهم ، اجعل الكفاية سببا لقطع مذموم العلائق التي بيني وبين الاجسام الترابية ، والهموم الكونية واجعل الحكمة سببا لاتحاد نفسي بالعوالم الالهية ، والارواح السماوية . اللهم طهر بروح القدس الشريفة نفسي وأثر بالحكمة البالغة عقلي وحسي ، واجعل الملائكة بدلا من عالم الطبيعة أنسي . اللهم ، ألهمني الهدى ، وثبت ايماني بالتقوى ، وبغض الى نفسي حب الدنيا . اللهم ، قوّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية ، وألحق نفسي بمنازل النفوس الباقية ، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة الغالية ، في جنات عالية . سبحانك اللهم سابق الموجودات التي تنطق بألسنة الحال والمقال ، إنك المعطي كل شيء منها ما هو مستحقه بالحكمة ، وجاعل الوجود لها بالقياس الى عدمها نعمة ورحمة . فالذوات منها والاعراض مستحقة بآلائك ، شاكرة فضائل نعمائك ، وان من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم . سبحانك اللهم وتعاليت ، انك الله الاحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد . اللهم ، انك قد سجنت نفسي في سجن من العناصر الاربعة ، ووكلت بافتراسها سباعاً من الشهوات . اللهم ، جد لها بالعصمة ، وتعطف عليها بالرحمة التي هي بك أليق ، وبالكرم الفائض الذي هو منك أجد وأخلق ؛ وامنن عليها بالتوبة العائدة بها الى عالمها السماوي ؛ وعجل لها بالاوبة الى مقامها القدسي ؛ واطلع على ظلمائها شمساً من العقل الفعال ؛ وامط عنها ظلمات الجهل والضلال ، واجعل ما في قواها بالقوة كامناً بالفعل ؛ واخرجها من ظلمات الجهل الى نور الحكمة رضياء العقل . الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . اللهم ، أر نفسي صور الغيوب الصالحة في منامها ، وبدلها من الاضغاث برؤيا الخيرات والبشرى الصادقة في احلامها ؛ وطهرها من الاوساخ التي تأثرت بها عن محسوساتها واوهامها ؛ وأمط عنها كدر الطبيعة ؛ وانزلها في عالم النفوس المنزلة الرفيعة . الله الذي هداني وكفاني وآواني .

ومن شعر ابي نصر الفارابي قال

لما رأيت الزمان نكسا وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحا لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم قد أقفرت منهم البقاع
(البسيط)

وقال ايضاً :

اخي خل حيّز ذي باطل وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار خلود لنا ولا المرء في الارض بالمعجز
وهل نحن الا خطوط وقعن على كرة وقع مستوفز

ينـافس هذا لهذا عـلى أقل من الكلم الموجز
محيط السموات اولى بـعـنا فكم ذا التزاحم في المركز

(المتقارب)

ولابي نصر الفارابي من الكتب: شرح كتاب المجسطي لبطليموس. شرح كتاب البرهان لارسطوطاليس، شرح كتاب الخطـابة لارسطوطاليس، شرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لارسطوطاليس. شرح كتاب المغالطة لارسطوطاليس. شرح كتاب القياس لارسطوطاليس، وهو الشرح الكبير. شرح كتاب باريمينياس لارسطوطاليس على جهة التعليق. شرح كتاب المقولات لارسطوطاليس على جهة التعليق. كتاب المختصر الكبير في المنطق. كتاب المختصر الصغير في المنطق على طريقة المتكلمين. كتاب المختصر الاوسط في القياس. كتاب التوطئة في المنطق. شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس. املاء في معاني ايساغوجي. كتاب القياس الصغير، ووجد كتابه هذا مترجماً بخطه. احصاء القضايا والقياسات التي تستعمل على العموم في جميع الصنائع القياسية. كتاب شروط القياس. كتاب البرهان. كتاب الجدل. كتاب المواضع المنتزعة من المقالة الثامنة في الجدل. كتاب المواضع المغلطة. كتاب اكتساب المقدمـــات وهي المسماة بالمواضع وهي التحليل. كلام في المقدمات المختلطة من وجودي وضروري. كلام في الخـــلاء صدر لكتاب الخطابة. شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس على جهة التعليق. شرح كتـــاب السماء والعالم لارسطوطاليس على جهة التعليق. شرح كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس على جهـــة التعليق. شرح مقالة الاسكندر الافروديسي في النفس على جهة التعليق. شرح صدر كتاب الاخلاق لارسطوطاليس. كتاب في النواميس. كتاب احصاء العلوم وترتيبها. كتـــاب الفلسفتين لفلاطن وارسطوطاليس بخروم الآخر. كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة، ابتدأ بتأليف هذا الكتاب ببغداد، وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلثمائـة، وتممه بدمشق في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة، وحرره ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيهـــا الأبواب. ثم سأله بعض الناس ان يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة سبع وثلاثين، وهي ستة فصول. كتاب مبادي آراء المدينـة الفاضلة. كتاب الالفاظ والحروف. كتاب الموسيقى الكبير، ألفه للوزير أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي. كتاب في احصاء الايقاع. كلام له في النقلة مضافاً الى الايقاع. كلام في الموسيقى. مختصر فصول فلسفية منتزعـــة من كتب الفلاسفة. كتاب المبادىء الانسانية. كتاب الرد على الرازي في العلم الالهي. كتاب الرد على جالينوس فيما تأوله من كلام ارسطوطاليس على غـــير معناه. كتاب الرد على ابن الراوندي في ادب الجدل. كتاب الرد على يحيى النحوي فيما رد به على ارسطوطاليس. كتاب الرد على الرازي في العلم الالهي. كتاب الواحد والوحدة. كلام له في الحيز والمقدار. كتاب في العقل صغير. كتاب في العقل كبير. كلام له في معنى اسم الفلسفة. كتاب الموجودات المتغيرة الموجود بالكلام الطبيعي. كتاب شرائط البرهان. كلام له شرح المستغلق من مصادرة المقالة الاولى والخامسة من اقليدس. كلام في اتفاق آراء أبقراط وأفلاطن. رسالة في التنبيه على اسباب السعاده. كلام في الجزء وما لا يتجزأ.

كلام في اسم الفلسفة وسبب ظهورها واسماء المبرزين فيها وعلى من قرأ منهم . كلام في الجن . كلام في الجوهر . كتاب في الفحص المدني . كتاب السياسات المدنية ويعرف بمبادىء الموجودات . كلام في الملة والفقه مدني ، كلام جمعه من اقاويل النبي صلى الله عليه وسلم يشير فيه الى صناعة المنطق. كتاب في الخطابة كبير ، عشرون مجلداً . رسالة في قواد الجيوش . كلام في المعايش والحروب . كتاب في التأثيرات العلوية . مقالة في الجهة التي يصح عليها القول بأحكام النجوم . كتاب في الفصول المنتزعة للاجتماعات . كتاب في الحيل والنواميس . كلام له في الرؤيا . كتاب في صناعة الكتابة . شرح كتاب البرهان لارسطوطاليس على طريق التعليق ، املاه على ابراهيم بن عدي تلميذ له بحلب . كلام له في العلم الالهي . شرح المواضع المستغلقة من كتاب قاطيغورياس لارسطوطاليس ويعرف بتعليقات الحواشي . كلام في إعضاء الحيوان . كتاب مختصر جميع الكتب المنطقية . كتاب المدخل الى المنطق .

كتاب التوسط بين ارسطوطاليس وجالينوس . كتاب غرض المقولات. كلام له في الشعر والقوافي. شرح كتاب العبارة لارسطوطاليس على جهة التعليق . تعاليق على كتاب القياس . كتاب في القوة المتناهية وغير المتناهية . تعليق له في النجوم . كتاب في الاشياء التي يحتاج ان تعلم قبل الفلسفة . فصول له مما جمعه من كلام القدماء . كتاب في اغراض ارسطوطاليس في كل واحد من كتبه . كتاب المقاييس . مختصر كتاب الهدى . كتاب في اللغات . كتاب في الاجتماعات المدنية . كلام في ان حركة الفلك دائمة . كلام فيما يصلح ان يذم المؤدب . كلام في المعاليق والجون وغير ذلك . كلام في لوازم الفلسفة . مقالة في وجوب صناعة الكيمياء والرد على مبطليها . مقالة في أغراض ارسطوطاليس في كل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف ، وهو تحقيق غرضه في كتاب ما بعد الطبيعة . كتاب في الدعاوي المنسوبة الى ارسطوطاليس في الفلسفة مجردة عن بياناتها وحججها . تعاليق في الحكمة . كلام املاه على سائل سأله عن معنى ذات ومعنى جوهر ومعنى طبيعة . كتاب جوامع السياسة مختصر . كتاب باريمنياس لارسطوطاليس. كتاب المدخل الى الهندسة الوهمية، مختصراً. كتاب عيون المسائل على رأي ارسطوطاليس ، وهي مائة وستون مسألة . جوابات لمسائل سئل عنها وهي ثلاث وعشرون مسألة . كتاب اصناف الاشياء البسيطة التي تنقسم اليها القضايا في جميع الصنائع القياسية. جوامع كتاب النواميس لفلاطن . كلام من املائه وقد سئل عما قال ارسطوطاليس في الحار. تعليقات انالوطيقا الاولى لارسطوطاليس ، كتاب شرائط اليقين . رسالة في ماهية النفس . كتاب السماع الطبيعي .

عيسى الرقي

كان طبيباً مشهوراً في أيامه ، عارفاً بالصناعة الطبية حق معرفتها . وله أعمال فاضلة ومعالجات بديعة ، وكان في خدمة سيف الدولة بن حمدان ومن جملة أطبائه . وقال عبيد الله بن جبرئيل، حدثني

من اثق بقوله : ان سيف الدولة كان اذا أكل الطعام حضر على مائدته أربعة وعشرون طبيباً . قال: وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطيه علمين ، ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم ، وكان من جملتهم عيسى الرقي المعروف بالتفليسي . وكان مليح الطريقة ، وله كتب في المذهب وغيرها . وكان ينقل من السرياني الى العربي ويأخذ أربعة أرزاق : رزقاً بسبب الطب،ورزقاً بسبب النقل ، ورزقين بسبب علمين آخرين .

اليبرودي

هو أبو الفرج جورجس بن يوحنا بن سهل بن ابراهيم ، من النصارى اليعاقبة ، وكان فاضلاً في صناعة الطب عالماً باصولها وفروعها معدوداً من جملة الأكابر من اهلها والمتمرنين من أربابهـا ، دائم الاشتغال ، محباً للعلم ، مؤثراً للفضيلة .

حدثني شرف الدين بن عنين رحمه الله . ان اليبرودي كان لا يمل الاشتغال ولا يسأم منه . قال : وكان أبداً سائر اوقاته لا يوجد إلا معه كتاب ينظر فيه .

حدثني أحد النصارى بدمشق ، وهو السني البعلبكي الطبيب قال : كان مولد اليبرودي ومنشؤه في صدر عمره بيبرود[١] ، وهي ضيعة كبيرة قريبة من صيدنايا[٢]وبها نصارى كثير . وكان اليبرودي بها كسائر أهلها النصارى من معاناتهم الفلاحة وما يصنعه الفلاحون . وكان ايضاً يجمع الشيح[٣]من نواحي دمشق القريبة من جهته ويحمله على دابة ويأتي به الى داخل دمشق يبيعه للذين يقدونه في الافران وغيرها . وانه لما كان في بعض المرات ، وقد عبر من باب توما[٤] بدمشق ومعه حمل شيح ، رأى شيخاً من المتطببين ، وهو يفصد انساناً قد عرض له رعاف شديد من الناحية المسامتة للموضع الذي ينبعث منه الدم فوقف ينظر اليه ، ثم قال له : لم تفصد هذا ودمه يجري من أنفه باكثر ممـا يحتاج اليه بالفصد ؟ فعرفه ان ذلك انما يفعله لينقطع الدم الذي ينبعث من أنفه ، لكونه يجتذبه الى مسامتة الجهة التي ينبعث منها . فقال له : اذا كان الامر على ما تقول فاننا في مواضعنا قد اعتدنا انه متى كان نهر جار ، وأردنا ان نقطع الماء عنه فاننا نجعل له مسيلاً الى ناحية اخرى مسامتة له فينقطع مـن ذلك الموضع ويعود الى الموضع الآخر ، فأنت لم لا تفعل هكذا أيضاً وتفصده من الناحية الاخرى ؟ ففعل ذلك وانقطع الرعاف عن الرجل . وان ذلك الطبيب لما رأى من اليبرودي حسن نظر فيما سأل عنه ، قال له : لو انك تشتغل بصناعة الطب جاء منك طبيب جيد . فمال اليبرودي الى قوله ، وتاقت نفسه الى العلم ، وبقي متردداً الى الشيخ في اوقات ، وهو يعرفه ويريه أشياء من المداواة .

(١) قرية في سوريا–قضاء النبك– وهي من قرى جبل قلمون .
(٢) قرية في شمالي دمشق شهيرة بدير السيدة .
(٣) نبت سهلي له رائحة طيبة وهو مر الطعم .
(٤) احد ابواب دمشق .

ثم انه ترك يبرود وما كان يعانيه ، وأقام بدمشق يتعلم صناعة الطب . ولما تبصر في أشياء منها ، وصارت له معرفة بالقوانين العلمية ، وحاول مداواة المرضى ، ورأى اختلاف الامراض وأسبابها وعلاماتها ، وتفنن معالجاتها ، وسأل عمن هو إمام في وقته بمعرفة صناعة الطب والمعرفة بها جيداً . فذكروا له ان ببغداد أبا الفرج بن الطيب كاتب الجاثليق ، وانه فيلسوف متفنن ، وله خبرة وفضل في صناعة الطب وفي غيرها من الصنائع الحكمية . فتأهب للسفر وأخذ سواراً كان لامه لنفقته . وتوجه الى بغداد وصار ينفق عليه ما يقوم بأوده ويشتغل على ابن الطيب الى ان مهر في صناعة الطب وصارت له مباحثات جيدة ، ودراية فاضلة في هذه الصناعة . واشتغل أيضاً بشيء من المنطق والعلوم الحكمية . ثم عاد الى دمشق واقام بها .

ونقلت أيضاً قريباً من هذه الحكاية المتقدمة ، وان كانت الرواية بينهما مختلفة ، عن شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي قال : حدثني موفق الدين أسعد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو الفرج بن الحديد قال : حدثني أبو الكرم الطبيب ، عن أبيه أبي الرجاء ، عن جده قال : كان بدمشق فاصد يقال له أبو الخير ، ولم يكن من المهرة ، فكان من امره ان فصد شاباً فوقعت الفصدة في الشريان فتحير وتبلد ، وطلب قطع الدم فلم يقدر على ذلك ، فاجتمع الناس عليه . وفي اثناء ذلك اطلع صبي عليه فقال : يا عماه افصده في اليد الاخرى ، فاستراح الى كلامه وفصده من يده الاخرى . فقال : شد الفصد الاول . فشده ووضع لازوقاً كان عنده عليه ، وشده فوقف جرية الدم . ثم مسك الفصدة الاخرى فوقف الدم وانقطع الجميع . ووجد الصبي يسوق دابة عليها حمل شيح فتشبث به وقال : من أين لك ما أمرتني به ؟ قال : أنا ارى أبي في وقت سقي الكرم ، اذا انفتح شق من النهر ، وخرج الماء منه بحدة لا يقدر على امساكه دون أن يفتح فتحاً آخر ، ينقص به الماء الاول الواصل الى ذلك الشق ، ثم يسده بعد ذلك . قال : فمنعه الجرائحي من بيع الشيح واقتطعه ، وعلمه الطب فكان منه اليبرودي من مشاهير الاطباء الفضلاء .

اقول : وكانت لليبرودي مراسلات الى ابن رضوان بمصر والى غيره من الاطباء المصريين ، وله مسائل عدة اليهم طبية ومباحثات دقيقة . وكتب بخطه شيئاً كثيراً جداً من كتب الطب ، ولا سيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها .

وحدثني أيضاً السني البعلبكي : ان اليبرودي عبر يوماً في سوق جيرون بدمشق ، فرأى انساناً وقد بايع على ان يأكل ارطالا من لحم فرس مسلوق مما يباع في الاسواق ، فلما رآه وقد امعن في أكله باكثر مما يحتمله قواه ، ثم شرب بعده فقاعاً كثيراً وماء بثلج واضطربت احواله تفرس فيه انه لا بد ان يغمى عليه ، وان يبقى في حالة يكون الموت أقرب اليه ان لم يتلاحق ، فتبعه الى المنزل الذي له واستشرف الى ماذا يؤول أمره . فلم يكن الا أيسر وقت ، وأهله يصيحون ويضجون بالبكاء ويزعمون انه قد مات فاتى اليهم وقال : انا ابرئه وما عليه بأس . ثم انه أخذه الى حمام قريب من ذلك الموضع وفتح فكيه كرهاً بشيء ، ثم سكب في حلقه ماء مغلياً وقد أضاف اليه ادوية مقيئة ، ولافى الغاية ، وقيأه برفق . ثم عالجه وتلطف في مداواته حتى أفاق وعاد الى صحته . فتعجب

الناس منه في ذلك الفعل وحسن تأتيه الى مداواة ذلـــك الرجل ، واشتهرت عنه هذه القضية ، وتميز بعدها .

اقول : وهذه الحكاية التي قصد اليبرودي ان يتتبع أحوال ذلك الرجل فيها ويشاهد ما يكون من أمره ان يكون عنده من ذلك معرفة بالاعراض التي تحدث له ، وان ينقذه أيضاً مما وقع فيه ان امكنه مغاجلته ومعالجته . ومثل ذلك أيضاً ما حكاه ابو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الاشعث رحمه الله في كتاب الغاذي والمغتذي ، وذلك انه قال : ان انساناً رأيته يوماً وقـــد بايع ان يأكل جزراً قدره بحد ما ، فحضرت اكله لارى ما يكون من حاله ، لا رغبة مني لمجالسة من هذه حالـــه ، ولا لان لي بذلك عادة ولله الحمد؛ بل لارى ايراد الغذاء على المعدة قسراً الى ماذا يؤول هذا الفعل فرأيته يأكل من حائط ليرى من حوله ويضاحكهم ، حتى اذا مر على الاكثر مما كان بين يديه رأيت الجزر ممضوغاً قد خرج من حلقه ملتفاً متحبلاً متعجناً بريقه ؛ وقد جحظت عيناه ، وانقطع حسه ، واحمر لونه ، ودرت وداجاه وعروق رأسه ، واربد وكمد وجهه ، وعرض له من التهوع أكثر مما عرض له من القذف ، حتى رمى من ذلك الذي أكله شيئاً كثيراً . فزكنت (١) ان انقطاع نفسه لدفع المعـدة حجابه الى نحو الفم ومنعها اياه من الرجوع إلى الانبساط للتنفس . وأما ما عرض للونه من الاحمرار ودرور وداجيه وعروقه فزكنت انه لاقبال الطبيعة نحو رأسه ، كما يعرض لمن شدت يـده للفصد ان تقبل الطبيعة نحو الجهة التي استنهضت نحوها . واما ما عرض بعد ذلك لوجهه من الاربداد والكمودة فزكنت أيضاً انه لسوء مزاج قلبه ، وانه لو لم يخرج ما خرج ، ودافعت المعدة حجابه هذه المدافعة التي قد عاقته البتة عن التنفس ، عرض له الموت بالاختناق . كما قد رأينا ذلك في عـــدد كثير ماتوا بعقب القذف . وأما ما عرض له من التهوع اكثر مما عرض له من القذف فزكنت من ذلك ان التهوع لشدة اضطراب المعدة . قال ابن ابي الاشعث بعد ذلك ان الغذاء اذا حصل في المعدة وهو كثـــير الكمية تمددت تمدداً يبسط سائر غضونها ، كما رأيت ذلك في سبع شرحته حياً بحضرة الامير الغضنفر ، وقد استصغر بعض الحاضرين معدته فتقدمت بصب الماء في فيه ، فما زلنا نصب في حلقه دورقاً بعد آخر حتى عددنا من الدوارق عدداً كان مقدار ما حوت نحو أربعين رطلاً ماء ، فنظرت اذ ذاك الى الطبقة الداخلة ، وقد امتدت حتى صار لها سطح مستو ليس بدون استواء الخارج ، ثم شققتها فلمـا اجتمعت عند خروج الماء منها عاد غضون الداخلة والبواب يشهد الله في جميع ذلك لا يرسل نفسه

وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي قال : حدثني موفق الدين اسعـــد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي ، عن خالي أبي الفرج بن حيان قال : حدثني أبو الكرم الطبيب قـــال : حدثني أبي ، عن أبيه قال : كنت يوماً اساير الشيخ أبا الفرج اليبرودي اذ اعترضـــه رجل فقال : يا سيدي كنت في صناعتي هذه في الحمام ، وحلقت رأسي وأجد الآن في وجهي كله انتفاخاً وحرارة عظيمة . قال : فنظرنا الى وجهه فوجدناه يربو وينتفخ وتزيد حمرته بغير توقف ولا تدريج . قال :

(١) فطنت .

فأمره ان يكشف رأسه ويلقي به الماء الجاري من قناة كانت بين يديـه ، وكان الزمان اذ ذاك صميم الشتاء وغاية البرد ، ثم لم يزل واقفاً حتى بلغ ما اراد مما أمر به . ثم أمر الرجل بالانصراف وأشار عليه بالاوفق له ، وهو تلطيف التدبير واستعمال النقوع الحامض مبرداً ، وقطع الزفر . قال : فامتنع ان يحدث له شراً ما .

وقال الطرطوشي [1] في كتاب سراج الملوك : حدثني بعض الشاميين ان رجلا خبازاً بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشترى منه ، وجعل يأكله بالخبز الحـار فلما فرغ سقط مغشياً عليه . فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون له الاطباء فيلتمسون دلائله ، ومواضع الحياة منه . فلم يجدوا ، فقضوا بموته . فغسل وكفن وصلي عليه ، وخرجوا به الى الجبانة . فبينما هم في الطريق على باب البلد ، فاستقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً عارفـاً بالطب فسمع الناس يلهجون بقضيته ، فاستخبرهم عن ذلك فقصوا عليه قصته فقال : حطوه حتى اراه . فحطوه ، فجعل يقلبه ، وينظر في امارات الحياة التي يعرفها . ثم فتح فمه وسقاه شيئاً ، أو قال حقنه فاندفع ما هنالك فسيل ، فاذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى حانوته .

وتوفي اليبرودي بدمشق في سنة (*) وأربعمائة ، ودفن في كنيسة اليعاقبة بهـا عند باب تومـا . حدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي عن موفق الدين أسعـد بن الياس ابن المطران قـال : حدثني خالي ، قـال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبـد الله ابن رجا بن يعقوب ، قال : حدثني ابن الكتاني ، وهو اذ ذاك متصرف في اعمال السلطان يومئذ بدمشق ، قال : بلغني ان أبا الفرج جورجس بن يوحنا اليبرودي لما توفي ظهر في تركته ثلثمائـة مقطع رومي مجوم لباب واحد وخمسمائة قطعة فضة الطفها ثلثمائة درهم . قال موفق الدين بن المطران : وليس ذلك بكثير لان الشخص متى تحققت اعماله وصفت نيته ، وطلب الحق ، وعامل الصحيح ، واجتهد في معرفة صناعته كان حقاً على الله تعالى ان يرزقه . ومتى كان بالضد عاش فقيراً ومات بائساً.

ولليبرودي من الكتب : مقالة في ان الفرخ أبرد من الفروج . نقض كلام ابن الموفقي في مسائل ترددت فيما بينهم في النبض .

جابر بن منصور السكري

من اهل موصل ، وكان مسلماً ديناً ، عالماً بصناعة الطب ، من اكبر المتميزين فيها . وكان قد لحق احمد بن ابي الأشعث وقرأ عليه . ثم لازم محمد بن ثواب تلميذ ابن ابي الأشعث وقرأ عليه ، وذلك في

---

(١) ابن ابي رندقه ولد في طرطوشه - الاندلس - وتوفي في الاسكندرية (١٠٥٩ - ١١٢٦) فقيه زار مكةوالمدينة . واقام في دمشق .

(*) بياض بالاصل .

نحو سنة ستين وثلثمائة . واشتهر بصناعة الطب واعمالهـا ، وعمر وكان اكثر مقامه بمدينة الموصل ، وانما ابنه ظافر انتقل الى الشام وأقام بها .

ظافر بن جابر السكري

هو أبو حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان مسلماً فاضلاً في الصناعـة الطبية ، متقناً للعلوم الحكمية ، متحلياً بالفضائل وعلم الادب ، محباً للاشتغال والتضلع بالعلوم. وكان قد لقي أبا الفرج ابن الطيب ببغداد ، واجتمع به ، واشتغل معه . وكان ظافر بن جابر قـد عمر مثل ابيه ، وكان موجوداً في سنة اثنتين وثمانين واربعمائة وهو موصلي ، وانما انتقل من الموصل الى مدينة حلب، وأقام بحلب الى آخر عمره . ومن خلفه جماعة مشتغلين بصناعة الطب ومقامهم بحلب .

ومن شعره :

ما زلت أعلم أولا في اول   حتى علمت بانني لا علم لي
ومن العجائب ان اكون جاهلاً   من حيث كوني انني لا اجهل
(الكامل)

ولظافر بن جابر من الكتب: مقالة في ان الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه.

موهوب بن الظافر

هو ابو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري . كان فاضلا ايضاً في صناعة الطب، مشهوراً متميزاً . وكان مقيماً بمدينة حلب .

ولموهوب بن ظافر من الكتب : اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحق .

جابر بن موهوب

هو جابر بن موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان ايضاً مشهوراً في صناعـة الطب خبيراً بها . وأقام بحلب .

أبو الحكم

هو الشيخ الأديب الحكيم أبو الحكم عبيدالله بن المظفر بن عبدالله الباهـلي الاندلسي المربي . كان فاضلا في العلوم الحكمية ، متقناً للصناعة الطبية ، متعينـاً في الادب ، مشهوراً بالشعر . وكان حسن النادرة ، كثير المداعبة ، محباً للهو والخلاعة . وكثير من شعره يوجد مراثي في اقوام كانوا في زمانه أحياء ، وانما قصد بذلك اللعب والمجون . وكان محباً للشراب مدمنا له ، ويعاني الخيال ، وكان اذا

طرب يخرج في الخيال ويغني له :

يا صياد النحلة جـــاك العمل　　　قم اخرج من بكرة هات العسل

وكان يعرف الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويجلس على دكان في جيرون للطب . ومسكنه في دار الحجارة باللبادين ، وله مدائح كثيرة في بني الصوفي الذين كانوا رؤساء دمشق ، والمتحكين فيهـــا ، وذلك في أيام مجير الدين ابق [1] بن محمد بن بوري بن أتابك طغتكين . وسافر أبو الحكم الى بغداد والبصرة وعاد الى دمشق ، وأقام بها الى حين وفاته . وتوفي رحمـه الله لساعتين خلتا من ليلة الاربعاء سادس ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة بدمشق . وقال أبو الفضل بن الملحي ، وكتب بها الى ابي الحكم في اثناء كتاب كتبه اليه شاكراً لفعله :

اذا ما جزى الله امرءاً بفعاله　　　فجازى الاخ البر الحكيم أبا الحكم
هو الفيلسوف الفرد والفاضل الذي　　　أقر له بالحكمة العرب والعجم
يدبر تدبـير المسيح مريضه　　　فلو راءه أبقراط زلت به القدم
فينتاشني من قبضة الدهر بعدما　　　ألم بأنواع من الضر والألم
وبوأني من رأيـــه خير معقل　　　فبرّأ من ضري وأبرا من السقم
وما زال يهديني الى كل منهج　　　بآراء مفضال له سنّها الكرم
يضيء سنا أفكارهـــا فكأنها　　　شموس جلا اشراقهـا حندس الظلم
وقام بأمري اذ تقاعد اسرتي　　　مقام أبي في كرمتي او مقام أم
وأنقض ظهري مـا تحامل ثقله　　　ووكل بي طرفاً اذا نمت لم ينم
وضم ولم يغن لجسمي شفـاءه　　　فلولاه قد أصبحت لحماً على وضم [2]
فأصبح سلمي الدهر بعد حروبه　　　عليه سلام الله ما أورق السلم [3]

(الطويل)

وكان ابو الحكم يهاجي جماعة من الشعراء الذين كانوا في وقته ويهاجونه ، وللعرقـــلة ، وهو أبو الندى حسان بن نمير الكلبي ، يهجو أبا الحكم :

لنـــا طبيب شاعر أشتر [4]　　　أراحنـــا من شخصـــه الله
ما عاد في صبحة يوم فتى　　　الا وفي باقيـــه رثاه

(السريع)

وقال ايضاً فيه :

يا عين سحي بدمع ساكب ودم　　　على الحكيم الذي يكنى أبا الحكم

(١) آخر من حكم دمشق من اسرة بنوبوري . وكان افرادها يلقبون اتابك .
(٢) الخشبة التي يقطع الجزار عليها اللحم .
(٣) شجر من العضاه يدبغ به .
(٤) من كان جفن عينه منقلباً او منشقاً او مسترخياً من اسفله . (ن.ر)

قد كان لا رحم الرحمن شيبته ولا سقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم
(البسيط)

أقول : وصف العرقلة لابي الحكم في هجوه إياه بانـــه اشتر العين له سبب ، وهو ان أبا الحكم خرج ليلة وهو سكران من دار زين الملك أبي طالب بن الخياط فوقع فانشج وجهه ، فلما أصبح زاره الناس يسألونه كيف وقع فكتب هذه الابيات ، وتركها عند رأسه فكان اذا سأله انسان يعطيـــه الابيات يقرؤها

وقعت على رأسي وطارت عمامتي وضاع شمشكي وانبطحت على الارض
وقمت وأسراب الدمـــاء بلحيتي ووجهي ، وبعض الشر أهون من بعض
قضى الله أني صرت في الحال هتكة ولا حيـلة للمرء فـــيما به يقضي
ولا خـير في قصف ولا في لذاذة اذا لم يكن سكر الى مثل ذا يفضي
(الطويل)

واخذ المرآة فرأى الجرح في وجهه غائراً تحت الجفن بعد وقعته فقال :

ترك النبيذ بوجنتي جرحاً ككس النعجة
ووقعت منبطحاً على وجهي وطارت عمتي
وبقيت منهتكاً فلو لا الليل بانت سوءتي
وعلمت أن جميع ذ لك من تمـــام اللذة
من لي باخرى مثل تلك ولو بحلق اللحيـــة
(الكامل)

ومن شعر أبي الحكم، وديوان شعره هو روايتي عن الشيخ شمس الدين ابي الفضل المطواع الكحال، عن الحكيم أمين الدين أبي زكريا يحيى البياسي ، عن أبي المجد ، عن والده أبي الحكم المذكور ، قال يمدح الرئيس مؤيد الدين أبا الفوارس بن الصوفي :

رقت لما بي إذ رأت أوصابي وشكت فقصر وجدها عما بي
ما ضر يا ذات اللما الممنوع لو داويت حر جوى ببرد رضاب
من هائم في حبكم متقنـــع بمزار طيف أو برد جـــواب
ان تسعفي بالقرب منك فانمـــا تحيين نفساً آذنت بذهـــاب
لا تنكري ان بان صبري بعدكم واعتادني ولهي لعظم مصابي
فالصبر في كل المواطن دائمـــاً مستحسن الا عن الاحبـــاب
هيهات ان يصفو الهوى لمتيم لا بد من شهـد هناك وصاب
مـــا لي وللحدق المراض تذيبني أترى لحيـــني وكلت بعذابي

وكذا العيون النجل قدما لم تزل　　من شأنهـــا الفتكات بالالبـاب
ما لي وحظي لا يني متباعداً　　أدعو فلا انفك غـــير مجاب
لولا رجاء أبي الفوارس لم أزل　　مـــا بين ظفر للخطوب وناب
دعني أخبر بعض ما قد حاز من　　شرف وان أعيا ذوي الاسهاب
فلقد غـدا فرضاً مديح مؤيد الدين الهـــمام على ذوي الآداب
من قيس عيلان نمته هوازن　　وسليم البادون في الاعراب
والبيت من أبنـــاء صعصعة سما　　بنيانـــه في جعفر بن كلاب
منهم لبيد والطفيـــل وعامر　　وأبو براء هــــازم الاحزاب
وبنو ربيعـــة ان نسبت وخالد　　منهم وعوف في ذوي الانساب
ورث العلا منهم بنو الصوفي اذ　　قرنوا الايادي الغر في الاحساب
وحوى المسيب ما به افتخروا كما　　حازت فذلك جمع كل حساب
في ذروة الشرف الرفيع سما بـه　　مجد قديم من صميم لبـــاب
واحل أنديـــة المكارم ناشئا　　فسما على القرنـــاء والاضراب
ما مفعم لجب طمى آذيـــه　　وأمده منهـــلّ صوب سحاب
بأعم سيبـــاً من نوال بنانـــه　　أو مزبـد ذو زخرة وعباب
لليث صولته على أعدائـــه　　بل دونه ان صال ليث الغاب
وله الى أشياعــــه وعداتـه　　يومان يوم ندى ويوم ضراب
يا دولة عبق الندى والجود في　　أرجائهـــا من فتية انجـــاب
بشجاعها وجمالهـــا وبعزها　　وبزينها تبقى على الاحقاب
حسبي بما نسبوا اليه وان غدت　　أسماؤهم تغني عن الالقـــاب
اكرم بهم عرباً اذ افتخر الورى　　جاؤوا بخير ارومـــة ونصاب
شادوا العـــلا بندى وعز باذخ　　ومشارع للمعتفـــين عذاب
قوم ترى لذوي النفاق لديهـــم　　ذل العبيـــد لسطوة الارباب
يا أيهـــا المولى الذي نعماؤه　　مبذولة للطارق المنتـــاب
اني لأعلم أن برك بي غـــــدا　　لسعادتي من أوكـــد الاسباب
وتيقنت نفسي هنـــــاك بأنني　　سارود من نعماك خـير جناب
لا زلت ترقى في المكارم دائماً　　مـــا لاح برق في خلال سحاب

وقال ايضاً يمدح الرئيس جمال الدولة أبا الغنائم أخا الممدوح :

سواء علينا هجرها ووصالهـــا　　اذا نكثت يوماً ورثت حبالها
وما برحت ليلى تجود بوعدهـــا　　ويمنع منـــــا بذلها ونوالهـــا
ويطمعنا ميعادهـــا في دنوهـــا　　ولا وصل الا أن يزور خيالها

أمـــا منك الا عذرة وتعلل ... لطال علينا عذرها واعتلالهـا
سقام بجسمي من جفونك اصله ... وقوة عشق نقص جسمي كالها
فان تسعفي صبا يكن لك أجره ... بقربك يا من شف جسمي زيالها(١)
وما ذكرتك النفس الا تفرقت ... وعاودها من بعد هدي ضلالها
ومـا برحت تعتادني زفرة اذا ... طمعت لها بالبرء راث (٢) اندمالها
ومن عبرات لا يني الدهر كلما ... دعا للهوى داع أجاب انا لها
تصدى الكرى عن مقلتيّ فتنثني ... دموع على الخدين يهمي انسجالها(٣)
وكيف يؤاتي النوم أو يطرق الكرى ... جفوناً بماء المقلتين اكتحالهـا
اذا قلت أنساها على نأي دارهـا ... تصور في عيني وقلبي مثالهـا
ودوّية تردي المطايا تنوفـة ... يحار القطا فيها اذا خب (٤) آلها(٥)
قطعت بفتلاء الذراعين عرمس(٦) ... أمون (٧) قواها غير باد كلالها
تؤم بنـا ربع المسلم حيث لا ... يخيب لهـا سعي وينعم بالها
ولولا جمال الملك ما جئتها ولا ... ترامت صحاريها بنا ورمالهـا
الى اسرة لا يجهل الناس قدرها ... ويحمد بين العالمين فعالهـا
اذا اشكلت دهماء فالرأي رأيها ... وان راب (٨) خطب فالمقال مقالها
او اضطرمت نار الوغى بكماتها ... وطال عليهم حميها واشتعالهـا
ترى لهم بأساً يقصر دونـه ... أسود الشرى قدامها ونزالهـا
بأيديهم خطيـة يزنيـة ... تساقي بأكواب المنايا نهالها (٩)
وبيض تقـد الدارعين صوارم ... رهاف جلا الاطباع منها صقالها
وهم يطعمون الضيف من قمع الذرى ... اذا ناوحت نكباء ريح شمالهـا
فما لبني الصوفي في الناس مشبه ... ذوي البأس والايدي المهاب مصالها(١٠)
سما لهم مجـد قديم ورفعة ... شديد عراها لا يخاف انحلالهـا
بني جعفر في العرب خير قبيلة ... سما في نزار (١١) فخرها واختيالها
تقابل فيهم من سليم ذوابـة ... كما قابلت يمنى اليدين شمالهـا
أيا ابن علي حزت أرفع رتبة ... اذا رامها من رامها لا ينالهـا
بك الدولة الغراء تزهى على الورى ... وحق لها اذ أنت فيها جمالهـا
ولو أنها أمست سناء ورفعة ... سماء علينا كنت انت هلالهـا

---

(١) الفراق . (٢) أبطأ . (ن.ر)
(٣) انصبابها . (٤) صار خداعاً خبيثاً . (٥) سرابها .
(٦) الناقة الصلبة الشديدة . (٧) الناقة الوثيقة الخلق . (٨) أعيا .
(٩) جمع ناهل وناهلة وهم الذين يشربون اول الورود . (١٠) قتالها ومصاولتها .
(١١) ابو قبيلة وهو نزار بن معد من اجداده (ص) . (ن.ر)

اذا ما ذوو الشحناء أموك خيبوا   وعاد عليهم بعد ذاك وبالهـا
سأظفر من دهري بارغد عيشة   بنعماك ان فاءت علي ظلالهـا
فما لذوي الحاجات عنك تأخر   لانك عم المكرمات وخالها
فدونكها كالـدر لا مستعارة   فينكر منها ضعفها واختلالهـا
ولكن نتاج الفكر عذراء حسنها   يروق اذا شان القوافي انتحالها
فلا نعمة الا ومنك نوالهـا   ولا مدحـة الا اليك مآلهـا

(الطويل)

وقال يمدح عز الدولة أخا مؤيد الدين :

دعا بك داعي الهوى فاستجب   وقصر عتابـك عمن عتب
فما العيش ان غيض ماء الشباب   ولم يقض من طرفيه أرب (١)
وباكر معتقـة زانهـا   مرور الليالي بهـا والحقب
كأن على كأسهـا لؤلؤاً   اذا ما استدار عليها الحبب(٢)
يطوف بهـا بابلي اللحاظ   لذيذ المقبـل عذب الشنب
يقول الذي راقه حسنها :   أ ذي الخمر من خده تجتلب ؟
والا فمن أين ذا الاحمرار   وهذا الصفاء لبنت العنب ؟
بنات الكروم حياة الكروم   وموت الهموم محيا الطرب
فقل للذي همه أن يرى   كريماً ينفس عنه الكرب
أكل امرىء يرتجى سيبه (٣)   رويدك ما الناس فخر العرب
جواد اذا انت وفيتـه   أمنت بـه حادثات النوب
فقد شاع من ذكره في الانام   سوى ما تضمن طي الكتب
ثنـاء تأرج منـه البلاد   وذكـر فـلولاه لم يغترب
عفاف وحـلم الى سؤدد   وفخر بآباء صدق نُجب
وفضـل وبشر وجود يرا   ه فرضاً على نفسه قد وجب
فمن قاسـه بفتى عصره   فقد قايس الدر بالمختلب (٤)
ومن قال ان امرءاً غيره   حوى بعض ما حازه قد كذب
وليس الذي فخره تالـد   كمن فخره طارف مكتسب
اذا ذكر الصيِّد من عامر   وعـد مآثرها وانتسب
تفاخر قيس به خندفا   وتعطيه منهـا أجل الرتب
ولا سيا ان غـدا فيهم   وسيطـاً بأكرم أم وأب

(١) الحاجة . (٢) الفقاقيع التي تعلو الخمر والماء . (٣) عطاؤه . (٤) المزيف الخداع . (ن.ر)

من الجعفريين في باذخ — من العز تنحط عنه الشهب
وعبدك يرغب في خلعة — ومثلك تشريفه يحتسب
ليرفع ذلك من قدره — وان كان قارب فيما طلب
ويشحذ خاطره كلما — اشرأب الى مدحكم وانتدب
فلي كلما ظفرت راحتي — بجود المظفر أوفى أرب
ففي كل دولة أنت عز لها — تنال الاماني بأدنى سبب
لانك من معشر من يرد — حياض مكارمهم لم يخب
وأعراضهم ابداً لم تزل — تصان وأموالهم تنتهب
هنيئاً لك العيد فانعم به — ودم ما بدا كوكب واحتجب
وما العيد أنت اذا ما حضرت — سواء علينا نأى أو قرب
وان غيب الغيم عنا الهلال — فلسنا نبالي اذا لم تغب
فدونكها حرة تجتلى — يناديك قائلها من كثب
أتاك بها إثر تهذيبها — حكيم تنخلها وانتخب
ولا خير في حكمة لا ترى — مطرزة بفنون الادب

ومن مطبوع قصائده الارجوزة التي وسمها بمعرة البيت، يذكر فيها ما ينال الانسان اذا عمل دعوة للندماء من المضرة والغرامة وهي هذه :

معرة[1] البيت على الانسان — تطرا بلا شك من الاخوان
فاصغ الى قول اخي تجريب — يأتك بالشرح على ترتيب
جميع ما يحدث في الدعوات — وكل ما فيها من الآفات
فصاحب الدعوة والمسره — لا بد ان يحتمل المضره
أولها لا بد من ثقيل — يكرهه القوم وذي تطفيل
صاحبها ان قدم الطعاما — يحتاج ان يحتمل الملاما
لو انه يندس في حرمه — لا بد ان يشرعوا في ذمه
يقول بعض عازه ابزار[2] — وبعضهم حافت عليه النار
وآخر هذا قليل الملح — يظهر أني فطن ذو نصح
ينهب ما بين يديه نهبا — ويشرب الماء القراح العذبا
يرى له في ذلك انتفاعا — وبعد ذلك يطلب الفقاعا[3]

---

(١) المساءة والغرم والاذى (ن.ر)
(٢) القابل وهي ما يطيب به الطعام .
(٣) الشراب يتخذ من الشعير ويصح اطلاقه اليوم على البيرةBière

بالثلج في الصيف وفي الشتاء   يلتمس النار بلا استحياء
وان يعزهم أثر ذا خلال[1]   قد نسلوا الحصر ولم يبالوا
وبعد هذا يحضر النبيذ   الطيب المنتخب اللذيذ
فواحد يقول هذا خل   وآخر ذا قافز معتل
وثم من يسأل عن راووق   يقول لا بد من التصفيق
وعند هذا تحضر البواطي[2]   ويمزج النبيذ باحتياط
فواحد يقول هذا صرف   ويقلب الماء ولا يكف
وآخر يقول ذا ممعود   فاجتنبوا الماء ولا تعودوا
والنقل لا بد مع المشموم   فغير مهجور ولا مسؤوم
فذا له في نقله اختيار   يروقه الريحان والخيار
وذا يقول الورد والتفاح   أحسن ما دارت عليه الراح
وان خشيت حجة المغاني   وخوفهم من ضامن القيان
عجل وقشقل[3] لهم الدينارا   في الحال ان كنت تخاف العارا
وربما قد حان منهم شطحه   تعيش ان تنعموا بالصبحه
وان دعوت القوم في كانون   لا بد من فحم على كانون
يطير منه ابداً شرار   يثبت في البسط لها آثار
ويصبح البساط بعد الجده   منقطاً كشبه جلد الفهده
فضلاً عن الكباب والشرائح   لكل غاد منهم ورائح
واعزل لهم عند انقضاء البرد   مراوحاً من بعد ماء الورد
وللندامى ابداً فنون   يظهرها الخمر فتستبين
فمنهم من يورد الاخبارا   عجباً بها ويؤثر الاكثارا
منعها جشعاً له بالمضغ   وليس فيهم من اليه يصغي
ويمسك الدور وينسى نفسه   قد غيب الادبار عنه حسه
ومنهم من يزن الكلاما   تراؤساً ويظهر الاعظاما
ومنهم من يظهر الوضاعه   تعمداً كي تضحك الجماعة
ومنهم من سكره قبيح   لا يأخذ الدور ولا يروح
وثم من يدخل وقت السكر   صاح ويحصي هفوات الخمر
ومنهم من في يديه خفه   اذا رأى شيئاً مليحاً لفه

---

(١) ما تخلل به الاسنان .
(٢) جمع باطية وهي اناء من الزجاج واسع الاعلى ضيق الاسفل .
(٣) لم اعثر على معنى هذه الكلمة في كلام معاجم اللغة العربية . (ن.د)

منيدلا للكم أو سكّينة أو طاسة التكعيب أو قنينة
وبعضهم موكل بقلع سلاسل تسيل فوق الشمع
يوهم ان يكسو بها فتيله وانما ذلك منه حيله
ولا تقل في الغمز والايماء اذا مضى القوم لبيت الماء
فان لقوا جارية أو عبدا قد قرصوا نهداً وعضوا خدا
وربما تطرق الفساد وكان من عرس الفتى انقياد
أو اخته أو بنته أو ابنه لا سيما ان راقهم بحسنه
وعندها قد تسمح النفوس ويطمع النديم والجليس
فانما الانسان من لحم ودم ليس بصخر جامد ولا صنم
وإن يكن فيهم أبو تلور فغير مأمون ولا معذور
يأكل ما يلقاه اكلا لما بلا اكتراث او يجيد اللقما
لا يشرب الراح مع الندامى لانه لا يؤثر المداما
وان تقع عربدة هنا كا فليس بشقى فيهم سوا كا
تنكسر الاقداح والقناني وكلما لاح من الاواني
وان تأدى الامر للجيران رموه بالزور والبهتان
ثم شكوه عاجلا للشحنه[1] وربما تمت عليه محنه
ويربح الانسان سوء السمعة لا سيما إن كان ليل جمعة
وان فشت بينهم جراح فليس يرجى للفتى ، صلاح
وان تردى بينهم قتيل فذاك شيء أرشه[2] قليل
وشربهم ان كان في عِلّيه فانه يقرّب المنيه
ولا تكن تنسى أذى الندمان والقيء فوق البسط في الاحيان
وبعده يلتمس الطعاما ليوصل الشرب مع الندامى
ولا الذي يلقى من النقار[3] اذا انتبهت وقت كنس الدار
من ربة البيت اذا ما نامت وخلفها الصعب اذا ما قامت
تذكره عند طلوع الشمس بكل ما دار له بالأمس
هذا اذا راحوا فان أقاموا واقتصدوا الصبوح ثم ناموا
فكيف ترجو بعد ذا فلاحا اذا بدا الصبح لهم ولاحا
لوح على القوم بخندريس في أثر الجردق والرؤوس

---

(١) الذين يقيمهم السلطان للمحافظة على الامن وهم الشرطة . (ن.ر)
(٢) الدية .
(٣) جمع نقرة وهي الوهدة المستديرة في الارض .

واستغن عن بعض اثاث الدار ان صار رهناً في يد الخمار
وان تضع بعض نعال ـوم فليس تخلو عاجـلاً من لوم
فوص ان يحفظهـا الغلام لكي يقل منهـم الملام
ولا تبـال ويك بالخساره وأكثر السرج على المنـاره
ومن أراد منهم الرواحـا فانـه يستلب المصباحـا
مستصحبـاً في يده قرابه مملوءة يرضي بهـا اصحابه
ولا تفكر في فراغ الزيت فكل هذا من خراب البيت
فصاحب الدعوة في خسران لا سيا إن لُزّ[1] بالميزان
وصاحب الوقت بغير شرب أحق مخلوق بصقع الجرب
يدل مـا يلزمه من غرم ان الفتى لا شك دقن سرم
وكان من ذا كله غنيـاً لو كان شهماً فطناً ذكياً
معرة مـا مثلهـا معرة تنحس من يُصلى بها في كرة
فالشرب عندي في بيوت الناس أحسن من هذا على القياس
وبعد هـذا كله فالتوبة أوفق ما دارت عليه النوبة
(الرجز)

وقال في البصرة سنة احدى وعشرين وخمسمائة :

أقول وقد أشرفت من نهر معقل على البصرة الغراء حييت من مصر
أيا حبذا ساحاتها ورسومهـا وطيب رباها لا عرين من القطر
فكم فيك من يوم لهوت وليلة برتجة الاعطـاف طيبة النشر
وان سفرت جنح الظلام نقابها رأيت لها وجهاً ينوب عن البدر
(الطويل)

وقال ايضاً :

ألا إن شرب الراح من أوكد الفرض على الورد والريحان والنرجس الغض
وكل امرىء أعطى الوضاعة حقها فذلك في عيش لذيذ وفي خفض
ومهما يكن بي دائماً من دعابـة فاني نقي الثوب والنفس والعرض
وان على أشياء مما تريبني اذا صاحب زلت به قدم اغضي
(الطويل)

وقال ايضاً :

ما خير عيش يرتجيه امرؤ حياته تفضي الى موته

---

(١) قرن . (ن ر)

والرزق مضمون فان منفس فات فلا تأس على فوته
(السريع)

وقال ايضاً :

رحلت فكدرت بالبعد ما صفا بدنوك والاقتراب
وكادت تصدع منا القلو ب بعدك لولا رجاء الاياب
(المتقارب)

وقال ايضاً :

ألا يا من لصب مستهام معنى لا يفيق من الغرام
وكيف يفيق محزون كئيب أضر بجسمه طول السقام
(الوافر)

وقال ايضاً :

ويح المحبين ليت لا خلقوا ما برحوا في العذاب مذ عشقوا
ولا رجوا راحة ولا فرجاً إلا وسدّت عليهم الطرق
(المنسرح)

وقال ايضاً :

ترى دراً يحيط به عقيق اذا ابدت ثناياها العذابا
وما زان الخضاب لها بناناً ولكن كفها زان الخضابا
(الوافر)

وقال ايضاً :

قلت لها اذا عيرتني ضنى مع انحناء الظهر والارتعاش
لا تهزئي ان وهنت أعظمي حبك منها داخل في المشاش
(السريع)

وقال لغزاً في عبد الكريم

بمهجتي يا صاح أفدي الذي تيمني تفتير عينيه
صرت له ثلث اسمه طائعاً وهو بوصلي ضد ثلثيه
كأنما وجنته اذ بدت انجم خيلان بخديه
هلال تم والثريا له مقلوب ما يشبه صدغيه
(السريع)

وقال ايضاً لغزاً في اسم شفتر وهو لقب لابي المعالي السلمي الشاعر

غزال من بني الاصفر سباني طرفه الاحور

لقد فضله الله بحسن الدل والمنظر
بحق الشفع والوتر وما قد ضمنا كوثر
فهذا اسم قضى الرحمن أن يلغز أو يستر
(الهزج)

وقال يهجو الطبيب المفشكل اليهودي على سبيل المرثية :

ألا عد عن ذكرى حبيب ومنزل وعرّج على قبر الطبيب المفشكل
فيا رحمة الله استهيني بقبره وكوني عن الشيخ الوضيع بمعزل
ويا منكراً جود هديت قذاله[1] بقنعة واسقله سقل السجنجل[2]
وكبكبه في قعر الجحيم بوجبة كجلمود صخر حطه السيل من عل
فــلا زال وكاف تزجيه ديمة عليــه بمنهل من السلح مسبل
لقد حاز ذاك اللحد اخبث جيفة وأوضع ميت بين ترب وجندل
ساسبل من بطني عليه مدامعي وأورده من مائها شر منهـل
لعل أبا عمران حن لشخصه وقــال له أسرع إلي وعجل
فما ضم بطن الارض أنجس منهما وأنذل من رهط الغوي السموأل
(الطويل)

وقال يهجو الاديب نصير الحلبي ايضاً على سبيل المرثية ، وكان نصير قد اشتغل بالكتابة وتعرض للشعر والطب والنجوم

يا هذه قومي اندبي مــات نصير الحلبي
يرحمــه الله لقــد كان طويل الذنب
قد ضجت الاموات في نكهته في الــترب
وودهم لو عــوضوا منه بكلب أجرب
والقوم بــين صارخ وممعن في الهرب
ومنكر يقــول ذا أوضع ميت مر بي
ما ضم بطن الارض بــين شرقها والمغرب
اخبث منــه طينة في عجمهــا والعرب
يا قوم مــا انجسه نصبــا على التعجب
أوصافــه من فحشه مسطورة في الكتب
وقــوله لمنكر أسرفت يــا معذبي

(١) ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .
(٢) المرآة (ن.د)

اما علمت أنني | شيخ لأهل الادب
والنحو والحكمة | والمنطق والتطبب
(الرجز)

وقال يهجو ملك النحاة :

لقد هب من باذهنك الورك | نسيم على عارضي ذا الملك
وأقبل سيل على اثره | فصار على وجهه مرتبك
كما درج الماء مر الصبا | ودبج أفق السماء الحبك
(المتقارب)

وقال يهجو أبا الوحش الشاعر :

اذا رمت ان أهجو أبا الوحش عاقني | خلائق لؤم عنه لا تتزحزح
تجاوز حد الذم حتى كأنه | بأقبح ما يهجى به المرء يمدح
(الطويل)

وقال يهجوه أيضاً :

ان دام في غيه وحيش | ولم يدع افكه وظلمه
سلقت آذانه بعنز | قد أكلوا في الحجاز لحمه
(البسيط)

وقال أيضاً

لنا صديق جفا وازور جانبه | قد أوجعتني يدي مما أعاتبه
ان قيل لي صفه يوماً قلت ذاك فتى | يحصى الحصى قبل أن تحصى مثالبه
(البسيط)

وقال يهجو عليان المعروف بالعكاز الحلبي :

شكا الينا العكاز داءه | فلم يجد عندنا دواءه
لان داء البغاء أعيا | كل امرىء يبتغي شفاءه
(البسيط)

وقال ايضاً :

اذا عنيت بمحموم نظمت له | بيتا فان زاد شيئاً عاد مفلوجا
فقل لقوم رأوا طبي لهم فرجاً | ليهنهم ان غدا بالشعر ممزوجا
يفرج الهم عن أحشاء ذي حرق | مضنى ويطعمه في الحال فروجا
(البسيط)

وقال في الشجاعة :

ارى الحرب تكسبني نجدة | اذا خامر القلب تذكارها

فان أنا في النوم أبصرتهـــا | تبـــين في الفرش آثارهـــا
(المتقارب)

وقال في قصيدته التي سماها ذات المناقب :

ومعشر قد جعلوني قدوة | يروني فيا اعـــاني أوحدا
تركت أعمارهم اذ ركنوا | الي في الطب كاعمـار الجدا
(الرجز)

وقال أيضاً :

سأظهر في اصلاح شأني تغافلا | ليعذرني من ظن أني ذو جهل
واهزل مهما قلت شعراً فان بدت | به ركة يوماً أحلت على الهزل
(الطويل)

وقال أيضاً :

وطارق ليل أمّني بعد هجعـة | فمتعت جنبيه بعجراء من سلم
فلو سمعت اذناك تحتي عواءه | لقلت ابن آوى عج في حندس الظلم
وقلت له لولا شقاؤك لم تسر | بليل ولم تحلل بربـع أبي الحكم
(الطويل)

وقال لما أدركته الوفاة في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة :

يا لهف نفسي اذا ادرجت في الكفن | وغيبوني عـــن الاهلين والوطن
وقيل لا يبعدن من كان ينشدنا | أنا الذي نظر الاعمى فلم يرني
(البسيط)

ثم أنشد يوم الثلاثاء قبل وفاته وأمر ولده أبا المجد ان يرويها بعد موته عنه .

ندمت على موتي وما كان من امري | فيا ليت شعري من يرثيكم بعدي
واني لاختـار الرجوع لو انني | أرد ولكن لا سبيل الى الرد
ولو كنت أدري انني غير راجع | لما كنت قد اسرعت سيراً الى اللحد
ألا هل من الموت المفرق من بد | وهل لزمـــان قد تسلف من رد
مضى الاهل والاحباب عني وودعوا | وغودرت في دهماء موحشة وحدي
لبعض على بعض لديكم مزية | ولا يعرف المولى لدينا من العبد
لئن كنت قـد أفرحتكم بمنيتي | وسركم موتي وآنسكم فقدي
فدقيوس تلميذي عليكم خليفتي | رضيت به في الهزل بعدي وفي الجد
فها أنا قد وليته الامر فاعلموا | وعما قليل سوف أسكنه عندي
ولا تقنطوا من رحمة الله بعد ذا | فليس لنا من رحمة الله من بد

ولابي الحكم من الكتب : ديوان شعره ، وسمي ديوانه هذا نهج الوضاعة .

أبو المجد بن أبي الحكم

هو أفضل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحكم ، عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي . من الحكماء المشهورين ، والعلماء المذكورين ، والأفاضل في الصناعة الطبية ، والاماثل في علم الهندسة والنجوم . وكان يعرف الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويجيد الغناء والايقاع والزمر وسائر الآلات ، وعمل أرغناً وبالغ في اتقانه . وكان اشتغاله على والده وعلى غيره بصناعة الطب ، وتميز في علمها وعملها ، وصار من الاكابر من أهلها . وكان في دولة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي[1] رحمه الله . وكان يرى له ويحترمه ، ويعرف مقدار علمهوفضله . ولما أنشأ الملك العادل نور الدين البيمارستانالكبير جعل أمر الطب اليه فيه ، وأطلق له جامكية وجراية ، وكان يتردد اليه ويعالج المرضى فيه .

وحدثني شمس الدين أبو الفضل بن ابي الفرج الكحال المعروف بالمطواع ، رحمه الله، انه شاهده في البيمارستان ، وان أبا المجد بن أبي الحكم كان يدور على المرضى به ويتفقد أحوالهم ، ويعتبر امورهم وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى . فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك . قال : وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه الى القلعة وافتقاده المرضى من اعيان الدولة يأتي ويجلس في الايوان الكبير الذي للبيمارستان وجميعه مفروش ، ويحضر الاشتغال . وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية ، وكانت في الخرستانين اللذين في صدر الايوان فكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون اليه ويقعدون بين يديه ، ثم تجري مباحث طبية ويقرىء التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ، ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ، ثم يركب الى داره . وتوفي أبو المجد بن أبي الحكم بدمشق في سنة (*) وخمسمائة .

ابن البذوخ

هو أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي. كان فاضلاً خبيراً بمعرفة الادوية المفردة والمركبة، وله حسن نظر في الاطلاع على الامراض ومداواتها . واقام بدمشق سنيناً كثيرة ، وكانت له دكان عطر باللبادين يجلس فيها ، ويعالج من يأتي اليه أو يستوصف منه . وكان يهيىء عنده ادوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والاقراص والسفوفات وغير ذلك ، يبيع منها وينتفع الناس بها . وكان معتنياً بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الامراض ومداواتها . وله حواش على كتاب القانون لابن سينا . وكان له ايضاً اعتناء بعلم الحديث ، ويشعر وله رجز كثير إلا ان اكثر شعره ضعيف منحل . وعمّر عمراً طويلاً ، وضعف عن الحركة

---

(١) أتابك حلب ودمشق (١١١٨ – ١١٧٤) . حارب الصليبيين واجلاهم عن البلاد السورية وفلسطين ، وتوفي في دمشق . (ن ر)

(*) بياض بالاصل .

حتى انه كان لم يأت الى دكانه إلا محمولاً في محفة . وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينه ، لانه كان كثيراً يغتذي باللبن ويقصد بذلك ترطيب بدنه. وتوفي بدمشق في سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة

ومن شعر ابن البذوخ قال وهو من قصيدة كبيرة له في ذكر الموت والمعاد فمن مختارها :

يا رب سهل لي الخيرات افعلها ... مع الانام بموجودي وامكاني
فالقبر باب الى دار البقاء ومن ... للخير يغرس أثمار المنى جاني
وخير انس الفتى تقوى بصاحبه ... والخير يفعله مع كل انسان
يا ذا الجلالة والاكرام يا املي ... اختم بخير وتوحيد وايمان
ان كان مولاي لا يرجوك ذو زلل ... بل من أطاعك، من للمذنب الجاني؟
عشر الثمانين يا مولاي قد سلبت ... أنوار عيني وسمعي ثم اسناني
لا استطيع قياما غير معتمد ... ما بين اثنين ، شكوائي لرحماني
وما بقي في لذيذ يستلذ به ... لي لذة غير تنصيت لقرآن
أو شرحه او شروحات الحديث وما ... يختص بالطب او تفكيه لقران
فالشيخ تعميره يفضي الى هرم ... يذله او عمى او داء ازمان
فموته ستره اذ لا محيص له ... عن الممات فكم يبقى لنقصان
نعوذ بالله من شر الحياة ومن ... شر الممات وشر الانس والجان
ان الشيوخ كأشجار غدت حطبا ... فليس يرجى لها توريق اغصان
لم يبق في الشيخ نفع غير تجربة ... وحسن رأي صفا من طول أزمان
يا خالق الخلق يا من لا شريك له ... قد جئت ضيفاً لتقريني بغفران
مولاي مالي سوى التوحيد من عمل ... فاختم به منعماً يا خير منان

(البسيط)

وقال في مدح كتب جالينوس :

اكرم بكتب لجالينوس قد جمعت ... ما قال بقراط والماضون في القدم
كديسقوريدس علم الدواء له ... مسلم عند اهل الطب في الامم
فالطب عن ذين مع بقراط منتشر ... من بعدهم كانتشار النور في الظلم
بطبهم تقتدي الافكار مشرقة ... ترى ضياء الشفا في ظلمة السقم
لا تبتغي في شفاء الداء غيرهم ... فان وجدانه في الطب كالعدم
لانهم كملوا ما اصلوه فما ... يحتاج فيهم الى اتمام غيرهم
الا الدواء فما تحصى منافعه ... وعده كثرة في العرب والعجم
عد النجوم نبات الارض اجمعها ... من ذا يعد جميع الرمل والأكم
في كل يوم ترى في الارض معجزة ... من التجارب والآيات والحكم

ولابن البذوخ من الكتب : شرح كتاب الفصول لابقراط ، ارجوزة. شرح كتاب تقدمة المعرفة لابقراط ارجوزة . كتاب ذخيرة الالباء . المفرد في التأليف عن الأشباه . حواش على كتاب القانون لابن سينا .

حكيم الزمان عبد المنعم الجلياني

هو حكيم الزمان ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الاندلسي الجلياني . كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل وأعمالهما بارعاً في الادب وصناعة الشعر وعمل المديحات . أتى من الاندلس الى الشام . وأقام بدمشق الى حين وفاته ، وعمر عمراً طويلاً . وكانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه . وله في صلاح الدين مدائح كثيرة ، وصنف له كتباً وكان له منه الاحسان الكثير والانعام الوافر . وكان حكيم الزمان عبد المنعم يعاني ايضاً صناعة الكيمياء . وتوفي بدمشق في سنة (*) وستمائة وخلف ولده عبدالمؤمن بن عبدالمنعم وكان كحالاً ويشعر ايضاً ويعمل مديحات. وخدم بصناعة الكحل الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب وتوفي بمدينة الرها في سنة (**) وعشرين وستمائة .

ومن شعر حكيم الزمان عبد المنعم الجلياني مما نقلته من خطه ، وهو ايضاً مما سمعته من ابي قال : انشدني الحكيم عبد المؤمن المذكور ، فمن ذلك قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب ووجهها اليه من مدينة دمشق الى مخيمه المنصور بظاهر عكا ، وهو محاصر للفرنج المحاصرين لمدينة عكا ، فعرضت عليه في شهر صفر سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وهذه القصيدة تسمى التحفة الجوهرية .

رفاهية الشهم اقتحام المظائم ... طلابا لعز او غلابا لضائم
فلم يحظ بالعلياء من هاب صدمة ... فغض عنانا دون قرع الصوارم
فأي اتضاح كان لا بعد مشكل ... وأي انفساح بان لا عن مآزم
هي الهمة الشماء تلحظ غاية ... فترمي اليها عن قسي العزائم
فما انساح سرب لم يصل سبب العلا ... ولا ارتاح ندب لم يصل بصوارم
فليس بحي سالك في خسائس ... وليس بميت هالك في مكارم
وما الناس إلا راحلون وبينهم ... رجال ثوت آثارهم كالمعالم
بعزة بأس ، واطلاع بصيرة ... وهزة نفس واتساع مراحم
حظوظ كمال اظهرت من عجائب ... بمرآة شخص ما اختفى في العوالم
وما يستطيع المرء يختص نفسه ... الا انما التخصيص قسمة راحم

(*) و (**) بياض بالاصل في الموضعين .

وأعظم أهل الفضل من ساد بالقوى … فقاد بسبق الطبع اقوى الاعاظم
ترى ضمت الافلاك ملكاً كيوسف … من الجيل اللاتي خلت في الاقادم
فما مثل ملك ساسه في أحادث … ولا مثل حرب هاجها في ملاحم
أباني دار العدل في مارق الوغى … بسرب آن من دماء الغواشم
فديتك من معل لدينك مبتن … وافديك من مبل لضدك هادم
فأنت الذي أيقظت حزب محمد … جهاداً وهم في غفلة المتناوم
فحاربت للايمان لا لضغائن … ورابطت للرضوان لا لمغانم
أجدك لن ينفك يضرب هكذا … قبابك حيث اشتك سدم اللهاذم
وفي حجرات النقع سبح صوارخ … كأمواج لج للهضاب ملاطم
ومقلعة أمراسها وشراعها … عنان وخفاق بصعدة داهم
فكيف رست فيها خيامك اذ جرت … سفين كماء في بحار شياظم (١)
فلم يبق الا ملتق بأسنة … ولا يلق الا متق بحيازم
فلا طنب الا توثب مقدم … ولا وتد الا تجلد عارم
فدارك والابطال ثارت حيالها … مقر سرور في مفر مآثم
لانك فيها اذ هفوا جالس على … سرير ثبات مطمئن القوائم
وانك فيهم اذ سطوا خالس طلي … كبير نياب مرجحن (٢) الشكائم
فأنت المليك الناصر الحق ممنعاً … يرى دهم شوك الحرب مهد النواعم
أتعشقك الهيجاء أم أنت عاشق … لها في وصال من حبيبين دائم
شتاء وصيفاً لا نزال نراك في … مساء وصبح كالاذان الملازم
فهجرت (٣) حتى قيل ليس بقائل … وبيت حتى قيل ليس بنائم
وأرجفت روما اذ خرقت فرنجة … فكانوا غثاء في سيول الهزائم
كددتهم (٤) أعلى التلال كأنهم … ضباب كدى فزّت لأضباب حاطم
وفيت لهم حتى احبوك ساطيا … فهم ووفاء العهد قيد المخاصم
فخانوا فحابوا فانتدوا فتلاوموا … فقالوا خذلنا بارتكاب الجرائم
وخص صلاح الدين بالنصر اذ اتى … بقلب سليم راحماً للمسالم
فحطوا بأرجاء الهياكل صورة … لك اعتقدوها كاعتقاد الاقانم
يدين لها قس ويرقى بوصفها … ويكتبه يشفى به في التمائم
يعجل للمرء الجزاء بفعله … فطوبى لصبار وبؤس لآثم

(١) طوال شداد .
(٢) ارجحن : مال واهتز .
(٣) سار في الهاجرة .
(٤) كده : طرده طرداً شديداً .

وقــد نفسد الحر الكريم جليسه … وتضعف بالايهــام قوة حــازم
اذا لج لوم من سفيه لراشد … توهم رشداً في سفاهــة لائم
عجبت من الانسان يعجب وهو في … نقــائص أحوال قسيم السوائم
يرى جوهر النفس الطليق فيزدهي … ويذهل عن اعراض جسم لوازم
ديون اضطرار تقتضي كل ساعة … فتنقرض الاعمــار بـين المغارم
وكل مغرور بحسب حيــاته … ويغريه بالادنى خفــاء الخواتم
وجمّاع مال لا انتفاع له بــه … كما مص مشروطا زجاج المحاجم
يفيض وما أوعاه يرعاه مهدفــاً … لرشفة صــاد أو لرشفة صادم
ومن عرف الدنيا تيقن انهــا … مطية يقظان وطيفة حــالم
فلله ساع في مناهج طــاعة … لإيلاف عدل أو لإتــلاف ظالم
أفــاتح بيت القدس سيفك مفتح … لقفل الهدى مغلاق باب المــآثم
فحكمت في الضدين غير معارض … فاحكمت في نفر الوغى المتخاصم
فأطلقت تركا في ظهور سوابــح … وأغربت شركا في بطون القشاعم
غداة قدَحْت البيض في آل أصفر … فـلم يبق زنـــد منهم في معاصم
واذ درجوا كالرمل أعجز عــدة … الى تل عــكا كالدبى (١) المتراكم
وكالنحل ملتفا كوارثه هــوى … من التــل تخشى منهم كالمرادم
كأن لهم في تل عــكا مصادة … يحاش لهــا أسراب وحش سوائم
فسرب كسير موبق في حفائر … وسرب حسير مرهق في مقــاحم
فكم ملك منهم أتاهــا بكاثرة … فزادهم نقصــاً زيادة عــادم
يشقون من اسبان أثباج (٢) زاخر … ومن رومة الكبرى فجاج (٣) مخارم
فهالوا بنجديّ جاريات ووخد (٤) … وذابوا بجديّ مخدم لــك هاضم
غسلت الطراز الاخضر الرقم منهم … بصوت نجيــع أحمر القطر ساجم
ولو انبت المرج النفوس لاينعت … بمـا ساح فيه عن حشا وغـلاصم
قليب كلى يسقى بإشطان ذابـل … وعــين طلى تجري بميزاب صارم
وأضلع فرسان نعال سوابك … وأروس أعيان غواشي البراجم
كذا فليرصع جوهر القول متحف … بــه للمليك مثل يوسف عــالم
فتى ذهنه يرمي بشهب خواطر … تشق دجون المغمضات العواتم
يهاب رقيق الشعر رقــة طبعه … كما هاب منه اليأس غلب الضراغم

---

(١) الجراد .

(٢) جمع ثبج وهو الوسط او معظمه . (٣) الطرق الواسعة بين جبلين او في الجبل .

(٤) الوخد ضرب من سير الابل او الخيل . (ن . ر)

وينتحل الوصاف رونق نعتـه كما انتحلت جدواه وطف الغمائم
وما زلت أجلو من حلاه عرائساً يظل بهـا أهل النهى في ولائم
بمنتظم التفضيل طلق كـأنه مفلـج ثغر مستنير المبـاسم
معان كبهر السحر في عقد ناظر ولفظ كشذر التبر في عقد ناظم
سما عن حضيض الشعر في اوج حكمة وجل بصاحي الفكر عن نهج هائم
ستنسى بذكراه أقاويل من مضى وينبت نوراً شائعاً في الاقالم
كما شاع هـذا الامر في الخلق مزريا بتبع اعراب وكسرى أعـاجم
ففرضا أرى مدحي له متجنبـاً مديح سواه كاجتناب المحـارم
وليس اجتداء بـل تحية شاكر وتـأييد آثار وتأييد عـازم
فيا خـير قوام على خير مـلة يكافح عنها كل الب[1] مقاوم
تمسك بحبـل الله معتصما بـه فليس سواه ناصر نصر عـاصم
تمسك بمن أعطاك ما قـد رجوته ويعطيك مما ترجو لحسنى الخواتم
بعثت بهـا والشوق يقدم ركبها الى مجلس فيه منى كل قـادم
بعيد المدى ، عدن الجدا نار من عدا مفيد الهدى مروي صدى كل حائم
سلام على ذاك المقام الذي بـه أقيم عمود المكرمـات العظـائم
(الطويل)

وقال ايضاً :

أتاح له نجـواه بعض شقائه فباح بما اخفاه من برحائه
متى لمحت عين العليل طبيبه فلا بد أن يومي اليه بدائه
وكم في الهوى من مكتس برد وجده وملتحف من ُدائه بردائه
سباه حبيب غاب في فيض حسنه فأعشى عيونـاً أولعت ببهائه
وليس له ثان يـلاذ به فمـن حواه هواه لم يزل في حوائـه
(الطويل)

وقال ايضاً :

على سوق شوقي تستقل الركائب وعن صون دمعي تستهل السحائب
فما البرق الا من حنيني نابض ولا الرعد الا من انيني نادب
نأيتم فلا صبر من القلب حاضر لدي ولا قلب عن الذكر غائب
ففي كل وقت لي اليكم تطلع وفي كل حال لي عليكم معاتب
ويا ليت شعري بعدنا من صحبتم فما بعدكم غير الهوى لي صاحب
(الطويل)

(١) الإلب : القوم تجمعهم عداوة واحدة اي عدو واحد . (ن. ر)

وقال ايضاً :

بذلت وقتاً للطب كيلا ألقى بني الملك بالسؤال
فكان وجه الصواب لي ان أصون نفسي بالابتذال
لا بد للجسم من قوام فخذه من جانب اعتدال
واقرب من العز في اتضاع واهرب من الذل في المعالي
(البسيط)

وقال ايضاً

يا منكر المسح اذ رآه أحسن مما قد اقتناه
اصبر له اربعين يمسي أنعم للجسم من سواه
لا يستقيم المريد حتى يقوى قواه على هواه
(البسيط)

وقال ايضاً

اقبل ذو دولة فقالوا لمثل ذا فاتخذ ملاذا
فقلت للحاضرين حولي أجائز أن يموت هذا
قالوا : نعم ، قلت : فهو طل يعطش من ظنه رذاذا
قد ذل من لاذ بالفواني وعز من بالقديم لاذا
(البسيط)

وقال ايضاً :

من لم يسل عنك فلا تسألن عنه ولو كان عزيز النفر
وكن فتى لم تدعه حاجة الى امتهان النفس الا نفر
(السريع)

وقال ايضاً :

لا تصدّق عليك عقد صداق واغن بالمطل فيه عن ترويج
ومتى ما ذكرت يوم الخطب فلتكن خطبة بلا تزويج
(الخفيف)

وقال ايضاً :

قالوا نرى نفراً عند الملوك سموا وما لهم همة تسمو ولا ورع
وأنت ذو همة في الفضل عالية فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا
فقلت باعوا نفوساً واشتروا ثمناً وصنت نفسي فلم اخضع كما خضعوا
قد يكرم القرد اعجاباً بخسته وقد يهان لفرط النخوة السبع
(البسيط)

ولحكيم الزمان عبد المنعم الجلياني عدة من الكتب . فما قاله من منظوم الكلام ومطلقه عشرة دواوين : «الاول» ديوان الحكم وميدان الكلم يشتمل على الاشارة الى كل غامض المدرك من العلم ، والى كل صادق المنسك من العمل ،والى كل واضح المسلك منالفضيلة وهو نظم والثاني ديوان المشوقات الى الملا الاعلى وهو نظم . والثالث: ديوان أدب السلوك ، وهو كلام مطلق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المبصرات . والرابع كتاب نوادر الوحي ،وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معان من القرآن العظيم ، ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم . والخامس كتاب تحرير النظر ، وهو يشتمل على كلمات حكمة مفردات في البسائط والمركبات والقوى والحركات. والسادس كتاب سر البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب . والسابع ديوان المبشرات والقدسيات ، وهو نظم وتدبيج وكلام مطلق ، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب فاتح مدينة البيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . والثامن ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيتي ، وما يتصل به منظوماً . والتاسع ديوان تشبيهات وألغاز ورموز وأحاجي وأوصاف وزجريات وأغراض شتى منظوماً. والعاشر ديوان ترسل ومخاطبات في معان كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والادعية . وله ايضاً من الكتب : كتاب منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر ، من خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ألفه في سنة تسع وستين وخمسمائة. تعاليق في وصفات أدوية مركبة.

أبو الفضل بن أبي الوقار

هو الشيخ الأجل العالم أبو الفضل اسمعيل بن ابي الوقار ، أصله من المعرة ، وأقام بدمشق ، وسافر الى بغداد ، وقرأ على أفاضل الاطباء من اهلها ، واجتمع بجماعة من العلماء بها ، وأخذ عنهم . ثم عاد الى دمشق وكان متميزاً في صناعة الطب علمها وعملها ، كثير الخير ، محمود الطريقة ، حسن السيرة ، وافر الذكاء . وكان في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، ويعتمد عليه في صناعة الطب ، وكان لا يفارقه في السفر والحضر . وله الحظ الوافر والانعام الكثير . وتوفي الملك العادل نور الدين ، وهو في حلب ، في العشر الاول من شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

مهذب الدين بن النقاش

هو الشيخ الامام العالم أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش ، مولده ومنشؤه ببغداد . عالم بعلم العربية والأدب ، وكان يتكلم الفارسي . واشتغل بصناعة الطب على الأجل أمين الدولة هبة الله بن صاعد بن التلميذ ، ولازمه مدة واشتغل بعلم الحديث . سمع ببغداد من أبي القاسم عمر بن الحصين ، وحدث عنه . سمع منه القاضي عمر بن القرشي وروى عنه حديثاً في معجمه . وكان ابو عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقاش بزازاً أديباً . قال عماد الدين ابو عبد الله محمد بن حامد الاصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة : أنشدني مهذب الدين أبو الحسن علي بن النقاش لوالده :

اذا وجد الشيخ في نفسه . نشاطاً فذلك موت خفي

ألست ترى ان ضوء السراج له لهب قبل ان ينطفي
(المتقارب)

قال : وأنا لقيت أبا عبد الله بن النقاش ببغداد ، وتوفي رحمه الله في العشرين من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة بها بعد مسيري الى اصبهان قال : وقرأت بخط السمعاني أنشدني أبو عبد الله النقاش لنفسه :

رزقت يساراً فوافيت من قدرت به حين لم يرزق
وأملقت من بعده فاعتذرت اليه اعتذار أخ مملق
وان كان يشكر فيما مضى بذا فسيعذر فيما بقي
(المتقارب)

قال ، قال ، وأنشدني لنفسه ايضاً من قطعة :

وكذا الرئيس فانه عندي كمجرى الروح يجري
أنكرت في دلف عليه تهتكا من بعد ستر
كيف السلو وقد تملك مهجتي من غير أمري
قمر تراه اذا استمر كمثل أربعة وعشر
يرفو بنجلاوين يسقم من سقامهما ويبري
واذا تبسم في دجا ليل شهدت له بفجر
وبورد وجنته وحسن عذاره قد قام عذري
(الكامل)

أقول : ولما وصل مهذب الدين بن النقاش الى دمشق بقي بها يطب ، وكان أوحد زمانه في صناعة الطب ، وله مجلس عام للمشتغلين عليه . ثم توجه الى الديار المصرية ، واقام بالقاهرة مدة . ثم رجع الى دمشق ، ولم يزل مقيما إلى حين وفاته . وخدم بصناعة الطب الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي ، وكان يعاني أيضاً كتابة الانشاء : وكتب كثيراً لنور الدين المراسلات والكتب الى سائر النواحي ، وكان مكيناً عنده . وخدم ايضاً في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بدمشق ، وبقي به سنين . وكتب الامير مؤيد الدولة أبو المظفر اسامة بن منقذ [1] الى مهذب الدين ابن النقاش يستهدي دهن بلسان

ركبتي تخدم المهذب في العلم وفي كل حكمة وبيان
وهي تشكو اليه تأثير طول العمر في ضعفها وطول الزمان
فلها فاقة الى ما يقويها على مشيها من البلسان

(١) من فرسان العرب ولد في شيزر شمالي حماة وتوفي في دمشق (١٠٩٥ — ١١٨٨) وهو اديب ومؤلف .
(٢) او البيلسان وهو شجر له زهر ابيض عطر الرائحة .

كل هذا علالة ما لمن جاز الثمانين بالنهوض يدان
رغبة في الحياة من بعد طول العمر والموت غاية الانسان

(الخفيف)

فبعث اليه ما أراد من ذالك ، ولم يزل في خدمة نور الدين الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاة نور الدين في شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بدمشق . وخدم مهذب الدين بن النقاش أيضاً بصناعة الطب بعد ذلك للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . لما ملك دمشق . وحظي عنده . وكان مهذب الدين بن النقاش كثير الاحسان محباً للجميل يؤثر التخصص . ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً ، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق في يوم السبت ثاني عشر محرم سنة اربع وسبعين وخمسمائة ودفن بها في جبل قاسيون [1] .

ابو زكريا يحيى البياسي

هو أمين الدين أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الاندلسي البياسي من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وتميز في العلوم الرياضية . وصل من المغرب الى ديار مصر ، واقام بالقاهرة مدة ، ثم توجه الى دمشق وقطن بها . وقرأ على مهذب الدين أبي الحسن علي بن عيسى ابن هبة الله المعروف بابن النقاش البغدادي ، ولازمه وكتب الستة عشر لجالينوس وقرأها عليه . وكتب بخطه كتبا كثيرة جدا في الطب وغيره . وكان يعرف النجارة ، وعمل لابن النقاش آلات كثيرة تتعلق بالهندسة . وكان أبو زكريا يحيي البياسي جيد اللعب بالعود ، وعمل الارغن ايضاً ، وحاول اللعب به ، وكان يقرأ عليه علم الموسيقى . وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بصناعة الطب ، وبقي معه مدة في البيكار ثم استعفى من ذلك . وطلب المقام بدمشق فاطلق له الملك الناصر جامكية وبقي مقيما في دمشق وهو يتناولها الى ان توفي رحمه الله

سكرة الحلبي

كان شيخاً قصيراً من يهود مدينة حلب . وكانت له دربة بالعلاج ، وتصرف في المداواة . حدثني الشيخ صفي الدين خليل بن أبي الفضل بن منصور التنوخي الكاتب اللاذقي قال : كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بحلب ، وكانت له في القلعة بها حظية يميل اليها كثيراً ، ومرضت مرضاً صعباً . وتوجه الملك العادل الى دمشق وبقي قلبه عندها ، وكل وقت يسأل عنها فتطاول مرضها ، وكان يعالجها جماعة من افاضل الاطباء ، واحضر اليها الحكيم سكرة فوجدها قليلة الاكل متغيرة المزاج ، لم تزل جنبها الى الارض ، فتردد اليها مع الجماعة . ثم استأذن الخادم في الحضور اليها وحده فأذنت له ، فقال لها : يا ستي أنا اعالجك بعلاج تبرئي به في اسرع وقت ان شاء الله تعالى ، وما تحتاجي

(١) هو الجبل المطل على دمشق من الجهة الشمالية .

معه الى شيء آخر. فقالت : افعل. فقال : اشتهي ان مها اسألك عنه تخبريني به ولا تخفيني. فقالت: نعم . واخذ منها اماناً فقال : تعرفيني مـا جنسك ؟ فقالت : علانية [1] . فقال : العلان في بلادهم نصارى ، فعرفيني ايش كان اكثر اكلك في بلدك ؟ فقالت : لحم البقر . فقال : يا ستي ، وما كنت تشربي من النبيذ الذي عندهم : فقالت : كذا كان. فقال : ابشري بالعافية . وراح الى بيته واشترى عجلاً وذبحه وطبخ منه ، وجاب معه في زبدية منه قطع لحم مسلوق ، وقد جعلها في لبن وثوم ، وفوقها رغيف خبز فأحضره بين يديها وقال : كلي . فمالت نفسها اليه ، وصارت تجعل اللحم في اللبن والثوم وتأكل حتى شبعت . ثم بعد ذلك اخرج من كمه برنية صغيرة ، وقال : يا ستي هذا شراب ينفعك فتناوليه فشربته ، وطلبت النوم ، وغطيت بفرجية فرو سنجاب ، فعرقت عرقـاً كثيراً واصبحت في عافية . وصار يجيب لها من ذلك الغـذاء والشراب يومين آخرين ، فتكاملت عافيتها فانعمت عليه ، واعطته صينية مملوءة حلياً . فقال : اريد مع هذا ان تكتبي لي كتاباً الى السلطان وتعرفيه ما كنت فيه من المرض وانك تعافيت على يدي ، فوعدته بذلك وكتبت الى السلطان تشكر منه ، وتقول له فيه انها كانت قد اشرفت على الموت وان فلاناً عالجني وما وجدت العافيـة إلا على يديه ، وجميع الاطباء الذين كانوا عندي ما عرفوا مرضي . وطلبت منـه ان يحسن اليه . فلما قرأ الكتاب استدعاه واحترمه ، وقال له : هم شاكرون من مداواتك. فقال : يا مولانا كانت من الهالكين، وانما الله ، عز وجل ، جعل عافيتها على يدي لبقية أجل كان لها . فاستحسن قوله ، وقال : ايش تريد أعطيك . فقال : يا مولانا تطلق لي عشرة فدادين خمسة في قريـة صمع وخمسة في قرية عنداان . فقال : نطلقها لك بيعاً وشراء حتى تبقى مؤبدة لك. وكتب له بذلك وخلع عليه . وعاد الى حلب وكثرت أمواله بها . ولم يزل في نعمة طائلة بها وأولاده بعده .

عفيف بن سكرة

هو عفيف بن عبد القاهر سكرة يهودي من اهل حلب ، عارف بصناعة الطب ، مشهور بأعمالها وجودة النظر فيها . له أولاد وأهل اكثرهم مشتغلون بصناعة الطب ، ومقامهم بمدينة حلب .

ولعفيف بن سكرة من الكتب : مقالة في القولنج الفها للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب، وذلك في سنة اربع وثمانين وخمسمائة .

ابن الصلاح

هو الشيخ العالم نجم الدين ابو الفتوح أحمد بن محمد بن السري ، وكان يعرف بابن الصلاح فاضل في العلوم الحكمية جيد المعرفة بها مطلع على دقائقها وأسرارها، فصيح اللسان قوي العبارة مليح التصنيف

---

(١) وتسمى ايضاً ألللان او الآس وهي قبيلة فارسية تدين بالنصرانية وغلبهم المغول فتفرقوا في آسيا الوسطى حتى الصين.

متميز في علم صناعة الطب ، وكان أعجمياً أصله من همدان ، وقطن ببغداد واستدعاه حسام الدين تمرتاش [1] بن الغازي بن ارتق اليه واكرمه غاية الاكرام، وبقي في صحبته مدة . ثم توجه ابن الصلاح الى دمشق . ولم يزل بها الى ان توفي ، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق ليلة الاحد سنة نيف واربعين وخمسمائة ودفن في مقابر الصوفية عند نهر بانياس بظاهر دمشق

ونقلت من خط الشيخ الحكيم أمين الدين أبي زكريا يحيى بن اسمٰعيل البياسي رحمه الله قال : كان قد ورد الى دمشق الشيخ الامام العالم الفيلسوف أبو الفتوح بن الصلاح من بغداد ، ونزل عند الشيخ الحكيم أبي الفضل اسمٰعيل ابن أبو الوقار الطبيب. واراد ابن الصلاح ان يستعمل له تمشكا بغداديا، وسأل عن صانع مجيد لعمل ذلك ، فدل على رجل يقال له سعدان الاسكاف . فاستعمل التمشك عنده ، ولما فرغ منه بعد مدة وجده ضيق الصدر زائد الطول رديء الصنعة ، فبقي في اكثر أوقاته يعيبه ، ويستقبح صنعته ، ويلوم الذي استعمله . وبلغ ذلك الشيخ أبا الحكم المغربي الطبيب ، فقال على لسان الفيلسوف هذه القصيدة على سبيل المجون ، وذكر فيها اشياء كثيرة من اصطلاحات المنطق والالفاظ الحكمية والهندسية وهي :

مصابي مصاب تاه في وصفه عقلي — وامري عجيب شرحه يا أبا الفضل
أبثك ما بي من اسى وصبابة — وما قد لقيت في دمشق من الذل
قدمت اليها جاهلاً بامورها — على انني حوشيت في العلم من جهل
وقد كان في رجلي تمشك فخانني — عليه زمان ليس يحمد في فعل
فقلت عسى ان يخلف الدهر مثله — وهيهات ان القاه في الحزن والسهل
ولاحقني نذل دهيت بقربه — فلله ما قاسيت من ذلك النذل
فقلت له يا سعد جد لي بحاجة — تحوز بها شكر امرىء عالم مثلي
بحقي عسى تستنخب اليوم قطعة — من الادم[2] المدبوغ بالعفص[3] والخل
فقال على رأسي وحقك واجب — على كل انسان يرى مذهب العقل
فناولته في الحال عشرين درهماً — وسوفني شهرين بالدفع والمطل
فلما قضى الرحمن لي بنجازه — وقلت ترى سعد انجز لي شغلي
أتى بتمشك ضيق الصدر أحنف — بكعب غدا حتفاً على الكعب والرجل
وبشليكه بشليك سوء مقارب — أضيف الى نعل شبيه به فسل
بشكل على الاذهان يعسر حله — ويعيي ذوي الالباب والعقد والحل
وكعب الى القطب الشمالي مائل — ووجه الى القطب الجنوبي مستعلي
وما كان في هندامه لي صحة — ولكن فساد شاع في الفرع والاصل
موازاة خطى جانبيه تخالفاً — فجزء الى علو وجزء الى سفل

(١) صاحب ماردين (١١٠٤ – ١١٥٢) وفي ايامه جرت الحروب الاهلية بين امراء المسلمين وانتهى الامر بانتصار الافرنج عليهم .
(٢) الحق الجلد . (٣) ثمر شجر الملول يتخذ منه الحبر .

وكم فيه من عيب وخرز مفتــق ... يعاف ومن قطع من الزيج[١] والنعل
بوصل ضروري وقــد كان ممكناً ... لعمرك ان يأتي التمشك بلا وصل
وفيه اختلال من قيــاس مركب ... فلا ينتج الشرطي منه ولا الحملي
فلا شكله القطاع مما يليق ان ... أصون به رجلي فلا كان من شكل
ولا جنس ايساغوجه بين ولا ... يحد له نوع اذا جيء بالفصل
فساد طرافى شكله عند كونــه ... فقل اي شيء عن مقابحه يسلي
وقــد كان فيه قوة لمرادنــا ... فأعوزنا منه الخروج الى الفعل
فلو كــان معدول الكمال احتملته ... ولكن سليب الحس في الجزء والكل
فيا لك في ايجاب ما الصدق سلبه ... وعدل قضايا جاء من غير ذي عدل
وما عــازني فيه اختــلال مقوله ... فجوهره والـكم والكيف في خبل
وأي القضايا لم يــبن فيه كذبهــا ... وأي قيــاس ليس فيــه بمعتل
لقد أعوز البرهان منــه شرائط ... فايجــابه ثم الضروري والكلي
اذا حط في شمس فمخروط باشه ... لملتفت يبدي انحرافــاً الى الظل
وطبطب في رجلي والصيف ما انقضى ... فكيف به ان صرت في الطين والوحل
فاذهلني حتى بقيت مغيبــاً ... ولم يبق لي سعدان يا صاح من عقل
وفي كل ذا قد بان نقف دماغه ... فاهون بشخص ناقص العقــل مختل
وأخرب بيت منه في الخلق ما ترى ... سريعــاً وأولى بالهوان وبالازل[٢]
واوقليدس لو عاش أعيــا انحلاله ... عليــه لان الشكل ممتنع الحــل
فحينئذ أقسمت بالله خــالقي ... وهود[٣] أخي عاد[٤] وشيث[٥] وذي الكفل[٦]
وسورة يس وطــه ومريم ... وصاد وحم ولقمان والنمل[٧]
لئن لم اجــد في المزلقان ملاسة ... تؤاتي كرامي لا جعلنــاه في حل
ولا قلت شعراً في دمشق ولا أرى ... اعاتب اسكافاً بجــد ولا هزل
دهيت بــه خــلا ينغص عيشتي ... فلا بارك الرحمن لي فيه من خــل
وكم آلم الاسكاف قلبي بمطــله ... ولاقيت ما لاقاه موسى[٨] من العجل
وكان ارسطاليس يــدهى بمعشر ... يرومون منه ان يوافق في الهزل
وبقراط قد لاقى أموراً كثيرة ... ولكنه لم يلق في اهــله مثلي
وقد كان جالينوس ان عض رجله ... تمشك يداوي العقر بالمرهم النخلي

---

(١) اصل الزيج خيط البناء وفي علم الهيئة : الجدول الذي يستدل به على حركة الكواكب السيارة .
(٢) الضيق والشدة .
(٣) نبي ارسله الله لاهل عاد. (٤) قوم هود . (٥) ثالث ابناء آدم وحواء. (٦) من الانبياء ورد ذكره في القرآن.
(٧) كل هذه سور من القرآن الكريم .
(٨) نبي الله الكليم .

وقسطا بن لوقا كان يخفى لاجل ذا
وما كان يصغي في حفاه الى عذل

وكان أبو نصر اذا زار معشراً
وضاع له نعل يروح بـــلا نعل

وارباب هذا العلم ما فتئوا كذا
يقاسون ما لا ينبغي من ذوي الجهل

لذلك اني مـــذ حللت بجلّق[1]
ندمت فازمعت الرجوع الى اهلي

ولو كنت في بغداد قام لنصرتي
هنالك اقوام كِرام ذوو نبل

وما كنت أخلو من ولي مُساعد
وذي رغبة في العلم اكتب ما املي

فيا ليتني مستعجلاً طرت نحوها
ومن لي بهذا وهو ممتنع ، من لي

ففي الشام قد لاقيت ألف بلية
فيا ليت أني ما حططت بها رحلي

على أنني في جلق بـين معشر
أعاشر منهم معشراً ليس من شكلي

فاقسم ما نوء الثريا اذا همى
وجاد على الارضين راثمـــة المحل

ولا بكت الخنساء صخرا شقيقها
وأدمعها في الخد دائمـــة الهطل

باغزر من دمعي اذا مـــا رأيته
وقد جاء في رجلي منحرف الشكل

وامرضني ما قـــد لقيت لاجله
فيا ليت أني قد بقيت بلا رجلي

فهذا ومـــا عددت بعض خصاله
فكيف احتراسي من أذيته قل لي

ومن عظم ما قاسيت من ضيق باسه
أخاف على جسمي من السقم والسل

فيا لتمشك مـذ تأملت شكله
علمت يقيناً انـــه موجب قتلي

وينشد من يأتيـــه نعي بجلق
بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل

فلا تعجبوا مهما دهاني فانــــني
وجدت به ما لم يجد أحد قبلي

(الطويل)

ولابن الصلاح من الكتب : مقالة في الشكل الرابع من اشكال القياس الحلي ، وهـــذا الشكل المنسوب الى جالينوس . كتاب في الفوز الاصغر في الحكمة .

شهاب الدين السهروردي

هو الامام العالم الفاضل أبو حفص عمر بن (*) . كان أوحداً في العلوم الحكمية ، جامعـــاً للفنون الفلسفية ، بارعاً في الاصول الفلكية ، مفرط الذكاء ، جيد الفطرة ، فصيح العبارة . لم يناظر احداً الا بزّه ، ولم يباحث محصلاً الا اربى عليه . وكان علمه اكثر من عقله . حدثني الشيخ سديـــد الدين ابن عمر قال : كان شهاب الدين السهروردي قد اتى الى شيخنا فخر الدين المارديني ، وكان يتردد اليه

(١) اصل جلق موضع في جنوبي سوريا حشد فيه البيزنطيون جيوشهم قبل مواقعة العرب. ثم اطلق على دمشق نفسها (ن.ر)
(*) بياض بالاصل .

في أوقات وبينها صداقة ، وكان الشيخ فخر الدين يقول لنا ما اذكى هذا الشاب وأفصحه ، ولم أجد احداً مثله في زماني ، إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره ، وقلة تحفظه ان يكون ذلك سبباً لتلافه . قال : فلما فارقنا شهاب الدين السهروردي من الشرق ، وتوجه الى الشام أتى الى حلب وناظر بها الفقهاء ، ولم يجاره أحد فكثر تشنيعهم عليه ، فاستحضره السلطان الملك الظاهر [1] غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، واستحضر الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام . فتكلم معهم بكلام كثير بان له فضل عظيم ، وعلم باهر، وحسن موقعه عند الملك الظاهر وقربه ، وصار مكيناً ، عنده مختصاً بـه ، فازداد تشنيع أولئك عليه وعملوا محاضرة بكفره وسيروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين . وقالوا : ان بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر ، وكذلك ان اطلق فانه يفسد أي ناحية كان بها من البلاد . وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين الى ولده الملك الظاهر بحلب كتاباً في حقه بخط القاضي الفاضل وهو يقول فيه : ان هذا الشهاب السهروردي لا بد من قتله ، ولا سبيل انه يطلق ولا يبقى بوجه من الوجوه . ولما بلغ شهاب الدين السهروردي ذلك ، وأيقن انه يقتل ، وليس جهة الى الافراج عنه اختار انه يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل به ذلك . وكان في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب ، وكان عمره نحو ست وثلاثين سنة . قال الشيخ سديد الدين محمود بن عمر : ولما بلغ شيخنا فخر الدين المارديني قتله قال لنا: اليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل ، وكنت أخشى عليه منه .

أقول : ويحكى عن شهاب الدين السهروردي انه كان يعرف علم السيمياء وله نوادر شوهدت عنه من هذا الفن ومن ذلك حدثني الحكيم ابراهيم بن أبي الفضل بن صدقة انه اجتمع به وشاهد منه ظاهر باب الفرج ، وهم يتمشون الى ناحية الميدان الكبير، ومعه جماعة من التلاميذ وغيرهم ، وجرى ذكر هذا الفن وبدائعه وما يعرف منه وهو يسمع. فمشى قليلاً ، وقال: ما أحسن دمشق وهذه المواضع . قال فنظرنا واذا من ناحية الشرق جواسق عالية متدانية بعضها الى بعض مبيضة ، وهي من أحسن ما يكون بناية وزخرفة ، وبها طاقات كبار فيها نساء ما يكون أحسن منهن قط ، واصوات مغان واشجار متعلقة بعضها مع بعض ، وأنهر جارية كبار ، ولم نكن نعرف ذلك من قبـل ، فبقينا نتعجب من ذلك وتستحسنه الجماعة ، وانذهلوا لما رأوا . قال الحكيم : فبقينا كذلك ساعة ثم غاب عنا ، وعدنا الى رؤية ما كنا نعرفه من طول الزمان . قال لي : إلا ان عند رؤية تلك الحالة الاولى العجيبة بقيت أحس في نفسي كأنني في سنة خفيـة، ولم يكن ادراكي كالحالة التي أتحققها مني .

وحدثني بعض فقهاء العجم قال : كنا مع الشيخ شهاب الدين عند القابون [2] ، ونحن مسافرون عن دمشق فلقينا قطيع غنم مع تركماني، فقلنا للشيخ : يا مولانا نريد من هذا الغنم رأساً نأكله، فقال: معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم . وكان ثم تركماني فاشترينا منـه رأساً بها ، فمشينا

---

(١) صاحب حلب(١١٦٧ – ١٢١٥) وهو ثاني اولاد صلاح الدين . حارب الصليبيين . (ن.ر)

(٢) قرية من ضواحي دمشق واريافها .

فلحقنا رفيق له وقال : ردوا الرأس وخذوا أصغر منه فان هـذا ما عرف يبيعكم يسوى هذا الرأس البختية [1] الذي معكم اكثر من الذي قبض منكم . وتقاولنا نحن وإياه ، ولما عرف الشيخ ذلك قال لنا خذوا الرأس وامشوا ، وانا اقف معه وأرضيه ، فتقدمنا وبقي الشيخ يتحدث معه ويمنيه ، فلما أبعدنا قليلاً تركه وتبعنا وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به ، وهو لا يلتفت اليـه ، ولما لم يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسرى وقال:أين تروح وتخليني ؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه، وبقيت في يد التركماني ودمها يجري . فبهت التركماني ، وتحير في أمره ، ورمى اليد وخاف . فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا . وبقي التركماني راجعاً وهو يتلفت الينـا حتى غاب. ولما وصل الشيخ الينا رأينا في يده اليمنى منديله لا غير .

وحدثني صفي الدين خليل بن ابي الفضل الكاتب قال : حدثنا الشيخ ضياء الدين بن صقر رحمه الله ان في سنة خمسمائة وتسعة وسبعين قـدم الى حلب الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، ونزل في مدرسة الجلاوية ،.وكان مدرسها يومئذ الشريف رئيس الحنفية افتخار الدين رحمه الله . فلما حضر شهاب الدين الدرس ، وبحث مع الفقهاء ، وكان لابس دلق[2]، وهو مجرد بابريق وعكاز وما كان احد يعرفه . فلما بحث وتميز بين الفقهاء ، وعلم افتخار الدين انه فاضل أخرج له ثوباً عتابياً وغلالة ولباساً وبقياراً[3] ، وقال لولده : تروح الى هذا الفقير وتقول له : والدي يسلم عليك ويقول لك انت رجل فقيه ، وتحضر الدرس بين الفقاء ، وقد سير لك شيئاً تكون تلبسه اذا حضرت . فلما وصل ولده الى الشيخ شهاب الدين وقال له ما أوصاه سكت ساعة وقال : يا ولدي حط هذا القماش ، وتفضل اقض لي حاجة . وأخرج له فص بلخش في قدر بيضة الدجاجة رماني ، ما ملك أحد مثله في قده ولونه ، وقال : تروح الى السوق تنادي على هذا الفص ومهما جاب لا تطلق بيعه حتى تعرفني . فلما وصل به الى السوق عند العريف ، ونادى على الفص فانتهى ثمنه الى مبلغ خمسة وعشرين الف درهم . فأخـذه العريف وطلع الى الملك الظاهر غـازي بن صلاح الدين ، وهو يومئذ صاحب حلب وقال : هذا الفص قد جاب هذا الثمن ، فأعجب الملك الظاهر قده ولونه وحسنه فبلغه الى ثلاثـين الف درهم . فقال العريف : حتى انزل الى ابن افتخار الدين واقول له. وأخذ الفص ونزل الى السوق واعطاه له ، وقال له : رح شاور والدك على هذا الثمن . واعتقد العريف ان الفص لافتخار الدين ، فلما جاء الى شهاب الدين السهروردي وعرفه بالذي جاب الفص صعب عليه ، وأخذ الفص وجعله على حجر وضربه بحجر آخر حتى فتته وقال لولد افتخار الدين: خذ يا ولدي هذه الثياب ورح الى والدك قبل يده عني وقل له : لو أردنا الملبوس ما غلبنا عنه . فراح الى افتخار الدين ، وعرفه صورة ما جرى فبقي حائراً في قضيته . واما الملك الظاهر فانه طلب العريف وقال ، أريد الفص . فقال : يا مولانا أخذه صاحبه ابن الشريف افتخار الدين مدرس الجلاوية . فركب السلطان ونزل الى المدرسة وقعـد في الايوان،

(١) الابل الخراسانية وهي طويلة الاعناق .
(٢) ثوب متسع الاكمام طويلها مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج سايل على القدمين يلبسه القضاة في الدولة الايوبية .
(٣) اعتقد انه البقير وهو برد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب .

وطلب افتخار الدين اليه وقال : اريد الفص . فعرفه انـه لشخص فقير نازل عنده . قال : فأفكر السلطان ثم قال : يا افتخار الدين ان صدق حدسي فهذا شهاب الدين السهروردي . ثم قام السلطان واجتمع بشهاب الدين وأخذه معه الى القلعة وصار له شأن عظيم . وبحث مع الفقهاء في سائر المذاهب، وعجّزهم واستطال على أهل حلب وصار يكلمهم كلام من هو أعلى قدراً منهم ، فتعصبوا عليه وأفتوا في دمه حتى قتل . وقيل ان الملك الظاهر سير اليه من خنقه . قال : ثم ان الملك الظـاهر بعد مدة نقم على الذين افتوا في دمه ، وقبض على جماعة منهم واعتقلهم ، وأهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة .

حدثني سديدالدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة قال : كان الشيخ شهاب الدين السهروردي رث البزة ، لا يلتفت الى ما يلبسه ، ولا له احتفال بامور الدنيا . قال : وكنت أنا واياه نتمشى في جامع ميافارقين وهو لابس جبة قصيرة مضربة زرقاء ، وعلى رأسه فوطة مفتولة ، وفي رجليه زربول [1] ، ورآني صديق لي فأتى الى جانبي وقال : ما جئت تماشي الا هذا الخربند ؟ فقلت له : اسكت هذا سيد الوقت ، شهاب الدين السهروردي . فتعاظم قولي وتعجب ومضى .

وحدثني بعض أهل حلب قال : لما توفي شهاب الدين رحمه الله ، ودفن بظاهر مدينة حلب ، وجد مكتوباً على قبره ، والشعر قديم :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة	مكنونة قد براها الله من شرف
فـلم تكن تعرف الايام قيمته	فردها غيرة منه الى الصدف

(البسيط)

ومن كلامه قال في دعاء : « اللهم يا قيام الوجود ، وفائض الجود ، ومنزل البركـات ، ومنتهى الرغبات ، منور النور ، ومدبر الامور ، وواهب حياة العالمين ، امددنا بنورك ، ووفقنا لمرضاتك ، والهمنا رشدك ، وطهرنا من رجس الظلمات ، وخلصنا من غسق الطبيعة الى مشاهدة انوارك ، ومعاينة اضوائك ، ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك . واحشرنا مع الذين انعمت عليهم من الملائكة والصديقين والانبياء والمرسلين .

ومن شعر شهاب الدين السهروردي :

أبـداً تحن اليكم الارواح	ووصالـكم ريحانهـا والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم	والى لذيذ وصـالـكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا	ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم	وكذا دمـاء البائحين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم	عند الوشاة المدمع السحاح
وبدت شواهد للسقام عليهم	فيها لمشكل امرهم ايضاح

(١) الزربول كما في التاج : مايلبس في الرجل « مولد » والمعروف عند العامة انها الحذاء الضخم « معرب » .

خفض الجناح لكم وليس عليهم | للصب في خفض الجناح جناح [1]
فالى لقاكم نفسه مشتاقة | والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل من غسق الدجا | فالهجر ليل والوصال صباح
وتمتعوا فالوقت طاب لكم وقد | رق الشراب ودارت الاقداح
مترنحاً وهو الغزال الشارد | وبخده الصهباء والتفاح
وبثغره الشهد الشهي وقد بدا | في أحسن الياقوت منه اقاح
(الكامل)

وقال ايضاً :

فز بالنعيم فان عمرك ينفد | وتغنم الدنيا فليس مخلّد
واذا ظفرت بلذة فانهض لها | لا يمنعنك عن هواك مفند
وصل الصبوح مع الغبوق فانما | دنياك يوم واحد يتردد
وعدوك تشرب في الجنان مدامة | ولتندمن اذا نهاك الموعد
كم امة هلكت ، ودار عطلت ، | ومساجد خربت ، وعمر معهد
ولكم نبي قد أتى بشريعة | قدماً وكم صلوا لها وتعبدوا
(الطويل)

وقال ايضاً :

أقول لجارتي والدمع جاري | ولي عزم الرحيل عن الديار
ذريني ان أسير ولا تنوحي | فان الشهب أشرفها السواري
واني في الظلام رأيت ضوءاً | كأن الليل زين بالنهار
الى كم أجعل الحيات صحبي | الى كم أجعل التنين جاري
وكم أرضى الاقامة في فلاة | وفوق الفرقدين رأيت داري
ويأتيني من الصنعاء برق | يذكرني بها قرب المزار
(الوافر)

وقال عند وفاته وهو يجود بنفسه لما قتل :

قل لاصحاب رأوني ميتاً | فبكوني اذ رأوني حزنا
لا تظنوني بأني ميت | ليس ذا الميّت والله انا
أنا عصفور وهذا قفصي | طرت عنه فتخلى رهنا
وأنا اليوم اناجي ملأ | وارى الله عياناً بهنا
فاخلعوا الانفس عن اجسادها | لترون الحق حقاً بيننا

(١) الجناح : الاثم .

لا ترعكم سكرة الموت فما هي الا انتقال من هنا
عنصر الارواح فينا واحد وكذا الاجسام جسم عمنا
ما أرى نفسي إلا أنتم واعتقادي انكم انتم انا
فمتى ما كان خيراً فلنا ومتى ما كان شراً فبنا
فارحموني ترحموا أنفسكم واعلموا أنكم في اثرنا
من رآني فليقوّ نفسه انما الدنيا على قرن الفنا
وعليكم من كلامي جملة فسلام الله مدح وثنا
(الرمل)

ولشهاب الدين السهروردي من الكتب : كتاب التلويحات اللوحية والعرشية . كتاب الالواح العمادية ، ألفه لعماد الدين أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن ارتق صاحب خرت برت . كتاب اللمحة . كتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات . كتاب هياكل النور . كتاب المعارج . كتاب المطارحات . كتاب حكمة الاشراق

شمس الدين الخويي

هو الصدر الامام العالم الكامل قاضي القضاة شمس الدين ، حجة الاسلام ، سيد العلماء والحكام ، أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى من مدينة خوي[١] كان أوحد زمانه في العلوم الحكمية ، وعلامة وقته في الامور الشرعية . عارفاً باصول الطب وغيره من أجزاء الحكمة ، عاقلا ، كثير الحياء ، حسن الصورة ، كريم النفس ، محباً لفعل الخير . وكان رحمه الله ملازماً للصلاة والصيام وقراءة القرآن . ولما ورد الى الشام في أيام السلطان الملك المعظم[٢] عيسى بن الملك العادل استحضره ، وسمع كلامه فوجده أفضل أهل زمانه في سائر العلوم . وكان الملك المعظم عالماً بالامور الشرعية والفقه فحسن موقعه عنده ، واكرمه وأطلق له جامكية وجراية . وبقي معه في الصحبة . ثم جعله مقيما بدمشق ، وله منه الذي له . وقرأ عليه جماعة من المشتغلين وانتفعوا به . وكنت أتردد اليه ، وقرأت عليه التبصرة لابن سهلان . وكان حسن العبارة قوي البراعة ، فصيح اللسان بليغ البيان ، وافر المروة ، كثير الفتوة . وكان شيخه الامام فخرالدين بن خطيب الري لحقه وقرأ عليه ، ثم ولاه الملك المعظم القضاء وجعله قاضي القضاة بدمشق . وكان مع ذلك كثير التواضع لطيف الكلام ، يمضي الى الجامع ماشياً للصلوات في أوقاتها . وله تصانيف لا مزيد عليها في الجودة . وكان ساكناً في المدرسة العادلية ويلقي بها الدرس للفقهاء . ولم يزل على هذه الحال الى ان توفي رحمه الله ، وهو في سن الشباب.

---

(١) بلد باذربيجان .

(٢) (١١٨٠ — ١٢٢٨) تولى الحكم بدمشق واختلف مع ابناء صلاح الدين فتفرقت كلمتهم ولم يقووا على الصليبيين.
(ن ر)

وكانت وفاته بحمى الدق[1] بدمشق ، وذلك في سابع شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ولشمس الدين الخوبي من الكتب : تتمة تفسير القرآن لابن خطيب الري . كتاب في النحو . كتاب في علم الاصول . كتاب يشتمل على رموز حكمية على ألقاب السلطان الملك المعظم، صنفه للملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب .

رفيع الدين الجيلي

هو القاضي الاجل ، الامام العالم ، رفيع الدين أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسمعيل ابن عبد الهادي الجيلي ، من اهل فيلمان شهر من الجيلان ، وكان من الاكابر المتميزين في العلوم الحكمية ، واصول الدين والفقه والعلم الطبيعي والطب . وكان مقيماً بدمشق ، وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر . وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم والطب . وقرأت عليه شيئاً من العلوم الحكمية . وكان فصيح اللسان قوي الذكاء ، كثير الاشتغال والمطالعة . واستخدم قاضياً في مدينة بعلبك ، وبقي بها مديدة. وكان صديقاً للصاحب أمين الدولة ، وبينهما عشرة . ولما تملك السلطان الملك الصالح [2] عماد الدين اسمعيل دمشق ، وتوفي قاضي القضاة شمس الدين الخوبي رحمه الله فأشار الصاحب أمين الدولة ان يجعل موضعه ، فولاه السلطان ، وصار قاضي القضاة بدمشق ، وارتفعت منزلته واثرى ، وبقي كذلك مدة ، وكان كثير من الناس يتظلمون منه ، ويشكون سيرته . وبالجملة فان الحال تأدى به الى ان قبض عليه ، وقتل رحمه الله في أيام الملك الصالح اسمعيل . وكان قد وقع بين القاضي رفيع الدين وبين الوزير أمين الدولة فبعثوه تحت الحوطة مع رجال عوامله الى قريب بعلبك في موضع فيه هوة عظيمة لا يعرف لها قعر، يقال لها مغارة افقه[3]. وكانوا أمروهم بما يفعلونه به فكتفوه ، ثم دفعوه في وسطها . وحدثنا بعض الذين كانوا معه انه لما دفع في تلك الهوة تحطم في نزوله ، وكأنه تعلق في بعض جوانبها أسفل بثيابه . قال : فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام ، وكلما مر يضعف ويخفى حتى تحققنا موته ورجعنا عنه .

أقول: ومن عجيب ما يحكى ان القاضي رفيع الدين وقف على نسخة من هذا الكتاب بحضوري، وما كنت ذكرته في تلك النسخة فطالع فيه ، ولما وقف على اخبار شهاب الدين السهروردي تأثر من ذلك وقال لي : ذكرت هذا وغيره أفضل منه ما ذكرته ، وأشار الى نفسه . ثم قال : وايش كان من حال شهاب الدين إلا انه قتل في آخر أمره ، وقدر الله عز وجل ان رفيع الدين قتل أيضاً مثله، فسبحان الله العظيم المدبر في خلقه بما يشاء . وكانت وفاة القاضي رفيع الدين في شهر ذي الحجة سنة احدى واربعين وستمائة . ولما كان رفيع الدين قد تولى القضاء بدمشق ، وصار قاضي القضاة، وذلك

---

(١) الحمى التي تعرفها العامة بالسخونة الرفيعة .

(٢) اتابك حلب ودمشق احسن السياسة فأحبه الشعب واطاعه وتوفي سنة ١١٨٠ .

(٣) قرية في كسروان من لبنان ويتدفق من مغارتها نهر أبراهيم . (ن. ر)

سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، عملت فيه هذه القصيدة واهنئه فيها :

مجد وسعد دائم وعلاء أبد الزمان ورفعة وسناء
ببقاء مولانا رفيع الدين ذي الجود العميم ومن له النعماء
قاضي القضاة أجل مولى لم يزل بعلاه يسمو العلم والعلماء
متفرد بالمكرمات وانما كل الورى في بعضها شركاء
لو رام كل بليغ قول انه يحصي علاه لقصر البلغاء
كم من عداة شاهدين بفضله والفضل ما شهدت به الاعداء
وله التصانيف التي قد أعربت عن كل ما قد أعجم القدماء
وبه لجيل في البلاد مفاخر وكذا لهذا الجيل منه علاء
يا سيداً فاق الانام حقيقة بجميل وصف ليس فيه خفاء
قد كان عندي من فراقك والنوى ألم ومن رؤياك جاء شفاء
وأتى الى قلبي السرور واشرقت شمس الحبور وزالت البرحاء
وبدت تباشير الهناء بمنصب يعلوه من نور الاله بهاء
إحكام احكام وعدل شائع ملئت به وبفضلك الغبراء
وتفرقت في الناس منك فواضل وتجمعت منهم لك الاهواء
فلك السيادة والسعادة والعلا والفضل والافضال والآلاء
والمشتري للحمد أنت وان تقل فصل الخطاب فانك الجوزاء
ولئن خصصتك بالهناء فانه عم الانام بما وليت هناء
لله كم أوليتني مننا على مر الزمان وما لها احصاء
فاسلم ودم في رغد عيش دائم ما غردت في أيكها الورقاء
(الكامل)

ولرفيع الدين الجيلي من الكتب : شرح الاشارات والتنبيهات ، ألفه المظفر تقي الدين عمر ابن الملك الامجد بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب . اختصار الكليات من كتاب القانون لابن سينا . كتاب جمع ما في الاسانيد من حديث النبي ﷺ

شمس الدين الخسروشاهي

هو السيد الصدر الكبير ، العالم شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي . وخسروشاه ضيعة قريبة من تبريز [1] . إمام العلماء ، سيد الحكماء ، قدوة الانام ، شرف الاسلام . قد تميز في العلوم الحكمية ، وحرر الاصول الطبية ، وأتقن العلوم الشرعية ولم يزل دائم الاشتغال ، جامعاً للفضل

(١) مدينة في بلاد ايران هي قاعدة اقليم آذربيجان اليوم .

والافضال . وكان شيخه الامـام فخر الدين بن خطيب الري وهو من اجـل تلامذته . ومن حيث وصل إلى الشام اتصل بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود [1] بن الملك المعظم ، واقـام عنده بالكرك ، وهو عظيم المنزلة عنده وله منه الاحسان الكثير والانعام الغزير . ثم توجه شمس الدين بعد ذلك الى دمشق وأقام بها الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في شهر شوال سنة اثنتين وخمسين وستمائة . ودفن بجبل قاسيون [2]

ولما وصل الى دمشق اجتمعت به فوجدته شيخاً حسن السمت ، مليح الكـلام قوي الذكاء ، محصلاً للعلوم . ورأيته يوماً وقـد أتى اليه بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي ، ممتزلي التقطيع . فلما نظر فيه صار يقبله ويضعه على رأسه ، فسألته عن ذلك فقال : هـذا خط شيخنا الامام فخر الدين الخطيب رحمه الله . فعظم عندي قدره لتعظيمه شيخه . ولما توفي شمس الدين الخسروشاهي رحمه الله ، قال الشيخ عز الدين محمد بن حسن الغنوي الضرير الآربلي يرثيه :

بموتك شمس الدين مـات الفضائل ... وأردى ببدر الفضل والبدر كامل
فتى عـالم بالحق بالخير عـامل ... وما كل ذي علم من الناس عامل
فتى بذ كل القائلين بصمته ... فكيف اذا وافيته وهو قائل
وكنا لحل المشكلات نعده ... اذا أعيت الحذّاق منا المسائل
فربع الحجا من بعده اليوم قد خلا ... وجيد المعالي من حلى الفضل عاطل
أتدري المنـايا من رمت بسهامها ... وأي فتى أودى وغال الغوائل
رمت اوحد الدنيا وبحر علومها ... ومن قصرت في الفضل عنه الاوائل
ولو كان بالفضل الفتى يدفع الردى ... لما غيبت عبد الحميد الجنادل
ولكن دفع الموت ما فيه حيلة ... ولا في بقاء المرء يطمع آمل
فبعدك شمس الدين أعوز عالم ... وأبدى الدعاوى في المحافل جاهل

(الطويل)

وقال الصاحب نجم الدين اللبودي يرثيه :

أيا ناعياً عبد الحميد تصبراً ... عليّ فان العلم أدرج في كفن
مضى مفرداً في فضله وعلومه ... وعدت فريد الهم والوجد والحزن
فيا عين سحي بالدموع لفقده ... فما حسن صبري بعده اليوم بالحسن
تلقته أصناف الملائك بهجة ... بمقدمه الاسنى على ذلك السنن
تقول له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... بخير فتى وافى الى ذلك الوطن

---

(١) احد الملوك الايوبيين قضى حياته منافحاً عن حقوقه ضد خصومه من بني قومه واهل بيته . وكان شاعراً بليغـاً . وتوفي بمرض الطاعون .

(٢) مدينة اردنية من الكلام عنها (ن. ر)

الى معشر أضحى الوجود ذواتهم فليس لهم إلف يعوق ولا سكن
وحسبك من ذات هي العين حقة فليس بها افك ولا عندها إحن
تبيت ترى ذات الذوات بمرصد تعالى عن الاكوان والكون والزمن
لك الله شمس الدين كم شدت معلماً من الحق أسنى ذا لسان له لسن
مصابك شمس الدين تسلية لنا ومثلي من أضحى بمثلك يمتحن

(الطويل)

ولشمس الدين الخسروشاهي من الكتب: مختصر كتاب المهذب في الفقه على مذهب الامام الشافعي لابي اسحق الشيرازي . مختصر كتاب الشفــاء للرئيس ابن سينا . تتمة كتاب الآيات البينات لابن خطيب الري، وكان وصل فيها في الشكل الثاني ، وهذه الآيات البينات غير النسخة الصغيرة المعروفة التي هي عشرة أبواب .

سيف الدين الآمدي

هو الامام الصدر العالم الكامل سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي، أوحد الفضلاء ، وسيد العلماء . كان أذكى أهل زمانه ، وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية ، والمذاهب الشرعية ، والمبادىء الطبية . بهي الصورة ، فصيح الكلام ، جيد التصنيف . وكان قد خــدم الملك المنصور ناصر الدين أبا المعالي محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة ، وأقام بخدمته بحماة سنين ، وله منه الجامكية السنية ، والانعــام الكثير . وكان من أكابر الخواص عنده ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المنصور وذلك في سنة سبع عشرة وستمائة . فتوجه الى دمشق ، ولما دخلها انعم عليه الملك المعظم شرف الدين[1] عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب انعامــاً واكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس . وكان اذا نزل وجلس في المدرسة وألقى الدرس والفقهاء عنده يتعجب النــاس من حسن كلامه في المناظرة والبحث ، ولم يكن أحد يماثله في سائر العلوم . وكان نادراً ان يقرىء أحداً شيئاً من العلوم الحكمية . وكنت اجتمعت به واشتغلت عليه في كتاب رموز الكنوز من تصنيفه ، وذلك لمودة أكيدة كانت بينه وبــين أبي . وأول اجتماعي به دخلت أنا وأبي اليه الى داره ، وكان ساكناً بدمشق في قاعة عند المدرسة العادلية ، فلما جلسنا عنده بعد السلام ، وتفضل بحسن التودد والكلام نظر وقال بهذا اللفظ : ما رأيت ولداً اشبه بوالد منكما.

وأنشدني الصاحب فخر القضاة بن بصاقة لنفسه وقد تشفع به العماد بن السلماسي الى سيف الدين الآمدي بان يشتغل عليه :

يا سيــداً جمل الله الزمــان به وأهله من جميع العجم والعرب

---

(١) ولد في القاهرة (١١٨٢-١٢٢٧) وخلف اباه في ولاية الشام .

العبد يذكر مولاه بما سبقت | وعوده لعماد الدين عن كثب
ومثل مولاي من جاءت مواهبه | عن غير وعد وجدواه بلا طلب
فأصف من بحرك الفياض مورده | وأغنه من كنوز العلم لا الذهب
واجعل له نسباً يدلي اليك به | فلحمة العلم تعلو لحمة النسب
ولا تكله الى كتب تنبئه | فالسيف اصدق انباء من الكتب

(البسيط)

اقول وقد جاء في هذا البيت احسن ما يكون من تضمين قول أبي تمام[1] لاشتراك لفظة السيف ، ولم يزل سيف الدين مقيماً بدمشق الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في رابع شهر صفر سنة احدى وثلاثين وستمائة .

ومن شعر سيف الدين الآمدي ، انشدني ولده جمال الدين محمد مما أنشده والده سيف الدين لنفسه :

فلا فضيلة إلا من فضائله | ولا غريبة إلا وهو منشاها
حاز الفخار بفضل العلم وارتفعت | به الممالك لما ان تولاها
فهو الوسيلة في الدنيا لطالبها | وهو الطريق الى الزلفى بأخراها

(البسيط)

ولسيف الدين الآمدي من الكتب : كتاب دقائق الحقائق . كتاب رموز الكنوز . كتاب لباب الالباب . كتاب ابكار الافكار في الاصول . كتاب غاية المرام في علم الكلام . كتاب كشف التمويهات في شرح التنبيهات ، ألفه للملك المنصور صاحب حماة ابن تقي الدين . كتاب غاية الامل في علم الجدل . شرح كتاب شهاب الدين المعروف بالشريف المراغي في الجدل . كتاب منتهى السالك في رتب المسالك . كتاب المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين . دليل متحد الائتلاف وجاد في جميع مسائل الخلاف . كتاب الترجيحات في الخلاف . كتاب المؤاخذات في الخلاف . كتاب التعليقة الصغيرة . كتاب التعليقة الكبيرة . عقيدة تسمى خلاصة الابريز . تذكرة الملك العزيز بن صلاح الدين كتاب منتهى السول في علم الاصول . كتاب منائح القرائح .

موفق الدين بن المطران

هو الحكيم الامام العالم الفاضل موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجس المطران. كان سيد الحكماء وأوحد العلماء ، وافر الآلاء ، جزيل النعماء ، أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها ، واكثرهم تحصيلا لاصولها وجملها . جيد المداواة لطيف المداراة ، عارفاً بالعلوم الحكمية ، متعيناً في الفنون الادبية . وقرأ علم النحو واللغة والادب على الشيخ الامام تاج الدين ابي اليمن زيد بن

(١) حبيب بن اوس الطائي ، ولد في جاسم ومنهم من يقول في جبل عامل و ولد هناك وتعلم في جبل عامل . وهو من فطاحل شعراء العصر العباسي . (ن.ر)

الحسن الكندي ، وتميز في ذلك . وكان مولد موفق الدين بن المطران ومنشؤه بدمشق ، وكان أبوه ايضاً طبيباً متقدماً جوالا في البلاد لطلب الفضيلة . وسافر الى بلاد الروم لاتقان الاصول التي يعتمد عليها في علم النصارى ومذاهبهم . ثم عدل بعد ذلك الى العراق واجتمع بأمين الدولة بن التلميذ ، واشتغل عليه بصناعة الطب مدة ، وقرأ عليه كثيراً من الكتب الطبية ، وصار موسوماً بالطب . ثم انه عاد الى دمشق وبقي طبيباً بها الى حين وفاته .

وكان موفق الدين بن المطران حاد الذهن فصيح اللسان كثير الاشتغال . وله تصانيف تدل على فضله ونبله في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم واشتغل بالطب على مهذب الدين بن النقاش . وكان ابن المطران جميل الصورة ، كثير التخصص محباً للبس الفاخر المثمن . وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحظي في أيامه ، وكان رفيع المنزلة عنده عظيم الجاه . وكان يتحجب عنده ويقضي اشغال الناس ، ونال من جهة المال مبلغاً كثيراً. وكان صلاح الدين ، رحمه الله ، كريم النفس كثير العطاء لمن هو في خدمته ، ولمن يقصده من سائر الناس ،حتى انه مات ولم يوجد في خزانته من المال شيء ، وكان له حسن اعتقاد في ابن المطران لا يفارقه في سفر او حضر ، ولهذا انه غمره باحسانه ، وأترفه بامتنانه . وكان يغلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر حتى على الملوك . وكان صلاح الدين قد عرف ذلك منه ويحترمه ويبجله لما قد تحققه من علمه واسلم ابن المطران في ايام صلاح الدين .

وحدثني بعض من كان يعرف ابن المطران فيما يتعلق بعجبه وادلاله على صلاح الدين ، انه كان معه في بعض غزواته ، وكانت عادة صلاح الدين في وقت حروبه ان ينصب له خيمة حمراء ، وكذلك دهليزها وشقتها . وان صلاح الدين كان يوماً راكباً واذا به قد نظر الى خيمة حمراء اللون ، وكذلك شقتها ومستراحها فبقي متأملاً لها ، وسأل لمن هي ؟ فاخبر انها لابن المطران الطبيب . فقال : والله لقد عرفت ان هذا من حماقة ابن المطران ، وضحك ، ثم قال : ما بنا إلا يعبر احد من الرسل فيعتقد انها لأحد الملوك ، واذا كان لا بد فيغير مستراحها . وأمر به ان يرمى ولما رمي صعب ذلك على ابن المطران وبقي يومين لم يقرب الخدمة فاسترضاه السلطان ووهب له مالاً .

وحدثني ايضاً من ذلك انه كان في خدمة صلاح الدين طبيب يقال له ابو الفرج النصراني ، وبقي في خدمته مدة وله تردد الى دوره ، فقال يوماً للسلطان ان عنده بنات ، وهو يحتاج الى تجهيزهن ، وطلب منه ان يطلق له مايستعين به من ذلك فقال له صلاح الدين: اكتب في ورقة جميع ماتحتاج اليه في تجهيزهن ، وجيب الورقة . فمضى ابو الفرج ، وكتب في ورقة من المصاغ والقماش والآلات وغير ذلك ما يكون بنحو ثلاثين الف درهم . ولما قرأ صلاح الدين الورقة أمر الخزندار بان يشتري لابي الفرج جميع ما تضمنته ، ولا يخل بشيء منه . ولما بلغ ذلك ابن المطران قصر في ملازمته الخدمة ، وتبين لصلاح الدين منه تغير في وجهه فعرف السبب . ثم امر الخزندار بان يحضر جميع ما وصل الى ابي الفرج الطبيب مما اشتراه له ، ويحسب جملة ثمنه ، ومهما بلغ من المال يدفع الى ابن المطران مثله سواء ففعل ذلك .

وحدثني أبو الظاهر اسمعيل ، وكان يعرف ابن المطران ويأنس به ؛ ان العجب والتكبر الذي كان يغلب على ابن المطران ، لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم. وقال : انه كان يراه في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا تفرغ من دار السلطان ، وهو في مركبة حفلة ، وحواليه جماعة كثيرة من المماليك الترك ، وغيرهم ، فاذا قرب من الجامع ترجل ، واخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يده أو تحت أبطه ، ولم يترك أحداً ما يصحبه ، ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم ويقعد بين الجماعة ، وهو بكيس (١) ولطف إلى ان يفرغ من القراءة ويعود الى ما كان عليه .

وقال الصاحب جمال الدين (٢) القاضي الاكرم ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي : ان الحكيم موفق الدين أسعد بن المطران لما أسلم وكان نصرانياً ، حسن اسلامه ، وزوجه الملك الناصر صلاح الدين ، قدس الله روحه ، احدى حظايا داره واسمها جوزة . وكانت جوزة هذه جارية خوندخاتون بنت معين الدين وزوجة صلاح الدين ، وكانت مدبرة دارها والمتقدمة عندها من جواريها واعطتها الكثير من حليها وذخائرها ، ومولتها وخولتها فرتبت أموره وهذبت أحواله ، وحسنت زيه ، وجملت ظاهره وباطنه . وصار له ذكر سام في الدولة وحصلت له أموال جمة من امراء الدولة في حال مباشرته لهم في امراضهم . وتنافسوا في العطاء له ، وترقت حاله عند سلطانه الى أن كاد يكون وزيراً . وكان كثير الاشتمال على أهل هذه الصناعة الطبية والحكمية ، يقدمهم ويتوسط في ارزاقهم . قال : ولقد أخبرني الفقيه اسمعيل بن صالح بن البناء القفطي ، خطيب عيذاب (٣) قال: لما فتح السلطان الساحل ارتحلت عن عيذاب لزيارة البيت المقدس.فلماحصلت بالشام رأيت جبالا مشجرة بعد براري عيذاب المصحرة فاشتقت الى المقام بالشام ، وتحيلت في الرزق به ، فقصدت الفاضل عبد الرحيم وسألته كتابا الى السلطان في توليتي خطابة قلعة الكرك . فكتب لي كتابا هو مذكورفيترسله، وهو حسن التلطف . قال : فاحضرته الى دمشق والسلطان بها فارشدت في عرضه الى ابن المطران ، فقصدته في داره ودخلت عليه باذنه فرأيته حسن الخلقة والخلق ، لطيف الاستماع والجواب . ورأيت داره وهي على غاية من الحسن في العمارة والتجمل . ورأيت أنابيب بركته التي يبرز منها الماء وهي ذهب على غاية ما يكون من حسن الصنعة . ورأيت له غلاماً يتحجب بين يديه اسمه عمر في غاية جمال الصورة . ثم رأيت من الفرش الطرح ، وشممت من الرائحة الطيبة ما هالني ، وسألته الحاجة التي قصدته فيها ، فأنعم بانجازها . وقال الصاحب جمال الدين : ورأيت زوجته وابن عمر حاجبه ، وقد حضرا بعد سنة ستمائة الى حلب على رقة من الحال ، ونزلا في الكنف الملكي الظاهري ، سقى الله عهده ، واقاما به بصدقة قررت لهما ، وماتت هي بعد مدة ولا اعلم بعدها لولد عمر خبراً

---

(١) الظريف والفطن والحسن الفهم .

(٢) ولد في قفط (١١٦٧ – ١٢٤٨) ووزر للملك العزيز . وجمع كتباً كثيرة اوصى بها للناصر صاحب حلب له كتاب «اخبار العلماء باخبار الحكماء» (ن.د)

(٣) مرفأ على البحر الاحمر الافريقي واقع في جنوبي مصر قرب الحدود السودانية تجاه جدة

وحدثني الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب النصراني قال : لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الكرك ، أتى الى دمشق الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني ، وهو شاب على رأسه كوفية وتخفيفة صغيرة ، وهو لابس جوخة ملوطة زرقاء ، زي اطباء الفرنج ، وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران ، وصار يخدمه ويتردد اليه لعله ينفعه ، فقال له هذا الزي الذي انت عليه ما يمشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين . وانما المصلحة ان تغير زيك ، وتلبس عادة الاطباء في بلادنا . ثم أخرج له جبة واسعة عنابية وبقياراً مكللاً وأمره أن يلبسها . ثم قال له ان ههنا أميراً كبيراً يقال له ميمون القصري وهو مريض ، وانا اتردد اليه واداويه ، فتعال معي حتى تكون تعالجه. فلما راح معه قال للامير : هذا طبيب فاضل ، واني اعتمد عليه في صناعة الطب ، وأثق به فيكون يلزمك ويباشر أحوالك في كل وقت ، ويقيم عندك الى ان تبرأ ان شاء الله تعالى. فامتثل قوله وصار الحكيم يعقوب ملازماً له ليلاً ونهاراً الى ان تعافى فأعطاه خمسمائة دينار . فلما قبضها حملها الى ابن المطران وقال له : يا مولانا هذا ما اعطاني ، وقد أحضرته الى مولانا ، فقال له : خذه فأنا ما قصدت الا نفعك . فأخذه ودعا له .

وحدثني الحكيم عز الدين ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن السويدي قال : كان ابن المطران جالساً على باب داره ، وقد اتاه شاب من أهل نعمة ، وعليه زي الجندية ، وأعطاه ورقة فيها اثنا عشر بيتاً من الشعر يمتدحه بها . فلما قرأها ابن المطران قال أنت شاعر ؟ فقال : لا ، ولكني من أهل البيوت، وقد نزل الدهر بي، وقد أتيت المولى وجعلت قيادي بيدك لتدبرني مهما حسن فيه رأيك العالي. فدخل الى داره واستدعى الشاب، وقدم له طعاماً فأكل وقال له : ايش تقول قد مرض عز الدين فرخشاه صاحب صرخد[1] ، وهذا المرض يعتاده في كل حين فاني رأيت ان اسيرك اليه تعالجه فهو يحصل لك من جهته شيء جيد . قال له : يا مولاي ، من أين لي معرفة بصناعة الطب أو دربة ؟ فقال : ما عليك انا اكتب معك دستوراً تمشي عليه ، ولا تخرج عنه . فقال الشاب : السمع والطاعة ، فلما خرج الشاب لحقه الغلام ببقجة فيها عدة قطع قماش مخيط ، وفرس بسرج ولجام فقال له : خذ هذا القماش البسه ، وهذا الفرس اركبه ، وتجهز الى صرخد . فقال له : يا سيدي . انه لم يكن لي مكان ابيت الفرس . فقال : اتركها عندنا، وشد عليها بكرة النهار ، وسافر على خيرة الله تعالى . فلما كان بكرة النهار حضر الشاب الى باب دار ابن المطران فأعطاه كتاباً قدكتبه على يده الى عزالدين فرخشاه صاحب صرخد ، واعطاه تذكرة بما يعتمده في مداواته ، واعطاه مائتي درهم ، وقال : اتركها عن بيتك نفقة . وسافر الشاب الى صرخد وداوى عز الدين فرخشاه بما أمره به فبرىء ، ودخل الحمام وخلع عليه خلعة مليحة من اجود ما يكون ، وأعطاه بغلة بسرج وسرفسار ذهب ، والف دينار مصرية ، وقال : تخدمني ؟ فقال له : ما أقدر يا مولانا ، حتى اشاور شيخي الحكيم موفق الدين ، ابن المطران : فقال له عز الدين : ومن هو الحكيم موفق الدين ، ما هو الا غلام أخي لا سبيل الى

---

(١) بلد بالشام في جبال حوران .

خروجك من صرخد . وألحوا عليه في القول وشددوا ، فقال: اذا كان ولا بد فأنا أمضي الى منزلي وأجيء . فمضى الى منزله وأحضر الخلعة والذهب وما معها ، وقال هذا الذي اعطيتموني خذوه ، وانا فوالله ما أعرف صناعة الطب ، ولا ادري ما هي ، وانما انا جرى لي مع الحكيم ابن المطران كذا وكذا . وقص عليه الواقعة كما وقعت . فقال له عز الدين : ما عليك ان لا تكون طبيباً، انت ما تعرف تلعب بالنرد والشطرنج ؟ فقال : بلى. وكان الشاب لديه أدب وفضيلة . فقال له عز الدين: قد تركتك حاجبي ، وجعلت لك اقطاعاً في السنة يعمل اثنين وعشرين ألف درهم . فقال : السمع والطاعة يا مولانا،بل أسأل دستوراً الى دمشق ان اروح الى الحكيم موفق الدين واقبل يده وأشكره على ما فعل معي من الخير . فاعطي دستوراً ، واتى الى الحكيم موفق الدين وقبل يده ، وشكره شكراً كثيراً ، وأحضر الذي حصل بين يديه ، وقال له : قد حصل لي هذا فخذه. فرده عليه وقال له : انا ما قصدت إلا نفعك ، خذه بارك الله لك فيه . وعرفه الشاب بما جرى له مع عز الدين وصورة الخدمة ، واستمر الشاب في خدمة عز الدين . وكان ذلك الاحسان من مروءة موفق الدين ابن المطران .

اقول : وكانت لموفق الدين بن المطران همة عالية في تحصيل الكتب، حتى انه مات وفي خزائنه من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه . وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها.وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابداً ولهم منه الجامكيةوالجراية ، وكان من جملتهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة ، وكان خطه منسوباً . وكتب ابن المطران ايضاً بخطه كتباً كثيرة ، وقد رأيت عدة منها ، وهي في نهاية حسن الخط والصحة والاعراب . وكان كثير المطالعة للكتب لا يفتر من ذلك في اكثر اوقاته . وأكثر الكتب التي كانت عنده توجد ، وقد صححها واتقن تحريرها ، وعليها خطه بذلك . وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها انه جامع لكثير من الكتب الصغار والمقالات المتفرقة في الطب ، وهي في الاكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استنسخ كلا منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بمسطرة واضحة ، وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان أبداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان أو أين توجه . وبعد وفاته بيعت جميع كتبه ، وذلك انه ما خلف ولداً .

وحدثني الحكيم عمران الاسرائيلي : انه لما حضر بيع كتب ابن المطران وجدهم وقد أخرجوا من هذه الاجزاء الصغار ألوفاً كثيرة اكثرها بخط ابن الجمالة . وان القاضي الفاضل بعث يستعرضها فبعثوا اليه بملء خزانة صغيرة منها وجدت كذلك فنظر فيها ، ثم ردها فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم واشترى الحكيم عمران اكثرها وقال لي : انه حصل الاتفاق مع الورثة في بيعها انهم اطلقوا مع كل جزء منها بدرهم فاشترى الاطباء منهم هذه الاجزاء الصغار على الثمن بالعدد .

أقول : وكان ابن المطران كثير المروءة كريم النفس ، ويهب لتلامذته الكتب ويحسن اليهم واذا جلس احد منهم لمعالجة المرضى يخلع عليه . ولم يزل معتنياً بأمره . وكان أجل تلامذته شيخنا مهذب

الدين بن عبد الرحيم بن علي رحمه الله . وكان كثير الملازمة له والاشتغال عليه وسافر معه مرات في غزوات صلاح الدين لما فتح الساحل .

ومما حدثني شيخنا مهذب الدين عنه فيما يتعلق بمعالجاته قال : كان أسد الدين شيركوه(١) صاحب حمص قد طلب ابن المطران فتوجه اليه وكنت معه . فبينا نحن في بعض الطريق ، واذا رجل بجذوم استقبله ، وقد قوي به المرض حتى تغيرت خلقته ، وتشوهت صورته . فاستوصف منه ما يتناوله وما يتداوى به ، فبقي كالمتبرم من رؤيته ، وقال له : كل لحوم الافاعي . فعاوده في المسألة فقال : كل لحوم الافاعي فانك تبرأ.قال ومضينا الى حمص وعالج المريض الذي راح بسببه الى ان تماثل وصلح ، ورجعنا فلما كنا في الطريق ، واذا بشاب حسن الصورة ، كامل الصحة قد سلم علينا وقبل يده فلم نعرفه . وقال له : من أنت ؟ فعرفه بنفسه وانه صاحب المرض الذي كان قد شكاه اليه ، وانه لما استعمل ما وصفه له صلح به من غير ان يحتاج معه الى دواء آخر ، فتعجبنا من ذلك في كال برئه وودعنا وانصرف .

وحدثني ايضاً عنه انه كان معه في البيمارستان الكبير الذي انشأه نور الدين ابن زنكي وهو يعالج المرضى المقيمين به فكان من جملتهم رجل به استسقاء زقي استحكم به فقصد الى بزله ، وكان في ذلك الوقت في البيمارستان ابن حمدان الجرائحي ، وله يد طولى في العلاج فجزموا على بزل المستسقي قال: فحضرنا وبزل الموضع على ما يجب ، فجرت مائية صفراء وابن المطران يتفقد نبض المريض ، فلما رأى ان قوته لا تفي باخراج اكثر من ذلك ، أمر بشد الموضع ، وان يستلقي المريض ولا يغير الرباط أصلاً . ووجد المريض خفة وراحة كبيرة ، وكانت عنده زوجته فأوصاها ابن المطران انها لا تمكنه من حل الرباط ، ولا تغيره بوجه من الوجوه الى ان يبصره في ثاني يوم . فلما انصرفنا وجاء الليل قال زوجها انني قد وجدت العافية وما بقي بي شيء ، وانما الاطباء قصدهم ان يطولوا بي فحلي الرباط حتى يخرج هذا الماء الذي قد بقي ، واقوم في شغلي فانكرت عليه قوله ، ولم تقبل منه ، فعاودها بالقول وكرر ذلك عليها مرات ، ولم يعلم ان بقية المائية انما جعلوا اخراجها في وقت آخر مراعاة لحفظ قوته وشفقة عليه . فلما حلت الرباط وجرت المائية باسرها خارت قوته وهلك

وحدثني أيضاً انه رأى في البيمارستان مع ابن المطران رجلاً قد فلجت يده من أحد شقي البدن ورجله المخالفة لها من الشق الآخر فعالجه في اسرع وقت ودبره بالادوية الموضعية فصلح

أقول : وكان لموفق الدين أسعد بن الياس بن المطران اخوان ايضاً قد اشتغلا بصناعة الطب : أحدهما هبة الله بن الياس ، والآخر * ابن الياس . وتوفي موفق الدين بن المطران في شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسمائة بدمشق . ونقلت من خط البديع عبد الرزاق بن أحمد العامري

(١) هو عم صلاح الدين الايوبي.وكان قائداً تابعاً لنور الدين صاحب حلب ودمشق ثم اصبح وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي.
(*) بياض بالاصل

الشاعر يمدح موفق الدين بن المطران بعد اسلامه، وذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة:

ينهى اليك وليس عنك بنته ... قلب على صاب[1] الصبابة مكرهي
شوقاً أدل على الفؤاد فلم يفد ... بعذله الاغرام غير مدله
يدنو فيغدو فيك حلف تفكه ... ولكم بعدت فبات إلف تفكه
يهوى الذي تهوى ويعشق قلبه ... ما تشتهي فيصد عما يشتهي
تجني ويعلم ما جنيت فيجتني ... عذراً يوجهه بوجه أبلهِ
لعجبت من مغض على نار الغضا ... ما زال مستنداً الى صبر يهي
فطن دهاه في حشاشته الهوى ... غرراً ولن يدهى سوى الفطن الدهي
ولقد نها ، ونهاه عنك ولم يزل ... يزداد غياً في هواك اذا نهي
لو ساعد التوفيق لم يك لائذا ... بسوى الموفق ذي المحل الانبه
من لا يرى الاحسان في الاقوال ما ... لم يتلها بفعال غير مموه
جم النهى ويداه أنهاء الندى ... للوفد ما عنها امرؤ بمنهنه
رؤياه للادواء حاسمة فكم ... مشف شفاه بذلك الوجه البهي
جد حوى جداً وجود محوز ... حمد يطرز حلة المجد الشهي
ضاهى ابن مريم حكمة وسعادة ... فعنا الاعز له عنو موله
هو عصمة اللاجي فان هو لم يكن ... الاده للمستجير فلاده
نصر العفاة على الزمان ندى أبي ... نصر أخي الجاه الوجيه فلاجه[2]
ذي المنصب العادي غير مدافع ... والنطق في النادي ولما ينده
الالمعي[3] الاريحي[4] المرتجى ... واللوذعي[5] الفيلسوف المدره[6]
العالم الحبر[7] الذي حاز الغنى ... وحوى العلا طفلا فلب[8] وما زهي
واذا الخلائق أشبهت أمثالها ... في الاكرمين فما له من مشبه
واذا الخواطر أصبحت مشدوهة ... فضل الانام بخاطر لم يشده
أعفى الانام عن الثناء فحازه ... بيدي جواد باللهى متنبه
فلك من الاحسان حين وصلته ... أغنى باعلى اوجه عن اوجه
أضحى ثرى مغناه وهو لي الغنى ... عنه الاياب كما اليه توجهي
هي نفثة المصدور اصدر وردها ... الحساد بين مقهقر ومقهقه

---

(١) مر
(٢) لاج الشيء : اداره فيه .
(٣) الذكي المتوقد . (٤) الواسع الخلق . (٥) الفصيح اللسان او الذكي الحديد الفؤاد .
(٦) زعيم القوم المتكلم عنهم .
(٧) العالم الصالح . (٨) صار لبيباً اي عاقلا .

ما اقرب الآمال من ذي الهمة الحـ سرى وابعدها من المترفـه
لولا رجاء البرء ما ارجأتهـــا من بعد ما سبقت عتاق الفره [1]
لكنها سرت بمبدا برئـــه فسرت اليـــه وجسمه لم ينقه
وغـــدت مهنئة بشهر صيامه بفصيح قول لم يكن بمفهه [2]
يا اسعد اصغ الى مدائح أفوه [3] بعلاك فاق على البليغ الافوه [4]
راج حداه ولاءه فسرى على عيسى الرجاء بكل مرت[5] مهمه
وأراك للشكوى الممضة مشكيا بضياء نـــور سريرة لم تعمه
طـال اشتكائي للانام ولا أرى من شكوت اليه غـــير مسفه
ولكم دهيت مع الوثوق ولست في أمري بأول واثـــق يقظ دهي
قد كنت في اهل الرسوم أقلهم حظـــاً واكثر في المديح الانزه
فلما رأى السلطان نقصي بعدما قـد زدت في مدحـــي له وتألهي
شره الفتى داء وخير طعامـــه ما كان كافيه ولما يشـــره
ومطاعم الاطماع تأسن [6] والغنى في النفس لم يأسن ولم يتسنه [7]
لا تجبـه الايام الا راغبـــاً واخو القناعة وادع لم يجبـــه
آهـــا لايامي ولولا سوء ما لاقيت من زمن لقـــل تأوهي
ولكم أنوّه في الزمان وأهله بثناء من لم يمـــس لي بمنوه
اذ لا يحرك اهل دهري للندى شعر الوليد[8] ولا غناء البندهي[9]
ومن العناء معاتب لا يرعوي عن غيه ومعاقب لا ينتهي

ولموفق الدين بن المطران من الكتب: كتاب بستان الاطباء وروضة الالباء ، غرضه فيه انيكون جامعاً لكل ما يجده من ملح ونوادر وتعريفات مستحسنة مما طالعه او سمعه من الشيوخ او نسخه من الكتب الطبية ، ولم يتم هذا الكتاب ؛ والذي وجدته منه بخط شيخنا الحكيم مهذب الدين جزآن : الاول منها قد قرأه على ابن المطران وعليه خطه؛ والجزء الثاني ذكر مهذب الدين فيه ان ابن المطران وافاه الاجل قبل قراءته له عليه . المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية قصد فيها الايجاز والبلاغ، وقد رتبها احسن ترتيب وجعلها باسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ووجـدت

---

(١) النشيطة .
(٢) الفهه: العيي .
(٣) متكلم . (٤) المنطيق الجيد الكلام
(٥) ارض مرت : لا نبات فيها . ن.ر)
(٦) تتغير .
(٧) سنه الطعام والشراب : تغير .
(٨) الوليد بن يزيد الخليفة الاموي وكان شاعراً مجيداً . وكان صاحب لهو ومجون .
(٩) احد المغنين العرب وينسب الى بنده وهي مجموعة جزائر في اندونيسيا . (ن. ر)

الاصل الاول من هذا الكتاب ، وهو بخط جمال الدين المعروف باسم الجمالة كاتب ابن المطران مترجماً. المقالة النجمية في التدابير الصحية وكأنه كان صنفها لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، فلما توفي ولم يوصلها اليه جعلها باسم ولده . اختصار كتاب الانوار للكسدانيين اخراج أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية ، اختصره وفرغ منه في رجب سنة احدى وثمانين وخمسمائة . لغز في الحكمة . كتاب على مذهب دعوة الاطباء . كتاب الادوية المفردة ، لم يتم ، وكان قد قصد فيه ان يستوعب ذكر كل دواء على غاية ما يمكنه . كتاب آداب طب الملوك . وحدثني نسيب له انه لما توفي كانت عنده مسودات عدة لمصنفات طبية وغيرها وتعاليق متفرقة فاخذ اخواته تلك المسودات وضاعت بينهن . وقال لي انه رأى عند احداهن صندوقاً ارادت أن تبطنه وقد الصقت في باطنه جملة من هذه الاوراق التي بخطه .

مهذب الدين بن الحاجب

كان طبيباً مشهوراً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً للعلوم الرياضية ، معتنياً بالادب ، متعيناً في علم النحو . مولده بدمشق ، ونشأ بها ، واشتغل بصناعة الطب على مهذب الدين بن النقاش ولازمه مدة . ولما كان شرف الدين الطوسي بمدينة الموصل ، وكان أوحد زمانه في الحكمة والعلوم الرياضية وغيرها ، سافر ابن الحاجب والحكيم موفق الدين عبد العزيز اليه ليجتمعا به ، ويشتغلا عليه فوجداه قد توجه الى مدينة طوس فأقاما هنالك مدة ، ثم سافر ابن الحاجب الى اربل ، وكان بها فخر الدين ابن الدهان المنجم فاجتمع به، ولازمه وحل معه الزيج الذي كان قد صنعه ابن الدهان،واتقن قراءته عليه ونقله بخطه ، ورجع الى دمشق.وكان هذا ابن الدهان المنجم يعرف بابي شجاع ويلقب بالثعيلب، وهو بغدادي أقام بالموصل عشرين سنة وتوجه الى دمشق فاكرمه صلاح الدين والفاضل وجماعة الرؤساء واجرى له ثلاثين ديناراً كل شهر . وكان له دين وورع ونسك ، كثير الصيام يعتكف في جامع دمشق اربعة اشهر واكثر ، ولاجله عملت المقصورة التي بالكلاسة ، وله تصانيف كثيرة منها الزيج المشهور الذي له ، وهو جيد صحيح ، ومنها المنبر في الفرائض ، وهو مشهور . كتاب في غريب الحديث عشر مجلدات ، وكتاب في الخلاف بجدول على وضع تقويم الصحة، وكان دائم الاشتغال وله شعر كثير . وقصد الحج فلما رجع الى بغداد توفي بها ودفن عند قبر ابيه وأمه بعد غيبته أكثر من اربعين سنة .

وكان مهذب الدين بن الحاجب كثير الاشتغال محباً للعلم قوي النظر في صناعة الهندسة ، وكان قبل اشتهاره بصناعة الطب قد خدم في الساعات التي عند الجامع بدمشق . ثم تميز في صناعة الطب وصار من جملة أعيانها ، وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين ابن زنكي . ثم خدم تقي الدين عمر صاحب حماة ، ولم يزل في خدمته بحماة الى ان توفي تقي الدين . ثم عاد ابن الحاجب الى دمشق وتوجه الى الديار المصرية ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن

أيوب بصناعة الطب ، وبقي في خدمته الى ان توفي صلاح الدين ، ثم توجه الى الملك المنصور صاحب حماة ابن تقي الدين ، واقام عنده نحو سنتين ، وتوفي بحماة بعلة الاستسقاء

الشريف الكحال

هو السيد برهان الدين أبو الفضل سليمان . أصليته من مصر ، وانتقل الى الشام . شريف الاعراق، لطيف الاخلاق ، حلو الشمائل ، مجموع الفضائل . وكان عالماً بصناعة الكحل ، وافر المعرفة والفضل، متقناً للعلوم الادبية ، بارعاً في فنون العربية ، متميزاً في النظم والنثر ، متقدماً في عمـــل الشعر . وخدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صـلاح الدين يوسف بن ايوب ، وكان له منه الجامكية السنية ، والمنزلة العلية ، والانعام العام والتفضل التام . ولم يزل مستمراً في خدمته متقدما في دولته الى ان توفي رحمه الله .

ومن ملح ما للقاضي الفاضل فيه على سبيل المجون ، ومما أنشدني الشيخ الحـــافظ نجيب الدين أبو الفتح نصرالله بن عقيلة الشيباني قال : أنشدني القاضي الفاضل عبـــد الرحيم بن علي لنفسه في الشريف الكحال

رجـــل توكل بي وكحلني فدهيت في عيني وفي عيني
(الكامل)

وقال ايضاً :

عاد بني العباس حتى انـــه سلب السواد من العيون بكحله

وكان قد اهدى الشريف أبو الفضل الكحال المذكور الى شرف الدين بن عنين خروفاً ، وهـو يومئذ بالديار المصرية فلما وصل اليه وجده هزيلاً ضعيفاً فكتب اليه يقول على سبيل المداعبة

أبو الفضل وابن الفضل انت وأهله فغير بديع ان يكون لك الفضل
أتتني أياديك التي لا اعدهـــا لكثرتها لا كفر نعمى ولا جهل
ولكنني انبيك عنهـا بطرفـة تروقك ما وافى لهـا قبلها مثل
أتاني خروف مـــا شككت بانه حليف هوى قد شفه الهجر والعذل
اذا قـــام في شمس الظهيرة خلته خيالا سرى في ظلمة ما له ظل
فناشدته مـــا تشتهي قـــال قتة [1] وقاسمته مـا شفه قال لي الاكل
فاحضرتها خضراء مجاجة الثرى مسلمة مـــا خص او راقها الفتل
فظل يراعيهـــا بعين ضعيفـــة وينشدها والدمع في العين منهل
أتت وحياض الموت بيني وبينها وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل
(الطويل)

---

(١) واحدة القت وهو حب بري يأكله اهل البادية بعد دقه وطبخه .

ابو منصور النصراني

كان طبيباً مشهوراً عالماً حسن المعالجة والمداواة وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين ابن أيوب وبقي سنين في خدمته.

ابو النجم النصراني

هو أبو النجم بن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالك . كان طبيبا مشهوراً في زمانه ، جيد المعرفة بصناعة الطب ، محمود الطريقة فيها ، مشكور المعالجة ، حسن العشرة ، محباً للخير . وكان يقرأ عليه علم الطب ، ويعد من جملة الفضلاء المتميزين في وقته . وحدثني ابو الفتح بن مهنا النصراني ان أبا النجم كان ابوه فلاحاً في قرية شفا من ارض حوران [1] ، وكان يعرف بالعيار . وكان ابنه أبو النجم هذا صبياً فاخذه بعض الاطباء بدمشق عنده. ولما كبر علمه صناعة الطب وعرفه أعمالها . وخدم أبو النجم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وحظي عنده،وكان مكيناً في الدولة ، وبقي في خدمته مدة . وكان يتردد الى دوره ، ويعالجهم مع جملة الاطباء . وتوفي أبو النجم النصراني بدمشق في سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وله ولد طبيب وهو امين الدولة ابو الفتح ابن ابي النجم . وله من الكتب : كتاب الموجز في الطب ، وهو يشتمل على علم وعمل .

ابو الفرج النصراني

كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب ، جيد المعرفة بها ، حسن العلاج ، متميزاً في زمانه . وخدم بصناعة الطب الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب . وكان يحترمه ويرى له . وخدم ايضاً الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين واقام عنده بسميساط [2] وكذلك ايضاً اولاد ابي الفرج اشتغلوا بصناعة الطب ، وأقاموا بسميساط في خدمة اولاد الافضل .

فخرالدين بن الساعاتي

هو رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني الساعاتي . مولده ومنشؤه بدمشق . وكان أبوه محمد من خراسان وانتقل الى الشام واقام بدمشق الى ان توفي . وكان اوحداً في معرفة الساعات وعلم النجوم . وهو الذي عمل الساعات عند باب الجامع بدمشق ، صنعها في ايام الملك العادل نورالدين محمود ابن زنكي . وكان له منه الانعام الكثير ، والجامكية والجراية لملازمته الساعات . وبقي كذلك الى أن توفي رحمه الله ، وخلف ولدين احدهما بهـــاء الدين ابو الحسن علي بن الساعاتي الشاعر ، الذي هو

---

(١) الجاد جنوبي دمشق في سوريا يحدها غرباً جبل الشيخ،وشرقاً حرات ارض اللجاة واوائل منطقة جبل العرب «الدروز» وتنتهي جنوبا الى ضفاف بحيرة طبريا .

(٢) مدينة بالاناضول فتحها صلاح الدين الايوبي . (ن. د)

افضل أهل زمانه في الشعر ، ولا احد يماثله فيه ، وتوفي بالقاهرة ، وديوانه مشهور ومعروف. والاخر فخر الدين رضوان بن الساعاتي الطبيب الكامل في الصناعة الطبية ، الفاضل في العلوم الادبية .

وقرأ فخرالدين صناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي ، ولازمه مدة . وكان فطناً ذكياً متقناً لما يعانيه ، حريصاً في العلم الذي يشتغل فيه . وقرأ ايضاً صناعة الطب على الشيخ فخر الدين المارديني . ولما ورد الى دمشق ، كان فخرالدين بن الساعاتي جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً في النهاية من الجودة ويشعر ايضاً . وله معرفة جيدة بصناعة المنطق والعلوم الحكمية ، وكان اشتغاله بعلم الادب على الشيخ تاج الدين الكندي بدمشق ، وخدم فخر الدين بن الساعاتي الملك الفائز [١] بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وتوزر له . وخدم ايضاً الملك المعظم عيسى بن الملك العادل بصناعة الطب، وتوزر له . وكان ينادمه ويلعب بالعود ، وكان محباً لكلام الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب مغرى به ، وتوفي رحمه الله بدمشق بعلة اليرقان[٢] .

ومن شعره :

يحسدني قومي على صنعتي	لانني بينهم فارس
سهرت في ليلي واستنعسوا	لن يستوي الدارس والناعس

(السريع)

ولفخر الدين بن الساعاتي من الكتب : تكميل كتاب القولنج للرئيس ابن سينا . الحواشي على كتاب القانون لابن سينا . كتاب المختارات في الاشعار وغيرها .

شمس الدين بن اللبودي

هو الحكيم الامام العالم الكبير شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي . علامة وقته ، وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكمية وفي علم الطب . سافر من الشام الى بلاد العجم ، واشتغل هناك بالحكمة على نجيب الدين اسعد الهمداني . وقرأ صناعة الطب على رجل من اكابر العلماء واعيانهم في بلاد العجم . كان اخذ الصناعة عن تلميذ لابن سهلان عن السيد الايلاقي محمد . وكان لشمس الدين بن اللبودي همة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط ، وحرص بالغ فتميز في العلوم واتقن الحكمة وصناعة الطب ، وصار قويا في المناظرة ، جيداً في الجدل ، يعد من الائمة الذين يقتدى بهم ، والمشايخ الذين يرجع اليهم . وكان له مجلس للاشتغال عليه بصناعة الطب وغيرها. وخدم الملك الظاهر غياث الدين [٣] غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وأقام عنده بحلب . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الظاهر رحمه الله ، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة . وبعد وفاته أتى الى دمشق ، وأقام بها يدرس صناعة الطب ، ويطب في البيمارستان الكبير النوري الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته بدمشق في رابع ذي القعدة

(١) تولى الملك بعد ابيه وهو من ملوك ايوبي مصر .
(٢) مرض معروف يصيب الانسان ويسبب اصفرار البدن . « ن.ر »
(٣) ثاني اولاد صلاح الدين . حارب الصليبيين

سنة احدى وعشرين وستمائة ، وله من العمر احدى وخمسون سنة . ومن كلام شمس الدين بن اللبودي: « كل شيء اذا شرع في نقص مع اصراف الهمة اليه تناهى عن قرب » .

ولشمس الدين بن اللبودي من الكتب : كتاب الرأي المعتبر في القضاء والقدر . شرح كتاب الملخص لابن الخطيب . رسالة في جمع المفاصل . شرح كتاب المسائل لحنين بن اسحق .

الصاحب نجم الدين بن اللبودي

هو الحكيم السيد العالم الصاحب نجم الدين ابو زكريا يحيى بن الحكيم الامام شمس الدين محمد بن عبدان بن عبدان بن عبد الواحد ، اوحد في الصناعة الطبية ، ندرة في العلوم الحكمية ، مفرط الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحرص في العلوم ، متفنن في الآداب . قد تميز في الحكمة على الاوائل، وفي البلاغة على سحبان[1] وائل ، له النظم البديع ، والترسل البليغ فما يدانيه في شعره لبيد[2] ، ولا في ترسله عبد الحميد [3]

ولما رأيت الناس دون محله تيقنت ان الدهر للناس ناقد

مولده بحلب سنة سبع وستمائة . ولما وصل أبوه الى دمشق كان معه وهو صبي وكانت النجابة تتبين فيه من الصغر وعلو الهمة . وقرأ على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، واشتغل عليه بصناعة الطب ، واشتغل بعد ذلك وتميز في العلوم حتى صار أوحد زمانه وفريد أوانه . وخدم الملك المنصور ابراهيم ابن[4] الملك المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي صاحب حمص . وبقي في خدمته بها . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب ، ولم تزل أحواله تنمى عنده حتى استوزره وفوض اليه امور دولته ، واعتمد عليه بكليته . وكان لا يفارقه في السفر والحضر . ولما توفي الملك المنصور ، رحمه الله ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وستمائة بعد كسره الخوارزمية [5] ، توجه الحكيم نجم الدين الى الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل ، وهو بالديار المصرية فأكرمه غاية الاكرام ، ووصله بجزيل الانعام ، وجعله ناظراً على الديوان بالاسكندرية . وله منه المنزلة العلية وجعل مقرره في كل شهر ثلاثة آلاف درهم وبقي على ذلك مدة . ثم توجه الى الشام وصار ناظراً على الديوان بجميع الاعمال الشامية .

ومن ترسله كتب رقعة وقف الخادم على المشرفة الكريمة : « ادام الله نعمة المنعم بما أودعها من النعم الجسام ، واقتضبه فيها من الاريحية التي اربى فيها على كل من تقدمه من الكرام ، وأبان فيها عما

---

(١) خطيب يضرب المثل بفصاحته توفي سنة ٦٧٤ .

(٢) شاعر جاهلي من اصحاب المعلقات . عامري القبيلة . ادرك الاسلام فاسلم وانتقل الى الكوفة .

(٣) من اشهر الكتاب العرب . شامي الاصل . كتب للامويين وقتل بعد ان رمي بالزندقة بعد ثورة مسلم الخراساني . اشتهر باساليبه الترسلي (ن.د)

(٤) امير حمص من الامراء الايوبيين .

(٥) هي الدولة التي ملكت في ايران بعد انقراض دولة سلجوق ايران (ن.د)

يقضي على الخادم بالاسترقاق ، وعلى الدولة خلدها الله بمزايا الاستحقاق . وكلما أشار المولى عليه فهو كما نص عليه ، لكنه يعلم بسعادته أن الفرص تمر مر السحاب ، وان الامور المعينة في الاوقات المحدودة تحتاج الى تلاقي الاسباب . وقد ضاق الوقت بحيث لا يحتمل التأخير ، والمولى يعلم ان المصلحة تقديم النظر في المهم على جميع أنواع التدبير . وما الخادم مع المولى في هذا المهم العظيم الا كسهم ، والمولى مدده . وسيف والمولى جرده ، فالله الله في العجلة والبدار . وقد ظهرت مخايل السعادة والانتصار . والحذر الحذر من التأخير والاهمال فتنفوت والعياذ بالله الأوقات التي نرجو من الله فيها بلوغ الآمال ، والمرجو من كرم الله ان ينهض الملوك في خدمة مولانا السلطان بما يبيض وجه أمله ، ويكون ذلك على يد المولى وبقوله وعمله ان شاء الله تعالى . »

ومن شعره وهو مما انشدني لنفسه فمن ذلك قال في الخليل عليه الصلاة والسلام ، وهو متوجه الى خدمته عند عودته من الديار المصرية ، وانشدها عند باب السرداب وهو قائم في ذي القعدة سنة احدى وستين وستمائة .

هذي المهابة والجلال الهائل ... بهرا فماذا ان يقول القائل
لو أن قساً[1] حاضراً متمثلا ... يوماً لديك حسبته هو باقل[2]
هل تقدر الفصحاء يوماً ان يروا ... وبيانهم عن ذي الجلال يناضل
وبك اقتدى جل النبيين الاولى ... ولديك اضحت حجة ودلائل
أظهرت ابراهيم اسباب الهدى ... والخير والمعروف انت العامل
شيدت اركان الشريعة معلناً ... ومقرراً ان الاله الفاعل
ما زال بيتك مهبط الوحي الذي ... لجلاله مقفر وربعك آهل
وبهرت في كل الامور بمعجز ... ما ان يخالف فيه يوماً عاقل
وكفاك يوم الفخر أن محمداً ... يوم التناسب في النجار مواصل
ما زلت تنقل للنبوءة سرها ... حتى غدا لمحمد هو حاصل
فعليكما صلوات رب لم يزل ... يأتيكما منه ثنا وفواضل
وقد التجأت الى جنابك خاضعاً ... متوسلا وانا الفقير السائل
أرجوك تسأل لي لدى رب العلا ... غفران ما قد كنت فيه ازاول
وأرى وقد غفرت لديه خطيتي ... وبلغت مقصودي وما أنا آمل
ورجعت منقطعاً الى ابوابه ... لا ألتقي عن غيره أنا سائل
ولقد سألت لكامل في جوده ... يعطي بلا منّ ولا هو باخل
فحقيقة أني بلغت ارادتي ... سيا وأنت لما سألت الحامل

(الكامل)

---

(١) قس بن ساعدة خطيب جاهلي كان يؤمن بالتوحيد ويدعو العرب اليه . ويضرب المثل بحكمته وبلاغته وموعظته.
(٢) هو ابن عمرو بن ربيعة الأيادي . ضرب به المثل في العي والفهاهة في الجاهلية . (ن.ر)

وقال ايضاً في الخليل عليه الصلاة والسلام عند عوده من الديار المصرية في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وستمائة وانشدها عند باب السرداب .

ألا يا خليل الله قد جئت قاصداً ... الى بابك المقصود من كل موضع
أؤدي حقوقاً واجبات لفضلكم ... مننتم بها قدماً على كل من يعي
فأرشدت أقواماً بهديك اقتدوا ... فصاروا بذاك الهدي في خير مهيع
وأظهرت أعلام الشريعة معلناً ... فأضحت بمرأى للأنام ومسمع
وأودعتها أسرار كل خفية ... فكنت بما أودعته خير مودع
وأظهرت برهاناً غدا بك قاطعاً ... قطعت به من لم يكن قبل يقطع
وها أنا قد وافيت بابك سائلاً ... بوقفة مسكين وذل تخضع
بأن تسأل الله الكريم فانه ... لأفضل مسؤول واكرم من دعي
بأن يحمني من شر كل بلية ... ويصرف عن صرف الحوادث مجمعي
ولا يبلني من بعدها بمصيبة ... ولا التقي خلاً بأنة موجع
ويفرج لي مما ابتليت بهمه ... فقد بت مهموماً بقلب مصدع
فاني اذا ما نابني خطب حادث ... جعلت الى مغناك قصدي ومفزعي
لتشفع لي عند الاله فانني ... بتبليغ آمالي وتحصيل مطمعي
فأفرغ عن اشغال دنيا وأنثني ... الى امر اخراي بقلب موسع
وتسأله ان يعف عني تكرماً ... وان أحظ من أنواره بتمتع
ومن كان مشفوعاً وانت شفيعه ... فلا بد في الجنات يحظى بمرتع

(الطويل)

ورأى الخليل عليه الصلاة والسلام فيما بين النائم واليقظان عقيب حال كانت اتفقت له يقول له :

لا تأسفن على خيل ولا مال ... ولا تبيتن مهموماً على حال
ما دامت ، النفس والعلياء سالمة ... فانظر الى سائر الاشيا باهمال
فانما المال أعراض مجددة ... معرضات لتضييع وابدال
ولذة المال ان النفس تصرفه ... فيما تجدد من هم واشغال
وخير ما صرفت كفاك ما جمعت ... في صون عرضك عن قيل وعن قال
فكم جمعت من الاموال مقتدراً ... وفرقتها يد الاقدار في الحال
ولم تر قط محتاجاً الى أحد ... ولم تزل أهل حاجات وآمال
وسوف يجزيك رب العرش عادته ... على عوائد إحسان واجمال
وتلتقي كل سير بت ترقبه ... كما مضى سالفاً في عصرك الحالي

(البسيط)

وقال ، ونظمه في القدس الشريف عند عوده من مصر في منتصف جمادى الاولى سنة ست وستين وستمائة

الا يا خليــل الله عندي صبابة وشوق الى لقياك زاد بها كربي
فأنت الذي سننت للناس مذهباً فكنت به الهادي الى السنن الرحب
وأوضحت في طرق النبوة منهجاً فراح من الاشواق يعلو على الشهب
بما كنت مبديه من الحجج التي قوين فلا يدفعن بالقدح والثلب
وكان بودي لو اتيتك زائراً اعفر في مغناك خدي على الترب
واقضي حقوقا واجبات لفضلكم غدت لكم بالفضل في افضل الكتب
وانهي ما عندي من الوجد والاسى ومــا بات من هم واصبح في قلبي
وان الليالي قد رمتني بصرفهــا بما حط من شاني وقلل من غربي
وأنت الذي أرجوك في كل شدة لتكشف عني كل مستكره صعب
وتشفع لي عنـد الاله فأنني وقد فرج الرحمن ما بي من الخطب
ولا سيما والعبد في شيمة الذي به شرفت كل الاعاجم والعرب
وذلك خـير الناس اعني محمداً ومن كان في الامراء في غاية القرب
ومن كنتما ذخراً له ووسيلة وكنزاً عظيما راح في السلم والحرب
فلا عجباً ان راح وهــو مسلم من البأس والضراء والعتب والسلب
وغير بديع ان يرى غير خائف يبات قريرا آمن القلب والسرب
فيا صاحبي طرق النبوة والهدى أقيلا عثاري شافعين الى ربي
فحسبكما لي شافعان فانني لأعلم ان الله حينئذ حسبي
(الطويل)

وقال ايضاً :

كلما خفت قد تناءى الرجاء ووثوقي بالله فيــه اكتفاء
فدع الخوف والرجاء جميعا واصطبر راضيا فذاك الرضاء
ليس عمــا قضى الاله محيد فدع الهم فهو عندي عنــاء
وتيقن ان الاله لطيف ان أتى الغم أعقب السراء
(الخفيف)

وقال ايضاً :

اذا ضاق أمر فاصبر سوف ينجلي فكم حر نار أعقبت بسلام
ولا تسأل الايام دفــع ملمة فلست ترى أمرا حليف دوام
(الطويل)

وقال وكتبه الى الملك الناصر يوسف بن محمد :

ليهنك نيروز أتاك مبشرا بنيل الذي تهواه يوما وتطلب
وان بقاء الملك مع غير أهله عجيب وحالي منه عندك اعجب
أسوق اليك الملك طوعا فتلقه ومن عند غيري في تقاضيه ترغب
وتدأب في تحصيل ما أنا قادر عليه من الملك الذي راح يصعب
وأقسم لو ساعدتني بعض مــــدة لأمسى الذي استعبدته وهو يقرب

(الطويل)

وقال ايضاً :

سارحل عنكم لا لكرهي لفضلكم علي ومن لي ان اقضي به عمري
ولكنما رزقي قليل وحاسدي كثير وقد طالت بنا نُوب الدهر
تبدلت عن جــــاه جليل بذلة وعن سعة في الرزق بالضيق والفقر
وعاد قصارى منيتي في ذراكم أساوي بمن لا يستعد بان يدري
ولو كانت العلياء تأتي الى الحجى علوت محل الشهب مع موضع البدر
على انه قد طال ما صرفت يدي صنوف الورى بالجود والنهي والامر
فصبراً على جور الليالي وحكمها فــــا برحت لا تستمر على أمر
ومن عجب أني أرجي سواكم وأرحل عنكم أطلب البر بالبر
واستخبر الآفاق عــن كل منعم وأقطع بالتطواف مستصعب القفر
وأنت صلاح الدين أكرم ذا الورى ومن جوده يزري بمندفق البحر
وأنت مليك الأرض طراً فما يرى لملك سواكم في البسيطة من قدر
واني وأنا القن الذي ليس يدعي سواي حقوقي اللاء تقطع بالنصر

(الطويل)

وقال ايضاً :

لئن كان جسمي سار عنك مفارقاً فقلبي في اكناف ربعك ساكن
وان فؤادي من تنقلك خــــائف على ان قلبي من تنقــــله آمن

(الطويل)

وقال ايضاً :

أيا قمــــري أوحشتني وتركتني حليف سهاد دائم الهم والفكر
بودي لو أمسيت عندي حاضراً وأمسي عديم العقل والسمع والبصر

(الطويل)

وقال :

يا مالك مهجتي ويا متلفهـا   كم تسعفك النفس وكم تعسفهـا
إن كنت أنا في الحب يعقوب هوى   ها أنت على حسانها يوسفهـا

(دوبيت)

وللصاحب نجم الدين بن اللبودي من الكتب : مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينـا . مختصر كتاب المسائل لحنين ابن اسحق . مختصر كتاب الاشارات والتنبيهـات لابن سينا . مختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا . مختصر كتاب الملخص لابن خطيب الري . مختصر كتاب المعاملين في الاصولين . مختصر كتاب اوقليدس . مختصر مصادرات اوقليدس . كتاب اللمعات في الحكمة . كتاب آفاق الاشراق في الحكمة . كتاب المناهج القدسية في العلوم الحكمية . كافية الحساب في علم الحساب . غاية الغايات في المحتـاج اليه أوقليدس والمتوسطات . تدقيق المباحث الطبية ، في تحقيق المسائل الخلافية ، على طريق مسائل خلاف الفقهاء . مقاله في البرشعثا . كتاب ايضاح الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف ، والف هـذا الكتاب وله من العمر ثلاث عشرة سنة . غاية الاحكام في صناعة الاحكام . الرسالة السنية في شرح المقدمة المطرزية . الأنوار الساطعات في شرح الآيات البينـات . كتاب نزهة الناظر في المثل السائر. الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة . الرسالة المنصورية في الاعداد الوفقية . الزاهي في اختصار الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب .

زين الدين الحافظي

هو الصدر الامام العالم الامير زين الدين سليمان بن المؤيد علي بن خطيب عقرباء[1]، اشتغل بصناعة الطب على شيخنا مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله فحصل علمها وعملها ، وأتقن فصولهـا وجلها ، وخدم بصناعة الطب الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه[2] بن أبي بكر بن أيوب ، وكان يومئذ صاحب قلعة جعبر[3] . وأقام في خدمته في قلعة جعبر ، وتميز عنده ، وأجزل رفده ،وخوله في دولته ، واشتمل عليه بكليته . وكان زين الدين يعاني الأدب والشعر والكتابة الحسنة . وكان ايضاً يعاني الجندية ، وداخل اولاد الملك الحافظ ، وصار حظياً عندهم مكيناً في دولتهم . ولما توفي الملك الحافظ ، وتسلم قلعة جعبر الملك الناصر يوسف[4] بن محمد بن غازي صاحب حلب وذلك بمراسلات كان فيها زين الدين الحافظي. وانتقل زين الدين الى حلب ، وصارت له يد عند الملك الناصر ، ومنزلة رفيعة . وتزوج زين الدين بابنة رئيس حلب ، واقتنى اموالاً كثيرة . ولمـا ملك الناصر يوسف

---

(١) كورة بدمشق .

(٢) تولى الحكم بعد ابيه وحالف صلاح الدين .

(٣) قلعة قديمة اطلق عليها العرب اسم دومرة بين الرقة وبالس على الفرات .

(٤) هو صلاح الدين ابو المظفر يوسف جمع كلمة امراء حلب وحمص وبعلبك والشام وهزم الخوارزميين . قتله هولاكو بعد ان اجتاح بغداد وحلب . (ن.ر)

ابن محمد دمشق وصل معه الى دمشق ، وصار مكينـاً في دولتـه ، وجيهاً في ايامه ، معانيـاً للصناعة الطبية ، معيناً في الامره والجندية . ولذلك قلت فيه :

وما زال زين الدين في كل منصب ... له في سماء المجد اعلى المراتب
أمير حوى في العلم كل فضيلة ... وفاق الورى في رأيه والتجارب
اذا كان في طب فصدر مجالس ... وان كان في حرب فقلب الكتائب
ففي السلم كم احيا ولياً بطبه ... وفي الحرب كم أفنى العدا بالقواضب

(الطويل)

ولم يزل الملك الناصر بدمشق ، وهو عنده حتى جاءت رسل التتر من الشرق الى الملك الناصر وهم في طلب البلاد ، والتشرط عليه بما يحمله اليهم من الاموال وغيرها ، فبعث زين الدين الحافظي رسولاً الى خاقان هولاكو[1] ملك التتر ، وسائر ملوكهم ، فأحسنوا اليه الاحسان الكثير ، واستمالوه حتى صار من جهتهم ومازجهم . وتردد في المراسلة مرات ، وأطمع التتر في البلاد ، وصار يهول على الملك الناصر امورهم ، ويعظم شأنهم ويفخم مملكتهم ، ويصف كثرة عساكرهم ، ويصغر شأن الملك الناصر ومن عنده من العساكر . وكان الملك الناصر مع ذلك جباناً متوقفاً عن الحرب . ولما جاءت التتر الى حلب ، وكان هولاكو قد نازلها بقوا عليها نحو شهر ، وملكوها وقتلوا اهلها وسبوا النساء والصبيان ، ونهبوا الاموال ، وهدموا القلعة وغيرها ، هرب الملك الناصر يوسف من دمشق الى مصر وقصد ان يملكها ، فخرجت عساكر مصر وملكها يومئذ الملك المظفر سيف الدين قطز[2] ، فكسر الملك الحافظ ، وتفرقت عساكره وزال ملكه . وملكت التتر دمشق بالامان ، وجعلوا فيها نائباً من جهتهم . وصار زين الدين أيضاً بها وامروه ، وبقي معه جماعة أجناد حتى كانوا يدعونه الملك زين الدين . ولما وصل الملك المظفر قطز صاحب مصر ، ومعه عساكر الاسلام ، وكسر التتر في وادي كنعان الكسرة العظيمة المشهورة ، وقتل من التتر الخلق العظيم الذي لا يحصى ، انهزم نائب التتر ومن معه من دمشق وراح زين الدين الحافظي معهم خوفاً على نفسه من المسلمين ، وصارت بلاد الشام بحمد الله الى ما كانت عليه ، وملكها بعد الملك المظفر قطز رحمه الله السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس[3] وصـار صاحب الديار المصرية والشام خلد الله ملكه .

ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس

هو مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي ، مولده ومنشؤه بدمشق . وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل ان يتحـلى بمعرفة صناعة الطب . وكان

---

(١) فاتح مغولي ومؤسس دولة التتر احتل بغداد واباحها لجنده واحرق مكاتبها.

(٢) سلطان مصر (١٢٥٩–١٢٦٠)من دولة المماليك البحريين . وغلب المغول والافرنج المتحالفين في موقعة عين جالوت بسوريا قتله بيبرس وخلفه في الملك (ن.د)

(٣) رابع سلاطين المماليك البحريين ١٢٢٣–١٢٧٧). حطم قوى الصليبيين وغزا قواده بلاد النوبة والبربر .

في اول امره نجاراً وينحت الحجارة أيضاً ، وكان تكسبه بصناعة النجارة ، وله يـــد طولى فيها ، والناس كثيراً ما يرغبون الى اعماله. واكثر أبواب البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نورالدين ابن زنكي رحمه الله من نجارته وصنعته أخبرني سديد الدين بن رقيقة عنه انه أخبره بذلك .

وحدثني شمس الدين بن المطواع الكحال عنه ، وكان صديقاً له ان اول اشتغاله بالعلم انه قصـد الى ان يتعلم اوقليدس ليزداد في صناعة النجارة جودة ويطلع على دقائقها ويتصرف في أعمالها . قال: وكان في تلك الايام يعمل في مسجد خاتون الذي تحت المنيبع غربي دمشق، فكان في كل غداة لا يصل الى ذلك الموضع الا وقد حفظ شيئاً من أوقليدس ، ويحل ايضاً منه في طريقه ، وعند فراغـــه من العمل ، الى أن حــل كتاب أوقليدس باسره ، وفهمه فهماً جيداً وقوي فيه . ثم نظر ايضاً في كتاب المجسطي ، وشرع في قراءته وحله ، وانصرف بكليته الى صناعة الهندسة وعرف بها .

اقول : واشتغل ايضاً بصناعة النجوم وعمل الزيجات . وكان قد ورد الى دمشق ذلـــك الوقت الشرف الطوسي ، وكان فاضلاً في الهندسة والعلوم الرياضية ، ليس في زمانه مثله فاجتمع به ، وقرأ عليه ، وأخذ عنه شيئاً كثيراً من معارفه وقرأ ايضاً صناعة الطب على أبي المجد محمد بن أبي الحـكم ولازمه حق الملازمة ونسخ بخطه كتباً كثيرة في العلوم الحكمية ، وفي صناعة الطب . ووجدت بخطه الكتب الستة عشر لجالينوس ، وقد قرأها على أبي المجد محمد بن أبي الحكم، وعليها خط ابن أبي الحكم له بالقراءة . وهو الذي أصلح الساعات التي للجامع بدمشق. وكان له على مراعاتها وتفقدها جامكية مستمرة يأخذها . وكانت له ايضاً جامكية لطبه في البيمارستان الكبير ، وبقي سنينا كثيرة يطب في البيمارستان الى حين وفاته . وكان فاضلاً في صناعة الطب ، جيد المباشرة لاعمالها ، محمود الطريقة . وكان قد سافر الى ديار مصر ، وسمع شيئاً من الحديث بالاسكندرية في سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين وخمسمائة ، من رشيد الدين أبي الثناء حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضيل الحراني ، ومن أبي طاهر أحمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم السلفي الاصفهاني . واشتغل ايضاً بالادب وعلم النحو ، وكان يشعر وله قطع جيدة. وتوفي رحمه الله في سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق باسهال عرض له، وعاش نحو السبعين سنة . ومن شعر أبي الفضل بن عبد الكريم المهندس نقلت من خطه في مقالته في رؤية الهلال ألفها للقاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين ويقول فيها يمدحه .

خصصت بالاب لمـــا ان رأيتهم	دعوا بنعتك أشخاصا من البشر
ضد النعوت تراهم ان بلوتهـــم	وقد يسمى بصيرا غير ذي بصر
والنعت ما لم تك الافعال تعضده	اسم على صورة خطت من الصور
وما الحقيق به لفظ يطابقه المع	نى كنجل القضاة الصيد من مضر
فالدين والملك والاسلام قاطبة	برأيه في أمان من يـــد الغير
كم سن سنة خـير في ولايته	وقام لله فيهـــا غير معتذر
يرجو بذاك نعـــيا لا نفاد له	جوار ملك عزيز جـــل مقتدر

فالله يكلؤه من كل حادثـــة   ما غردت هاتفات الورق في الشجر
البسيط

ولابي الفضل بن عبد الكريم المهندس من الكتب : رسالة في معرفة رمز التقويم ٠ مقالة في رؤية الهلال . اختصار كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج الاصبهاني . وكتب من تصنيفه هذا نسخة بخطه في عشر مجلدات ، ووقفها بدمشق في الجامع مضافاً الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة . كتاب في الحروب والسياسة . كتاب في الادوية المفردة ، على ترتيب حروف أبجد .

موفق الدين عبد العزيز

هو الشيخ الامام العالم موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجباز بن أبي محمد السلمي . كان كثير الخير محباً له مؤثراً للجميل ، عزيز المروءة ، وافر العربية ، شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً لمن كان منهم ، ضعيف الحال يفتقدهم ويعالجهم ويوصل اليهم النفقة وما يحتاجونه من الادوية والاغذية. وكان كثير الدين ، طلق الوجه ، يحبه كل احد . وكان في اول امره في المدرسة فقيها في المدرسة الامينية بدمشق عند الجامع . واشتغل بعد ذلك على الياس بن المطران بصناعة الطب وأتقن معرفتها وحصل علمها وعملها ، وصار من المتميزين من اربابها ، والمشايخ الذين يقتدى بهم فيها . وكان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب . وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي انشأه الملكالعادل نور الدين محمود بن زنــكي . ثم خدم بعد ذلك الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين ، وله منه الانعام الكثير ، والافضال الغزير ، والمنزلة العلية ، والجامكية السنية . ولم يزل في خدمته الى ان توفي موفق الدين عبد العزيز رحمه الله بدمشق بعلة القولنج . وذلك في يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة سنة اربع وستمائة ، ودفن بجبل قاسيون وعمره نحو الستين سنة ، ومولـــده في سنة خمسمائة ونيف وخمسين .

سعد الدين بن عبد العزيز

هو الحكيم الاجل الامـــام العالم سعدالدين ابو اسحق ابراهيم بن عبدالعزيز بن عبدالجبار بن ابي محمد السلمي . قد أشبه أباه في خلقه وخلقه ومعرفته وحذقه . كثير الدين، شريف اليقين ، بارع في العلوم الفقهية ، ورع في الامور الدينية . ولما كان بدمشق كان يعتكف بالجامع شهر رمضان ، ولم يتكلم فيه . وهو الذي تولى عمارة المدرسة الحنبلية في سوق القمح بدمشق ، وذلك في أيام الملك الاشرف موسى[1] بن الملك العادل . وكان الامام المستنصر بالله خليفة ببغداد قد أمره بعمارتها . وكان الحكيم سعد الدين أوحد زمانه وعلامة اوانه في صناعة الطب ، قد أحكم كليات اصولهـــا وأتقن جزئيات انواعها وفصولها . ولم يزل مواظباً على الاشتغال ملازماً له في كل الاحوال . مولده بدمشق في اوائل

(١) اعتقد انه الملك الاشرف مظفر الدين ابو الفتح موسى من ملوك الايوبيين (١١٨٢-١٢٣٧) وكان مقر حكمه الرقة .

المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي .

وبعد ذلك خدم الملك الاشرف أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن ايوب وأقام معه في بلاد الشرق وله منه الاحسان الكثير ، والافضال الغزير ، والجامكية الوافرة ، والصلات المتواترة . وكان حظياً عنده ، مكيناً في دولته . ولم يزل في خدمته الى أن أتى الملك الاشرف الى دمشق وتسلمها من ابن اخيه الملك الناصر داود [1] بن الملك المعظم . وذلك في شعبان سنة ست وعشرين وستمائة فأتى معه الى دمشق ، وبقي بها . ثم ولاه السلطان رئاسة الطب، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الاشرف. وكانت وفاته رحمه الله بقلعة دمشق ، أول نهار يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة . ثم بعد ذلك لما ملك دمشق الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن ايوب في العشر الاول من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وستمائة أمر باستخدامه ، وان يقرر له جميع ما كان باسمه من اخيه الملك الاشرف، وبقي في خدمته مدة يسيرة ، وتوفي الملك الكامل رحمه الله ، وذلك في ليلة الخميس أول الليل ثاني وعشرين رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة . ولم يزل الحكيم سعد الدين مقيماً بدمشق ، وله مجلس عام للمشتغلين عليه بصناعة الطب الى ان توفي رحمه الله ، وكانت وفاته بدمشق في شهر جمادى الآخرة سنة اربع وأربعين وستمائة .

وللشريف البكري في الحكيم سعد الدين من ابيات

حكيم لطيف من لطافة وصفه ... يود المعافى السقم حتى يعوده

(الطويل)

رضي الدين الرحبي

هو الشيخ الحكيم الامام العالم رضي الدين ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي ، من الاكابر في صناعة الطب ، والمتعينين من أهلها ، وله القدم والاشتهار والذكر الشائع عند الخواص والعوام . ولم يزل مبجلاً عند الملوك وغيرهم ، كثيري الاحترام له . وكان كبير النفس، عالي الهمة، كثير التحقيق حسن السيرة ، محباً للخير وأهله ، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى ، رؤوفاً بالخلق، طاهر اللسان . ما عرف منه في سائر عمره انه آذى احداً ولا تكلم في عرض غيره بسوء . وكان والده من بلد الرحبة [2] ، وله أيضاً نظر في صناعة الطب ، إلا ان صناعة الكحل كانت اغلب عليه وعرف بها . وكان مولد الشيخ رضي الدين بجزيرة ابن عمر، ونشأ بها واقام ايضاً بنصيبين[3] وبالرحبة سنين . وسافر ايضاً الى بغداد والى غيرها . واشتغل بصناعة الطب وتمهر فيها . واجتمع ايضاً في ديار

---

(١) هو صلاح الدين الناصر داود ابن الملك المعظم الايوبي (١٢٠٦–١٢٥٨) قضى ايامه بالكفاح على حقوقه ضد اهل بيته ومات بالطاعون .

(٢) مدينة اسسها مالك التغلبي على الفرات الاوسط في خلافة المأمون وهي اليوم اطلال وآثار وتعرف برحبة مالك.

(٣) مدينة في ما بين النهرين على نهر جمجع اشتهرت قديماً بمدرستها السريانية . (ن ر)

مصر بالشيخ الموفق المعروف بابن جميع المصري ، وانتفع به. وكان وصوله مع ابيه الى دمشق في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكان في ذلك الوقت ملكها السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي. وأقام رضي الدين ووالده بدمشق سنين ، وتوفي والده بها ودفن بجبل قاسيون . وبقي رضي الدين قاطناً بدمشق ، وملازماً للدكان لمعالجة المرضى ونسخ بها كتباً كثيرة ، وبقي على تلك الحال مدة .

واشتغل على مهذب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فنوه بذكره وقدمه ، وتأدت به الحال الى أن اجتمع بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فحسن موقعه عنده ، واطلق له في كل شهر ثلاثين ديناراً ، ويكون ملازماً للقلعة والبيمارستان . فبقي كذلك مدة دولة صلاح الدين بامرها . وكان صلاح الدين قد طلبه للخدمة في السفر فلم يفعل ولما توفي صلاح الدين رحمه الله بدمشق ، وذلك في ليلة الاربعاء ثلث الليل الاول سابع وعشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وانتقل الملك عن اولاده الى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب واستولى على البلاد أمربان يكون في خدمته في الصحبة فلم يجب الى ذلك ، وطلب أن يكون مقيما بدمشق فاطلق له الملك العادل ما كان مقرراً باسمه في ايام صلاح الدين ، وان يبقى مستمراً علىما هو عليه . وبقي على ذلك ايضاً الى ان توفي الملك العادل، وملك بعده الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل فأجرى له خمسة عشر ديناراً ، ويكون متردداً الى البيمارستان فبقي متردداً اليه الى أن توفي رحمه الله .

واشتغل عليه بصناعة الطب خلق كثير ونبغ منهم جماعة عدة . وأقرأوا لغيرهم وصاروا من المشايخ المذكورين في صناعة الطب. ولو اعتبر أحد جمهور الاطباء بالشام لوجد اما ان يكون منهم من قد قرأ على الرحبي ، أو من قرأ على من قرأ عليه. وكان من جملة من قد قرأ عليه ايضاً في أول امره الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي قبل ملازمته لابن المطران .

وحدثني الشيخ رضي الدين يوماً قال : ان جميع من قرأ علي ولازمني فانهم سعدوا وانتفع الناس بهم ، وذكر لي اسماء كثيرين منهم قد تميزوا واشتهروا في صناعة الطب منهم من قد مات ، ومنهم من كان بعد في الحياة . وكان يرى انه لا يقرىء أحداً من أهل الذمة أصلاً صناعة الطب ، ولا لمن لا يجده أهلاً لها . وكان يعطي الصناعة حقها من الرآسة والتعظيم . وقال لي انه لم يقرىء في سائر عمره من اهل الذمة سوى اثنين لا غير أحدهما الحكيم عمران الاسرائيلي ، والآخر ابراهيم بن خلف السامري بعد ان ثقلا عليه بكل طريق • وتشفعا عنده بجهات لا يمكنه ردهم . وكل منهما نبغ وصار طبيباً فاضلاً . ولا شك ان من المشايخ من يكون للاشتغال عليه بركة وسعد كما يوجد ذلك في بعض الكتب المصنفة دون غيرها في علم علم . وكنت في سنة اثنتين وثلاث وعشرين وستمائة قد قرأت عليه كتاباً في الطب ، ولا سيا فيا يتعلق بالجزء العملي من كلام ابي بكر محمد بن زكريا الرازي وغيره وانتفعت به .

وكان الشيخ رضي الدين محباً للتجارة مغرى بها . وكان يراعي مزاجه ويعتني بحفظ صحته . وقال الصاحب جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي عن الحكيم الرحبي : انه كان يلزم في

اموره قوانين حفظ الصحة الموجودة . قال : ولقد بلغني انه كان يقتني أجود الطباخات ، ويتقدم اليها باحكام ما يغلب على ظنه الانتفاع باستعماله في نهاره ذلك بما باشره من نفسه ، وما غلب عليه من الاخلاط في يومه ، فاذا انجزتـه واعلمته بذلك طلب من يؤاكله من مؤانسيه . فاذا حضر منهم من حضر استأذنته في احضار الطعام فيقول لها أخريه فان الشهوة لم تصدق بعد ، فتؤخره الى ان يستدعيه ، ويقول أعجلي فتأتيه به ويتناول منه . فقال له بعض اصحابه يوماً ما المراد بهذا ؟ فقال: الأكل مع الشهوة هو المندوب اليه لحفظ الصحة فان الاعضاء اذا احتاجت الى تعويض ما تحلل منها استدعت ذلك من المعدة فتستدعيه المعدة من خارج . فقال له : وما ثمرة هـذا ؟ قال : ان يعيش الانسان العمر الطبيعي . فقال له : انك قد بلغت من السن ما لم يبق بينك وبين العمر الطبيعي إلا القليل ، فأي الحاجة الى هـذا التكلف ؟ فقال له : لأبقى ذلك القليل فوق الأرض استنشق الهواء وأجرع الماء ، ولا اكون تحتها بسوء التدبير . ولم يزل على حالته تلك الى ان اتاه اجله .

أقول : ومما يناسب هـذا المعنى المتقدم في انه لا ينبغي ان يؤكل الطعام إلا بشهوة صادقة للاكل ، انني كنت يوماً أقرأ عليه في شيء من كلام الرازي في ترتيب تناول الاغذية ، وقد ذكر الرازي ان الانسان ينبغي له ان يأكل في اليوم مرتين . وفي اليوم الثـاني مرة واحدة . فقال لي : لا تسمع هذا ، والذي ينبغي ان تعتمد عليه أنك تأكل وقت تكون الشهوة للاكل صـادقة في أي وقت كان ، سواء أكان مرتين في النهار أو مرة أو ليل أو نهار . فالأكل عند الشهوة الصادقة للاكل هو الذي ينفع ، واذا لم يكن كذلك فانه مضرة البدن . وصدق في قوله . وقد لزم في سائر أيامـه أشياء لا يخل بها ، وذلك انه كان يجعل يوم السبت ابداً لخروجـه الى البستان وراحته فيه ، ويتركه يوم بطالة عن الاشتغال . وكان لا يدخل الحمام الا في يوم الخميس ، وقد جعل ذلك له راتباً . وكان في يوم الجمعة يقصد من يريد رؤيته وزيارته من الاعيان والكبراء . وكان أبداً يتوخى أنـه لا يصعد في سلم. واذا كان له مريض يفتقده ان لم يكن في موضع لا يصعد اليه اذا أتاه في سلم ، وإلا لم يقربه وكان يصف السلم بانه منشار العمر .

ومن أعجب ما حكى لابي من ذلك انه قال انني منذ اشتريت هذه القاعة التي انا ساكن فيها أكثر من خمس وعشرين سنة مـا اعرف انني طلعت الى الحجرة التي فوقهـا ، إلا وقت استعرضت الدار واشتريتها . وما عدت طلعت الى الحجرة بعد ذلك الى يومي هذا .

ومن نوادره وحسن تصرفاته فيما يتعلق بصناعـة الطب ، حدثني الصاحب صفي الدين ابراهيم بن مرزوق وزير الملك الاشرف بن الملك العادل ، وقد حكى جملاً من منـاقب الشيخ رضي الدين، فمن ذلك قال: ان الصاحب صفي الدين بن شكر [1] وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب كان أبداً يلازم

---

(١) ابو محمد عبدالله وزير الملك العادل (١١٥٣ - ١٢٢٥) انشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة واكرم العلماء . وكان داهية. وتوفي في القاهرة . (ن.ر)

أكل لحم الدجاج ويعدل عن لحم الضأن في اكثر الاوقات ، فشكا اليه شحوباً كان قد غلب على لونه. وكان الاطباء يصفون له كثيراً من الاشربة وغيرها فلما شكا اليه هذا مضى لحظة ، وعاد ومعه قطعة من صدر دجاجة ، وقطعة حمراء من لحم ضأن . ثم قال له أنت تلازم أكل لحم الدجاج فلم يأت الدم المتولد منه مشرق الحمرة كما يأتي من لحم الضـأن ، وانت ترى لون هـذا اللحم من الضان ومباينته في اللون لهذه القطعة من الدجاج فينبغي ان تترك أكل لحم الدجـاج ، وتلازم اكل لحم الضان فانك تصلح ، وما تحتاج معه الى علاج . قال : فقبل هذا الرأي منه وتناول مـا أوصاه به ، واستمر على ذلك مدة فصلح لونه ، واعتدل مزاجه .

أقول : وهذا اقناع حسن أوجده لمن أراد علاجه ، وتدبير بليغ في حفظ صحته . وذلك ان الوزير كان عبل البدن ، تام البنية ، قوي التركيب ، جيـد الاستمراء . فكانت اعضاؤه ترزأ[1] من لحم الدجاج بدم لطيف وهي تحتاج الى غذاء أغلظ منه وامتن . فلما لازم أكل لحم الضأن صار يتولد له منه دم متين يقوم بكفاية ما تحتاج اليه أعضاؤه فصلح مزاجه وظهر لونه .

وكان مولد الشيخ رضي الدين الرحبي في شهر جمادى الاولى سنة أربع وثـلاثين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر ، وكان أول مرضه في يوم عيد الاضحى من سنة ثلاثين وستمائة ، ووفاته رحمه الله بكرة يوم الاحد العاشر من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن بجبل قاسيون . فعاش نحو المائة سنة ، ولم يتبين تغير شيء من سمعه ولا بصره . وانما كان في آخر عمره قد عرض له نسيان للاشياء القريبة العهد المتجددة ، وأما الاشياء البعيدة المدة التي كان يعرفها من زمان طويل فانه كان ذاكراً لها . وخلف ولدين الاكبر منهما شرف الدين أبو الحسن عـلي ، والآخر جمال الدين عثمان . وحكى لي بعض أهله ممن لازمه في المرض انه عنـد موته جس نبض يده اليسرى بيده اليمنى ، وبقي كالمتأمل المفكر في ذلك . ثم ضرب بيـديه كفاً على كف لانه علم ان قوته قد سقطت . قـال : وعدّل زورقية[2] كانت على رأسه بيديه . واستبسل للموت ومات بعد ذلك .

ولرضي الدين الرحبي من الكتب بتهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لابقراط . اختصار كتاب المسائل لحنين ، كان قد شرع في ذلك ولم يكمله

شرف الدين بن الرحبي

هو الحكيم الامام العالم الفاضل علامة عصره وفريد دهره ، شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف ابن حيدرة بن الحسن الرحبي . كان مولده بدمشق في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكان قـد سلك حذو أبيه ، واقتفى ما كان يقتفيه . وهو أشبه به خلقاً وخلقاً وطرائق . لم يزل متوفراً على قراءة

(١) تصاب .
(٢) نوع من لباس الرأس يشبه الطاقية .

الكتب وتحصيلها ، ونفسه تشرئب الى طلب الفضائل وتفصيلها . وله تدقيق في الصناعة الطبية وتحقيق لمباحثها الكلية والجزئية . وله في الطب كتب مؤلفة وحواش متفرقة . واشتغل بصناعة الطب على أبيه ، وقرأ أيضاً على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وحرر عليه كثيراً من العلوم ، ولا سيما من تصانيف الشيخ موفق الدين البغدادي . واشتغل ايضاً بالادب على الشيخ علم الدين السخاوي وعلى غيره من العلماء . وقد اتقن علم الادب اتقاناً لا مزيد عليه ، ولا يشاركه أحد فيه . وله فطرة جيدة في قول الشعر ، وأحب ما اليه التخلي مع نفسه ، والملازمة لقراءته ودرسه ، والاطلاع على آثار القدماء ، والانتفاع بمؤلفات الحكماء . وكان نزيه النفس ، عالي ، الهمة لم يؤثر التردد الى الملوك ولا الى ارباب الدولة . وخدم مدة في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي . ولما وقف شيخنا مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله الدار التي له بدمشق ، وجعلها مدرسة يدرس فيها صناعة الطب وينتفع المسلمون بقراءتهم فيها أوصى أن يكون مدرسها شرف الدين بن الرحبي لما قد تحققه من علمه وفهمه ، فتولى التدريس بها مدة ، وتوفي شرف الدين بن الرحبي بدمشق ودفن بجبل قاسيون . وكانت وفاته رحمه الله في الليلة التي صباحها يوم الجمعة حادي عشر المحرم سنة سبع وستين وستمائة بعلة ذات الجنب

وحدثني الحكيم بدر الدين بن قاضي بعلبك ، وشمس الدين الكتبي المعروف بالخواتمي قالا : كان شرف الدين قبل ان يمرض ويموت باشهر يقول للجماعة المترددين اليه ، والتلاميذ المشتغلين عليه : انه بعد قليل أموت وذلك يكون عند قران الكوكبين . ثم يقول لهم : قولوا للناس هذا حتى يعرفوا مقدار علمي في حياتي وعلمي بوقت موتي . وكان قوله موافقاً لما حكم به .

ومن شعر شرف الدين بن الرحبي وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال :

سهام المنايا في الورى ليس تمنع ... فكل له يوماً وان عاش مصرع
وكلّ وان طال المدى سوف ينتهي ... الى قعر لحد في ثرى منه يودع
فقل للذي قد عاش بعد قرينه ... الى مثلها عما قليل ستدفع
فكل ابن انثى سوف يفضي الى ردى ... ويرفعه بعد الارائك شرجع [1]
ويدركه يوماً وان عاش برهة ... قضاء تساوى فيه هم [2] ومرضع
فلا يفرحن يوماً بطول حياته ... لبيب فما في عيشة المرء مطمع
فما العيش الا مثل لمحة بارق ... وما الموت إلا مثل ما العين تهجع
وما الناس الا كالنبات فيابس ... هشيم وغض إثر ما باد يطلع
فتباً لدنيا ما تزال تعلنا ... افاويق كأس مرة ليس تقنع
سحاب أمانيها جهام [3] وبرقها ... اذا شيم برق خلب [4] ليس يهمع

---

(١) السرير يرفع عليه الميت — الجنازة . (٢) الشيخ الفاني .
(٣) لا ماء فيها . (٤) خادع . (ن.ر)

تغر بنيها بالمنى فتقودهم … الى قعر مهواة بها المرء يوضع
فكم أهلكت في حبها من متيم … ولم يحظ منها بالمنى فيمتع
تمنيه بالآمال في نيل وصلها … وعن غيه في حبها ليس ينزع
أضاع بها عمراً له غير راجع … ولم ينل الامر الذي يتوقع
فصار لها عبداً لجمع حطامها … ولم يَهْن فيها بالذي كان يجمع
ولو كان ذا عقل لاغنته بلغة … من العيش في الدنيا ولم يك يجشع
الى ان توافيه المنية وهو بالقنا … عة فيها آمن لا يروع
مصائبها عمت فليس بمفلت … شجاع ولا ذو ذلة ليس يدفع
ولا سابح في قعر بحر وطائر … يدوم في بوح الفضاء فينزع
ولا ذو امتناع في بروج مشيدة … لها في ذرى جو السماء ترفع
اصارته من بعد الحياة بوهدة … له من ثراها آخر الدهر مضجع
تساوى بها من حل تحت صعيدها … على قرب عهد بالممات وتبع
فسيان ذو فقر بها وذوو الغنى … وذو لكن[1] عند المقال ومصقع[2]
ومن لم يخف عند النوائب حتفه … وذو جبن خوفاً من الموت يسرع
وذو جشع يسطو بناب ومخلب … وكل بغاث ذلة ليس يمنع
ومن ملك الآفاق بأساً وشدة … ومن كان فيها بالضروري يقنع
ولو كشف الاجداث معتبراً لهم … لينظر آثار البلى كيف تصنع
لشاهد احداقاً تسيل وأوجهاً … معفرة في الترب شوهاً تفزع
غدت تحت اطباق الثرى مكفهرة … عبوساً وقد كانت من البشر تلمع
فلم يعرف المولى من العبد فيهم … ولا خاملاً من نابه يترفع
وأنى له علم بذلك بعدما … تبين منهم ما له العين تدمع
رأى ما يسوء الطرف منهم وطالما … رأى ما يسر الناظرين ويمتع
رأى أعظماً لا تستطيع تماسكاً … تهافت من اوصالها وتقطع
مجردة من لحمها فهي عبرة … لذي فكرة فيما له يتوقع
تخونها مر الليالي فأصبحت … أنابيب في اجوافها الريح تسمع
الى أجنة[3] مسودة وجماجم … مطأطأة من ذلة ليس ترفع
أزيلت عن الاعناق فهي نواكس … على الترب من بعد الوسائد توضع
علاها ظلام للبلى ولطالما … غدا نورها في حندس الليل يسطع
كأن لم يكن يوماً علا مفرقاً لها … نفائس تيجان ودر مرصع

---

(١) عي وثقل في اللسان . (٢) البليغ .
(٣) الوجنة « على البدل » . (ن.ر)

تباعد عنهم وحشة كل وامق   وعافهم الأهلون والناس اجمع
وقاطعهم من كان حال حياتهم   بوصلهم وجداً بهم ليس يطمع
يبكيهم الاعداء من سوء حالهم   ويرحمهم من كان ضداً ويجزع
فقل للذي قد غره طول عمره   وما قد حواه من زخارف تخدع
أفق وانظر الدنيا بعين بصيرة   تجد كل ما فيها ودائع ترجع
فأين الملوك الصيد قدماً ومن حوى   من الارض ما كانت به الشمس تطلع
حواه ضريح من فضاء بسيطها   يقصر عن جثمانه حين يذرع
فكم ملك أضحى به ذا مذلة   وقد كان حياً للمهابة يتبع
يقود على الخيل العتاق فوارسا   يسد بها رحب الفيافي ويترع
فأصبح من بعد التنعم في ثرى   توارى عظاما منه بهاء بلقع
بعيداً على قرب المزايا إيابه   فليس له حتى القيامة مرجع
غريباً عن الاحباب والأهل ثاويا   بأقصى فلاة خرقه ليس يرقع
تلح عليه السافيات بمنزل   جديب وقد كانت به الارض تمرع
رهيناً به لا يملك الدهر رجعة   ولا يستطيعن الكلام فيسمع
توسد فيه الترب من بعد ما اغتدى   زمانا على فرش من الخز يرفع
كذلك حكم النائبات فلن ترى   من الناس حياً شمله ليس يصدع

(الطويل)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

تساق بنو الدنيا الى الحتف عنوة   ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي
كأنهم الانعام في جهل بعضها   بما تم من سفك الدماء على بعض

(الطويل)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

ليس يجدي ذكر الفتى بعد موت   فاطرح ما يقوله السفهاء
انما يدرك التألم واللذة حي لا صخرة صماء

(الخفيف)

وقال وأنشدني اياها لما توفي الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب بدمشق ، وذلك في سنة خمس وثلاثين وستمائة :

كم قال جهلا بأني ان امت   يزل النظام ويفسد الثقلان
وافاه مفضيّ الحمام ولم يرع   حيّ ولم يحفل به اثنان
فغدا لقىّ تحت التراب مجندلاً   لم ينتطح في موته عنزان

من ظن ان لا بد منه وانـه ذو عنيـة في عالم الاكوان
فلبئسما ذهبت وساوس فكـره منه الى دعوى بغـير بيان
أني وما فوق البسيطة فاسد إلا ويخلفه بديل ثاني

— الكامل —

وقال وأنشدني اياها بعد وفاة أخيه الحكيم جمال الدين عثمان في سنة ثمان وخمسين وستمائة

تبدلت لما أن وجـدت سكينة وعزاً نفى شر الحسود المعـاند
وقد ناهزت سني ثمانين حجـة ومات من الاهلين كل مساعد
ولا سيما الاخ الشقيق وان غدا لدى نازل في الخطب ركني وساعدي
فخانتني الايام فيا رجوتـه ولما تزل تأتي بعكس المقـاصد
فصبراً على كيد الزمان لعله يؤول الى الانصاف بعد التباعد

— الطويل —

وكان يخضب بالحناء فقلت له لو تركت اللحية بيضاء كان أليق فأنشدني لنفسه بديهاً .

سترت مشيبي بالخضاب لانني تيقنت أن الشيب بالموت منذر
فواريته كيلا ترى منه مقلتي صباح مساء ما به العيش يكدر
فغيبة ما يشنى عن العين موجب تناسى ما منه يخـاف ويحذر
وان كنت ذا علم بان ليس ملبسي شباباً ولا رد المنيـة يقدر

— الطويل —

وقال وهو ممـا كتب به الي من دمشق وكنت يومئذ بصرخد عند مالكها الامير عز الدين أيبك المعظمي [1]

موفق الدين ماذا السهو منك على ما نلت من رتبة في العلم والادب
أبعت نفسك بالنزر الحقير لقد أرخصتها بعد طول الجد والدأب
أقمت في بلد يزري بساكنـه لا يرتضيه لبيب من ذوي الرتب
ناء عن الخير ذي جدب فليس به سوى صخور وحر منه ملتهب
مضيعاً فيه عمراً ما له عوض اذا تصرم وقت منه لم يؤب
أتحسب العمر مردوداً تصومه هيهات ان يرجع الماضي من الحقب
أم تحسب العمر ما ولت لذاذته ينال بعد ذهاب العمر بالذهب
اذا تولى شباب العمر في نغص فما له في بقايا العمر من أرب
لو كان ما أنت فيه مكسباً لغنى لما وفى بذهاب العمر في نصب

(١) سلطان دمشق (١٢١٨–١٢٢٧) عبد الطرق التجارية الواصلة دمشق ببلاد العرب والعراق (ن.ر)

فكيف مع قلة الجاري وخسته ... والبعد عن كل ذي فضل وذي أدب
قعد إلى جنة الدنيا فقد برزت ... لمجتلي الحسن في أثوابها القشب
ولا تقم بسواها مع حصول غنى ... فالعمر فيها سواها غير محتسب
واقطع زمانك طيباً في محاسنها ... وعد الى اللهو واللذات والطرب
وبادر العمر قبل الفوت مغتنما ... ما دمت حياً فان الموت في الطلب
وخذ عياناً اذا ما امكنت فرص ... ولا تبع طيب موجود بمرتقب
فالعمر منصرم والوقت مغتنم ... والدهر ذو غِيَر فانعم به تصب
فاعمل بقولي ولا تجنح الى أحد ... ممن يفند من عمري وذي رغب
يرى السعادة في نيل الحطام ولو ... حواه مع نصب من سوء مكتسب
فاستدرك الفائت المقضي في عمر ... فليس بالنأي عن مثواك من كثب
ولا تعش عيش ذي نقص وكن ابداً ... ممن سمت همة منه على الشهب
واغنم حياة أب ما زال ذا حزن ... مذ غبت عنه لبعد منك مكتئب
فلست تعدم مع رؤياه مكتسبا ... يسد بالقنع من عري ومن سغب
فالرأي ما قلته فاعمل به عجلا ... ولا تصخ نحو فدم غير ذي حدب
فغفلة المرء مع علم ومعرفة ... عن واضح بيّن من أعجب العجب

(البسيط)

فقلت في جوابه وكتبت بها اليه :

مولاي يا شرف الدين الذي بلغت ... أدنى مساعيه أعلى رتبة الادب
ومن سمت في سماء المجد همته ... فادركت في المعالي أرفع الرتب
قد فاق بقراط في علم وفي حكم ... وفاق سحبان في شعر وفي خطب
له التصانيف في كل العلوم ولا ... شيء يماثلها من سائر الكتب
أقدارها قد علت في الناس وارتفعت ... عن كل شبه كمثل السبعة الشهب
فيها المعاني التي كالدر قد نظمت ... في سلك خط وخير اللفظ منتخب
ولا عجيب لدر كان مورده ... من بحر علم لمولى في العلى دئب
قد نال راحة تحصيل العلوم وما ... من راحة حصلت إلا عن التعب
ورام مسعاه أقوام وما بلغوا ... البعض منه وكلٌ جدّ في الطلب
وكل علم وجود فهو منه الى ... من يجتديه كغيث دائم الصيب
لله كم من أياد منه قد وصلت ... الي في سالف الايام والحقب
اني لاشكرها ما دمت مجتهداً ... وشكر نعماه طول الدهر اجدر بي
عندي من البين أشواق اليك كما ... للناس في الجدب أشواق الى السحب
تهمي دموعي اذا ما غنّ ذكركم ... على فؤاد بنار الشوق ملتهب

كأنما حل طرفي بعـــد بينكم متمم وأتى قلبي أبـــو لهب
وكل عمر تقضى لي ببعـــدكم عني فذلك عمر غير محتسب
ولو تكون لي الدنيا باجمعهـــا في البعد ما كنت مختاراً فراق ابي
هو الذي لم يزل اشفاقه ابـــداً علي والبر من بعـــد ومن كثب
واني بعد مـــا جد الفراق بنا والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
وكيف يلتذ عيشاً من أتاح به هذا الزمان الى قوم من الحطب
لم يعرفوا قدر ذي عـــلم لجهلهم وليس ذلك في الجهال بالعجب
أتيت من ضاع فضلي في فناه وهل غباوة العجم تدري فطنة العرب
وان اقمت بـــأقوام على خطأ مني وقد مر بعض العمر في نصب
فقد أقام سميي قبـــل في نفر بأرض نجلة يشكو حادث النوب
وهي الامور التي تـــأتي مقدرة وليس شيء من الدنيا بلا سبب
ومن بدائـــع نظم أنت قائله بيت به حكم من رأي ذي حدب
اذا انقضى شباب المرء في نغص فمـــا له في بقايا العمر من أرب
يا حبذا طيب أيام لنا سلفت وطيب اوقاتها لو انهـــا تؤب
وحبذا جنة الدنيـــا اذا برزت لجتلي الحسن في اثوابها القشب
وقد رأيت صوابا مـــا أمرت به وما نصحت بلا شك ولا ريب
وليس ينكر شيئاً انت قائله من النصيحة والآراء غـــير غبي
وان لي همة تسمو السماك [1] وما الا الفضائل والعليـــاء مطلبي
وسوف أقصد ارضاً قد نشأت بها والقرب من كل ذي فضل وذي أدب
واجعل العزم في عـــلم أحصله فالعلم في كل حال خير مكتسب
(البسيط)

وانشدني لنفسه

روحي بـــكم تنعم في اللذات اذ كنت مقوماً لهـــا كالذاتي
ما جـــال بخاطري فراقي لكم الا وعجبت من بقـــاء الذات
(دوبيت)

وانشدني ايضاً لنفسه

اصبحت بكف نازح الود ملول لا يعطفه مع لينه عذل عذول
لو لم يك في الحسن كبدر التم مـــا كان له بجبة القلب نزول
(دوبيت)

---

(١) كوكب نير . وهما سماكان احدهما يقال له السماك الرامح لأن امامه كوكباً صغيراً والآخر السماك الاعزل لعـــدم وجود شيء امامه . (ن. ر)

وانشدني ايضاً لنفسه

لم يبـــق تولهي بكم غير ذمـــا ... ينصب لذا البـــكا من العين دما
ان كان يقتلني الهي حكما ... في حبك لم أجد لموتي المـــا

(دوبيت)

ولشرف الدين بن الرحبي من الكتب : كتاب في خلق الانسان وهيئة اعضائه ومنفعتها ، لم يسبق الى مثله . حواش على كتاب القانون لابن سينا . حواش على شرح ابن ابي صادق لمسائل حنين

جمال الدين بن الرحبي

هو الحكيم الاجل العالم الفاضل جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي . مولده ومنشؤه بدمشق من اكابر الفضلاء وسادة العلماء ، اوحد زمانه وفريد اوانه . اشتغل بصناعة الطب على والده وعلى غيره ، واتقنها اتقاناً لا مزيد عليه . وكان حسن المعالجة ، جيد المداواة . وخدم في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله لمعالجة المرضى ، وبقي به سنين . وكان يحب التجارة ويعانيها ، ويسافر بها في بعض الاوقات الى مصر، ويأتي من مصر بتجارة . ولما وصلت التتر الى الشام وذلك في سنـــة سبع وخمسين وستمائة توجه الحكيم جمال الدين بن الرحبي الى مصر ، وأقام فيها ثم مرض وتوفي بالقاهرة،وذلك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وستمائة .

كمال الدين الحمصي

هو ابو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي من الفضلاء المشهورين ، والعلماء المذكورين . وكان كثير الخير ، وافر المروءة ، كريم النفس محباً لاصطناع المعروف . واشتغل بصناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي ، وعلى غيره وشرع في قراءة كتاب القانون على الحكيم القاضي بهاء الدين ابي الثناء محمود بن ابي الفضل منصور بن الحسن بن اسمٰعيل الطبري المخزومي ، لما أتى الى دمشق . وقرأ عليه منه الى علاج الاسهال الدماغي . ثم سافر الشيخ بهاء الدين الى بلد الروم في سنة ثمان وستمائة . وكان كمال الدين الحمصي قد اشتغل ايضاً بالأدب ، وقرأ على الشيخ تاج الدين الكندي . وكان محباً للتجارة وأكثر معيشته منهـــا . وكانت له دكان في الخواصين بدمشق يجلس فيها. ويكره التكسب بصناعة الطب . وانما كان الملوك واكثر الاعيان يطلبونه ويستطبونه لما ظهر من علمه ، وبان من فضله . وطلبه الملك العادل ابو بكر بن ايوب وغيره ليخدمهم ويبقى معهم في الصحبة فما فعل ، وبقي سنين يتردد الى البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ، ويعالج المرضى فيه احتساباً . ثم ألزم بعد ذلك بان قررت له فيه جامكية وجراية، وبقي كذلك الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في يوم الثلاثاء تاسع شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة .

ولكمال الدين الحمصي من الكتب : مقالة في الباه وهي مستقصاة في فنها . شرح بعض كتاب العلل والاعراض لجالينوس . الرسالة الكاملة في الادوية المسهلة . اختصار كتاب الحاوي للرازي لم يتم. مقالة في الاستسقاء . تعاليق على الكليات من كتاب القانون. تعاليق في الطب . تعاليق في البول ألفها في أول رجب سنة ثلاث وستمائة . اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحق وقد أجاد فيه .

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ويعرف بابن اللباد . موصلي الاصل بغدادي المولد . كان مشهوراً بالعلوم ، متحلياً بالفضائل ، مليح العبارة ، كثير التصنيف . وكان متميزاً في النحو واللغة العربية ، عارفاً بعلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها . وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليه؛ وكان والده قد اشغله بسماع الحديث في صباه من جماعة منهم ابو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي ، وأبو زرعة طاهر بن محمد القدسي ، وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم .

وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات ، مجيداً في المذهب والخلاف والاصولين . وكان متطرفاً من العلوم العقلية . وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً مجيداً . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث انه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة ، وكذلك ايضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء . وكان صديقاً لجدي وبينهما صحبة اكيدة بالديار المصرية لما كنا بها . وكان ابي وعمي يشتغلان عليه بعلم الادب . واشتغل عليه عمي ايضاً بكتب ارسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها ، والفهم لمعانيها . وأتى الى دمشق من الديار المصرية، وأقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه . ورأيته لما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة أتى اليها ، وهو شيخ نحيف الجسم، ربع القامة ، حسن الكلام ، جيد العبارة ؛ وكانت مسطرته أبلغ من لفظه . وكان رحمه الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه . وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين . وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء العجم ومصنفاتهم ، وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه .

ونقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله قال : « اني ولدت بدار لجدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ أبي النجيب لا أعرف اللعب واللهو ، واكثر زماني مصروف في سماع الحديث ، وأخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخرسان والشام ومصر . وقال لي والدي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد وألحقتك في الرواية بالشيوخ المسان . وكنت في أثناء ذلك اتعلم الخط ، وأتحفظ القرآن والفصيح ، والمقامات ، وديوان المتنبي ونحو ذلك ، ومختصراً

في الفقه ، ومختصراً في النحو . فلما ترعرعت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري[1] ، وكان يومئذ شيخ بغداد ، وله بوالدي صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية[2] . فقرأت عليه خطبة الفصيح فهذر كلاماً كثيراً متتابعاً لم افهم منه شيئاً ، لكن التلاميذ حوله يعجبون منه . ثم قال : أنا اجفو عن تعليم الصبيان احمله الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليه فاذا توسطت حاله قرأ علي . وكان الوجيه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء ، وكان رجلاً اعمى من أهل الثروة والمروءة . فأخذني بكلتي يديه ، وجعل يعلمني من اول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف ، فكنت أحضر حلقته بمسجد الظفرية، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها . وفي آخر الامر أقرأ درسي ويخصني بشرحه . ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق ، فاذا بلغنا منزله اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فاحفظ له واحفظ معه ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه ويشرح له، وأنا اسمع . وتخرجت الى ان صرت أسبقه في الحفظ والفهم ، واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار ، واقمنا على ذلك برهة ، كلما جاء حفظي كثر وجاد ، وفهمي قوي ، واستنار ، وذهني احتد واستقام ، وانا ألازم الشيخ وشيخ الشيخ . وأول ما ابتدأت حفظت اللمع[3] في ثمانية أشهر ، اسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرؤه غيري ، وانقلب الى بيتي فاطالع شرح الثمانين ، وشرح الشريف عمر بن حمزة ، وشرح ابن برهان ، وكل ما اجد من شروحها . واشرحها لتلاميذ يختصون بي الى ان صرت اتكلم على كل باب كراريس ، ولا ينفذ ما عندي . ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة [4] حفظاً متقناً . اما النصف الاول ففي شهور . واما تقويم اللسان ففي اربعة عشر يوماً لانه كان أربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن له وغريب القرآن له ، وكل ذلك في مدة يسيرة . ثم انتقلت الى الايضاح لأبي علي الفاسي[5] فحفظته في شهور كثيرة ، ولازمت مطالعة شروحه وتتبعته التتبع التام حتى تبحرت فيه وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً، وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد[6] ، وكتاب ابن درستويه[7] . وفي اثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب ، وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب .

قال : « وللشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً ، اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد ، واتيت على اكثر تصانيفه سماعاً وقراءة وحفظاً. وشرع في تصنيفين

(١) لغوي درس في بغداد ، في كتاب اسرار اللغة (١١١٩ – ١١٨١).

(٢) المدرسة التي اسسها نظام الملك في بغداد وهو من وزراء السلجوقيين . (ن.ر)

(٣) كتاب في النحو الفه عثمان بن جني الموصلي جمعه من ابي علي الفارسي .

(٤) ابن قتيبة الدينوري (٨٢٨ – ٨٨٩) ولد في الكوفة وعاش وعلم في بغداد وتولى القضاء في دينور له « ادب الكاتب» و«عيون الاخبار» .

(٥) ولد في فاسا من ام عربية وتوفي في بغداد (٩٠٠ – ٩٨٧) احد ائمة اللغة البصريين .

(٦) ابو العباس (٨٢٦ – ٨٩٨) لغوي من الائمة البصريين خصم ثعلب ممثل الكوفيين . علم في بغداد اهم كتبه «الكامل».

(٧) عبدالله (٨٧١ – ٩٥٦)احد النحاة المشهورين تتلمذ على ابن قتيبة والمبرد وثعلب ومن مؤلفاته «كتاب الكتاب» .

كبيرين أحدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق له اتمامهما وحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه[١] وأكببت على المقتضب فاتقنته . وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحه للسيرافي [٢] . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتباً كثيرة منها كتاب الاصول لابن السراج [٣] ، والنسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية . وقرأت عليه الفرائض والعروض للخطيب التبريزي[٤] ، وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري [٥] . واما ابن الخشاب فسمعت بقراءته معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري ، وسمعت منه الحديث المسلسل وهو : الراحمون يرحمهم الرحمن ؛ ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . »

وقال ايضاً موفق الدين البغدادي : « ان من مشايخه الذين انتفع بهم كما زعم ولد أمين الدولة بن التلميذ . وبالغ في وصفه وكثر ، وهذا فلكثرة تعصبه للعراقيين ، والا فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريبا منها . وقال : انه ورد الى بغداد رجل مغربي جوال في زي التصوف له ابهة ولسن، مقبول الصورة ، عليه مسحة الدين ، وهيئة السياحة ، ينفعل لصورته من رآه قبل ان يخبره، ويعرف بابن تائلي ، يزعم انه من اولاد المتلثمة . خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن . فلما استقر ببغداد اجتمع اليه جماعة من الاكابر والاعيان،وحضره الرضي القزويني،وشيخ الشيوخ ابن سكينة . وكنت واحداً ممن حضره فاقرأني مقدمة حساب ، ومقدمة ابن بابشاد في النحو ، وكان له طريق في التعليم عجيب . ومن يحضره يظن انه متبحر وانما كان متطرفاً ، ولكنه امعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها ، واتى على كتب جابر [٦] بأسرها ، وعلى كتب ابن وحشية [٧] .وكان يجلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه . فملأ قلبي شوقا الى العلوم كلها ، واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبه . ثم سافر واقبلت على الاشتغال ، وشمرت ذيل الجد والاجتهاد، وهجرت النوم واللذات، واكببت على كتب الغزالي[٨] المقاصد ، والمعيار ، والميزان ، ومحك النظر . ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها ، وحفظت كتاب النجاة ، وكتبت الشفاء وبحثت فيه ، وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا. وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفي وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة ، واقوى من اضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي تمم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام الا نقصا .

---

(١) اعلم المتقدمين والمتأخرين في النحو وهو امام مذهب البصريين ولد في البصره وتوفي قرب شيراز (ن.ر)

(٢) هو الحسن السيرافي (٩٠٣ – ٩٧٨) من علماء الفقه واللغة والفلسفة . وكان مفتي جامع الرصافة ببغداد .

(٣) هو ابو بكر محمد المعروف بابن السراج احد ائمة النحو المشهورين واليه انتهت الرياسة بعد المبرد .

(٤) من العلماء المشهورين في فقه اللغة .

(٥) هو الشريف ابو السعادات هبة الله البغدادي ابن الشجري اوحد زمانه في النحو واللغة .وكان نقيب الطالبيين في الكرخ.

(٦) جابر بن حيان من علماء الكيمياء العرب عاش في الكوفة وهو اول من بحث بتحويل المعادن الى ذهب .

(٧) هو أحمد النبطي وكان على جانب عظيم من العلم. وله المؤلفات العديدة في الكيمياء والعلوم الخفية،عاش حوالي سنة ٨٠٠

(٨) ابو حامد محمد الغزالي (١٠٥٩ – ١١١١) من اعظم فلاسفة العرب . علم في النظامية ببغداد ثم انصرف الى الحياة الصوفية . (ن.ر)

قال : « ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني، ويحل ما يشكل عليّ ، دخلت الموصل فلم اجد فيها بغيتي ، لكن وجدت الكمال بن يونس [١] جيدا في الرياضيات والفقه متطرفا من باقي اجزاء الحكمة ، قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها ، حتى صار يستخف بكل ما عداها . واجتمع إلي جماعة كثيرة ، وعرضت علي مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها . وأقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلا ونهاراً . وزعم أهل الموصل أنهم لم يروا من احد قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ،وسرعة وسكون الطائر ، وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف ، ويعتقدون انه قد فاق الاولين والآخرين ، وان تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهممت لقصده ثم أدركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه ، وكان ايضاً معتقداً فيها فوقعت على التلويحات ، واللمحة ، والمعارج ، فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان ، ووجدت لي تعاليق كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا الأنوك [٢] . وفي اثناء كلامه يثبت حروفا مقطعة يوهم بها امثاله انها أسرار الهية .

قال : « ولما دخلت دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي ، جمعاً كثيراً ، منهم : جمال الدين عبداللطيف[٣] ولد الشيخ ابي النجيب ، وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء ، وابن طلحة الكاتب [٤] وبيت ابن جهير [٥] وابن العطار المقتول الوزير ، وابن هبيرة [٦] الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات ، وكان شيخاً بهياً ذكياً مثريا ، له جانب من السلطان ، لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه ، وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني أهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له أكثر مما يتأذى الناس منه . وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير،جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام[٧] وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت بـه في الموصل وعملت له مختصراً سميته المجرد ، وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً ، وكتاب الالف واللام ، وكتاب ربّ ، وكتابا في الذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين. وقصدت بهذه المسألة الرد على الكندي، ووجدت بدمشق الشيخ عبدالله بن نائلي نازلاً بالمأذنة الغربية ، وقد عكف عليه جماعة وتحزب الناس فيه حزبين له وعليه فكان الخطيب الدولعي عليه ، وكان من الاعيان لـه منزلة وناموس . ثم خلط ابن نائلي على نفسه فأعان عدوه عليه ، وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة ، وكثر التشنيع عليه . واجتمعت به فصار يسألني عن أعمال اعتقد انها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني ،

(١) من اعلم علماء زمانه في الحساب والفقه . ولد في الموصل تعلم في نظامية بغداد وعلم في كمالية الموصل

(٢) الاحمق .

(٣) المسمى ابن اللباد مشهور بعلم الكلام والفلسفة والطب والتنجيم .

(٤) الفقي الرحال تعلم في نيسابور واقام في دمشق .

(٥) بيت خرج منه اربعة من وزراء العباسيين اولهم وزير المستظهر وآخرهم وزير المقتفي .

(٦) عز الدين وزير المستنجد (ن.ر)

(٧) الهروي ولد في هراة سنة ٧٧٠ ، لغوي فقيه من علماء الدين درس على الاصمعي وابن الاعرابي . «ن.ر»

وكاشفته فلم اجده كما كان في نفسي ، فساء به ظني وبطريقه ، ثم باحثته في العلوم فوجدت عنده منها اطرافاً نزرة فقلت له يوماً : لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك ، مخدوماً طول عمرك . وهذا هو الكيمياء لا مـــا تطلبه . ثم اعتبرت بحاله وانزجرت بسوء ماله ، والسعيد من وعظ بغيره . فأقلعت ولكن لا كل الاقلاع . ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليه الدولعي ، وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات به . وأخـذ كتبه المعتمد شحنة دمشق وكان متيماً بالصنعة . ثم اني توجهت الى زيارة القدس ، ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل بـــه شهرتي بالموصل فانبسط الي واقبل علي . وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنـا اليه ، وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة . وقال هذا كتاب الى بلدكم ، وذاكرني في مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه ، فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملي على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه . وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها » اين جواب اذا . واين جواب لو في قوله تعالى : « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال » وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقـــال لي ترجع الى دمشق ، وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر ، فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها .

فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر ، نافذ الامر ، فانزلني داراً قد ازيحت عللها ، وجاءني بدنانير وغلة . ثم مضى الى ارباب الدولة وقال : هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب . وكان كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . وأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ [1] رحمه الله اقرىء ، وكان قصدي في مصر ثلاثـــة أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي ، وكلهم جاؤوني . أما ياسين فوجدته محالياً كذاباً ، مشعبذاً ، يشهد للشاقاني بالكيمياء ، ويشهد له الشاقاني بالكيمياء ، ويقول عنه انه يعمل اعمـالاً يعجز موسى ابن عمران عنها . وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأي مقدار شاء، وبأي سكة شاء .وانه يجعل ماء النيل خيمة ، ويجلس فيه واصحابه تحتها .وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدته فاضلاً في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة ، وخدمة ارباب الدنيا . وعمل كتاباً في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ، ومن خمسة كتب أخرى ، وشرط ان لا يغير فيه حرفا الا ان يكون واو عطف أو فاء وصل ، وانما ينقل فصولا لا يختارها . وعمل كتابا لليهود سماه كتاب الدلالة ، ولعن من يكتبه بغير القلم العبراني . ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن انه يصلحها .

---

(١) هو امين سر رضوان السلجوقي واتابك ألب رسلان .

وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب ، نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم ، وأخذت في اتمام كلامي ، فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال : اتعرف هذا الشيخ ؟ هذا أبو القاسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك اطلب ، فاخذته الى منزلي واكلنا الطعام ، وتفاوضنا الحديث ، فوجدته كما تشتهي الانفس ، وتلذ الاعين ، سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته . وقد رضي من الدنيا ببرض [1] ، لا يتعلق منها بشيء يشغله عن طلب الفضيلة. ثم لازمني فوجدته قيما بكتب القدماء وكتب أبي نصر الفارابي ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه ، واذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ، ويغلبني بقوة الحجة وظهور الحجة . وانا لا تلين قناتي لغمزه ، ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه ، فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر تامسطيوس يؤنس نفاري ، ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليه اقدّم رجلا واؤخر اخرى .

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادتني الضرورة الى التوجه اليه ، فاخذت من كتب القدماء ما أمكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة ، والقلوب محبة . قريباً بعيداً ، سهلاً محبباً ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : « ونزعنا ما في صدورهم من غل » . وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتما في بناء سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والاغنياء ، والأقوياء والضعفاء ، حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ؛ ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ، ويأتي داره ، ويمد الطعام ، ثم يستريح . ويركب العصر ويرجع في المساء ، ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً. فكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارا في كل شهر على ديوان الجامع وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار .

ورجعت الى دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع . وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة ، وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء ، وعرفت حقيقة الحال في وضعها ، ومَن وضعها وتكذّب بها ، ومـا كان قصده في ذلك . وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين . وتضاعف شكري لله سبحانه على ذلك ، فان اكثر الناس انمـا هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء .

« ثم ان صلاح الدين دخل دمشق ، وخرج يودع الحاج ، ثم رجع فحمّ ففصده من لا خبرة عنده فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونة على الانبياء . وما رأيت ملكا حزن الناس بموته سواه لانه كان محبوباً يحبه البر والفاجر ، والمسلم والكافر . ثم تفرق أولاده

---

(١) القليل .

واصحابه ايادي سبأ ، ومزقوا في البلاد كل ممزق ، واكثرهم توجه الى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الأولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أخاه بدمشق ، فلم ينل منه بغية . ثم تاخر الى مرج الصفر لقولنج عرض له فخرجت اليه بعد خلاصه منه فاذن لي في الرحيل معه ، واجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة . وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلازمني صباح مساء الى ان قضى نحبه . ولما اشتد مرضه ، وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه واشرت عليه بدواء فأنشد :

لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
– المديد –

ثم سألته عن ألمه فقال :

ما لجرح بميت ايلام
– الخفيف –

« وكان سيرتي في هذه المدة ، انني اقرىء الناس بالجامع الازهر[1] من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة . وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره ، وآخر النهار أرجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون . وفي الليل اشتغل مع نفسي . ولم أزل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز ، وكان شاباً كريماً شجاعاً كثير الحياء لا يحسن قول لا . وكان مع حداثة سنه وشرخ شبابه كامل العفة عن الاموال والفروج » .

أقول : ثم ان الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك مدة ، وله الرتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين ، وأتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان[2] الذي لم يشاهد مثله . وألف الشيخ موفق الدين في ذلك كتاباً ذكر فيه اشياء شاهدها أو سمعها ممن عاينها تذهل العقل ، وسمى ذلك الكتاب «كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر» . ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق،وتفرقت أولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين ، وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس، وأقام بها مدة . وكان يتردد الى الجامع الاقصى[3] ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم ، وصنف هنالك كتباً كثيرة . ثم انه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها ، وذلك في سنة اربع وستمائة ، وشرع في التدريس والاشتغال ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون أصنافاً من العلوم . وتميز في صناعة الطب بدمشق ، صنف في هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به . واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو ، واقام بدمشق مدة وانتفع الناس به . ثم انه سافر الى حلب ، وقصد بلاد الروم

(١) مسجد وجامعة في القاهرة بناها القائد جوهر الصقلي سنة ٩٧٢ في اول عهد الفاطميين . واصبح مقامه عظيماً فيما بعد يقصده طلاب العلم من انحاء العالم الاسلامي.
(٢) موت يقع في الماشية .
(٣) من اعظم الاماكن المقدسة الاسلامية . وهو جامع كبير في القدس جنوبي مسجد القبة . (ن.ر)

وأقام بها سنين كثيرة ، وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام [1] صاحب ارزنجان . وكان مكيناً عنده ، عظيم المنزلة ، وله من الجامكية الوافرة ، والافتقادات الكثيرة ، وصنف باسمه عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة ، كثير الحياء ، كريم النفس . وقد اشتغل بشيء من العلوم ، ولم يزل في خدمته الى ان استولى على ملكه صاحب ارزن[2] الروم،وهو السلطان كيقباد[3] بن كيخسرو ابن قلج أرسلان ، ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر له خبر .

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف : « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة ، توجهت الى ارزن الروم ، وفي جمادي صفر من سنة ست وعشرين وستمائة ، رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم ، وفي نصف ربيع الاول توجهت ال كماخ[4] ، وفي جمادى الاولى توجهت منها الى دبركي، وفي رجب توجهت منها الى ملطية[5]، وفي آخر رمضان توجهت الى حلب، وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ، ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها بحسن سيرة اتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبته لمعدلته في رعيته . »

أقول : واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه ، وكثرت تصانيفه . وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن ، وهو متنحل لتدريس صناعة الطب وغيرها ، ويتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرىء العربية . وكان دائم الاشتغال ، ملازماً للكتابة والتصانيف . ولما أقام بحلب قصدت اني اتوجه اليه واجتمع به فلم يتفق ذلك ،وكانت كتبه ابداً تصل الينا ومراسلاته ، وبعث الي اشياء من تصانيفه من خطه (وهذه) نسخة كتاب كتبته اليه لما كان بحلب : « المملوك يواصل بدعائه وثنائه ، وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامي المولوي ، السيدي السندي ، الأجل الكبيري ، العالمي الفاضلي ، موفق الدين،سيد العلماء في الغابرين والحاضرين، جامع العلوم المتفرقة في العالمين ، ولي امير المؤمنين . أوضح الله به سبل الهداية ، وأنار ببقائه طرق الدراية ، وحقق بحقائق ألفاظه صحيح الولاية . ولا زالت سعادته دائمة البقاء ، وسيادته سامية الارتقاء ، وتصانيفه في الآفاق قدوة العلماء ، وعمدة سائر الادباء والحكماء . المملوك يجدد الخدمة ، ويهدي من السلام اطيبه ، ومن الشكر والثناء أعذبه ، وينهي ما يكابده من أليم التطلع الى مشاهدة انوار شمسه المنيرة ، وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة،وما تزايد من القلق ، وتعاظم عند سماعه قرب المزار من الارق :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً   اذا دنت الديار من الديار

(الوافر)

(ولولا قفول الركاب العالي ، ووصول الجناب الموفقي الجلالي ، لسارع المملوك الى الوصول ،

---

(١) من ملوك الغزنويين ابن بهرام اعظم ملوكهم .

(٢) مدينة قديمه في ارميليا وانقاضها اليوم في تركيا .

(٣) سلطان من سلاجقة آسية الصغرى .

(٤) مدينة محصنة في الاناضول على شاطىء الفرات الايسر .

(٥) مدينة على الفرات في تركيا. (ن.ر)

ولبادر المبادرة بالمثول ، ولجاء الى شريف خدمته ، وفاز بالنظر الى بهي طلعته . فيا سعادة من فاز بالنظر اليه ، ويا بشرى من مثل بين يديه ، ويا سرور من حظي بوجه اقباله عليه ، ومن ورد بحـار فضله من غيرها ، واستضاء بشمس علمه فسرى في ضياء منيرهـا ، نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع ، وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع ، بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى » .

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث الى أبي في أول كتاب ، وهو يقول فيه : « عندي ولد الولد أعز من الولد . وهـذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي ، وما زالت النجابة تتبين لي فيه من الصغر » . ووصف وأثنى كثيراً ، وقال فيه : « ولو امكنني ان آتي اليه بالقصد ليشتغل علي لفعلت » . وبالجملة فانه كان قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقيم بها ، ثم خطر له انه قبل ذلك يحج ، ويجعل طريقه على بغداد . وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفه . ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك ، وتوفي رحمه الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ، ودفن بالوردية عند ابيه ، وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً عنهـا خمساً وأربعين سنة . ثم ان الله تعالى ساقه اليها وقضى منيته بها .

ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، مما نقلته من خطه قال :

« ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليـلة اذا آويت الى منامك ، وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها ، وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها . وترتب في نفسك ما تعمله في غدك من الحسنات ، وتسأل الله الاعانة على ذلك » .

وقال : أوصيك ان لا تأخـذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم . وعليك بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الاستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه. وعليك بتعظيمه وتوجيبه ، وان قدرت ان تفيده من دنياك فافعل ، وإلا فبلسانك وثنائك . واذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على ان تستظهره وتملك معنـاه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنـه ، لا تحزن لفقده . واذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فاياك ان تشتغل بآخر معه ، ولصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه . وإياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة، وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين أو ما شاء الله . فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر . ولا تظن انك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمو ولا ينقص ؛ ومراعاته تكون بالذاكرة ، والتفكر واشتغـال المبتدىء بالتلفظ والتعلم ، ومباحثة الاقران . واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف. واذا تصديت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم ، فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره ، فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا علمها أو جهل بعضها .

قال : وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ ، وان يطلع على السِّير وتجارب الامم فيصير بذلـك كأنه في عمره القصير قد أدرك الامم الخالية ، وعاصرهم وعاشرهم ، وعرف خيرهم وشرهم .

قال : وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الاول ، فاقرأ سيرة النبي ، ﷺ ، وتتبع أفعاله وأحواله ، واقتف آثاره ، وتشبه به ما امكنك وبقدر طاقتك . واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ، ومنامه ، ويقظته ، وتمرضه ، وتطببه ، وتمتعه وتطيبه ، ومعاملته مع ربه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه ، وفعلت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعيد .

قال : وينبغي ان تكثر اتهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها ، وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل . ومن لم يعرق جبينه الى ابواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ، ومن لم يبكتوه لم يسد ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ، ومن لم يكدح لم يفلح . واذا خلوت من التعلم والتفكر فحرّك لسانك بذكر الله وبتسابيحه ، وخاصة عند النوم ، فيتشربه لبك ، ويتعجن في خيالك ، وتكلم به في منامك . واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات ؛ واذا أحزنك امر فاسترجع ، واذا اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك ، والعلم والتقى زادك الى الآخرة . واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه . واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وان أخفاه ، وشره وان ستره ، فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده . فعليك ان تجعل باطنك خيراً من ظاهرك ، وسرك أصبح من علانيتك . ولا تتألم اذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل . وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة ، إلا ان يكون شريف الهمة جداً أو ان يثري بعد تحصيل العلم . واني لا اقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها ، لان همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا ، والدنيا انما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فاذا غفل عن اسبابها لم تأته وايضاً فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة ، والمكاسب الدنية ، وعن اصناف التجارات ، وعن التذلل لارباب الدنيا والوقوف على أبوابهم . ولبعض اخواني بيت شعر

من جد في طلب العلوم افاته شرف العلوم دناءة التحصيل
(الكامل)

« وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها ، وصرف الزمان اليها . والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك ، وانما ينتظر ان تأتيه الدنيا بلا سبب ، وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها ، وهذا ظلم منه وعدوان . ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشهر به ، خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفوراً ، وعرضه ودينه مصون . واعلم ان للعلم عقبة وعرفاً ينادي على صاحبه ، ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه ، كتاجر المسك لا يخفى مكانه ، ولا تجهل بضاعته . وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم . والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان ، لا يجد الا من يميل اليه ، ويؤثر قربه ويأنس به ، ويرتاح بمداناته واعلم ان العلوم تغور ثم تفور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه ، وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع . »

ومن كلامه أيضاً نقلته من خطه قال : « اجعل كلامك في الغالب بصفات ان يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم أو مستحسن فيه إلغاز تام ، وإيهام كثير أو قليل . ولا تجعله مهملاً ككلام الجمهور ، بل ارفعه عنه ، ولا تباعده عليهم جداً . »

وقال : إياك والهذر ، والكلام فيما لا يعني ؛ وإياك والسكوت في محل الحاجة ، ورجوع النوبة اليك إما لاستخراج حق ، أو اجتلاب مودة ، أو تنبيه على فضيلة . واياك والضحك مع كلامك ، وكثرة الكلام ، وتبتير الكلام . بل اجعل كلامك سرداً بسكون ، بحيث يستشعر منك ان وراءه أكثر منه ، وانه عن خبرة سابقة ، ونظر متقدم »

وقال : « إياك والغلظة في الخطاب ، والجفاء في المناظرة . فان ذلك يذهب ببهجة الكلام ، ويسقط فائدته ، ويعدم حلاوته ، ويجلب الضغائن ، ويمحق المودات ، ويصير القائل مستثقلا سكوته وأشهى الى السامع من كلامه ، ويثيرالنفوس على معاندته ، ويبسط الالسن بمخاشنته واذهاب حرمته . »

وقال : « لا تترفع بحيث تستثقل ، ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر . »

وقال : « اجعل كلامك كله جدلا ، واجب من حيث تعقل لا من حيث تعتاد وتألف .

وقال : « انتزح عن عادات الصبا ، وتجرد عن مالوفات الطبيعة ،واجعل كلامك لاهوتياً فيالغالب لا ينفك من خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر او مثل سائر .

وقال : « تجنب الوقيعة في الناس وثلب الملوك ، والغلظة على المعاشر ، وكثرة الغضب .وتجاوز الحد فيه .

وقال : « استكثر من حفظ الاشعار الامثالية والنوادر الحكمية والمعاني المستغربة .

ومن دعائه رحمه الله قال : « اللهم أعذنا من شموس الطبيعة ، وجموح النفس الردية . واسلس لنا مقاد التوفيق ، وخذ بنا في سواء الطريق . يا هادي العمي ؛ يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالايمان ، يا منير ظلمة الضلالة بنور الاتقان ؛ خذ بايدينا من مهواة الهلكة ، نجنا من ردغة [1] الطبيعة ، طهرنا من درن الدنيا الدنية ، بالاخلاص لك والتقوى . انك مالك الآخرة والدنيا .
وتسبيح أيضا له قال : « سبحان من عم بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود . تلألأت بنور جلالك الافاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس اشراقاً وأي اشراق . »

ولموفق الدين عبد اللطيف البغدادي من الكتب : كتاب غريب الحديث ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وغريب ابن قتيبة ، وغريب الخطابي . كتاب المجرد من غريب الحديث . كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة . كتاب الالف واللام . مسألة في قوله سبحانه اذا أخرج يده لم يكد يراها . مسألة نحوية . مجموع مسائل نحوية وتعاليق . كتاب ربّ. شرح بانت سعاد . كتاب ذيل الفصيح . الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . شرح أوائل المفصل .

---

(١) الطين والوحل الشديد .

خمس مسائل نحوية . شرح مقدمة ابن بابشاذ وسماه باللمع الكاملية . شرح الخطب النباتية . شرح الحديث المتسلسل . شرح سبعين حديثاً ، شرح أربعين حديثاً طبية . كتاب الرد على ابن خطيب الري في تفسير سورة الاخلاص . كتاب كشف الظلامة عن قدامة ، شرح نقد الشعر لقدامة . احاديث مخرجة من الجمع بين الصحيحين . كتاب اللواء العزيز ، باسم الملك العزيز في الحديث . كتاب قوانين البلاغة ، عمله بحلب سنة خمس عشرة وستمائة . حواش على كتاب الخصائص لابن جني . كتاب الانصاف ، بين ابن بري وابن الخشاب على المقامات للحريري ، وانتصار ابن بري للحريري . مسألة في قولهم أنت طالق في شهر قبل ما بعد قبله رمضان . تفسير قوله عليه السلام : الراحمون يرحمهم الرحمن . كتاب قبسة العجلان في النحو . اختصار كتاب الصناعتين للعسكري . اختصار كتاب العمدة لابن رشيق .

مقالة في الوفق . كتاب الجلي في الحساب الهندي . اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري وكتاب آخر في فنه مثله . اختصار مادة البقاء التميمي . كتاب الفصول وهو بلغة الحكيم سبع مقالات فرغ منه في شهر رمضان سنة ثمان وستمائة . شرح كتاب الفصول لابقراط ، شرح كتاب تقدمة المعرفة لابقراط . اختصار وشرح جالينوس لكتب الامراض الحادة لابقراط . اختصار كتاب الحيوان لارسطوطاليس . تهذيب مسائل مابال لارسطوطاليس . كتاب آخر في فنه مثله . اختصار كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . اختصار كتاب آراءابقراطوأفلاطن،اختصاركتابالجنسين. اختصار كتاب الصوت. اختصار كتاب المني. اختصار كتاب آلات التنفس ، اختصار كتاب العضل. اختصار كتاب الحيوان للجاحظ . كتاب في آلات التنفس وافعالها ست مقالات مقالة في قسمة الحميات وما يتقوم به كل واحد منها وكيفية تولدها . كتاب النخبة وهو خلاصة الامراض الحادة . اختصار كتاب الحميات للاسرائيلي . اختصار كتاب البول للاسرائيلي . اختصار كتاب النبض للاسرائيلي . كتاب اخبار مصر الكبير . كتاب اخبار مصر الصغير، مقالتان ، وترجمة كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، وفرغ من تأليفه في العاشر من شعبان سنة ثلاث وستمائة بالبيت المقدس . كتاب تاريخ وهو يتضمن سيرته ألفه لولده شرف الدين يوسف . مقالة في العطش . مقالة في الماء . مقالة في احصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار. مقالة في معنى الجوهر والعرض. مقالة موجزة في النفس. مقالة في الحركات المتاضة. مقالة في العادات . الكلمة في الربوبية .

مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها . مقالة في البادىء بصناعة الطب . مقالة في شفاء الضد بالضد . مقالة في ديابيطس والادوية النافعة منه . مقالة في الراوند حررها بحلب في جمادى الآخرة من سنة سبع عشرة وستمائة، وكان قد وضعها بمصر سنة خمس وتسعين وخمسمائة . مقالة في السقنقور . مقالة في الحنطة . مقالة في الشراب والكرم. مقالة في البحران ، صغيرة . رسالة الى مهندس فاضل عملي ، كتب بها من مدينة حلب . اختصار كتاب الادوية المفردة لابن وافد . اختصار كتاب الادوية المفردة لابن سمحون . كتاب كبير في الادوية

المفردة . مختصر في الحميات . مقالة في المزاج . كتاب الكفـــاية في التشريح . كتاب الرد على ابن الخطيب في شرحه بعض كليات القانون ، وألف كتابه هذا لعمي رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله وأرسله اليه ، وكان تأليفه لذلك بحلب قبل توجهه الى بلاد الروم . كتاب تعقب حواشي ابن جميـع على القانون . مقالة يرد فيها على كتاب علي بن رضوان المصري في اختلاف جالينوس وارسطوطاليس. مقالة في الحواس . مقالة في الكلمة والكلام . كتاب السبعة . كتاب تحفة الآمل . مقالة في الرد على اليهود والنصارى . مقالتان ايضاً في الرد على اليهود والنصارى . مقالة في ترتيب المصنفين . كتاب الحكمة العلائية ذكر فيـه اشياء حسنة في العلم الالهي وألف كتابـه هذا لعلاء الدين داود بن بهرام صاحب أرزنجان. مقالة على جهة التوطئة في المنطق.حواش على كتاب البرهان للفارابي .

كتاب الترياق فصول منتزعة من كلام الحكماء حل شيء من شكوك الرازي على كتب جالينوس . كتاب المراقي الى الغاية الانسانية ، ثمان مقالات . مقالة في ميزان الادوية المركبة من جهة الكميات . مقالة في موازنة الادوية والادواء من جهة الكيفيات . مقالة في تعقب أوزان الادوية . مقالة اخرى في المعنى وكشف شبه وقعت لبعض العلماء . مقالة في المعنى في جواب ثلاث مسائل . مقالة سادسة مختصرة . مقالة تتعلق بموازين الادوية الطبية في المركبـات ، قول ايضاً في المعنى . مقالة في التنفس والصوت والكلام،مقالة في اختصار كلام جالينوس في سياسة الصحة.انتزاعات من كتابديسقوريدس في صفات الحشائش . انتزاعات أخرى في منافعها . مقالة في تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ووجدته أيضاً وقدترجمها . مقالة في السياسة العملية . كتاب العمدة في اصول السياسة .

مقالة في جواب مسألة سئل عنهـا في ذبح الحيوان وقتله وهـــل ذلك سائغ في الطبـــع وفي العقل كما هو سائغ في الشرع . مقالتان في المدينة الفاضلة . مقالة فيالعلومالضارة.رسالة في الممكن ، مقالتان . مقالة في الجنس والنوع أجاب بها في دمشق سؤال سائل في سنة أربـع وستمائة . الفصول الاربعة المنطقية . تهذيب كلام افلاطن . حكم منثورة ايساغوجي مبسوط الواقعات . مقالة في النهاية واللانهـــاية . كتاب تأريث الفطن في المنطق والطبيعي والالهي . مقالة في كيفية استعمال المنطق ، وكتب بهذه المقالة الي من بلاد الروم . مقالة في حد الطب . مقالة في البادىء بصناعة الطب . مقالة في اجزاء المنطق التسعة ، مجلد كبير . مقالة في القياس .

كتاب في القياس ، خمسون كراساً ، ثم اضيف اليه المدخل والمقولات والعبارة والبرهان فجاء مقداره اربع مجلدات . مقالة في جواب مسألة في التنبيه على سبل السعادة الطبيعيات من السماع الى آخر كتاب الحس والمحسوس ثلاث مجلدات . كتاب السماع الطبيعي،مجلدان . كتاب آخر فيالطبيعيات من السماع الى كتاب النفس . كتاب العجيب . حواش على كتاب الثانية المنطقية للفارابي . شرح الاشكال البرهانية من ثمانية أبي نصر . مقالة في تزييف الشكل الرابـع . مقالة في تزييف ما يعتقده ابو علي بن سينـــا من وجود اقيسة شرطية تنتج نتائج شرطية . مقالة في القياسات المختلطـات والصرف . باربر ماناس مبسوط . مقالة في تزييف المقاييس الشرطية التي يظنها ابن سينـــا . مقالة اخرى في المعنى ايضاً .

كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء . كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي . رسالة في المعادن وابطال الكيمياء . مقالة في الحواس . عهد الى الحكماء . اختصار كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث . اختصار القولنج لابن ابي الاشعث . مقالة في السرسام . مقالة في العلة المراقية . مقالة في الرد على ابن الهيثم في المكان . مختصر فيما بعد الطبيعة . مقالة في النخل ، ألفها بمصر سنة تسع وتسعين وخمسمائة وبيضها بمدينة ارزنجان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة . مقالة في اللغات وكيفية تولدها . مقالة في الشعر . مقالة في الاقيسة الوضعية . مقالة في القدر . مقالة في الملل . الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الالهي ، وهو زهاء عشر مجلدات التام تصنيفه في نحو نيف وعشرين سنة. كتاب المدهش في اخبار الحيوان المتوج بصفات نبينا عليه افضل الصلاة والسلام قال : ابتدأت بكراسة منه بدمشق سنة سبع وستمائة وكمل في اربعة اشهر بحلب سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو في مائة كراس . كتاب الثمانية في المنطق وهو التصنيف الوسط .

ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي

مغربي الاصل من مدينة فاس[1] ، وأتى الى الديار المصرية،وكان فاضلاً في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم . واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي . وسافر يوسف بعد ذلك الى الشام ، وأقام بمدينة حلب وخدم الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب ، وكان يعتمد عليه في الطب . وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون القصري . ولم يزل أبو الحجاج يوسف مقيماً في حلب ، ويدرس صناعة الطب الى ان توفي بها .

ولابي الحجاج يوسف الاسرائيلي من الكتب : رسالة في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها . شرح الفصول لابقراط .

عمران الاسرائيلي

هو الحكيم أوحد الدين عمران بن صدقة . مولده بدمشق في سنة احدى وستين وخمسمائة . وكان ابوه ايضاً طبيباً مشهوراً . واشتغل عمران على الشيخ رضي الدين الرحبي بصناعة الطب ، وتميز في علمها وعملها ، وصار من أكابر المتعينين من اهلها، وحظي عند الملوك ، واعتمدوا عليه في المداواة والمعالجة،ونال من جهتهم من الاموال الجسيمة والنعم ما يفوق الوصف.وحصل من الكتب الطبية وغيرها ما لا يكاد يوجد عند غيره ، ولم يخدم أحداً من الملوك في الصحبة ، ولا تقيد معهم في سفر ، وانما كل منهم اذا عرض له مرض أو لمن يعز عليه طلبه . ولم يزل يعالجه ويطببه بالطف علاج واحسن تدبير ، الى ان يفرغ من مداواته . ولقد حرص به الملك العادل أبو بكر بن أيوب بان يستخدمه في

---

(١) احدى المدن السلطانية الاربع في المغرب وعاصمة الشمال اليوم والقديمة هي فاس البالي وأول من سكنهـا البربر وأهل الاندلس اللاجئون من قرطبة وأقوام من القيروان وفيها كثير من الجوامع والمدارس الاثرية .

الصحبة فما فعل ، وكذلك غيره من الملوك .

وحدثني الامير صارم الدين التبنيني رحمه الله : انـه لما كان بالكرك ، وبه صاحب الكرك يومئذ الملك الناصر داود بن الملك المعظم . وكان الملك الناصر قد توعك مزاجه ، واستدعى الحكيم عمران اليه من دمشق فاقام عنده مديدة وعالجه حتى صلح فخلع عليـه ، ووهب له مالا كثيراً ، وقرر له جامكية في كل شهر ألفاً وخمسمائة درهم ناصرية ويكون في خدمته ، وان يسلف منهـا عن سنة ونصف سبعة وعشرين الف درهم فما فعل .

اقول : وكان السلطان الملك العادل لم يزل يصله بالانعام الكثير ، وله منـه الجامكية الوافرة والجراية ، وهو مقيم بدمشق،ويتردد الى خدمة الدور السلطانية بالقلعة.وكذلك في ايام الملك المعظم، وكان قد اطلق له أيضاً جامكية وجراية تصل اليه ، ويتردد الى البيمارستان الكبير ، ويعالج المرضى به ، وكان به ايضاً في ذلك الوقت شيخنا مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، وكان يظهر من اجتماعهما كل فضيله ، ويتهيأ للمرضى من المداواة كل خير ، وكنت في ذلـك الوقت أتدرب معهما في اعمال الطب . ولقد رأيت من حسن تأتي الحكيم عمران في المعالجة وتحققه للامراض ما يتعجب منه. ومن ذلك انه كان يوماً قد أتى البيمارستان مفلوج والاطباء قد ألحوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم ، فلما رآه وصف له في ذلك اليوم تدبيراً يستعمله ، ثم بعد ذلك أمر بفصده ، ولمـا فصد وعالجه صلح وبرأ برأ تاماً كذلك ايضاً رأيت له أشياء كثيرة من صفات مزاوير وألوان كان يصفها للمرضى على حسب ميل شهواتهم ، ولا يخرج عن مقتضى المداواة فينتفعون بها . وهذا باب عظيم في العلاج . ورأيته أيضاً وقد عالج أمراضاً كثيرة مزمنة كان اصحابها قد سئموا الحياة ، ويئس الاطباء من برئهم ، فبرءوا على يديه بأدوية غريبة يصفها ، ومعالجات بديعة عرفها . وقد ذكرت من ذلك جملاً في كتاب التجارب والفوائد وتوفي الحكيم عمران في مدينة حمص في شهر جمادى الاولى سنة سبـع وثلاثين وستمائة ، وقد استدعاه صاحبها لمداواته .

موفق الدين يعقوب بن سقلاب

نصراني ، كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها والتحقيق لمعانيها،والدراية لها.وكان من كثرة اجتهاده في صناعة الطب وشدة حرصه ومواظبته على القراءة والمطالعة لكتب جالينوس ، وجودة فطرته وقوة ذكائه ، ان جمهور كتب جالينوس وأقواله فيها كانت مستحضرة له في خاطره . فكان مهما تكلم به في صناعة الطب على تفاريق أقسامها ، وتفنن مباحثها ، وكثرة جزئياتها ، انماينقل ذلك عن جالينوس . ومهما سئل عنه في صناعة الطب من المسائل والمواضيع المستعصية وغيرهـا لا يجيب بشيء من ذلك إلا ان يقول : قال جالينوس ، ويورد فيه أشياء من نصوص كلام جالينوس ، حتى كان يتعجب منه في ذلك . وربما انـه في بعض الاوقات كان يذكر شيئاً من كلام جالينوس ، ويقول : هذا ما ذكره جالينوس في كذا وكذا ورقة من المقالة الفلانية من كتاب جالينوس، ويسميه

ويعني به النسخة التي عنده . وذلك لكثرة مطالعته اياها وأنسه بها . ومما شاهدته في ذالك من أمره انني كنت أقرأ عليه في اوائل اشتغالي بصناعة الطب ونحن في المعسكر المعظمي -وكان أبي ايضاً في ذلك الوقت في خدمة الملك المعظم رحمه الله- شيئاً من كلام ابقراط حفظاً واستشراحاً. فكنت أرى من حسن تأتيه في الشرح ، وشدة استقصائه للمعاني - بأحسن عبارة وأوجزها وأتمها معنى - ما لا يجسر أحد على مثل ذلك ولا يقدر عليه . ثم يذكر خلاصة ما ذكره ، وحاصل ما قاله ، حتى لا يبقى في كلام بقراط موضع الا وقد شرحه شرحاً لا مزيد عليه في الجودة . ثم انه يورد نص ما قاله جالينوس في شرحه لذلك الفصل على التوالي الى آخر قوله . ولقد كنت اراجع شرح جالينوس في ذلك فأجده قد حكى جملة ما قاله جالينوس بأسره في ذلك المعنى ، وربما الفاظ كثيرة من الفاظ جالينوس يوردها بأعيانها من غير ان يزيد فيها ولا ينقص . وهذا شيء تفرد به في زمانه . وكان في اوقات كثيرة لما أقام بدمشق يجتمع هو والشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي في الموضع الذي يجلس فيه الاطباء عند دار السلطان ويتباحثان في اشياء من الطب . فكان الشيخ مهذب الدين افصح عبارة ، وأقوى براعة ، واحسن بحثاً . وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينة ، وأبين قولاً ، وأوسع نقلاً . لانه كان بمنزلة الترجمان المستحضر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطب . فاما معالجات الحكيم يعقوب فانها كانت في الغاية من الجودة والنجح ، وذلك انه كان يتحقق معرفة المرض اولاً تحقيقاً لا مزيد عليه ، ثم يشرع في مداواته بالقوانين التي ذكرها جالينوس مع تصرفه هو فيما يستعمله في الوقت الحاضر .

وكان شديد البحث واستقراء الاعراض بحيث انه كان اذا افتقد مريضاً لا يزال يستقصي منه عرضاً عرضاً ، وما يشكوه مما يجده ، من مرضه حالاً حالاً الى ان لا يترك عرضاً يستدل به على تحقيق المرض الا ويعتبره ، فكانت أبداً معالجاته لا مزيد عليها في الجودة . وكان الملك المعظم يشكر منه هذه الحالة ويصفه ويقول : لو لم يكن في الحكيم يعقوب الا شدة استقصائه في تحقيق الامراض حتى يعالجها على الصواب ، ولا يشتبه عليه شيء من امرها . وكان الحكيم يعقوب أيضاً متقناً للسان الرومي خبيراً بلغته ونقل معناه الى العربي ، وكان عنده بعض كتب جالينوس مكتوبة بالرومي مثل حيلة البرء والعلل والاعراض وغير ذلك . وكان ايضاً ملازماً لقراءتها والاشتغال بها ، وكان مولده بالقدس وأقام بها سنين كثيرة . ولازم بها رجلا فاضلا فيلسوفاً راهباً في دير السيق كان خبيراً بالعلم الطبيعي ، متقناً للهندسة وعلم الحساب ، قوياً في علم أحكام النجوم والاطلاع عليها . وكانت له أحكام صحيحة ، وانذارات عجيبة . وأخبرني الحكيم يعقوب عنه معرفته للحكمة وحسن فطرته وفطنته شيئاً كثيراً . واجتمع أيضاً الحكيم يعقوب في القدس بالشيخ ابي منصور النصراني الطبيب ، واشتغل عليه ، وباشر معه أعمال صناعة الطب وانتفع به

وكان الحكيم يعقوب من أتم الناس عقلاً ، واسدهم رأياً ، واكثرهم سكينة . ولما خدم الملك المعظم عيسى بن ابي بكر بن أيوب ، وصار معه في الصحبة كان حسن الاعتقاد فيه ، حتى انه كان يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها فينتفع بها ويحمد عواقبها . وقصد الملك المعظم ان يوليه بعض

تدبير دولته والنظر في ذلك ، فما فعل ، واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط . وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجليه نقرس[1] ، وكان يثور به في أوقات ، ويألم بسببه، وتعسر عليه الحركة، فكان الملك المعظم يستصحبه في اسفاره معه في محفة ويفتقده ، ويكرمه غاية الاكرام ، وله منه الجامكية السنية والاحسان الوافر . وقال له يوماً : يا حكيم لمَ لا تداوي هذا المرض الذي في رجليك ؟ فقال : يا مولانا الخشب اذا سوس ما يبقى في اصلاحه حيلة . ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المعظم . وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثالثة من نهار يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة اربع وعشرين وستمائة بدمشق ، وملك بعده ولده الملك الناصر داود فدخل اليه الحكيم يعقوب ، ودعا له وذكره بقديم صحبته ، وسالف خدمته ، وانه قد وصل الى سن الشيخوخة والهرم والضعف وانشده :

اتيتكم وجلابيب الصبا قشب[2] ... فكيف ارحل عنكم وهي اسمال[3]
لي حرمة الضيف والجار القديم ومن ... اتاكم وكهول الحي اطفال
(البسيط)

وهذا الشعر لابن منقذ رحمه الله ، فاحسن اليه الملك الناصر احساناً كثيراً ، واطلق له مالا وكسوة ، وأمر بان جميع ما قد كان له مقرراً من الملك المعظم يستمر ، وان لا يكلف الخدمة . فبقي كذلك مديدة ، ثم توفي بدمشق في عيد الفصح[4] للنصارى ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وستمائة .

سديد الدين أبو منصور

هو الحكيم الاجل العالم ابو منصور ابن الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب ، من افاضل الاطباء وأعيان العلماء ، متميز في علم صناعة الطب وعملها ، متقن لفصولها وجملها . اشتغل على والده وعلى غيره بصناعة الطب ، وقرأ ايضاً بالكرك على الامام شمس الدين الخسروشاهي كثيراً من العلوم الحكمية . وخدم الحكيم سديد الدين أبو منصور الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب . واقام في صحبته بالكرك ،وكان مكيناً عنده معتمداً عليه في صناعة الطب . ثم أتى أبو منصور الى دمشق وتوفي بها .

رشيد الدين ابن الصوري

هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري ، قد اشتمل على جمل الصناعة الطبية ، واطلع على

---

(١) ورم ووجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين وفي الابهام اكثر .
(٢) جديدة نظيفة . (٣) خلقة بالية . (ن. ر)
(٤) وهو عيد قيامة السيد المسيح من الموت .

محاسنها الجلية والخفية . وكان أوحداً في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف أسمائها وصفاتها ، وتحقيق خواصها وتأثيراتها ، ومولده في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بمدينة صور [1] ونشأ بهـا . ثم انتقل عنها واشتغل بصناعة الطب على الشيخ موفق الدين عبد العزيز ، وقرأ ايضاً على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي . وتميز في صناعة الطب ، وأقام بالقدس سنتين . وكان يطب في البيمارستان الذي كان فيه . وصحب الشيخ أبا العباس الجياني ، وكان شيخاً فاضلا في الأدويــة المفردة متفنناً في علوم أخر ، كثير الدين ، محباً للخير . فانتفع بصحبته له ، وتعلم منه أكثر مــا يفهمه . واطلع رشيد الدين بن الصوري أيضاً على كثير من خواص الادوية المفردة حتى تميز على كثير من اربابها ، وأربى على سائر من حاولها واشتغل بها . هذا مع ما هو عليه من المروءة التي لا مزيد عليها. والعصبية التي لم يسبق اليها ، والمعارف المذكورة ، والشجاعة المشهورة . وكان قــد خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب في سنة اثنتي عشرة وستمائة لما كان الملك العادل متوجهــاً الى الديار المصرية واستصحبه معه من القدس ، وبقي في خدمته الى ان توفي الملك العادل رحمه الله . ثم خدم بعده لولده الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ، وكان مكيناً عنده وجيها في أيامه . وشهد معه مصافات عدة مع الفرنج لما كانوا نازلوا ثغر دمياط [2] ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي المعظم رحمه الله ؛ وملك بعده ولده الملك الناصر داود بن الملك المعظم فاجراه على جامكيته ، ورأى له سابق خدمته ، وفوض اليه رياسة الطب ، وبقي معه في الخدمة الى ان توجـه الملك الناصر الى الكرك ، فاقام هو بدمشق ، وكان له مجلس للطب والجماعة يترددون اليه ، ويشتغلون بالصناعة الطبية .وحرر ادوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته . وكان قد صنع منه شيئاً كثيراً في ايام الملك المعظم . وتوفي رشيد الدين بن الصوري رحمه الله يوم الاحد اول شهر رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة بدمشق . وكان رشيد الدين ابن الصوري قد أهدى الي تأليفــاً له يحتوي على فوائد ووصايا طبية فقلت وكتبت بها اليه في رسالة :

لعلم رشيد الدين في كل مشهد ... منار علا يأتمــه كل مهتدي
حكيم لديه المكرمات بأسرها ... توارثهـا عن سيد بعد سيد
حوى الفضل عن آبائه وجدوده ... فذاك قديم فيه غير مجدد
تفرد في ذا العصر عن كل مشبه ... بخير صفات حصرها لم يحدد
أتتني وصاياه الحسان التي حوت ... بنــثر كلام كل فصل منضد
واهدى الى قلبي السرور ولم يزل ... باحسانه يسدي لمثلي من يــد
وجدت بها مــا ارتجيه وانني ... بها أبداً فــيما أحاول مقتدي
ولا غرو من علم الرشيد وفضله ... اذا كان بعدالله في العلم مرشدي

(الطويل)

(١) مدينة في لبنان الجنوبي من عواصم الفينيقيين قديما . وكانت تقسم الى قسمين الجزيرة المحصنة ، وصور الساحلية.

(٢) مدينة في مصر على نهر النيل حاصرها الصليبيون وفتحوها ثم ردهم الملك الكامل عنها وكبدهم خسائر فادحة (ن.ر)

« أدام الله أيام الحكيم الاوحد الامجد ، العامل ، الفاضل الكامل ، الرئيس رشيد الدنيا والدين ، معتمد الملوك والسلاطين ، خالصة امير المؤمنين ، بلغه في الدارين نهاية سؤله وأمانيه ، وكبت حسدته وأعاديه . ولا زالت الفضائل مخيمة بفنائه ، والفواضل صادرة منه الى اوليائه . والالسن مجتمعة على شكره وثنائه ، والصحة محفوظة بحسن مراعاته ، والامراض زائلة بتدبيره ومعالجته . المملوك ينهي ما يجده من الاشواق الى خدمته ، والتأسف على الفائت من مشاهدته . ووصلت المشرفة الكريمة التي وجد بها نهاية الامل ، والارشاد الى المطالب الطبية الجامعة للعلم والعمل . وقد جعلها المملوك اصلا يعتمد عليه ، ودستوراً يرجع اليه . لا يخليها من فكره ، ولا يخل بما تتضمنه في سائر عمره . وليس للمملوك ما يقابل به احسان مولانا الا الدعاء الصالح ، والثناء الذي يكتسب من محاسنه النشر العطر الفائح . وكيف لا اشكر وأنشر محاسن من لا اجد فضيلة إلا به ، ولا انال راحة الا بسببه . فالله يتقبل من المملوك صالح ادعيته ، ويجزي مولانا كل خير على كمال مروءته ، ان شاء .

وانشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي لنفسه يمدح الحكيم رشيد الدين ابن الصوري ويشكره على احسان اسداه اليه .

سرى طيفها والكاشحون[1] هجود[2] … فبات قريباً والمزار بعيد
فيا عجبا من طيفها كيف زارني … ومن دونه بيد تهول وبيد
وكيف يزور الطيف طرف مسهد … لطيب الكرى عن ناظريه صدود
وفي قلبه نار من الوجد والاسى … لها بين أحناء الضلوع وقود
وقد أخلق السقم المبرح والضنا … لباس اصطباري والغرام جديد
وتالله لا عاد الخيال وانما … تخيله الافكار لي فيعود
فيا لائمي كف الملام ولا تزد … فما فوق وجدي والغرام مزيد
ولي كبد حرى وطرف مسهد … وقلب يحب الغانيات عميد[3]
الا في سبيل الحب من مات صبوة … ومن قتلته الغيد فهو شهيد
ولم تر عيني مثل أسماء خلة … تضن بوصلي والخيال يجود
تجدد اشجاني بها وصبابتي … معاهد أقوت باللوى وعهود
رعى الله بيضاً من ليال وصلتها … ببيض حسان والمفارق سود
وبت وجنح الليل مرخ سدوله … اضم غصون البان وهي قدود
وأرشف راحاً روقتها مباسم … واقطف ورداً أنبتته خدود
الى ان تبدى الصبح غير مذمم … وزال ظلام الليل وهو حميد
وكيف أذم الصبح أو لا أوده … وان ربع مودود به وودود

(١) جمع كاشح وهو العدو الباطن العداوة . وقيل الذي يطوي كشحه — ما بين السرة ووسط الظهر — على العداوة .
(٢) نائمون .
(٣) الذي هده العشق
(ن.ر)

وكل صباح فيـــه للعين حظوة بوجـــه رشيد الدين وهو سعيد
هو العالم الصدر الحكيم ومن له كلام يضاهي الدر وهو نضيد
رئيس الاطباء ابن سينا وقبله حنـين تلاميـــذ له وعبيد
ولو ان جالينوس حياً بعصره لكان عليـــه يبتدي ويعيد
فقل لبني الصوري قد سدتم الورى ومـــا الناس الا سيد ومسود
وما حزتم ارث العلا عن كلالة كذلك آباء لـــكم وجدود
فيا عالم الدنيا ويا عـلم الهدى ويا من به للمكرمات وجود
ويا من له ربع من الفضل آهل وقصر معـــال بالثناء مشيد
ودوح من الاحسان أثمر بالمنى وظل على اللاجي اليه مديد
ويا من به العاصي الجموح اطاعني وذل لي الجبـار وهو عنيد
فمعقل عزي في حماه ممنـــع حصين وعيشي في ذراه رغيد
ومن راشني[1] معروفه واصطناعه وقـــام بامري والانام قعود
واحسن بي فعلاً فاحسنت قائلاً وجاد ففي مدحي علاه أجيد
فعند نداه حاتم الجود باخـــل وعندي لبيد في المديح بليد
تصدى لكسب الحمد من كل وجهة وللقوم عن كسب الثناء صدود
له ظل ذي فضل على كل لاجيء مفيء وعلم بالامور مفيـــد
وعرف[2] متىما يبده فاحعرفه[3] وجود يدٍ ما عز منه وجود
تعبد كل الخلق بالجود فانثنت لاحسانه الاحرار وهي عبيـــد
فـكم مادح قد لاذ منه بمانح فأنجـح قصد عنده وقصيـــد
فأمسى وللحسنى عليه دلائـــل وأضحى وللنعمى عليـــه شهود
فكيف أخاف الحادثات وصرفها ورأي رشيد الدين فيّ سديد
ومن فضله لي ساعد ومساعـــد ومن جاهه لي عدة وعديـــد
واني لارجو ان ستكثر حسدي على نيل ما أرجو به وأريد
وما الصنع الا ما سيعقبه الغنى ويكثر فيـــه غائظ وحسود
اذا كان لي من فضله واصطناعه عتاد فعزي مـــا حييت عتيد
وغير عجيب ان يكون بقصده لمثلي الى نيـــل السعود سعود
أقول لمن يرجو سواه من الورى رويدك ان النجح منك بعيـــد
أتقصد أوشالاً[4] وتترك لجـــة تمد بهـــا للمكرمات مدود

---

(١) اغفاني .
(٢) الجود والمعروف .
(٣) الرائحة الطيبة .
(٤) واحده وشل وهو الماء القليل يتحلب من صخر .

ومن بأبي المنصور أصبح لائذاً فقد قارنته بالنجـــاح سعود
فيا كعبة الآمال ، يا ديمة الندى، ويا من به روض الرجاء مجود
ومن عبده يوم السماحة حـاتم كما عند مدحي في علاه عبيد
اياديك عندي لا اقوم بشكرها فما فوق ما أولت يداك مزيد
فلم يصف لي لولا اياديك مشرب ولا اخضرّ لي لولا انتجاعك عود
فجدي بقصدي بات دارك مقبل ونجمي بترددادي اليك سعيـد
فلا زلت بالعيد السعيد مهنـأً تهنيك من بعـد الوفود وفود
فما لذوي الحاجات غيرك مقصد ولا لبني الآمال عنك محيـد

(الطويل)

ولرشيد الدين الصوري من الكتب : كتاب الادوية المفردة، وهذا الكتاب بدأ بعمله في ايام الملك المعظم ، وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة ، وذكر ايضـاً ادوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون . وكان يستصحب مصوراً، ومعه الاصباغ والليق على إختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين بن الصوري الى المواضع التي بها النبات ، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات فيشاهد النبات ويحققه،ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه وأصوله،ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها،ثم انه سلك ايضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً،وذلك انه كان يرى النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه أيضـاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه اياه ايضاً في وقت ذواه ويبسه ، فيصوره . فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب ، وهو على أنحاء ما يمكن ان يراه في الارض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين . الرد على كتاب التاج للغاوي في الادوية المفردة . تعاليق له وفرائد ووصايا طبية كتب بها اليّ .

سديد الدين بن رقيقة

هو ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع الشيباني الحـانوي ويعرف بابن رقيقة ذو النفس الفاضلة والمروءة الكاملة . وقد جمع من صناعة الطب ما تفرق من أقوال المتقـدمين ، وتميز على سائر نظرائه واضرابه من الحكماء والمتطببين ، هذا مع ما هو عليه من الفطرة الفائقــة ، والالفاظ الرائقه ، والنظم البليغ ، والشعر البديع وكثيراً ما له من الابيات الامثالية ، والفقر الحكمية . واما الرجز فانني ما رأيت في وقته من الاطباء أحداً أسرع عملاً له منـه ، حتى انه كان يأخذ اي كتاب شاء من الكتب الطبية وينظمه رجزاً في اسرع وقت مع استيفائـه للمعاني ومراعاته لحسن اللفظ. ولازم الشيخ فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني وصحبه كثيراً واشتغل عليه بصناعـة الطب وبغيرهـا من العلوم الحكميـة . وكان لسديد الدين بن رقيقة أيضـاً معرفة بصناعة الكحل

والجراح ، وحاول كثيراً من اعمال الحديد في مداواة امراض العين . وقدح ايضاً الماء النازل في العين الجماعة ، وأنجب قدحه وأبصروا ، وكان المقدح الذي يعانيه مجوفاً وله عطفة ليتمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ، ويكون العلاج به أبلغ .

وكان قد اشتغل ايضاً بعلم النجوم، ونظر في حيل بني موسى ، وعمل منها أشياء مستطرفة. وكان فاضلاً في النحو واللغة . وله ايضاً أخ فاضل يقال له معين الدين ، أوحد زمانه في العربية وهي فنه وله شعر كثير . وسمع سديد الدين بن رقيقة أيضاً شيئاً من الحديث ، ومن ذلك حدثني سديد الدين محمود بن عمر بن محمد الطبيب الحانوي سماعاً من لفظه قال : حدثني الامام الفاضل فخر الدين محمد بن عبد السلام المقدسي ، ثم الماردينى ، قال : حدثنا الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر الجواليقي ، قال : اخبرنا ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، قال : حدثنا أبو القاسم علي بن عبيد الله الرقي، قال: حدثني الرئيس أبو الحسن علي بن أحمد البتي، قال : حدثني أبو بكر محمد عبدالله الشافعي ، قال : حدثنا القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق ، قال : حدثنا اسمعيل بن أبي أويس ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة « رضي الله عنها » قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا جمل يئط [1] ، ولا صبي يصطبح . ثم انشده :

أتيناك والعذراء تدمى لثاتها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة	من الجوع هوناً ما يمر وما يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا	سوى العلهز[2] العامي والحنظل[3] الفسل[4]
وليس لنا الا اليك فرارنا	واين فرار الناس الا الى الرسل
	(الطويل)

قال الرقي : العلهز الوبر يعالج بدم الحلم ، والحلم القراد اذا كبر ويؤكل في الجدب ويروى والعنقر بضم القاف وفتحها وهو أصل البردي فهذان صحيحان .

ويروى العقهر وهو تصحيف مردود . فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى رقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم رفع نحو السماء يديه ثم قال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً[5] مريئاً[6] مريعاً[7] ، سحاً[8] سجالاً[9] ، غدقاً[10] طبقاً[11] ، ديماً[12] عاجلاً غير رائث[13] نافعاً غير ضار ، تنبت به الزرع

---

(١) يصوت ويحن .
(٢) نبات ببلاد بني سليم له اصل كأصل البردي .
(٣) نبات يمتد على الارض كالبطيخ وثمره يشبه ثمر البطيخ الا انه اصغر منه ويضرب المثل بمرارته .
(٤) المسترذل الرديء (ن ر)
(٥) المطر العام .
(٦) طيباً نافعاً .
(٧) خصيباً .
(٨) سيلاً غزيراً . (٩) منصباً . (١٠) كثير القطر يغطي وجه الارض.
(١١) مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (١٢) كثيراً . (١٣) بطيء .

وتملأ به الضرع ، وتحيي به الارض بعد موتها . » فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى نحره حتى التقت السماء بأرواقها ، وجاءه أهل البطانة يضجون يا رسول الله الغرق الغرق ، فأومأ بطرفه الى السماء وضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل ثم قال : لله دُر أبي طالب لو كان حياً قرت عيناه . من ينشدنا قوله فقال علي عليه السلام يا رسول الله لعلك أردت .

وابيض يستسقي الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للارامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله رب محمد	ولما نقاتل دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن أبنائنا والحلائل

(الطويل)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل . ثم قام رجل من كنانة فأنشده :

لك الحمد والحمد ممن شكر	سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة	اليه وأشخص منه البصر
فما كان الا كما ساعة	وأسرع حتى رأينا الدرر
دفاق العزالى[1] ، وجم البعاق[2]	أغاث به الله عَليا مضر
فكان كما قال عمه	أبو طالب ذا رواء غرر
به يسّر الله صوب الغمام	فهذا العيان لذاك الاثر
فمن يشكر الله يلقى المزيد	ومن يكفر الله يلقى الغير

(المتقارب)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلس ان يك شاعراً أحسن فقد أحسنت . »

وأخبرني سديد الدين بن رقيقة ان مولده في سنة اربع وستين وخمسمائة بمدينة حيني ونشأ بها . ولما كان فخر الدين المارديني بمدينة حيني ، وصاحبها نور الدين بن جمال الدين بن أرتق كان قد عرض لنور الدين مرض في عينيه فداواه الشيخ فخر الدين مدة أيام . ثم عزم على السفر واشار على نور الدين بن ارتق بأن يداويه سديد الدين بن رقيقة فعالجه سريعاً ، وبرأ برءاً تاماً واطلق له جامكية وجراية في صناعة الطب . وقال لي سديد الدين ان عمره يومئذ كان دون العشرين سنة . واستمر في خدمته . ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور محمد صاحب حماه ابن تقي الدين عمر وبقي معه مدة

ثم سافر الى خلاط[3] وكان صاحبها في ذلك الوقت الملك الاوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل

---

(١) واحدها العزلاء وهي مصب الماء من القربة ونحوها .

(٢) سحاب يسقط مطره بشدة . (ن.د)

(٣) مدينة بارمينيا .

ابي بكر بن أيوب . وخدم صلاح الدين بن ياغيسان [١] وكان هذا صلاح الدين قد تزوج الملك الاوحد ابن الملك العادل باخته ، وكان سديد الدين بن رقيقة يتردد الى خدمتها أيضاً ، وكانت كثيرة الاحسان اليه . واقام بخلاط مدة الى ان توفي الملك الاوحد في ملازكرد [٢] بعلة ذات الجنب ، وذلك في يوم السبت ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وستمائة . وكان يعالجه هو وصدقة السامري . وخدم أيضاً بعد ذلك الملك الاشرف أبا الفتح موسى ابن الملك العادل ، وأقام بميافارقين سنين كثيرة . ولما كان في ثالث جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وصل سديد الدين بن رقيقه الى دمشق الى السلطان الملك الاشرف فأكرمه واحترمه . وأمر بأن يتردد الى الدور السلطانية بالقلعة ، وان يواظب أيضاً معالجة المرضى بالبيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ، وأطلق له جامكية وجراية

وكان لي ايضاً في ذلك الوقت مقرر جامكية وجراية لمعالجة المرضى في هذا البيمارستان ، وتصاحبنا مدة فوجدت من كمال مروءته ، وشرف أرومته ، وغزارة علمه ، وحسن تأتيه في معرفة الامراض ومداواتها ، ما يفوق الوصف . ولم يزل بدمشق وهو يشتغل بصناعة الطب إلى ان توفي رحمه الله في سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وكنت انا قد انتقلت الى صرخد في خدمة صاحبها الامير عز الدين المعظمي في شهر ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ومن شعر سديد الدين بن رقيقة ، وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال :

يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة	ومكملي جواد [٣] به ومقومي
خذني اذا اجلي تناهى وانقضى	عمري على خط اليك مقوم
واكشف بلطفك يا الهي غمتي	واجل الصدا عن نفس عبدك وارحم
فعساي من بعد المهانة أكتسي	حلل المهابة في المحل الاكرم
وأبوء بالفردوس بعد اقامتي	في منزل بادي السماجة مظلم
فقد اجتويت ثواي فيه ومن تكن	دار الغرور له محلا يسأم
دار يغادر بؤسها وشقاءها	من حلها وكأنه لم ينعم
ويديل صافي عيشه وحياته	كدراً فلا تجنح اليها تسلم
فبك المعاذ إلهنا من شرها	وبك الملاذ من الغواية فاعصم
وعليك متكلي وعفوك لم يزل	قصدي فوا خسراه ان لم ترحم
يا نفس جدي وادأبي وتمسكي	بعرى الهدى وعرى الموانع فافصمي
لا تهملي يا نفس ذاتك ان في	نسيانها نسيان ربك فاعلمي

(١) كان والده ياغيسان من الامراء السلجوقيين حكم انطاكية من قبل ملكشاه .

(٢) مدينة في ارمينيا شمالي بحيرة وان .

(٣) هكذا في الاصل واظن انها جودا به .

وعليك بالتفكير في آلائـــه [1] لتبوئني جناتــــه وتنعمي
وتيممي نهج الهداية انــــه منج وعن لقم الضلالة أحجمي
لا ترتضي الدنيـــا الدنية موطنا تعلي على رتب السواري الانجم
وتعايني ما لا رأت عــين ولا اذن وعت فاليه جدي تغنمي
وتشاهدي مـــا ليس يدرك كنهه بالفكر أو بتوهم المتوهم
قدس يحل بان يحل جنابه يا نفس إلا كل شهم أيهم [2]
وهو المنزه ان يكون مركبا من رابـع أو ثالث أو توأم
وتجاوري الابرار في مستوطن لا دائر أبـــداً ولا متهدم
يا أيهـا المغرور شبت ولم تعد عمـــا لهجت بـه ولم تتندم
لا تحسبن الشيب فيـــك لعلة عرضت ولا لتكرج في البلغم
لكن شبابك كان شيطانا ومن يك مارداً بالشهب حقا يرجم
لا تقرن الشيب المنير رواؤه بظلام أعراض الشبيبة تظـلم
فالشيب اشراق الحجى وضياؤه فأهن هواك أوان شيبك تكرم
واعكف على تمجيد موجدك الذي غمر الوجود الجود منه وعظّم
فبذكره تشفى النفوس من الجوى فعليه ان آثرت برءك صمـم
اكرم بنفس فتى رأى سبل الهوى تهوى فمال الى الصراط الاقوم
ذاك الذي يختـار يوم معاده ملكا سجيس [3] الدهر لم يتصرم
يا جابر العظم الكسير وغافر الجرم الكبير لكل عبـد مجرم
مالي اليك وسيلة وذريعـة أنجو بهـــا الا اعتقـاد المسلم
فاقبل بمنك توبتي عن حوبتي [4] فعسى سعادة أوبـتي لم احرم
حمداً لك اللهم ينمى ما جلا وضح الصباح سواد ليل أسحم
وعلى نبيـك ذي السناء وآله السادة الامنـــاء صل وسلم
المذهبي سغب [5] اليتيم ومؤثري العاني الاسير بزادهم والمعـدم
وعلى صحابتــه الذين بنصره قاموا ونار الكفر ذات تضرم
(الكامل)

وأنشدني ايضا لنفسه :

اراك عن المحــل الرحب ساهي وعنه بضمحــل الاصل لاهي

(١) واحدها الي وألو ، وهي النعم .
(٢) الرجل الجريء الذي لا يستطاع دفعه .
(٣) سجيس الدهر : اي آخره .
(٤) الاثم .
(٥) الجوع .

فكم بالسجن ويحك أنت زاه وكم بالضيق الواهـي تباهي
وتمنح من بـه يغريـك وداً وتشهم الزواجر والنواهـي
ألم تعلم بانـك كل يـوم به تفجاك اصناف الدواهي
تحل قواك جزءاً بعـد جزء وتفنى أنت والدنيا كما هـي
وتحسبها صديقا وهـي أردى عدو بيّن الشحناء داهـي
همومك فيـه لا تنفك تترى وعيشك فيه عيش غـير زاهي
أما يكفيك زجر الشيب زجراً وحسب أخي النهى بالشيب ناهي
فعد عنه الى رحب فسيـح مقامك فيـه ليس له تناهي
فحتام التغافـل والتعامـي وكم هـذا الجنوح الى الملاهـي
فلا تغتر ان اصبحت فيـه أخا مـال وبت عريض جاه
فكم من أيّد [1] أضحى فأمسى بعيـد ثرائه والأيد [2] واهـي
وكان يقـول من سفه بأن لا يصاب له شبيه أو مضاهـي
فتب فجميع مـا تأتيه يلفى صغـيراً عند غفران الاله
(الوافر)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

أقول لنفسي حين أبدت تشوقاً الى العالم الاعلى رويدك يا نفسي
محالا ترومـين النجاة وانت في المهالك من جنس الطبيعة والحس
ودونك بحر إن تعديت لجـه أمنت وفزت بالخلاص من الحبس
فان رمت وصلاً نحو سنخك فاكشفي غطاءك وانضي ما عليك من اللّبس
ولا تقبلي نحو الكثيف فتحرمي مجاورة الاطهار في حضرة القدس
ولا تتركي مـا يأمر الله ضلة فتبقي سجيس الدهر في الشك واللبس [3]
ولا تهمـلي يا نفس ذاتك واكثري التفكر فيهـا واهجري كل ما ينسي
ولا تغفلي عن ذكرك الاول الذي به قامت الافلاك والعرش والكرسي
وصلت على كره الى الهيكل الذي به اعتضت بالذعر الطويل عن الانس
وما كان هذا الوصل الا لترجعي منزهة بالعلم عن وصمة الوكس [4]
فمن أمم يقضي ايابك فاعملي لاخراك ما ينجيك من ظلمة الرمس
فان تتركي نهج الهدى كنت في غد كمن باع رأس المال بالثمس البخس
فعودي الى باريك يا نفس ترتقي اليه والا دمت في العالم المنسي
حليفة هـم دائم وكآبة مجاورة أهـل الدناءة والرجس

(١) القوي . (٢) القوة .
(٣) الشبهة والاشكال وعدم الوضوح .
(٤) النقصان او الخسارة .

مخـــلاة ممنوعـــة ومهـــانة   مبـدلة بعـــد التنعم بالتعس
مبـــوأة دار الهوان مذالة   ومحشورة في زمرة الصم والخرس
سبيل الهدى يا نفس عند ذوي النهى   أشد وضوحاً من سنا البدر والشمس

(الطويل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لا يغرنك من زمـانك بشره   فالبشر منه لا محـالة حـائل
فقطوبه طبع وليس تطبعـــاً   والطبع باق والتطبع زائـــل

(الكامل)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

لست من يطلب التكسب بالسخف ولو كنت مت عريا وجوعا
ولو اني ملكت ملـــك سليما   ن لما اخترت عن وقاري رجوعا

(الخفيف)

وقال اقتداء بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليـــه السلام « انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال » :

لا تكن ناظراً إلى قائل القو   ل بل انظر اليـه ماذا يقول
وخذ القول حـين تلقيه معقو   لا ولو قالـــه غبي جهـــول
فنبـاح الكلاب مع خسة فيهـــا على منزل الكريم دليـل
وكذاك النضـــار معدنه الأر   ض ولكنه الخطير الجليل

(الخفيف)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

توقّ صحبة أبناء الزمـان ولا   تأمن الى أحـد منهم ولا تثق
فليس يسلم منهم من تصاحبـــه   طبعاً من المكر والتمويه والملق

(البسيط)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

أرى كل ذي ظلم اذا كان عاجزاً   يعف ويبدي ظلمه حين يقـدر
ومن نال من دنياه ما كان زائداً   على قـدره أخـلاقه تتنكر
وكل امرىء تلقيه للشر مؤثراً   فلا بد ان يلقى الذي كان يؤثر

(الكامل)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

لما رأيت ذوي الفضائل والحجا   لا ينفقون وكل فدم[1] ينفق

(١) الاحمق الغليظ الدم او العيي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم .

ألزمت نفسي اليأس علماً ان لي ... ربما يجود بما أروم ويرزق
ولزمت بيتي واتخذت مسامري ... سفراً بانواع الفضائل ينطق
لي منه اني جئته متصفحاً ... عما حوى روض نضير مونق
(الكامل)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

ما ضر خلقي اقلالي ولا شيمي ... ولا نهاني عن نهج النهى عدمي
وكيف والعلم حظي وهو أنفس ما ... أعطى المهيمن من مال ومن نعم
العلم بالفعل يزكو دائماً أبداً ... والمال ان ادمن الانفاق لم يدم
فالمال صاحبه الايام يحرسه ... والعلم يحرس أهليه من النقم
(البسيط)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

خلقت مشاركا في النوع قوما ... وقد خالفتهم اذ ذاك شخصا
اريد كالهم والنفع جهدي ... وهم يبغون لي ضرا ونقصا
اذا عددت ما فيهم عيوبا ... فقد حاولت شيئاً ليس يحصى
(الوافر)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

لا تصحبن فتى اراك تكلفاً ... وداً وأضمر ضد ذاك بطبعه
واهجر اخاك اذا تنكر وده ... فالعضو يحسم داؤه في قطعه
(الكامل)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

إذا جاهل ناواك يوماً بمحفل ... فلا ترفعن الطرف جهدك نحوه
فانك ان سالمته كنت عالياً ... عليه وان جاريته كنت كفوه
فكم جاهل رام التقاصي بجهله ... رأيت سواء مدحه لي وهجوه
(الطويل)

وقال ايضاً :

ان العدو وان بدا لك ضاحكاً ... كالشري [1] تبدو غضة أوراقه
وهو الزعاف لمن تعمد أخذه ... والمجتوي البشع الكريه مذاقه

(١) الحنظل .

واعلم بان الضد سم قربه — والبعد عنه حقيقة ترياقه

(الكامل)

وانشدني ايضاً لنفسه :

اذا كنت غارس غرساً جميلاً — فلا تعطشنه يفتك الثمر
وداوم على سقيه ما استطعت — بماء السخا لا بماء المطر
ولا تتبعنه بمنٍّ فقد — رأيناه مفسدة للشجر

(المتقارب)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

جانب طباعاً بني الدنيا فقربهم — يجدي المكاره ان ضنوا وان جادوا
فالناس يندر فيهم من اذا عرض — عراك من فيه اسعاد وانجاد
ولا تهن ان حماك الدهر جدك — فالاحرار عند انحراف الدهر انجاد
واطو الفلا طالباً نيل العلى أبداً — ولا يهولنك اغوار وانجاد

(البسيط)

وانشدني ايضاً لنفسه :

وان اشد أهل الارض حزناً — وغماً منهما لا يستفيق
كريم حل موضعه المعلى — سواه وانه لبه الخليق

(الوافر)

وانشدني ايضاً لنفسه :

وضع العوارف عند النذل يتبعه — على معاودة الالحاح في الطلب
ويحمل الفاضل الطبع الكريم على — حسن الجزاء لمولى العرف عن كثب
فالناس كالارض تسقى وهي واحدة — عذبا وتنبت مثل الشري والرطب

(البسيط)

وانشدني ايضاً لنفسه :

واني امرؤ بالطبع الغني مطامعي — وازجر نفسي طابعاً لا تطبعا
وعندي غنى نفس وفضل قناعة — ولست كمن ان ضاق ذرعاً تضرعا
وان مد نحو الزاد قوم أكفهم — تأخرت باعا ان دنا القوم اصبعا
ومذ كانت الدنيا لدي دنيئة — تعرضت للاعراض عنها ترفعا
وذاك لعلمي انما الله رازق — فمن غيره أرجو وأخشى وأجزعا
فلاالضعف يقصي الرزق ان كان دانياً — ولا الحول يدنيه اذا ما تجزعا

فلا تبطرن ان نلت من دهرك الغنى وكن شامخاً بالانف ان كنت مدقعا
فقدر الفتى ما حازه وافـــاده من العلم لا مال حواه وجمعـــا
فكن عالماً في الناس أو متعلماً وان فاتك القسمان أصغ لتسمعا
ولا تك للاقسام ما اسطعت رابعاً فتدرأ عن ورد النجاة وتدفعـــا
(الطويل)

وقال ايضاً :

اذا كان رزق المرء عن قـدر أتى فما حرصه يغنيه في طلب الرزق
كذا موته ان كان ضربة لازب فاخلاده نحـــو الدنا غاية الحـــق
فان شئت ان تحيا كريماً فكن فتى يؤوساً فان اليأس من كرم الخلق
فيأس الكريم الطبع حـلو مذاقه لديه اذا ما رام مسألة الخلـــق

وقال ايضاً :

ارى وجودك هذا لم يكن عبثـــاً الا لتكمل منك النفـــس فانتبه
فاعدل عن الجسم لاتقبل عليه ومل الى رعاية ما الانسان أنت بـه
فمؤيس النفس عن أهوائها يقـــظ ومطمع النفس فيها غـــير منتبه
فاسلك سبيل الهدى تحمد مغبته فمنهج الحق باد غير مشتبه
(البسيط)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كن محسناً طبعاً الى من بـــدل الحسنى مساءه
واشفع باسداء الجميل صباحـــه ابداً مساءه
فلعله ان ينثني ويحول عن حال الاساءه
فالحر يذكر من اخيه الخير لا ما منه ساءه
فلكم مسيء رده الاحسان عن ورد الرداءه
فصفا وفاء الى الوفا ء وصير الحسنى رداءه
فاذا منيت بمائن[1] في الود لم يحسن أداءه
فاصدقه علك ان تزيل بصدق ودك عنه داءه
(الكامل المرفل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كن مجملاً فيما تقول ولا تقل قولاً يهجنه بذاً وفساد

(١) كاذب ، غير صادق الود .

فجماعة الحكماء قبلك دأبهم ... كان الجميل من المقال فسادوا
(الكامل)

وانشدني ايضاً لنفسه :

وما صاحب السلطان الا كراكب ... بلجة بحر فهو يستشعر الغرق
فان عاد منه سالم الجسم ناجياً ... فما نفسه فيه يفارقها الفرق
(الطويل)

وانشدني ايضاً لنفسه :

يا ناظراً فيما قصدت لجمعه ... اعذر فان أخا الفضيلة يعذر
علماً بأن المرء لو بلغ المدى ... في العمر لاقى الموت وهو مقصر
(الكامل)

وانشدني ايضاً لنفسه مما كتبه على كأس في وسطه طائر على قبة مخرمة ، اذا قلب في الكاس ماء دار دوراناً سريعاً ، وصفر صفيراً قوياً . ومن إذا وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه شيئاً من الشراب صفر الطائر ، وكذلك لو شربه في مائة مرة فمتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم واحد فان صفيره ينقطع .

انا طائر في هيئة الزرزور[1] ... مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمي سلاف مدامة ... صرفاً تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع في الكؤوس كأنها ... نار الكليم بدت بأعلى الطور
واذا تخلف من شرابك درهماً ... في الكاس نمّ به عليك صفيري
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه وصية طبية :

توق الامتلاء وعد عنه ... وادخال الطعام على الطعام
واكثار الجماع فان فيه ... لمن والاه داعية السقام
ولا تشرب عقيب الاكل ماء ... فتسلم من مضرات عظام
ولا عند الخوى[2] والجوع حتى ... تلهن[3] باليسير من الادام
وخذ منه القليل ففيه نفع ... لذي العطش المبرح والاوام
وهضمك فاصلحنه فهو أصل ... وأسهل بالايارج[4] كل عام

(١) طائر اكبر من العصفور منه نوع لونه اسود وآخر اسود منقط ببياض .
(٢) خلاء البطن .
(٣) تعلل باللهفة وهي ما يأكل الانسان قبل الغذاء .
(٤) الايارج «دواء» من الادوية المسهلة .

وفصد العرق نكب عنه الا	لذي مرض رطيب الطبع حامي
ولا تتحركن عقيب أكل	وصير ذاك بند الانهضام
لئلا ينزل الكيلوس فجا	فيلجج في المنافذ والمسام
ولا تدم السكون فان منه	تولد كل خلط فيك خام
وقلل ما استطعت الماء بعد الرياضة	واجتنب شرب المدام
وعدل مزج كأسك فهي تبقي الحرارة	فيك دائمة الضرام
وخل السكر واهجره ملياً	فان السكر من فعل الطغام
واحسن صون نفسك عن هواها	تفز بالخلد في دار السلام

(الوافر)

وانشدني ايضاً لنفسه :

غرض الطب يا أخا اللب عرفا	ن مبادي ابداننا والأصول
قيل حالاتها ومـا توجب الحا	لات فيها ومـا لها من دليل
لتدوم الابدان موجودة الصحة	منـا وذاك بالتعديل
وتزال الامراض ان امكن الحـا	ل وذا بالافراغ والتبديل

(الخفيف)

وانشدني أيضاً لنفسه

ان الغذاء وان كان الصديق لمـا	هو المدبر أعني قوة الوصب [1]
فهو العدو لها أيضاً لان بـه	زيادة الضد أعني عنصر الوصب [2]

(البسيط)

وانشدني ايضاً لنفسه

علل الصحة حقـا ستة	وهي ايضـاً علل للمرض
فاذا عدلتهـا في اربع	كان ذا التعديل أنهى للغرض

(الرمل)

وأنشدني ايضاً لنفسه

اذا ما اشتهى ذو علة بعض ما به	شفاء من الداء الذي جسمه حلا
فلا تمنعنه مـا اشتهاه فربمـا	تراه وشيكا عقـدة الداء قد حلا
وكان كما قد قيل في مثل ما جرى	من السعد أن يلقى هوى صادف العقلا

(الطويل)

(١) ما بين السبابة والخنصر .

(٢) المرض والوجع والألم الشديد .

وأنشدني ايضاً لنفسه

واهيف القد قاني الخد تيمني ... وفي بحار الاسى الفاني ألفاني
لو حل في القلب ثان غيره وثنى ... عنه هواي ثنيت الثاني الثاني
ولو جنيت جنى ما كان غارسه ... فيه هواه لكنت الجاني الجاني
ولو وحق هواه زار في حلمي ... خياله موهناً ألفاني الفاني
ألفى ودادي ومغناه الفؤاد فهل ... لي من مجير وقد ألغاني الغاني

(البسيط)

وانشدني أيضاً لنفسه

ومهفهف ساجي اللواحظ أوردا ... عشاقه بدلاله ورد الردى
تخذ العذار مفاضة تحميه من ... عين المحب ولحظ مقلته ردا
لو كان اوردني برود رضابه ... لم يصبح السقم المبرح لي ردا
ان ماس اودى بالقضيب تأوداً ... او لاح ازرى بالهلال اذا بدا
ما شمت شامة خده الا سطا ... بمهند من مقلتيه وعربدا
او رمت من حبيه يوما سلوة ... الا وقال طلبت مسألة البدا

(الكامل)

وقال ايضاً :

ايها الشادن الذي طاب هتكي ... وافتضاحي بعد الصيانة فيكا
علة الجفن فيك علة سقمي ... وشفاي ارتشاف خمرة فيكا

وانشدني ايضاً لنفسه يمدح صلاح الدين محمد بن باغيبسان :

ومدلل ساجي الجفون مهفهف ... جمع الملاحة ذو الجلال لديه
وأحلها فيه فاصبح ربها ... وأمال أفئدة الانام إليه
من جفنه سيف الصلاح محمد ... باد ومن جفني سحب يديه

(الكامل)

وأنشدني ايضاً لنفسه يهنيء الصاحب جلال الدين ابا الفتح محمد بن نباتة ببناء داره :

يا ايها الصاحب الصدر الكبير جلا ... ل الدين ابن الكرام السادة الشرفا
بنيت داراً على الجوزاء مشرفة ... كما قديما بنيت المجد والشرفا
دامت محل سرور لا يحول ولا ... زالت رؤوس أعاديكم لها شرفا
شرفت أصلا واخلاقاً وشنشنة ... فلست ممن باصل وحده شرفا

(البسيط)

وانشدني ايضاً لنفسه ، وقد كتبها لي شيخه فخر الدين محمد بن عبد السلام الماريديني

يا سائقاً نحو ميا فارقين أنخ   بها الركاب وبلغ بعض اشواقي
وما اعانيه من وجد ومن كمد   ولوعة وصبابات وايراق
الى الذي فاق ابناء الزمان نهى   ومحتداً وثنـام طيب اعراق
وقل : محب لكم قد شفه مرض   ومـا سواك له من دائه راقي
صل[1] الطبيعة لا ينفك يلذعه   فاصرف نكايته عنـه بترياق
شطر الحياة مضى والنفس ناقصة   فكن مكملها في شطرها البـاقي
فأنت أولى بتهـذيبي وتبصرتي   بمـا يهذب أوصافي وأخـلاقي
وما يخلص نفسي من موانعها الوصول عند التفـاف الساق بالساق
مشكاة ذهني قد امست زجاجتها   صديئة فاجلهـا بالواحد الواقي
ورَوّ مصباحها من زيت علمك كي   تعود بعد انطفاء ذات اشراق
حبس الطبيعة قد طال الثواء به   فها أنا متوخٍ منك اطـلاقي
فاحلل حبائل اشراك الشواغل عن   جيدي وجد لي من رقي باعتاقي
لعل نفسي ان ترقى مهذبة   عند الفراق اذا ما قيل مَن راقي
وتغتدي في نعيم لا انتهـاء له   ولا فنى في جوار الواحد الباقي

(البسيط)

وأنشدني ايضاً لنفسه يرثي ولداً له :

بني لقـد غادرت بين جوانحي   لفقـدك ناراً حرّهـا يتسعر
واغريت بالأجفان بعد رقادها   سهـاداً فلن تنفك بعدك تسهر
فلست ابالي حين بنت بمن ثوى   ولم أر من اخشى عليك واحذر
وقال اناس يصغر الحزن كلما   تمادى وحزني الدهر ينمى ويكبر
وكنت صبوراً عند كل ملمة   فلم فقد أرديت عز التصبر
كملت فوافتك المنون وهكذا   يوافي الخسوف البدر ابان يبـدر

(الطويل)

وأنشدني ايضاً لنفسه في غرض :

تقربت بالاطراء بالشعر مـدة   اليكم وبالتنجيم والنحـو والطب
وأبدعت آلات النجوم وغيرها   واعربت عما اعتاص من لغة العرب
وحدثت اخبار النبي وما أتى   به الحكماء القدم قبلي في الكتب
وعاملتكم بالصدق فيما أقوله   ولم آل جهداً في النصيحة والحب
فلم اكتسب شيئاً سوى البؤس والعنا   وانفاق عمري بئس ذلك من كسب
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا   الا ان بعد الدار خير من القرب

(١) افعى .

الا ان بعد الدار ليس بضائر   اذا كان من تغشاه ليس بذي لب

وأنشدني ايضاً لنفسه :

قيل لي لم هجوت نجل فلان الكلب بل لم أوغلت فيـه المثاقب
وأولو الفضل لا يرون هجـاء   قـط إلا لذي حجى ومناقب
قلـت اني سخطت يومـا على شعري فقابلته بـه كالمعاقب
(الخفيف)

وأنشدني ايضاً لنفسه :

قالوا خليـق بالطبيب بان يرى   بالطبع يعدم رونقـاً وجمـالا
صدقوا ولكن لا الى حد به   يؤذي المريض ويفزع الاطفالا
(الكامل)

وقال أيضاً :

أيا فاعلاً خل التطبب واتئد   فكم تقتل المرضى المساكين بالجهل
فتركيب اجسام الانام مؤجل   فلم لا كلاك الله تعجـل بالحل
كأنك يا هـذا خلقت موكلا   على رجع أرواح الانام الى الاصل
بهرت الوبا اذ قتلك الناس دائماً   وذلك في الاحيان يحدث في فصل
كفى الوصب المسكين شخصك قاتلاً   اذا عدتـه قبل التعرض للفعل
(الطويل)

ولسديد الدين بن رقيقة من الكتب ؛ كتاب لطف السائل وتحف المسائل ، وهذا الكتاب قد نظم فيه مسائل حنين . كليات القانون لابن سينا رجزاً ، ومعاني أخر ضرورية يحتاج اليها في صناعة الطب ، وشرح هذا الكتاب ، وله ايضاً عليه حواش مفيدة . كتاب موضحة الاشتباه في ادوية الباه كتاب الفريدة الشاهية ، والقصيدة الباهية ، وهذه القصيدة صنعهـا بميافارقين في سنة خمس عشرة وستمائة للملك الاشرف ، شاه أرمن ، موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وذكر لي انه نظمها في يومين وهي (*) بيت ، وصنع لها أيضاً شرحا مستقصى بليغا في معناه . كتاب قانون الحكمـاء وفردوس الندماء . كتاب الغرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب . مقالة مسائل واجوبتها في الحميات . ارجوزة في الفصد .

صدقة السامري

هو صدقة بن منجا بن صدقة السامري ، من الاكابر في صناعة الطب ، والمتميزين من اهلهـا ، والأماثل من أربابها . كان كثير الاشتغال محباً للنظر والبحث ، وافر العلم ، جيـد الفهم ، قوياً في

(*) بياض بالاصل .

الفلسفة ، حسن الدراية لها ، متقناً لغوامضها . وكان يدرس صناعة الطب ، وينظم متوسطاً ، وربما ضمنه ملحاً من الحكمة ، واكثر ما كان يقوله دوبيت . وله تصانيف في الحكمة وفي الطب . وخدم الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن ايوب ، وبقي معه سنين كثيرة في الشرق الى ان توفي في الخدمة . وكان الملك الأشرف يحترمه غاية الاحترام ويكرمه كل الاكرام ، ويعتمد عليه في صناعة الطب ، وله منه الجامكية الوافرة والصلات المتواترة . وتوفي صدقة بمدينة حران[١] في سنة نيف وعشرين وستمائة ، وخلف مالاً جزيلاً ، ولم يكن له ولد .

ومن كلامه مما نقلته من خطه قال : « الصوم منع البدن من الغذاء ، وكف الحواس عن الخطاء ، والجوارح عن الآثام . وهو كف الجميع عما يلهي عن ذكر الله .

وقال : « اعلم أن جميع الطاعات ترى إلا الصوم لا يراه إلا الله فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . وللصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ؛ وصوم الخصوص ، وهو كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام ؛ واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنياوية ، وكفه عما سوى الله تعالى .

وقال : « ما كان من الرطوبات الخارجة من الباطن ليس مستحيلا ، وليس له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط . وأما ما له مقر وهو مستحيل فهو نجس ، كالبول والروث» .

وقال: «اعلم ان الوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عمن خدمه ، وحمل الوزر لا يكون إلا بسلامة من الوزير في خلقته وخلائقه. أما في خلقته فان يكون تام الصورة ، حسن الهيئة ، متناسب الاعضاء ، صحيح الحواس ؛ وأما في خلائقه فهو ان يكون بعيد الهمة ، سامي الرأي ، ذكي الذهن ، جيد الحدس ، صادق الفراسة ، رحب الصدر ، كامل المروءة ، عارفاً بموارد الامور ومصادرها . فاذا كان كذلك كان افضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ، ويرفعه عن الدناءة ، ويغوص له على الفرصة . ومنزلته منزلة الآلة التي يتوصل بها الى نيل البغية ، ومنزلة السور الذي يحرز المدينة من دخول الآفة ، ومنزلة الجارح الذي يصيد لطعمة صاحبه . وليس كل أحد يصلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفاً بالاخلاص لمن خدمه ، والمحبة لمن استخصه ، والايثار لمن قربه .

وقال : « صبر العفيف ظريف » .

ومن شعره قال :

سلوه لم صدني تيهاً ولم هجرا ... وأورث الجفن بعد الرقدة السهرا
وقد جفاني بلا ذنب ولا سبب ... وقد وفيت بميثاقي فلم غدرا
يا للرجال قفوا واستشرحوا خبري ... مني فغيري لم يصدقكم خبرا
إن لنت ذلاً قسا عزاً علي وإن ... دانيته بَانَ أو آنسته نفرا

---

(١) مدينة قديمة في ما بين النهرين ، قاعدة بلاد مضر .

هذا هو الموت عندي كيف عندكم   هيهات ان يستوي ال[illegible]ادي ومن صدرا

(البسيط)

وقال ايضاً :

يا وارثاً عن أب وجد   فضيلة الطب [illegible]سداد
وضامناً رد كل روح   همت عن الجسم بالبعاد
اقسم لو كان طب دهراً   لعاد كوناً بــلا فساد

(الكامل)

وقال ايضاً :

فاذا قرأت كلامه قدرتـــه   سحبان أو يوفي على سحبان
لو كان شاهده معد خاطبـاً   أو ذو الفصاحة من بني قحطان
لاقر كل طائعـين بانه   أولاهم بفصاحة وبيان
رب العلوم اذا أجال قداحــه   لم يختلف في فوزهن اثنـــان
ذو فطنة في المشكلات وخاطر   أمضى وأنفذ من شباة [1] سنان [2]
فاذا تفكر عــالم في كتبه   ينفي التقى وشرائط الايمان
أضحت وجوه الحق في صفحاتها   ترمي اليه بواضح البرهان
ودلالة تجلو بطالـــع بشرها   عز القرائح من ذوي الاذهان

(الكامل)

ووجدت بخطه أيضاً في الحاشية هذا البيت وهو متكرر القافية :

من حجة ضمن الوفاء بنصرها   نص القياس وواضح البرهان

وكأنه كتبه عوضاً عن البيت الذي أوله أضحت وجوه

وقال يهجو :

درى ومولاته وسيده   حدود شكل الاثنين مجموعه
والسيد فوق الاثنين منحمل   والست تحت الاثنين موضوعه
والعبد محمول ذي وحامل ذا   لحرمة بينهن مرفوعـــه
ذاك قياس جاءت نتيجتــه   قرينة في دمشق مطبوعه

(المنسرح)

وقال ايضاً :

يا ابن قسيم اصبحت تنتحـل النحو ودعواك فيـــه منحوله

---

(١) الحد من كل شيء .
(٢) نصل الرمح .

امك ما بالها ؟ فقل وأجب مرفوعة الساق وهي مفعوله
فاعلهـــا الاير وهو منتصب مسائل قـــد آتتك مجهوله
والعين عطـــل وعين عصعصها بنقطـــة الخصيتين مشكوله .
(المنسرح)

وقال ايضاً :

شيخ لنا من عظمه داهيه ما مثله في الامم الخاليه
مهندس في طول ايامــه مع قصره يبتلع الساريه
مثلث يدعمــه قائم لانــه منفـرج الزاويه
(السريـع)

وقال ايضاً :

يا شمس علا بأبرج السعد تسير العالم في عظم معاليك يسير
ما زلت كذا ملكك بالعدل تسير فينا وتفك بالندى كل أسير
(دوبيت)

وقال أيضاً :

يا سائلي عن صفات منها دائي اسمع نكتا وخلني مع رائي
في ريقتها سلافة الصهبـاء في جبهتهـا كواكب الجوزاء
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

ما لاح لناظري من العين عيون الا وجرت من أدمعي فيض عيون
غزلان نقا بين أراك وغصون أعرضن عني فزدن ما بي جنون
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

بالله عليكما المنا وسلاه كم يقتلني ويحسب القلب سلاه
قد اوعد بالوقا فان خان وفاه قبلت جبينه وعينيـــه وفاه
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

الراح بدت بريحها الريحـــاني ثم افتخرت بلطفها الروحاني
لما سطعت بنورهـــا النوراني رقت وصفت خلائق الانسان
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

انفي نكد الزمان بالاقداح فالراح قوام جوهر الارواح

فما يفلح من يظل يوماً صاحي أو يسمع من زخارف النصاح
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

أطفىء نكد العيش بماء وشراب فالدهر كما ترى خيال وسراب
واغنم زمن اللذة بين الاتراب فالجسم مصيره كما كان تراب
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

الراح هي الروح فواصل يا صاح صفراء بلطفها تنافي الاتراح
لولا شبك يصيدها في الاقداح طارت فرحاً الى محل الارواح

ولصدقة السامري من الكتب: شرح التوراة. كتاب النفس . تعاليق في الطب ذكر فيها الامراض وعلاماتها . شرح كتاب الفصول لابقراط لم يتم . مقالة في أسامي الادوية المفردة . مقالة أجاب فيها عن مسائل طبية سأله عنها الاسعد المحلي اليهودي . مقالة في التوحيد وسمها كتاب الكنز في الفوز . كتاب الاعتقاد .

مهذب الدين يوسف بن ابي سعيد

هو الشيخ الامام العالم الصاحب الوزير مهـــذب الدين يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري . قد اتقن الصناعة الطبية ، وتميز في العلوم الحكمية ، واشتغل بعلم الأدب،وبلغ في الفضائل أعلى الرتب . وكان كثير الاحسان،غزير الامتنان،فاضل النفس،صائب الحدس.وقرأ صناعة الطب على الحكيم ابراهيم السامري المعروف بشمس الحكماء. وكان هذا شمس الحكماء في خدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف.وقرأ أيضاً على الشيخ اسمعيل بن أبي الوقار الطبيب . وقرأ على مهذب الدين بن النقاش . وقرأ الادب على تاج الدين الكندي أبي اليمن . وتميز في صناعة الطب ، واشتهر بحسن العلاج والمداواة

ومن حسن معالجاته انه كانت ست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن ايوب قـد عرض لهـا دوسنطاريا كبدية وترمي كل يوم دمـاً كثيرا . والاطباء يعالجونها بالادوية المشهورة لهذا المرض من الاشربة وغيرها . فلما حضرها وجس نبضها قال للجماعة يا قوم ما دامت القوة قوية، أعطوها الكافور ليصلح كيفية هذا الخلط الحاد الذي فعل هذا الفعل ، وامر باحضار كافـور قيصوري وسقاها مـع حليب بزر بقلة محمصة ، وشراب رمان وصندل [1] فتقاصر عنها الدم وحرارة الكبد التي كانت ، وسقاها أيضاً منه ثاني يوم فقل أكثر ، ولاطفها بعد ذلك الى ان تكامل برؤها وصلحت . وحدثني بعض جماعة الصاحب بن شكر وزير الملك العادل قال : كان قد عرض للصاحب ألم في ظهره عن برد

(١) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر اللوز وله حب اخضر في عناقيد .

فأتى اليه الاطباء فوصف بعضهم مع اصلاح الاغذية بغلي يسير جندبيدستر [١] مع زيت ويدهن به . وقال آخر : دهن بابونج ومصطكى . فقال ، المصلحة أن يكون عوض هذه الاشياء شيء ينفع مع طيب رائحة ، فاعجب الصاحب قوله . وأمر مهذب الدين يوسف باحضار غالية [٢] ودهن بان،فحل ذلك على النار ، ودهن به الموضع فانتفع به.وخدم مهذب الدين يوسف بصناعةالطب لعزالدين فرخشاه ابن شاهان شاه بن ايوب ، ولما توفي عزالدين فرخشاه رحمه الله ، وذلك في جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، خدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عزالدين فرخشاه بصناعة الطب ، واقام عنده ببعلبك ، وحظي في ايامه ، ونال من جهته من الاموال والنعم شيئا كثيراً. وكان يستشيره في أموره ويعتمد عليه في أحواله . وكان الشيخ مهذب الدين حسن الرأي وافر العلم جيد الفطرة . فكان يستصوب آراءه ويشكر مقاصده . ثم استوزره واشتغل بالوزارة وارتفع امره ، وارتقت منزلته عنده حتى صار هو المدبر لجميع الدولة والاحوال بأسرها لا تعدل عن أمره ونهيه . ولذلك قال فيه الشيخ شهاب الدين فتيان -

الملك الامجد الذي شهدت   له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً   ما اعتقد السامري في العجل
(المنسرح)

انشدني هذين البيتين شمس الدين محمد بن شهاب الدين فتيان قال : أنشد فيهما والدي لنفسه .

أقول : ولم تزل أحوال الشيخ مهذب الدين على سننها وعلو منزلته على كيانها ، حتى كثرت الشكاوي من أهله وأقاربه السمرة ، فانه كان قد جاءه الى بعلبك جماعة منهم من دمشق ، واستخدمهم في جميع الجهات ، وكثر منهم العسف وأكل الاموال والفساد . وكان له الجاه العريض بالوزير مهذب الدين السامري فلا يقدر احد ان يقاومهم بالجملة . فان الملك الامجد لما تحقق ان الاموال قد اكلوها وكثر فسادهم ، ولامته الملوك في تسليم دولته للسمرة قبض على المهذب السامري ، وعلى جميع السمرة المستخدمين واستقصى منهم أموالا عظيمة . وبقي الوزير معتقلا عنده مدة الى ان لم يبق له شيء يعتد به . ثم أطلقه وجاء الى دمشق ورأيته في داره . ولما جاء من بعلبك وكنت مع أبي لنسلم عليه فوجدته شيخاً حسناً فصيح الكلام لطيف المعاني . ومات بعد ذلك وكانت وفاته يوم الخميس مستهل صفر سنة أربع وعشرين وستمائة بدمشق .

ومن شعر مهذب الدين يوسف :

ان ساءني الدهر يوماً   فانه سر دهرا
وان دهاني ببال   فقد تعوضت اجرا
الله أغنى وأقنى   والحمد لله شكرا
(البسيط)

---

(١) مثانة حيوان بحري بري يكون في الانهار يسمى القندر .
(٢) اخلاط من الطيب .

ولمهذب الدين يوسف بن أبي سعيد من الكتب : شرح التوراة .

الصاحب امين الدولة

هو الصاحب الوزير العالم العامل ، الرئيس الكامل ، افضل الوزراء ، سيد الحكماء ، امام العلماء ، امين الدولة أبو الحسن بن غزال بن ابي سعيد . كان سامرياً واسلم ، ولقب بكمال الدين . وكان مهذب الدين السامري عمه . وكان امين الدولة هذا له الذكاء الذي لا مزيد عليه ، والعلم الذي لا يصل اليه ، والانعام العام ، والاحسان التام ، والهمم العالية ، والآلاء المتوالية . وقد بلغ من الصناعة غاياتها ، وانتهى الى نهاياتها ، واشتمل على محصولها ، وأتقن معرفة اصولها وفصولها . حتى قل عنه المماثل وقصر عن ادراك معاليه كل فاضل وكامل . كان أولا عند الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه ابن عز الدين فرخشاه بن أيوب ، معتمداً عليه في الصناعة الطبية واعمالها ، مفوضا اليه امور دولته واحوالها . ولم يزل عنده الى ان توفي الملك الامجد رحمه الله ، وذلك في داره بدمشق آخر نهار يوم الثلاثاء حادي عشر شهر شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة

وبعد ذلك استقل بالوزارة للملك الصالح [1] عماد الدين أبي الفداء اسمٰعيل ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب ، فساس الدولة أحسن السياسة ، وبلغ في تدبير المملكة نهاية الرياسة ، وثبت قواعد الملك وأيدها ورفع مباني المعالي وشيدها ، وجدد معالم العلم والعلماء ، وأوجد من الفضل ما لم يكن لاحد من القدماء . ولم يزل في خدمة الملك الصالح ، وهو عالي القدر نافذ الامر ، مطاع الكلمة كثير العظمة الى ان ملك دمشق الملك الصالح نجم الدين [2] ايوب ابن الملك الكامل ، وجعل نائبه بها الامير معين الدين بن شيخ الشيوخ. وكان لما ملك دمشق أعطى الملك الصالح اسماعيل بعلبك ونقل اليها ثقله وأهله ، وذلك في سنة ثلاث واربعين وستمائة. وكان امين الدولة في مدة وزارته يحب جمع المال وحصل لصاحبه الملك الصالح اسماعيل أموالاً عظيمة جداً من أهل دمشق وقبض على كثير من املاكهم .

وكان موافقه في ذلك قاضي القضاة بدمشق وهو رفيع الدين الجيلي والنواب . ولما بلغ نائب السلطنة بدمشق ، وهو الامير معين الدين بن شيخ الشيوخ والوزير جمال الدين بن مطروح [3] بدمشق واكابر الدولة ما وصل الى امين الدولة من الاموال قصدوا ان يقبضوا عليه ، ويستصفوا امواله فعملوا له مكيدة . وهي انهم استحضروه وعظموه ، وقاموا له لما أتى . ولما استقر في المجلس قالوا له : ان اردت ان تقيم بدمشق فابق كما أنت ، وان اردت ان تتوجه الى صاحبك ببعلبك فافعل . فقال : لا والله اروح الى مخدومي واكون عنده . ثم انه خرج وجمع أمواله وذخائره

---

(١) ملك دمشق ١٢٣٧ — ١٢٣٨ واختلف مع الامراء مواطنيه وحالف الافرنج عليهم وقتل في القاهرة .

(٢) صد هجمات التتر في ما بين النهرين وبسط حكمه على العراق واحتل دمشق سنة ١٢٣٨ واسترد القدس من ايدي الصليبيين . (ن. ر)

(٣) ناظر الخزانة في مصر ووزير في دمشق .

وحواصله وجميع ما يملكه حتى الاثاث وحصر دوره وجمع الجميع على عـــدة بغال ، وتوجه قاصداً الى بعلبك .

ولما صار ظاهر دمشق قبض عليه واخذ جميع ما كان معه ، واحتيط على املاكه واعتقـــل . وكان ذلك يوم الجمعة ثاني شهر رجب سنة ثلاث واربعين وستمائة . ثم سير الى الديار المصرية تحـــت الحوطة ، واودع السجن في قلعة القاهرة مع جماعة أخر من اصحاب الملك الصالح اسمٰعيل . ولما كان بعد ذلك بزمان وتوفي الملك الصالح نجم الدين ايوب بمصر في سنة سبع واربعين وستمائة ، وجـــاء الملك الناصر يوسف بن محمد من حلب وملك دمشق ، وذلـــك في يوم الاحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة صار معه الملك الصالح اسمٰعيل وملوك الشام ، وتوجه الى مصر ليأخذهـــا فخرجت عساكر مصر ، وكان ملك مصر يومئذ الملك المعز عز الدين أيبك [1] التركماني ، كان قـــد تملك بعد وفاة استاذه الملك الصالح نجم الدين ايوب ، والتقوا فكانت اول الكسرة على عسكر مصر. ثم عادوا وكسروا عسكر الشام ، وقبضوا الملك الصالح اسمٰعيل وجمـــاعة كثيرة من الملوك والامراء وحبسوا جميعهم في مصر ، ثم اطلق بعضهم فيما بعد . واما الملك الصالح اسمعيل فكان آخر العهد به وقيل انه خنق بوتر

حدثني الامير سيف الدين المشدّ علي بن عمر رحمه الله قال : لما سمع الوزير أمين الدولة في قلعـــة القاهرة بان ملوك الشام قد كسروا عسكر مصر ، ووصل الخبر اليهم بذلك من بلبيس [2] . قال أمين الدولة لصاحب الآمر في القلعة : دعنا نخرج في القلعة حتى تطلع الملوك ، وتبصر أيش تعمل معك من الخير فاطمعته نفسه ، واخرجهم وكانوا في ذلك الموضع في الحبس ثلاثة من اصحاب الملك الصالح اسمٰعيل وزيره أمين الدولة ، واستاذ داره ناصر الدين بن يغمور . وامير كردي يقال له سيف الدين ، فقـــال الكردي لهم : يا قوم لا تستعجلوا مواضعكم ، فان كان الامر صحيحاً فمصير استاذنا يخرجنا ويعيـــدنا الى ما كنا عليه ويحسن الينا ونخلف . وان كان الامر غير صحيح فنكون في موضعنا لم نخرج منـــــه فهو أسلم لنا فلم يقبلوا منه ، وخـــرج الوزير وناصر الدين بن يغمور وبسطوا مواضع في القلعة وأمروا ونهوا . ولما صح الخبر بعكس ما أملوه أمر عز الدين التركماني لما طلع القلعة بقتل ناصر الدين بن يغمور فقتل ، وأمر بشنق الوزير فشنقوه. وحكى لي من رآه لما شنق وانه كان عليه قندورة عنابي خضراء، وسرموزة في رجليه ، ولم ينظر مشنوقاً في رجليه سرموزة سواه . وامـــا رفيقهم الكردي فأطلقه وخلع عليه وأعطاه خيراً .

أقول وأعجب ما أتى من الأحكام النجومية فيما يتعلق بهـــذا المعنى ما حكاه الامير ناصر الدين زكري المعروف بابن عليمة وكان من جماعة الملك الصالح نجم الدين أيوب قال: لما حبس الصاحب امين الدولة أرسل الى منجم في مصر له خبرة بالغة في علم النجوم واصابات لا تـــكاد تخرم في احكامها ،

---

(١) السلطان المملوكي سلطان دمشق (١٢١٨ – ١٢٢٧) انشأ عدة مدارس وخانات (ن. ر)
(٢) بلدة شمالي القاهرة كانت مركزاً حربياً في ايام الصليبيين والايوبيين . وفيها توفي الخليفة العزيز الفاطمي .

وسأله ما يكون من حاله وهل يخلص من الحبس قال : فلما وصلت الرسالة اليه اخذ ارتفاع الشمس للوقت ، وحقق درجة الطالـع والبيوت الاثني عشر ومركز الكواكب ، ورسم ذلك كله في تخت الحساب وحكم بمقتضاه فقال : يخلص هذا من الحبس ويخرج منه وهو فرحـــان مسرور ، وتلحظه السعادة ان يبقى له امر مطاع في الدولة بمصر . ويمتثل أمره ونهيـه جماعة من الخلق . فلما وصل اليه الجواب بذلك فرح به . وعندما وصله مجيء الملوك وان النصر لهم خرج وايقن ان يبقى وزيراً بمصر، وتم له ما ذكره المنجم من الخروج من الحبس والفرح والامر والنهي وصار له أمر مطاع في ذلـــك اليوم. ولم يعلم امين الدولة ما يجري عليه بعد ذلك. وان الله عز وجل قد أنفذ ما جعله عليه مقدوراً وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وكان للصاحب امين الدولة نفس فاضلة وهمة عالية في جمع الكتب وتحصيلها ، واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم ، وكانت النساخ أبداً يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخـة من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر[1] وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً . فقال هذا الكتاب ، الزمن يقصر ان يكتبه ناسخ واحد ففرقه على عشرة نساخ ، كل واحد منهم ثمان مجلدات فكتبوه في نحو سنتين وصار الكتاب بكماله عنده وهذا من علو همته . ولمـا كان رحمه الله بدمشق ، وهو في دست وزارته في أيام الملـك الصالح اسمعيل . وكان ابي صديقـه وبينهما مودة فقال له يومـاً سديد الدين بلغني ان ابنك قد صنف كتاباً في طبقات الاطباء ما سبق اليه ، وجماعة الاطباء الذين يأتون الي شاكرين منه . وهذا الكتاب جليل القدر ، وقد اجتمع عندي في خزانتي اكـثر من عشرين الف مجلد ما فيها شيء من هذا الفن . واشتهي منك ان تبعث اليه يكتب لي نسخة من هذا الكتاب . وكنت يومئـذ بصرخد عند مالكها الامير عز الدين ايبك المعظمي فامتثل أمره. ولما وصلني كتاب ابي اتيت الى دمشق واستصحبت معي مسودات من الكتاب واستدعيت الشريف النـاسخ وهو شمس الدين محمد الحسيني ، وكان كثيراً ينسخ لنا ، وخطه منسوب في نهاية الجودة . وهو فاضل في العربية فأخليت له موضعاً عنـــدنا . وكتب الكتاب في مدة يسيرة في تقطيع ربع البغدادي اربعـة اجزاء . ولما تجلدت عملت قصيدة مديح في الصاحب امين الدولة ، وبعثت بالجميع اليه مع قاضي القضـاة بدمشق رفيع الدين الجيلي . وهو من جملة المشايخ الذين اشتغلت عليهم فاني قرأت عليه شيئاً من كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا . وكان بيني وبينه أنس كثير ، ولما وقف أمين الدولة على ذلك اعجبه غاية الاعجاب ، وفرح به كثيراً وارسل الي مع القاضي المال الجزيل والخلع الفاخرة وتشكر وقال : اشتهي منك ان كلما تصنفه من الكتب تعرفني به. وهذه نسخة القصيدة التي قلتها فيه، وذلك في اوائل سنة ثلاث واربعين وستمائة.

فؤادي في محبتهم أسير وأنـّى سار ركبهم يسير
يحن الى العذيب[2] وساكنيه حنيناً قد تضمنه سعير

---

(١) علي بن الحسن ولد في دمشق (١١٠٥ - ١١٧٦) وعلم في كبريات مدن الشرق الف تاريخ دمشق في ٨٠ مجلداً فقد اكثرها . (ن.ر)

(٢) موضع فيه ماء .

ويهوى نسمة هبت سحيرا ... بها من طيب نشرهم عبير
واني قانع بعد التداني ... بطيف من خيالهم يزور
ومعسول اللمى مر التجني ... يجور على المحب ولا يجير
تصدى للصدود ففي فؤادي ... بوافر هجره أبدا هجير
وقد وصلت جفوني فيه سهدي ... فما هذي القطيعة والنفور
كأن قوامه غصن رطيب ... وطلعة وجهه بدر منير
يرى نشوان من خمر التصابي ... يميد وفي لواحظه فتور
ففي وجناته للحسن روض ... وفي خديّ من دمعي غدير
وكم زمن أراه قد تعدى ... علي وانني فيه صبور
وحالي مع بنيه غير حال ... وسري لا يمازجه سرور
وان أشكو الزمان فان ذخري ... امين الدولة المولى الوزير
كريم اريحي ذو أياد ... تعم كما همى الجون(1) المطير
تسامى في سماء المجد حتى ... تأثر تحت أخمصه الاثير
وهل شعر يعبر عن علاه ... ودون محله الشعرى العبور
له أمر وعدل مستمر ... به في الخلق تعتدل الامور
ففي الازمان للعافي (2) مبر ... وفي العزمات للعادي(3) مبير(4)
لقد فاق الاوائل في المعالي ... وكم من اول فاق الاخير
يطول العالمين بكل علم ... ويقصر عنه في رأي قصير
وقد صلحت به الدنيا ودانت ... لصالحها المدائن والثغور
أيا من عم انعاماً ويا من ... له الافضال والفضل الغزير
لقد احييت ميت العلم حتى ... تبين في الوجود له نشور
وأوردت الانام بحار جود ... وقد كادت مناهلها تغور
وكم في الطب من معنى خفي ... بشرح منك عاد له ظهور
وقد قاس الرئيس اليك يوماً ... يجده اليك مرؤوسا يصير
وهل يحكيك في لفظ وفضل ... وما لك فيهما أبداً نظير
وقد أرسلت تأليفاً ليبقى ... على اسمك لا تغيره الدهور
فريد ما سبقت اليه قدماً ... ومولانا بذاك هو الخبير
ولكن في علومك فهو يهدى ... كما تهدى الى هجر (5) التمور

(١) الاسود . وهنا كنى بها عن السحاب الاسود الداكن .
(٢) كل طالب فضل او رزق . (٣) المعتدي او المتجاوز الطور او المختلس .
(٤) مهلك . (ن . ر)
(٥) بلد بالبحرين اشتهرت بجودة تمرها وهي المقصودة بالمثل « كجالب التمر الى هجر » . (ن.ر)

وحاشا أن ابكار المعالي اذا زفت الى المولى تبور
وان تك زلة أبديت فيه فعن امثالها أنت الغفور

(الوافر)

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين هبة الله ابي القاسم بن عبد الوهاب بن محمد بن علي الكاتب المعروف بابن النحاس ، من أبيات كتبها الى الصاحب امين الدولة يطلب منه خطا وعده به الملك الامجد ، وذلك في سنة سبع وعشرين وستمائة .

وعدت بالخط فارسل ما وعدت به يا من له نعم تترى بلا منن
من يفعل الخير يجن كل مكرمة ويشتري مدحاً تتلى بلا ثمن
خطاً يزيدك حظا كلما صدحت ورقاء في شجر يوماً على فنن

(البسيط)

وأنشدني شرف الدين اسمٰعيل بن عبدالله بن عمر الكاتب المعروف بابن قاضي اليمن لنفسه قصيدة كتبها الى الصاحب امين الدولة من جملتها :

نالني من زماني التغيير ومحا صفو لذتي التكدير
كان عيشي يظل حلواً وقد عا د بجور الزمان وهو مرير
ونأى من أحب لم يلو عطفاً فبقلبي للهجر منه هجير
ورجوت الشفاه من داء سقم شفني فهو في حشاي سعير
قال لي قائل وقد اعضل الدا ء وعزا الدوا وعاز المشير
كيف تشكو الآلام أو يعضل الدا ء على الجسم والطبيب الوزير
اقصد الصاحب الوزير ولا تخش فاحسانه عميم غزير
واذا الداء خيف منه تلافا ليس يشفي الا الحكيم البصير
سيد صاحب أريب حكيم عالم ماجد وزير كبير
منقذ منصف لطيف رؤوف محسن مؤثر كريم أثير

(الخفيف)

ومن شعر الصاحب أمين الدولة قال ، وكتب به في كتاب الى برهان الدين وزير الامير عز الدين المعظمي تعزية لبرهان الدين في ولده الخطيب شرف الدين عمر .

قولا لهذا السيد الماجد قول حزين مثله فاقد
لا بد من فقد ومن فاقد هيهات ما في الناس من خالد
كن المعزي لا المعزى به ان كان لا بد من الواحد

(السريع)

وللصاحب أمين الدولة من الكتب : كتاب النهج الواضح في الطب ، وهو من أجل كتاب صنف في الصناعة الطبية ، وأجمع لقوانينها الكلية والجزئية، وهو ينقسم الى كتب خمسة : (الكتاب الاول) في ذكر الامور الطبيعية والحالات الثلاث للابـدان وأجناس الامراض ، وعلائم الامزجـة المعتدلة والطبيعية والصحية للاعضاء الرئيسية وما يقرب منها ، ولامور غيرها شديدة النفع يصلح ان تذكر في هذا الموضع ، ويتبعها بالنبض والبول والبراز والبحران (الكتاب الثاني) في الادويـة المفردة وقواها (الكتاب الثالث) في الادوية المركبة ومنافعها (الكتاب الرابـع) في تدبير الاصحاء وعلاج الامراض الظاهرة وأسبابها وعلائمها ، وما يحتاج اليه من عمل اليد فيها وفي اكثر المواضع ويذكر فيه ايضاً تدبير الزينة وتدبير السموم (الكتاب الخامس) في ذكر الامراض الباطنة وأسبابها وعلائمها وعلاجهـا وما يحتاج اليه من عمل اليد .

مهذب الدين عبد الرحيم بن علي

هو شيخنا الامام الصدر الكبير ، العالم الفاضل مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالدخوار . وكان رحمه الله أوحد عصره ، وفريد دهره ، وعلامة زمانه . واليه انتهت رياسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي ، وتحقيق كلياتها وجزئياتها . ولم يكن في اجتهـاده من يجاريه، ولا في علمه من يماثله . أتعب نفسه في الاشتغال ، وكد خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه، في صناعة الطب ، وحظي عند الملوك ، ونال من جهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الاطباء الى ان توفي . وكان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان ابوه علي بن حامد كحالاً مشهوراً ، وكذلك كان اخوه وهو حامد بن علي كحالاً . وكان الحكيم مهذب الدين ايضاً في مبدأ امره يكحل، وهو مـع ذلك مواظب على الاشتغال والنسخ . وكان خطه منسوباً . وكتب كتباً كثيرة بخطه ، وقد رأيت منها نحو مائة مجلد أو اكثر في الطب وغيره . واشتغل بالعربية على الشيخ تاج الدين الكنـدي أبي اليمن ، ولم يزل مجتهداً في تحصيل العلوم وملازمة القراءة والحفظ حتى في اوقات خدمته وهو في سن الكهولة . وكان في اول اشتغاله بصناعة الطب قد قرأ شيئاً من المكي على الشيخ رضي الدين الرحبي رحمه الله. ثم بعد ذلك لازم موفق الدين بن المطران وتتلمذ له ، واشتغل عليه بصناعة الطب . ولم يزل ملازما له في أسفاره وحضره الى ان تميز ومهر . واشتغل بعد ذلك ايضاً على فخر الدين المـارديني لما ورد الى دمشق في سنة تسع وسبعين وخمسمائة بشيء من القانون لابن سينا . وكان فخر الدين المارديني كثـير الدراية لهذا الكتاب والتحقيق لمعانيه وخدم الحكيم مهذب الدين الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وكان السبب في ذلك أنه في اول امره كان يعاني صناعة الكحل ويحاول اعمالها ، وخدم بها في البيمارستان الكبير الذي انشأه ووقفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي. ثم بعد ذلك لما اشتغل على ابن المطران ، ووسم بصناعة الطب ، اطلق له الصاحب صفي الدين بن شكر وزير الملك العادل ابي بكر بن ايوب جامكية على الطب وخدم بها ، وهو مع ذلك يشتغل ويتزيد في العلم والعمل، ولا

يخل بخدمة الصاحب صفي الدين بن شكر والتردد اليه. وعرف الصاحب منزلته في صناعة الطب وعلمه وفضله. ولما كان في شهر شوال سنة أربع وستمائة كان الملك العادل قد قال للصاحب بن شكر: نريد ان يكون مع الحكيم موفق الدين عبد العزيز حكيم آخر، برسم خدمة العسكر والتردد اليهم في امراضهم، فان الحكيم عبد العزيز ما يلحق لذلك، فامتثل أمره وقال: ههنا حكيم فاضل في صناعة الطب يقال له المهذب الدخوار يصلح ان يكون في خدمة مولانا. فأمره باستخدامه.

ولما حضر مهذب الدين عند الصاحب قال له: اني شكرتك للسلطان وهذه ثلاثون ديناراً ناصرية لك في كل شهر وتكون في الخدمة. فقال: يا مولانا الحكيم موفق الدين عبد العزيز له في كل شهر مائة دينار ورواتب مثلها، وأنا أعرف منزلتي في العلم وما أخدم بدون مقرره. وانفصل عن الصاحب ولم يقبل. ثم ان الجماعة ذمت مهذب الدين على امتناعه، وما بقي يمكنه ان يعاود الصاحب ليخدم، وكان مقرره في البيمارستان شيء يسير. واتفق المقدور ان بعد ذلك الحديث بنحو شهر، وكان يعاود الموفق عبد العزيز قولنج صعب فمرض له وتزايد به ومات منه. ولما بلغ الملك العادل موته قال للصاحب: كنت قد شكرت لنا حكيماً يقال له المهذب نزله على مقرر الموفق عبد العزيز فتنزل على جميع مقرره، واستمر في خدمة الملك العادل من ذلك الوقت. ثم لم تزل تسمو منزلته عنده، وتترقى أحواله، حتى صار جليسه وأنيسه وصاحب مشورته.

وظهر ايضاً منه في اول خدمته له نوادر في تقدمة المعرفة، اكدت حسن ظنه به واعتماده عليه. ومن ذلك ان الملك العادل كان قد مرض ولازمه أعيان الاطباء، فأشار الحكيم مهذب الدين عليه بالفصد فلم يستصوب ذلك الاطباء الذين كانوا معه، فقال والله لم نخرج له دماً الا خرج الدم بغير اختيارنا. ولم يوافقوه في قوله فما كان بعد ذلك بايسر وقت الا والسلطان قد رعف رعافاً كثيراً وصلح فعرف ان ما في الجماعة مثله. ومن ذلك ايضاً انه كان يوماً على باب دار السلطان ومعه جماعة من اطباء الدور فخرج خادم ومعه قارورة جارية يستوصف لها من شيء يؤلمها، فلما رآها الاطباء وصفوا لها ما حضرهم، وعندما عاينها الحكيم مهذب الدين قال: ان هذا الألم الذي تشكوه لم يوجب هذا الصبغ الذي للقارورة. يوشك انه يكون الصبغ من حناء قد اختضبت به، فاعلمه الخادم بذلك وتعجب منه، واخبر الملك العادل فتزيد حسن اعتقاده فيه.

ومن محاسن ما فعله الشيخ مهذب الدين من كمال مروءته ووافر عصبيته، حدثني ابي قال: كان الملك العادل قد غضب على قاضي القضاة محيي الدين بن زكي الدين بدمشق لامر نقم عليه به، وأمر باعتقاله في القلعة، ورسم عليه ان يزن للسلطان عشرة الاف دينار مصرية وشدد عليه في ذلك، وبقي في الحبس والمطالبة عليه كل وقت فوزن البعض وعجز عن وزن بقية المال. وعظم الملك العادل عليه الامر وقال: لا بد ان يزن بقية المال والا عذبته. فتحير القاضي وابلغ جميع موجوده واثاث بيته حتى الكتب التي له، وتوسل الى السلطان وتشفع بكثير من الامراء والخواص والاكابر، مثل الشميس استاذ الدار وشمس الخواص صواب والوزير وغيرهم ان يسامحه بالبعض، أو يسقط عليه فما

فعل السلطان ، وحمل القاضي هماً عظيماً على ذلك حتى قل أكله ونومه ، وكاد يهلك فافتقده الحكيم مهذب الدين ، وكان بينهما صداقة قديمة ، وشكا اليه حاله ، وسأله المساعدة بحسب مـا يقدر عليه ففكر مهذب الدين وقال: انا ادبر لك أمراً وأرجو أن يكون فيه نفع لك ان شاء الله تعالى وفارقه.

وكانت سرية الملك العادل أم الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل متغيرة المزاج في تلك الايام . وكانت تركية الجنس وعندها عقل ودين وصلاح ولهـا معروف كثير وصدقات . فلما حضر الحكيم مهذب الدين عندها وزمام الدور أوجدها مهذب الدين حال القاضي وضرره وانه مظلوم وقد الزمه السلطان بشيء لا يقدر عليه ، وطلب منها شفاعة لعل السلطان ينظر اليه بعين الرحمة ويسامحه بالبعض أو يقسط عليه ، وساعده الزمـام في ذلك فقالت : والله كيف لي بالخير للقاضي وان اقول للسلطان عنه . ولكن مـا يمكن هذا فان السلطان يقول لي ايش الموجب انك تتكلمي في القاضي ، ومن اين تعرفيه ولو كان هو في المثل حكيم يتردد الينا ، او تاجر يشتري لنا القماش كان فيه توجـه للكلام والشفاعة ، وهذا فما يمكن أتكلم فيه . فقال لها الحكيم يا ستي انت لك ولد ومالك غيره وتطلبي له السعادة والبقاء ، وتلقي من الله كل خـير بشيء تقدري تفعليه ، وما تقولي للسلطان شفاعة اصلاً . فقالت ايش هو ؟ فقـال وقت يكون السلطان وانتم نيام توجديه انك أبصرت مناماً في ان القاضي مظلوم . وعرفها ما تقول ، هذا يمكن .

ولما تكاملت عافيتها ، وكان الملك العادل نائمـاً عندها وهي الى جانبه انتبهت في أواخر الليل ، وأظهرت انها مرعوبة وأمسكت فؤادها وبقيت ترتعد وتتباكى ، فانتبه السلطـان وقال : مالك ؟ وكان يحبها كثيراً فلم تجبه مما بها. فأمر باحضار شراب تفاح وسقاها ورش على وجهها ماء ورد. وقال : أما تخبريني ايش جرى عليك وايش عرض لك ؟ فقالت : يا خوند منام عظيم هالني ، وكدت اموت منه . وهو انني رأيت كأن القيامة قد قامت ، وخلق عظيم ، وكان في موضع به نيران كثيرة تشعل وناس يقولون هذا للملك العادل لكونه ظلم القاضي . ثم قالت : هل فعلت قط بالقاضي شيئاً ؟ فمـا شك في قولها وانزعج ، ثم قام لوقته وطلب الخدام وقـال : امضوا الى القاضي وطيبوا قلبه وسلموا عليه عني ، وقولوا له يجعلني في حل مما تم عليه وان جميع ما وزنه يعاد اليه ، وما اطالبـه بشيء فراحوا اليه وفرح القاضي غاية الفرح بقولهم ، ودعا للسلطان وجعله في حل . ولما أصبح أمر له بخلعة كاملة وبغلة واعاده الى القضاء ، وامر بالمال الذي وزنه ان يحمل اليه من الخزانة . وان جميع ماباعه من الكتب وغيرها تسترجع من المشترين لها ويعطوا الثمن الذي وزنوه . وحصل للقاضي الفرج باهون سعي وألطف تدبير .

قال : ولما كان الملك العادل بالشرق ، وذلك في سنة عشر وستمائة مرض مرضاً صعباً وتولى علاجه الحكيم مهذب الدين إلى ان برىء مما كان به فحصل له منه في تلك المرضة نحو سبعة آلاف دينـــار مصرية ، وبعث اليـه ايضاً اولاده الملك العادل وسائر ملوك الشرق وغيرهم الذهب والخلع والبغلات باطواق الذهب وغير ذلك . وكذلك توجه الملك العادل الى الديار المصرية في سنة اثنتي عشرةوستمائة واقام بالقاهرة ، أتى في ذلك الوقت وباء عظـيم الى ان هلك اكثر الخلق . وكان قد مرض الملك

الكامل ابن الملك العادل ، ومرض كثير من خواصه ، وهو صاحب الديار المصرية فعالجه بالطف علاج الى ان برىء . وحصل له ايضاً من الذهب والخلع والعطايا السنية شيء كثير . وكان مبلغ ما وصل اليه من الذهب نحو اثني عشر الف دينار واربع عشرة بغلة باطواق ذهب ، والخلع الكثيرة من الثياب الاطلس وغيرها .

أقول : وولاه السلطان الكبير في ذلك الوقت رياسة اطباء ديار مصر بأسرها واطباء الشام ، وكنت في ذلك الوقت مع ابي وهو في خدمة الملك العادل ففوض اليه النظر في أمر الكحالين واعتبارهم ، وان من يصلح منهم لمعالجة أمراض العين ويرتضيه يكتب له خطاً بما يعرفه منه ففعل ذلك . ولما كان في سنة اربعة عشرة وستمائة وسمع الملك العادل بتحرك الفرنج في الساحل أتى الى الشام ، واقام بمرج الصفر ثم حصل له وهو في أثناء ذلك مرض وهو بمنزله بخانقين [1] . وتوفي رحمه الله بها في الساعة الثانية من يوم الجمعة سابع جمادى الآخر سنة خمس عشرة وستمائة . ولما استقر ملك الملك المعظم بالشام استخدم جماعة عدة ممن كانوا في خدمة ابيه الملك العادل ، وانتظم في خدمته منهم من الحكماء الحكيم رشيد الدين بن الصوري وأبي . واما الحكيم مهذب الدين فانه اطلق له جامكية وجراية ، ورسم انه يقيم بدمشق ، وان يتردد الى البيمارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ويعالج المرضى به .

ولما اقام الشيخ مهذب الدين بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب ، واجتمع اليه خلق كثير من اعيان الاطباء وغيرهم يقرأون عليه ، واقمت انا بدمشق لاجل القراءة عليه . واما اولا فكنت اشتغل عليه في المعسكر لما كان ابي والحكيم مهذب الدين في خدمة السلطان الكبير فبقيت اتردد اليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس ، وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيرها . وكانت كتب جالينوس تعجبه جداً . واذا سمع شيئاً من كلام جالينوس في ذكر الامراض ومداواتها والاصول الطبية يقول هذا هو الطب . وكان طلق اللسان حسن التأدية للمعاني جيد البحث لازمته ايضاً في وقت معالجته للمرضى بالبيمارستان فتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب . وكان في ذلك الوقت ايضاً معه في البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من اعيان الاطباء واكابرهم في المداواة والتصرف في انواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ، ومما كان يجري بينهما من الكلام في الامراض ومداواتها ومما كانا يصفاه للمرضى .

وكان الحكيم مهذب الدين يظهر من ملح صناعة الطب ومن غرائب المداواة والتقصي في المعالجة والاقدام بصفات الادوية التي تبرىء في أسرع وقت ما يفوق به أهل زمانه ، ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر . ومن ذلك انني رأيته يوماً وقد أتى محموم بحمى محرقة وقواريره في غاية الحدة فاعتبر قوته ، ثم أمر بأن يترك له في قدح بزور من الكافور مقداراً صالحاً عينه لهم في الدستور ،

---

(١) بلدة في العراق في الطريق بين بغداد وخراسان على نهر خلوان تشاي . وعندها حدثت وقعة بين العرب والفرس سنة ٦٣٧ . (ن.ر)

وان يشربه ولا يتناول شيئاً غيره ، فلما أتينا من الغد وجدنا ذلك المريض والحمى قد انحطت عنه ، وقارورته ليس فيها شيء من الحدة . ومثل هذا ايضاً انه وصف في قـاعة الممرورين لمن به المرض المسمى مانيا ، وهو الجنون السبعي ، ان يضاف الى ماء الشعير في وقت اسقائه اياه مقدار متوفر من الافيون ، فصلح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال . ورأيته يوماً في قاعة المحمومين وقـد وقفنا عند مريض ، وجست الاطباء نبضه فقالوا عنده ضعف ليعطى مرقـة الفروج للتقوية فنظر اليه ، وقال : ان كلامه ونظر عينيه يقتضي الضعف . ثم جس نبض يـده اليمنى وجس الاخرى وقـال : جسوا نبض يده اليسرى . فوجدناه قوياً . فقال : انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه قد انفرق العرق الضارب شعبتين ، فواحـدة بقيت التي تجس والاخرى طلعت في أعلى الزنـد وامتدت الى ناحية الاصابع . فوجدناه حقاً . ثم قال : ان من الناس ، وهو نادر ، من يكون النبض فيه هكذا ، ويشتبه على كثير من الاطباء ويعتقدون ان النبض ضعيف ، وانمـا يكون جسم لتلك الشعبة التي هي نصف العرق فيعتقدون ان النبض ضعيف . وكان في ذلك الوقت ايضاً في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحبي ، وهو من اكبر الاطباء سناً واعظمهم قدراً واشهرهم ذكراً ، فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي الى البيمارستان ، ويستوصف منه للمرضى اوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون بها من البيمارستان الاشربة والادوية التي يصفها . فكنت بعد ما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمـران من معـالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان ، وانا معهم ، أجلس مـع الشيخ رضي الدين الرحبي فاعاين كيفية استدلاله على الامراض ، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم ، وأبحث معه في كثير من الامراض ومداواتها . ولم يجتمع في البيمارستان منذ بني والى ما بعده من الزمان من مشايخ الاطباء كما اجتمع فيه في ذلك الوقت من هؤلاء المشايخ الثلاثة وبقوا كذلك مدة .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحـلام

وكان الشيخ مهذب الدين رحمه الله اذا تفرغ من البيمارستان ، وافتقد المرضى من اعيـان الدولة واكابرها وغيرهم ، يأتي الى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة . ولا بد له مع ذلك من نسخ. فإذا فرغ منه اذن للجماعة فيدخلون اليه ويأتي قوم بعد قوم من الاطباء والمشتغلين . وكان يقرأ كل واحد منهم درسه ، ويبحث معه فيه ، ويفهمه اياه بقدر طاقته ، ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم ان كان الموضع يحتاج الى فضل بحث ، او فيه اشكال يحتـاج الى تحرير . وكان لا يقرىء أحداً إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ ، ينظر فيه ويقابل به ، فان كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره باصلاحه . وكانت نسخ الشيخ مهذب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحة ، وكان اكثرها بخطه ، وكان أبداً لا يفارقه الى جانبه مع ما يحتاج اليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغـة كتاب الصحاح للجوهري ، والمجمل لابن فارس [1] وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري . فكان اذا فرغت الجماعة من القراءة يعود هو الى نفسه فيأكل شيئا ثم يشرع بقية نهـاره في الحفظ والدرس

(١) احمد بن فارس لغوي ونحوي على طريقة الكوفيين ولد في جهة كبرسف وجياناباذ وهما قريتان من رستاق الزهراء وتوفي في الري (١٠٠٤) اشهر كتبه « المجمل في اللغة » (ن.ر)

والمطالعة يسهر أكثر ليله في الاشتغال .

وكان أيضاً في ذلك الزمان يجتمع بالشيخ سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي ، وكان يعرفه قديماً فلازمه في الاشتغال عليه بالعلوم الحكمية ، وحفظ شيئاً من كتبه ، وحصل معظم مصنفاته ليشتغل بها مثل كتاب دقائق الحقائق ، وكتاب رموز الكنوز ، وكتاب كشف التمويهات في شرح التنبيهات وكتاب أبكار الأفكار ، وغير ذلك من مصنفات سيف الدين . ثم بعد ذلك أيضاً نظر في علم الهيئة والنجوم ، واشتغل بها على أبي الفضل الاسرائيلي المنجم ، واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج اليها في هذا الفن ، ما لم يكن عند غيره ومن الكتب شيئاً كثيراً جداً . وسمعته يحكي ان عنده ست عشرة رسالة غريبة من الاصطرلاب لجماعة من المصنفين . وفي أثناء ذلك طلبه الملك الاشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل وهو بالشرق فتوجه اليه ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وقال لي انه خرج منه في هذه السفرة لما عزم على الحركة من شراء بغلات وخيم وآلات لا بد منها للسفر عشرون الف درهم . ولما وصل ذلك الى الملك الاشرف أكرمه وأحسن اليه ، وأطلق له اقطاعاً في الشرق يغل له في كل سنة ألف وخمسمائة دينار فبقي معه مدة ، ثم عرض له ثقل في لسانه واسترخاء فبقي لا يسترسل في الكلام ووصل الى دمشق لما ملكها الملك الاشرف في سنة ست وعشرين وستمائة ، وهو معه فولاه رياسة الطب . وبقي كذلك مديدة ، وجعل له مجلساً لتدريس صناعة الطب . ثم زاد به ثقل لسانه حتى بقي اذا حاول الكلام لا يفهم ذلك منه إلا بعسر . وكانت الجماعة تبحث قدامه فاذا استعصى معنى يجيب عنه بأيسر لفظ يدل على كثير من المعنى . وفي أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه في لوح وتنظره الجماعة . ثم اجتهد في مداواة نفسه ، واستفرغ بدنه بعدة أدوية مسهلة ، وكان يتناول كثيراً من الادوية والمعاجين الحارة ويغتذي بمثلها فعرضت له حمى وتزايدت به حتى صعفت قوته وتوالت عليه امراض كثيرة . ولما جاء الأجل بطل العمل .

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكانت وفاته رحمه الله في الليلة التي صبيحتها يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة ودفن بجبل قاسيون ولم يخلف ولداً .

ولما كان في سنة إثنتين وعشرين وستمائة ، وذلك قبل سفر الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي عند الملك الاشرف وخدمته له ، وقف داره وهي بدمشق عند الصاغة العتيقة شرقي سوق المناخليين ، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ، ووقف لها ضياعاً وعدة اماكن يستغل ما ينصرف في مصالحها ، وفي جامكية المدرس وجامكية المشتغلين بها . ووصى ان يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحبي وابتدأ بالصلاة في هذه المدرسة يوم الجمعة صلاة العصر ثامن ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وستمائة .

ولما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة حضر الحكيم سعد الدين ابراهيم بن الحكيم موفق الدين عبد العزيز ، والقاضي شمس الدين الخوئي والقاضي جمال الدين

الخرستاني ، والقاضي عزيز الدين السنجاري وجماعة من الفقهاء والحكماء . وشرع الحكيم شرف الدين ابن الرحبي في التدريس بها في صناعة الطب واستمر على ذلك ، وبقي سنين عدة . ثم صار المدرس فيها بعد الحكيم بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك . وذلك انه لما ملك دمشق الملك الجواد مظفرالدين يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل، كتب للحكيم بدر الدين ابن قاضي بعلبك منشوراً برياسته على سائر الحكماء في صناعة الطب ، وان يكون مدرساً للطب في مدرسة الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي . وتولى ذلك في يوم الاربعاء رابع صفر سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وأنشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي ، قال : أنشدني الشيخ الاديب شهاب الدين فتيان بن علي الشاغوري لنفسه يمدح الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي

انعم ولذ بأقدار تؤاتيكا حتى تنال بها أقصى امانيكا
مهذب الدين يا عبد الرحيم لقد شأوت يا ابن علي من يباريكا
فازت قداحك [1] في حفظ الدروس بأيام سلفن وما خابت لياليكا
ما زلت تسعى لكسب الحمد مجتهداً حتى بلغت الأماني من مساعيكا
أنت امرؤ أودعت ألفاظه حكما أملت دقيق المعاني من معانيكا
حتى ربيت بحجر العلم متخذاً لك التواضع لبساً في تعاليكا
فللمعاني ابتسام في خلائقك الحسان مثل ابتسام الجد في فيكا
يا من له قلم كم مد من لقم في الفضل سبحان باريه وباريكا
لك الثناء جميلاً حيث كنت فما خلق عن المجد والعلياء يثنيكا
متى تمادى المجيد المدح في مدح يبدّ أقصى المدى ادنى الذي فيكا
يا جامعاً حسباً عدا الى ادب جم عدمت امرءاً في الجود يحكيكا
عندي اليك صبابات يؤكدها حسن الوفاء بمعروف يوافيكا
ولي اليك اشتياق لا يفارقني يا ليت لي سبباً للوصل مسلوكا
ولو تهيأ لي المسعى اليك لما فارقت بابك بوابا أناجيكا
لكنني في يدي شيخوخة وضنا قد غادر الجسم منهوبا ومنهوكا
كم همة لك قد أوفت على الفلك الاعلى بأخمصها كيوان [2] معروكا
وددت أن عليا والرشيد معاً عاشا وقد رأيا ما الله يوليكا
كلاهما كان في سر وفي علن لك المحب فما ينفك يطريكا
عش وابق وارفل طوال الدهر في خلع الملوك واخلع قلوبا من اعاديكا
ولا تزل أبداً في باب دارك للرسل ازدحام الى السلطان تدعوكا
ونلت بالعادل الميمون طائره قصوى بالمنى منجما فيه تداويكا

(١) واحدها قدح وهو سهم الميسر .
(٢) زحل . (ن. ر)

فهو الذي ثل عرش الشرك اذ دمهم | أمسى وأضحى بسيف الدين مسفوكا
معود النصر والفتح القريب فسل | بـه الملوك فكل عنه ينبيكا
ستهزم الملك الانكور وثبتـه | وفي كلاء سنان الرمح مشكوكا
دع حمل هم دمشق الله كالئها | مما تخوفه والله كاليكا
هل الرئيس ابن سينا وهو يطرب بالقانون وافاك بالبشرى يغنيكا
وهل مقالات جالينوس صادرة | عما تقول فتأويها فتاويكا
فنعم حدث ملوك أنت أفلح من | منهم بناديه في الجلى يناديكا
كم قلت لابن خروف دع هجاءك من | تنمى سعادته يا أنوكا النوكا
حتى هوى بحضيض قد تبوأه | الى القيامة ما ينفك مدكوكا
وعشت أنت غنياً بالهبات ومن | عاداك مات شديد الفقر صعلوكا
دمشق جنة عدن للمقيم بها | فلا نأت عن مغانيها مغانيكا
شوت كلى ابن خروف نار سعدك اذ | دعا بـه تحسه يوماً ليهجوكا
فكم أسير سقام من جوامعه | جعلته بعد ضيق الأسر مفكوكا
نزهت عن هفوات يستفز بها | سواك من للخنا يبغي المماليكا
ولم تضع صلوات ما برحت لها | حلماً بخير تحيات تحييكا
ولم تكن راغباً في شرب صافية | صحت فأصبح منها العقل موعوكا

(البسيط)

أقول وكان هذا ابن خروف الذي ذكره شهاب الدين فتيان مغربياً شاعراً ، وكان كثير الهجاء للحكيم مهذب الدين ، وكان آخرة ابن خروف انه توجه الى حلب ، ومدح صاحبها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ، وانشده المديح . ولما فرغ تأخر القهقرى الى خلف ، وكان ثم بئر فوقع فيها ومات .

ومن شعر مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال وكتب به الى عمي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة في مرضة مرضها .

يا من أؤمله لكل ملمة | وأخاف ان حدثت له أعراض
حوشيت من مرض تعاد لاجله | وبقيت ما بقيت لنا أعراض
انا نعدك جوهراً في عصرنا | وسواك ان عدوا فهم أعراض

(الكامل)

ولمهذب الدين عبد الرحيم بن علي من الكتب : اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي. اختصار كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج الاصفهاني . مقالة في الاستفراغ الفها بدمشق في شهر ربيع الاول سنة اثلتين وعشرين وستمائة . كتاب الجنينة في الطب . تعاليق ومسائل في الطب وشكوك طبية ورد

أجوبتها له . كتاب الرد على شرح ابن صادق لمسائل حنين . مقـالة يرد فيها على رسالة ابي الحجاج يوسف الاسرائيلي في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها .

عمي رشيد الدين علي بن خليفة

هو أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفـة ، من الخزرج[1] من ولد سعد بن عبادة [2] . مولده بحلب في سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وكان مولد أبي قبله في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بالقاهرة المعزية، ونشأ ايضاً بالقاهرة واشتغلا بها وذلك ان جدي رحمه الله كانت له همة عالية ومحبة للفضائل واهلها، وله نظر في العلوم، ويعرف بابن ابي اصيبعة ، وكان قد توجه الى الديار المصرية عندما فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.وكان في خدمته وخدمة أولاده، وكان من جملة معارف جدي واصدقائه من دمشق جمال الدين أبي الحوافر الطبيب،وشهاب الدين ابو الحجاج يوسف الكحال وذلك ان مولد جدي كان بدمشق،ونشأ بها وأقام سنين كثيرة . فلما اجتمع بجمال الدين بن ابي الحوافر بمصر وبأبي الحجاج يوسف، وكان قد ترعرع أبي وعمي، وقصد الى تعليمهما صناعة الطب لمعرفته بشرفها، وكثرة احتياج الناس اليها ، وان صاحبها الملتزم لما يجب من حقوقها يكون مبجلاً حظياً في الدنيا ، وله الدرجة العليا في الآخرة . وترك أبي وعمي يلازمان ذينك الشيخين ويغتنمانهما. فلازم أبي أبـا الحجاج يوسف واشتغل بصناعة الكحل، وباشر معه أعمالها . وكان أبو الحجاج يكحل في البيمارستان بالقاهرة غير الموضع الذي صار حينئذ بالقاهرة بيمارستانا ، وهو من جملة القصر . وكان البيمارستان في ذلك الوقت في السقطين أسفل القاهرة ، وكان جدي يسكن الى جانبه ، فبقي أبي ملازمـاً لابي الحجاج يوسف ومتعلماً منه الى ان أتقن صناعته ، وقرأ ايضاً على غيره من أعيان المشايخ الاطباء في ذلك الوقت بمصر مثل الرئيس موسى القرطبي صاحب التصانيف المشهورة ومن هو في طبقته . ولازم عمي لجمال الدين بن أبي الحوافر واشتغل عليه بصناعة الطب .

واول اشتغال عمي بالعلم انه كان عند تقي المعلم ، وهو أبو التقي صالح بن أحمد ابراهيم بن الحسن ابن سليمان العرشي المقدسي . وكان هذا تقي يعرف علوماً كثيرة، وكانت له سيرة حسنة في التعليم في الكتب ، وسياسة مشهورة عنه لم يكن أحد يقدر عليها إلا هو.ولما اتقن عمي رحمه الله حفظ القرآن عند تقي وعلم الحساب ، وشرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه لازم جمال الدين بن أبي الحوافر،وكان في ذلك الوقت رئيس الاطباء بالديار المصريـة ، وصاحبها الملك العزيز عثمان بن عبد الملك الناصر صلاح الدين . وقرأ عليـه شيئاً من كتب جالينوس الستة عشر ، وحفظ منها الكتب الاولة في أسرع وقت .

---

(١) قبيلة يمنية اقترن اسمها دائماً مع قبيلة اخرى هي الاوس وهما من اصل واحد . وهاجرت بعد تهدم سد مأرب من سيل العرم من الجنوب الى المدينة وانتشرت حتى خيبر وتيماء وناصرت مع الاوس النبي (ص) على قريش واعتنقتا الاسلام . وكانوا ينطقون الجيم الخرساء فرحلوا الى مصر ونشروا فيها نطقهم .

(٢) صحابي خزرجي ضمد جرح النبي بعد وقعة أحد توفي في حوران سنة ٦٣٦ . (ن. ر)

ثم باحث الاطباء ولازم مشاهدة المرضى بالبيمارستان ، ومعرفة امراضهم ، وما يصف الاطباء لهم ، وكان فيه جماعة من أعيان الاطباء . ثم قرأ في اثناء ذلك علم صناعة الكحل ، وباشر أعمالها عند القاضي نفيس الدين الزبير ، وكان المتولي للكحل في ذلك الوقت في البيمارستان . وكذلك أيضاً باشر معه في البيمارستان اعمال الجراح . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي يومئذ في القاهرة ، وكان صديقاً لجدي وبينهما مودة أكيدة فاشتغل عمي عليه بشيء من العربية والحكمة . وكان يبحث معه في كتب ارسطوطاليس ويناقشه في المواضع المشكلة منها وكان يجتمع أيضاً بسديد الدين ، وهو علامة في العلوم الحكمية ، ويشتغل عليه .

وكان ايضاً قبل ذلك قد اشتغل بعلم النجوم على أبي محمد بن الجعدي . وكان هذا الشيخ فاضلاً في علم النجوم متميزاً في أحكامه ، وكان لحق الخلفاء المصريين ، ويعد من الخواص عندهم . وكان أبوه من أعيان الامراء في دولتهم . واما صناعة الموسيقى فكان قد أخذها عن ابن الديجور المصري ، وعن صفي الدين أبي علي بن التبان . ثم بعد ذلك ايضاً اجتمع باعيان المصنفين في هذا الفن مثل البهاء المصلح الكبير وشهاب الدين النقجوني وشجاع الدين بن الحصن البغدادي ومن هو في طبقتهم وأخذ عنهم كثيراً من تصانيف العرب والعجم . ولم يكن لعمي دأب في سائر أوقاته من صغره إلا النظر في العلوم والاشتغال ، وتكميل نفسه بالفضائل . ولما عاد جدي الى الشام وانتقل اليها ، وذلك في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وكان لعمي في ذلك الوقت من العمر نحو العشرين سنة ، شرع عمي في معالجة المرضى والتزيد في صناعة الطب . وكان في دمشق الشيخ رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي ، وكان كثير الصداقة لجدي من السنين الكثيرة ، وسمع بعمي ولما شاهده ورأى تحصيله فرح به ، وبقي عمي يحضر مجلسه ويقرأ عليه ، ويبحث معه في صناعة الطب . وباشر المرضى في البيمارستان الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي وكان فيه من الاطباء موفق الدين بن الصرف ، والشيخ مهذب الدين عبدالرحيم بن علي .

واشتغل ايضاً بالحكمة في ذلك الوقت على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، لانه كان أيضا قد عاد الى الشام ، وكان بدمشق أيضاً جماعة من أهل الأدب ومعرفة العربية : مثل زين الدين بن معطي فلازمه واشتغل عليه ، ومثل تاج الدين بن حسن الكندي أبي اليمن ، وكان صديقاً لجدي ، وبينهما مودة سالفة من عند عزالدين فرخشاه . فلازمه عمي أيضاً واشتغل عليه بالعربية ، وأتقن عمي هذه العلوم باسرها ، وصار شيخاً يقتدى به في صناعة الطب ، ويشتغل عليه بها . وله من العمر دون الخمس وعشرين سنة وكان ايضاً يشعر ويترسل ، وكان يتكلم بالفارسية ويعرف تصاريف لغة الفرس وينظم شعراً بالفارسي . وكان أيضاً يتكلم بالتركي . ولما كان في يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان سنة خمس وستمائة ، استدعاه السلطان الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وسمع كلامه ، وحسن موقعه عنده وأنعم عليه ، وأمر أن ينتظم في خدمته فاتفقت تعاويق من حركات السلطان .

وبعد ذلك بأيام سمع به صاحب بعلبك ، وهو الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عز الدين

فرخشاه بن شاهان شاه بن أيوب ، فبعث اليه يستدعيه ويستدعي جدي لانه كان يعرفه من عهد أبيه . فلما وصلا اليه تلقاهما وأحسن اليهما غاية الاحسان ، وأطلق لهما الجامكية . والجراية والرتب . وحسن موقع عمي عنده جداً حتى كان لا يفارقه في اكثر اوقاته ، ولما رأى علمه بالحساب ، وجودة تصرفه فيه ، طلب منه يريه شيئاً من الحساب فامتثل أمره ، وعرفه جملة منه ، وألف له كتاباً في الحساب يحتوي على اربع مقالات . وكان للملك الامجد رحمه الله نظر في الفضائل ، ورغبة في أهلها ، وينظم شعراً جيداً وله ديوان مشهور .

ولما كان في سنة تسع وستمائة مرضت عيني خادم يقال له سليطة للسلطان الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وهو يعزه كثيراً ، وتفاقم المرض في عينيه حتى هلكت ويئس منهما . ورآه المشايخ من الأطباء والكحالين ، وكل عجز عن مداواته ، وأجمعوا انه قد عمي ، وان المداواة لم يبق لها فيه تأثير أصلا . ولما رآه ابي وتأمل عينيه قال : أنا أداوي عيني‌هذا ويبصر بهما ان شاء الله تعالى .وشرع في مداواته وفي علاجه ، وعيناه في كل وقت تصلح حتى كملت عافيته وبرأ برءاً تاماً ، وركب وعاد الى ما كان عليه أولا حتى كان يتعجب منه . وظهرت منه في مداواته معجزة لم يسبق اليها فأحسن الملك العادل ظنه به كثيراً ، واكرمه غاية الاكرام من الخلع وغيرها . وكان له قبل ذلك أيضاً تردد الى الدور السلطانية بالقلعة بدمشق وداوى بها جماعة كانت في أعينهم أمراض صعبة فصلحوا في اسرع وقت .

وعرف بذلك أيضاً الملك العادل وقال : مثل هذا يجب أن يكون معي في السفر والحضر ،وطلبه للخدمة فسأل أن يعفى ، وان يكون مقيما بدمشق فلم يجبه الى ذلك ، واطلق له جامكية وجراية ، واستقرت خدمته له في خامس عشر ذي الحجة سنة تسع وستمائة . وكان حظياً عنده وعند جميع أولاده الملوك ويعتمدون عليه في المداواة وله منهم الاحسان الكثير والافتقاد التام . ولم يزل في الخدمة الى ان توفي الملك العادل رحمه الله وملك دمشق بعده الملك المعظم فامر ان يستمر في خدمته ، وكان له فيه أيضاً من حسن الاعتقاد والرأي مثل أبيه وأكثر وخدم الملك المعظم لاستقبال صفر سنة ست عشرة وستمائة ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المعظم رحمه الله .

ورسم الملك الناصر داود ابن الملك المعظم بان يستمر في خدمته ، وان يجري له ما كان مقرراً في أيام والده . فبقي معه الى ان اتفق توجه الملك الناصر الى الكرك ، فاقام أبي بدمشق وصار يتردد الى القلعة لخدمة الدور السلطانية لكل من ملك دمشق من اولاد الملك العادل وغيرهم ، وكلهم يرون له ويعتمدون عليه في المداواة ، وله الجامكية والجراية والانعام الكثير . ويتردد ايضاً الى بيمارستان نور الدين الكبير وله الجامكية والجراية . والناس يقصدونه من كل ناحية لما يجدون في مداواته من سرعة البرء ، وان امراضاً كثيرة مما تكون مداواتها بالحديد يبرئها بذلك على اجود ما يمكن ومنها ما يعالجها بالادوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد . وهذا المعنى قد مدحه جالينوس في كتابه في محنة الطبيب الفاضل وقال : « رأيت طبيباً يبرىء بالادوية الادواء التي يبرئها المعالجون بالحديد بالقطع فعد ذلك على ان له علماً ودربة وحذقاً . قال : « واحمد أيضاً من رأيته يبرىء بالادوية وحدها

من أدواء العين ما يعالجه غيره بالقطع ، مثل الظفرة[1] والجرب[2] والبرد والماء والغلظ والشعر وزيادة اللحم الذي في المآقي ونقصانه . واحمد ايضاً من رأيته حلل من العين مادة محتقنة فيها بسرعة ، أو رد الطبقة التي يقال لها العنابية بعد أن نتأت نتوءاً كثيراً الى موضعها حتى لطئت[3] ، او ظهر منه غير ذلك مما هو شبيه في علاج العين بغير حديد » . هذا نص جالينوس . وقد رأيت كثيراً من ذلك وأمثاله قد تأتى لابي في المداواة وكثيراً أيضاً من أمراض العين التي قد يئس من برئها قد صلحت بمداواته . كما قال فيه بعض من عالجه وبرأ على يديه وهو شمس العرب البغدادي .

لسديد الدين في الطب يد ... لم تزل تنقذ طرفاً من قذى
كم جلت عن مقلة من ظلمة ... وأماطت عن جفون من أذى
لا يعاني طب عين في الورى ... قط الا حاذق كان كذا
يا مسيح الوقت كم من اكمه[4] ... بك أضحى مبصراً ذاك وذا
فبآرائك للداء دوا ... وبألفاظك للروح غذا
لك عندي منن لو انني ... شاكر أيسرها يا حبذا

(الرمل)

وشمس العرب هو ابو محمد عبد العزيز بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي . ولم يزل أبي متردداً إلى الخدمة بقلعة دمشق والى البيمارستان الكبير النوري الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وستمائة . ودفن ظاهر باب الفريدس في طريق جبل قاسيون ، وذلك في ايام الملك الناصر يوسف بن محمد صاحب دمشق . ولما كان عمي عند الملك الامجد ، وأتى الى بعلبك الملك المعظم لنجدة الملك الامجد عند عداوته الاسبتار ، واجتمعوا كان عمي يجتمع معهم . ولم يكن في زمانه من يعرف الموسيقى واللعب بالعود مثله ، ولا اطيب صوتاً منه . حتى انه شوهد من تأثر الانفس عند سماعه مثل ما يحكى عن أبي نصر الفارابي ، فكثر اعجاب الملك المعظم به جداً ، وبعد ذلك أخذه اليه واستمر في خدمته من أول جمادى سنة عشر وستمائة ، وأطلق له الجامكية والجراية . ولم يزل يواصله بالافتقاد والانعام ، ولا يفارقه في أكثر أوقاته . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب . وكذلك كان الملك الكامل محمد والملك الاشرف يعتمدان عليه . واذا حضر أحدهما عند أخيه الملك المعظم لا يزال عندهما . وكان له منهما الانعام الكثير .

وأعرف مرة قد حضر الملك الكامل عند أخيه الملك المعظم ، وكان عمي معهما ، وكانوا في مجلس الانس فاعطى الملك الكامل له في تلك الليلة خلعة كاملة ، وخمسمائة دينار مصرية . ولما كان الملك

---

(١) داء في العين يتجللها منه غاشية كالظفر على بياض العين الى سوادها (٢) كالصدأ يعلو باطن الجفن وربما ألبسه كله او ركب بعضه (ن.ر) .
(٣) لصقت .
(٤) اعمى .

المعظم بدمشق ندبه أن يتولى كتابة الجيش ، واكد عليه في ذلك ، فلم يسعه إلا امتثال امره ، وقعد في الديوان وحضر عنده الجماعة والنواب ، وشرع في الكتابة أياماً . ثم رأى ان اوقاته تمر باسرها في الكتابة والحساب ، ولم يبق له وقت لنفسه ، ولاشتغاله في العلوم العقلية وغيرها ، فطلب من السلطان ان يعفيه من ذلك . وتشفع اليه بجماعة من خواصه حتى أقاله .

ولما كان في سنة احدى عشرة وستمائة حج الملك المعظم ، وحج عمي معه . ولم يزل في خدمته الى ان اتفقت نوبة عمنا في نصف شعبان سنة اربع عشرة وستمائة ، وتقدمت الفرنج وتخالف الطريق بين السلطان الكبير الملك العادل وولده المعظم ، فمضى عمي صحبة الملك العادل نحو دمشق ، ومضى الملك المعظم نحو نابلس . ثم خرج عمي من دمشق صحبة الملك الناصر داود ابن الملك المعظم ، ولما وصلوا عجلون [1] أمر برجوع ولده فرجعوا . وبعد ذلك مرض عمي مرضاً وطال الى آخر السنة المذكورة فرأى ان الحركة تضره ؛ وهو بالطبع يميل إلى الانفراد والاشتغال بالكتب . واستدعاه الملك العادل ابو بكر بن أيوب لما سمع بتحصيله وسيرته ، وذلك في الخامس من المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وولاه طب البيمارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فكان يتردد اليهما والى القلعة .وقرر له جامكية وجراية ، واطلقت له ايضاً ست الشام أخت الملك العادل جامكية في الطب ، وكان يتردد الى دارها

ولما أقام بدمشق وجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب، واشتغل عليه جماعة ، وكلهم تميزوا في الطب . وكان يجتمع في ذلك الوقت مع علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني ، وهو علامة وقته في العلوم الرياضية فقرأ عليه علم الهيئة ، واتقنها في اسرع وقت . ولقد كان علم الدين يوماً عنده ، وهو يريه أشكالاً في علم الهيئة وقال له وانا أسمع : والله يا رشيد الدين هذا الذي قد علمته في نحو شهر دأب غيرك في خمس سنين حتى يعلمه . واجتمع أيضاً عمي في دمشق بالسيد الامام العالم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه ، والبسه خرقة التصوف ، وذلك في العشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة . وهذه نسخة ما كتبه له معها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أنعم به المولى السيد الاجل ، الامام العالم ، شيخ الشيوخ ، صدر الدين ، حجة الاسلام ، علم الموحدين ، أبو الحسن محمد ابن الامام السيد الاجل العالم ، شيخ الشيوخ عماد الدين أبي حفص عمر بن ابي الحسن بن محمد بن حمويه ، أدام الله تأييده ، من الباس خرقة التصوف على مريده علي بن خليفة بن يونس الخزرجي الدمشقي وفقه الله على الطاعات . البسه وأخبره انه أخذها عن والده المذكور رحمه الله ، وان والده أخذها عن ابيه شيخ الاسلام معين الدين ابي عبدالله محمد بن حمويه

---

(١) قرية بفلسطين بالقرب منها القلعة التي بناها اسامة احد امراء صلاح الدين. (ن.ر)

رحمه الله ، وانه اخذها عن الخضر [1] عليه السلام . والخضر عن رسول الله ﷺ . واخذها جده ايضاً عن الشيخ ابي علي الفارندي الطوسي ، واخذها المذكور عن شيخ وقته ابي القاسم الكركاني واخذها ابو القاسم عن الاستاذ الامام ابي عثمان المغربي . واخذها ابو عثمان عن شيخ الحرم ابي عمرو الزجاجي ، واخذها المذكور عن سيد الطائفة الجنيد [2] بن محمد ، واخذها الجنيد عن خاله سري السقطي [3] ، عن معرف الكرخي [4] ، عن علي [5] بن موسى الرضا عليه السلام ، وصحبه وتأدب به ، وخدمه . واخذ علي عن أبيه موسى [6] بن جعفر الكاظم ، عن ابيه جعفر [7] بن محمد الصادق ، عن ابيه محمد [8] بن علي الباقر ، عن ابيه علي بن الحسين زين العابدين [9] ، عن ابيه علي بن أبي طالب عليه السلام . واخذها علي كرم الله وجهه عن سيد المرسلين وامام المتقين نبينا محمد عليه افضل الصلاة والتسليم . واخذ معروف ايضاً عن داود الطائي ، عن حبيب العجمي عن سيد التابعين الحسن البصري [10] عن علي عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لباسه الخرقة أعاد الله عليه من بركاتها ، وعلى جميع من تشرف بها في العشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة بدمشق المحروسة . »

وبين الاسطر بخط المولى صدر الدين شيخ الشيوخ ما هذا مثاله : « ألبست الخرقة للمذكور وفقه الله تعالى » . وكتب ابن حمويه ابو الحسن بن عمر بن ابي الحسن بن محمد في شهر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة ، حامداً لربه ومصلياً على رسوله ، ومستغفراً من ذنوبه . ولما كان في سنة ست عشرة وستمائة ، وصل الى عمي كتاب من الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل بخطه ، وهو يطلب منه ان يتوجه اليه الى مدينة بصرى [11] ليعالج والدته ، ومرضى أخر عنده ويعود . وكان قد عرض في بصرى وباء عظيم فتوجه اليه وعالج والدته ، فصلحت في مدة يسيرة ، وانعموا عليه بالذهب والخلع . وعرضت لعمي حمى حادة فعاد الى دمشق ، ولم يزل المرض يتزايد به ، وأعيان الاطباء

---

(١) احد الانبياء الذي ارشد موسى . وقد حظي عند الصوفيين بمركز ممتاز ويطلق عليه النصارى اسم القديس جرجس او هو النبي ايليا .

(٢) زاهد بغدادي عرف بشيخ الطائفة الجندية وطاووس العلماء توفي سنة ٩١٠ . « ن . ر »

(٣) صوفي معلم جنيد. قال بخلق احرف القرآن . وان المحبين يفوقون في النعيم أتباع موسى وعيسى ومحمد . توفي في بغداد سنة ٨٧٠ .

(٤) ناسك متصوف مشهور في بغداد وقبره في بغداد مزار العامة . وتوفي سنة ٨١٥ . وهو استاذ السقطي .

(٥) الامام الثامن عند الشيعة الاثني عشرية (٧٦٥–٨١٨) قبره في مشهد – خراسان .

(٦) الامام السابع دفن في مقبرة قريش الكبرى قرب بغداد سنة ٧٧٩ فسميت بالكاظمية تيمناً باسمه .

(٧) ابو عبدالله الامام جعفر الصادق سادس الائمة المعصومين . توفي بالمدينة ودفن بالبقيع . وكان من علماء الكيمياء .

(٨) خامس الائمة الاثني عشر كنيته ابو جعفر ولقبه الباقر وذلك لانه بقر العلم بقراً توفي سنة ٧٣٦ .

(٩) رابع الائمة وابن الامام الشهيد بقية سيوف الامويين توفي سنة ٧١٠ .

(١٠) ولد في المدينة وتوفي فيها (٦٤٢–٧٢٨) واستقر في البصرة . وكان ورعاً تقياً متقشفاً له اثره العميق في الحركة الدينية في الاسلام .

(١١) بلدة بحوران تدل آثارها العظيمة على ما كان لها من مجد في قديم الزمان . وهي اول مدينة فتحها العرب في بلاد الشام على يد خالد بن الوليد .

ومشايخهم يلازمونه ويعالجونه الى ان انقضت مدة حياته . وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الاثنين سابع عشر شعبان سنة ست عشرة وستمائة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة ، ودفن عند ابيه واخيه في ظاهر باب الفراديس .

ومن كلامه في الحكمة ، مما سمعته منه ، رحمه الله ، فمن ذلك « وصية اول النهار » قال : قد أقبل هذا النهار وانت فيه مهيأ لكل فعل ، فاختر لنفسك أفضلها لتوصلك الى افضل الرتب ، وعليك بالخير فانه يقربك من الله ويحببك الى الناس . واياك والشر فانه يبعدك عن الله ويبغضك الى الناس . وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند انقضاء هذا النهار . والحذر من ان يغلب شرك على خيرك . وليس الفاضل من بقي على حالة الطبيعة مع عدم المؤذيات بل الفاضل من بقي عليها مع وجود المؤذيات. والانقطاع عن الناس اكبر مانع للاذى. واقبل وصايا الانبياء ، واقتد بافعال الحكماء . وعليك بالصدق فان الكذب يصغر الانسان عند نفسه فضلاً عن غيره . واحلم تشكر ، وتفضل فان الحقد يعجل الهم ، ويوقع في العداوات والشرور ، وكذلك الحسد . وتجنب الاشرار تكفّ الأذى ، وابعد عن أرباب الدنيا تكفَ الاشرار . واقنع من دنياك بما تدفع به ضرورة بدنك . واعلم ان نهارك هذا قطعة تذهب من حياتك ، فانفقها فيما يعود عليك نفعه . واذا اندفعت ضرورة بدنك اقض باقي نهارك في مصلحة نفسك ، وافعل بالناس ما تشتهي ان يفعلوه بك . واياك والغضب والمبادرة الى الانتقام من المغضب او الانفصال عنه ، فانه ربما أوقع في الندم . وعليك بالصبر فانه رأس كل حكمة.

وصية اول الليل

قد انقضى نهارك بما فيه ، وأقبل عليك هذا الليل. وليس لك فيه فعل بدني ضروري ، فاعطف على مصلحة نفسك بالاشتغال في العلم ، والفكر في الاطلاع على الحقائق . ومهما استطعت اليقظة في ذلك فافعل . فاذا أردت النوم فاجعل في نفسك ملازمة ما انت فيه لتكون رؤياك من هذا الجنس، وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند الصباح . واحرص ان تكون في غدك أفضل من يومك المنقضي . واياك ان تجذبك الطباع الى الفكر فيما عاينته في نهارك من احوال أرباب الدنيا فتضيع وقتك، وتنفتح لك أبواب الخداع والحيل والمكر في تحصيل امور الدنيا ، وتظلم نفسك ، وتفسد حالك ، وتبعد عن الحقائق ، وتكتسب الاخلاق المذمومة ، ويعسر تخلصك منها . لكن اعلم ان هذه اعراض زائلة لا فائدة فيها ، وان ضرورات الانسان قليلة جداً ؛ وفكر فيما يعود على نفسك نفعه . وتهيأ للقاء الله فان علمك بموتك متى يكون ، مستوراً عنك ، وما جاؤوك في ان يأتي يوم آخر عليك أقوى من وهمك أن تموت في هذه الليلة ، فودع بالثبات على ما تنتفع به بعد المفارقة . والسلام . »

وقال : « احترم المشايخ ولو سكتوا عن جواب سؤالك ، فلعل ذلك لبعد العهد وكلال القوى، أو لانك سألت عما لا يعنيك ، أو معرفتهم بعجز فهمك عن الجواب . واعلم ان فوائدك منهم اكثر من ذلك .

وقال : « اشتغل بكلام المشهورين الجامعة اولاً ، فاذا حصلت الصناعة ،فاشتغل بالكتب الجزئية من

كلام كل قائل عارياً عن محبة أو بغضة ، ثم زنه بالقياس ، وامتحنه ان امكن بالتجربة ، وحينئذ اقبل الصحيح . وان اشكل فاشرك غيرك فيه ، فان لكل ذهن خاصية بمعان دون معان .

وقال : « اذا اقدمك الافاضل تقدم ، والا تأخرت .

وقال : « اطلب الحق دائماً تحظ بالعلم لنفسك ، وبالمحبة من الناس .

وقال : طابق أعمالك الجزئية ما في ذهنك من القانون الكلي يتيقن علمك، وتجود تجربتك ، وتتأكد تقدمة معرفتك ، وتكثر منافعك من الناس .

وقال : «اشتغل من الكلام بما قصد قائله التعليم ، فاذا حصلت الصناعة فاكدها بالاشتغال بكلام محبي الحق مبطلي الباطل ، فاذا تبرهن علمك وتيقن بحيث لاتقدح فيه الشكوك ، لا يضرك حينئذ في بعض اوقاتك مطالعة كتب المتشككين والجدليين . فان قصدهم اظهار قوتهم فيما يدعونه ، سواء كانوا يعلمونه علماً يقينا أم لا ، وسواء كان ما يدعونه حقاً أم باطلا .

وقال : اذا تطببت فاتق الله ، واجتهد ان تعمل بحسب ما تعلمه علماً يقيناً ، فان لم تجد فاجتهد أن تقرب منه .

وقال : اذا وصلت الى رتبة المعلمين فلا تمنع مستحقاً وهو العاقل الذكي الخير الحكيم النفس ، وامنع من سواه .

وقال : « اذا رأيت ادوية كثيرة لمرض واحد فاختر اوفقها في حال حال .

وقال : « الامراض لها اعمار ، والعلاج يحتاج الى مساعدة الاقدار . واكثر صناعة الطب حدس وتخمين ، وقلما يقع فيه اليقين . وجزآها القياس والتجربة ، لا السفسطة وحب الغلبة ؛ ونتيجتها حفظ الصحة اذا كانت موجودة ، وردها اذا كانت مفقودة ؛ وفيها يتبين سلامة الفطر ، ودقة الفكر ؛ ويتميز الفاعل عن الجاهل ، والجد في الطلب عن المتكاسل ، والعمّال بمقتضى القياس والتجربة ، عن المحتال على اقتناء المال وعلو المرتبة .

وقال : « ان بالعلم من الطول وعسر الحصول ، ولو سلك فيه الايجاز والبيان جهد الامكان ، مع طول الاعمار ودقة الافكار ، وتعاون البشر وسلامة الفطر ، ما يعجز الناظر ويذبذب الخاطر .

وقال : « انظر الى افعال الطبيعة اذا لم يعقها عائق ، واقتد بها في افعالك» .

وقال : « ما أحسن الصبر لولا ان النفقة عليه من العمر» .

وقال : « كلما انتظر الشيء استبعد زمانه ، واستقل مقداره» .

وقال : « الخير منتظر ، فالظن فيه قليل» .

وقال : « الظلم في الطباع ، وانما يترك خوف معاد ،أو خوف سيف» .

وقال : « لا تتم مصلحة إلا بمفاسد» .

وقال : القاصدون مصالحهم اكثر من المشفقين على مخلوقات الله تعالى بأضعاف مضاعفة .

وقال : « ان شئت المقام بين الناس مظلوماً فاحترز منهم ، أو غير مظلوم فاظلمهم . واما الحال الوسطى فلا تطمع بها».

وقال : « الانقطاع أفضل اوقات الحياة » وقال : « الانقطاع افضل السير » وقال : « الانقطاع نتيجة الحكمة».

وقال : الاردياء يطلبون مع من يفنون نهارهم في الحديث واللهو والبطالة، وانهم متى خلوا بانفسهم تألموا مما يجدونه في انفسهم من الرداءة ، والاخيار على خلاف ذلك لانهم يأنسون بأنفسهم .

وقال : اصل كل بلية الرغبة في الدنيا . وقال : طالما يلبث الناس عن مصـــالحهم لتشبثهم بالدنيا ففاتتهم . وقال : عجبي لمن لا يعلم متى يموت ويعتقد سعادة وشقاء على أي حال كانت : كيف يركن الى الدنيا ويهمل المهم من أمره . وقال : ما اكثر المتبذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها .

وقال : الآمال أحلام اليقظان . وقال : لكل وقت أشغال كثيرة فليفعل فيه أهمها . وقال: كيف حال من يهمل مهماته في اوقاتها مؤملاً ان ستأتي اوقات اخرى لها مدافعاً من كل وقت الى غيره ، الى ان يموت مؤملاً . وقال: ما دمت في حال تقدر على تدبير جسدك ورياضة نفسك ، بحسب استعدادهما، غير مقتر ولا مسرف فلا تنتقل الى غيره. فان لك محركاً لو رمت السكون لما أمكنك. وكم من متنقل الى حال خالها أفضل ألفاها أخس . وقال : لا تعاد السعيد فضد السعيد الشقي . وقال : ان القى كلٌ من عدوين همته على الآخر فاسعدهما جداً يقهر عدوه . ولذلك أمر باجماع الهمم عند طلب الامور العظيمة لتقوم مقام الهمة الواحدة المعانة بالتأييد السماوي . وقال : احرص على اتخاذ الناس اخواناً ، واياك وسهام الهمم فانها صائبة . وقال : احذروا أذية العلماء فانهم آل الله . وقال : ما ظلم ذو علم حقيقي الا كشف الله ظلامته ونصره ، وخذل ظالمه قريباً .

وقال : ان لله أحباباً يحرسهم بعينه التي لا تنام هم العلماء . وقال : العلماء هم السعداء على الحقيقة. وقال : سعداء الدنيا على اصطلاح الجمهور، ما لم تصدر عنهم الخيرات فهم الاشرار . وقال : قد ينطق انسان في وقت ما بالحكمة ، فاذا طلب من نفسه ذلك في وقت آخر لم يجده . وقال من صاحب الجهال على جهالاتهم ، وجذبه حب الدنيـا الى الحضور في مجالسهم فنـاله شرهم فليسلم نفسه . وقال : أصلح الميزان ثم زن به . وقال:اذا صرت ذا عقل هيولاني صرت انساناً بالفعل بقول مطلق. وقال :ثق بعلمك اذا لم يقدح فيه الاعتراض . وقـال : نعم الرأي الواحد . وقال نعم الرأي المتناسب. وقال : العمل في الرأي بحسب غاية تصدر به ، لا بحسب المصلحة المطلقة . وقال : نعم الرأي الحادث بين المستشير الصادق ، والمستشار الامين العاقل .

وقال : لا تثق إلا بمعتقد في شيء ما يرجوه ، ويخافـــه متيقن انه لا حق إلا اعتقاده . فأما الشاك فيما يعتقده ، او من لا يعتقد شيئاً البتة فـلا تثق به ، ولا تتخذه صاحباً . وذلك المعتقـــد المتيقن اعتقـاده ان كان غير اهل ملتك فاحذره ايضـاً لانه يعتقد فيـــك الكفر بمعتقده فيتخذك عدواً فيفعل بك فعل الاعداء . وقال : ثق بالدين من اهل دينك . وقال : تيقن ان صحـــة

الاعتقاد سبب لملازمة الأعمال الدينية وملازمة الأعمال الدينيةقد تكون دليلاً على تيقن صحة الاعتقاد ؛ وقد يفعلها فاعلها تابعاً لغيره ، غير عالم بشيء آخر ؛ وقد يفعلها تقية ، وعلامتها اذا كانت تابعةلتيقن صحة الاعتقاد ظهور الآثار الالهية عليها ، وعدل سائر سيرة فاعلها من نفسه مع جميع المخلوقات .

وقال : الحرية نعم العيش . وقال : القناعة باب الحريه . وقال : من قـدر على العيش الكفاف بحسب ضروراته ، ثم ملك نفسه لغير رغبة في فضول العيش فهو أحمق الحمقاء. وقال : ما اقل ضرورات الانسان لو انصف نفسه . وقال . اجتنب الالف بأهل الدنيا فأنهم يشغلونك ان وجدتهم ، ويحزنونك ان فقدتهم . وقال : اصحب عند ضجرك من تبعدك صحبته مما كنت فيه . وقال : فقد الخليل مؤذن بالرحيل . وقال : الحكيم ان اسأت اليه او توهم انك أسأت اليـه وان لم تسيء ، فقـد تنتفع عنده بالتنصل ان كنت بريئاً وبالاعتذار ان كنت مسيئاً . فاما الحقود فمتى اشعرت بانه توهم منك اساءة ، عدم نفع أو مخالفة أمر ، فاحذره فانه لا يزال في خاطره التدبير في اذيتك .

وقال : الاصدقاء كنفس واحدة في اجساد متفرقة . وقال:الطبيب مدبر لبدن الانسان من حيث هو مقارن لنفسه ، لا من حيث هو بدن انسان بالقول المطلق . وهذا التركيبُ من اشرف التراكيب فينبغي ان يكون معانيه من أشرف الناس.وقال : المال مغناطيس أنفس الجهلاء ، والعلم مغناطيس أنفس العقلاء .وقال: رأيت الجهلاء يعظمون أرباب الاموال ، مع تيقنهم انهم لا ينيلونهم منه شيئاً إلا ثمن متاع ، أو اجرة صناعة ، كما ينالونه من الفقراء .وقال:خير العلماء من ناسب علمه عقله .وقال: اذا امكن الانقطاع عن الناس بأقل المقنعات فهو أفضل الاحوال . وقال : اذا كنت تشفق على مالك فلا تنفق شيئاً منه إلا في المهم ، فاحرى ان تفعل ذلك في عمرك . وقال : الحكمة الاقتداء بالله تعالى . وقال : انما يطلع الانسان على عيوب نفسه من اطلاعه على عيوب الناس . وقـال : اذا لزمت نفسك الخلق الجميل فكأنك اكرمتها غاية الكرامة ، وذلك انك اذا لم تغضب مثلاً والناس كلهم يغضبون فأنت أفضل الناس من هذا الوجه . وقال : بقدر ما لكل ذات من الكمال لها من اللذة ؛ بقدر ما في كل ذات من النقص فيها من الالم . وقال : اكثر من مطالعة سير الحكماء واقتد منها بما يمكن الاقتداء به في زمانك . وقال : قو نفسك على جسدك . وقال : أصلح كيفية الغذاء واقتصد في كميته.وقال : اكتف من غذاء الجسم بما يحفظ قواه ، واياك والزيادة فيها واستكثر مـن غذاء النفس .وقال : غذاء النفس بالعلوم على التدريج فابتدىء بالسهل القليل وتدرج ، فانهـا تشتاق حين تقوى ، وتعتاد الى الصعب الكثير ، فاذا صار لها ملكة سهل عليها كل شيء . قال : المعدة القوية تهضم جميع مـا يرد اليها من أنواع الاغذية؛ والنفس الفاضلة تقبل جميع ما يرد عليها من العلوم . وقال : ما لم تطق التوحد فأنت مضطر الى مصاحبة الناس . وقال : صاحب الناس بما يرضيهم ، ولا تطرح جانب الله تعالى.

وقال : كتب بعضهم الى شيخه يشكو تعذر اموره فكتب اليه : إنك لن تنجو ممـا تكره حتى تصـبر عن كثير مما تحب ؛ ولن تنال مـا تحب حتى تصبر على كثير ممـا تكره . والسلام . وقال : اشكر المحسن ومن لا يسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلمهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص . وقال ، استحسن للناس ما تستحسنه لنفسك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه

لهم . وقال : لا تخل فعلاً من افعالك من تقوى الله تعالى. وقال : اطع الله محقاً يطعك الناس. وقال: لا شيء انجع في الامور من الهمة الصادقة . وقال : خذ من كل شيء ما يوصلك الى الغاية التي وضع من اجلها . وقال : كل ما يحصل بالعرض فلا تثق به .

وقال : اخضع للناس وخاصة العلماء والمشايخ ، ولا تزدر أحدا ، فطالما كتم العالم علمه ليتخير له من يودعه اياه كما يتخير الفلاح الارض . وقال : اشتغل من كل علم بكلام أربابه الأول. وقال: استكثر من العناية بالكتب الالهية المنزلة ففيها كل حكمة . وقال : أكثر من صحبة المشايخ فاما ان تستفيد من علمهم واما من سيرتهم . وقال : اذا تأملت حركات الفضلاء وسكناتهم وجدت فيها حكماً جمة . وقال : رأيت الهم عند اكثر الناس ما يجتلبون به المال . وقال : ما اكثر ما يسمع الناس الوصايا النبوية والحكمية ، ولا يستعملون منها الا ما يجتلبون به المال . وقال : ما اشد ركون الناس الى اللذات الجسمانية .

وقال : لا تخل وقتك الحاضر من الفكر في الآتي . وقال : من لم يفكر في الآتي أتى قبل ان يستعد له . وقال : القناعة سبب كل خير وفضيلة . وقال : وبالقناعة يتوصل الى كل مطلوب . وقال: القانع مساعد على بلوغ مآربه . وقال : اقصد من الكمال الانساني الغاية القصوى ، فان لم يكن في قوتك الوصول اليها فانك تصل الى ما في قوتك ان تصل اليه ، واذا قصدت الكمال التالي لكمالك آملاً اذا وصلته ان تقصد ما يليه ، فربما ركنت الى الراحة وقنعت بدون ما تستحقه . وقال : احرص على ان لا تخل بشيء من العبادات البدنية فانها نعم المعين الموصل الى العبادات النفسانية . وقال : كفى بالوحدة شرفاً ان الله تعالى واحد . وقال : كلما تمحضت الوحدة كانت أشرف ، لان وحدة الله تعالى لا يشوبها كثرة من وجه أصلاً . وقال : اعتصم بالله تعالى ، وتوكل عليه ، وثق به محقاً ، يحرسك ويكفيك كل مؤونة، ولا يخيب لك ظناً . وقال : اجعل الملة عضدك ، وأهلها اخوانك ، ولا تركن الى الدول ، فان الملل هي الباقية . وقال : عود نفسك الخير علماً وعملاً تلق الخير من الله تعالى ، ومن الناس عاجلاً وآجلاً . وقال : لا تطمع بالانقطاع ما دام لك ادنى طمع . وقال : لو وقف الضعيف عند قدره لأمن كثيراً من الاخطار . وقال : ليت شعري بما أعتذر اذا علمت ولم أعمل ، أرجو عفو الله تعالى .

ومن شعره وهو مما سمعته من لفظه رحمه الله فمن ذلك قال :

يا صاحبي سلا الهوى وذراني ... ماذا تريدا من مشوق عاني
لا تسألاه عن الفراق وطعمه ... ان الفراق هو الممات الثاني
نادى الحداة دنا الرحيل فودعوا ... ففجعت في قلبي وفي خلاني
وسرت ركائبهم وقد غسق الدجى ... فاضاء ممن سار في الاظعان
ما كنت أعلم ان بعدك قاتلي ... حتى فعلت وغرني سلواني
وبكيت وجداً بعد ذاك فلم اجد ... أني وقد صار اللقاء أماني

(الكامل)

وقال في صفة مجلس :

سقياً ليوم تم السرور بنـــا فيـــه وكأس الشمول تجمعنا
والدهر ولت عنـــا حوادثـه ونحن في لذة ونيـــل منى
بمجلس كامل المحاسن لو بـــه يحل الجنيـد لافتتنـا
فـكاهـة بيننـا وفاكهة وكاس راح وراحة وغنـــا
بين ندامى مثل الشموس لهم علم وفضل ورفعـــة وسـنا
حديثهم لا يمـــل سـامعه لطيبه العـــين تحسد الاذنا
اخوان صدق صفت ضمائرهم أولو عفاف لا يضمرون خنا [1]
أهل سماح ما ان يزال لهم صنع له في الانام طيب ثنـــا
ننشد أغزالنـــا ونلغزهـا باسم غزال أضحى يغازلنـــا
في يوم دجن [2] تهمي سحائبه كأنهـــا كف رب منزلنـــا
وعنـد منقـل تـــلألأ في أرجـــائه النار فهي تدفئنـا
تجاهه شادن وفي يــده طـير كصب لديه ذاب ضنا
كأنـــه اذ غـــدا يقلبه في النار قلبي الذي قد ارتهنا
ظلت كؤوس المدام طـــاردة للهم حيث السرور عكرنـــا
نسر مـــا بيننا الحديث ولا نبديه خوف الوشاة تسمعنا
فمـــا ترانا عين لذي بصر الا عيون الحبـاب ترمقنا
واطيب العيش مـــا نكتمه خوفـا وان كان سرنا علناً
يا يومنا هـــل نراك ثانية ببعلبك أم تعـــود لنـــا

(المنسرح)

وقال أيضاً :

يا صـــاح ضاع نسكي مـــذ صرت في بعلبك
وكيف يسلم ديـــني بعـــد افتتاني وهتكي
بكـــل اهيف لدن القوام للبـــدر يحكي
يرنو بصارم لحـــظ مـــاسل الا لفتـــكي
كأن في فيـــه خمراً شيبت بشهد ومسك
جذلان يضحك تيهـــاً اذا رآني ابـــكي
ولا يرق اذا مـــا خضعت عند التشكي
وزادني زور واش وشى اليه بافـــك
مـــا راقب الله . لمـــا سعى اليـــه بهلـــكي

(١) الفسق والفجور (٢) مظلم .

فصار في مذهب الحب مالكي وهــو ملكي

(البسيط)

وقال ايضاً

سر المحب بدمعــه اعلان فمتى يكون مع الورى كتمان
أرأيتما يا صاحبي فتى تـــذ ل له الاسود تذلة الغزلان ؟
ما كنت ممن يسارق فؤاده عشق ولكن الهوى سلطان
مولاي ان الهجر بعد تواصل ورجاؤنا قــد أمه الهجران
هل ترحم الصب الكئيب بزورة يا من جميــع فعاله احسان
تلقى فتى رحب الفنا ذا عفة طلق المحيــا قلبه ولهان

(الكامل)

وقال ايضاً :

أفدي رشيق القــد ليس له في الحسن والاحسان من ند
وسنان ، مــا لجفون عاشقه من رائد التسهيد ، من بــد
وكأن ريقتــه معتقة مشمولة بالمــاء والنــد
لكنه أضحى يعــارضني بالهجر والاعراض والصد
فلأصبرن على مــلالته فعسى عليه تصبري يجدي

(الكامل)

وقال ايضاً :

قد رق لي ورق الحمى في لعلع بالنوح في الدوح ففاضت أدمعي
ناحت مراء من حنين قلبهــا ونحت نوح ثاكل مفجــع
ودعتهم ثم رجعت عــادماً قلبي وهم يا خيبة المودع
وقلت يا روحي بيني فلقد بانوا وإن لم يرجعوا لا ترجعي

(الرجز)

وقال ايضاً :

اسفت وما يجدي التأسف والوجد ونحت على نجد وقد اقفرت نجد
وسار بمن أهوى الركاب وادمعي تفيض وقالوا مت فهذا هو الفقد
حرمت لذيذ العيش بعد فراقه وبالرغم مني ان يطول بـه العهد

(الطويل)

وقال ايضاً :

أتبخل بالتحيّة والسلام فديتك لم وأنت أبو الكرام

اتى رمضان فافعل فيه خيراً لتضحي فيه مقبول الصيام
ولا تشهر حسام اللحظ فيـه ولا تهزز به رمـح القوام
أما تخشى من الرحمن يا من يحل القتل في الشهر الحرام
(الوافر)

وقال لغزاً في أبو الكرام

يا سائلي عمن لعيني حـــلا فكر فقد جئتك بالمشكل
ذو تسعة تعد لها شاء في أعدادها فافهم ولا تغفـل
وثامن الاحـرف كالرابـع المعـروف والرابـــع كالاول
والسابـع التاسع في خمسة وعشرة السادس فـاظهره لي
وعشر ثانيـة اذا كان في خامسه كالثالث الافضل
هذا اسم من اهوى فان كنت ذا معرفة فاخبر ولا تمطل
(السريع)

وقال لغزاً في ابو الكرام

يا سائلي عن حبيب لا اسميـه خوف الرقيب ولكني أعميه
مركب الاسم من ستين قد ضربت في نصف سدس لها فافهم معانيه
وخمس سابعـه ضعف لسادسه وعشر سادسه مـــال لثانيه
وثالث الاسم في هاء كخامسه والرابع الاول المعروف يحكيه
هذا اسم سؤلي فلا تفصح باحرفه اني فديتك مهما عشت اخفيه
(البسيط)

وقال ايضاً لغزاً فيه :

فديت من نصف اسمه جذر قاف وخمسه لام وياء وكاف
وسادس الاحرف في نصفه وربعه مثل الثان الظراف
وضعف ثاني الاسم في خمسة كنصف انهاه قياساً كفاف
والسابع الثلثان والثالث الخمس والرمز كاف
والرابع الاول يا سيدي هذا الذي أورث جفني الرعاف
وهو على قسمين احداهما أقصده منه وقسم مضاف
هذا اسم من أهوى فهل عاشق أوتي على مثل افتتاني عفاف
(السريع)

وقال لغزاً في أتش :

يا سائلي عن الاقمار تحكيه مهلا فاني طول الدهر أخفيه

مركب الاسم من تاء ومن ألف وسدس ثالثه نصف لثانيه
وأول الاسم عشر الياء فاصغ لما أقول واكتمه اني لا اسميه
(البسيط).

وقال :

حرم بعد القوم آرابه صبٌ غدا يندب ما صابه
ودّع من يهواه ثم انثنى يعالج الموت واسبابه
قال له صاحبه هكذا جزاء من فارق احبابه
(السريع).

وقال ايضاً :

سيرتي كالمرآة يبصر منها شبهه ذو الجمال والقبح حقا
فيسر الجميل حسن يوافي ويسوء القبيح قبح يلقى
فيديم الجميل رؤيته فيها وينأى عنها القبيح الاشقى
وكذا لا يلم بي من بني الدنيا سوى الأكرمين طبعا وخلقا
(الخفيف)

وقال ايضاً :

ثلاثون عاماً من حياتي مضت وما يئست ولا نولت بعض مطالبي
تعاندني الايام عمداً وانني صبور على البلوى منيع الجوانب
تقربت من حظي بكل فضيلة وفضل فجازاني بضيق المذاهب
الا ان يأس النفس أوفق للفتى واطيب من نجوى الاماني الكواذب
(الطويل)

وقال ايضاً :

هي الدنيا فلا تغتر منها بشيء انه عرض يزول
(الوافر)

ولعمي رشيد الدين علي بن خليفة من الكتب : كتاب الموجز المفيد في علم الحساب، اربع مقالات ، ألفه للملك الامجد صاحب بعلبك ، وذلك في شهر صفر سنة ثمان وستمائة ، وهم في المخيم بالطور . كتاب في الطب، ألفه للملك المؤيد نجم الدين مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد استقصى فيه ذكر الامور الكلية من صناعة الطب ، ومعرفة الامراض وأسبابها ومداواتها . كتاب طب السوق ، ألفه لبعض تلامذته وهو يشتمل على ذكر الامراض التي تحدث كثيراً ومداواتها بالاشياء السهلة الوجود التي قد اشتهر التداوي بها . مقالة في نسبة النبض وموازنته الى الحركات الموسيقارية . مقالة في السبب الذي له خلقت الجبال ، ألفها للملك الامجد . كتاب الاسطقسات . تعاليق ومجربات في الطب .

بدر الدين ابن قاضي بعلبك

هو الحكيم الاجل العالم الكامل بدر الدين المظفر ابن القاضي الامام العالم مجد الدين عبد الرحمن بن ابراهيم . كان والده قاضياً ببعلبك ، ونشأ هو بدمشق ، واشتغل بها في صناعة الطب . وقد جمع الله فيه من العلم الغزير والذكاء المفرط والمروءة الكثيرة ما تعجز الالسن عن وصفه . قرأ صناعة الطب على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، واتقنها في أسرع الأوقات . وبلغ في الجزء العلمي والعملي منها الى الغايات ، وله همة عالية في الاشتغال ، ونفس جامعة لمحاسن الخلال . ووجدت له في اوقات اشتغاله بن الاجتهاد ما ليس لغيره من المشتغلين ، ولا يقدر عليه سواه أحد من المتطببين كان لا يخلي وقتاً من التزيد في العلم والعناية في المطالعة والفهم . وحفظ كثيراً من الكتب الطبية والمصنفات الحكمية . ومما شاهدته من علو همته وجودة قريحته : ان الشيخ مهذب الدين عبدالرحيم بن علي كان قد صنف مقالة في الاستفراغ ، وقرأها عليه كل واحد من تلامذته . وأما هو فانه شرع في حفظها ، وقرأها عليه من خاطره غائباً من أولها الى آخرها . فاعجب الشيخ مهذب الدين ذلك منه. وكان ملازماً له مواظباً على القراءة والدرس .

ولما خدم الشيخ مهذب الدين الاشرف موسى ابن الملك العادل ، وكان في بلاد الشرق ، وسافر الحكيم مهذب الدين الى خدمته وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، توجه الحكيم بدر الدين مع الشيخ مهذب الدين ، ولم يقطع الاشتغال عليه . ثم خدم الحكيم بدر الدين بالرقة في البيمارستان ألذي بها ، وصنف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال أهويتها، وما يغلب عليها. واقام بها سنين، واشتغل بها في الحكمة على زين الدين الاعمى رحمه الله . وكان اماماً في العلوم الحكمية. ثم أتى بدر الدين الى دمشق. ولما تملك الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل دمشق وذلك في سنة خمس وثلاثين وستمائة استخدمه وكان حظياً عنده مكيناً في دولته معتمداً عليه في صناعة الطب ، وولاه الرياسة على جميع الاطباء والكحالين والجرائحيين . وكتب له منشوراً بذلك في شهر صفر سنة سبع وثلاثين وستمائة ، فجدد من محاسن الطب ما درس وأعاد من الفضائل ما دثر ، وذلك انه لم يزل محباً لفعل الخيرات ، مفكراً في المصالح في سائر الاوقات .

ومما وجدته قد صنعه من الآثار الحسنة التي تبقى مدى الايام ، ونال بها من المثوبة أوفر الاقسام انه لم يزل مجتهداً حتى اشترى دوراً كثيرة ملاصقة للبيمارستان الكبير الذي انشأه ووقفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله . وتعب في ذلك تعباً كثيراً واجتهد بنفسه وماله حتى أضاف هذه الدور المشتراة اليه وجعلها من جملته ، وكبر بها قاعات كانت صغيرة للمرضى ، وبناها أحسن البناء ، وشيدها ، وجعل الماء فيها جارياً . فتكمل بها البيمارستان واحسن في فعله ذلك غاية الاحسان . ولم يزل يدرس صناعة الطب . وخدم أيضاً الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ، لمداواة الأدر السعيدة بقلعة دمشق ، ومن يلوذ بها والتردد الى البيمارستان ومعالجة المرضى فيه. وكتب له منشوراً برياسته أيضاً على جميع الاطباء ، وذلك في سنة خمس واربعين وستمائة.

وخدم أيضاً لمن أتى بعده من الملوك الذين ملكوا دمشق ، وله منهم الجاري المستمر ، والراتب المستقر ، والمنزلة العلية والفواضل السنية . وهو ملازم التردد الى القلعة والبيمارستان ، ودائم التزايد في العلم في سائر الازمان . ومما وجدته من علو همته وشرف أرومته ، انـــه تجرد لعلم الفقه فسكن بيتاً في المدرسة القليجية التي وقفها الامير سيف الدين علي بن قليج رحمه الله ، وهي مجـــاورة لدار الحكيم بدر الدين فقرأ الكتب الفقهية ، والفنون الادبية ، وحفظ القرآن حفظـــاً لا مزيد عليه ، وعرف التفسير والقراءات حتى صار فيها هو المشار اليه . واشتغل بذلك على الشيخ الامـام شهاب الدين أبي شامة رحمه الله . وليس للحكيم بدر الدين دأب إلا العبادة والدين والنفع لسائر المسلمين . ولم يزل يبلغني تفضله ويصلني انعامه وتفضله . وكان وصـــل الي من تصنيفه كتاب مفرح النفس ، فكتبت اليه في رسالة : « وقف المملوك على ما أودعه مولانا الحكيم الامام العالم بدر الدين ايد الله سعادته ، وادام سيادته ، في كتابه المعجز ولفظه الموجز الموسوم بمفرح النفس ، الموجـــد للسرور والانس ، الذي أربى به على القدماء ، وعجز سائر الاطباء والحكماء ، وتقلبت الادوية القلبية منه فرقا ، وصار الرئيس مرؤوساً في هذا المرتقى . ولا غرو صدور مثله عن مولانا وهو شيخ الاوان وعلاّمة الزمان . فالله يجعل حياته مقرونا بها السعادة ، ويملأ الآفاق من تصانيفه لتكثر منهـــا الافادة .

وكتبت في هذه الرسالة اليه هذه الابيات ونظمتها بديها

تـكاد لنور بدر الدين تخفى طلعة الشمس
حكيم فاضل حبر شريف الخيم[1] والنفس
وأدرى الناس في طب وعلم النبض والحبس
خبير بالتداوي عن يقين ليس عن حدس
فمن بقراط والشيخ من اليونان والفرس
فكم أوجد من برء وكم أنقذ من عكس
سما في الرأي عن قيس وفي الالفاظ عن قس
وقد أهدى الى قلبي كتاب مفرح النفس
كتاب حل تأييـد به في عالم القدس
تجلى نور معنـــاه لنا في ظلمة النفس
وما احسن زهر الخط في روض من الطرس
بدت أبكار افـكار فكان الطرف في عرس
وما أكثر لي فيه من الراحة والانس
وقد قابلت ما يحويه بالتقبيل والدرس

(١) الطبيعة والسجية .

فاجني منـــه اثماراً حلت من طيب الغرس

(الهزج)

ومما كتبته اليه أيضاً في كتاب

مولاي بدر الدين يا من له فضائل تتـــلى واحسان
ومن علا في المجد حتى لقد قصر عن علياه كيوان
ومن اذا قــال فمن لفظه يسحب ذيل العي سحبان
شوقي الى لقياك قد زاد عن حد وصدق الود برهان
لم تخل عن فكري ومالي بما أنعمت طول الدهر نسيان

(السريع)

أدام الله أيام المجلس السامي ، الاجلي المولوي ، الحكيمي العـالمي ، الفاضلي الصدري ، الكبيري المخدومي ، علامة عصره ، وفريد دهره ، بدر الدنيا والدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، حرس الله معاليه ، وبلغه في الدارين نهاية أمانيه،وكبت حسدته وأعاديه.ولا زالت السعادة مخيمة بفنائه ، والالسن مجتمعة على شكره وثنائه ، المملوك ينهي ان عنده من تزايـــد الاشواق الى الخدمة ما لو ان له فصاحة الشيخ الرئيس مع طول عبارة الفاضل جالينوس ، لقصر عن ذكر بعض ما يجده من برح الاشواق ، ومكابدة ما يشكوه من ألم الفراق.وهو يبتهل الى الله تعالى في تسهيل الاجتماع السار ، وتيسير اللقاء على الاختيار والايثار . ولما اتصل بالمملوك ما صار إلى المولى من رياسته على سائر الاطباء ، وما خصهم الله تعالى بذلك من النعمة ، وأسبغ عليهم من جزيل الآلاء ، وجد نهاية الفرح والسرور ، وغاية ما يتوخاه من الحبور ، وتحقق ان الله تعالى قد نظر الى الجماعـــة بعين رعايته ، وشملهم بحسن عنايته ؛ وان هذه الصناعة قد علا مقدارها ، وارتفع منارها ، وصار لها الفخر الاكبر والفضل الاكثر ، والسعد الاسمى ، والمجد الاسنى ؛ وقد شرف وقتها به على سائر الاوقات، وصارت حال العلم حينئذ على خلاف ما ذكره ابن الخطيب في الكليات . فلله الحمد على ما اولى من نعمه الشاملة، ومننه الكاملة . والمولى هو من جعلت أمور هذه الصناعة لديه ، وفوضت رياسة أهلها وأربابها اليه،

ولم تك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح إلا لها

« فان شواهد المجد لم تزل توجد من شمائله ، وأعلام السؤدد تدل على فضائله وفواضله . فالله تعالى يؤيده فيما أولاه ، ويسعده في آخرته وأولاه ، ان شاء الله تعالى .

ومما قلته : أيضاً ، وكتبت به اليه في سنة خمس وأربعين وستمائة :

كتبت ولي شوق يزيد عن الحصر وفرط ارتياح مستمر مع الدهر
ونار أسى للبعد بـين جوانحي لها لهب أذكى وقـــوداً من الجمر
وعندي حنين لا يزال الى الذي له منن عندي تردد في فكري
هو الصدر بدر الدين أفضل ما جد ومن هو في أوج العلى أوحد العصر

حكيم حوى ما قال بقراط سالفاً　　وما قال جالينوس من بعده يدري
ويعلم للشيـخ الرئيس مباحثاً　　اذا مـــا تلاها أورد اللفظ كالدر
اذا قال بذ القائلين ولفظـــه　　هو السحر لكن الحلال من السحر
وان طـَبَّ ذا سقم وأسعف مقتراً　　أتى الفضل والافضال بالبرء والبر
كثير الحيا ، طلق المحيا ، اذا همت　　سحائب جود منه أغنت عن القطر[1]
بعيد المدى داني الندى وافر الجدى[2]　　اذا ما بدا كان الهدى من سنا البدر
وما مثل بدر الدين في العلم والحجى　　وما قد حواه من خلائقه الزهر
فيا أيها المولى الذي مكرماتـــه　　يراها ذوو الآمال من افضل الذخر
لقد زاد بي شوق اليـــك وانني　　لشط التداني واجـــد عادم الصبر
واني على بعـــد الديار وقربها　　كثير ولاء لا يزال مدى العمر
ويبلغني من والدي عنـــك أنعما　　تجود بهـــا جلت عن العد والحصر
رعيت لنا عهداً قديمـــاً عرفته　　وحسن وفاء العهد من شيم الحر
ومثلك من يولي جميــلا لصاحب　　اذا كان في اوقاتـــه نافذ الامر
ومـــالي إلا بث شكر أقوله　　وحسن دعاء في السريرة والجهر
وأثني على علياك في كل محفل　　وأتلو آي الحمد بالنظم والنثر
وقد جاء شعري مادحاً لك شاكراً　　لانك أهـــل للمدائح والشكر
فلا زلت في سعد مقيم ونعمة　　وعمر مديـــد سالمـاً عالي القدر

(الطويل)

« المملوك يقبل اليد المولوية الحكيمية ، الاجلية العالمية ، الفاضلية الرئيسية ، الصدرية الاوحدية البدرية ، ادام الله لها التأييد والنعماء ، وضاعف من منائحها على أوليائها الآلاء ، وكَبَتَ بـــدوام سعودها الحسدة والأعداء. ولا زالت في نعم متوالية، وعوارف دائمة وغير زائلة، ما تتابعت الايام في السنين، وتلازمت حركة القلب والشرايين. ويواظب لمولانا بحسن الدعاء الذي ما زال عرف أنفاسه متضوعاً، والثناء الذي ما انفك أصله الثابت متفرعاً متنوعاً. ويواصل بالمحامد التي ما برح نشرها في مجالس المجد والشكر نافحاً متأرجحاً ، والمدائح التي ما فتيء وجه محاسنها ابداً متبرجاً متبلجاً ، وينهي ما عنده من كثرة الاشواق والاتواق التي تستوعبها العبارة ولا تسعها الاوراق. غير انه يعول على احاطة علم مولانا بصدق محبته وولائه ، واعتداده بجزيل أياديه وآلائه . وان كتاب والد المملوك ورد اليه ببشارة ملأت قلبه سروراً ، ونفسه حبوراً بنظر مولانا في سائر الاطباء ورياسته ، واشتماله عليهم بحسن رعايته وعنايته. ووصف من انعام مولانا عليه واحسانه اليه ، ما المعهود من احسانــه ، والمشهور من تفضله وامتنانه . ومولانا فهو أعلم بطرق الكرم ، وأدرى بأن المعارف في أهل النهى ذمم . فالله يجعـــل مولانا أبداً

(١) المطر .
(٢) العطاء والنفع .

فاعلاً للخيرات ، بالغاً في المعالي أرفع الدرجات ، دائم السعادة موقى من الآفات .

وهذا دعاء لو سكت كفيته لاني سألت الله فيك وقد فعل
(الطويل)

« ومولانا فتتجمل به المناصب العالية ، وتتشرف بحسن نظره المراتب السامية ، فانه قد سما بفضله وافضاله ، على كل من عرف الفضل واشتهر ، وتميز على ابناء زمانه بمحاسن الآداب وميامن الاثر. وهذا هنا عام لسائر الاطباء ، وجملة الاولياء والاحباء .

وتقاسم الناس المسرة بينهم قسماً فكان أجلهم حظاً أنا

« المملوك يجدد تقبيل اليد المولوية للنعم ، ويستعرض الحوائج والخدم .

ولبدر الدين ابن قاضي بعلبك من الكتب : مقالة في مزاج الرقة ، وهي بليغة في المعنى الذي صنفت فيه . كتاب مفرج النفس استقصى فيه ذكر الادوية والاشياء القلبية على اختلافها وتنوعها ، وهو مفيد جداً في فنه ، وصنفه للامير سيف الدين المشد أبي الحسن علي بن عمر بن قزل رحمه الله . كتاب الملح في الطب ، ذكر فيه أشياء حسنة ، وفوائد كثيرة من كتب جالينوس وغيرها .

شمس الدين محمد الكلي

هو الحكيم الاجل الاوحد العالم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ابي المحاسن . كان والده اندلسياً من اهل المغرب ، واتى الى دمشق واقام بها الى ان توفي رحمه الله . ونشأ الحكيم شمس الدين محمد بدمشق ، وقرأ صناعة الطب على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، ولازمه حق الملازمة ، وأتقن عليه حفظ ما ينبغي أن يحفظ من الكتب الاوائل التي يحفظها المشتغلون في الطب . وبالغ الحكيم شمس الدين في ذلك حتى حفظ أيضاً الكتاب الاول من القانون ، وهو الكليات جميعها ، حفظاً متقناً لا مزيد عليه، واستقصى فهم معانيه . ولذلك قيل له الكلي . وقرأ ايضاً كثيراً من الكتب العلمية ، وباشر أعمال الصناعة الطبية . وهو جيد الفهم ، غزير العلم ، لا يخلي وقتاً من الاشتغال ، ولا يخل بالعلم في حال من الاحوال ، حسن المحاضرة ، مليح المحاورة . وخدم بصناعة الطب الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل بدمشق ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الاشرف رحمه الله. ثم خدم بعد ذلك في البيمارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله، وبقي مدة وهو يتردد اليه ويعالج المرضى فيه .

موفق الدين عبد السلام

لقد جمع الصناعة الطبية ، والعلوم الحكمية ، والاخلاق الحميدة والآراء السديدة والفضائل التامة

والفواضل العامة. اصله من بلد حماة[١] واقام بدمشق واشتغل على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبدالرحيم ابن علي وعلى غيره . وتميز في صناعة الطب . ثم سافر الى حلب وتزيد في العلم، وخدم الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي صاحب حلب ، واقام عنده ، ولم يزل في خدمته الى ان تملك الملك الناصر يوسف بن محمد دمشق فأتى في صحبته ، وكان معتمداً عليه ، كثير الاحسان اليه .

وقلت هذه القصيدة أتشوق فيها الى دمشق واصفها وامدحه بها

لعل زمانا قد تقضى بجلق ... يعود وتدنو الدار بعد التفرق
وان تسمح الايام من بعد جورها ... بعدل وانى بالاحبة نلتقي
فكم لي الى اطلالها من تشوف[٢] ... وكم لي الى سكانها من تشوق
ترنحني الذكرى اليه تشوقا ... كما رنحت صرف المدام المعتق
ومن عجب نار اشتياق باضلعي ... لها لهب من دمعي المترقرق
لقد طال عهدي بالديار واهلها ... وكم من صروف البين قلبي قد لقي
ولو كان للمرء اختيار وقدرة ... لقد كان من كل الحوادث يتقي
ولكنها الاقدار تحكم في الورى ... وتقضي بأمر كنهه[٣] لم يحقق
دمشق هي القصوى لمن كان قصده ... يرى كل حسن في البلاد وينتقي
فصفها اذا ما كنت بالعقل حاكما ... فوصف سواها من قبيل التحمق
وما مثلها في سائر الارض جنة ... فدع شعب بوّان[٤] وذكر الخورنق[٥]
بها الحور والولدان تبدو طوالعاً ... شموساً واقماراً باحسن رونق
وانهارها ما بين ماء مسلسل ... من الريح او ماء من الدفق مطلق
واشجارها من كل جنس مقسم ... وأثمارها من كل نوع منمق
وللطير من فوق الغصون تجاوب ... فما اسجع الورقاء من فوق مورق
ولو لم تغن الطير من فوق عودها ... لما كان للامواه وقع مصفق
وراح تريح النفس من ألم الجوى ... وتبعد همّ المستهام المؤرق
اذا مزجت في الكاس يبدو شعاعها ... كمثل شعاع البارق المتألق
ويا حبذا بالواديين حدائق ... لها رونق من مائها المتدفق
فكم من مياه حسنها عند روضة ... وكم من رياض حسنها عند جوسق[٦]

---

(١) مدينة بسوريا على نهر العاصي وهي من المدن القديمة احتلها الحثيون ثم الاشوريون . وكان اسمها على عهد السلوقيين إيبفانيا . وهي مشهورة بنواعيرها .
(٢) تطلع .
(٣) جوهر الشيء واصله وقدره وحقيقته وغايته .
(٤) دج خصيب بفارس وهو احد جنات الدنيا الأربع .
(٥) موضع في العراق قرب النجف عمر فيه نعمان اللخمي قصراً عظيماً ذكره وتغنى به الشعراء .
(٦) القصر . (ن. ر)

وبسط رياض نبتها من بنفسج [1] ونيلوفر [2] في وسط ماء مروق
يمر نسيم الريح في جنباتهـــا لطيفاً كجس النبض من مترفق
فمن كان يرجو للسلامة ملجأ يجده لدى عبـــد السلام الموفق
حكيم عليم فاضـــل متفضل الى ذروة العلياء والمجد مرتقي
وما أحد في كل مخطر عـــلة بادرب منه في العلاج وأحذق
فضائله في كل عـــلم وحكمة وافضاله في كل غرب ومشرق
يفرق جمع المـــال في مستحقه ويجمع أشتات العلا المتفرق
وما زال يهدي القاصدين لفضله بنور علوم بالبلاغة مشرق
ففي حبسه للخير اكرم منعم وفي لطفه بالخلق أفضل مشفق
وللعشق في الدنيا دواع كثيرة ومن يقصد العلياء بالغرم يعشق
له في قلوب العالمين محبة حلت وجلت عن رتبة المتملق
ومن شخصه للعين احسنُ منظر ومن لفظه للسمع أعذب منطق
وللجود يلفى باعه غير قاصر والحلم يلفى صدره غير ضيق
كثير الحيا دلت مخايل نفسه على طيب اصل في المكارم معرق
فدام سعيد الجد ما هبت الصبا وما دام تغريد الحمام المطوق
(الطويل)

ولما قصد التردد الى دمشق وسمع بذلك أهلها ، توجه الحكيم موفق الدين الى مصر ، واقام بها مدة . ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور صاحب حماة ، واقام عنده بحماة ، وله منه الاحسان الكثير، والفضل الغزير ، والآلاء الجزيلة ، والمنزلة الجليلة .

موفق الدين المنفاخ

هو الحكيم العالم الاوحد أبو الفضل اسعد بن حلوان ، أصله من المزة [3] ، واشتغل بصناعة الطب وتمهر فيها وتميز في أعمالها . وخدم الملك الاشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب في الشرق وبقي في خدمته سنين وانفصل عنه . وكانت وفاته في حماة سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

نجم الدين بن المنفاخ

هو الحكيم الاجل العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن ابي الفضـــل اسعد بن حلوان ، ويعرف بابن العالمة لان امه كانت عالمة دمشق، وتعرف ببنت دهين اللوز . ونجم الدين مولده بدمشق في سنة ثلاث

(١) نبات زهره سمنجوني اللون طيب الرائحة .
(٢) نوع من النباتات ينبت في المياه الراكدة ، له اصل كالجزر وساقه املس يطول بنسبة عمق الماء حتى اذا بلغ سطح الماء اورق وازهر ، وتسميه العامة نوفر وينوفر .
(٣) قرية من ضواحي دمشق . (ن. ر)

وتسعين وخمسمائة. وكان اسمر اللون نحيف البدن حاد الذهن مفرط الذكاء فصيح اللسان كثير البراعة، لا يجاريه احد في البحث ولا يلحقه في الجدل ، واشتغل على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بصناعة الطب حتى اتقنها . وكان متميزاً في العلوم الحكمية ، قوياً في علم المنطق، مليح التصنيف، جيد التأليف . وكان فاضلا في العلوم الادبية ، ويترسل ويشعر . وله معرفة بالعود ، حسن الخط . وخدم بصناعة الطب الملك المسعود صاحب آمد ، وحظي عنده واستوزره . ثم بعد ذلك نقم عليه واخذ جميع موجوده ، واتى الى دمشق واقام بها . واشتغل عليه جماعة بصناعة الطب ، وكان متميزاً في الدولة وكتب اليه الصاحب جمال الدين بن مطروح في جواب كتاب منه .

لله در انامل شرفت   وسمت فأهدت أنجماً زهرا
وكتابة لو انها على الملكين ما ادعيا اذن سحرا
لم أقر سطراً من بلاغتها   الا رأيت الآية الكبرى
فاعجب لنجم في فضائله   أنسى الانام الشمس والبدرا

(الكامل)

وكان نجم الدين رحمه الله لحدة مزاجه قليل الاحتمال والمداراة ، وكان جماعة يحسدونه لفضله ويقصدونه بالاذية وانشدني يوماً متمثلا :

وكنت سمعت ان الجن عند استراق السمع ترجم بالنجوم
فلما ان علوت وصرت نجما   رميت بكل شيطان رجيم

(الوافر)

وفي آخر عمره خدم الملك الاشرف ابن الملك المنصور صاحب حمص(١) بتل(٢) باشر ، وأقام عنده مديدة يسيرة . وتوفي رحمه الله في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وستمائة. وحكى لي اخوه لامه القاضي شهاب الدين بن العالمة انه توفي مسموماً .

ولنجم الدين بن المنفاخ من الكتب : كتاب التدقيق في الجمع والتفريق ، ذكر فيه الامراض وما تتشابه فيه ، والتفرقة بين كل واحد منها وبين الآخر مما تشابه في اكثر الامر . كتاب هتك الاستار في تمويه الدخوار تعاليق ما حصل له من التجارب وغيرها . وشرح احاديث نبوية تتعلق بالطب . كتاب المهملات في كتاب الكليات . كتاب المدخل الى الطب . كتاب العلل والاعراض . كتاب الاشارات المرشدة في الادوية المفردة .

---

(١) مدينة في سوريا على نهر العاصي اهم آثارها جامع خالد بن الوليد .

(٢) قلعة بالقرب من عيلتاب في شمالي سوريا على نهر ساجور . لعبت دوراً هاماً في الحروب الصليبية .

عز الدين بن السويدي

هو الحكيم الاجل الاوحد العالم أبو اسحق ابراهيم بن محمد ، من ولد سعد بن معاذ(١) من الاوس مولده في سنة ستمائة بدمشق، ونشأ بها وهو علامة أوانه ، وأوحـــد زمانه . مجموع الفضائل، كثير الفواضل ، كريم الابوة عزيز الفتوة، وافر السخاء حافظ الاخاء ، واشتغل بصناعة الطب حتى اتقنها اتقاناً لا مزيد عليه . ولم يصل احد من اربابها الى ما وصل اليه . قد حصل كلياتهـــا ، واشتمل على جزئياتها . واجتمع مع افاضل الاطباء ، ولازم اكابر الحكماء ، واخذ ما عندهم من الفوائد الطبية ، والاسرار الحكمية . مثل شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي وغيره . وقرأ ايضاً في علم الادب حتى بلغ فيه أعلى الرتب . وأتقن العربية وبرع في العلوم الادبية . وشعره فهو الذي عجز عنه كل شاعر ، وقصرت عنه الاوائل والاواخر ، لما قد حواه من الالفاظ الفصيحة ، والمعاني الصحيحة ، والتجنيس الصنيع ، والتطبيق البديع . فهو الجامع لاجناس العلوم ، الحاوي لانواع المنثور والمنظوم. وهو اسرع الناس بديهة في قول الشعر ، وأحسنهم انشاداً. ولقد رأيت منه في أوقات ينشد شعراً على البديهة في معان مختلفة لا يقدر عليها أحد سواه ، ولا يختص بهذا الفن إلا اياه .

وكان ابوه رحمه الله تاجراً من السويداء(٢) بحوران ، حسن الاخلاق طيب الاعراق لطيف المقال جميل الافعال . وكان صديقاً لابي وبينهما مودة أكيدة وصحبة حميدة . وكنت أنا وعز الدين أيضاً في المكتب عند الشيخ ابي بكر الصقلي رحمه الله ، فالمودة بيننا من القدم باقية على طول الزمان ، نامية في كل حين واوان . والحكيم عزالدين من أجل الاطباء قدراً ، وأفضلهم ذكراً . واعرف مداواة ، وألطف مداراة ، وانجع علاجاً ، واوضح منهاجاً . ولم يزل طبيباً في البيمارستان النوري يحصل به للمرضى نهاية الاغراض في ازالة الامراض ، وأفضل المنحة في اجتلاب الصحة .

وخدم ايضاً في البيمارستان بباب البريد ، وتردد الى قلعة دمشق ، وكان مدرس الدخوارية (٣) . وكان له جامكية في هذه الاربع جهات . وكتب عز الدين بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيره فمنها خط منسوب طريقة ابن البواب ، ومنها خط يشابه مولد الكوفي ، وكل واحد من خطيه فهو أبهى من الانجم الزواهر ، وازهى من فاخر الجواهر ، وأحسن من الرياض المونقة ، وأنور من الشمس المشرقة . وحكى لي انه كتب ثلاث نسخ من كتاب القانون لابن سينا . ولما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وصل الى دمشق تاجر من بلاد العجم ، ومعه نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، وهي صحيحة معقولة من خط المصنف ، ولم يكن قبل ذلك منها نسخة في الشام فحملها أبي فكتب اليه عز الدين بن السويدي قصيدة مديحاً فمما على خاطري منها يقول :

---

(١) صحابي من الانصار حمل اللواء في موقعة بدر . وضمد جرح النبي في أحد . حكم بقتـــل اسرى خيبر وسبي نسائهم واقتسام اموالهم لانهم نكثوا بالعهد (ن.ر)

(٢) بلدة بحوران من جبل الدروز فيها خلوة « عين زمان » .

(٣) هي المدرسة التي وقفها في بيته مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار .

وامتن فانت أخو المكارم والعلى بكتاب شرح منـافع الاعضاء
واعارة الكتب الغربية لم تزل من عـادة العلمـاء والفضـلاء
(الكامل)

فبعث اليه الكتاب وهو في جزءين فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة النقط والضبط. ومن شعره وهو مما انشدني لنفسه . فمن ذلك قال فيما يعانيه ويعنيه من كلفة الخضاب بالكتم [1].

لو ان تغير لون شيبي بعيد ما فات من شبابي
لما وفى لي بما تلاقي روحي من كلفة الخضاب
(البسيط)

وأنشدني لما ألفت هذا الكتاب في تاريخ المتطببين المعروف بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء.

موفق الدين بلغت المنى ونلت أعلى الرتب الفـاخرة
حملت في التاريخ من قد مضى وان غدت أعظمه ناخرة
فخصك الله باحسـانه في هذه الدنيا وفي الآخرة
(السريع)

وقال لغزاً في علي

ما اسم اذا رخمته[2] كان ما رخمته جذراً لباقيه
ولا يرى ترخيمه فاضل للفضل والنقص الذي فيه
(السريع)

وقال ايضاً :

ومدام حرمتها الصيام قد توالى علي في رمضان
واقاموا الحدود فيها بلا حـــد فدامت ندامة الندمان
وتغالوا العلوج فيها بزعم وحموها عن كل انس وجان
ثم قالوا المطبوخ حل فافنو ها طبيخاً بلاعج النيران
طبخوها بنار شوقي اليهـا فغدت مهجة بلا جثمان
(الخفيف)

وقال ايضاً :

وناسك باطنه فاتك يا ويح من يصغي الى مينه
منزله أحرج من صدره وخلقه أضيق من عينه
(السريع)

(١) نبت يخضب به الشعر ويصنع منه مداد الكتابة .
(٢) قطع ذنبه وهنا حذف آخره كما هي الحال في ترخيم المنادى ، مثل قولك يا فاطم في يا فاطمة . (ن.ر)

ولعز الدين بن السويدي من الكتب: كتاب الباهر في الجواهر . كتاب التذكرة الهادية والذخيرة الكافية في الطب

عماد الدين الدنيسري

هو الحكيم العالم الاديب الاريب عماد الدين أبو عبدالله محمد بن القاضي الخطيب تقي الدين عباس ابن أحمد بن عبيد الربعي، ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، والاريحية التامة، والعوارف العامة، والذكاء الوافر ، والعلم الباهر . مولده بمدينة دنيسر[1] في سنة خمس وستمائة . ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب اشتغالا برع به فيها وحصل جمل معانيها ، وحفظ الصحة حاصلة واستردها زائلة . واول اجتماعي به كان بدمشق في شهر ذي القعدة سنة سبع وستين وستمائة ، فوجدت له نفساً حاتمية ، وشنشنة أخزمية ، وخلقا ألطف من النسيم ، ولفظاً احلى من مزاج التسنيم . واسمعني من نظمه الشعر البديع معناه ، البعيد مرماه ، الذي قد جمع أجناس التجنيس ، وطبقات التطبيق النفيس ، والالفاظ الفصيحة ، والمعاني الصحيحة . فهو في علم الطب قد تميز على الاوائل والاواخر ، وفي الادب قد عجّز كل ناظم وناثر . هذا مع ما انه في علم الفقه على مذهب الامام الشافعي سيد زمانه واوحد أوانه . وسافر من دنيسر الى الديار المصرية ثم رجع الى الشام واقام بدمشق ، وخدم الآدر الناصرية اليوسفية بقلعة دمشق . ثم خدم في البيمارستان الكبير النوري بدمشق .

ومن شعره وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال

بالله يا قارئاً شعري وسامعه أسبل عليه رداء الحلم والكرم
واستر بفضلك ما تلقاه من زللي فان علمي قد أثرى من العدم
(البسيط)

وقال ايضاً :

نعم فليقل من شاء عني فانني كلفت بذاك الخال والمقلة الكحلا
وعذبني بالصد منه وكلما تجنى فما أشهاه عندي وما أحلى
وحرمت نومي بعد ما صد معرضاً كما حلل الهجران ان حرم الوصلا
غزال غزا قلبي بعامل قده ومكّن من أجفانه في الحشا نبلا
فلا تعذلوني في هواه فانني حلفت بذاك الوجه لا أسمع العذلا
(الطويل)

وقال ايضاً :

عذارك[1] المخضر يا منيتي لما بدا في الخد ثم استدار

(١) جانب اللحية اي الشعر .

أقام عذري عند أهل الهوى وصح ما قيل عن الاعذار
وكان في ذلك لنا آية اذ جمع الليلُ معاً والنهار

(السريع)

وقال ايضاً :

غزال له بين الجوانح والحشا مقيل وفي قلبي مكان وامكان
فلا تطمع العذال مني بسلوة وان رمت سلوانا فاني خوان
ففي كبدي من فرط وجدي ولوعتي وفي الجفن نيران علي وطوفان

(الطويل)

وقال ايضاً :

عشقت بدراً مليحاً عليه بالحسن هاله
مثل الغزال ولكن تغار منه الغزاله
بعثت من نار وجدي مني اليه رساله
وقلت أنت حبيبي ومالكي لا محاله
ولي عليك شهود معروفة بالعداله
جسمي يذوب وجفني دموعه هطاله

(البسيط)

وقال من ابيات :

اسكنتك القلب المليء من الوفا وجعلت في سودائه مغناكا
وقطعت عن كل الانام مطامعي وهجرتهم لما عرفت هواكا

(الكامل)

وقال ايضاً :

نعم عند قلبي من لواحظه شغل فكفوا فلا عتب يفيد ولا عذل[1]
ومهما سمعتم من قديم صبابة فذاك حديث صح عندي به النقل
أجيراننا بالله مهلاً فانني أسير لما جاءت به الحدق النجل
عزيز على خديه نبت عذاره شغلت به عن كل ما كان لي شغل
ومن شا يلمني في هواه فانني حلفت به عن حبه قط لا أسلو

(الطويل)

وقال أيضاً :

يا سادة رحلوا عني ووافقهم صبري وما بعثوا لي عنهم خبرا

(١) اللامة .

لا تسألوا ما جرى لي يوم بينكم
بل اسألوا عن مصون كيف جرى

وارحمتا لكئيب قـل ناصره
يقضي غراماً وما قضى بكم وطرا

قد بات مما به من طول هجركم
طول الليالي بكم يستعذب السهرا

والورق فوق غصون البان تسعده
بنوحها ونسيم الروض حين سرى

فهل تجودون يوماً بالوصال له
وان تمنعتموا جودوا بطيف كرى

فذكركم في صميم القلب مسكنه
وغيركم في صميم القلب ما خطرا

وكل من لامه فيكم يقول له
وقد رأى حسنكم قم كرر النظرا

(البسيط)

(وقال ايضاً من ابيات)

حلفت له لا حلت عن وهي به
وقلبي على ما قد حلفت له حلف

اذا باعني منه الوصال بمهجتي
شريت وها قلبي أقدمه سلف

(الطويل)

(قال ايضاً)

كفوا من اللوم في محبته
قد سئمت من ملامكم نفسي

بيني وبين المسلو مرحلة
لكنها من مراحل الشمش

(المنسرح)

(وقال ايضاً)

اما الحديث فعنهم ما اجمله
والموت من جور الهوى ما أعدله

قل للعذول أطلت لست بسامع
بين السلو وبين قلبي مرحله

لا أنتهي من حب من أحببته
ما دام قلبي والهوى في منزله

ظبي تلبأ بالجمال على الورى
يا ليت شعري صدغه من أرسله

قد حل في قلبي وكل جوانحي
فدمي له في حبه من حلله

وحياة ناظره وعامل قده
روحي بعارض خده متململه

هب انني متجان في حبه
فعذاره في خده من سلسله

(الكامل)

وقال ايضاً :

قف على بان الحمى والابرق [1]
فعسى تذهب مني حرقي

فجفوني بعدهم قد أقسمت
أنها لا تلتقي أو نلتقي

ودموعي كلما كفكفتها
بهم قد أقسمت لا ترتقي

---

(١) الارض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين.

يا عريب الحي رقوا وارحموا — محب بجفاكم قـد شقي
قـد فني كلي في حبكم — وبقي لي بعد كلي رمقي
والذي أبقى هواكم والجفـا — ليته لما هجرتم لا بقي
(الرمل)

وقال ايضا من ابيات :

سألتـك ان تجـير تلستهام — وما نفـع السؤال فلم تجور
وحرمت الوصال على كئيب — اليك من الصبابة يستجير
فيوم الهجر أقصره طويـل — وليل الوصل أطوله قصير
(الوافر)

وقال ايضاً :

اذا رفـع العود تكبيره — ونادى على الراح داعـي الفرح
رأيت سجودي لهـا دائماً — ولكن عقيب ركوع القدح
(المتقارب)

وقال في مليح يلقب بالجمال :

قالوا عشقت من الانام جميعهم — رشأ فأنت بحسنه مقتول
فأجبتهم لا تعجبوا مما جرى — سيف الجمال بجفنه مسلول
(الكامل)

وقال ايضاً في مليح تعرض للوصل بعد ذهاب ملاحته :

لما سألتك اشفاقاً على كبدي — نادى بك التيه لا تعطف على احد
ورحت تمرح في ثوب الجمال وقد — تركتني وأخذت الروح من جسدي
حتى اذا الدهر أدنى منك حادثة — وانت تعجز عن ابعاده بيد
بعثت تطلب وصلي كي أعود وقد — أخنى عليك الذي أخنى على لبد [1]

وقال :

كلفت بالمعسول من ريقه — وهمت بالعسال[2] من قده
بدر إذا ابصرته مقبـلاً — ابصرت بدر التم في سعده
يجرح قلبي لحظه مثل ما — يجرحه لحظي في خـده
(السريـع)

ومنها :

قلت لعذالي على حبـه — والقلب موقوف على صده

---

(١) آخر نسور لقمان بن عاد .
(٢) رمح عسال : يهتز ليناً .

من يــده في الما الى زنده　　يعرف حر الماء من برده

(السريـع)

وقال ايضاً :

ان فاض ماء جفوني قلت من فكري　　عليه أو غـاض دمعي قلت من ناري

وكلما رمت ان اسلو هواه ارى النــار في حبــه اولى من العــار

(البسيط)

وقال ايضاً :

ولقد سألت وصاله فاجابني　　عنه الجمـال اشارة عن قائل

في نون حاجبه وعين جفونه　　مع ميم مبسمه جواب السائل

(الكامل)

وقال ايضاً :

في صــاد مقلته إذا حققتها　　مع نون حاجبه وميم المبسم

عذر لمن قد ضل فيه مولهـاً　　فعلام يعذل فيه من لم يفهـم

(الكامل)

وقال لغزاً في عثمان :

سألت جميع الناس ظناً بانـــني　　ارى فيهم من يعرف الحق والصدقا

عن اسم مســماه تناهى جماله　　ومن هجره قلبي واعراضه يشقى

وأحرفه لا شك خمســة احرف　　وكل صحيح الذهن يعرفه حقا

إذا زال عنه الخمس والخمس واحد　　تبقى ثمان وهي أعجب ما يبقى

(الطويل)

وقال من قصيدة مدح بها الملك السعيد غازي ابن الملك المنصور صاحب ماردين :

مؤيد الرأي مقـــدام كتائبه　　ملء البسيطة من سهل ومن جبل

ويركب الجد يوم الحرب معتقلاً　　بعد الصوافن بالعســالة الذبـل

فيشكل الاسد يوم الروع صارمه　　والشكل بالبيض بعد النقط بالاسل

(البسيط)

وقال مخمساً هذه الابيات :

وحق هواك وجدي لا يحــول　　وجسمي قد اضر بــه النحول

وقلبي والفــؤاد غدا يقــول　　ارى الايام صبغتهــا تحـول

وما لهواك من قلـبي نصول

عذولي راح في قيـــل وقال　　وما انا عن محبتكم بســالي

وكيف يمر هجركم ببالي وحب لا تغـيره الليـالي
محال ان يغيره العذول
فلما كان بالهجران فتـكي وطرفي والفؤاد لذاك يبـكي
وقد جد الرحيل بغير شـك اتت ودموعها في الخد تحكي
قلائدها وقد جعلت تقول
فقلت لهـا رويدك بالرعـايا ففـي قلبي لبعدكم بلايا
فقالت والمنى منهـا منايا غداة غد تزم [1] بنا المطـايا
فهل لك من وداع يا خليل
معذبـتي تقول بلا بـلال اذا ازف الرحيل وحـال حالي
واصبح ربعنـا بالبين خـالي فقلت لها وعيشـك لا ابالي
أقام الحي أم جد الرحيـل
غداً بالهجر منك يذوب قلـبي ولا يجد الشفاء بغـير قرب
ولي امـل يزول بذاك كربي اذا كانت بنات الكرم شربي
ونقلي وجهك الحسن الجميل
متى عوضت عن سـهر الليالي بقرب منك مع حسـن الوصال
وعاينت الجـمال على الكمال أمنت بـذاك حادثة الليالي
وهان علـي ما قال العذول
(الوافر)

وقال في مليح صنعته رفاء

قطعت قلـبي بمر الهجر يا املي عسى بحلو حديث منك ترفيه [2]
فقد عصيت عذولا بات يعذلني وفي مخـالفتي للعذل ترفيهي

وقال في مليح اسمه عيسى :

يا من هوى الاسم المسيح وقد حوى كأس الردى في الجفن والاحداق
خالفت عيسى في الفعال وقد غدا يحيي وانت تميت بالاشواق
(الكامل)

وقال دوبيت :

يا من نقض العهـد مع الميثاق ها حسنك زائل ووجدي باقي
ان كنت عذرت فالوفا علمني أن اسلك في الهوى مع العشاق

---

(١) زم المطية : خطمها وعلق عليها الزمام .
(٢) تصلحه وتخيطه .

وقال ايضاً :

مولاي الى متى على الصب تجور   يا غادر كم كـــذا صدود ونفور
يحظى بك غيري والهوى في كبدي   لا صبر لمن يحب ان كان غيور

وقال ايضاً :

في القلب من الغرام نار تقد   والله وان هجرت زال الجلد
يا من سلب الرقاد عن عاشقه   صلني فسواك ما بقى لي احد

وقال ايضاً :

الامر بأن اموت في الحب اليك   ان رمت تـلافي ها انا بين يديك
والله وقلبي قـــال لو امكنه   سعياً لسعى مني على الرأس اليك

وقال ايضاً :

مولاي وحق من قضى لي بهواك   مـا أسعد يوماً فيه والله أراك
ان كان تلاف مهجتي فيه رضاك   أتلف كبدي فالكل والله فداك

ولعماد الدين الدنيسري من الكتب : المقالة المرشدة في درج الادوية المفردة . كتاب نظم الترياق الفاروق : كتاب في المثروديطوس . كتاب في تقدمة المعرفة لابقراط . أرجوزة. كتاب ديوان شعر.

موفق الدين يعقوب السامري

هو الحكيم الأجل الأوحد العالم رئيس زمانه وعلامة أوانه ، ابو يوسف يعقوب بن غنائم . مولده ومنشؤه بدمشق . بارع في الصناعة الطبية ، جامع للعلوم الحكمية. قد أتقن صناعة الطب علماً وعملاً، واحتوى على جملتها تفصيلاً وجملاً . محمود المداواة مشكور المداراة ، متعـــين عند الاعيان متميز في سائر الأزمان ، مؤيد في اجتلاب الصحة وحفظها في الابدان . واشتغل عليه جماعة من المتطببـين ، وانتفع به كثير من المتطلبين . وله التصانيف التي هي فصيحة العبارة ، صحيحة الاشارة ، قوية المباني، بليغة المعاني .

ولموفق الدين يعقوب السامري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، وقد جمع فيه ما قاله ابن خطيب الري في شرحه للكليات ، وكذلك ما قاله القطب المصري في شرحه لها ، وما قاله غيرهما ، وحرره في اقوالهم من المباحثات ، وقد اجاد في تأليفه ، وبالغ في تصنيفه . حل شكوك نجم الدين بن المنفاخ على الكليات . كتاب المدخل الى علم المنطق والطبيعي والآلهي .

توفي في شهر رمضان سنة احدى وثمانين وستمائة .

ابو الفرج بن القف

هو الحكيم الاجل العالم أمين الدولة ابوالفرج ابن الشيخ الاوحد العالم موفق الدين بن اسحق بن القف من نصارى الكرك . مولده بالكرك في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وستمائة . كان

والده موفق الدين صديقاً لي مستمراً في تأكيد مودته ، حافظاً لماطول ايامه ومدته ؛ تستحلى نفائس مجالسته ، وتستجلى عرائس مؤانستة ؛ ألمعي اوانه واصمعي زمانه ، جيد الحفظ للاشعار ، علامة في نقل التواريخ والاخبار ، متميز في علم العربية ، فاضل في الفنون الادبية . قد اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها ، وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها . وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الابصار ، ولا يلحقه كاتب في سائر الاقطار والامصار . كان في ايام الملك الناصر يوسف بن محمد كاتباً بصرخد عاملاً في ديوان البر . وكان ولده هذا ابو الفرج تتبين فيه النجابة من صغره ، كما تحققت في كبره ، حسن السمت كثير الصمت ، وافر الذكاء محباً لسيرة العلماء فقصد ابوه تعليمه الطب فسألني ذلك فلازمني حتى حفظ الكتب الاولة المتداول حفظها في صناعة الطب كمسائل حنين والفصول لابقراط، وتقدمة المعرفة له ، وعرف شرح معانيها ، وفهم قواعد مبانيها . وقرأ علي بعد ذلك في العلاج من كتب ابي بكر محمد بن زكريا الرازي .ما عرف به اقسام الاسقام ، وجسيم العلل في الاجسام ، وتحقق معاجلة المعالجة ومعاناة المداواة . وعرفته أصول ذلك وفصوله ،وفهمته غوامضه ومحصوله . ثم انتقل ابوه الى دمشق المحروسة ،وخدم بها في الديوان السامي ، وسار ولده معه ولازم جماعة من الفضلاء . فقرأ في العلوم الحكمية والاجزاء الفلسفية على الشيخ شمس الدين عبدالحميد الخسروشاهي وعلى عزالدين الحسن الغنوي الضرير . وقرأ ايضاً في صناعة الطب على الحكيم نجم الدين بن المنفاخ ، وعلى موفق الدين يعقوب السامري. وقرأ ايضاً كتاب اوقليدس على الشيخ مؤيد الدين العرضي ، وفهم هذا الكتاب فهماً فتح به مقفل اقواله ، وحل مشكل اشكاله. وخدم ابو الفرج بن القف بصناعة الطب في قلعة عجلون واقام بها عدة سنين . ثم عاد الى دمشق وخدم في قلعتها المحروسة لمعالجة المرضى ، وهو محمود في افعاله مشكور في سائر احواله . وله من الكتب كتاب الشافي في الطب . شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ست مجلدات . شرح الفصول كتابين ، مقالة في حفظ الصحة . كتاب العمدة في صناعة الجراح عشرين مقالة علم وعمل يذكر فيه جميع ما يحتاج اليه الجرائحي بحيث لا يحتاج الى غيره . كتاب جامع الغرض مجلد واحد . حواش على ثالث القانون لم يوجد . شرح الاشارات مسودة ولم يتم . المباحث المغربية ولم تتم . توفي في جمادى الاولى سنة خمس وثمانين وستمائة والله أعلم .

* * *

فهارس الكتاب

فهرست المواضيع

الباب الاول

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

موسى بن خالد الترجمان ، اسطاث ، حيرون بن رابطة ، تدرس السنقل ، سرجس الراسي ، أيوب الرهاوي ، يوسف الناقل ، ابراهيم بن الصلت ، ثابت الناقل ، ، أبو يوسف الكاتب ، يوحنا بن بختيشوع ، البطريق ، يحيى بن البطريق ، قيضا الرهاوي ، منصور بن باناس ، عبد يشوع بن بهريز ، أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، ابو اسحق ابراهيم بن بكس ، أبو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، شيرشوع بن قطرب محمد بن موسى المنجم ، علي بن يحيى المعروف بابن المنجم ، ثادرس الأسقف ، محمد بن موسى بن عبد الملك ، عيسى بن يوسف الكاتب الحاسب ، علي المعروف بالغيوم ، احمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب ، ابراهيم بن محمد بن مدسى الكاتب ، عبدالله بن اسحق ، محمد بن عبدالملك الزيات .

الباب العاشر

طبقات الأطباء العراقيين واطباء الجزيرة وديار بكر ٢٨٥

يعقوب بن اسحق الكندي، أحمد بن الطيب السرخسي، أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني، أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة ، ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ، أبو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة، أبو اسحق ابراهيم بن زهرون الحراني، ابو الحسن الحراني، ابن وصيف الصابىء ، غالب طبيب المعتضد ، أبو عثمان سعيد بن غالب ، عبدوس ، صاعد بن بشر بن عبدوس ، ديلم ، داود بن ديلم ، ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، الرقي ، قويري ، ابن كرنيب ، ابو يحيى المروزي ، متى بن يونان ، يحيى بن عدي ، .ابو علي بن زرعة ، موسى بن سيار ، علي بن العباس الجوسي ،عيسى طبيب القاهر ، دانيال المتطبب ، اسحق بن شليطا ، ابو الحسين عمر بن الدحلي ، فنون المتطبب ، ابو الحسين بن كشكرايا ، أبو يعقوب الاهوازني ، نطيف القس الرومي ، أبو سعيد اليمامي ، أبو الفرج بن ابي سعيد اليمامي ، أبو الفرج يحي بن سعيد بن يحيى ، أبو الفرج بن الطيب ، ابن بطلان ، الفضل بن جرير التكريتي ، ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي ، ابن دينار ، ابراهيم بن بكس، علي بن ابراهيم بن بكس ، قسطا بن لوقا البعلبكي، مسكويه احمد بن ابي الاشعث ، محمد بن ثواب الموصلي، احمد بن محمد البلدي، ابن قوسين علي بن عيسى ، ابن الشبل البغدادي ، ابن بختويه أبو العلاء صاعد بن الحسن ، زاهد العلماء ، المقبلي النيلي ، اسحق بن علي الرهاوي ، سعيد بن هبة الله ، ابن جزلة ،ابو الخطاب،ابن الواسطي ، ابو طاهر بن البرخشي،ابن صفية،أمين الدولة ابن التلميذ، ابو الفرج يحيى بن التلميذ، أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا، البديع الاصطرلابي، ابو القاسم هبة الله بن الفضل ، العنتري ، ابو الغنائم هبة الله بن علي بن الحسين بن اثردى ، علي بن هبة الله بن اثردى ، سعيد بن اثردى ، أبو علي الحسن بن علي بن اثردى ، جمال الدين علي بن اثردى ، فخر الدين المارديني ، ابو نصر بن المسيحي ، ابو الفرج ، ابو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل ، ابن المارستانية، ابن سدير ، مهذب الدين بن هبل ، شمس الدين بن هبل ، كمال الدين بن يونس .

الباب الحادي عشر

طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد العجم ٤١٣

تيادورس ، برزويه ، ابن الطبري، ابن ربن الطبري، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري ، أبو سليمان السجستاني، أبو الخير الحسن بن سوار، أبو الفرج بن هندو، الحسن الفسوي، أبو منصور الحسن بن نوح القمري، أبو سهل المسيحي، الشيخ الرئيس ابن سينا ، ألايلاقي ، أبو الريحان البيروني، ابن مندويه الاصفهاني، ابن أبي صادق، طاهر بن ابراهيم السجري، ابن خطيب الري، القطب المصري، السموأل، بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي ، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي ، الشريف شرف الدين اسمعيل

الباب الثاني عشر

طبقات الاطباء الذين كانوا من الهند ٤٧٣

كنكه الهندي ، صنجهل ، شاناق ، جودر ، منكه الهندي ، صالح بن بهلة الهندي .

الباب الثالث عشر

طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها ٤٧٨

اسحق بن عمران، اسحق بن سليمان، ابن الجزار، ابن السمينة ، أبو القاسم مسلمة بن أحمد ، ابن السمع ابن الصفار، أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي ، الكرماني، ابن خلدون، أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر بن دميح ، حمدين بن أبان ، جواد الطبيب النصراني، خالد بن يزيد بن رومان النصراني ، ابن ملوكة النصراني ، عمران بن أبي عمرو، محمد بن فتح طملون ، الحراني ، أحمد عمر ابنا يونس بن أحمد الحراني ، اسحق الطبيب ، يحيى بن اسحق ، سليمان أبو بكر بن تاج ، ابن أم البنين ، سعيد بن عبد ربه ، اصبغ بن يحيى ، محمد بن تمليح ، أبو الوليد بن الكتاني ، أبو عبدالله بن الكتاني ، أحمد بن حكيم بن حفصون ، أبو بكر احمد بن جابر ، أبو عبدالله الملك الثقفي ، هرون بن موسى الاشبوني ، محمد بن عبدون الجبلي العذري ، عبد الرحمن بن اسحق ابن الهيثم ، ابن جلجل ، ابو العرب يوسف بن محمد ، ابن البغونش ، ابن وافد ، الرميلي ، ابن الذهبي ، ابن الناش ، أبو جعفر بن خميس الطليطلي – أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر الدارمي ، ابن الخياط ، منجم بن الفوال ، مروان بن جناح ، اسحق بن قسطار ، حسداي بن اسحق ، ابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي ، أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي ، ابن سمجون ، البكري ، الغافقي ، الشريف محمد بن محمد الحسني ، خلف بن عباس الزهراوي ، ابن بكلارش ، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن ابي الصلت، ابن باجة، ابو مروان

ابن زهر، أبو العلاء بن زهر ، ابو مروان بن أبي العلاء بن زهر ، الحفيد أبو بكر بن زهر ، ابو محمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر ، ابو جعفر بن هارون الترجالي ، ابو الوليد بن رشد، أبو محمد ابن رشد، أبو الحجاج يوسف بن موراطير ، ابو عبدالله بن يزيد ، أبو مروان عبد الملك بن قبلان ، ابو اسحق ابراهيم الداني ، ابو يحيى بن قاسم الاشبيلي ، ابو الحكم بن غلندو ، ابو جعفر احمد بن حسان ، أبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان ، أبو محمد الشذوني ، المصدوم، عبد العزيز بن مسلمة الباجي ، أبو جعفر بن الغزال ، أبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري، أبو عبدالله الندرومي ، ابو جعفر احمد بن سابق ، ابن الحلاء المرسي، أبو اسحق بن طملوس، ابو جعفر الذهبي ابو العباس بن الرومية ، ابو العباس الكنيناري ، ابن الاصم .

الباب الرابع عشر

طبقات الاطباء المشهورين من اطباء ديار مصر ٥٤٠

بليطيان ، ابراهيم بن عيسى ، الحسن بن زيرك ، سعيد بن توفيل ، خلف الطولوني ، نسطاس بن جريج ، اسحق بن ابراهيم بن نسطاس ، البالسي ، موسى بن العازار الاسرائيلي ، يوسف النصراني ، سعيد بن البطريق ، عيسى بن البطريق ، أعين بن أعين ، التميمي ، سهلان ، ابو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر ، عمار بن علي الموصلي ، الحقير النافع، أبو بشر طبيب العظيمية ، ابن مقشر الطبيب، علي بن سليمان ، ابن الهيثم، المبشر بن فاتك ، اسحق بن يونس ، علي بن رضوان، افرائيم ابن الزفان، سلامة بن رحمون ، مبارك بن سلامة بن رحمون ، ابن العين زربي ، بلمظفر بن معرف ، الشيخ السديد رئيس الطب ، ابن جميع ، ابو البيان ابن المدور ، أبو الفضائل بن الناقد ، الرئيس هبة الله ، الموفق بن شوعة ، ابو البركات بن القضاعي ، ابو المعالي بن تمام، الرئيس موسى، ابراهيم بن الرئيس موسى، ابو البركات بن شعيا، الاسعد المحلي ، الشيخ السديد بن ابي البيان ، جمال الدين بن ابي الحوافر ، فتح الدين بن جمال الدين بن ابي الحوافر، شهاب الدين بن فتح الدين، القاضي نفيس الدين بن الزبير ، أفضل الدين الخونجي ، أبو سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فانة ، أبو سعيد بن ابي سليمان ، ابو شاكر ابن أبي سليمان ، ابو نصر بن ابي سليمان، أبو الفضل بن ابي سليمان ، رشيد الدين ابو حليقة، مهذب الدين أبو سعيد محمد أبي حليقة ، رشيد الدين ابو سعيد ، اسعد الدين بن ابي الحسن ، ضياء الدين بن البيطار .

الباب الخامس عشر

طبقات الاطباء المشهورين من اطباء الشام ٦٠٣

أبو نصر الفارابي، عيسى الرقي ، اليبرودي، جابر بن منصور السكري ، ظافر بن جابر

السكري، موهوب بن الظافر ، جابر بن موهوب ، أبو الحكم ، أبو المجد بن أبي الحكم ، ابن البذوخ ، حكم الزمان، عبدالمنعم الجلياني، أبو الفضل بن ابي الوقار، مهذب الدين بن النقاش، أبو زكريا يحيى البياسي ، سكرة الحلبي ، عفيف بن سكرة ، ابن الصلاح ، شهاب الدين السهروردي ، شمس الدين الخويي ، رفيع الدين الجيلي ، شمس الدين الخسروشاهي، سيف الدين الآمدي ، موفق الدين بن المطران، مهذب الدين بن الحاجب، الشريف الكحال ، ابو منصور النصراني ، ابو النجم النصراني ، ابو الفرج النصراني ، فخر الدين بن الساعاتي ، شمس الدين ابن اللبودين ، الصاحب نجم الدين بن اللبودين ، زين الدين الحافظي ، أبو الفضل بن عبدالكريم المهندس ، موفق الدين عبد العزيز ، سعد الدين بن عبد العزيز ، رضي الدين الرحبي ، شرف الدين بن الرحبي ، جمال الدين بن الرحبي ، كمال الدين الحمصي ، موفق الدين عبداللطيف البغدادي، أبو الحجاج يوسف الاسرائيلي، عمران الاسرائيلي ، موفق الدين يعقوب ابن سقلاب ، سديد الدين ابو منصور ، رشيد الدين بن الصوري ، سديد الدين بن رقيقة ، صدقة السامري مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد ، الصاحب أمين الدولة ، مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، عمي رشيد الدين علي بن خليفة ، بدر الدين ابن قاضي بعلبك ، شمس الدين محمد الكلي ، موفق الدين عبد السلام ، عز الدين بن السويدي ، عماد الدين الدنيسري ، موفق الدين يعقوب السامري ، ابو الفرج بن القف .

فهرست الاعلام والامكنة

— ب —

– ت –

– ث –

– ج –

— ح —

- ش -

— غ —

— ن —

— ه —

— و —

— ي —

★

UYŪN AL ANBĀ
FI
TABAQAT AL ATIBBĀ
BY
IBN ABI USAYBIĀ

DAR MAKTABAT AL-HAYAT

Beyrouth